دكابنز ربلرا قاطبوا قولدرمز

٣٥٣
٨٤

T. C.
İSTANBUL
Fatih Kütüphanesi
SAYI

سورة الرحمن الى سورة عبس

من نعم الله سبحانه وتعالى على احوج عباده الفقير الى الله
حسن بن سليمان بن صادق الحافظ الخطيب
غفر لهم

٢٢٩

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı Fatih
Yeni Kayıt No 339

K. 427

٤٢٦ ، ٤٢٥ ، ...

٥٥٤	
٦	
٥٦٠	
٢٩	٢٦٤ دن ٢٩٢ يه قدر آنلر تمه
٥٢١	آنلر تمه ٢٩٢ ، آنلر تمه ٢٠٦
٢	
٥٢٩	
١٠	٢٠٦ دن ٢١٥ شه قدر آنلر تمه
٥١٩	

بسم الله الرحمن الرحيم
بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن
وقرأ الحسن ذكّر رحمة ربك أي هذا المتلو من القرآن ذكر
رحمة ربك وقرئ ذكّرْ على الأمر. راعى سنة الله في إخفاء
دعوته لأن الجهر والإخفاء عند الله سيّان فكان الإخفاء أولى
لأنه أبعد من الرياء وأدخل في الإخلاص. وعن الحسن نداء لا رياء
فيه أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبرة
والشيخوخة أو أسرّه من مواليه الذين خافهم أو خفت صوته
لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه
تارات. واختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل ستون وخمس
وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون. وقرئ
وهن بالحركات الثلاث. وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن
وبه قوامه وهو أصل بنائه فإذا وهن تداعى وتساقطت
قوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه
أوهن. ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده
إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب

منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا إلى معنى آخر
وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها. إدغام السين
في الشين عن أبي عمرو. وشبّه الشيب بشواظ النار في بياضه
وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوّه فيه وأخذه منه
كل مأخذ باشتعال النار ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند
الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج
الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه
رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها با
لبلاغة. توسّل إلى الله بما سلف له معه من الاستجابة. وعن
بعضهم أن محتاجا سأله وقال أنا الذي أحسنت إليّ وقت
كذا فقال مرحبا بمن توسّل بنا إلينا وقضى حاجته. كان مواليه
وهم عصبته إخوته وبنو عمه شرار بني إسرائيل فخافهم
على الدين أن يغيّروه ويبدّلوه وأن لا يحسنوا الخلافة على
أمته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في إحياء الدين
ويرتسم مراسمه فيه. من ورائي: بعد موتي. وقرأ ابن كثير
من وراي بالقصر. وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى

ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم و
سوء خلافتهم من ورائي او خفت الذين يلون الامر من ورائي وقرأ عثمان
ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي من ورائي وهذا على
معنيين احدهما ان يكون وراي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي اي
قلّوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم
بولي يرزقه والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم
خفّوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد من لدنك تأكيد
لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده والا فهب لي
وليا يرثني كاف او اراد اختراعا منك بلا سبب لاني وامرأتي لا نصلح
للولادة يرثني ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردءا يصدقني
وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب وعن الجحدري او يرث
على تصغير وارث وقال غليّم صغير وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب
اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث
الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا
ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض
لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكريا
عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل
يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود سميا
لم يسم احد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامي الشنع جديرة بالاثرة
واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز
حتى قال القائل في مدح قوم شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب
وقال رؤبة للنسابة البكري وقد سأله عن نسبه انا ابن العجاج
فقال قصّرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا
وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل و
الشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم

يحمى ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سمّوا بيموت ايضا وهو يموت
بن المزرّع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهمّ بمعصية قط وانه ولد
بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا اي كانت على صفة العقر حين انا
شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين أفحين اختل السببان جميعا
ارزقه فان قلت لم طلب اولا وهو وامرأته على صفة العتي والعقر فلما اسعف
بطلبته استبعد واستعجب قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون
ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا وآخرا كان على منهاج
واحد في ان الله غني عن الاسباب اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل
والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر والطعن في السن
العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب
وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما
وقرأ ابيّ ومجاهد عسيا كذلك الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له
ثم ابتدأ قال ربك او نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو
علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع
مصبحين وقرأ الحسن وهو علي هين ولا يخرّج هذا الا على الوجه الاول
اي الامر كما قلت وهو على ذلك يهون علي ووجه آخر وهو ان يشار بذلك
الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف في كلتا القراءتين
اي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شئت لم تنوه لان الله هو المخاطب
والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق شيئا لان المعدوم ليس بشيء
او شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء وقوله اذا رأى غير شيء ظنه رجلا
وقرأ الاعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك اي اجعل لي علامة اعلم بها
وقوع ما بشرت به قال علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح
سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم دل ذكر الليالي هنا والايام في آل
عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة ايام ولياليهن اوحى اشار
عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض سبحوا صلوا

أو على الظاهر وان هي المفسرة اي خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه
الحكم الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحي يقال حكم حكما كحلم حلما وهو
الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب
وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لان الله
احكم عقله في صباه واوحى اليه حنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة
انشد سيبويه وقالت حنان ما اتى بك ههنا اذو نسب ام انت بالحي عارف
وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة
وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكاة الطهارة وقيل
الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم سلام الله عليه في هذه الاحوال
قال ابن عيينة انها اوحش المواطن اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان
الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا
لوقوع هذه القصة العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة
في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس وقيل
قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او شيء يسترها
وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت
الى المسجد فبينما هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة آدمي شاب امرد
وضيء الوجه جعد الشعر سويا سوي الخلق لم ينتقص من صورة الآدمية
شيئا او حسن الصورة مستوي الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس
بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على
استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة
الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت
في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا
خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفرج السقف
لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين يديها
في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت

المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبريل لان الدين يحيا به
وبوحيه او سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك
انت روحي وقرأ ابو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد
واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله فاما ان كان من
المقربين فروح وريحان او لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح
اي مقربنا وذا روحنا ارادت ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه
وتحفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله بقية الله خير لكم ان
كنتم مؤمنين اي انما انا رسول من استعذت به لاهب لك لاكون سببا في
هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني
ان اهب لك او هي حكاية لقول الله عز وجل جعل المس عبارة عن النكاح
الحلال لانه كناية عنه كقوله من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء والزنى ليس
كذلك انما يقال فيه فجر بها وخبث بها وما اشبه ذلك وليس بقمين ان تراعى
فيه الكنايات والآداب والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول
عند المبرد بغوي فادغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب
التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر
ولنجعله تعليل معلله محذوف اي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك او هو
معطوف على تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله
السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف
في الارض ولنعلمه مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك من جريه عليك
او كان امرا حقيقا بان يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة
والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا في قوة
الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين عن ابن
عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة
الى بطنها فحملت وقيل كان مدة الحمل ستة اشهر وعن عطاء وابي العالية
والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى

وقيل ثلث ساعات، وقيل حملته في ساعة، وصُوِّر في ساعة، ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها. وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة، كما حملته نبذته. وقيل حملته وهي بنت ثلث عشرة سنة، وقيل بنت عشر، وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل. وقالوا ما من مولود إلا يستهل غيره. **فانتبذت به** أي اعتزلت وهو في بطنها كقوله: تدوس بنا الجماجم والتريبا، أي تدوس الجماجم ونحن على ظهوره. ونحوه قوله: تنبت بالدهن، أي تنبت ودهنها فيها. الجار والمجرور في موضع الحال. **قصيا** بعيدا من أهلها وراء الجبل، وقيل أقصى الدار. وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف، فلما قيل حملت من الزنى خاف عليها قتل الملك فهرب بها، فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بأن يقتلها، فأتاه جبريل فقال إنه من روح القدس فلا تقتلها، فتركها. ° أجاء منقول من جاء، إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء، ألا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد كما تقول بلغته وأبلغنيه. ونظيره آتى حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء، ولم تقل أتيت المكان وآتانيه فلان. وقرأ ابن كثير في رواية. ° المخاض بالكسر، يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا، وهو تمخض الولد في بطنها. ° طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة، وكان الوقت شتاء. والتعريف لا يخلو إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم وابن الصعق، كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس، فإذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل. وإما أن يكون تعريف الجنس أي جذع هذه الشجرة خاصة، كأن الله تعالى إنما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها، ولأن النخلة أقل شيء صبرا على البرد، وثمارها إنما هو من جمارها، فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها وألجأها إليها. قرئ متّ بالضم والكسر، يقال مات يموت ومات يمات. ° النسي ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها، كالذبح اسم ما من

شأنه أن يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم. وعن يونس: العرب إذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا أنساءكم، أي الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ. تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له، من شأنه وحقه أن ينسى في العادة، وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه، وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشور من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله، أو لشدة التكليف عليها إذا بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله إياها بغاية الإجلال والإكرام، لأنه مقام دحض قلما تثبت عليه الأقدام، أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم، ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف بسببه، أو لخوفها على الناس أن يعصوا الله بسببها. وقرأ ابن وثاب والأعمش وحمزة نَسيا بالفتح، قال الفراء هما لغتان كالوِتر والوَتر والجِسر والجَسر، ويجوز أن يكون مسمى بالمصدر كالحمل. وقرأ محمد بن كعب القرظي نِسْأ بالهمز، وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته ونزارته. وقرأ الأعمش مِنسيا بالكسر على الإتباع كالمغيرة والمنخر. **من تحتها** هو جبريل عليه السلام، قيل كان يقبل الولد كالقابلة، وقيل هو عيسى، وهي قراءة عاصم وأبي عمرو. وقيل تحتها أسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الأنهار، وقيل كان أسفل منها تحت الأكمة فصاح بها ألا تحزني. وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مِن تحتها، وفي نادى ضمير الملك أو عيسى. وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة. وقرأ زر وعلقمة فخاطبها من تحتها. سئل النبي صلعم عن السري فقال هو الجدول. قال لبيد:

فتوسطا عرض السري فصدعا … مسجورة متجاورا قلامها

وقيل هو من السرو، والمراد عيسى. وعن الحسن كان والله عبدا سريا. **فإن قلت** ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب؟ **قلت** لم تقع التسلية بهما من حيث أنهما طعام وشراب، ولكن من حيث أنهما معجزتان تريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة، وأن مثلها مما قرفوها به بمعزل

وان لها امورا الهية خارجة من العادات خارقة لما الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شانها تساقط فيه تسع قراءات تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز او مفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه بهزي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله ولا تلقوا بايديكم او على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب عن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احديهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا اي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما احزنك واهمك وقرئ وقري بالكسر لغة نجد ترين بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبات بالحج وحلات السويق وذلك لتاخ بين الهمز وحروف اللين في الابدال صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل صياما كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلعم عن صوم الصمت لانه نسخ في امته امرها الله بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين احدهما ان عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق انسيا اي اكلم الملائكة دون الانس الفري البديع وهو من فري الجلد هرون كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وقيل هو اخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه انما عنوا هرون النبي

وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة بينها وبينه الف سنة واكثر وعن السدي كانت من اولاده وانما قيل اخت هرون كما قال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا وقرا عمر بن لجاء التيمي ما كان اباك امرؤ سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فاشارت اليه اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه اخر ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفولته اكمل الله عقله واستنباه طفلا نظرا الى ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الاتي لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما كنت عن رسول الله صلعم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير وقرئ وبرا عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلوة وكلفني بها واحد والسلام علي قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاء رجل فكان من فعل الرجل كذا

والمعنى وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلثة موجه الي والصحيح
ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام واعدائها
من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد
عرّض بان ضده عليكم ونظيره قوله والسلام على من اتبع الهدى يعني
ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد
فهو مئنة لنحو هذا من التعريض ۝ قرأ عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب
وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف
وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول بمعنى واحد كالرهب
والرهب والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدأ
محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد
لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل
وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله
كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء
والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله تعالى
وان يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون اي امره
حق يقين وهم فيه شاكون يمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون
يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلثة
وقرأ علي بن ابي طالب رضه تمترون على الخطاب وعن ابي بن كعب قول الحق
الذي كان الناس فيه يمترون تكذيب النصارى وتبكيتهم بالدلالة على انتفاء
الولد عنه وانه مما لا يتأتى ولا يتصور في المعقول وليس المقصود منه نفيه وعليه
اذ من المحال على المستقيم ان تكون ذاته كذات من يفنى منه الولد
ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده
بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول هاهنا مجاز ومعناه
ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك
بامر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل ۝ قرأ [illegible]

ابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا والاستئناف وابو عبيدة بالكسر على الابتداء وفي حرف
ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اي بسبب ذلك فاعبدوه ۝ الاحزاب
اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلث فرق نسطورية
ويعقوبية وملكانية ۝ وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص
عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم
هول الحساب والجزاء في يوم القيامة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف
او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة
والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة
او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه ۝ لا يوصف الله تعالى بالتعجب
وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد
ما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون
مما يسوء بصرهم ويصدع قلوبهم ۝ اوقع الظاهر اعني الظالمين موقع الضمير
اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي
عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع قضي الامر
فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار روي عن النبي صلعم انه سئل عنه
فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران ۝ واذ بدل من يوم الحسرة
او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وانذرهم
اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحالة غافلين غير مؤمنين
يحتمل انه يميتهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني الارض
ويذهب بها ۝ الصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد
فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله وكان
الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا لجميع الانبياء
وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في
الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري

أن يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضاً بين المبدل منه وبدله أعني إبراهيم
وإذ قال نحو قولك رأيت زيداً ونعم الرجل أخاك ويجوز أن يتعلق إذ بكان أو بصديقاً
نبياً أي كان جامعاً لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات
والمراد بذكر الرسول إياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه
إياهم لقوله واتل عليهم نبأ إبراهيم وإلا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده
في تنزيله ۝ التاء في يا أبت عوض من ياء الإضافة ولا يقال يا أبتي لئلا يجمع بين
العوض والمعوض منه وقيل يا أبتا لكون الألف بدلاً من الياء وشبه ذلك سيبويه
بأينق وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة ۝ انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه
فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقل
وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة كيف رتب الكلام
معه في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف و
الرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصحاً في ذلك بنصيحة ربه
حدث أبو هريرة قال قال رسول الله صلعم أوحى الله إلى إبراهيم عليه إنك خليلي
حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار فإن كلمتي سبقت لمن حسن
خلقه أن أظله تحت عرشي وأن أسكنه حظيرة القدس وأن أدنيه من جواري
وذلك أنه طلب منه أولاً العلة في خطئه طلب منبه على تماديه موقظ لإفراطه
وتناهيه لأن المعبود لو كان حياً مميزاً سميعاً بصيراً مقتدراً على الثواب
والعقاب نافعاً ضاراً إلا أنه بعض الخلق لاستخف عقل من أهله للعبادة
ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وإن كان
أشرف الخلق وأعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله ولا يأمركم
أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم
مسلمون وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية الإنعام
وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه أصول النعم وفروعها
فإذا وجهت إلى غيره وتعالى علواً كبيراً أن تكون هذه الصفة لغيره لم تكن
إلا ظلماً وعتواً وغياً وكفراً وجحوداً وخروجاً عن الصحيح النير إلى الفاسد

المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده
ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له فضلاً أن يغني
عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه أو تسنح لك حاجة فيكفيكها ثم ثنى بدعوته
إلى الحق مترفقاً به متلطفاً فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق
ولكنه قال إن معي طائفة من العلم وشيئاً منه ليس معك وذلك علم الدلالة على
الطريق السوي فلا تستنكف وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية
دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه
عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك
من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك إلا كل هلاك وخزي ونكال
وعدو أبيك آدم وأبناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة
وأمرك بها وزينها لك فأنت إن حققت النظر عابد الشيطان إلا أن إبراهيم
لإمعانه في الإخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان
إلا التي تختص منها برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت إلى ذكر
معاداته لآدم وذريته كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره
وأطبق على ذهنه ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة
والوبال ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له
وأن العذاب لاصق به ولكنه قال أخاف أن يمسك عذاب فذكر الخوف
والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه
أكبر من العذاب وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له
بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية
الشيطان التي هي معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم وصدر
كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله يا أبت توسلاً إليه واستعطافاً ما في
ما لا يسمع وما لم يأت يجوز أن تكون موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر
منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا إبصار وشيئاً يحتمل وجهين أحدهما أن
يكون في موضع المصدر أي شيئاً من الغناء ويجوز أن يقدر نحوه مع الفعلين السابقين

والثاني أن يكون مفعولا به من قولهم أغن عني وجهك قد جاءني من العلم يعني
لما أطلعه على سماجة صورة أمره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه
المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة
العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني وقدم الخبر على المبتدأ
في قوله أراغب أنت عن آلهتي لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعنى وفيه ضرب
من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد
وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلعم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار
قومه لأرجمنك لأرمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم
المرمي باللعن أو لأقتلنك من رجم الزاني أو لأطردنك رميا بالحجارة
وأصل الرجم الرمي بالرجام مليا زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب
عني والهجران قبل أن أثخنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح فلان ملي بكذا
إذا كان مطيقا له مضطلعا فإن قلت علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف يدل
عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني لأن لأرجمنك تهديد وتقريع سلام
عليك سلام توديع ومتاركة كقوله لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي
الجاهلين وقوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة
المنصوح والحال هذه ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ألا ترى
أنه وعده الاستغفار فإن قلت كيف جاز له أن يستغفر للكافر وأن يعده ذلك
قلت قالوا أراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الأوامر والنواهي
الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الإيمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلاة
والزكاة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا إنما استغفر له
بقوله واغفر لأبي إنه كان من الضالين لأنه وعده أن يؤمن واستشهدوا عليه
بقوله وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ولقائل
أن يقول الذي منع من الاستغفار للكافر إنما هو السمع فأما القضية العقلية
فلا تأباه فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء
على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك

فلو كان شارطا للإيمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الأسوة وأما
عن موعدة وعدها إياه فالواعد هو أبو إبراهيم لا آزر أي ما قال واغفر لأبي إلا عن
قوله لأستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها أباه والله أعلم
الحفي البليغ في البر والإلطاف حفي به وتحفى به أراد بالاعتزال المهاجرة
إلى الشام المراد بالدعاء العبادة لأنه منها ومن وسائطها ومنه قوله عليه السلام الدعاء
هو العبادة ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز أن يراد الدعاء الذي
حكاه الله في سورة الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله عسى أن
لا أكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر
على الله أحد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه أولادا مؤمنين أنبياء من رحمتنا
هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنيوي
أوتوه لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما
عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال إني أتتني لسان لا أسر بها
يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل
لي لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه أهل الأديان كلهم
وقال ملة أبيكم إبراهيم وملة إبراهيم حنيفا ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم
حنيفا وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم كما أعلى ذكره
وأثنى عليه المخلص بالكسر الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء أو أخلص نفسه
وأسلم نفسه لله وبالفتح الذي أخلصه الله الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء
والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب كيوشع الأيمن من اليمين
أي من ناحيته اليمنى أو من اليمن صفة للطور أو للجانب شبهه بمن قربه
بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن أبي العالية قربه حتى
سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراة من رحمتنا من أجل رحمتنا له وترؤفنا
عليه وهبنا له هارون أو بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا وأخاه على
هذا الوجه بدل وهارون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخاك زيدا وكان هارون أكبر
من موسى فوقعت الهبة على معاضدته ومؤازرته كذا عن ابن عباس رضه ذكر إسمعيل عليه

بصدق الوعد وإن كان موجودا في غيره من الأنبياء تشريفا له وإكراما كالتلقيب
نحو الحليم والأواه والصديق ولأنه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس رضي
الله أنه وعد صاحبا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك أنه وعد
من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴿ كان
يأمر أهله في ترتيب بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولأنهم أولى
من سائر الناس وأنذر عشيرتك الأقربين وأمر أهلك بالصلاة قوا أنفسكم وأهليكم
نارا ألا ترى أنهم أحق بالتصدق عليهم فالإحسان الديني أولى وقيل أهله
أمته كلهم من القرابة وغيرهم لأن أمم النبيين في عداد أهاليهم وفيه
أن من حق الصالح أن لا يألو نصحا للأجانب فضلا عن الأقارب والمتصلين به
وأن يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك ﴿ قيل سمي إدريس لكثرة
دراسته كتاب الله وكان اسمه أخنوخ وهو غير صحيح لأنه لو كان إفعيلا
من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف
دليل العجمة وكذلك إبليس أعجمي وليس من الإبلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب
ولا إسرائيل بإسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة
كثرت منه أمثال هذه الهنات ويجوز أن يكون معنى إدريس في تلك اللغة قريبا
من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس ﴿ المكان العلي شرف النبوة والزلفى
عند الله وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم
والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود ﴿ وعن أنس بن
مالك يرفعه أنه رفع إلى السماء الرابعة وعن ابن عباس إلى السماء السادسة
وعن الحسن إلى الجنة لا شيء أعلى من الجنة ﴿ وعن النابغة الجعدي أنه لما أنشد
رسول الله صلعم الشعر الذي آخره بلغنا السماء مجدنا وسناءنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا
قال له رسول الله إلى أين يا أبا ليلى قال إلى الجنة أولئك إشارة إلى المذكورين في السورة
من لدن زكريا إلى إدريس ﴿ ومن في النبيين للبيان مثلها في قوله في آخر سورة
الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن جميع الأنبياء
منعم عليهم ﴿ ومن الثانية للتبعيض وكان إدريس من ذرية آدم لقربه منه

لأنه جد أبي نوح وإبراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنه من ولد سام بن نوح
وإسمعيل من ذرية إبراهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية
إسرائيل وكذلك عيسى لأن مريم من ذريته ﴿ وممن هدينا يحتمل العطف على من الأولى
والثانية ﴿ إن جعلت الذين خبرا لأولئك كان إذا تتلى كلاما مستأنفا وإن جعلته
صفة له كان خبرا ﴿ قرأ شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير لأن التأنيث
غير حقيقي مع وجود الفاصل ﴿ البكي جمع باك كالسجود والقعود في جمع ساجد
وقاعد عن رسول الله صلعم اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ﴿ وعن صالح
المري قرأت القرآن على رسول الله صلعم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء
وعن ابن عباس إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن
لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلعم إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه
فتحازنوا ﴿ وقالوا يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فإن قرأ آية تنزيل
السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ
بك من أن أكون من المستكبرين عن أمرك وإن قرأ سجدة سبحان قال
اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك وإن قرأ هذه قال اللهم اجعلني
من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك
﴿ خلفه إذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء
خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر ﴿ عن ابن
عباس هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا
نكاح الأخت من الأب وعن إبراهيم ومجاهد أضاعوها بالتأخير وينصر الأول
قوله إلا من تاب وآمن يعني الكفار ﴿ وعن علي رضي في قوله واتبعوا الشهوات من
بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور ﴿ وعن قتادة هو في هذه
الأمة ﴿ وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع ﴿ كل شر عند
العرب غي وكل خير رشاد قال فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره
ومن يغو لا يعدم على الغي لائما ﴿ وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق أثاما
أي مجازاة آثام أو غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه

أو دينهما وروى الأخفش يلقون ۝ وقرئ يدخلون ويدخلون أي لا ينقصون شيئا
من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لأن تقدم الكفر لا يضرهم
إذا تابوا من قولك ما ظلمك أن تفعل كذا بمعنى ما منعك أو لا يظلمون البتة أي شيئا
من الظلم ۝ لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها كقولك أبصرت
دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الإقامة كما جعلوا
فينة وسحر وأمس فيمن لم يصرفه أعلاما لمعاني الفينة والسحر والأمس فجرى
مجرى العدن لذلك أو هو علم لأرض الجنة لكونها مكان إقامة ولولا ذلك لما
ساغ الإبدال لأن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة ولما ساغ وصفها
بالتي ۝ وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء أي وعدها وهي غائبة
عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها أو بتصديق الغيب والإيمان به
۝ قيل في مأتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها
أو هو من قولك أتى إليه إحسانا أي كان وعده مفعولا أي منجزا ۝ اللغو
فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه
حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما أحسن قوله وإذا مروا
باللغو مروا كراما وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم
أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا
أي إن كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا
إلا ذلك فهو من وادي قوله ۝ ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول ۝
أو لا يسمعون فيها إلا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع أو لأن
معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة وأهلها عن الدعاء
بالسلامة أغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام
۝ من الناس من يأكل الوجبة ومنهم من يأكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم
من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار
ولكن على التقدير ولأن المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل أراد دوام
الرزق ودروره كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد

الديمومة والقصد إلى وقت المعلوم منهن نورث وقرئ نورث استعارة
أي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال الموروث ولأن الأتقياء يلقون
ربهم يوم القيامة وقد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فإذا
أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل
أورثوا من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا وما نتنزل
حكاية قول جبريل صلوات الله عليه حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم روي أنه احتبس أربعين يوما
وقيل خمسة عشر وذلك حين سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح
فلم يدر كيف يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة
وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل قال له النبي صلى الله عليه
أبطأت حتى ساء ظني واشتقت إليك فقال إني كنت أشوق ولكني
عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست وأنزل الله هذه
الآية وسورة والضحى ۝ والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى
النزول على الإطلاق كقوله فلست لإنسي ولكن لملأك تنزل من جو السماء
لأنه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى أنزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا
الموضع هو النزول على مهل والمراد أن نزولنا في الأحايين وقتا غب وقت ليس
إلا بأمر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات
والأماكن وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من جهة إلى جهة ومكان إلى مكان
إلا بأمر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث
ويتجدد من الأحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فأنى لنا أن نتقلب في ملكوته
إلا إذا رأى ذلك مصلحة وحكمة وأطلق لنا الإذن فيه وقيل ما سلف من
أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو أربعون
سنة وقيل ما مضى من أعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل
وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الأرض التي بين أيدينا إذا نزلنا والسماء التي
وراءنا وما بين السماء والأرض والمعنى أنه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية
ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه إلا صادرا عما

لوجه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه. وقيل معنى وما كان ربك
نسيا وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى أي ما كان امتناع
النزول إلا لامتناع الأمر به وأما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله
لك وتوديعه إياك ولكن لتوقفه على المصلحة. وقيل هي حكاية قول
المتقين حين يدخلون الجنة أي وما ننزل الجنة إلا بأن من الله علينا
بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الأمور كلها السالفة
والمترقبة والحاضرة اللاطف في أعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها
ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك نسيا لأعمال العاملين غافلا
عما يجب أن يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماوات
والأرض وما بينهما. ثم قال لرسوله صلعم حين عرفه على هذه الصفة فأقبل
على العمل واعبده يثبك كما أثاب غيرك من المتقين. وقرأ الأعرج وما
يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي وعن ابن مسعود إلا بقول
ربك يجب أن يكون الكلام في النسق مثله في البعث رب السموات والأرض
بدل من ربك ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو رب السموات والأرض فاعبده
كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم. وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون وما كان
ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة. فإن قلت هلا عدي
اصطبر بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر عليها. قلت لأن العبادة جعلت
بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك أي اثبت له فيما يورد
عليك من شداته. أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها
ولا تهن ولا يضق صدرك عن إلقاء عداتك من أهل الكتاب إليك الأغاليط
وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك. أي لم يسم شيء
بالله قط وكانوا يقولون لأصنامهم آلهة والعزى إله. وأما الذي عوض
فيه الألف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه. وعن ابن
عباس لا يسمى أحد الرحمن غيره. ووجه آخر هل تعلم من سمي باسمه
على الحق دون الباطل لأن التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية. وقيل

مثلا

مثلا وشبيها أي إذا صح أن لا معبود يوجه إليه العبادة إلا هو وحده لم يكن
بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها. يحتمل أن يراد بالإنسان
الجنس بأسره وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة. فإن قلت لم جازت إرادة
الأناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك. قلت لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن
هو من جنسهم صح إسنادها إلى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وإنما القاتل
رجل منهم. وقال الفرزدق: فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
فقد أسند الضرب إلى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن
جذيمة العبسي. فإن قلت بم انتصب إذا وانتصابه بأخرج ممتنع لأجل اللام
لا تقول اليوم لزيد قائم. قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور. فإن قلت لام الابتداء
الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال. قلت
لم تجامعها إلا مخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل
عنها معنى التعريف. وما في إذا ما للتوكيد أيضا فكأنهم قالوا أحقا أنا
سنخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد
والمراد الخروج من الأرض أو من حال الفناء أو هو من قولهم خرج فلان عالما
وخرج شجاعا إذا كان نادرا في ذلك يريد سأخرج حيا نادرا على سبيل
الهزؤ. وقرأ الحسن وأبو حيوة لسوف أخرج. وعن طلحة بن مصرف
لسأخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك. وتقديم الظرف وإيلاؤه
حرف الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه
جاء إنكارهم فهو كقولك للمسيء إلى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت
إليه. الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف
عليه وحرف العطف يعني أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر
الأخرى فإن تلك أعجب وأغرب وأدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض
من العدم إلى الوجود ثم أوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها
من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وإبداعا من عند قادر
جلت قدرته ودقت حكمته. وأما الثانية فقد تقدمت نظيرتها

أي النشأة الثانية

وعادت لها كالمثال المحتذى عليه ليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة الباقية
وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله
ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو اهون عليه على ان رب العزة
سواء عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى
احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث
بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله ٥ القراء كلهم
على لا يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفي حرف ابي يتذكر
من قبل من الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه ٥ في اقسام الله باسمه تقدست
اسماؤه مضافا الى رسول الله صلعم تفخيم لشان رسول الله ورفع منه كما رفع
من شان السماء والارض في قوله فورب السماء والارض انه لحق ٥ والواو في
والشياطين يجوز ان تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع اوقع والمعنى انهم
يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم يقرن كل كافر
مع شيطان في سلسلة **فان قلت** هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة فان
اريد الاناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين **قلت** اذا حشر
جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا
مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة **فان قلت** هلا عزل السعداء عن الاشقياء
في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء **قلت** لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر
واحضروا حيث تجاثوا حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعداء
الاحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة
وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم فتزداد مساءتهم
وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم **فان قلت**
ما معنى احضارهم جثيا **قلت** اما اذا فسر الانسان بالخصوص فالمعنى انهم
يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في
الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف
وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل امة جاثية على العادة المعهودة

في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك من
الاستيفاز والقلق واطلاق الحبى خلاف الطمأنينة او لما يدهمهم من شدة
الامر الذي لا يطيقون معه القيام على ارجلهم فيحبون على ركبهم حبوا وان
فسر بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا
حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع التوقف للحساب
قبل التوصل الى الثواب والعقاب ٥ المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة
وفتية الطائفة التي شاعت اي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي و
الفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار
على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين هم اولى بها
صليا المنتزعين كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وهم اولى بالصلي من
بين سائر الصالين ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد ويجوز ان يريد باشدهم
عتيا رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم واختلف في اعراب ايهم اشد فعن الخليل انه مرتفع
على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد وسيبويه على انه مبني
على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب وقيل ايهم
هو اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا
اي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا
وايهم اشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء استاذ
الفراء **فان قلت** بم يتعلق على والباء فان تعلقهما بالمصدرين لا سبيل اليه **قلت** هما للبيان
لا الصلة او يتعلقان بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن وصليهم اولى بالنار
كقولهم هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا **وان منكم** التفات الى الانسان
يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وان منهم او خطاب للناس من غير
التفات الى المذكور فان اريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها

وهي جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم ۝ عن ابن عباس يردونها
كانها اهالة وروى دواية ۝ وعن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله صلعم
عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس وعد ربنا
ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي جامدة ۝ وعنه رضي الله عنه انه سئل عن هذه
الآية فقال سمعت رسول الله صلعم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا
دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم حتى ان للنار ضجيجا
من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها ۝ وعن ابن مسعود
والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها ۝ وعن ابن عباس
قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة
البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه ۝ وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس
الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم ۝ وفي الحديث الحمى حظ كل
مؤمن من النار ويجوز ان يراد بالورود جثوهم حولها وان اريد الكفار خاصة
فالمعنى بين ۝ الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم
خلق الله وضرب الامير اي كان ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه وقضى به
وعزم على ان لا يكون غيره ۝ قرئ ننجي وننجي وينجي وينجي على
ما لم يسم فاعله ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر وان اريد الكفرة وحدهم
فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود
الكفار لا انهم يواردونهم ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس
والجحدري وابن ابي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء اي هناك ۝ وقوله ونذر
الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين
يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم ويبقى الكفرة في مكانهم جاثين
بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او
متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات
الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه
ان تكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا واضحة
وحججا

للذين آمنوا يحتمل انهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وانهم يفوهون به
لاجلهم وفي معناهم كقوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه ۝ قرأ ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو
موضع القيام والمراد المكان والموضع ۝ والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون
والمعنى انهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا
وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها اوفر
حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ۝
ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون
بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم
كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل
اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ۝ وهم احسن في محل النصب صفة لكم
الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية ۝ الاثاث
متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي
تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا ۝ وقرئ
على خمسة اوجه رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت وريئا
على القلب كقولهم راء في رأى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري
الذي هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة
رأسا ووجهه ان يخفف المقلوب وهو ريئا بحذف همزته والقاء حركتها
على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لان الزي محاسن
مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء ۝ فليمدد له الرحمن يعني امهله واملى له في
العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه لا محالة كالمامور به الممتثل
لتقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر او كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما او من كان في الضلالة فليمدد له
الرحمن في معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس في مدة حياته ۝ في هذه
الآية وجهان احدهما ان تكون متصلة بالآية التي هي رابعتها والآيتان اعتراض بينهما

أي قالوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا حتى إذا رأوا ما يوعدون أي لا يبرحون
يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه إلى أن يشاهدوا الموعود رأي
عين إما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسرا
وإظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم وإما يوم القيامة وما ينالهم
من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة أن الأمر على عكس ما قدروه
وأنهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن نديا وأن المؤمنين
على خلاف صفتهم والثاني لم يتصل بما يليهما والمعنى أن الذين في الضلالة ممدود
لهم في ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم وبأن الألطاف لا تنفع فيهم و
ليسوا من أهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم
إلى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصرة الله
المؤمنين أو يشاهدوا الساعة ومقدماتها فإن قلت حتى هذه ما هي قلت
هي التي تحكى بعدها الجمل ألا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها
وهي قوله إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون شر مكانا وأضعف جندا
في مقابلة خير مقاما وأحسن نديا لأن مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي
المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم والجند هم الأنصار و
الأعوان ويزيد معطوف على موضع فليمدد لأنه واقع موقع الخبر تقديره
من كان في الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد أي يزيد في ضلال الضال
بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه والباقيات الصالحات أعمال
الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
أي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا أي مرجعا وعاقبة أو
منفعة من قولهم ليس لهذا الأمر مرد وهل يرد بكائي زندا فإن قلت
كيف قيل خير ثوابا كأن لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه
قلت كأنه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم وقوله
شجعاء جرتها الذميل تلوكه أصلا إذا راح المطي غراثا وقوله
تحية بينهم ضرب وجيع ثم بني عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي

هو أغيظ للمتهدد من أن يقال له عقابك النار فإن قلت فما وجه التفضيل في الخير
كأن لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء
أي أبلغ في حره من الشتاء في برده لما كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقا
إلى الإحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت في معنى أخبر والفاء جاءت
لإفادة معناها الذي هو التعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر
حديثه عقيب حديث أولئك اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل إذا
ارتقى إلى أعلاه وطلع الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا
ويقولون مر مطلعا لذلك الأمر أي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة
شأن يقول أوقد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به
الواحد القهار والمعنى أن ما ادعى أن يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل إليه إلا بأحد هذين
الطريقين إما علم الغيب وإما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل إلى ذلك قرأ
حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كأسد في أسد أو بمعنى الولد كالعرب
في العرب وعن يحيى بن يعمر وولدا بالكسر وقيل في العهد كلمة الشهادة
وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي
هل عهد الله إليه أنه يؤتيه ذلك عن الحسن رحمه الله نزلت في الوليد بن المغيرة و
والمشهور أنها في العاص بن وائل قال خباب بن الأرت كان لي عليه دين فاقتضيته
فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين
تبعث قال فإني إذا مت بعثت قلت نعم قال إذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم
مال وولد فأعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الأجر فقال
إنكم تزعمون أنكم تبعثون وأن في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فأنا
أقضيك ثم فإني أوتى مالا وولدا حينئذ كلا ردع وتنبيه على الخطأ
أي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فإن قلت سنكتب بسين
التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا
لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان أحدهما سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله على طريقة
قوله إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة أي تبين وعلم بالانتساب أني لست

بابن ليمته والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل
بالانتصار وان تطاول به الزمان واستأخر فجرد ها هنا لمعنى الوعيد
ونمد له من العذاب اى نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع
الذي يعذب به الكفار المستهزئون او نزيده من العذاب ونضاعف له
من المدد يقال مده وامده بمعنى وتدل عليه قراءة علي بن ابي طالب رضي
ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به
من التعرض لما نستوجب به غضبه ونرثه ما يقول اى نزوي عنه ما زعم
انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى
ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فتقول له ولي فوق
ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا
وبلغت به اشعبيته ان تألى على ذلك في قوله لاوتين لانه جواب قسم
مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب انا اعطيناه
ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد
لقوله ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل
ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله
ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له او لا ننسى له هذا ولا نلغيه بل
نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على
فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه
فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه
الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا
حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك ● اى ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون
لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا ردع لهم وانكار
لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك سيكفرون بعبادتهم اى سيجحدون
كلا بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف
والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل ان يقول

ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما
في قواريرا والضمير في سيكفرون للآلهة اى سيجحدون عبادتهم وينكرونها
ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى واذا رأى الذين اشركوا
شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فالقوا
اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين اى ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا
قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اى يكونون
عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كأنه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم
عزا او يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم اى اعوانكم
وكأن العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه فان قلت
لم وحد قلت وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم
كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود
النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو في سيكفرون
ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اى اعداءهم ضدا اى
كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها ● الأز والهز والاستفزاز اخوات
ومعناها التهييج وشدة الازعاج اى تغريهم على المعاصي وتهيجهم
لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء
لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلعم بعد الآيات التي ذكر
فيها العتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم
للرسل واستهزاءهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد و
تصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك
عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم ● عجلت عليه بكذا
اذا استعجلته منه اى لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح
انت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك
وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كأنها

في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله ولا تستعجل
لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وعن ابن
عباس رضه أنه كان إذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد
فراق أهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك أنه كان عند المأمون
فقرأها فقال إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد
○ نصب يوم بمضمر أي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف
أو اذكر يوم نحشر ويجوز أن ينتصب بلا يملكون ذكر المتقون بلفظ
التبجيل وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه
وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم
وعن علي رضه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب
وعلى نجائب سروجها ياقوت وذكر الكافرون بأنهم يساقون إلى النار
بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء والورد العطاش
لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش وحقيقة الورد المسير إلى الماء
قال ردي ردي ورد قطاة صما كدرية أعجبها برد الماء
فسمي به الواردون وقرأ الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون
○ الواو في لا يملكون إن جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين و
المجرمين لأنهم على هذه القسمة ويجوز أن تكون علامة للجمع كالتي في أكلوني
البراغيث والفاعل من اتخذ لأنه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على
البدل أو على الفاعلية ويجوز أن ينتصب على تقدير حذف المضاف أي إلا شفاعة
من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم ○ واتخاذ العهد الاستظهار
بالإيمان والعمل وعن ابن مسعود رضه أن النبي صلعم قال لأصحابه ذات يوم أيعجز
أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول
كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد
إليك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك
ورسولك وأنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني

من الخير وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة
إنك لا تخلف الميعاد فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فإذا كان
يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون
الجنة وقيل كلمة الشهادة ويكون من عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره
به أي لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع في
التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن
الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ○ يومئذ
لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا ○ قرئ إدا بالكسر
والفتح قال ابن خالويه الإد والأد العجب وقيل العظيم المنكر
والإدة الشدة وأدني الأمر وآدني أثقلني وعظم علي أدا ○ تكاد
قراءة الكسائي ونافع بالياء ○ وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره إذا
شقه والتفطر من فطره إذا شققه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن
مسعود ينصدعن أي تهد هدا أو مهدودة أو مفعول له أي لأنها
تهد فإن قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال
ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت فيه وجهان أحدهما أن الله
يقول كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة
غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري وأني لا أعجل بالعقوبة
كما قال إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما
من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا والثاني أن يكون استعظاما
للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لأثرها في الدين وهدمها لأركانه
وقواعده وأن مثال ذلك الأثر في المحسوسات أن يصيب هذه الأجرام
العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفي قوله
لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات
في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض
لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا ○ في أن دعوا ثلاثة أوجه أن يكون مجرورا

بدلا من الهاء في منه كقوله . على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم
ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اى هدّا لان دعوا علّل الخرور
بالهدّ والهدّ بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدّا اى هدّها
دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو
الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها منه
خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه
فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه
بذلك عن استحقاق اسم الرحمن ۞ هو من دعا بمعنى سمّى المتعدى الى مفعولين فاقتصر
على احدهما الذى هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعى له ولدا او من دعا
بمعنى نسب الذى مطاوعه ما في قوله عليه السلام من ادّعى الى غير مواليه وقول الشاعر
انا بنى نهشل لا ندّعى لاب . اى لا ننتسب اليه ۞ انبغى مطاوع بغى
اذا طلب اى ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال
غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها
واما التبنى فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس
تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ۞ من موصوفة لانها وقعت بعد كل
نكرة وقوعها بعد ربّ في قوله . ربّ من انضجت غيظا صدره . وقرأ ابن
مسعود وابو حيوة آتٍ الرحمن على اصله قبل الاضافة ۞ الاحصاء
الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدّهم عدّا الذين اعتقدوا
في الملائكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما
القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا والثاني اشراك الذين زعموهم
لله اولادا في عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لابائهم فهدمهم
الله الكفر الاول فيما تقدم من الايات ثم عقبه بهدم الكفر الاخر
والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو
يأتي الرحمن اى يأوي اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا
خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعى لنفسه

ما يدّعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون
بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم
لا يفوته شيء من احوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من
هؤلاء المشركين احد وهم براء منهم ۞ قرأ جناح بن حبيش ودّا بالكسر والمعنى
سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا
تعرض للاسباب التي يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة
او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا
منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة
اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون
حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دجا الاسلام واما
ان يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر
من ديوان اعمالهم ۞ وروى ان النبي صلعم قال لعلي رض يا علي قل اللهم اجعل لي عهدا
واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الاية ۞ وعن ابن عباس
يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه ۞ وعن رسول الله صلعم يقول الله عز وجل يا جبريل
قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب
فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة في الارض ۞ وعن قتادة
ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه ۞ هذه خاتمة السورة
ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك
اى بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر
واللدّ الشداد الخصومة بالباطل الاخذون في كل لديد اى في كل شق
من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة وقوله وكم اهلكنا
تخويف لهم وانذار وقرئ تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس
والمحسوسات ۞ وقرئ تسمع مضارع اسمعت ۞ والركز الصوت
الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به، ويحيى ومريم وعيسى وإبرهيم وإسحق ويعقوب وموسى وهرون وإسمعيل وإدريس، وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا، وبعدد من لم يدع الله.

سورة طه مكية وهي مائة وأربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء، وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الأصل، والباقون أمالوهما. وعن الحسن طه، وفسر بأنه أمر بالوطء، وأن النبي صلعم كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه فأمر بأن يطأ الأرض بقدميه معا، وأن الأصل طأ، فقلبت همزته هاء، أو قلبت في يطأ فيمن قال: لا هناك المرتع، ثم بني عليه الأمر والهاء للسكت. ويجوز أن يكتفي بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين. والله أعلم بصحة ما يقال إن طاها في لغة عك في معنى يا رجل، ولعل عكا تصرفوا في يا هذا، كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاء، فقالوا في يا: طا، واختصروا هذا فاقتصروا على ها. وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به:

إن السفاهة طاها في خلائقكم ... لا قدس الله أخلاق الملاعين

والأقوال الثلاثة في الفواتح، أعني التي قدمتها في أول الكاشف عن حقائق التنزيل، هي التي يعول عليها الألباء المتقنون. **ما أنزلنا** إن جعلت طه تعديدا لأسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام، وإن جعلتها اسما للسورة احتملت أن يكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ، والقرآن ظاهر أوقع موقع الضمير لأنها قرآن، وأن يكون جوابا لها وهي قسم. وقرئ ما نزل عليك القرآن. **لتشقى** لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا، كقوله لعلك باخع نفسك. والشقاء يجيء في معنى التعب، ومنه المثل: أتعب من رائض مهر، أي ما عليك إلا أن تبلغ وتذكر، ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد أن لم تفرط في أداء الرسالة والموعظة الحسنة. وقيل إن أبا جهل

والنضر بن الحارث قالا له إنك شقي لأنك تركت دين آبائك، فأريد رد ذلك بأن دين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز، والسبب في درك كل سعادة، وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها. وروي أنه عليه السلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه، فقال له جبريل: أبق على نفسك فإن لها عليك حقا، أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة، وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة. كل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل، إلا أن الأول وجب مجيئه مع اللام لأنه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية، والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط. **فإن قلت** أما يجوز أن تقول ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى كقوله أن تحبط أعمالكم؟ **قلت** بلى، ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه، وأما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا، لأنه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها. **فإن قلت** هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى؟ **قلت** لا، لاختلاف الجنسين، ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي إلا فيه بمعنى لكن. ويحتمل أن يكون المعنى إنا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الإسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة، وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليكون تذكرة، وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالا ومفعولا له. **لمن يخشى** لمن تؤول أمره إلى الخشية، ولمن يعلم الله منه أنه يبدل بالكفر إيمانا وبالفسوق خشية. في نصب تنزيلا وجوه: أن يكون بدلا من تذكرة إذا جعل حالا، لا إذا كان مفعولا له لأن الشيء لا يعلل بنفسه، وأن ينصب بنزل مضمرا، وأن ينصب بأنزلنا لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة أنزلناه تذكرة، وأن ينصب على المدح والاختصاص، وأن ينصب بيخشى مفعولا به، أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله، وهو معنى حسن وإعراب بين. وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدإ محذوف. ما بعد تنزيلا إلى قوله له الأسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته إلى من هذه أفعاله وصفاته. ولا يخلو من أن يكون

متعلقة إما بنزلنا فيقع صلة له وإما بمحذوف فيقع صفة له فإن قلت ما
فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب قلت غير واحدة منها عادة الافتنان في
الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها أن هذه الصفات إنما تسردت مع لفظ
الغيبة ومنها أنه قال أولا أنزلنا ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى
بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز
أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه ٥ وصف السموات
بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها قرئ الرحمن
مجرورا صفة لمن خلق والرفع أحسن لأنه إما أن يكون رفعا على المدح على تقدير
هو الرحمن وإما أن يكون مبتدأ مشارا بلامه إلى من خلق فإن قلت الجملة التي هي
على العرش استوى ما محلها إذا جررت الرحمن أو رفعته على المدح قلت إذا جررت
فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير وإن رفعت جاز أن تكون كذلك وأن تكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ
٥ لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن
الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة وقالوه
أيضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وإن كان أشرح وأبسط وأدل
على صورة الأمر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى أنه جواد
أو بخيل لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت حتى أن من لم يبسط يده قط بالنوال أو
لم تكن له يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله
وقالت اليهود يد الله مغلولة أي هو بخيل بل يداه مبسوطتان أي هو جواد من غير
تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن
والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام ٥ وما تحت الثرى ما تحت سبع الأرضين
عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الأرض السابعة أي يعلم ما أسررته
إلى غيرك وأخفى من ذلك وهو ما أخطرته ببالك أو ما أسررته في نفسك وأخفى
منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم أن أخفى فعل يعني أنه يعلم أسرار العباد
وأخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس
بذاك فإن قلت كيف طابق الجزاء الشرط قلت معناه إن تجهر بذكر الله من دعاء

أو غيره فاعلم أنه غني عن جهرك فإما أن يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر
ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول وإما تعليما للعباد
أن الجهر ليس لإسماع الله وإنما هو لغرض آخر الحسنى تأنيث الأحسن وصفت
بها الأسماء لأن حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب أخرى ومن
آياتنا الكبرى والذي فضلت به أسماؤه في الحسن سائر الأسماء دلالتها على
معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والأفعال التي هي النهاية
في الحسن ٥ قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف
الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام
المحمود يجوز أن ينتصب إذ ظرفا للحديث لأنه حدث أو لمضمر أي حين رأى
نارا كان كيت وكيت أو مفعولا لاذكر ٥ استأذن موسى شعيبا عليهما السلام
في الخروج إلى أمه وخرج بأهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة
مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده
فرأى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة امكثوا أقيموا في مكانكم ٥ الإيناس
الإبصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه إنسان العين لأنه يتبين به الشيء والإنس
لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو إبصار ما يؤنس به ٥ لما وجد منه
الإيناس فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة إن ليوطن أنفسهم ولما كان
الإتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الأمر فيهما على الرجاء
والطمع وقال لعلي ولم يقطع فيقول إني آتيكم لئلا يعد ما ليس بمستيقن
الوفاء به ٥ القبس النار المقتبسة في رأس عود أو فتيلة أو غيرهما ومنه قيل
المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة أو نحوها هدى أي قوما يهدونني الطريق
أو ينفعونني بهداهم في أبواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك أن أفكار الأبرار
معمورة بالهمة الدينية في جميع أحوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى
ذوي هدى أو إذا وجد الهدى فقد وجد الهداة ومعنى الاستعلاء في على النار
أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد إنه لصوق بمكان
يقرب من زيد أو لأن المصطلين بها والمستمتعين إذا تكنفوها قياما وقعودا

في جعلهم ذاكرين لي على بال منهم وتوكيل هممهم وأفكارهم به كما قال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله أو لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة لقوله إن الصلوة
كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك
لست ليال خلون ومنه قوله يا ليتني قدمت لحياتي وقد حمل على ذكر الصلوة بعد
نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلوة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها وكان حق
العبارة أن يقال لذكرها كما قال الرسول إذا ذكرها ومن يتمحل له يقول إذا
ذكر الصلوة فقد ذكر الله أو بتقدير حذف المضاف أي لذكر صلاتي أو لأن الذكر
والنسيان من الله في الحقيقة وقرأ رسول الله صلعم للذكرى أي أكاد أخفيها
فلا أقول هي آتية لفرط إرادتي إخفاءها ولولا ما في الإخبار بإتيانها
مع تعميته وقتها من اللطف لما أخبرت به وقيل معناه أكاد أخفيها من نفسي
ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم
منه أن في مصحف أبي أكاد أخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف أكاد أخفيها
من نفسي فكيف أظهركم عليها وعن أبي الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها
بالفتح من خفاه إذا أظهره أي قرب إظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد
جاء في بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس
فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد فأكاد أخفيها
محتمل للمعنيين لتجزى متعلقة بآتية بما تسعى بسعيها أي لا يصدنك عن تصديقها
والضمير للقيامة ويجوز أن يكون للصلوة فلا يصدنك عن العبادة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى
والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث أي أمره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة
لأداء هذا المقصود قلت فيه وجهان أحدهما أن صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب
فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني أن صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل
في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا أرينك
ههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته إياه
وكان ذكر المسبب دلالة على السبب كأنه قيل فكن شديد الشكيمة صليب
المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع في صدك عما أنت عليه

كانوا مشرفين عليها ومنه قول الأعشى وبات على النار الندى والمحلق قرأ
أبو عمرو وابن كثير إني بالفتح أي نودي بأني أنا ربك وكسر الباقون أي نودي
فقيل يا موسى أو لأن النداء ضرب من القول فعومل معاملته وتكرير الضمير في
إني أنا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة روي أنه لما
نودي يا موسى قال من المتكلم قال الله إني أنا ربك وأن إبليس وسوس إليه لعلك
تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بأني أسمعه من جميع جهاتي الست
وأسمعه بجميع أعضائي وروي أنه حين انتهى رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى
أعلاها كأنها نار بيضاء تتقد ويسمع تسبيح الملائكة ورأى نوراً عظيماً
فخاف وبهت فألقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة
وروي كلما دنا أو بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن إسحق لما دنا
استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع وأوجس في نفسه خيفة فلما أراد
الرجعة دنت منه ثم كلم وقيل أمر بخلع النعلين لأنهما كانتا من جلد حمار
ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة وقيل ليباشر الوادي بقدميه
متبركاً به وقيل لأن الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة
حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان إذا ندر منه الدخول
منتعلاً تصدق والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف
لقدسها وروي أنه خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادي طوى بالضم والكسر
منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة وقيل هو نحو ثنى أي نودي
نداءين أو قدس الوادي كرة بعد كرة اخترتك اصطفيتك للنبوة
وقرأ حمزة وإنا اخترناك لما يوحى للذي يوحى أو للوحي تعلق اللام
باستمع أو باخترتك لذكري لتذكرني فإن ذكري أن أعبد ويصلى
لي أو لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الأذكار عن مجاهد أو لأني ذكرتها
في الكتب وأمرت بها أو لأن أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق
أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري أو لإخلاص ذكري وطلب وجهي
لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضاً آخر أو لتكون لي ذاكراً غير ناس فعل المخلصين

يعني أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير إذ لا شيء أطم على الكفرة
ولا هم أشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم
ولا تجعل الكثرة مزلة قدميك واعلم أنهم وإن كثروا تلك الكثرة
فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث
عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وإنذار بأن الهلاك
والردى مع التقليد وأهله. وما تلك بيمينك كقوله وهذا بعلي شيخا في
انتصاب الحال بمعنى الإشارة ويجوز أن يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك إنما
سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها
حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه
والمقلوب إليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره أن يريك الزراد
زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد
أيام لبوسا مسرودا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما ترى من عجيب
الصنعة وأنيق السرد. قرأ ابن أبي إسحق عصي على لغة هذيل ومثله
يا بشري أرادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الألف
إلى أخت الكسرة وقرأ الحسن عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل
قراءة حمزة بمصرخي وعن ابن أبي إسحق سكون الياء. أتوكأ عليها
أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة. أهش
الورق خبطه أي أخبطه على رؤوس غنمي تأكله وعن لقمان بن عاد أكلت
حقا وابن لبون وجذع وهشة ثقيف وسيلة دفع والحمد لله من غير شبع
سمعته من غير واحد من العرب ونخبة واد قريب من الطائف كثير السدر
وفي قراءة النخعي أهش وكلاهما من هش الخبز يهش إذا كان ينكسر
لهشاشته وعن عكرمة أهس بالسين أي أنحي عليها زاجرا لها والهس زجر
الغنم. ذكر على التفصيل والإجمال المنافع المتعلقة بالعصا كأنه
أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي إلا عصا
لا تنفع إلا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا

للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز أن يريد عز وجل أن يعدد المرافق
الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب
ذلك الآية العظيمة كأنه يقول أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة
الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل
بشأنها وقالوا إنما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا إنما أجمل
موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه وقالوا انقطع لسانه
بالهيبة فأجمل وقالوا اسم العصا نبعة. وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين
ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين
وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب
وغيرها وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها
وألقى عليها الكساء واستظل وإذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل
بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فتطول
بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وإذا ظهر عدو
حاربت عنه وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان يحمل
عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فإذا رفعها
نضب وكانت تقيه الهوام. السعي المشي بسرعة وخفة حركة. فإن قلت
كيف ذكرت بألفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان قلت أما الحية فاسم
جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان فبينهما
تناف لأن الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان
أحدهما أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم
ويتزايد جرمها حتى يصير ثعبانا فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان
مآلها والثاني أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه
قوله فلما رآها تهتز كأنها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان
بين لحييها أربعون ذراعا. لما رأى ذلك الأمر العجيب الهائل ملكه من الفزع
والنفار ما يملك البشر عند الأهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت

ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر
وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما لقي آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف
بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها
السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة
ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين
فيجوز ان ينتصب على الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت
عصا وان يكون اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير
وعادك ان تلاقيها عداء فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو
ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت
اول ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب
كما انشاناها اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى يعني
سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكا عليها ولك فيها المآرب
التي عرفتها ٥ قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا
الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما
عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج ٥ السوء
الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوءة
وكان جذيمة صاحب الزباء ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شيء
الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان
يكنى عنه ولا ترى احسن ولا الطف ولا احز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه
انه كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس
تغشي البصر بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت
من غير سوء ٥ وفي نصب آية وجه آخر وهو ان يكون باضمار نحو خذ ودونك وما
اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك اي خذ هذه
الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى
او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك ٥

لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف انه كلف امرا عظيما وخطبا
جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر فسيح فاستوهب
ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى
يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات
وان يسهل عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله في ارضه وما يصحبها
من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب فان قلت لي في قوله
اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والكلام بدونه مستتب قلت
قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا
ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره
وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه
تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل ٥ عن ابن عباس كان في
لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ٥ ويروى ان يده احترقت وان فرعون
اجتهد في علاجها فلم تبرا ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي
ابرا يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرا يده لئلا يدخلها مع
فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال
العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله
ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلعم ورثها
من عمه موسى وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك وفي تنكير العقدة وان
لم يقل واحلل عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا
ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل عقدة
من عقد لساني ٥ الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنه
او من الوزر لان الملك يعتصم برايه ويلجئ اليه اموره او من المؤازرة وهي المعاونة
عن الاصمعي وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا
جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم
فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى

استوهبته من فرعون وربته وهي التي اشفقت عليه وطلبت له المراضع ۝
هي نفس القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة
اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر له الله
باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون ان ذهب به
الى مدين حين هاجر به الى مدين فتونا يجوز ان يكون مصدرا على فعول في المتعدي
كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتاء التانيث
كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فتناك ضروبا من الفتن ۝ سال سعيد بن جبير
ابن عباس رضي الله عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان
يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون
بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت
غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة
المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال ونبلوكم
بالشر والخير فتنة ۝ مدين على ثماني مراحل من مصر وعن وهب انه لبث عند
شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى اوفى الاجلين ۝ اي سبق في
قضائي وقدري ان اكلمك وان استنبئك في وقت بعينه قد وقته
لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر وقيل
على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو راس اربعين سنة ۝ هذا
تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكليم مثل حاله بحال من يراه
بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص اهلا لئلا يكون احد اقرب منزلة
منه اليه ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه
ولا يبصر ولا يسمع الا بعينه واذنه ولا ياتمن على مكنون سره الا سواء ضميره
الونى الفتور والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع
اي لا تنسياني ولا ازال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا
تطيران به مستمدين بذلك العون والتاييد مني معتقدين ان امرا من
الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر

وفي الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم
يجابوا اليها ونحوه قوله اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص ۝ وقرئ وان يستعتبوا
فما هم من المعتبين اي ان سئلوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون اي لا سبيل لهم الى
ذلك وقيضنا لهم وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان
اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة ۝ قرناء اخدانا من الشياطين جمع قرين
كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فان قلت كيف جاز ان
يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطوات الشيطان قلت معناه انه
خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين
والدليل عليه ومن يعش نقيض ما بين ايديهم وما خلفهم ما تقدم من اعمالهم وما هم
عازمون عليها او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر
العاقبة وان لا بعث ولا حساب وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في امم في
جملة امم ومثل في هذه ما في قوله ان تك عن احسن الصنيعة مافوكا ففي آخرين قد افكوا
يريد فانت في جملة آخرين ۝ فانت في عداد آخرين لست في ذلك باوحد فان قلت
في امم ما محله قلت محله النصب على الحال من الضمير في عليهم اي حق عليهم القول كائنين في
جملة امم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم
وقرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط
من الكلام الذي لا طائل تحته قال من اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا
له اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والهذيان
والزمل وما اشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه
على قراءته كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا فلنذيقن الذين كفروا
يجوز ان يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وان
يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا اضافة اسوا
بما اغنى عن اعادته ۝ وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر واسوا الذي
كانوا يعملون في الآخرة ذلك اشارة الى الاسوا ويجب ان يكون التقدير اسوا
جزاء الذين كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة والنار عطف بيان للجزاء

أو خبر مبتدأ محذوف فإن قلت ما معنى قوله لهم فيها دار الخلد قلت معناه أن النار في نفسها دار الخلد كقوله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى أن رسول الله أسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني الدار بعينها جزآء بما كانوا بآياتنا بسبب اللغو اللذين أضلانا أي الشيطانين اللذين أضلانا من الجن والإنس لأن الشيطان على ضربين جني وإنسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما إبليس وقابيل لأنهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ أرنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه أعطنا اللذين أضلانا وحكوا عن الخليل أنك إذا قلت أرني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه وإذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه أعطني ثوبك ونظيره اشتهار الإيتاء في معنى الإعطاء وأصله الإحضار ثم لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة وفضلها عليه لأن الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه أنه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الأمر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه أدوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال فقلت ما أخوف ما تخاف علي فأخذ رسول الله بلسان نفسه فقال هذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وإذا قاموا من قبورهم أن لا تخافوا أن بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفي قراءة ابن مسعود لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبدا

أن إذا كانت بمعنى أي يقال لها أن المفسرة

وغير ذلك وقرئ فصلت أي فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد قرآنا عربيا نصب على الاختصاص والمدح أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال أي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا لقوم يعلمون أي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه فإن قلت بم يتعلق قوله لقوم يعلمون قلت يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفصلت أي تنزيل من الله لأجلهم أو فصلت آياته لهم والأجود أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب أو خبر مبتدأ محذوف فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت إلى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه والأكنة جمع كنان وهو الغطاء والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله وقالوا قلوبنا غلف ومج أسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقي ولا ترائي فاعمل على دينك إننا عاملون على ديننا أو فاعمل في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال أمرك وقرئ إنا عاملون فإن قلت هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة قلت نعم لأنه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين وأما بزيادة من فالمعنى أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها فإن قلت هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد قلت هو على نمط واحد لأنه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في أكنة وعلى قلوبنا أكنة والدليل عليه قوله تعالى إنا جعلنا على قلوبهم أكنة ولو قيل إنا جعلنا قلوبهم في أكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة إلا في المعاني فإن قلت من أين كان

قوله إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ جواب لقولهم قلوبنا في أكنة. قلت من حيث أنه
قال لهم إني لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحي إليّ دونكم فصحت
بالوحي إليّ وأنا بشر نبوتي وإذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما
يوحى إليّ أن إلهكم إله واحد. فاستقيموا إليه فاستووا إليه بالتوحيد
وإخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين إلى ما يسول لكم الشيطان
من اتخاذ الأولياء والشفعاء. وتوبوا إليه مما سبق لكم من الشرك واستغفروه
وقرئ قال إنما أنا بشر. فإن قلت لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة
مقرونا بالكفر بالآخرة. قلت لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه
فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته
ونصوع طويته ألا ترى إلى قوله ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات
الله وتثبيتا من أنفسهم أي يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بالإنفاق
الأموال وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم
ولانت شكيمتهم وأهل الردة بعد رسول الله ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة
فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف
شديد من منعها حيث جعل المنع من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة
وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل لا يفعلون ما يكونون به أزكياء وهو الإيمان. ممنون مقطوع
وقيل لا يمن عليهم لأنه إنما يمن التفضل فأما الأجر فحق أداؤه. وقيل نزلت
في المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح
ما كانوا يعملون. أئنكم بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بألف بين همزتين
ذلك الذي قدر على خلق الأرض في مدة يومين هو رب العالمين. رواسي جبالا
ثوابت. فإن قلت ما معنى قوله من فوقها وهلا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسي
كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الأرض رواسي وجعل لها رواسي
قلت لو كانت تحتها كالأساطين لها تستقر عليها أو مركوزة فيها
كالمسامير لمنعت من الميدان وإنما اختار إرساءها فوق الأرض لتكون المنافع

في الجبال معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر أن الأرض والجبال أثقال على أثقال
كلها مفتقرة إلى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته وبارك
فيها وأكثر خيرها وأنماه. وقدر فيها أقواتها أرزاق أهلها ومعايشهم وما
يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها أقواتها. في أربعة أيام سواء فذلكة
لمدة خلق الأرض وما فيها كأنه قال كل ذلك في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة
ولا نقصان. قيل خلق الأرض في يوم الأحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلاثاء
ويوم الأربعاء. وقال الزجاج في أربعة أيام في تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة
اليومين. وقرئ سواء بالحركات الثلاث الجر على الوصف والنصب على استوت سواء
أي استواء والرفع على هي سواء. فإن قلت بم تعلق قوله للسائلين قلت بمحذوف
كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل كم خلقت الأرض وما فيها أو بقدر أي قدر
فيها الأقوات لأجل الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين وهذا الوجه
الأخير لا يستقيم إلا على تفسير الزجاج. فإن قلت هلا قيل في يومين وأي فائدة
في هذه الفذلكة قلت إذا قال في أربعة أيام وقد ذكر أن الأرض خلقت
في يومين علم أن ما فيها خلق في يومين فبقيت المخايرة بين أن يقول في يومين
وأن يقول في أربعة أيام سواء فكانت في أربعة أيام سواء فائدة ليست
في يومين وهي الدلالة على أنها كانت أياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان
ولو قال في يومين وقد يطلق اليومان على أكثرهما لكان يجوز أن يريد باليومين
الأولين والآخرين أكثرهما. ثم استوى إلى السماء من قولك استوى إلى مكان
كذا إذا توجه إليه توجها لا يلوي على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد
الاعوجاج ونحوه قولهم استقام إليه وامتد إليه ومنه قوله فاستقيموا إليه
والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بعد خلق الأرض وما فيها من
غير صارف يصرفه عن ذلك. وقيل كان عرشه قبل خلق السموات والأرض على
الماء فأخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فأيبس الماء
فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين ثم خلق السماء من الدخان
المرتفع. ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما

جوهرة نظر الله إليها بالهيبة فصارت ماء وسلط عليه نارا فارتفع البخار فخلق منها السموات
ثم أرسل على الماء فارتفع زبد فخلق منه الأرض وكانتا رتقا فقال لهما
وللأرض ائتيا الآية فانفتق البعض عن البعض وانتظم كله في ذلك قوله
ائتيا طائعين

فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما اراده وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه
فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ۞ ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى
الامر فيه على ان الله كلم السماء والارض وقال لهما ايتيا شئتما ذلك او ابيتماه
فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره ۞ والغرض تصوير اثر قدرته في المقدورات
لا غير من غير ان يحقق شيء من الخطاب والجواب ۞ ونحوه قول القائل قال الجدار
للوتد لم تشقني قال الوتد اسأل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر
الذي ورائي فان قلت لم ذكر الارض مع السماء وانتظمهما في الامر بالاتيان
والارض مخلوقة قبل السماء بيومين قلت قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة
ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحيها فالمعنى ايتيا على ما
ينبغي ان تأتيا عليه من الشكل والوصف ايتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا
لاهلك وايتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول
اتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ۞ ويجوز ان يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما
صاحبتها الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض
قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وتنصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا
من المواتاة وهي الموافقة اي لتوافق كل واحدة اختها ولتوافقها قالتا وافقنا
وساعدنا ۞ ويحتمل وافقنا امره ومشيته ولا نمتنع فان قلت ما معنى طوعا او كرها
قلت هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تأثير قدرته محال
كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها
وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين او مكرهتين فان قلت هلا قيل طائعتين
على اللفظ او طائعات على المعنى لانهما سموات وارضون قلت لما جعلن مخاطبات
ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين
فقضاهن يجوز ان يرجع الضمير فيه الى السماء على المعنى كما قال طائعين ۞ ونحوه اعجاز
نخل خاوية ۞ ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات ۞ والفرق بين النصبين
ان احدهما على الحال والثاني على التمييز ۞ قيل خلق السموات وما فيها في يومين
في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم

وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة ۞ وفي هذا دليل على ما ذكرت من انه لو
قال في يومين في موضع اربعة ايام سواء لم يعلم انهما يومان كاملان ام ناقصان
فان قلت فلو قيل خلق الارض في يومين كاملين وقدر فيها اقواتها في يومين كاملين
او قيل بعد ذكر اليومين تلك اربعة سواء قلت الذي اورده سبحانه اخصر
وافصح واحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب
ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف
الثواب امرها ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك
او شأنها وما يصلحها وحفظا وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب
ويجوز ان يكون مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا فان
اعرضوا بعدما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته فحذرهم ان
ان تصيبهم صاعقة اي عذابا شديد الوقع كانه صاعقة ۞ وقرئ صعقة
مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة
صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل من بين ايديهم ومن خلفهم
اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم
الا العتو والاعراض كما حكى الله عن الشيطان لآتينهم من بين ايديهم ومن
خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت
بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة ۞ وعن الحسن انذروهم من وقائع الله
فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤوهم
بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري
عليهم ۞ وقيل معناه اذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم فان قلت
الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بانهم جاؤوهم وكيف يخاطبونهم
بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون قلت قد جاءهم هود وصالح داعيين
الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء
من خلفهم اي من بعدهم فكأن الرسل جميعا قد جاؤوهم وقولهم انا بما ارسلتم
به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا

الى لا نّ ان بمعنى اى او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا
اى بان الشان والحديث قولنا لكم لا تعبدوا ومفعول شاء محذوف اى لو شاء ربنا
ارسال الرسل لانزل ملائكة **فانا بما ارسلتم به كافرون** معناه فاذ انتم بشر
ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم ارسلتم به ليس باقرار بالارسال
وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذى ارسل
اليكم لمجنون وروى ان ابا جهل قال فى ملاء من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو
التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره
فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من
ذلك علما وما يخفى على فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد
المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة
عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة
تختارهن اى بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى به
ورسول الله ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله مثل صاعقة
عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج
الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه
وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبات فغضب واقسم لا يكلم محمدا
ابدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابنى بشىء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر
ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف
وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب **فا
ستكبروا فى الارض** اى تعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة
وعظم الاجرام او استعلوا فى الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية
من اشد منا قوة كانوا ذوى اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان
الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده **فان قلت** القوة هى الشدة
والصلابة فى البنية وهى نقيضة الضعف واما القدرة فما لاجله يصح الفعل
من الفاعل من تمييز بذات او بصحة بنية وهى نقيضة العجز والله سبحانه لا يوصف

بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم قوة وانما يصح اذا
اريد بالقوة فى الموضعين شىء واحد **قلت** القدرة فى الانسان هى صحة البنية
والاعتدال والقوة والشدة والصلابة فى البنية وحقيقتها زيادة القدرة
فكما صح ان يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال اقوى منهم على معنى انه يقدر لذاته
على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم **يجحدون** كانوا يعرفون انها حق ولكنهم
جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا اى كانوا
كفرة فسقة **الصرصر** العاصفة التى تصرصر اى تصوت فى هبوبها وقيل
الباردة التى تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذى يصر اى
يجمع ويقبض **نحسات** قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو
نحس واما نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر وقرئ
لنذيقهم على ان الاذاقة للريح او للايام النحسات واضاف العذاب الى الخزى
وهو الذل والاستكانة على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزى كما تقول
فعل السوء تريد الفعل السيئ والدليل عليه قوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو
كقولك حاتم الجود ورجل صدق من الاسناد المجازى ووصف العذاب بالخزى ابلغ
من وصفهم به الا ترى الى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر
وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع افصح لوقوعه بعد حرف
الابتداء وقرئ بضم الثاء **فهديناهم** فدللناهم على طريقى الضلالة والرشد
كقوله وهديناه النجدين **فاستحبوا العمى على الهدى** فاختاروا الدخول فى
الضلالة على الدخول فى الرشد **فان قلت** اليس معنى هديته حصلت فيه الهدى الدليل
عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته
فارتدع فكيف ساغ استعماله فى الدلالة المجردة **قلت** للدلالة على انه مكنهم
وازاح عللهم ولم يبق لهم عذر ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل
ما يوجبها ويقتضيها **صاعقة العذاب** داهية العذاب وقارعة العذاب
والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدله منه ولو لم يكن فى القرآن
حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا

الأهبة لكفى بها حجة ○ وقرئ يُحشر على البناء للمفعول ○ ونحشر بالنون وضم الشين
وكسرها ○ ويَحشُر على البناء للفاعل اي يحشر الله عز وجل أعداء الله الكفار
من الأولين والآخرين يوزعون يحبس أولهم على آخرهم اي يستوقف سوابقهم
حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة اهل النار نسأل الله أن يجيرنا
منها بسعة رحمته فإن قلت ما في قوله حتى إذا ما جاؤها قلت مزيدة للتأكيد
ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم
ولا وجه لأن يخلو منها ومثله قوله أثم إذا ما وقع آمنتم به اي لا بد لوقت وقوعه
من أن يكون وقت إيمانهم به شهادة الجلود الملامسة للحرام وما أشبه مما يفضي
إليها من المحرمات فإن قلت كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق قلت الله عز وجل
ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما ○ وقيل المراد بالجلود الجوارح ○ وقيل
هي كناية عن الفروج أراد بكل شيء كل شيء من الحيوان كما أراد به في قوله والله
على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات ○ والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة
الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان وعلى خلقكم وإنشائكم أول مرة وعلى
إعادتكم ورجعكم الى جزائه وإنما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من
شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم ○ المعنى أنكم كنتم تستترون
بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن تشهد
عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث
والجزاء أصلا ولكنكم إنما استترتم لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون
وهو الخفيات من أعمالكم وذلك الظن هو الذي أهلككم وفي هذا تنبيه على أن من
حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله عينا كالئة ورقيبا
مهيمنا حتى يكون في أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاما وأوفر
تحفظا وتصونا منه مع الملأ ولا ينبسط في سره مراقبة من التشبه
بهؤلاء الظانين ○ وقرئ ولكن زعمتم ○ وذلكم رفع بالابتداء وظنكم وأرداكم
خبران ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأرداكم الخبر فإن يصبروا لم ينفعهم
الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار وإن يستعتبوا وإن يسألوا العتبى

قلت هو بدل من قوله إن الذين يلحدون في آياتنا والذكر القرآن لأنهم لكفرهم
به طعنوا فيه وحرفوا تأويله وإنه لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل كأن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد
إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به فإن قلت أما طعن فيه الطاعنون
وتأوله المبطلون قلت بلى ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بأن
قيض قوما عارضوهم بإبطال تأويلهم وإفساد أقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن
إلا ممحوقا ولا قول مبطل إلا مضمحلا ○ ونحوه قوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له
لحافظون ما يقال لك اي ما يقول لك كفار قومك إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من
الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة إن ربك لذو مغفرة ورحمة
لأنبيائه وذو عقاب لأعدائهم ○ ويجوز أن يكون ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسل
من قبلك والمقول هو قوله إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم فمن حقه
أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته والغرض تخويف العصاة
كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون
لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت آياته اي بينت ولخصت
بلسان نفقهه أأعجمي وعربي الهمزة همزة الإنكار يعني لأنكروا
وقالوا أقرآن أعجمي ورسول عربي ○ أو مرسل إليه عربي ○ وقرئ
أعجمي والأعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من أي جنس كان والعجمي
منسوب الى أمة العجم ○ وفي قراءة الحسن أعجمي بغير همزة الاستفهام
على الإخبار بأن القرآن أعجمي والمرسل أو المرسل إليه عربي والمعنى
أن آيات الله على أي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لأن القوم غير طالبين
للحق وإنما يتبعون أهواءهم ○ ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا
فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب فإن قلت كيف يصح أن يراد بالعربي
المرسل إليهم وهم أمة العرب قلت هو على ما يجب أن يقع في إنكار المنكر
لو رأى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب يقول أكتاب أعجمي ومكتوب إليه
عربي وذلك لأن مبنى الإنكار على تنافي حالتي الكتاب والمكتوب إليه

أعلى أن المكتوب إليه واحد أو جماعة فوجب أن يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل
به ما يخيل غرضا آخر ألا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة
اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول
قول لأن الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وأنوثته إنما وقع في غرض وراءهما
هو أي القرآن هدى وشفاء إرشاد إلى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك
فإن قلت والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله
به قلت لا يخلو إما أن يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله للذين آمنوا
على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون هدى و
شفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر إلا أن فيه عطفا على عاملين وإن كان
الأخفش يجيزه وإما أن يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم
وقر على حذف المبتدأ أو في آذانهم منه وقر وقرئ وهو عليهم عم وعمي
كقوله فعميت عليكم ينادون من مكان بعيد يعني أنهم لا يقبلونه ولا
يرعونه أسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا
يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق وقال
بعضهم هو باطل والكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وأن الخصومات
تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله بل الساعة
موعدهم ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فلنفسه فنفسه نفع فعليها فنفسه
ضر وما ربك بظلام فيعذب غير المسيء إليه يرد علم الساعة
أي إذا سئل عنها قيل الله يعلم أو لا يعلمها إلا الله وقرئ من ثمرات من أكمامهن
والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة أي وما يحدث شيء من
خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو عالم به يعلم عدد أيام
الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والأنوثة
والحسن والقبح وغير ذلك أين شركائي أضافهم إليه على زعمهم وبيانه
في قوله أين شركائي الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم وتقريع آذناك
أعلمناك ما منا من شهيد أي ما منا أحد اليوم وقد أبصرنا وسمعنا

أن يشهد بأنهم شركاؤك وما منا إلا من هو موحد لك أو ما منا من أحد يشاهدهم لأنهم
ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء
أي ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير
أنهم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم وظنوا وأيقنوا والمحيص المهرب فإن قلت
آذناك إخبار بإيذان كان منهم فإذا قد آذنوا فلم سئلوا قلت يجوز أن يعاد
عليهم أين شركائي إعادة للتوبيخ وإعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على
إعادة المحكي ويجوز أن يكون المعنى إنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا
نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه ويجوز
أن يكون إنشاء للإيذان ولا يكون إخبارا بإيذان قد كان كما تقول أعلم الملك أنه
كان من الأمر كيت وكيت من دعاء الخير من طلب السعة في المال والنعمة وقرأ ابن
مسعود من دعاء بالخير وإن مسه الشر أي الضيقة والفقر فيؤوس قنوط
بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه
أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه
صفة الكافر بدليل قوله تعالى إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وإذا
فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق قال هذا لي أي هذا حقي
وصل إلي لأني استوجبته بما عندي من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لي لا يزول
عني ونحوه قوله تعالى وإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ونحوه قوله وما
أظن الساعة قائمة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما
أظنها تكون فإن كانت على طريق التوهم إن لي عنده الحالة الحسنى من الكرامة
والنعمة قايسا أمر الآخرة على أمر الدنيا وعن بعضهم للكافر أمنيتان
يقول في الدنيا ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة
يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة فلنخبرنهم بحقيقة
ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها أنهم
يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا إلى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا وذلك أنهم كانوا ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلبا

للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون أن ما هم عليه سبب الغنى والصحة وأنهم
كانوا محقوقين بذلك ۞ هذا أيضا ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه الله بنعمة
أبطرته النعمة وكأنه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم وأعرض عن شكره ونأى بجانبه
أي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وإن مسه الضر والفقر أقبل على دوام الدعاء
وأخذ في الابتهال والتضرع ۞ وقد استعير العريض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من
صفة الأجرام ويستعار له الطول أيضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب ۞ وقرئ
وناء بجانبه بإمالة الألف وكسر النون للإتباع وناء على القلب كما قالوا راء في رأى
فإن قلت حقق لي معنى قوله ونأى بجانبه قلت فيه وجهان أن يوضع جانبه موضع
نفسه كما ذكرنا في قوله على ما فرطت في جنب الله أن مكان الشيء وجهته ينزل
منزلة الشيء نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت
عنه الذئب ۞ ومنه ولمن خاف مقام ربه ۞ ومنه قول الكتاب حضرة
فلان ومجلسه ۞ وكتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته
فكأنه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به
الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وأن يراد بجانبه عطفه ويكون
عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه أرأيتم
أخبروني إن كان القرآن من عند الله يعني أن ما أنتم عليه من إنكار القرآن وتكذيبه
ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وإنما هو
قبل النظر واتباع الدليل أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده
وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما أنكرتم أن يكون حقا وقد كفرتم به فأخبروني من
أضل منكم وأنتم أبعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فأهلكتم
أنفسكم ۞ وقوله من هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم يعني ما يسر الله عز وجل لرسوله صلعم
وللخلفاء من بعده وأنصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما
وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض
قبلهم ومن الإظهار على الجبابرة والأكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم

وتسليط ضعافهم على أقويائهم وإجرائه على أيديهم أمورا خارجة من المعهود خارقة
للعادات ونشر دعوة الإسلام في أقطار المعمورة وبسط دولته في أقاصيها
والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد أهله وأيامهم على
عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم إلا علما من أعلام الله وآية من آياته يقوى معها
اليقين ويزداد بها الإيمان ويتبين أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه
إلا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة إلا صفة الحق والصدق
كما أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وأن للباطل ريحا تخفق ثم
تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل ۞ بربك في موضع الرفع على أنه فاعل كفى وأنه
على كل شيء شهيد بدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد
ومعناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه
فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد
أي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على
أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه
هذه النصرة ۞ وقرئ في مرية بالضم وهي الشك محيط عالم بجمل
الأشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم
على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة
السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلاث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ قرأ ابن عباس
وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق (باظهار النون) كذلك يوحي إليك أي مثل ذلك الوحي
أو مثل ذلك الكتاب يوحي إليك وإلى الرسل من قبلك الله يعني أن ما تضمنته
هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور وأوحاه
من قبلك إلى رسله على معنى أن الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع
الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الأولين
والآخرين ولم يقل أوحى إليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على أن إيحاء مثله عادته

وقرئ يوحى اليك على البناء للمفعول فان قلت فما رافع اسم الله على هذه القراءة قلت
ما دل عليه يوحى كان قايلا قال من الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير
من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم على
معنى زينه لهم شركاؤهم فان قلت فما رافعه فيمن قرا نوحي بالنون قلت يرتفع
بالابتداء والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر
قرئ تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن ابي عمرو قراءة
غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الاعرابي
الابل تتشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شان الله وعظمته يدل عليه مجيئه
بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه
فان قلت لم قال من فوقهن قلت لان اعظم الايات وادلها على الجلال والعظمة فوق
السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس
حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال يتفطرن
من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية او لان كلمة الكفر جاءت
من الذين تحت السموات وكان القياس ان يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التي منها
جاءت الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كانه قيل يكدن
ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله تعالى
يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا في اجزائهم
الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين فان قلت كيف صح ان يستغفروا
لمن في الارض وفيهم الكفار اعداء الله وقد قال الله اولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف
يكونون لاعنين مستغفرين لهم قلت قوله لمن في الارض يدل على جنس اهل الارض وهذه
الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز ان يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل
على ان الملائكة لا تستغفر الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما اراد الله الا اياهم الا ترى
الى قوله في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا
للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل

طلب الحلم الثاني في قوله

ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما فان قلت قد فسرت
قوله تكاد السموات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما قلت اما على احدهما
فكانه قيل تكاد السموات ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه و
الملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف
يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن
في الارض خوفا عليهم من سطواته واما على الثاني فكانه قيل يكدن ينفطرن
من اقدام اهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله
وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها اليه الجاهلون به حامدين له
على ما اولاهم من الطافه التي علم انهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين
ويستغفرون لمؤمني اهل الارض الذين تبرؤا من تلك الكلمة ومن اهلها او
يطلبون الى ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك
فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار
والفساق منهم والذين اتخذوا من دونه اولياء جعلوا له شركاء واندادا
الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم
عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده وما انت يا محمد بموكل بهم
ولا مفوض اليك امرهم ولا قسرهم على الايمان انما انت منذر فحسب
ومثل ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة الى معنى الآية قبلها من ان الله
هو الرقيب عليهم وما انت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا المعنى كرره
الله في كتابه في مواضع جمة والكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا عربيا
حال من المفعول به اي اوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين لا لبس فيه عليك
لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز ان يكون ذلك اشارة
الى مصدر اوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك قرآنا
عربيا بلسانك لتنذر يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدي الاول

أعني لتنذر أم القرى إلى المفعول الأول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع
إلى المفعول الثاني أم القرى أهل أم القرى كقوله واسأل القرية ومن حولها من العرب
وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن يوم الجمع يوم القيامة لأن الخلائق تجمع
فيه قال الله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الأرواح والأجساد
وقيل يجمع بين كل عامل وعمله لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق وفريق
بالرفع والنصب فالرفع على فريق منهم ومنهم فريق والضمير للمجموعين
لأن المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم أي متفرقين كقوله ويوم تقوم
الساعة يومئذ يتفرقون فإن قلت كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة
واحدة قلت هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم كما
يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين وإن أريد بالجمع جمعهم في
الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق لجعلهم أمة واحدة أي مؤمنين
كلهم على القسر والإكراه كقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله
ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا والدليل على أن المعنى هو الإلجاء إلى
الإيمان قوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله أفأنت تكره
بإدخال همزة الإنكار على المكره دون فعله دليل على أن الله وحده
هو القادر على هذا الإكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة
قدرة لقسرهم جميعا على الإيمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى
أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن يشاء
ألا ترى إلى وضعهم في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير
في عذابه معنى الهمزة في أم للإنكار فالله هو الولي هو الذي
يجب أن يتولى وحده ويعتقد أنه المولى والسيد والفاء في قوله فالله
هو الولي جواب شرط مقدر كأنه قيل بعد إنكار كل ولي سواه إن أرادوا
وليا بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه وهو يحيي أي ومن شأن هذا
الولي أنه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بأن يتخذ وليا
دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء حكاية قول رسول الله

وعلى هذا لا يكون حكاية كلام النبي عليه السلام بل يكون خطابا من الله تعالى للناس

وقيل لا تخافوا أمامكم ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم كما أن الشياطين قرناء
العصاة وإخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين تدعون
تتمنون والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال ممن دعا
إلى الله عن ابن عباس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإسلام وعمل صالحا فيما بينه
وبين ربه وجعل الإسلام نحلة له وعنه أنهم أصحاب رسول الله وعن عائشة
ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت في المؤذنين وهي عامة في كل من جمع
بين هذه الثلاث أن يكون موحدا معتقدا لدين الإسلام عاملا بالخير داعيا
إليه وما هم إلا طبقة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد الدعاة إلى دين
الله وقوله وقال إنني من المسلمين ليس الغرض أنه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين
الإسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول أبي حنيفة تريد مذهبه يعني
أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن
من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من
بعض أعدائك ومثال ذلك رجل أساء إليك إساءة فالحسنة أن تعفو عنه
والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك مثل أن يذمك فتمدحه
ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فإنك إذا فعلت ذلك انقلب
عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقى هذه
الخليقة أو السجية التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان إلا أهل الصبر وإلا رجل
خير وفق لحظ عظيم من الخير فإن قلت فهلا قيل فادفع بالتي هي أحسن قلت
هو على تقدير قائل قال فكيف أصنع فقيل ادفع بالتي هي أحسن وقيل
لا مزيدة والمعنى ولا تستوي الحسنة والسيئة فإن قلت فكان القياس على
هذا التفسير أن يقال ادفع بالتي هي حسنة قلت أجل ولكن وضع التي هي أحسن
موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة لأن من دفع بالحسنى هان عليه
الدفع بما دونها وعن ابن عباس التي هي أحسن الصبر عند الغضب والحلم
عند الجهل والعفو عند الإساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما
عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وكان عدوا

أي بعض الحسنة أحسن من بعض وبعض السيئة أسوأ من بعض

هلا قيل

مؤذيًا لرسول الله فصار وليًا مصافيًا ﴿النزغ﴾ والنسغ بمعنى وهو شبه
النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل
النزغ نازغًا كما قيل جد جده أو أريد وإما ينزغنك نازغ وصفًا للشيطان
بالمصدر أو لتسويله والمعنى وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي
هي أحسن ﴿فاستعذ بالله﴾ من شره وامض على شأنك ولا تطعه ﴿الضمير في خلقهن﴾
لليل والنهار والشمس والقمر لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث
يقال الأقلام بريتها وبريتهن أو لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات
فقيل خلقهن ﴿فإن قلت﴾ أين موضع السجدة ﴿قلت﴾ عند الشافعي تعبدون وهي
رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند أبي حنيفة لا يسأمون
لأنها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب لعل ناسًا
منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم
يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا
بسجودهم وجه الله خالصًا إن كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين ﴿فإن استكبروا﴾
ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا إلا الواسطة فدعهم وشأنهم فإن الله عز سلطانه
لا يعدم عابدًا وساجدًا بالإخلاص له وهم الملائكة المقربون الذين يسبحونه
بالليل والنهار عن الأنداد وقوله عند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة
والكرامة وقرئ لا يسأمون بكسر الياء ﴿الخشوع﴾ التذلل والتقاصر
فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله
وترى الأرض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ
إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل
ذلك كالذليل الكاسف البال في الأطمار الرثة وقرئ وربأت أي ارتفعت
لأن النبت إذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض ﴿الإلحاد﴾ الحد الجائر وألحد
إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف في تأويل آيات
القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون ويلحدون على اللغتين
وقوله ﴿لا يخفون علينا﴾ وعيد لهم على التحريف ﴿فإن قلت﴾ بم اتصل قوله ﴿إن الذين كفروا
بالذكر﴾

يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أجلها وأعظمها فكان جديرًا بأن يطلق عليه
اسم الذكر وروي أن الله أوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله
وقيل ألهم ذلك ﴿لينا﴾ مثل التخفيف والقول اللين نحو قوله هل لك إلى أن تزكى و
أهديك إلى ربك فتخشى لأن ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز
العظيم وقيل عِداه شبابًا لا يهرم بعده وملكًا لا ينزع منه إلا بالموت وأن
تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره
والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الأبوة
وقيل كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة ﴿لعله﴾
والترجي لهما أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة
من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد
بأقصى وسعه وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة
ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا
فنتبع آياتك ﴿يتذكر﴾ أي يتأمل فيبذل النصفة من نفسه والإذعان
للحق ﴿أو يخشى﴾ أن يكون الأمر كما تصفان فيجره إنكاره إلى الهلكة ﴿فرط﴾
سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط
يسبق الخيل أي نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ يُفرط
من أفرطه غيره إذا حمله على العجلة خافا أن يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب
من شيطان أو من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية أو من حبه
الرياسة أو من قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال
الملأ من قومه وقال الملأ من قومه وقرئ يُفرط من الإفراط في الأذية أي
نخاف أن يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة أو يجاوز الحد في معاقبتنا
إن لم يعاجل بناء على ما عرفنا وجربنا من شرارته وعتوه ﴿أو أن
يطغى﴾ بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه وفي
المجيء به هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الأدب وتحاشٍ
عن التفوه بالعظيمة ﴿معكما﴾ أي حافظكما وناصركما ﴿أسمع وأرى﴾

ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما فجاز أن يقدر
أقوالكم وأفعالكم وجاز أن لا يقدر شيء وكأنه قيل أنا حافظ لكما وناصر
سامع مبصر وإذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت
المبالاة بالعدو كانت بنو إسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم
بتكليف الأعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء
مع قتل الولدان واستخدام النساء قد جئناك بآية من ربك جملة جارية
من الجملة الأولى وهي إنا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لأن دعوى الرسالة
لا تثبت إلا ببينتها التي هي المجيء بالآية إنما وحد قوله بآية ولم يثن ومعه
آيتان لأن المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال
قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة و
كذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية إن كنت من الصادقين أو
لو جئتك بشيء مبين يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة
على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين خاطب
الاثنين ووجه النداء إلى أحدهما وهو موسى لأنه الأصل في النبوة وهرون
وزيره وتابعه ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام
موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان
موسى ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين
خلقه أول مفعولي أعطى أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه و
يرتفقون به أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق
المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن
الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل
واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه أو أعطى كل حيوان
نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة
والرجل والمرأة فلم يزاوج منهما شيئا غير جنسه وما هو على خلاف خلقه
وقرئ خلقه صفة للمضاف أو للمضاف إليه أي كل شيء خلقه الله لم يخله

من عطائه وإنعامه ثم هدى أي عرف كيف يرتفق بما أعطي وكيف يتوصل إليه
ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن
ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون
وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فأجابه بأن هذا سؤال عن الغيب
وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني
به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله
أن يخطئ شيئا أو ينساه يقال ضللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد
له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من أضله إذا ضيعه وعن ابن عباس
لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه
ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه في إحاطة الله بكل شيء وتبينه لكل معلوم
فتعنت وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد أطراف عددهم
كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه
وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوزان عليك
أيها العبد الذليل والبشر الضئيل أي لا يضل كما تضل أنت ولا ينسى كما تنسى
يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة الذي جعل مرفوع صفة لربي أو خبر
مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه مهدا قراءة
أهل الكوفة أي مهدها مهدا أي يتمهدونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد
للصبي وسلك من قوله ما سلككم في سقر سلكناه في قلوب
المجرمين أي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والأودية والبراري فأخرجنا
انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع للافتنان وللإيذان
بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره وتذعن الأجناس المتفاوتة
لمشيئته لا يمتنع شيء على إرادته ومثله قوله وهو الذي أنزل من السماء ماء
فأخرجنا به نبات كل شيء ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به
ثمرات مختلفا ألوانها أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء
فأنبتنا به حدائق وفيه تخصيص أيضا بأنا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت

قد واحد ازواجا اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها ببعض
شتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات والنبات
مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة
النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم
قالوا من نعمته عز وعلا ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد
جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله ٥ اى قائلين كلوا
وارعوا حال من الضمير في فاخرجنا المعنى اخرجنا اصناف النبات آذنين
في الانتفاع بها مبيحين ان تاكلوا بعضها ٥ اراد بخلقهم من الارض خلق اصلهم
وهو آدم عليه السلم منها وقيل ان الملك لينطلق فياخذ من تربة المكان
الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا
واراد باخراجهم منها انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة
بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون
من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث
جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون
فيها كيف شاؤا وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلوفات
بهائمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا ثم هي
كفاتهم اذا ماتوا ومن ثمة قال رسول الله صلعم تمسحوا بالارض فانها بكم برة
اريناه بصرناه او عرفناه صحتها ويقناه بها وانما كذب لظلمه
كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت
ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر ٥ وفي قوله آياتنا كلها
وجهان احدهما ان يحذى بهذا التعريف الاضافي حذو التعريف باللام
لو قيل الآيات كلها اعني انها كانت لا تعطى الا تعريف العهد والاشارة
الى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلم
العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع
والدم ونتق الجبل والثاني ان يكون موسى قد اراه آياته وعدد عليه

ما اوتيه غيره من الانبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما
يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذبها جميعا وابى ان يقبل شيئا منها وقيل فكذب
الآيات وابى قبول الحق ٥ يلوح من جيب قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك
ان فرائصه كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق
لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه
غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى
عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه
بالسحر ٥ لا يخلو الموعد في قوله اجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا
او مصدرا فان جعلته زمانا نظرا الى ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك
شيئان ان تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته
مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا ان توقع الاخلاف على المكان وان
لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا
وزمانا جميعا لانه قرا يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى
الوعد ويقدر مضاف محذوف اى مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد
ومكانا بدل من المكان المحذوف فان قلت فكيف طابقه قوله موعدكم
يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان
قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا
يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان
علم المكان واما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز
وعدكم يوم الزينة وطباق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف
محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه فان قلت فبم ينتصب
مكانا قلت بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر فان قلت كيف يطابقه الجواب قلت
اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم
وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتدا بمعنى
الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل

في يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل
عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرئ
نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ سوى
وسوى بالكسر والضم ومنونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك
عن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية
لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان يجري الوصل مجرى الوقف وقرئ وان
يحشر الناس بالتاء والياء يريد وان تحشر يا فرعون وان يحشر
اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة
التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر
لفرعون ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما
واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت
الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى
رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر
المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر
والمدر لا تفتروا على الله كذبا اي لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا
فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني
تميم ومنه قول الفرزدق الا مسحتا او مجلف في بيت لا تزال الركب
تصطك في تسوية اعرابه عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى
اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء
فله امر وعن وهب لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول ساحر
والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا
ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا
من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما قرأ ابو عمرو ان هذين
لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص ان هذان
لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين ان النافية

والمخففة من الثقيلة وقرأ ابي ان ذان الا ساحران وابن مسعود ان هذان ساحران
بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة ان هذان لساحران هي لغة
بلحارث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي آخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها
ياء في الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة
على الجملة تقديره لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحاق سميت مذهبهم الطريقة المثلى
والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم
بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم
الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه
فاجمعوا كيدكم يعضده قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم اي ازمعوه واجعلوه
مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسألة المجمع عليها امروا
بان يأتوا صفا لانه اهيب في صدور الرائين وروي انهم كانوا سبعين الفا مع
كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابي عبيدة انه
فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون لعيدهم وصلاتهم مصطفين ووجه
صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان يأتوه او يراد ائتوا مصلى من
المصليات وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض يعني وقد فاز من غلب ان مع
ما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر
احد الامرين او الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب
حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم
وكان الله عز وعلا الهمهم ذلك وعلم موسى علمه اختيار القائهم اولا مع
ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا
اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل
فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية نيرة للناظرين
وعبرة بينة للمعتبرين يقال في اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق
فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت
في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية

لا غير ومعنى قوله فاذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم
وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي
وقرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلي ودلي وقسي
وقسي وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال ان مع ما في حيزه
انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وتخيل على كون
الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل
ونخيل على ان الله هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى انهم لطخوها بالزئبق
فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك. ايجاس الخوف
اضمار شيء منه وكذلك التوجس تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك
لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف
ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه **انك انت الاعلى** فيه تقرير لغلبته وقهره
وتوكيد بالاستيناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف
وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله **ما في يمينك** ولم يقل
عصاك جائز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد
الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته
وكثرتها وصغره وعظمها وجائز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه
الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على
كثرتها اقل شيء وانزره عندها فالقه يتلقفها باذن الله ويمحقها
وقرئ تلقف بالرفع على الاستيناف او على الحال اي القها متلقفة وقرئ
تلقف بالتخفيف **صنعوا** هاهنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف
ما يأفكون وقرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى ان ما موصولة
ومن نصب فعلى انها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر او ذوي سحر
او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر بعينه وبذاته او بين الكيد لانه يكون
سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو **فان قلت**
لم وحد ساحر ولم يجمع **قلت** لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى

العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس
فان قلت لم نكر اولا وعرف ثانيا **قلت** انما نكر من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره
في نفسه كقول العجاج في سعي دنيا طالما قد مدت وفي حديث عمر رضه لا في امر دنيا
ولا في امر آخرة المراد تنكير الامر كانه قيل ان ما صنعوا كيد سحري وفي سعي
دنيوي وامر دنيوي وآخروي حيث اتى كقولهم حيث شيء واية سلك واينما
كان سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم
القوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وروي انهم
لم يرفعوا رؤوسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها وعن عكرمة
لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة
لكبيركم لعظيمكم يريد انه اسحرهم واعلاهم درجة في صناعتهم او لمعلمكم من
قول اهل مكة للمعلم امري كبيري وقال لي كبيري كذا يريدون معلمهم واستاذهم
في القرآن وفي كل شيء وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف ان
تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين خالف الآخر بان
هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدئ
وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه اياه ومحل الجار والمجرور النصب
على الحال اي لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف
شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قيل
في جذوع النخل **اينا** يريد نفسه لعنه الله وموسى صلعم بدليل قوله آمنتم له واللام
مع الايمان في كتاب الله لغير الله تعالى كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة
باقتداره وقهره وما الفه وضري به من تعذيب الناس بانواع العذاب
وتوضيع لموسى عم واستضعاف له مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من التعذيب
في شيء **والذي فطرنا** عطف على ما جاءنا او قسم وقرئ تقضي هذه الحيوة الدنيا
ووجهها ان الحيوة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف
باجرائه مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة وروي
ان السحرة كانوا اثنين وسبعين اثنان من القبط والسائر

الى الباقي

من بني اسرايل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وروى انهم قالوا لفرعون
ارنا موسى نايما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر
اذا نام بطل سحره فابوا الا ان يعارضوه تزكى تطهر من ادناس الذنوب ٥
وعن ابن عباس قال لا اله الا الله قيل في هذه الايات الثلث هي حكاية قولهم
وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم
ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله ٥ اليبس مصدر وصف به يقال يبس
يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المونث فقيل شاتنا
يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها ٥ وقرى يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس
من ان يكون مخففا عن اليبس او صفة على فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف
به الواحد تاكيدا كقوله ومعا جياعا جعله لفرط جوعه كجماعة جياع ٥
لا تخاف حال من الضمير في فاضرب ٥ وقرى لا تخف على الجواب ٥ وقرا ابو حيوة
دركا بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك
فرعون وجنوده ولا يلحقونك ٥ في ولا تخشى اذا قرى لا تخف ثلثة اوجه ان
يستانف كانه قيل وانت لا تخشى اي ومن شانك انك امن لا تخشى وان لا تكون
الالف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زايدة للاطلاق من اجل الفاصلة
كقوله فاضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وان يكون مثل قوله ٥
كان لم ترى قبلي اسيرا يمانيا ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع
الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله
وقرى فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله
سبحانه او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم
وقوله وما هدى تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد يا بني
اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك ال فرعون ٥ وقيل هو
للذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلعم من الله عليهم بما فعل باباتهم والوجه
هو الاول اي قلنا يا بني اسرائيل وحذف القول كثير في القران وقرى انجيتكم الى
رزقتكم على لفظ الوعد والمواعدة ٥ وقرى الايمن بالجر على الجوار

ونجيو من حرب ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى
من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح وانما عدى المواعدة اليهم لانها
لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي
قام بها دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه طغيانهم
في النعمة ان يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم
عن القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي وان يزووا حقوق الفقراء
فيها وان يسرفوا في انفاقها وان يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا ٥ قرى
فيحل وعن عبد الله لا يحلن ومن يحلل ٥ المكسور في معنى الوجوب من حل الدين
يحل اذا وجب اداوه ومنه قوله حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول
٥ وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول ٥ هوى هلك واصله ان يسقط
من جبل فيهلك قالت هوى من راس مرقبة ففتت تحتها كبده
ويقولون هوت امه اي سقط سقوطا لا نهوض بعده ٥ الاهتداء هو الاستقامة
والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها
على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو واعني ان منزلة الاستقامة على الخير
مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منها وافضل وما اعجلك اي شيء عجل
بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب
ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده
وظنه ان ذلك اقرب الى رضا الله وزال عنه ان الله عز وجل ما وقت افعاله
الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت ٥ فالمراد
بالقوم النقباء وليس لقول من جوز ان يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم
قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله هم اولاء على اثري ٥ وعن ابي عمرو و
يعقوب اثري بالكسر ٥ وعن عيسى بن عمر اثري بالضم ٥ وعنه ايضا
اولا بالقصر والاثر افصح من الاثر واما الاثر فمسموع في فرند السيف
مدون في الاصول يقال اثر السيف واثره وهو بمعنى الاثر غريب ٥

فإن قلت ما أعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب
أن يقال طلب زيادة رضاك أو الشوق إلى كلامك وتنجز موعدك وقوله
هم أولاء على أثري كما ترى غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه به
رب العزة شيئين أحدهما إنكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب
المستنكر والحامل عليه وكان أهم الأمرين إلى موسى بسط العذر وتمهيد
العلة في نفس ما أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد مني إلا تقدم يسير مثله لا
يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته إلا مسافة قريبة
يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب
فقال وعجلت إليك رب لترضى ولقائل أن يقول حار لما ورد عليه من التهيب
لعتاب الله فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق المترتب على حدود الكلام أراد
بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من
عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفا فإن قلت في القصة أنهم أقاموا بعد مفارقته
عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة
ثم كان أمر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه
إنا قد فتنا قومك قلت قد أخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة
الكائنة على عادته أو افترص السامري غيبته فعزم على إضلالهم غب انطلاقه
وأخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا وأضلهم السامري
أي وهو أشدهم ضلالا لأنه ضال مضل وهو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل
يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم
وقيل كان من أهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر
وكان منافقا قد أظهر الإسلام وكان من قوم يعبدون البقر الأسف الشديد
الغضب ومنه قوله عليه السلام في موت الفجأة رحمة للمؤمنين وأخذة أسف للكافر
وقيل الحزين فإن قلت متى رجع إلى قومه قلت بعد ما استوفى الأربعين ذا القعدة
وعشر ذي الحجة وعدهم الله سبحانه أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور
ولا وعد أحسن من ذاك وأجمل حكي لنا أنها كانت ألف سورة من كل سورة ألف آية

يحمل أسفارها سبعون جملا العهد الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال
عهدي بك أي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه أن يقيموا على أمره
وما تركهم عليه من الإيمان فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل بملكنا قرئ بالحركات
الثلاث أي ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا
لما أخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده أي حملنا أحمالا من حلي القبط
التي استعرناها منهم أو أرادوا بالأوزار أنها آثام وتبعات لأنهم كانوا معهم في حكم المستأمنين
في دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها
في نار السامري التي أوقدها في الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا
فكذلك ألقى السامري أراهم أنه يلقي حليا في يده مثل ما ألقوا وإنما ألقى التربة
التي أخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل أوحى إليه وليه الشيطان أنها إذا
خالطت مواتا صار حيوانا فأخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي
التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل فإن قلت كيف أثرت تلك التربة في
إحياء الموات قلت أما يصح أن يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة
كما آثره بغيرها من الكرامات وهي أن يباشر فرسه بحافره تربة إذا لاقت تلك
التربة جمادا أنشأه الله إن شاء عند مباشرته حيوانا ألا ترى كيف أنشأ المسيح
من غير أب عند نفخه في الدرع فإن قلت فلم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة
لبني إسرائيل وضلالا قلت ليس بأول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله
الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ومن
عجب من خلق العجل فليكن من خلق إبليس أعجب والمراد بقوله إنا قد فتنا قومك
هو خلق العجل للامتحان أي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال
وأوقعهم فيه حين قال لهم هذا إلهكم وإله موسى فنسي أي فنسي موسى أن يطلبه
هاهنا وذهب يطلبه عند الطور أو فنسي السامري أي ترك ما كان عليه من إظهار
الإيمان يرجع من رفعه فعلى أن أن مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى أنها
الناصبة للأفعال من قبل من قبل أن يقول لهم السامري ما قال كأنهم أول
ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل أن ينطق

السامري بادرهم هرون عليه بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن لا من عنده والمعنى
ما منعك أن تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي وهلا
قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا
أو مالك لم تلحقني ۞ قرئ بلحيتي بفتح اللام وهي لغة أهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه
رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله
ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما رأوا من الآيات
العظام أن ألقى ألواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله
واستنكافا وحمية وعنف بأخيه وخليفته على قومه فأقبل عليه إقبال
العدو المكاشف قابضا على شعر رأسه وكان أفرع وعلى شعر وجهه يجره إليه
أي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستأنيتك أن تكون أنت المتدارك
بنفسك المتلافي برأيك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم
النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها
۞ الخطب مصدر خطب الأمر إذا طلبه فإذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه
ما طلبك له ۞ قرئ بصرت بما لم تبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه
وفطنت بما لم تفطنوا له ۞ قرأ الحسن قبضة بضم القاف وهي اسم المقبوض
كالغرفة والمضغة ۞ وأما القبضة فالمرة من القبض وإطلاقها على المقبوض من
تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير وقرأ أيضا فقبصت قبصة بالصاد الضاد
بجمع الكف والصاد بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه
قرأ ابن مسعود من أثر فرس الرسول فإن قلت لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس
قلت حين حل ميعاد الذهاب إلى الطور أرسل الله إلى موسى جبريل راكب حيزوم فرس
الحيوة ليذهب به فأبصره السامري فقال إن لهذا لشأنا فقبض قبضة من تربة
موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال قبضت من أثر فرس المرسل إليك يوم حلول
الميعاد ولعله لم يعرف أنه جبريل ۞ عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أطم منها
وأوحش وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته
ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا وإذا اتفق أن يماس أحدا

رجلا أو امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس
وعاد في الناس أوحش من القاتل اللاجئ إلى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية
ويقال إن قومه باق فيهم ذلك إلى اليوم ۞ وقرئ لا مساس بوزن فجار ونحوه
قولهم في الظباء إن وردت الماء فلا عباب وإن فقدته فلا أباب وهي أعلام
للمسة والعبة والأبة وهي المرة من الأب وهو الطلب لن تخلفه أي لن
يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الأرض ينجزه لك في الآخرة
بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران
المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفا قال الأعشى
أثوى وقصر ليله ليزودا فمضى وأخلف من قتيلة موعدا ۞ وعن
ابن مسعود نخلفه بالنون أي لن يخلفه الله كأنه حكى قوله عز وجل كما مر
في لأهب لك ۞ ظلت وظلت وظللت فحذف اللام الأولى ونقلوا
حركتها إلى الظاء ومنهم من لم ينقل لنحرقنه ولنحرقنه ولنحرقنه وفي
حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه القراءتان من الإحراق وذكر
أبو علي الفارسي في لنحرقنه أنه يجوز أن يكون حرق مبالغة في حرق إذا برد
بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لننسفنه بكسر
السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي إبطال ما افتتن به وفتن وإهدار
سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ۞ وقرأ طلحة
الله الذي لا إله إلا هو الرحمن رب العرش وسع كل شيء علما ۞ وعن مجاهد وقتادة
وسّع ووجهه أن وسع متعد إلى مفعول واحد وهو كل شيء وأما علما
فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل إلى التعدية إلى مفعولين فنصبهما
معا على المفعولية لأن المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا
عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا ۞ الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد
من الله تعالى لرسوله أي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون
نقص عليك من سائر أخبار الأمم وقصصهم وأحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة
في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتأكد الحجة

على من عاند وكابر ۝ وإن هذا الذكر الذي آتيناك يعني القرآن مشتملا على هذه الأقاصيص والأخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن أقبل عليه ومن أعرض عنه فقد هلك وشقي ۝ يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقي عليه بهره أو لأنها جزاء الوزر وهو الإثم وقرئ يحمل ۝ جمع خالدين على المعنى لأن من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير في أعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها فيه أي في ذلك الوزر أو في احتماله ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب أن يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم العبد إنه أواب أي أيوب والذي هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا أي وساءت مصيرا جهنم فإن قلت اللام في لهم ما هي وبم تتعلق قلت هي للبيان كما في هيت لك فإن قلت ما أنكرت أن يكون في ساء ضمير الوزر قلت لا يصح أن يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم فإن قلت فلا يكن ساء الذي حكمه حكم بئس وليكن ساء الذي منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى أهم وأحزن قلت كفاك صادا عنه أن يؤول كلام الله إلى قولك وأحزن الوزر لهم يوم القيامة حملا وذلك بعد أن تخرج عن عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب ۝ أسند النفخ إلى الآمر به فيمن قرأ ننفخ بالنون أو لأن الملائكة المقربين وإسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه أن يسند ما يتولونه إلى ذاته وقرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى أو لإسرافيل عليه وأما يحشر المجرمون فلم يقرأ به إلا الحسن وقرئ في الصور بفتح الواو جمع صورة وفي الصور قولان أحدهما أنه بمعنى الصور وهذه القراءة تدل عليه والثاني أنه القرن ۝ قيل في الزرق قولان أحدهما أن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب لأن الروم أعداؤهم

وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين ۝ والثاني أن المراد العمى لأن حدقة من يذهب نور بصره تزراق ۝ يتخافتون يتهامسون لما يملأ صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا إما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لأن أيام السرور قصار وإما لأنها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وإن طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت أطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا وإما لاستطالتهم الآخرة وأنها أبد سرمد يستقصر إليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة وقد استرجح الله قول من يكون أشد تقالا منهم في قوله إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث ۝ ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كما يذرى الطعام فيذرها أي فيذر مقارها ومراكزها أو يجعل الضمير للأرض وإن لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة فإن قلت قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الأعيان والأرض عين فكيف صح فيها المكسور العين قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأي المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق

وتكلف عن الادراك اللاهجة الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة
وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه
عوج بالكسر ۝ الامت النتو اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت اضاف
اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ اي يوم اذ نسفت ويجوز ان يكون بدلا
بعد بدل من يوم القيامة والمراد الداعي الى المحشر والداعي اسرافيل قائما
على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا يعدلون
لا عوج له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين
لصوته اي خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا
وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت
اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر ۝ من يصلح
ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي
لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى
اذن له ورضي له لاجله اي اذن للشافع ورضي له لاجله ونحو هذه اللام
اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ۝ اي
يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما المراد
بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة
وسوء الحساب صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة
وهم الاسارى ونحوه قوله فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا
ووجوه يومئذ باسرة وقوله وقد خاب وما بعده اعتراض كقولك خابوا
وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر ۝ الظلم ان يأخذ من صاحبه
فوق حقه ۝ والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين
الذين اذا اكتالوا يستوفون ويستحبون واذا كالوا يخسرون اي فلا يخاف
جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على النهي ۝
وكذلك عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك
هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد انزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة

مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل
الخير والطاعة ۝ والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة وقرئ
نحدث وتحدث بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم الثاء
للتخفيف كما في فاليوم اشرب غير مستحقب فتعالى الله الملك الحق
استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده
ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك
مما يجري عليه امر ملكوته ۝ ولما ذكر القرآن وانزاله قال على سبيل
الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتأن عليك ريثما
يسمعك ويفهمك ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قارئا له
مساوقه في القراءة ونحوه قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ۝ وقيل
معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى يأتيك البيان ۝ وقرئ حتى نقضي اليك
وحيه ۝ وقوله رب زدني علما متضمن للتواضع لله والشكر عنده لما
علم من ترتيب التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا
ما كان عندي فزدني علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل
ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في العلم ۝ يقال في اوامر
الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد
اليه عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم
يتقون والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم آدم ووصيناه ان لا
يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من
قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد
في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول ان اساس
امر بني آدم على ذلك وعرق فيهم راسخ ۝ فان قلت ما المراد بالنسيان قلت يجوز
ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية
الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد
من ذلك النسيان وان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراس

عن الشجرة والأكل منها وقيل فنسي أي نساه الشيطان ٥ والعزم
التصميم والمضي على ترك الأكل وأن يتصلب في ذلك تصلباً يؤيس الشيطان
من التسويل له ٥ والوجود يجوز أن يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزماً وأن يكون
نقيض العدم كأنه قال وعدمنا له عزماً ٥ إذ منصوب بمضمر أي واذكر
وقت ما جرى عليه من معاداة إبليس ووسوسته إليه وتزيينه له الأكل
من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة
والتحذير من كيده حتى يتبين لك أنه لم يكن من أولي العزم والثبات
فإن قلت إبليس كان جنياً بدليل قوله كان من الجن ففسق عن أمر ربه
فمن أين تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة قلت كان في صحبتهم وكان
يعبد الله عبادتهم فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له
كان الجني الذي معهم أجدر بأن يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية أهله
وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة أوجب حتى
إن لم يقم عنف وقيل له قد قام فلان وفلان فمن أنت حتى تترفع عن
القيام فإن قلت فكيف صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة قلت عمل على حكم
التغليب في إطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فأخرج استثناء عنهم كقولك
خرجوا إلا فلانة لامرأة بين الرجال ٥ أبى جملة مستأنفة كأنه
جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود
المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الإباء وتوقف وتثبط
فلا يخرجنكما فلا يكونن سبباً لإخراجكما وإنما أسند إلى آدم وحده فعل
الشقاء دون حواء بعد إشراكهما في الخروج لأن في ضمن شقاء الرجل وهو
قيم أهله وأميرهم شقاءهم كما أن في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر
الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة ٥ أو أريد بالشقاء التعب
في طلب القوت وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع إليه ٥ وروي أنه
أهبط إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه ٥ قرئ
وإنك بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على أن لا تجوع فإن قلت إن لا تدخل

على أن فلا يقال إن أن زيداً منطلق والواو نائبة عن إن وقائمة مقامها
فلم أدخلت عليها قلت الواو لم توضع لتكون أبداً نائبة عن إن إنما هي نائبة
عن كل عامل فلما لم تكن حرفاً موضوعاً للتحقيق خاصة كإن لم يمتنع اجتماعهما
كما امتنع اجتماع إن وأن ٥ الشبع والري والكسوة والكن هي الأقطاب
التي يدور عليها كفاف الإنسان فذكره استجماعها له في الجنة وأنه مكفي
لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا
وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحو
ليطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب
الموقع فيها كراهة لها فإن قلت كيف عدي وسوس تارة باللام في قوله فوسوس
لهما الشيطان وأخرى بإلى قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة
الذئب ووقوقة الدجاجة في أنها حكايات للأصوات وحكمها حكم صوت وأجرس
ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وأنشد ابن
الأعرابي ٥ وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق ٥ فإذا قلت وسوس له
فمعناه لأجله كقوله أجرس لها يا ابن أبي كباش ٥ ومعنى وسوس إليه أنهى
إليه الوسوسة كقولك حدث إليه وأسر إليه ٥ أضاف الشجرة إلى الخلد
وهو الخلود لأن من أكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لأن
من باشر أثره حيي ٥ وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي رضي الله عنهما
وابن عباس رضي الله عنهما إلا أن تكونا ملكين بالكسر ٥ طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل
وأخذ وأنشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلاً مضارعاً وبينها وبينه
مسافة قصيرة هي للشروع في أول الأمر وكاد لمشارفته والدنو منه
٥ قرئ يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو أن يخرز عليها
الخصاف أي يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل
كان مدوراً فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما
أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع عن ابن
عباس ٥ لا شبهة في أن آدم صلى الله عليه وسلم لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة

وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا فكان غيا
لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى بهذا
الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم واخطأ وما اشبه
ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة
بليغة وموعظة كافة وكانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت
على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة
غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا
بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط
في الكبائر ٥ وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على
لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا
وهم بنو طيء تفسير خبيث فان قلت ما معنى ثم اجتباه ربه قلت
ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه من جبى الي كذا فاجتبيته ونظيره
جليت على العروس فاجتليتها ٥ ومنه قوله تعالى واذا لم تأتهم بآية قالوا
لولا اجتبيتها اي هلا جبيت اليك فاجتبيتها واصل الكلمة الجمع
يقولون اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار
وهدى اي وفقه لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى
٥ لما كان آدم وحواء عليهما السلام اصلي البشر والسببين اللذين منهما
نشأوا وتفرعوا جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل
فاما يأتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب
وهو في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس ضمن
الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله
فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى لان الشقاء في الآخرة هو عقاب من
ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره
وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه ٥ الضنك مصدر
يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك

ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه
بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وعلا فلنحيينه حيوة طيبة والمعرض
عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط
عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال
بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش
عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره
قال الله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم
كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل
اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى
آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم
انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال وان لو استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم في النار ٥ وعن ابي
سعيد الخدري عذاب القبر وقرئ ونحشره بالجزم عطفا على محل فان
له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ
الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما
وصما وكما فسر الزرق بالعمى كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بان
آياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر
وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل
غطاءه عن عينيك لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة
الضنك في الدنيا وحشره اعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله
ولعذاب الآخرة اشد وابقى كانه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول
ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد
وابقى من تركه لآياتنا ٥ فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم
هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله وتركنا عليه في الآخرين سلام على
نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير الله او الرسول

ويدل عليه القراءة بالنون. وقرئ يمشون، يريد أن قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم. الكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة، يقول لولا هذه العدة لكان مثل إهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة. واللزام إما مصدر لازم وصف به، وإما فعال بمعنى مفعل أي ملزم، كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه، كما قالوا لزاز خصم. وأجل مسمى لا يخلو من أن يكون معطوفا على كلمة أو على الضمير في كان، أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين له، كما كانا لازمين لعاد وثمود، ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل. بحمد ربك في موضع الحال، أي وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه. والمراد بالتسبيح الصلاة، أو على ظاهره. قدم الفعل على الأوقات أولا، والأوقات على الفعل آخرا، فكأنه قال: صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر، وقبل غروبها يعني الظهر والعصر، لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها، وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصا لها بصلاتك، وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدوء الرجل والخلو بالرب، وقال الله: إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا. وقال: أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما. ولأن الليل وقت السكون والراحة، فإذا صرف إلى العبادة كانت على النفس أشد وأشق، وللبدن أتعب وأنصب، فكانت أدخل في معنى التكليف وأفضل عند الله. وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة، وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص، كما اختصت في قوله: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، عند بعض المفسرين. فإن قلت: ما وجه قوله وأطراف النهار على الجمع، وإنما هو طرفان، كما قال: أقم الصلاة طرفي النهار؟ قلت: الوجه أمن الإلباس، وفي التثنية زيادة بيان، ونظيره مجيء الأمرين في قوله: ظهراهما مثل ظهور الترسين. وقرئ: وأطراف النهار، عطفا على آناء الليل. ولعل للمخاطب، أي اذكر الله

في هذه الأوقات طمعا ورجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك. وقرئ ترضى، أي يرضيك ربك. ولا تمدن عينيك، أي نظر عينيك، ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به وتمنيا أن يكون له، كما فعل نظارة قارون حين قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم، حتى واجههم أولو العلم والإيمان بـ: ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا. وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه، وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف. ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع، وأن من أبصر منها شيئا أحب أن يمد إليه نظره ويملأ منه عينيه، قيل: ولا تمدن عينيك، أي لا تفعل ما أنت معتاد له وضار به. ولقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك، لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة، فالناظر إليها محصل لغرضهم، وكالمغري لهم على اتخاذها. أزواجا منهم أصنافا من الكفرة، ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم، كأنه قال: إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم. فإن قلت: علام انتصب زهرة؟ قلت: على أحد أربعة أوجه: على الذم، وهو النصب على الاختصاص، وعلى تضمين متعنا معنى أعطينا وخولنا، وكونه مفعولا ثانيا له، وعلى إبداله من محل الجار والمجرور، وعلى إبداله من أزواجا على تقدير ذوي زهرة. فإن قلت: ما معنى الزهرة فيمن حرك؟ قلت: معنى الزهرة بعينه، وهو الزينة والبهجة، كما جاء في الجهرة الجهرة، وقرئ أرنا الله جهرة. وأن يكون جمع زاهر وصفا لهم بأنهم زاهرو هذه الدنيا لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون، وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم، بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الألوان والتقشف في الثياب. لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم، أو لنعذبهم في الآخرة بسببه. ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم، أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوة، أو لأن أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه، والحلال خير وأبقى، لأن الله لا ينسب إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون

ما حرّم وخبث والحرام لا يُنمي. روي وعن عبد الله بن قسيط عن ابي رافع قال بعثني
رسول الله صلعم الى يهودي وقال قل له يقول لك رسول الله اقرضني الى رجب فقال
والله لا اقرضه الا برهن فقال رسول الله اني لامين في السماء واني لامين في الارض
احمل اليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدّن عينيك. وأمر اهلك بالصلوة
اي وامر انت اهلك على عبادة الله والصلوة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا
تهتم بامر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك
ولا نسألك ان ترزق نفسك ولا اهلك ففرّغ بالك لامر الآخرة. وفي معناه
قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله. وعن عروة بن الزبير انه كان
اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلوة
الصلوة رحمكم الله. وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصابت اهله خصاصة
قال قوموا فصلوا بهذا امر الله ورسوله ثم يتلو هذه الآية. اقترحوا على
عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم او لم تأتكم آية هي ام الآيات
واعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل ان القرآن برهان ما في سائر
الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجز وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة
الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة. وقرئ
الصحف بالتخفيف ذكّر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان
والدليل. فتخزى قرئ على لفظ ما لم يسم فاعله. كل اي كل واحد
منا ومنكم متربص العاقبة ولما يؤول اليه امرنا وامركم. وقرئ السواء
بمعنى الوسط والجيد او المستوي والسوء والسوءى والسوي تصغير
السوء. وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون. قال ابو رافع حفظته من رسول الله
عن رسول الله صلعم من قرأ سورة طه اعطي يوم القيامة ثواب
المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا طه ويس

سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه اللام اما ان تكون صلة لاقترب او تأكيدا لاضافة الحساب اليهم

كقولك ازف للحي رحيلهم ثم اصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف للحي
رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد
حريص عليك وقيل لا غيث قبل ومنه قولهم لا اباً لك لان اللام مؤكدة
لمعنى الاضافة وهذا الوجه اغرب من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت
الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير
ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق. وان قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عدّت دون
هذا القول اكثر من خمسمائة عام قلت هو مقترب عند الله والدليل عليه
قوله ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
ولان كل آت وان طالت اوقات استقباله وترقبه قريب وانما البعيد هو
الذي وجد وانقرض ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها بدليل
انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه بعثت في نسم
الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم يبق الا صبابة
كصبابة الاناء واذا كانت بقية الشيء وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة
الى معظمه كانت خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع. وعن ابن عباس
ان المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم
وهو ما يتلوه من صفات المشركين. وصفهم بالغفلة مع الاعراض على معنى انهم
غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع
اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء واذا
قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم
من الآيات والنذر اعرضوا وسدّوا اسماعهم ونفروا وقرر اعراضهم عن
تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بان الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا
ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم
التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور
وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي احق الحق واجد الجد الا لعبا
وتلهيا واستسخارا. والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن

محدث بالرفع صفة على المحل ه قوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان
او متداخلتان ومن قرأ لاهيةٌ بالرفع فالحال واحدة لان لاهيةٌ قلوبهم
خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لهى عنه اذا ذهل وغفل يعنى انهم
وان فطنوا فهم فى قلة جدوى فطنتهم كانهم لم يفطنوا اصلا وثبتوا على
راس غفلتهم وذهولهم عن التامل والتبصر بقلوبهم فان قلت النجوى وهى اسم
من التناجى لا تكون الا خفية فما معنى قوله واسروا قلت معناه وبالغوا فى
اخفائها وجعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون ه
ابدل الذين ظلموا من واو واسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش
فيما اسروا به او جاء على لغة من قال اكلونى البراغيث او هو منصوب المحل
على الذم او هو مبتدأ خبره واسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء
اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم هل هذا الا بشر
مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله فى محل النصب بدلا من
النجوى اى واسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا ه اعتقدوا ان
رسول الله لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة
فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون السحر
وانتم تشاهدون وتعاينون انه سحر فان قلت لم اسروا هذا الحديث وبالغوا فى
اخفائه قلت كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور فى طلب الطريق الى هدم
امره وعمل المنصوبة فى التثبيط عنه وعادة المتشاورين فى خطب ان لا يشركوا
اعداءهم فى شوراهم ويتجاهدوا فى طى سرهم عنهم ما امكن واستطيع
ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول الله صلى
ويجوز ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله والمؤمنين ان كان ما
تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررناه فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا
النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر فكان فى العلم به العلم بالسر
وزيادة فكان آكد فى بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كما
ان قوله يعلم السر آكد من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع العليم

لذاته فكيف تخفى عليه خافية فان قلت فلم ترك هذا الآكد فى سورة الفرقان
فى قوله قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض قلت ليس بواجب ان يجيء
بالآكد فى كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد اخرى كما يجيء بالحسن فى موضع
وبالاحسن فى غيره وليفتن الكلام افتنانا وتجمع الغاية وما دونها على ان اسلوب تلك
الآية خلاف اسلوب هذه من قبل انه قدم هاهنا انهم اسروا النجوى فكانه
اراد ان يقول ان ربى يعلم ما اسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم
قصد وصف ذاته بان انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض فهو كقوله
علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة ه وقرئ قال ربى حكاية
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ه اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى
انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل
متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز ان يكون تنزيلا من الله لاقوالهم فى درج
الفساد وان قولهم الثانى افسد من الاول والثالث من الثانى وكذلك الرابع
من الثالث ه صحة التشبيه فى قوله كما ارسل الاولون من حيث انه فى معنى كما اتى
الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات الا ترى انه لا فرق
بين ان تقول ارسل محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة افهم يؤمنون فيه انهم
اعتى من الذين اقترحوا على انبيائهم الآيات وعاهدوا انهم يؤمنون عندها
فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون
لكانوا انكث وانكث ه امرهم ان يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب
حتى يعلموهم ان رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة
كما اعتقدوا وانما احالهم على اولئك لانهم كانوا يشايعون المشركين فى معاداة
رسول الله قال الله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا فلا يكذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله لا ياكلون
الطعام صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الانبياء قبله ذوى جسد غير
طاعمين ووحد الجسد لارادة الجنس كانه قال ذوى ضرب من الاجساد وهذا
رد لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام فان قلت نعم قد رد انكارهم ان يكون الرسول

بشر يأكل ويشرب بما ذكرت فما اراد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين
قلت يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او يقولوا
هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين ان الملائكة لا يموتون او
مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا صدقناهم الوعد
مثل واختار موسى قومه والاصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال
وصدقني سن بكره ومن نشاء هم المؤمنون ومن في بقائه مصلحة ذكركم
شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك اى موعظتكم او فيه مكارم
الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء
بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك وكم
قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم
لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف
الفصم اراد بالقرية اهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما آخرين
لان المعنى اهلكنا قوما وانشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس انها حضور
وهى وسحول قريتان باليمن تنسب اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله
صلى الله عليه في ثوبين سحوليين وروى حضور بعث الله اليهم نبيا فقتلوه
فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على اهل بيت المقدس فاستاصلهم
وروى انه لما اخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء
ندموا واعترفوا بالخطاء وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على
الكثرة ولعل ابن عباس ذكر حضور بانها احدى القرى التي ارادها
الله بهذه الآية فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس و
مشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل
ومنه قوله اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين
منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا
في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا
والقول محذوف فان قلت من القائل قلت يحتمل ان يكون بعض الملائكة او من ثم

من المؤمنين او يجعلون سخرية بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة و
يسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم
وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار
النعمة وهي الترفة لعلكم تسألون تهكم بهم وتوبيخ اى ارجعوا
الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم
فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا
في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم
ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين
المخدمين او يسألكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم
في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم او
يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب اكفكم ويمترون
اخلاف معروفكم واياديكم اما لانهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء الناس
وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما وتوبيخا الى توبيخ
تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم
والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
فان قلت لم سميت دعوى قلت لان المولول كانه يدعو الويل فيقول تعال
يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع او منصوب اسما او خبرا وكذلك دعواهم
الحصيد الزرع المحصود اى جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استيصالهم و
اصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اى مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي
كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية
فان قلت كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لان
معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود اى وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا
المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب
كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب

وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار و
اعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق
التي لا تحصى ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن افعالي
هو ان الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على
كل شيء قدير وقوله لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا
وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا اي من الملائكة
لا من الانس ردا لولادة المسيح وعزير بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب
وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا
وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل
بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله به واهداره ومحقه
فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه
ثم قال ولكم الويل مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ
فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز
فاستريحا وقرئ فيدمغه ومن عنده هم الملائكة والمراد انهم
مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على
طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه **فان قلت** الاستحسار
مبالغة في الحسور فكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور **قلت**
في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء
لتلك العبادات الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون اي تسبيحهم متصل
دائم في جميع اوقاتهم لا تتخلله فترة بفراغ او بشغل آخر هذه
ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالاضراب عما قبلها
والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الارض ينشرون الموتى
ولعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات **فان قلت**
كيف انكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف
وهم ابعد شيء عن هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل

بانه خالق السموات والارض ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
وبانه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الاولى منكرين للبعث ويقولون
من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر
كالثاني القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة راسا **قلت**
الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار لانه
لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات
وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه
من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة و
نحو قوله من الارض قولك فلان من مكة او من المدينة تريد مكي او مدني
ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الالهة
على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه
اين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها
نفي الالهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله ويجوز ان يراد
آلهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر
الارض **فان قلت** لا بد من نكتة في قوله هم **قلت** النكتة فيه افادة معنى الخصوصية
كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون
وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها وصفت آلهة بالا كما توصف بغير
لو قيل آلهة غير الله **فان قلت** ما منعك من الرفع على البدل **قلت** لان لو بمنزلة
ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى
ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه
والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو
فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا
واحدا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله **فان قلت**
لم وجب الامران **قلت** لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما
يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان

حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق كان والله أعز علي من ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولأن هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر ٥ إذا كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا وإجلالا مع جواز الخطأ والزلل وأنواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الأرباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يسأل عن أفعاله مع ما علم واستقر في العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح وهم يسألون أي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون فما أخلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه ٥ كرر **أم اتخذوا من دونه آلهة** استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم أي وصفتم الله تعالى بأن له شريكا ٥ فهاتوا برهانكم على ذلك إما من جهة العقل وإما من جهة الوحي فإنكم لا تجدون كتابا من كتب الأولين إلا وتوحيد الله وتنزيهه عن الأنداد مدعو إليه والإشراك به منهي عنه متوعد عليه أي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الأنبياء فهو ذكر أي عظة للذين معي يعني أمته وذكر للذين من قبلي يريد أمم الأنبياء ٥ وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الأصل والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقرئ من معي ومن قبلي على من الإضافية وفي هذه القراءة إدخال الجار على مع غريب والعذر فيه أنه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما أشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على أخواته ٥ وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كأنه قيل بل عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الإعراض ومن هناك ورد هذا الإنكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط

توسط

التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى أن إعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز أن يكون المنصوب أيضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل ٥ يوحى ونوحي مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد ٥ نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد والعبودية تنافي الولادة إلا أنهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم أنهم أولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا ٥ وقرئ مكرمون **ولا يسبقونه** بالضم من سابقته فسبقته أسبقه والمعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فأنيب اللام مناب الإضافة أي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا كذلك مبني على أمره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا وأخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقاتهم ومن تحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم أنهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون أي متوقعون من أمارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله ٥ وبعد أن وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده وأثنى عليهم وأضاف إليهم تلك الأفعال السنية والأعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعذاب جهنم من أشرك منهم إن كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع إحاطة علمه بأنه لا يكون كما قال ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد ٥ وقرئ ألم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض أي كانتا مرتوقتين **فإن قلت** الرتق صالح أن يقع موقع مرتوقتين لأنه مصدر فما بال الرتق **قلت** هو على تقدير موصوف أي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك أن السماء كانت

لاصقة بالارض لا فضاء بينهما او كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج
بينها ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما
كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة
الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر
فان قلت متى راوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان احدهما انه
وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني
ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون
التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين
فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل
دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة
صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء
حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله عليه السلام ما انا من دد
ولا الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو اي كراهة
ان تميد بهم وتضطرب او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف
لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب
الكوفيين الفج الطريق الواسع فان قلت في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت
على السبل ولم تؤخر كما في قوله لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم
وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم فان قلت
ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة
والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة
محفوظا حفظه بالامساك بقدرته من ان يقع على الارض ويتزلزل او بالشهب
عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة عن آياتها اي عما وضع الله
فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها
وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة
والقدرة الباهرة واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب

بوهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شان من اوجدها عن
عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف كنهه
الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة
في الدلالة على الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية
كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الارض والحيوان بامطارها
وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون كل التنوين فيه عوض من
المضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس
الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب
في جمعهما بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير
واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة فان قلت الجملة ما محلها قلت محلها
النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب الحال
عنهما قلت كما تقول رايت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص
بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله في هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة او لا محل لها لاستئنافها فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف
قيل جميعهم يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم
سيفا اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس
اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون
بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشرا فلا انت
ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت ايبقى هؤلاء وفي معناه
قول القائل فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
اي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم
فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وانما سمي ذلك ابتلاء
وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار
وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه الذكر يكون بخير وبخلافه
فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك

نوع من النصب اي نوع منه عجيب لا يدركه [illegible]

لما اثرت العقلاء جمعه ايضا لهذا

او الواو لم يقل تسبحن بالواو

مختص

اذا ما الدهر جر على اناس كلاكله اناخ بآخرينا

فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء وإن كان عدواً فذم ومنه قوله سمعنا
فتى يذكرهم وقوله أهذا الذي يذكر آلهتكم والمعنى أنهم عاكفون
بهممهم على ذكر آلهتهم وما يجب أن لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء
ويسوؤهم أن يذكرها ذاكر بخلاف ذلك وأما ذكر الله وما يجب أن يذكر
به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به أصلاً فهم أحق بأن يتخذوا
هزؤاً منك فإنك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم
ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة وقولهم وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وقيل
بذكر الرحمن بما أنزل عليك من القرآن والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزؤاً
وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله ۝ كانوا يستعجلون
عذاب الله وآياته الملجئة إلى العلم والإقرار ويقولون متى هذا الوعد
فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم أولاً ذم الإنسان على إفراط
العجلة وأنه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كأنه قال ليس ببدع
منكم أن تستعجلوا فإنكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم ۝ وعن ابن
عباس أنه أراد بالإنسان آدم وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ
فيه أراد أن يقوم ۝ وروي لما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة ولما
دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة
قبل غروب الشمس فأسرع في خلقه قبل مغيبها ۝ وعن ابن عباس أنه النضر بن
الحرث والظاهر أن المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم
والنخل ينبت بين الماء والعجل والله أعلم بصحته فإن قلت لم نهاهم عن الاستعجال
مع قوله خلق الإنسان من عجل وقوله وكان الإنسان عجولاً أليس هذا من تكليف ما لا يطاق
قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها لأنه أعطاه القدرة التي يستطيع
بها قمع الشهوة وترك العجلة ۝ وقرئ خلق الإنسان ۝ جواب لو محذوف
وحين مفعول به ليعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستعلمون عنه بقولهم متى
هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون
على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصراً ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر

والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم ويجوز أن يكون
يعلم متروكاً بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا
مستعجلين وحين منصوب بمضمر أي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون أنهم
كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم أي لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم
يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر أي غلب إبراهيم الكافر
وقرأ الأعمش بل يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد أو للحين فإن قلت
فإلام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة قلت إلى النار أو إلى الوعد لأنه في معنى
النار وهي التي وعدوها أو على تأويل العدة والموعدة أو إلى الحين لأنه في معنى
الساعة أو إلى البغتة وقيل في القراءة الأولى الضمير للساعة وقرأ الأعمش
بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون تذكير بإنظاره إياهم وإمهاله وتفسيح
وقت التذكر عليهم أو لا يمهلون بعد طول الإمهال سلى رسول الله صلعم عن
استهزائهم به بأن له في الأنبياء عليهم السلام أسوة وأن ما يفعلونه به يحيق بهم
كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا من الرحمن أي من بأسه وعذابه ۝ بل هم
معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلاً أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا
الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد أنه أمر رسوله
بسؤالهم عن الكالئ ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم
۝ ثم أضرب عن ذلك بما في أم من معنى بل وقال ألهم آلهة تمنعهم من العذاب
تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه
ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره
ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة إنما هو منا لا من مانع يمنعهم
من إهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين إلا تمتيعاً لهم بالحياة الدنيا
وإمهالاً كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم الأمد
وامتدت أيام الروح والطمأنينة فحسبوا أن لا يزالوا على ذلك لا يغلبون
ولا ينزع عنهم ثوب أمنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وأمل
كاذب أفلا يرون أنا ننقص أرض الكفر ودار الحرب ونحذف أطرافها

تسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام فان قلت اي
فائدة في قوله أفهم الغالبون قلت فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدي المسلمين
وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين وتأتيها غالبة عليها
ناقصة من اطرافها ○ وقرئ ولا يُسمِع الصمَّ ولا تُسمِع الصمَّ بالتاء والياء اي لا تُسمع انت او
لا يُسمع رسول الله ولا يَسمع الصمُّ من اسمع فان قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر
كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون قلت اللام في الصم اشارة
الى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع
الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامّهم وسدّهم اسماعهم اذا انذروا
اي هم على هذه الصفة من الجرأة والجسارة على التصامّ من آيات الانذار
ولئن مستهم من هذا الذي ينذرون به ادنى شيء لاذعنوا وذلوا واقروا
بانهم ظلموا انفسهم حين تصامّوا واعرضوا وفي المسّ والنفحة ثلث مبالغات
لان النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه
بعطية رضخه ولبناء المرة ○ وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة
كانها في انفسها قسط او على حذف المضاف اي ذوات القسط واللام في ليوم
القيامة مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة
توهمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع وقيل لاهل
يوم القيامة اي لاجلهم فان قلت ما المراد بوضع الموازين قلت فيه قولان
احدهما ارصاد الحساب السويّ والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير
ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات
والثاني انه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان
له كفتان ولسان ويروى ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فلما
رآه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال
يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة ○ فان قلت كيف
توزن الاعمال وانما هي اعراض قلت فيه قولان احدهما توزن صحائف الاعمال
والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات

جواهر سود مظلمة وقرئ مثقالُ حبة على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة
وقرأ ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافأة
لانهم اتوه بالاعمال وآتاهم بالجزاء وقرأ حميد أثبنا بها من الثواب وفي حرف ابيّ جئنا
بها وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه ○ اي آتيناهما
الفرقان وهو التوراة وآتينا به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى انه في نفسه ضياء
وذكر او آتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا ○ وعن ابن عباس
الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر ○ وعن محمد بن كعب المخرج
من الشبهات وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر
الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف ○ محل الذين
جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه ذكر مبارك هو القرآن
وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره ○ الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح
قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ○ وقرئ رَشَده والرُّشد
والرَّشَد كالعُدم والعَدَم ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وانه رشد
له شأن من قبل من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا
عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهّله لمخالّته ومخالصته وهذا
كقولك في خيّر من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف
بمنزل ○ اذ اما ان يتعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات
رشده هذا الوقت قوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب ليحقر
آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها ○ لم ينو للعاكفين مفعولا
واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها فان قلت
هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام لهم قلت لو قصد التعدية
لعدّاه بصلته التي هي على ○ ما اقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما اعظم
كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل
وعفّروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شيء وجادّون في نصرة مذهبهم
ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل التقليد سبّة ان عبدة الاصنام منهم

أي لقد كنتم أنتم

أنتم من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الإخلال به لأن العطف على ضمير هو في حكم
بعض الفعل ممتنع، ونحوه: اسكن أنت وزوجك. أراد أن المقلدين والمقلدين جميعاً منخرطون
في سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة لاستناد الفريقين إلى غير دليل بل إلى هوى
متبع وشيطان مطاع. لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالاً بقوا متعجبين من تضليله
إياهم، وحسبوا أن ما قاله إنما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد، فقالوا
له: هذا الذي جئتنا به أهو جد وحق أم لعب وهزل. الضمير في فطرهن للسموات
والأرض أو للتماثيل، وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم. وشهادته
على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة، كأنه
قال: وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات، لأني لست مثلكم فأقول
ما لا أقدر على إثباته بالحجة، كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على
أنكم وجدتم عليه آباءكم. وقرأ معاذ بن جبل: بالله. وقرئ: تولوا بمعنى تتولوا،
ويقويها قوله: فتولوا عنه مدبرين. **فإن قلت**: ما الفرق بين الباء والتاء؟ **قلت**:
إن الباء هي الأصل، والتاء بدل من الواو المبدلة منها، وإن التاء فيها زيادة معنى و
هو التعجب، كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه، لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً
منه لصعوبته وتعذره، ولعمري إن مثله صعب متعذر في كل زمان
خصوصاً في زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه
على نصرة دينه، ولكن إذا الله سهل عن شيء تيسر. روي أن آزر خرج
به في يوم عيد لهم فبدؤوا ببيت الأصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها
طعاماً خرجوا به معهم وقالوا: إلى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا، فذهبوا
وبقي إبراهيم فنظر إلى الأصنام وكانت سبعين صنماً مصطفة وثم صنم
عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل، فكسرها
كلها بفأس في يده حتى لم يبق إلا الكبير علق الفأس في عنقه. عن قتادة: قال ذلك
سراً من قومه. وروي: سمعه رجل واحد. **جذاذاً**: قطاعاً من الجذ وهو القطع، وقرئ
بالكسر والفتح، وقرئ: جذذاً جمع جذيذ، وجذذاً جمع جذة. وإنما استبقى الكبير
لأنه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لما تسامعوه من إنكاره لدينهم وسبه

لآلهتهم فبكتهم بما أجاب به من قوله: بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم. وعن الكلبي:
إليه: إلى كبيرهم. ومعنى هذا: لعلهم يرجعون إليه كما يرجع إلى العالم في حل المشكلات
فيقولون له: ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحاً والفأس على عاتقك؟ قال هذا
بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم
وتعظيمهم لها، أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون إليه استهزاء بهم واستجهالاً، وأن
قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة أن يرجع إليه في حل المشكل. **فإن قلت**:
فإذا رجعوا إلى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الإشراك في أعراقهم
فأي فائدة دينية في رجوعهم إليه حتى يجعله إبراهيم صلوات الله عليه غرضاً؟ **قلت**:
إذا رجعوا إليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر، وظهر أنهم في عبادته على جهل
عظيم. أي إن من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة، إما
لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والإعظام، وإما لأنهم رأوا إفراطاً
في حطمها وتمادياً في الاستهانة بها. **فإن قلت**: ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى وأي فرق
بينهما؟ **قلت**: هما صفتان لفتى، إلا أن الأول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع، لا تقول
سمعت زيداً وتسكت حتى تذكر شيئاً مما يسمع، وأما الثاني فليس كذلك.
فإن قلت: إبراهيم ما هو؟ **قلت**: هو خبر مبتدأ محذوف أو منادى، والصحيح أنه
فاعل يقال، لأن المراد الاسم لا المسمى. **على أعين الناس** في محل الحال بمعنى معايناً
مشاهداً، أي بمرأى منهم ومنظر. **فإن قلت**: ما معنى الاستعلاء في على؟ **قلت**: هو وارد
على طريق المثل، أي يثبت إتيانه في الأعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب
وتمكنه منه. **لعلهم يشهدون** عليه بما سمع منه أو بما فعله، أو يحضرون عقوبتنا له.
روي أن الخبر بلغ نمروذ وأشراف قومه فأمروا بإحضاره. هذا من معاريض
الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الراضة من علماء المعاني.
والقول فيه أن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم،
وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه
من إلزامهم الحجة وتبكيتهم. وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً
بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط: أأنت كتبت هذا؟ وصاحبك أمي لا يحسن الخط

او لا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كأن قصدك بهذا
الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للأمي او المخربش
لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر
ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة وكان
غيظ كبيرها اكبر واشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه
لانه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره
يسند الى الحامل عليه ◦ ويجوز ان يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كأنه
قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها
ان يقدر على هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبدوا
معه هذه الصغار وهو اكبر منها وقرأ محمد بن السميفع فعلّه كبيرهم يعني
فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم ◦ فلما ألقمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا
الى انفسهم فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا
بآلهتنا انه لمن الظالمين ◦ نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه وانتكس انقلب
اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا
وانقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة ولقد علمت ما هؤلاء
مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم او انتكسوا
عن كونهم مجادلين لابراهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا
على رؤوسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم
به ابراهيم فما اجادوا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكّسوا بالتشديد
ونكسوا على لفظ ما لم يسم فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤوسهم [illegible] ان
من عبد المعبود ◦ أف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما رأى
من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل
فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به اي لكم ولآلهتكم هذا التأفف ◦ اجمعوا لانهم
لما غلبوا ما هلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم
يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت

الحفيظة من رجمة كبيرها

قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي اشار باحراقه نمرود
وعن ابن عمر رضي الله عنه رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروي انهم حين هموا باحراقه
حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب
حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول لئن عافاني الله لاجمعن حطبا لابراهيم
ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في
المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل عليه السلام يا نار كوني
بردا وسلاما ويحكى ما احرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل حين رمي به
هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي
وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل واطل عليه نمرود من الصرح
فاذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك
فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم اذ ذاك ابن ست عشرة
سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه ولذلك
جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين
آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهي الاحراق بالنار
والا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم
شأنها ولم يألوا جهدا في ذلك ◦ جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته
كمأمور امر بشيء فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كأن
ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابراهيم او ابردي بردا
غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها فان قلت كيف
بردت النار وهي نار قلت نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر
والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء
قدير ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابراهيم اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك
كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على ابراهيم ◦ وارادوا ان يكيدوه ويمكروا
به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه المبكت
وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه ◦ نجيناه من العراق الى

يعني ابراهيم ولوطا

الاجماع الازماع والاتفاق

الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت
في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل
بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير
وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد تملأ فيه الجراب
بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس
روي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ۝
النافلة ولد الولد وقيل سأل اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة
وفضلا من غير سؤال يهدون بامرنا فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين
فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل
عنها واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء
بالمهدي اميل فعل الخيرات اصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات
ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة حكما حكمة وهو
ما يجب فعله او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة ۝ والقرية سدوم ۝ اي
في اهل رحمتنا او في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من اشاء من قبل
من قبل هؤلاء المذكورين ۝ هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا
يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه ۝ والكرب الطوفان
وما كان فيه من تكذيب قومه ۝ اي واذكرهما واذ بدل منهما والنفش الانتشار
بالليل وجمع الضمير لانه ارادهما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما ۝ والضمير
في ففهمناها للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها حكم داود بالغنم
لصاحب الحرث فقال سليمن وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين
فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها
واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم
افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك فان قلت احكما
بوحي ام باجتهاد قلت حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت
بحكومة سليمن وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمن اشبه بالصواب

٥٤

فان قلت ما وجه كل واحدة من الحكومتين قلت اما وجه حكومة داود فلان الضرر وقع
بالغنم فسلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى
بذلك او يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر
النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من
الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل
في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا
فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب
من منافع العبد فاذا ظهر ترادا فان قلت فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا
ما حكمها قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون
مع البهيمة سائق او قائد وعند الشافعي يجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها
سليمن دليل على ان الاصوب كان مع سليمان وفي قوله وكلا آتينا حكما وعلما دليل
على انهما جميعا كانا على الصواب يسبحن حال بمعنى مسبحات او استيناف كأن
قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير اما معطوف على الجبال واما مفعول معه
فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل
على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق روي انه
كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار
فان قلت كيف تنطق الجبال وتسبح قلت بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في
الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو ان يسبح من رآها تسير بتسيير الله
فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل هذا
وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل مثل ذلك بالانبياء ۝ اللبوس اللباس
قال البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح
فاول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ
بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة
او للبوس على تأويل الدرع والياء لداود او للبوس ۝ قرئ الريح والرياح بالرفع
والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب للعطف على الجبال فان قلت وصفت هذه

بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق بينهما

قلت كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت
به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين
ان تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمن وهبوبها على حسب
ما يريده ويحتكم آية الى آية ومعجزة مع معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت
عاصفا لهبوبها على حكم ارادته وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما
يقتضيه علمنا وحكمتنا ○ اي يغوصون له في البحار ويستخرجون الجواهر ويتجاوزون
ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المداين والقصور واختراع الصنايع العجيبة كما
قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا عن امره او
يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه ○ اي ناداه
باني مسني وقرئ اني بالكسر على اضمار القول او لتضمن النداء معناه ○ والضر بالفتح
الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق في البناء بين
لافتراق المعنيين لطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه
بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ○ ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد
الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي ○ فقال لها الطفت في
السؤال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا ○ كان
ايوب عليه السلم روميا من ولد اسحق بن يعقوب عليهم السلام وقد استنبأه الله وبسط
عليه الدنيا وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهايم
وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه
الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض
في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلث عشرة وعن مقاتل سبعا وسبعة
اشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة
الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة
بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه احيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل
منهم وروي ان امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا ○ اي لرحمتنا العابدين
وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم او رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره ○

وعلى هذا لا يكونان منا ذكرى لغيره

اي يكون رحمة وذكرى منا ذكرى للعابدين

من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والآخرة ○ قيل ذو الكفل
هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكانه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله
والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل
خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح
يونس وذو النون محمد واحمد ○ النون الحوت فاضيف اليه ○ لقومه لطول ما
ذكرهم فلم يتذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله
الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن
من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ○ ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم
بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرئ مغضبا ○ وقرئ نقدر
ونقدر بالنون مخففا ومثقلا ○ ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر على البناء للمفعول
مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة ○ وعن ابن عباس
انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجد
لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال او يظن نبي الله
ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر
بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى
فكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار
لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان
كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى
وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين ○ في الظلمات اي في الظلمة الشديدة
المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم
من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته
حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر ○ اي بانه لا اله الا انت
او بمعنى اي ○ عن النبي صلعم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن
الحسن ما نجا والله الا اقراره على نفسه بالظلم ○ ننجي وننجي وقرئ ونجي والنون
لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته جعله فعلا وقال نجي النجاء المؤمنين فارسل الياء

الياء وأسنده إلى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فتعسف بارد التعسف ۝ سأل
ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره إلى الله مستسلما
فقال وأنت خير الوارثين أي إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث
۝ إصلاح زوجه أن جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت
سيئة الخلق ۝ الضمير للمذكورين من الأنبياء يريد أنهم ما استحقوا الإجابة إلى
طلباتهم إلا لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون
في الأمور الجادون وقرئ رغبا ورهبا بالإسكان وهو كقوله يحذر الآخرة
ويرجو رحمة ربه خاشعين قال الحسن ذللا لأمر الله وعن مجاهد الخشوع
الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين ۝ وسئل الأعمش فقال أما إني
سألت إبراهيم فقال ألا تدري قلت أفدني قال بينه وبين الله إذا أرخى ستره
وأغلق بابه فلير الله منه خيرا لعلك ترى أنه أن يأكل خشنا ويلبس خشنا
ويطأطئ رأسه أحصنت فرجها إحصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت
ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا فإن قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن
إحيائه قال الله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي أي أحييته وإذا ثبت ذلك
كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الإشكال لأنه يدل على إحياء مريم قلت
معناه نفخنا الروح في عيسى فيها أي أحييناه في جوفها ونحو ذلك أن يقول الزمار
نفخت في بيت فلان أي نفخت في المزمار في بيته ويجوز أن يراد وفعلنا النفخ
في مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلوات الله عليه لأنه نفخ في جيب درعها
فوصل النفخ إلى جوفها فإن قلت هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار
آيتين قلت لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها إياه من غير فحل ۝ الأمة
الملة وهذه إشارة إلى ملة الإسلام أي أن ملة الإسلام هي ملتكم التي
يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة
۝ وأنا إلهكم إله واحد فاعبدون ونصب الحسن أمتكم على البدل من هذه ورفع
أمة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه أو نوى للثاني مبتدأ والخطاب للناس
كافة والأصل وتقطعتم إلا أن الكلام حرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات

كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم ألا ترون
إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا
كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا
لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا وأحزابا شتى ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق
المختلفة إلينا يرجعون فنحاسبهم ونجازيهم ۝ الكفران مثل في حرمان
الثواب كما أن الشكر مثل في إعطائه إذا قيل لله شكور وقد نفي نفي الجنس ليكون
أبلغ من أن يقول فلا نكفر سعيه وإنا له كاتبون أي نحن كاتبو ذلك السعي
ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه ۝
استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله إن الله حرمهما على الكافرين أي منعهما منهم وأبى أن يكونا
لهم وقرئ وحرم وحرم بالفتح والكسر وحرم وحرّم ۝ ومعنى أهلكناها
عزمنا على إهلاكها أو قدرنا إهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر إلى الإسلام
والإنابة ومجاز الآية أن قوما عزم الله على إهلاكهم غير متصور أن يرجعوا
وينيبوا إلى أن تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في
غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني أنهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم
ويموتون عليه حتى يروا العذاب ۝ وقرئ إنهم بالكسر وحق هذا أن يتم
الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كأنه قيل وحرام على قرية أهلكناها ذاك
وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور
ثم علل فقيل إنهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح
حملها على هذا أي لأنهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الأول فإن قلت بم تعلقت حتى
واقعة غاية له وأية الثلاث هي قلت هي متعلقة بحرام وهي غاية له لأن امتناع
رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي
الجملة من الشرط والجزاء أعني إذا وما في حيزها ۝ حذف المضاف إلى يأجوج ومأجوج
وهو سدهما كما حذف المضاف إلى القرية وهو أهلها ۝ وقيل فتحت كما قيل
أهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الإنس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة
منها يأجوج ومأجوج ۝ وهم راجع إلى الناس المسوقين إلى المحشر وقيل هم يأجوج
ومأجوج يخرجون حين يفتح السد ۝ الحدب النشز من الأرض وقرأ ابن عباس

من كل حدب وهو النشز. وقرئ جدث وهو القبر، الثاء حجازية والفاء تميمية. وقرئ ينسلون بضم السين
ونسل وعسل أسرع. وإذا هي إذا المفاجأة، وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء
كقوله تعالى إذا هم يقنطون، فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط
فيتأكد. ولو قيل إذا هي شاخصة أو فهي شاخصة كان سديدا. هي ضمير مبهم
توضحه الأبصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا وأسروا. يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره
يقولون يا ويلنا، ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا. ما تعبدون من دون الله
يحتمل الأصنام وإبليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم
عبدتهم. ويصدقه ما روي أن رسول الله صلعم دخل المسجد وصناديد قريش في
الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجلس إليهم فعرض له النضر بن الحارث
فكلمه رسول الله حتى أفحمه ثم تلا عليهم إنكم وما تعبدون من دون الله الآية
فأقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فأخبره
الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله أما والله لو وجدته لخصمته
فدعوه فقال ابن الزبعرى أأنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك
ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح
وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلعم بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم
بذلك فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم الآية يعني عزيرا والمسيح والملائكة
فإن قلت لم قرنوا بآلهتهم قلت لأنهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة
حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم والنظر إلى وجه العدو باب من العذاب ولأنهم قدروا
أنهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فإذا صادفوا الأمر
على عكس ما قدروا لم يكن شيء أبغض إليهم منهم فإن قلت إذا عنيت بما تعبدون
الأصنام فما معنى لهم فيها زفير قلت إذا كانوا هم وأصنامهم في قرن واحد
جاز أن يقال لهم زفير وإن لم يكن الزافرين إلا هم دون الأصنام للتغليب ولعدم
الإلباس. والحصب المحصوب به أي يحصب بهم في النار والحصب الرمي. وقرئ بسكون
الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا. وعن ابن مسعود
يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز أن يصمهم الله كما يعميهم. الحسنى
الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن إما السعادة وإما البشرى بالثواب

وتفسره / واو وأسروا

الحسيس الصوت الخفي

عدو

فيحصب / أي يحصب دون / الحطب

وأما التوفيق للطاعة. يروى أن عليا رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر
وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيمت الصلاة
فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها. والحسيس الصوت الذي يحس.
والشهوة طلب النفس اللذة. وقرئ لا يحزنهم من أحزن. والفزع الأكبر قيل
النفخة الأخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض
وعن الحسن الانصراف إلى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح
الموت على صورة كبش أملح. أي تستقبلهم الملائكة مهنئين على أبواب الجنة
ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم. فيه حلول العامل في يوم نطوي
لا يحزنهم أو الفزع أو تتلقاهم. وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول. والسجل
بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة أي كما يطوى
الطومار للكتابة أي ليكتب فيه أو لما يكتب فيه لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء
ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات أي لما يكتب فيه من المعاني
الكثيرة. وقيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه. وقيل كاتب
كان لرسول الله صلعم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها. أول خلق مفعول
نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما. والمعنى نعيد أول الخلق
كما بدأناه تشبيها للإعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء. فإن قلت
وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه قلت أوله إيجاده عن العدم فكما أوجده
أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم. فإن قلت ما بال خلق منكرا قلت
هو كقولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته
إرادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق أول الخلق بمعنى أول
الخلائق لأن الخلق مصدر لا يجمع. ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر
يفسره نعيده وما موصولة أي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده. وأول خلق
ظرف لبدأناه أي أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ
الثابت في المعنى. وعدا مصدر مؤكد لأن قوله نعيده عدة للإعادة.
إنا كنا فاعلين أي قادرين على أن نفعل ذلك. عن الشعبي رحمة الله عليه

قال جمعت الفقهاء رأيت الخلوق على بابك كأميره جمع خليقة

إذا كان ظرفا يكون الخلق بمعنى المصدر أي ابتدأناه ويكون المضاف محذوفا أي أول زمان الخلق وما في قول المصنف مصدرية وإذا كان حالا يكون الخلق بمعنى المخلوقة

زبور داود والذكر التوراة وقيل اسم الجنس ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر
ام الكتاب يعني اللوح ○ اي يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا
بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ○ وعن
ابن عباس هي ارض الجنة وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلعم ○ الاشارة
الى المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ
الكفاية وما تبلغ به البغية ○ ارسل صلى الله عليه رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم
ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما اتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله
ان يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى
ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة
للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة
للكفار من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال ○
انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قايم وانما يقوم زيد
وقد اجتمع المثالان في هذه الاية لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد
وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قايم وفايدة اجتماعهما الدلالة على
ان الوحي الى رسول الله مقصور على استيثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل انتم مسلمون
ان الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا
الانداد وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى
ان الذي يوحى الي فتكون ما موصولة ○ آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه
كثر استعماله في الجري مجرى الانذار ومنه قوله فاذنوا بحرب من الله ورسوله
وقول ابن حلزة آذنتنا ببينها اسماء والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم
عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء
كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد
وشهر النبذ واشاعه وآذنهم جميعا بذلك على سواء اي مستوين في الاعلام
به لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها ○ وما توعدونه

من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت
لا ادري متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه والله عالم لا يخفى
عليه ما تجاهرون به من كلام الطاعنين في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحن والاحقاد
للمسلمين وهو مجازيكم عليه ○ وما ادري لعل تاخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر
كيف تعملون او تمتيع لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو
فيه حكمة ○ وقرئ قل وقال على حكاية قول رسول الله صلعم رب احكم على الاكتفاء
بالكسرة ورب احكم على الضم وربي احكم على افعل التفضيل وربي احكم من الاحكام
امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم
كما هو حقهم كما قال اشدد وطاتك على مضر ○ وقرئ تصفون بالياء والتاء كانوا
يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة
فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله والمؤمنين وخذلهم ○
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اقترب للناس حسابهم
حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية غير ست آيات وهي هذان خصمان
الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء عن مقارها
ومن الزلزال ○ ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كانها هي التي
تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او
على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به
كقوله بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض
زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبي
عند طلوع الشمس من مغربها امر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر
الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها
بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به

ومنهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الأفزاع إلا أن يتردوا به ٥ وروي أن هاتين الآيتين نزلتا ليلاً في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدراً وكانوا من بين حزين وباك ومفكر ٥ يوم ترونها منتصب بتذهل والضمير للزلزلة ٥ وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة أي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة فإن قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة ٥ عما أرضعت عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل ٥ وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام ٥ قرئ وترى بالضم من أريتك قائماً أو رؤيتك قائماً والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وأنثه على تأويل الجماعة ٥ وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الأعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه ٥ وما هم بسكارى على التحقيق ٥ ولكن ما أرهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه ٥ وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب فإن قلت لم قيل أولاً ترون ثم قيل ترى على الإفراد قلت لأن الرؤية أولاً علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعاً رائين لها وهي معلقة أخيراً بكون الناس على حال السكر فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائياً لسائرهم ٥ قيل نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلاً يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين والله غير قادر على إحياء من بلي وصار تراباً وهي عامة في كل من تعاطى الجدال

فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال ولا يرجع إلى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين أنه من جعله ولياً لم تثمر له ولايته إلا الإضلال عن طريق الجنة والهداية إلى النار وما أرى رؤساء أهل الأهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالإمامة في دين الله إلا داخلين تحت كل هذا دخولاً أولياً بل هم أشد الشياطين إضلالاً وأقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدويناً ولقنوه أشياعهم تلقيناً وكأنهم ساطوه بلحومهم ودمائهم وإياهم عنى من قال

ويا رب مقفو الخطى بين قومه ... طريق نجاة عندهم مستوي نهج
ولو قرؤوا في اللوح ما خط فيه من ... بيان اعوجاج في طريقته عجوا

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سماواتك وأنبيائك في أرضك وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ٥ والكتبة عليه مثل أي كأنما كتب إضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله ٥ وقرئ أنه فإنه بالفتح والكسر فمن فتح فلأن الأول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كأنما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت إن الله هو الغني الحميد أو على تقدير قيل أو على أن كتب فيه معنى القول ٥ الحسن رحمه الله من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد كأنه قيل إن ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم ٥ والعلقة قطعة الدم الجامدة ٥ والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ ٥ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود إذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء إذا كانت ملساء كأن الله يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة ٥ لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر

الشيطان ويجوز العكس ومن موصول خبر أن وحاصل المعنى كتب على الشيطان أن من تولى ذلك الشخص أو كتب على الشيطان أن ذلك الشخص من تولى الشيطان أو كتب على ذلك الشخص أنه من تولى الشيطان أو أن الشيطان من تولاه وكتب عليه أن الشيطان يضله

على خلق البشر من تراب أولاً ثم من نطفة ثانياً ولا تناسب بين التراب والماء
وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة
مضغة والمضغة عظاماً قدر على إعادة ما أبداه بل هذا أدخل في القدرة
من تلك وأهون في القياس وورود الفعل غير معدى إلى المبين إعلام بأن أفعاله
هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف
وقرأ ابن أبي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون
والنصب ويقر ويخرجكم ويقر ونخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر
بالنون وضم القاف من قررت الماء إذا صببته فالقراءة بالرفع إخبار بأنه
يقر في الأرحام ما يشاء أن يقره من ذلك ٥ إلى أجل مسمى وهو وقت الوضع
آخره ستة أشهر أو تسعة أو سنتين أو أربع أو كما شاء وقدر وما لم يشأ إقراره
مجته الأرحام أو أسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل
ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا
والثاني أن نقر في الأرحام من نقر حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف
فأكلفهم ويعضده هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا أشدكم ونخرجكم ٥
إلى الغرض الدال على الجنس أو على تأويل يخرج كل واحد منكم طفلاً ٥ ثم لتبلغوا أشدكم كمال
القدرة والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد
كالأسدة والقتود وغير ذلك وكأنها شدة في غير شيء واحد
فبنيت لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى أي يتوفاه الله ٥
أرذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الأولى في أوان طفوليته
ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين أنه كما قدر على أن يرقيه
في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على أن يحطه
حتى ينتهي به إلى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً أي ليصير
نساء بحيث إذا كسب علماً في شيء لم ينشب أن ينساه ويزول عنه علمه
حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة
إلا سألك عنه وقرأ أبو عمرو العمر بسكون الميم ٥ هامدة ميتة يابسة

وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها
الله تعالى في كتابه اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت
أي ارتفعت ٥ والبهيج الحسن السار للناظر إليه ٥ أي ذلك الذي ذكرنا من
خلق بني آدم وإحياء الأرض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف
حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو أن الله هو الحق
أي الثابت الموجود وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم
لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعده ٥ عن ابن
عباس أنه أبو جهل بن هشام وقيل كرر كما كررت سائر الأقاصيص
وقيل الأول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى
الاستدلال والنظر لأنه يهدي إلى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي أي يجادل بظن
وتخمين لا بأحد هذه الثلاثة وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد
ولي الجيد وقيل عن الإعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين
أي مانع تعطفه ليضل تعليل للمجادلة وقرئ بضم الياء وفتحها فإن قلت ما كان
غرضه في جداله الضلال عن سبيل الله وكيف علله به وما كان أيضاً مهتدياً
حتى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضلال قلت لما أدى جداله
إلى الضلال جعل كأنه غرضه ولما كان الهدى معرضاً له فتركه وأعرض عنه
وأقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى إلى الضلال وخزي به ما
أصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبب فيما منى به من خزي الدنيا
وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته الفجار وإثابته
الصالحين على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم
على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي يكون على طرف من
العسكر فإن أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن وإلا فر وطار على وجهه
قالوا نزلت في أعاريب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت
فرسه مهراً سرياً وولدت امرأته غلاماً سوياً وكثر ماله
وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً واطمأن

وان كان الامر من خلافه وقال ما اصبت للاسلام شيئا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري
ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلعم
فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت ٥ المصاب بالمحنة بترك التسليم
لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احديهما ذهاب
ما اصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين
وقرئ خاسر الدنيا والاخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية
ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن او على انه خبر مبتدا محذوف
استعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت
مسافة ضلاله فان قلت الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها
في الايتين وهذا تناقض قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله
سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله
وضلاله انه يستنفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا
الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار
بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه
لبئس المولى ولبئس العشير او كرر يدعو كانه قال يدعو يدعو من دون
الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه
بكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام ٥ المولى الناصر
والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين ٥ هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى
ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه
ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص
وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ
منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور
في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي الاختناق
قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي
فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء

لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ
وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي ان ينزل
عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون
ما وعد الله رسوله من النصر واخرون من المشركين يريدون اتباعه و
يخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه ان الارزاق
بيد الله لا تنال الا بمشيته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله
غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق
فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا اي ومثل ذلك الانزال انزلنا
القران كله ايات بينات ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون او
يثبت الذين امنوا ويزيدهم هدى انزله كذلك مبينا ٥ الفصل مطلق
يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير
تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة اربعة للشيطان
وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم
اي بين المؤمنين والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة
التاكيد ونحوه قول جرير ٥ ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به
سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره
لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بادخال افعال المكلف في باب الطاعة والانقياد
وهو السجود الذي كل خضوع دونه فان قلت فما تصنع بقوله وكثير
من الناس وبما فيه من الاعتراضين ٥ احدهما ان السجود على المعنى الذي فسرته
به لا يسجده بعض الناس دون بعض ٥ والثاني ان السجود قد اسند على سبيل
العموم الى من في الارض من الانس والجن اولا فاسناده الى كثير منهم اخرا
مناقضة قلت لا انظم كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة تحت
حكم الفعل وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد اي ويسجد له كثير
من الناس سجود طاعة وعبادة ولم اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر
بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله له

في حالة واحدة على معنيين مختلفين او ان نعطفه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب
لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز ان نجعل من الناس خبرا له
اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز ان يبالغ في تكثير
المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه
قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرئ حُقّ بالضم وقرئ حقا
اي حق عليه العذاب حقا ● ومن يهن الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره
او فسقه فهذا نفي منها انا لن نجد له مكرما وقرئ مكرم بفتح الراء اي المعنى الاكرام
● ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين
واعتقاد المعتقدين ● هذان خصمان صفة وصف بها الفوج او الفريق فكانه قيل هذان
فوجان او فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم
من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان او اختصما جاز يراد المؤمنون
والكافرون قال ابن عباس رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم اي في دينه وصفاته
وروي ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل
نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وما انزل الله
من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا
فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله
ان الله يفصل بينهم يوم القيامة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر ● وقرئ
قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل
عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران
كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران ● من
فوق رؤوسهم الحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها
يصهر يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة اي اذا صب الحميم على رؤوسهم
كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب
جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ● والمقامع
السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان

ما اقلوها ● وعن الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج
فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج
ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها
ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وذوقوا عذاب الحريق اي
المحرق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ● يحلون عن ابن عباس من حليت
المرأة فهي حالية ولؤلؤا بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا
ولؤلؤا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية
ياء كادلي ولولي كادل فيمن جر ولؤلؤ وليليا بقلبهما ياءين عن ابن عباس
● وهدوا الهمهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهدوا هم
الى طريق الجنة ● فقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد به
حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعشة في جميع
ازمنته او قاته ومنه قوله ويصدون عن سبيل الله اي الصدود منهم مستمر
دائم للناس اي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتانئ
وطارئ ومكي وآفاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة قائلين ان المراد
بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعي لا يمتنع
ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقال
انسب الديار الى مالكيها واشترى عمر بن الخطاب دار السجن من مالكيه
او غير مالكيه ● سواء بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب
انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف فيه والبادي وفي قراءة بالرفع
الجملة مفعول ثان ● بالحاد العدول عن القصد واصل الالحاد الحائد وقوله بالحاد
بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال
ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب
على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به و
يقصده ● وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته ● وعن سعيد بن جبير الاحتكار
● وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله ● وعن عبد الله بن عمر

من ذلك ليس بحرف والجواب ان ضعيفان اما الاول فلانه لو لم يكن
[illegible] وغيرهم فسواء اذا احتمل [illegible] ولا
فالوكلون ما لكي المنفعة واما الجواب الثاني فلان المعول

أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فإذا أراد أن يعاتب
أهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل
لا والله وبلى والله ۝ وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من أتى فيه بإلحاد
ظالما ۝ وعن الحسن ومن يرد إلحاده بظلم أراد إلحادا فيه فأضافه على الاتساع
في الظرف كمكر الليل ۝ ومعناه من يرد أن يلحد فيه ظالما وخبر إن محذوف
لدلالة جواب الشرط عليه تقديره إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم
من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك ۝ واذكر حين جعلنا
لإبراهيم مكان البيت مباءة أي مرجعا يرجع إليه للعمارة والعبادة رفع البيت
إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله إبراهيم مكانه بريح
أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على أسه القديم وأن هي المفسرة
فإن قلت كيف يكون النهي عن الشرك والأمر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة
قلت كانت التبوئة مقصودة من أجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا إبراهيم
قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الأصنام والأوثان والأقذار أن
تطرح حوله ۝ وقرئ يشرك بالياء عن الغيبة وأذن في الناس ناد فيهم ۝ وقرأ
ابن محيصن وآذن ۝ والنداء بالحج أن يقول حجوا أو عليكم بالحج ۝ وروي أنه صعد
أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم ۝ وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله
أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام ۝ وقرئ
رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس وعلى كل
ضامر حال معطوفة على حال كأنه قيل رجالا وركبانا يأتين صفة لكل ضامر
لأنه في معنى الجمع ۝ وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان ۝ والعميق البعيد
وقرأ ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق ۝ نكر المنافع
لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في
غيرها من العبادات وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه كان يفاضل بين العبادات قبل
أن يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى
عن النحر والذبح بذكر اسم الله لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا

نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرب به إلى الله أن يذكر اسمه
وقد حسن الكلام تحسينا بينا أن جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم
ولو قيل لينحروا في أيام معلومات بهيمة الأنعام لم تر شيئا من ذلك الحسن و
الروعة ۝ الأيام المعلومات أيام العشر عند أبي حنيفة وهو قول الحسن وقتادة ۝
وعند صاحبيه أيام النحر ۝ البهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر
فبينت بالأنعام وهي الإبل والبقر والضأن والمعز ۝ الأمر بالأكل منها
أمر إباحة لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم ۝ ويجوز أن يكون ندبا
لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب
الفقهاء أن يأكل الموسع من أضحيته مقدار الثلث ۝ وعن ابن مسعود أنه بعث
بهدي وقال فيه إذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه إلى عتبة يعني ابنه
وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا ۝ البائس الذي أصابه بؤس أي شدة ۝
والفقير الذي أضعفه الإعسار قضاء التفث قص الشارب والأظفار ونتف الإبط
والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء إزالة التفث وقرئ وليوفوا بتشديد
الفاء نذورهم مواجب حجهم أو ما عسى ينذرونه من أعمال البر في حجهم و
ليطوفوا طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج ويقع
به تمام التحلل ۝ وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع ۝ العتيق القديم
لأنه أول بيت وضع للناس عن الحسن ۝ وعن قتادة أعتق من الجبابرة كم
من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله ۝ وعن مجاهد لم يملك قط ۝ وعن مجاهد
أعتق من الغرق ۝ وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير فإن قلت
قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط على البيت وإنما تحصن به
ابن الزبير رحمه الله فاحتال لإخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه أبرهة
فعل به ما فعل ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة
من كتابه في بعض المعاني ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا
۝ والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج
وغيرها فيحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج

وعن زيد بن أسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل **فهو خير له** اى فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها الانعام لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وان تحلوا مما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك ولما حث على تعظيم حرماته واحمد من يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب **من الاوثان** بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور وعن النبي صلعم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة

اى الا المحرمة

قوله وقرئ فتخطفه يعني بالتخفيف اصله فتختطفه نقلت حركة التاء الى الخاء وادغمت في الطاء ... وبكسر الخاء والطاء واصله تختطفه ايضا حذفت حركة التاء وادغمت في الطاء وحركت الخاء بالكسر ... وكسرت الطاء اتباعا ... وبكسر التاء مع كسرهما اى مع كسر الخاء والطاء ووجه هذا مثل الوجه الثاني الا انه كسر التاء ايضا ... الثاني والثالث كالوجه الواحد ... اصل الاول واصل الثاني والثالث

الزور الاشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ويجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرئ فتخطفه وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصلها تختطفه وقرئ الرياح ذلك تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان تختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسال رسول الله ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لابد ان يقام به ويسارع فيه **فانها من تقوى القلوب** اى فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لابد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء **الى اجل مسمى** الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية

قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة واعظم هذه المنافع وابعدها
شوطا النفع محلها الى البيت اى وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية
الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان
الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه
واتصل مسيرك بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت
العتيق يأباه ○ شرع الله لكل امة ان ينسكوا له اى يذبحوا لوجهه على وجه التقرب
وجعل العلة في ذلك ان يذكروا اسمه تقدست اسماؤه على النسائك وقرئ
منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى
الموضع فله اسلموا اى اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اى خالصا
لا تشوبوه باشراك ○ المخبتون المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن
من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقرأ الحسن
والمقيمي الصلوة بالنصب على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلوة
على الاصل ○ البدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر
في حكم الابل صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه
والا فالبدن هي الابل وعليه تدل الآية وقرأ الحسن والبدن بضمتين كثمر
في جمع ثمرة وابن ابي اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ
بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه ○ من شعائر الله اى من اعلام الشريعة
التي شرعها الله واضافتها الى اسمه تعظيم لها لكم فيها خير كقوله لكم فيها
منافع ومن شأن الحاج ان يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله ○
عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له
في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير ○ وعن ابن عباس دنيا وآخرة
وعن ابراهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب وذكر
اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك
واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من

اى تعرفا بالبكر

اختيار ثعلب بفتح الهمزة

صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان
البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافي اى خوالص لوجه الله
○ وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف
وعن بعضهم صوافٍ نحو مثل العرب اعط القوس باريها بسكون الياء ○ وجوب
الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس
جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الاكل
منها والاطعام ○ القانع السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسألته
قنوعا ○ والمعتر المعترض بغير سؤال او القانع الراضي بما عنده وبما يعطى
من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المعترض للسؤال وقرأ الحسن
والمعتري وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى وقرأ ابو رجاء القنع وهو
الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع ○ من الله على عباده واستحمد اليهم بان
سخر لهم البدن مثل التسخير الذي رأوا وعلموا يأخذونها منقادة للأخذ طيعة
فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله
لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر منها جرما واقل
قوة وكفى بما يتأبد من الابل شاهدا وعبرة ○ اى لن تصيب رضا الله اللحوم
المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء
والمعنى لن يرضى المضحون والمتقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص
والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية
واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وان
كثر ذلك منهم وقرئ لن تنال ولكن تناله بالتاء والياء وقيل كان اهل الجاهلية
~~اذا كان اهل الجاهلية~~ اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم
فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت ○ كرر تذكير النعمة بالتسخير
ثم قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا و
تهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته
○ خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا

اى قرأ بعضهم صواف

حذف الياء للتخفيف

اوصدورها

وقال إنهم لهم المنصورون وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة
في ذلك أنه لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله
والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ
يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لأن فعل المغالب
يجيء أقوى وأبلغ ۝ أذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبني للفاعل والمفعول
جميعا والمعنى أذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه
بأنهم ظلموا أي بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله كان مشركو
مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلعم من بين مضروب ومشجوج
يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت هذه
الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية
وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم
في مقاتلتهم والإخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة
على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه
العدة أيضا أن يقولوا في محل الجر على الإبدال من حق أو بغير موجب سوى التوحيد
الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج والتسيير
ومثله هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله ۝ دفع الله بعض الناس ببعض
إظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى
المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها
ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا
للمسلمين مساجد أو لغلب المشركون في أمة محمد عليه السلام على المسلمين وعلى أهل
الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت
بالتخفيف وسميت الكنيسة صلوة لأنه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها
بالعبرانية صلوتا من ينصره أي ينصر دينه وأولياءه ۝ هو إخبار
من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضي الله عنهم إن مكناهم
في الأرض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين ۝ وعن عثمان رضي

هذا والله

٦

هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أن الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير
ما أحدثوا وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله لم يعط
التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك
للأنصار والطلقاء ۝ وعن الحسن هم أمة محمد صلعم ۝ وقيل الذين منصوب
بدل من قوله من ينصره والظاهر أنه مجرور تابع للذين أخرجوا ولله عاقبة
الأمور أي مرجعها إلى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه
وإعلاء كلمتهم ۝ يقول لرسول الله عليه تسلية له لست بأوحدي في التكذيب
فقد كذب الرسل قبلك أقوامهم وكفاك بهم أسوة ۝ فإن قلت لم قيل وكذب
موسى ولم يقل وقوم موسى قلت لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه
غير قومه وهم القبط وفيه شيء آخر كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم
رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره
۝ النكير بمعنى الإنكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياة
هلاكا وبالعمارة خرابا ۝ كل مرتفع أظلك من سقف بيت أو خيمة
أو ظلة أو كرم فهو عرش ۝ والخاوي الساقط من خوى النجم إذا سقط
أو الخالي من خوى المنزل إذا خلا من أهله وخوى بطن الحامل وقوله على عروشها
لا يخلو من أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها أي
خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف
أو أنها ساقطة أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها ۝ وإما أن يكون
خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خالية وهي على عروشها أي قائمة مطلة على
عروشها على معنى أن السقوف سقطت إلى الأرض فصارت في قرار
الحيطان وهي ثابتة فهي مشرفة على السقوف الساقطة فإن قلت ما محل
الجملتين من الإعراب أعني وهي ظالمة فهي خاوية قلت الأولى في محل النصب
على الحال والثانية لا محل لها لأنها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له
محل ۝ وقرأ الحسن معطلة من أعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة
أنها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها عطلت أي تركت

لا يستقى منها لهلاك اهلها والمشيد المجصص او المرفوع البنيان ۞ والمعنى
كم قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه
فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على ان على وشرها بمعنى مع
اوجه ۞ وروى ان هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة آلاف نفر ممن آمن به
ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا
حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح
وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا
صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم
الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم ۞ يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على
السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم
فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا
فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا ۞ وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء
اى يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحى ۞ فانها
الضمير ضمير الشان والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا ۞ وفي قراءة ابن مسعود
فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه
والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم
او لا يعتد بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب
فان قلت اى فائدة في ذكر الصدور قلت الذي قد تعورف واعتقد
ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس
نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو
خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج
هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى
هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك
الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانك
وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاء

عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا
۞ انكروا استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل او الآجل كأنه قال ولم يستعجلون
به كأنهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وجل
لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل
ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا كألف سنة
عنده ۞ وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام
عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة او
كأن ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سنى العذاب ۞
وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال ۞ وقرئ تعدون
بالتاء والياء ۞ ثم قال وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم
حينا ثم اخذتهم بالعذاب ۞ والمرجع الى والى حكمي فان قلت لم كانت الاولى
معطوفة بالفاء وهذه بالواو قلت لان الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير
واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله
ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة ۞ يقال سعيت
في امر فلان اذا اصلحته او افسدته بسعيه وعاجزه سابقه لان كل واحد
منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه ۞
والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا
واساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين في زعمهم
وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم فان قلت كان القياس لما
قيل انما انا لكم نذير مبين ذكر الفريقين بعده قلت الحديث مسوق
الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا
ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا ۞ من رسول ولا نبي
دليل بين على تغاير الرسول والنبي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء
فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة
وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع

الى المعجزة والكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب
وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الآية ان رسول
الله صلعم لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على
ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم
ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم
عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم
وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقرأها فلما بلغ
قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في امنيته التي تمناها
اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهم لترتجى وروى الغرانقة ولم يفطن
له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام او تكلم
الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في
النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله و
ابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا والمعنى
ان الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما
تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في اماناتهم مثل ما القى في امنيتك
ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما شاء
من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب
المذبذبين وقيل تمنى قرأ وانشد تمنى كتاب الله اول ليلة
تمنى داود الزبور على رسل ه والامنية القراءة وقيل تلك الغرانيق
اشارة الى الملائكة اي هم الشفعاء لا الاصنام ه فينسخ ما يلقي الشيطان
اي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله آياته اي يثبتها والذين في قلوبهم
مرض المنافقون والشاكون ه والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون
وان الظالمين يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين واصله وانهم
فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم انه الحق من ربك اي

ان اولاد النساء الى آخره وعلى هذا يكون قولنا يوم عقيم مجازا في المرتبة الثانية لان المرأة التي قتل ولدها في الحرب سميت عقيما مجازا لانها لما
لم يكن لها ولد فكانها عقيم ثم نسب العقم الى اليوم مجازا ثانيا وانما سميته مجازا في المرتبة الثانية لان فيه مجازين احدهما في المفرد والثاني في النسبة
والا فالمشهور في المجاز في المرتبة الثانية ان تعدى اللفظ من معناه المجازي الى مجاز آخر فيما قاله ولو لا ان المقابل الى آخره فيهما في الوجه
الاول مع زيادة في آخره لان الحرب سميت عقيما مجازا ثم قيل ابناء الحرب ثم نسب العقم الى اليوم مجازا ثانيا وهذا بعيد
آخر وهو ان سمي المقاتلون ابناء الحرب مجازا للتوهم الحرب ... ومثل الاصل لما لم يكن ان اليوم مثل للاسباب
التي تنوع منها حصول شيء ... اليوم عقيم مجازا ثم نسب الى اليوم مجازا ثانيا ه

ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة وان الله
لهادي الذين آمنوا الى ان يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة
ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين
الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ
لهاد الذين آمنوا ه الضمير في مرية منه للقرآن او للرسول ه اليوم العقيم
يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن
كانهن عقم لم يلدن ه او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا
وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح
عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا ه وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال
الملائكة فيه ه وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته
ويجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة وكانه قيل حتى تأتيهم الساعة
او يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير فان قلت الملك يومئذ التنوين
عن اي جملة ينوب قلت تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم
لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة ه لما جمعتهم
المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وان يعطي من مات منهم مثل
ما يعطي من قتل تفضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب
استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روي ان طوائف
من اصحاب رسول الله قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم
الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله
هاتين الآيتين تسمية الابتداء بالجزاء للملابسة من حيث انه سبب وذاك
مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة فان قلت
كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة الله
على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب
اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل
التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله فمن عفا

والصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى، ولمن صبر وغفر إن ذلك
لمن عزم الأمور «فإن الله لعفو غفور» أي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه
وهو ضامن لنصره في كرّته الثانية من إخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي
عليه ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي ويعرّض مع ذلك بما كان أولى به من العفو
ويلوّح به بذكر هاتين الصفتين أو دلّ بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر
على العقوبة لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده ◦ ذلك أي ذلك النصر
بسبب أنه قادر، ومن آيات قدرته البالغة أنه يولج الليل في النهار
والنهار في الليل أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرّفهما فلا يخفى عليه
ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي والإنصاف ◦ وأنه سميع
لما يقولون بصير بما يفعلون فإن قلت ما معنى إيلاج أحد الملوين في الآخر
قلت تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك
في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء البيت بالسراج ويظلم بفقده
وقيل هو زيادته في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات ◦ وقرئ يدعون
بالياء والتاء، وقرأ اليماني وأن ما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو
راجعة إلى ما لأنه في معنى الآلهة أي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار
والإحاطة بما يجري فيهما وإدراك كل قول وفعل بسبب أنه الله الحق
الثابت إلهيته وأن كل ما يدعى إلهًا دونه باطل الدعوة وأنه
لا شيء أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا ◦ فتصبح مخضرة أي ذات خضرة
على مفعلة كمبقلة ومسبعة فإن قلت هلا قيل فأصبحت ولم صرف إلى
لفظ المضارع قلت لنكتة فيه وهي إفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان
كما تقول أنعم عليّ فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكرا له ولو قلت
فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فإن قلت فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام
قلت لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض لأن معناه إثبات الاخضرار فينقلب
بالنصب إلى نفي الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك ألم تر أني أنعمت عليك
فتشكر إن نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وإن رفعته فأنت مثبت

للتشكر وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم في علم الإعراب وتوقير
أهله «لطيف» واصل علمه أو فضله إلى كل شيء «خبير» بمصالح الخلق ومنافعهم «ما في
الأرض» من البهائم مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك
من سائر المسخرات، وقرئ والفلكُ بالرفع على الابتداء «أن تقع» كراهة أن تقع
إلا بمشيئته «أحياكم» بعد أن كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة «لكفور»
لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم ◦ هو نهي لرسول الله أي لا تلتفت إلى قولهم
ولا تمكنهم من أن ينازعوك ◦ أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله بالمنازعة
في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة، روي أن بديل بن
ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون
ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة ◦ وقال الزجاج هو
نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان أي لا تضاربه وهذا جائز
في الفعل الذي لا يكون إلا بين اثنين «في الأمر» في أمر الدين وقيل في أمر النسائك
وقرئ فلا ينزعنك أي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون أن يجذبوك
ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول الله بما يهيج حميته ويلهب
غضبه لله ولدينه ◦ ومنه قوله ولا يصدنك عن آيات الله
ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات أن ترتع همة
رسول الله حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من إرادة التهييج
والإلهاب ◦ وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته أنزعه أي غلبته أي
لا يغلبنك في المنازعة فإن قلت لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة
بالواو وقد نزعت عن هذه قلت لأن تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها
من الآي الواردة في أمر النسائك فعطفت على أخواتها وأما هذه
فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا ◦ أي وإن أبوا للجاج إلا
المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال فادفعهم
بأن الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم
به ◦ وهذا وعيد وإنذار ولكن برفق ولين «الله يحكم بينكم» خطاب

اراد بقوله الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض

من الله للمؤمنين والكافرين أي نفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة
لرسول الله مما كان يلقى منهم ○ وكيف يخفى عليه ما يعملون ومعلوم
عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث في السموات والأرض وقد كتبه
في اللوح قبل حدوثه والإحاطة بذلك وإثباته وحفظه عليه يسير لأن
العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم ○ ويعبدون ما لم يتمسكوا
في صحة عبادتهم ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا ألجأهم إليها
علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للذين ارتكبوا مثل
هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم ○ المنكر الفظيع من التجهم
والبسور أو الإنكار كالمكرم بمعنى الإكرام ○ وقرئ يعرف
والمنكر ○ والسطو الوثب والبطش ○ وقرئ النار بالرفع على أنه خبر
مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما هو فقيل النار أي هو النار وبالنصب على
الاختصاص وبالجر على البدل من شر من غيظكم على التالين وسطوكم
عليهم ○ أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم و
عدها الله استئناف كلام ○ ويحتمل أن تكون النار مبتدأ ووعدها
خبرا وأن يكون حالا عنها إذا نصبتها أو جررتها بإضمار قد فإن قلت
الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت قد سميت الصفة أو القصة
الرائعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض
الأمثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم ○ وقرئ تدعون
بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول ○ لن أخت لا في نفي المستقبل إلا أن
لن تنفيه نفيا مؤكدا وتأكيده ههنا الدلالة على أن خلق الذباب
منهم مستحيل مناف لأحوالهم كأنه قال محال أن يخلقوا فإن قلت ما محل
ولو اجتمعوا له قلت النصب على الحال كأنه قال مستحيل أن يخلقوا الذباب
مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ
ما أنزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على أن الشيطان
قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالإلهية التي تقتضي الاقتدار على

المقدورات كلها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صورة وتمثيل يستجهل
منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله وأذله وأصغره وأحقره ولو اجتمعوا
لذلك وتساندوا وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم أن هذا
الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه
لم يقدروا وقوله ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب
في الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف لأن الذباب حيوان
وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب ○ وعن ابن عباس أنهم كانوا يطلونها
بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب
من الكوى فيأكله ما قدروا الله حق قدره أي ما عرفوه حق معرفته
حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته بأسرها ولا يؤهلوه للعبادة
ولا يتخذوه شريكا له ○ إن الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز
المغلوب شبيها به ○ هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر
وبيان أن رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر أنه عز وجل دراك
للمدركات عالم بأحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا تخفى عليه
منهم خافية وإليه مرجع الأمور كلها والذي هو بهذه الصفات لا
يسأل عما يفعل وليس لأحد أن يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار
رسله ○ للذكر شأن ليس لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات
على ذلك فمن ثم دعا المؤمنين أولا إلى الصلاة التي هي ذكر خالص ثم
إلى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات
وقيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود
فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود ○ وقيل معنى واعبدوا ربكم
اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله ○ وعن ابن عباس في قوله وافعلوا
الخير صلة الأرحام ومكارم الأخلاق لعلكم تفلحون أي افعلوا هذا
كله وأنتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا
على أعمالكم ○ وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله في سورة
الحج

سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر فضلت
سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي فرأى في سجدتين من سورة
الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون
قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة
وجاهدوا امر بالغزو او بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر
عن النبي صلعم انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى
الجهاد الاكبر في الله اي في ذات الله ومن اجله يقول هو حق عالم وجد عالم
اي عالم حقا وجدا او مثله حق جهاده فان قلت ما وجه هذه الاضافة
وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله
قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد
مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه
ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا ۝
اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وما جعل عليكم في الدين من حرج
فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات
والاروش ونحوه قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة
محمد هي الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة ملة ۝
نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة
ابيكم ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه او على الاختصاص
اي اعني بالدين ملة ابيكم كقوله الحمد لله الحميد فان قلت لم يكن ابرهيم
ابا للامة كلها قلت هو ابو رسول الله صلعم فكان ابا لامته لان امة الرسول
في حكم اولاده ۝ هو يرجع الى الله ۝ وقيل الى ابرهيم ويشهد للقول الاول
قراءة ابي بن كعب الله سماكم من قبل وفي هذا اي من قبل القرآن
في سائر الكتب وفي القرآن اي فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم
الاكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء
على الناس بان الرسل قد بلغتهم ۝ واذ خصكم بهذه الكرامة

والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه ۝ فهو خير مولى
وناصر ۝ عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الحج اعطي من
الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية وثمان عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين
لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات
ما توقعوه والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في
الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراءة
طلحة بن مصرف افلح على البناء للمفعول وعنه افلحوا على اكلوني البراغيث
او على الابهام والتفسير وعنه افلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله
فلو ان الاطبا كان حولي فان قلت ما المؤمن قلت هو في اللغة المصدق واما
في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين احدهما ان كل من نطق بالشهادتين
مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر
التقي دون الفاسق ۝ الخشوع في الصلوة خشية القلب والباد البصر عن
قتادة وهو الزامه موضع السجود ۝ وعن النبي صلعم انه كان يصلي رافعا بصره
الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء
اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن ان يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه بشأن
من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل
الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي
والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك
والاختصار وتقليب الحصا وعن النبي صلعم انه ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة
فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى
وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب
وانت تعبث فان قلت لم اضيفت الصلاة اليهم قلت لان الصلوة دائرة بين المصلي

والمصلى له فالمصلى هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته واما
المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها ○ اللغو ما لا يعنيك من قول
او فعل كاللعب والهزل وما لا توجب المروءة الغاءه واطراحه يعني ان بهم
من الجد ما شغلهم عن الهزل ○ لما وصفهم بالخشوع في الصلاة اتبعه الوصف
بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا
بناء التكليف ○ الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر
الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو
التزكية وهو الذي اراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه
غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل
تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية
وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث
من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة
الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها
الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشد لامية بن ابي الصلت
المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات ○ ويجوز
ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل
البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين
على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها
فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه
قولهم فلانة تحت فلان ومن ثمة سميت المرأة فراشا والمعنى انهم
لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق
على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون
على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة
لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما
ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت يعني ما طلبت منك الا فعلك فان قلت

كانه قال والذين هم لفروجهم غير حافظين الا على ازواجهم فان قلت هلا قيل
من ملكت قلت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم
الاناث جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء
وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء
ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه فان قلت هل فيه دليل
على تحريم المتعة قلت لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج
اذا صح النكاح ○ وقرئ لامانتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد
عليه امانة وعهدا ومنه قوله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان
المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها ○ والراعي القائم على الشيء بحفظ و
اصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ○ ويقال من راعي هذا الشيء اي
متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا
من جهة الله ○ ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس
وعهودهم وقرئ على صلاتهم فان قلت كيف كرر ذكر الصلوة
اولا وآخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا
بالخشوع في صلوتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها و
يؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام
بها وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد
الخشوع في جنس الصلوة اي صلوة كانت وجمعت آخرا لتفاد المحافظة
على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المترتبة مع كل
صلوة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف
وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل
اي اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا
وراثا دون من عداهم ○ ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون
الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الارث

ما مرّ في سورة مريم ٥ الفردوس البستان الواسع الجامع لأنواع الثمر ٥ روي أن الله بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان ٥ السلالة الخلاصة لأنها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ماء بين ظهري الطين فإن قلت ما الفرق بين من ومن قلت الأول للابتداء والثاني للبيان كقوله من الأوثان فإن قلت ما معنى جعلنا الإنسان نطفة قلت معناه أنه خلق جوهر الإنسان أولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة ٥ القرار المستقر والمراد الرحم ٥ وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر أو بمكانتها في نفسها لأنها مكنت بحيث هي وأحرزت ٥ وقرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لأن الإنسان ذو عظام كثيرة ٥ خلقا آخر أي خلقا مباينا للخلق الأول مباينة ما أبعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به أبو حنيفة رحمه الله فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لأنه خلق آخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى أمره في قدرته وعلمه أحسن الخالقين أي أحسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله أذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلعم لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله أحسن الخالقين ٥ وروي أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله فنطق بذلك قبل إملائه

فقال له رسول الله اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله إن كان محمد نبيا يوحى إليه فأنا نبي يوحى إلي فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح ٥ قرأ ابن أبي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت أن الميت كالحي صفة ثابتة وأما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله وضائق به صدرك جعل الإماتة التي هي إعدام الحياة والبعث الذي هو إعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين أيضا على اقتدار عظيم بعد الإنشاء والاختراع فإن قلت فإذن لا حياة إلا حياة الإنشاء وحياة البعث قلت ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حياة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على أن الثلث ليس عندك وأيضا فالغرض ذكر هذه الأجناس الثلاثة الإنشاء والإماتة والإعادة والمطوي ذكرها من جنس الإعادة ٥ الطرائق السموات لأنه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة أو لأنها طرق الملائكة ومتقلبها ٥ وقيل الأفلاك لأنها طرائق الكواكب فيها مسيرها ٥ أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين ٥ وعن حفظها وإمساكها أن تقع فوقهم بقدرتنا أو أراد به الناس وأنه إنما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الأرزاق والبركات منها وينفعهم بأنواع منافعها وما كان غافلا عنهم وما يصلحهم بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون إلى المنفعة أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم فأسكناه في الأرض كقوله فسلكه ينابيع في الأرض وقيل جعلناه ثابتا في الأرض وقيل إنها خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم وكما قدر على إنزاله فهو قادر على رفعه وإزالته

وقوله **على ذهاب به** من أوقع النكرات وأحزها للمفصل والمعنى على وجه
من وجوه الذهاب وطريق من طرقه وفيه إيذان باقتدار المذهِب وأنه
لا يتعايا عليه شيء إذا أراده وهو أبلغ في الإيعاد من قوله قل أرأيتم
إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد أن يستعظموا
النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها إذا لم تشكر ○
خص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع
ووصف النخل والعنب بأن ثمرهما جامع بين أمرين بأنه فاكهة
يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا
وزبيبا والزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ
جميعا ويجوز أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم فلان يأكل من حرفة
يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون أنها
طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه
أرزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون **وشجرة** عطف على
جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء أي ومما أنشئ لكم شجرة ○ من طور
سيناء وطور سينين لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها
سيناء وسينون وإما أن يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف إليه
كامرئ القيس وكبعلبك فيمن أضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع
الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث لأنها بقعة وفعلاء لا تكون ألفه
للتأنيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرفه لأن الألف للتأنيث كصحراء
وقيل هو جبل فلسطين ○ وقيل بين مصر وأيلة ومنه نودي موسى
وقرأ الأعمش سينا على القصر ○ بالدهن في موضع الحال أي تنبت وفيها الدهن
وقرئ تُنبِت وفيه وجهان أحدهما أن أنبت بمعنى نبت وأنشد لزهير
رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل
والثاني أن مفعوله محذوف أي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ
تُنبَت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت ○ وقرأ ابن مسعود تخرج

الدهن وصبغ للآكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف أبي تثمر بالدهن
وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الأعمش وصبغا ○ وقرئ وصباغ ونحوهما
دبغ ودباغ ○ والصبغ الغمس للائتدام ○ وقيل هي أول شجرة نبتت بعد
الطوفان ووصفها الله بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة ○ وقرئ
نسقيكم بتاء مفتوحة أي تسقيكم الأنعام **ومنها تأكلون** أي يتعلق
بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما يتعلق بما لا يؤكل لحمه من البغال
والحمير والخيل ○ وفيها منفعة زائدة وهي الأكل الذي هو انتفاع بذواتها
والقصد بالأنعام إلى الإبل لأنها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك
التي هي السفائن لأنها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت
خدي زمامها يريد صيدحه **غيره** بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجري
مجرى التعليل للأمر بالعبادة **أفلا تتقون** أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله
الذي هو ربكم وخالقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم
ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء **أن يتفضل
عليكم** أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله وتكون لكما الكبرياء في
الأرض **بهذا** إشارة إلى نوح عليه السلام أو إلى ما كلمهم به من الحث على عبادة
الله أي ما سمعنا بمثل هذا الكلام أو بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر أنه رسول
الله وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للإلهية بحجر
وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على أنهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة أو
تكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم لأن يدفعوا الحق بما أمكنهم
وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب ألا تراهم كيف جننوه
وقد علموا أنه أرجح الناس عقلا وأوزنهم قولا ○ والجنة الجنون
أو الجن أي به جن يخبلونه **حتى حين** أي احتملوه واصبروا عليه إلى
زمان حتى ينجلي أمره عن عاقبة فإن أفاق من جنونه وإلا قتلتموه ○
في نصرته إهلاكهم فكأنه قال أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي أو انصرني
بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك أي بدل ذاك ومكانه والمعنى أبدلني

الدهان جمع دهن كالشهاد في جمع شهد والصلاب في جمع صلب

من غمّ تكذيبهم سلوة النفس عليهم او انص نوح بانجاز ما وعده من العذا
وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم **بأعيننا**
بحفظنا وكلائتنا كأن معه من الله حفاظا يكلؤونه بعيونهم لئلا يتعرض
له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة **ووحينا**
أي نأمرك علينا كيف تصنع ونعلمك ۝ روي أنه أوحي إليه أن يصنعها على
مثال جؤجؤ الطائر ۝ روي أنه قيل لنوح إذا رأيت الماء يفور من
التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور
أخبرته امرأته فركب ۝ وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصار
إلى نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل
مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد ۝ وقيل بالشام
بموضع يقال له عين وردة ۝ وقيل بالهند ۝ وعن ابن عباس التنور
وجه الأرض وعن قتادة أشرف موضع في الأرض أي أعلاه ۝ وعن علي رضي الله عنه
فار التنور طلع الفجر ۝ وقيل معناه أن فوران التنور كان عند تنوير
الفجر ۝ وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والقول هو الأول ۝ يقال سلك
فيه دخله وسلك غيره وأسلكه قال ۝ حتى إذا أسلكوهم في قتائدة
من كل زوجين من كل أمتي زوجين وهما أمة الذكر وأمة الأنثى
كالجمال والنوق والحصن والرماك **اثنين** واحدين مزدوجين كالجمل
والناقة والحصان والرمكة روي أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض ۝
وقرئ من كلٍّ بالتنوين أي من كل أمة زوجين واثنين تأكيد وزيادة
بيان ۝ جيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى
إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
ونحوه قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر ليتها كانت
كفافا لا علي ولا لي ولا تخاطبني ينهاه عن الدعاء لهم بالنجاة **قلت** لما تضمنته
الآية من كونهم ظالمين وإيجاب الحكمة أن يغرقوا لا محالة لما عرف من
المصلحة في إغراقهم والمفسدة في استبقائهم وبعد أن أملى لهم الدهر

المتطاول فلم يزيدوا إلا ضلالة ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق إلا أن يجعلوا
عبرة للمعتبرين ولقد بالغ في ذلك حيث أتبع النهي عنه الأمر بالحمد على هلاكهم
والنجاة منهم كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ۝
ثم أمره أن يدعوه بدعاء هو أهم وأنفع له وهو طلب أن ينزله في السفينة
أو في الأرض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير
الدارين وأن يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسألته وهو قوله وأنت
خير المنزلين **فإن قلت** هلا قيل فقولوا لقوله فإذا استويت أنت ومن معك
لأنه في معنى فإذا استويتم **قلت** لأنه نبيهم وإمامهم فكان قوله قولهم
مع ما فيه من الإشعار بفضل النبوة وإظهار كبرياء الربوبية وأن رتبة
تلك المخاطبة لا يترقى إليها إلا ملك أو نبي ۝ وقرئ منزَلا بمعنى إنزالا
أو موضع إنزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه ۝ إن هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وإن الشأن والقصة
كنا مبتلين أي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين
بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها
آية فهل من مدكر **قرنا آخرين** هم عاد قوم هود عن ابن عباس و
تشهد له حكاية الله قول هود واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد
قوم نوح ومجيء قصة هود على إثر قصة نوح في سورة الأعراف وسورة
هود والشعراء **فإن قلت** حق أرسل أن يعدى بإلى كأخواته التي هي وجه
وأنفذ وبعث فما باله عدي في القرآن بإلى تارة وبفي أخرى كقوله كذلك
أرسلناك في أمة وما أرسلنا في قرية من نذير فأرسلنا فيهم رسولا
أي في عاد وفي موضع آخر وإلى عاد أخاهم هودا **قلت** لم يعد بفي كما
عدي بإلى ولم يجعل صلة مثله ولكن الأمة أو القرية جعلت موضعا
للإرسال كما قال رؤبة أرسلت فيها مصعبا ذا إقحام ۝ وقد جاء بعث
على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ۝ أن مفسرة لأرسلنا
أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله **فإن قلت** ذكر مقال قوم هود

في جوابه في سورة الأعراف وسورة هود بغير واو، قال الملأ الذين كفروا
من قومه إنا لنراك في سفاهة، قالوا ما نراك إلا بشرا مثلنا، وههنا
مع الواو فأي فرق بينهما؟ قلت: الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال
فما قال قومه؟ فقيل له قالوا كيت وكيت، وأما الذي مع الواو فعطف لما
قالوه على ما قاله، ومعناه أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل
وشتان ما هما. بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب
كقولك يا حبذا جوار مكة، أي جوار الله في مكة. حذف الضمير، و
المعنى من مشربكم، أو حذف منه لدلالة ما قبله عليه. إذًا واقع في جزاء
الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم، أي تخسرون عقولكم و
تغبنون في آرائكم. ثنى أنكم للتوكيد، وحسن ذلك الفصل ما بين الأول
والثاني بالظرف، ومخرجون خبر عن الأول، أو جعل أنكم مخرجون
مبتدأ، وإذا متم خبرا على معنى إخراجكم إذا متم، ثم أخبر بالجملة
عن أنكم، أو رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كأنه قيل
إذا متم وقع إخراجكم، ثم أوقعت الجملة الشرطية خبرا عن أنكم
وفي قراءة ابن مسعود أيعدكم إذا متم. قرئ هيهات بالفتح والكسر
والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف. فإن قلت
ما توعدون هو المستبعد ومن حقه أن يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله
فهيهات هيهات العقيق وأهله، فما هذه اللام؟ قلت: قال الزجاج
في تفسيره البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فيمن نون، فنزله
منزلة المصدر، وفيه وجه آخر: وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد
ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد، كما جاءت اللام في هيت لك لبيان
المهيت به. هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه، وأصله
إن الحياة إلا حياتنا الدنيا، ثم وضع هي موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها
ويبينها، ومنه هي النفس تتحمل ما حملت، وهي العرب تقول ما شاءت
والمعنى لا حياة إلا هذه الحياة، لأن إن النافية دخلت على هي التي في

معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها، فوازنت لا التي نفت ما بعدها
نفي الجنس. نموت ونحيا أي يموت بعض ويولد بعض، ينقرض قرن ويأتي
قرن آخر. ثم قالوا ما هو إلا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه
له وفيما يعدنا من البعث، وما نحن بمصدقين. قليل صفة للزمان كقديم
وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا، وفي معناه عن قريب، وما
توكيد لمعنى القلة. الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم
فدمرهم. بالحق بالوجوب لأنهم قد استوجبوا الهلاك، أو بالعدل من الله من قولك فلان
يقضي بالحق إذا كان عادلا في قضاياه. شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل
مما بلي واسود من الورق والعيدان، ومنه قوله فجعله غثاء أحوى، وقد جاء
مشددا في قول امرئ القيس: من السيل والغثاء فلكة مغزل. بعدا
وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع أفعالها، وهي من جملة المصادر
التي قال سيبويه نصبت بأفعال لا يستعمل إظهارها، ومعنى بعدا بعدوا
أي هلكوا، يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا. للقوم
الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون. قرونا
قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم، وعن ابن عباس بني إسرائيل. أجلها الوقت
الذي حد لهلاكها وكتب. تترى فعلى الألف للتأنيث لأن الرسل جماعة
وقرئ تترى بالتنوين، والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور، أي متواترين
واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد. أضاف الرسل إليه وإلى أممهم
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات، ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات، لأن
الإضافة تكون بالملابسة، والرسول ملابس المرسل والمرسل إليه جميعا.
فأتبعنا الأمم أو القرون بعضهم بعضا في الإهلاك. وجعلناهم أحاديث أخبارا يسمر
بها ويتعجب منها، والأحاديث تكون اسم جمع للحديث، ومنه أحاديث
رسول الله، وتكون جمعا للأحدوثة التي هي مثل الأضحوكة والألعوبة و
الأعجوبة، وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا، وهو المراد ههنا.
فإن قلت: ما المراد بالسلطان المبين؟ قلت: يجوز أن تراد العصا لأنها كانت

أم آيات موسى وأولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية
وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر
بضربها بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا
ورشاء جعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك
عطفت عليها كقوله وجبريل وميكائيل ويجوز أن تراد الآيات
أنفسها أي هي آيات وحجة بينة عالين متكبرين إن فرعون
علا في الأرض لا يريدون علوا أي في الأرض أو متطاولين على الناس قاهرين بالبغي
والظلم ٥ البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين فإما ترين
من البشر ٥ ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر و
المؤنث إنكم إذا مثلهم ومن الأرض مثلهن ويقال أيضا هما مثلاه
وهم أمثاله إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم وقومهما
يعني بني إسرائيل كأنهم يعبدوننا خضوعا وتذللا أو لأنه كان يدعي
الإلهية فادعى للناس العبادة وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة
موسى الكتاب أي قوم موسى التوراة لعلهم يعملون بشرائعها
ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملئهم يريد آل فرعون
وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز أن يرجع
الضمير في لعلهم إلى فرعون وملئه لأن التوراة إنما أوتيها بنو إسرائيل
بعد إغراق فرعون وملئه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما
أهلكنا القرون الأولى فإن قلت لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه
قلت نعم لأن مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله ألقي
إليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات أخر فكان
آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم
آية وأمه آية ثم حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها ٥ الربوة
والرباوة في رائهما الحركات وقرئ بربوة ورباوة
بالضم ورباوة بالكسر وهي الأرض المرتفعة قيل هي إيليا

أرض بيت المقدس وأنها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب
وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن أبي هريرة الزموا هذه
الرملة رملة فلسطين فإنها الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر ٥ والقرار المستقر
من أرض مستوية منبسطة ٥ وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني أنه لأجل الثمار
يستقر فيها ساكنوها ٥ والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض وقد اختلف
في زيادة ميمه وأصالته فوجه من جعله مفعولا أنه مدرك بالعين لظهوره من عانه
إذا أدركه بعينه نحو ركبه إذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا أنه
نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة ٥ هذا النداء والخطاب ليسا
على ظاهرهما وكيف والرسل إنما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة وإنما
المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع
أن أمرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه ٥
والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام
فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس
ويحفظ العقل أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه ويشهد
له مجيئه على عقب قوله وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز أن
يقع هذا الإعلام عند إيواء عيسى ومريم إلى الربوة فذكر على سبيل
الحكاية أي آويناهما وقلنا لهما هذا أي أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا
بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل ٥ قرئ وإن بالكسر
على الاستئناف وأن بمعنى ولأن وأن مخففة من الثقيلة ٥ وأمتكم مرفوعة
معها ٥ وقرئ زبرا جمع زبور أي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم أديانا
وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء
كرسل ورسل ٥ أي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم
فرح بباطله مطمئن النفس معتقد أنه على الحق ٥ الغمرة الماء الذي
يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم أو شبهوا
باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال ٥ كأنني ضارب في غمرة لعب ٥

وعن علي رضي الله عنه في غمرتهم **حتى حين** الى ان يقتلوا او يموتوا سلّى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهاه عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره ۞ وقرئ
يمدّهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه ويجوز في يسارع
ويسرع ان يتضمن ضمير الممدّ به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا
الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم
يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب
قبل وقته ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين ۞ وبل
استدراك لقوله أيحسبون بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور
حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك أهو استدراج ام مسارعة في الخير
فان قلت اين الراجع من خبر انّ الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميره **قلت** هو
محذوف تقديره نسارع به ويسارع به ويسارع الله به كقوله ان ذلك من
عزم الامور اي ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع امن الالتباس **يؤتون**
ما آتوا يعطون ما اعطوا وعن قراءة رسول الله وعائشة يأتون ما أتوا اي
يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق
ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي
يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه **يسارعون**
في الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة
فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام
كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه اجره في
الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في
نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات
ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات **لها سابقون** اي فاعلون
السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون اي ينالونها قبل الآخرة
حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم
لها كمعنى قوله انت لها احمد من بين البشر ۞ يعني ان هذا الذي وصف به الصالحون

غير خارج من حد الوسع والطاقة ۞ وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه
من الاعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح او صحيفة
الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤون منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة
فيه ولا نقصان ۞ ولا يظلم منهم احد او اراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان
لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد ان يستفرغ وسعه
ويبذل طاقته فلا عليه **ولدينا كتاب** فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم
احدا من حقه ولا نحطه دون درجته ۞ بل قلوب الكفرة ۞ في غفلة غامرة لها
من هذا اي مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين **ولهم اعمال** متجاوزة متخطية
لذلك اي لما وصف به المؤمنون **هم لها** معتادون وبها ضارون لا يفطمون
عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب **وحتى** هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام
والكلام الجملة الشرطية ۞ والعذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا
عليهم رسول الله فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم
سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب
والعظام المحترقة والقد والاولاد ۞ الجؤار الصراخ باستغاثة قال
جأر ساعات النيام لربه ۞ اي فقال لهم حينئذ لا تجأروا فان الجؤار غير
نافع لكم **منا لا تنصرون** لا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم
نصر ومعونة ۞ قالوا الضمير في به للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون
لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار
بالبيت وانه لم تكن لهم مفخرة الا انهم ولاته والقائمون به
ويجوز ان يرجع الى آياتي الا انه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم
بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي
تعديته او يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون
بسببه او تتعلق الباء بسامرا اي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا
يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن
وتسميته سحرا او شعرا او سب رسول الله صلى الله عليه او يتهجرون

والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرى سمرا وسمارا وتهجرون
من اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة
في هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان • القول القرآن يقول افلم يتدبروه
ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به • بل اجاءهم ما لم يات آباءهم
فلذلك انكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون
او ليخافوا عند تدبر آياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين
ام جاءهم من الامن ما لم يات آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه
ورسله واطاعوه وآباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان • وعن النبي
صلى الله عليه لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه
كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن
مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في ان تبعا
كان مسلما وروى في ان ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود
ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وامانته وصدقه
وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها
ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا • الجنة الجنون
وكانوا يعلمون انه بريء منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه
جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشأوا عليه وسيط بلحومهم
ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج
والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة
الى الجنون والسحر والشعر فان قلت قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون
الحق قلت كان فيهم من يترك الايمان به انفة واستنكافا من توبيخ قومه
ولئلا يقولوا صبا وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب
فان قلت يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه قلت يا سبحان الله كان ابا
طالب كان اخمل اعمام رسول الله حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلام
ابي طالب • دل بهذا على عظم شان الحق ولان السموات والارض ما قامت ولا من

فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى
له بعده قوام او اراد ان الحق الذي جاء به محمد وهو الاسلام لو اتبع اهواءهم
وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر • وعن قتادة
ان الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويامر بالشرك و
المعاصي لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر على ان يمسك السموات والارض •
بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر
الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد
الله المخلصين وقرى بذكراهم • وقرى خرجا فخراج وخرجا فخرج وخراجا
فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة ارضك والى كل عامل من اجرته
وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه
ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة
اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرا خرجا فخراج ربك يعني
ام تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير
• قد الزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي
ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان
يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه
الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء
اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم
مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتامل واستهتارهم
بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات
التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم
عما فيه حظهم من الذكر يحتمل ان هؤلاء وصفتهم انهم لا يؤمنون بالآخرة
لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم
وان كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب • لما اسلم ثمامة بن
اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله

بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلعم فقال له أنشدك الله
والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء
بالسيف والأبناء بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال
والقحط الذي أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا إلى ما كانوا
عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله والمؤمنين وإفراطهم فيها ولذهب
عنهم هذا الإبلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه ○ واستشهد على ذلك
بأنا أخذناهم أولاً بالسيوف وما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم
وأسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع ○ حتى فتحنا عليهم
باب الجوع الذي هو أشد من الأسر والقتل وهو أطم العذاب فأبلسوا الساعة
وخضعت رقابهم وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة في العناد يستعطفك
أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى
إذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ○ ويوم تقوم الساعة يبلس
المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والإبلاس اليأس من كل خير وقيل
السكوت مع التحير فإن قلت ما وزن استكان قلت استفعل من الكون أي انتقل
من كون إلى كون كما قيل استحال إذا انتقل من حال إلى حال ويجوز أن يكون افتعل من السكون
أشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح فإن قلت هلا قيل وما تضرعوا أو فما يتضرعون
قلت لأن المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من
عادة هؤلاء أن يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد
وقرئ فتّحنا ○ إنما خص السمع والأبصار والأفئدة لأنه يتعلق بها
من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها
أن يعملوا أبصارهم وأسماعهم في آيات الله وأفعاله ثم ينظروا ويستدلوا
بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى فما أغنى عنهم
سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله
ومقدمة شكر النعمة فيها الإقرار بالمنعم بها وأن لا يجعل له ند
وشريك ○ أي تشكرون شكراً قليلاً وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقاً

ذرأكم خلقكم وبثكم بالتناسل وإليه تحشرون يوم القيامة بعد تفرقكم
وله اختلاف الليل والنهار أي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما
غيره ○ وقرئ يعقلون بالياء عن أبي عمرو أي قال أهل مكة كما قال الكفار
قبلهم ○ الأساطير جمع أسطار جمع سطر قال رؤبة إني وأسطار سطرن سطرا
وهي ما كتبه الأولون مما لا حقيقة له وجمع أسطورة أوفق أي أجيبوني
عما استعلمتكم منه إن كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط
جهالتهم بالديانات أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين ○ وقرئ تذكرون
بحذف التاء الثانية ومعناه أفلا تتذكرون فتعلموا أن من فطر الأرض
ومن فيها اختراعاً كان قادراً على إعادة الخلق وكان حقيقاً بأن لا يشرك
به بعض خلقه في الربوبية ○ قرئ الأول باللام لا غير والأخيران باللام وهو
هكذا في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف
أهل البصرة فباللام على المعنى لأن قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام
على اللفظ ويجوز قراءة الأول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية ○ أفلا تتقون
أفلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله ○ أجرت فلاناً على فلان إذا
أغثته منه ومنعته وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه
أحداً ○ تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان
والهوى ○ وقرئ أتيتهم وأتيتهم بالفتح والضم ○ بالحق بأن نسبة الولد
إليه محال والشرك باطل ○ وإنهم لكاذبون حيث يدعون له ولداً ومعه
شريكاً ○ لذهب كل إله بما خلق لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي
خلقه واستبد به ○ ولعلا بعضهم على بعض ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزاً عن ملك الآخرين
ولغلب بعضهم بعضاً كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم
متغالبون وحين لم تروا أثر التمايز للممالك وللتغالب فاعلموا أنه
إله واحد بيده ملكوت كل شيء ○ فإن قلت إذن لا تدخل إلا على كلام هو جزاء
وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجواباً ولم يتقدمه شرط ولا
سؤال سائل قلت الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وإنما حذف

لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين
عما يصفون من الانداد والاولاد **عالم الغيب** بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدا محذوف
ما والنون مؤكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا
او في الآخرة **فلا تجعلني** قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم ○ عن الحسن اخبره الله ان له
في امته نقمة ولم يخبره افي حياته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا
الدعاء **فان قلت** كيف يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب ان
لا يجعله معهم **قلت** يجوز ان يسأل العبد ربه ما علم انه يفعله وان
يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخباتا
له واستغفاره صلعم اذا قام من مجلسه سبعين مرة او مائة مرة لذلك ○ وما
احسن قول الحسن في قول ابي بكر رضه وليتكم ولست بخيركم كان يعلم انه خيرهم
ولكن المؤمن يهضم نفسه ○ وقرئ ترئنّي بالهمز كما قرئ فاما ترئنّ و
لترؤنّ الجحيم وهي ضعيفة ○ وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل
الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار ○ كانوا ينكرون الموعد بالعذاب
ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز
ما وعد ان تاملتم فما وجه هذا الانكار ○ هو ابلغ من ان يقال بالحسنة
السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح
عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان
وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه
قضية قوله بالتي هي احسن ○ وعن ابن عباس رضي شهادة ان لا اله الا الله و
السيئة الشرك ○ وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه ○ وعن الحسن
الاغضاء والصفح ○ وقيل هي منسوخة باية السيف ○ وقيل محكمة لان
المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروءة **بما يصفون**
بما يذكرونه من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم لك وسوء ذكرهم
والله اعلم بذلك منك واقدر على جزائهم ○ الهمز النخس ○
والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين

يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا
لها على المشي ونحو الهمز الاز في قوله تؤزهم ازا ○ امر بالتعوذ من نخساتهم
بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من ان يحضروه اصلا ويحوموا
حوله ○ وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع **حتى**
يتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما
على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان
يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم او على قوله وانهم لكاذبون
خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم
وقوله الا فارحموني يا اله محمد ○ اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر
ادركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسال الرجعة
وقال لعلي اعمل صالحا في الايمان الذي تركته ○ والمعنى لعلي آتي
بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا كما تقول لعلي ابني على اس تريد اؤسس
اسا وابني عليه ○ وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلعم اذا عاين المؤمن
الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان
بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون **كلا** ردع عن طلب
الرجعة وانكار واستبعاد والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها
مع بعض وهي قوله لعلي اعمل صالحا فيما تركت **هو قائلها** لا محالة لا يخليها ولا
يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او هو قائلها وحده
لا يجاب اليها ولا تسمع منه **ومن ورائهم برزخ** والضمير للجماعة اي امامهم
حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث ليس المعنى انهم يرجعون يوم
البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة
○ الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن ابي رزين وهذا
دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ○ ونفي الانساب يحتمل ان التقاطع
يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم
والتالف الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب

لا ولا التعاطف والتراحم من الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه
وابيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يتساءلون بادغام التاء
في السين فان قلت قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسأل حميم حميما قوله واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما قلت
فيه جوابان احدهما ان يوم القيامة مقداره خمسون الف سنة ففيه ازمنة
واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون
لذلك لشدة الهول والفزع والثاني ان التناكر يكون عند النفخة
الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا وعن ابن عباس
الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال اي الصالحات التي لها وزن
وقدر عند الله من قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا في جهنم خالدون
بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها
او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدأ محذوف تلفح تسفع وقال الزجاج
اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تأثيرا والكلوح ان تتقلص
الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية وعن
مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق برأس
اخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن وروي عن النبي
انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه
وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون غلبت علينا
ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه
والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم
قرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما اخسئوا فيها
ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب
وخسأ بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف
قيل هو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير
والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون وعن ابن عباس ان

لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا
فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم
بانه اذا دعي الله وحده فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون
فينادون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا فينادون الفا اخرجنا
نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها
في حرف ابي انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه السخري بالضم والكسر مصدر سخر
كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص
وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية
اي تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل
اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين
حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه اي تركتم
ان تذكروني فتخافوني في اوليائي وقرئ انهم بالفتح فالكسر استئناف اي قد
فازوا حيث صبروا فجزيتهم بصبرهم احسن الجزاء والفتح على انه مفعول جزيتهم كقولك
جزيتهم فوزهم قال في مصاحف اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين
والبصرة والشام ففي قال ضمير الله او المأمور بسؤالهم من الملائكة وفي قل ضمير الملك
او بعض رؤساء اهل النار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى
خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر
ما مر عليه من ايام الدعة اليها او لانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار
او لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله في تقالهم لسني لبثهم
في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فاسأل العادين
والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقلها ونحسبه يوما او بعض
يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها فسل من فيه ان يعد
ومن يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون اعمار
العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول
وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم
وعن ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين عبثا حال اي عابثين

كقوله لاعبين، او مفعول له اى ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة
اقتضت ذلك وهى ان نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصى ثم
نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسىء وانكم الينا
لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اى للعبث ولترككم
غير مرجوعين • وقرئ ترجعون بفتح التاء • الحق الذى يحق له الملك لان كل شىء
منه واليه او الثابت الذى لا يزول ولا يزول ملكه • وصف العرش بالكريم لان الرحمة
تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم
اذا كان ساكنوه كراما • وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد • لا برهان
له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهى صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه
جىء بها للتوكيد لا ان يكون فى الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون
اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله
مثيبه • وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل
حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون فى موضع الضمير لان من يدع فى معنى
الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح فى معنى حسابهم انهم لا يفلحون جعل
فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد فى خاتمتها انه لا يفلح الكافرون
فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة • عن رسول الله صلى الله عليه
من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما
تقر به عينه عند نزول ملك الموت • وروى ان اول سورة قد افلح
وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع آيات
من آخرها فقد نجا وافلح • وعن عمر بن الخطاب رضه كان رسول الله صلى الله عليه
اذا انزل عليه الوحى يسمع عنده دوى كدوى النحل فمكثنا ساعة
فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا
واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا
وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت على عشر آيات من اقامهن دخل
الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر •

سورة النور مدنية وهى اثنتان وستون آية وقيل اربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدإ محذوف وانزلناها صفة او هى مبتدأ موصوف والخبر محذوف اى فيما اوحينا
اليك سورة انزلناها • وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة
للمضمر فكانت فى حكمه او على دونك سورة او اتل سورة وانزلناها صفة • ومعنى فرضناها
فرضنا احكامها التى فيها • واصل الفرض القطع اى جعلناها واجبة مقطوعا بها • والتشديد
للمبالغة فى الايجاب وتوكيده • او لان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة
وفرضت الفرائض • او لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم • تذكرون
بتشديد الذال وتخفيفها • رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى
فيما فرض عليكم الزانية والزانى اى جلدهما • ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت
الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذى وتضمينه معنى الشرط تقديره التى زنت والذى زنى
فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة
شهداء فاجلدوهم • وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة
انزلناها لاجل الامر • وقرئ والزان بلا ياء • والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك
ظهره وبطنه وراسه • فان قلت اهذا حكم جميع الزناة والزوانى ام حكم بعضهم قلت
بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابى حنيفة
ست الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول • اذا فقدت
واحدة منها فلا احصان • وعند الشافعى الاسلام ليس بشرط لما روى ان رسول الله
رجم يهوديين • وحجة ابى حنيفة قوله عليه من اشرك بالله فليس بمحصن • فان قلت
اللفظ يقتضى تعليق الحكم بجميع الزناة والزوانى لان قوله الزانية والزانى عام
فى الجميع يتناول المحصن وغير المحصن • قلت الزانية والزانى يدلان على الجنسين
المنافيين لجنسى العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة فى الكل
والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك • وقرئ ولا يأخذكم
بالياء • ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة • والمعنى ان الواجب على المؤمنين
ان يتصلبوا فى دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة

في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد
لقطعت يدها. وقوله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج وإلهاب الغضب لله
ولدينه. وقيل لا تترحموا عليهما حتى تعطلوا الحدود أو حتى لا توجعوهما ضربا
وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له أأنت
أرحم به مني فيؤمر به إلى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك
فيؤمر به إلى النار. وعن أبي هريرة إقامة حد بأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة
وعلى الإمام أن ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب. والرجل يجلد قائما
على تجرده ليس عليه إلا إزاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الأعضاء
كلها لا يستثنى منها إلا ثلاثة الوجه والرأس والفرج وفي لفظ الجلد إشارة إلى أنه
لا ينبغي أن يتجاوز الألم إلى اللحم. والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها إلا الحشو
والفرو. وبظاهر الآية استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن الجلد حد غير المحصن
بلا تغريب. وما احتج به الشافعي رحمه الله على وجوب التغريب من قوله عليه السلام البكر بالبكر
جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة أنهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند
أصحابه بالآية أو محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب. وقول الشافعي
في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلاثة أقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة
كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال أبو حنيفة. وبهذه الآية نسخ الحبس والأذى في قوله
فأمسكوهن في البيوت وقوله فآذوهما. وقيل تسميته عذابا دليل على أنه عقوبة
ويجوز أن يسمى عذابا لأنه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا. الطائفة الفرقة التي يمكن
أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة
حول الشيء. وعن ابن عباس في تفسيرها أربعة إلى أربعين رجلا من المصدقين بالله. وعن
الحسن عشرة. وعن قتادة ثلاثة فصاعدا. وعن عكرمة رجلان فصاعدا. وعن مجاهد
الواحد فما فوقه. وفضل قول ابن عباس لأن الأربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد
والصحيح أن هذه الكبيرة من أمهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس
في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما وقال ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة
وساء سبيلا. وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنى فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا

وثلاث في الآخرة فأما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر
وأما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار. ولذلك
وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة
الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه وأمر بشهادة الطائفة
للتشهير فوجب أن تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك
المثابة. واختصاصه المؤمنين لأن ذلك أفضح والفاسق بين صلحاء قومه أخجل ويشهد
له قول ابن عباس إلى أربعين رجلا من المصدقين بالله. الفاسق الخبيث الذي من شأنه
الزنى والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته وإنما يرغب
في فاسقة خبيثة من شكله أو في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب
في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وإنما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة
أو المشركين. ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه
بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنى محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق
وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وأنواع المفاسد
ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني و
القحاب وقد نبه على ذلك بقوله وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم
وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في
نكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت. وعن عائشة رضي الله عنها أن الرجل إذا زنى بامرأة
ليس له أن يتزوجها لهذه الآية وإذا باشرها كان زانيا. وقد أجازه ابن عباس وشبهه
بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله
سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال. وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس
بقول لأمرين أحدهما أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم ترد إلا في معنى العقد والثاني
فساد المعنى وأداؤه إلى قولك الزاني لا يزني إلا بزانية والزانية لا يزني بها إلا زان
وقيل كان نكاح الزانية محرما في أول الإسلام ثم نسخ والناسخ قوله وأنكحوا الأيامى
منكم وقيل الإجماع وروي ذلك عن سعيد بن المسيب. فإن قلت أي فرق بين معنى الجملة الأولى
ومعنى الثانية قلت معنى الأولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر

أي النسخ

ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة وهما
معنيان مختلفان فإن قلت كيف قدمت الزانية على الزاني أولاً ثم قدم عليها ثانياً قلت
سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية
لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت
أصلاً وأولاً في ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل
أصل فيه لأنه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب ۝ وعن عمرو بن عبيد
لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع أيضاً فيه معنى النهي ولكن أبلغ وآكد كما أن
رحمك الله ويرحمك أبلغ من ليرحمك ۝ ويجوز أن يكون خبراً محضاً على أن عادتهم
جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها
وقرئ وحرم بفتح الحاء ۝ القذف يكون بالزنا وبغيره والذي دل على أن المراد
قذفهن بالزنا شيئان أحدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني والثاني اشتراط أربعة
شهداء لأن القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا أن يقول الحر
العاقل البالغ لمحصنة يا زانية ۝ أو لمحصن يا زاني ۝ يا ابن الزاني يا ابن الزانية
يا ولد الزنا ۝ لست لأبيك ۝ لست لرشدة ۝ والقذف بغير الزنا أن يقول يا آكل
الربا ۝ يا شارب الخمر ۝ يا يهودي ۝ يا مجوسي ۝ يا فاسق ۝ يا خبيث يا ماص بظر أمه ۝ فعليه
التعزير ولا يبلغ به أدنى حد العبيد وهو أربعون بل ينقص منه ۝ وقال أبو يوسف
يجوز أن يبلغ به تسعة وسبعون ۝ وقال للإمام أن يعزر إلى المائة ۝ وشروط إحصان
القذف خمسة الحرية ۝ والبلوغ ۝ والعقل ۝ والإسلام ۝ والعفة ۝ وقرئ بأربعة شهداء بالتنوين
وشهداء صفة فإن قلت كيف يشهدون مجتمعين أو متفرقين قلت الواجب عند أبي حنيفة
وأصحابه أن يحضروا في مجلس واحد وإن جاؤوا متفرقين كانوا قذفة ۝ وعند الشافعي يجوز
أن يحضروا متفرقين فإن قلت هل يجوز أن يكون زوج المقذوفة واحداً منهم قلت
يجوز عند أبي حنيفة خلافاً للشافعي فإن قلت كيف يجلد القاذف قلت كما جلد الزاني
إلا أنه لا ينزع عنه من ثيابه إلا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو والقاذفة
أيضاً كالزانية ۝ وأشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر
ثم ضرب القاذف قالوا لأن سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب إلا أنه عوقب صيانة

[illegible]

للأعراض وردعاً عن هتكها فإن قلت فإذا لم يكن المقذوف محصناً قلت يعزر القاذف ولا
يحد إلا أن يكون المقذوف معروفاً بما قذف به فلا حد ولا تعزير ورد شهادة القاذف
معلق عند أبي حنيفة رحمه الله باستيفاء الحد فإذا شهد قبل الحد أو قبل تمام استيفائه قبلت
شهادته فإذا استوفي لم تقبل شهادته أبداً وإن تاب وكان من الأبرار الأتقياء ۝ وعند الشافعي
يتعلق رد شهادته بنفس القذف فإذا تاب عن القذف بأن يرجع عنه عاد مقبول الشهادة
وكلاهما متمسك بالآية فأبو حنيفة جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة
عقيب الجلد على التأبيد فكانوا مردودي الشهادة عنده في أبدهم وهو مدة حياتهم وجعل
قوله وأولئك هم الفاسقون كلاماً مستأنفاً غير داخل في حيز جزاء الشرط كأنه حكاية
حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية وإلا الذين تابوا استثناء من الفا[سقين]
ويدل عليه قوله فإن الله غفور رحيم والشافعي جعل جزاء الشرط الجملتين أيضاً غير
أنه صرف الأبد إلى مدة كونه قاذفاً وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل
الاستثناء متعلقاً بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده أن يكون مجروراً بدلاً من هم في
لهم وحقه عند أبي حنيفة أن يكون منصوباً لأنه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية
ونظمها أن تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كأنه قيل ومن قذف المحصنات
فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم أي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق
إلا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فإن الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين
ولا مردودين ولا مفسقين فإن قلت الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل
شهادته بالإجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عنده
أي أبي حنيفة كأن القذف مع الكفر أهون من القذف مع الإسلام قلت المسلمون
لا يعبأون بسب الكفار لأنهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف
بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من
المسلمين ردعاً وكفاً عن إلحاق الشنار فإن قلت هل للمقذوف أو للإمام أن يعفو
عن حد القاذف قلت لهما ذلك قبل أن يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف
مندوب إلى أن لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن من الإمام أن يحمل المقذوف
على كظم الغيظ ويقول له أعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فإذا ثبت

وهذا السابق إلى الآن الجزاء وهو قوله وأولئك هم الفاسقون في معنى الحكم فلذلك صح عطفه عليه ه

[illegible]

لم يكن لواحد منهما أن يعفو لأنه خالص حق الله وللمقذوف أن يصالح عنه بمال. فإن قلت
هل يورث الحد؟ قلت عند أبي حنيفة لا يورث لقوله عليه السلام الحد لا يورث. ويورث عند الشافعي
وإذا تاب القاذف قبل أن يثبت الحد سقط. وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت
حين تاب مما قال في عائشة رضي الله عنها. قاذف امرأته إذا كان مسلماً حراً عاقلاً بالغاً غير
محدود في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما إذا قذفها
بصريح الزنى وهو أن يقول لها يا زانية أو زنيت أو رأيتك تزنين. وإذا كان
الزوج عبداً أو محدوداً في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الأجنبيات
وما لم ترافعه إلى الإمام لم يجب اللعان. واللعان أن يبدأ الرجل فيشهد أربع شهادات
بالله إنه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنى ويقول في الخامسة أن لعنة الله عليه
إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنى وتقول المرأة أربع مرات أشهد
بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنى ثم تقول في الخامسة أن غضب
الله عليها إن كان من الصادقين فيما رماني به من الزنى. وعند الشافعي يقام
الرجل قائماً حتى يشهد ويأمر الإمام من يضع يده على فيه ويقول له إني أخاف
إن لم تكن صادقاً أن تبوء بلعنة الله. وقال اللعان بمكة بين المقام
والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك
في الكنيسة وحيث يعظم وإذا لم يكن له دين ففي مساجدنا إلا في المسجد
الحرام لقوله تعالى إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام. ثم يفرق القاضي
بينهما ولا تقع الفرقة بينهما إلا بتفريقه عند أبي حنيفة وأصحابه إلا عند زفر
فإن الفرقة تقع باللعان. وعن عثمان البتي لا فرقة أصلاً. وعند الشافعي
تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد
ولا يتأبد حكمها فإذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز أن يتزوجها
وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب
تحريماً مؤبداً ليس لهما أن يجتمعا بعد ذلك بوجه. وروي أن آية القذف لما نزلت
قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الأنصاري فقال جعلني الله فداك
إن وجد رجل مع امرأته رجلاً فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته أبداً وفسق وإن

ضربه بالسيف قتل وإن سكت سكت على غيظ وإلى أن يجيء بأربعة شهداء فقد قضى
الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال
ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال
هذا والله سؤالي ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبر عاصم رسول الله فكلم خولة
فقالت لا أدري ألغيرة أدركته أم بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال
لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها
أن لعنة الله عليه أن غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال لها إن كنت ألممت
بذنب فاعترفي به فالرجم أهون عليك من غضب الله إن غضبه هو النار وقال تحينوا
بها الولادة فإن جاءت به أصيهب أثيبج يضرب إلى السواد فهو لشريك وإن جاءت به
أورق جعداً جمالياً خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت
بأشبه خلق الله لشريك فقال عليه السلام لولا الأيمان لكان لي ولها شأن. وقرئ ولم تكن
بالتاء لأن الشهداء جماعة أو لأنهم في معنى الأنفس التي هي بدل ووجه من قرأ أربع
أن ينتصب لأنه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة أحدهم وهي مبتدأ
محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات وقرئ أن لعنة الله
وأن غضب الله على تخفيف أن ورفع ما بعدها. وقرئ أن غضب الله على فعل الغضب
وقرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة. فإن قلت لم خصت الملاعنة
بأن تخمس بغضب الله؟ قلت تغليظاً عليها لأنها هي أصل الفجور ومنبعه بخلابتها
وإطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد لذلك قوله عليه السلام لخولة فالرجم
أهون عليك من غضب الله. الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على أمر
عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به. الإفك أبلغ ما يكون من الكذب
والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الأفك وهو القلب
لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضها. والعصبة الجماعة من
العشرة إلى الأربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن أبي
رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت
جحش ومن ساعدهم. وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله

يعني ابن أبي بن سلول

لامعانه في عداوة رسول الله وانتهازه الفرص وطلبه سبيلاً الى الغميزة اي يصيب كل خائض
في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله
لان معظم الشر كان منه يحكى ان صفوان مرّ بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال
من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت
مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين
وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وصفوان وعائشة ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا
فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة
آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله وتسلية له وتنزيه لام
المؤمنين رضوان الله عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به
فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيامة وفوائد
دينية واحكام وآداب لا تخفى على متأمليها بانفسهم اي بالذين منهم من المؤمنين
والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري قال
لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة
رسول الله سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة
خير مني وصفوان خير منك فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا
وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ
بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق
مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان
حق المؤمن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول
بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك مبين هكذا بلفظ المصرح ببراءة
ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم
به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات جعل
الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة
وانتفاءها والذين رموا عائشة لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة
وكانوا عند الله اي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا
الافك

فلم يجدّوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب
القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف
بام المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله وحبيبة حبيب الله لولا
للتحضيض وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم
في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الآخرة بالعفو
والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث
واندفع وهضب وخاض اذ ظرف لمسّكم او لافضتم تلقونه باخذه بعضكم من بعض
يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وقرئ
على الاصل تتلقونه واِذّ تلقونه بادغام الذال في التاء وتَلْقونه من لقيه بمعنى لقفه
وتُلقونه من القاء بعضهم على بعض وتَلِقونه وتأْلِقونه من الولق والالق وهو الكذب
وتَلِقونه محكية عن عائشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت امي تقرأ اذ تثقفونه وكان
ابوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود فان قلت ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون
الا بالفم قلت معناه ان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان
وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم ويدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم
به في القلب كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي تحسبونه صغيرة وهو عند الله
كبيرة موجبة وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن
مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك
حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق
مس العذاب العظيم بها احدها تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل
فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد
الا طار فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة
من العظائم فان قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت للظروف شأن وهو تنزلها
من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع
في غيرها فان قلت فاي فائدة في تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا قلت الفائدة فيه بيان
انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت

اهم فوجب التقديم فإن قلت فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا أن
نتكلم بهذا قلت معناه معنى ينبغي ويصح أي ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وما يصح
لنا ونحوه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وسبحانك للتعجب من عظم الأمر فإن قلت
ما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه
ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو لتنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة
فإن قلت كيف جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة
قلت لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب أن لا يكون معهم
ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات
أي كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه وأبدا ما داموا
أحياء مكلفين وإن كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب
ترك العود وهو اتصافهم بالإيمان الصاد عن كل مقبح ويبين الله لكم الآيات الدالة
على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم
به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة المعنى
يشيعون الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة وإرادة ومحبة لها وعذاب الدنيا
الحد ولقد ضرب رسول الله عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا وقعد
صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذي
تولى كبره منهم والله يعلم ما في القلوب من الأسرار والضمائر وأنتم لا تعلمون
يعني أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة وهو معاقبه عليها وكرر المنة
بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفي هذا التكرير
مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك التواب والرؤوف والرحيم الفحشاء و
الفاحشة ما أفرط قبحه قال أبو ذؤيب ضرابن عم تفاحش غارها
أي أفرط طوله والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه وقرئ
خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا أن الله تفضل
عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك ولكن الله
يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم وإخلاصهم

هو من ائتلى إذا حلف افتعال من الألية وقيل من قولهم ما ألوت جهدا إذا لم تدخر منه
شيئا ويشهد للأول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على أن لا يحسنوا إلى المستحقين
للإحسان أو لا يقصروا في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها
فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة
خطاياهم وذنوبهم نزلت في شأن مسطح وكان ابن خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى
أن لا ينفق عليه وكفى به داعيا إلى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسيء
ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها على أبي بكر فقال بلى أحب أن يغفر الله لي
ورجع إلى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبدا وقرأ أبو حيوة وابن
قطيب أن تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم
الغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر
لأنهن لم يجربن الأمور ولم يرزن الأحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات
العرافات قال ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على أسرارها
وكذلك البله من الرجال في قوله عليه السلام أكثر أهل الجنة البله وقرئ يشهد بالياء والحق
بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن وفتشت
عما أوعد به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضي الله عنها
ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعقاب البليغ والزجر
العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه على طرق
مختلفة وأساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل إلا هذه
الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب
العظيم في الآخرة وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا
وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله حتى يعلموا عند ذلك أن الله
هو الحق المبين فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وجاء
بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك
إلا لأمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن

حتى تنبل عن هنه. ولا ترى الله تعالى من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في
امر عائشة. وهذه منه مبالغة وتعظيم لأمر الإفك. ولقد برأ الله أربعة بأربعة: برأ
يوسف عليه السلام بلسان الشاهد وشهد شاهد من أهلها. وبرأ موسى من قول اليهود فيه
بالحجر الذي ذهب بثوبه. وبرأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها إني
عبد الله. وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر
مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات. فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك. وما ذاك إلا
لإظهار علو منزلة رسول الله والتنبيه على إنافة محل سيد ولد آدم وخيرة الأولين
والآخرين وحجة الله على العالمين. ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه وتقدم قدمه
وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الإفك وليتأمل
كيف غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه. فإن قلت إن كانت
عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات. قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد بالمحصنات
أزواج رسول الله وأن يخصصن بأن من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به. وإذا أردن
وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله كانت المرادة أولاً. والثاني أنها
أم المؤمنين فجمعت إرادة لها ولبناتها من نساء الأمة الموصوفات بالإحصان والغفلة
والإيمان كما قال: قدني من نصر الخبيبين قدي. أراد عبد الله بن الزبير وأشياعه
وكان أعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفاً وكنيته المشهورة أبو بكر إلا أن
هذا في الاسم وذاك في الصفة. فإن قلت ما معنى قوله هو الحق المبين. قلت معناه ذو الحق
البين أي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن
هذه صفته لم تسقط عنده إساءة مسيء ولا إحسان محسن فحق مثله أن يتقى وتجتنب
محارمه. أي الخبيثات من القول تقال أو تعد للخبيثين من الرجال والنساء و
الخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون. وأولئك إشارة
إلى الطيبين وأنهم مبرؤون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل
لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب. ويجوز أن يكون
أولئك إشارة إلى أهل البيت وأنهم مبرؤون مما يقول أهل الإفك. وأن يراد بالخبيثات
والطيبات النساء أي الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك أهل الطيب

وذكر الرزق الكريم هاهنا مثله في قوله وأعتدنا لها رزقاً كريماً. وعن عائشة رضي الله عنها
لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتهن امرأة: لقد نزل جبرئيل عليه السلام بصورتي في راحته حين أمر
رسول الله أن يتزوجني. ولقد تزوجني بكراً وما تزوج بكراً غيري. ولقد توفي وإن
رأسه لفي حجري. ولقد قبر في بيتي. ولقد حفته الملائكة في بيتي. وإن الوحي لينزل عليه
في أهله فيتفرقون عنه وإن كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه. وإني لابنة خليفته وصديقه
ولقد نزل عذري من السماء. ولقد خلقت طيبة عند طيب. ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً.
تستأنسوا فيه وجهان أحدهما أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لأن الذي
يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فإذا أذن له استأنس
فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم. وهذا من باب الكناية والإرداف
لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن فوضع موضع الإذن. والثاني أن يكون من الاستئناس
الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من آنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً والمعنى
حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا. ومنه قولهم استأنس هل ترى أحداً
واستأنست فلم أر أحداً أي تعرفت واستعلمت. ومنه بيت النابغة على مستأنس وحد. ويجوز أن يكون
من الإنس وهو أن يتعرف هل ثم إنسان. وعن أبي أيوب الأنصاري قلنا يا رسول الله ما الاستيناس
قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يؤذن أهل البيت. والتسليم أن
يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فإن أذن له وإلا رجع. وعن أبي موسى الأشعري
أنه أتى باب عمر فقال السلام عليكم أأدخل قالها ثلاثاً ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول الاستيذان ثلاث. واستأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه فقال أألج فقال عليه السلام
لامرأة يقال لها روضة قومي إلى هذا فعلميه فإنه لا يحسن أن يستأذن قولي له يقول
السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل. وكان أهل الجاهلية يقول الرجل
منهم إذا دخل بيتاً غير بيته حييتم صباحاً وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل
مع امرأته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الأحسن الأجمل. وكم من باب من أبواب
الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك بينا
أنت في بيتك إذا رعف عليك الباب بواحد من غير استيذان ولا تحية من تحايا الإسلام والجاهلية
وهو ممن سمع ما أنزل الله فيه وما قال رسول الله ولكن أين الأذن الواعية. وفي قراءة

غير الله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا. وعن ابن عباس وسعيد بن جبير إنما هو حتى تستأنسوا
فأخطأ الكاتب، ولا يعول على هذه الرواية. وفي قراءة أبيّ حتى تستأذنوا. ذلكم الاستيذان
والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير إذن واشتقاقه من الدمار
وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب. وفي الحديث من سبقت عينه استيذانه فقد
دمر. وروي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمي قال نعم قال إنها ليس لها خادم
غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن.
لعلكم تذكرون أي أنزل عليكم أو قيل لكم هذا إرادة أن تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما أمرتم
به في باب الاستيذان. ويحتمل فإن لم تجدوا فيها أحدا من الآذنين فلا تدخلوها واصبروا حتى تجدوا
من يأذن لكم، ويحتمل فإن لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها
وذلك أن الاستيذان لم يشرع لئلا يطلع الداخل على عورة ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر
إليه فقط وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون
من اطلاع أحد عليها ولأنه تصرف في ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاه وإلا أشبه الغصب
والتغلب. فارجعوا أي لا تلحوا في إطلاق الإذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الأبواب
منتظرين لأن هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا إذا كانوا ذوي مروءة
ومرتاضين بالآداب الحسنة وإذا نهي عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء
عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل
في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس. وعن أبي عبيد رحمه الله ما قرعت بابا على عالم قط
وكفى بقصة بني أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله إن الذين ينادونك من وراء الحجرات
أكثرهم لا يعقلون. فإن قلت هل يصح أن يكون المعنى وإن لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع
فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم. قلت بعد أن جزم النهي عن الدخول مع فقد الإذن
وحده من أهل الدار حاضرين وغائبين لم تبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الأمر بالرجوع
إلى فقد الإذن. فإن قلت فإذا عرض أمر في دار من حريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب
إنكاره. قلت ذلك مستثنى بالدليل. أي الرجوع أطيب لكم وأطهر لما فيه من سلامة الصدور
والبعد من الريبة، أو أنفع وأنمى خيرا. ثم أوعد المخاطبين بذلك بأنه عالم بما يأتون
وما يذرون مما خوطبوا به فموفّ جزاءه عليه. استثنى من البيوت التي يجب الاستيذان

تفسير الفنادق

على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين
والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع
ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله إن الله قد أنزل عليك آية في الاستيذان وإنا نختلف
في تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن. وقيل الخربات يتبرز فيها
التبرز. يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية
من أهل الريبة. من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل. وجوّز
الأخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه. فإن قلت كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج
قلت دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن
وثديهن وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات والأجنبية
ينظر إلى وجهها وكفيها وقدميها في إحدى الروايتين وأما أمر الفرج فمضيق وكفاك
فرقا أن أبيح النظر إلا ما استثني منه وحظر الجماع إلا ما استثني منه. ويجوز أن
يراد مع حفظها عن الإفضاء إلى ما لا يحل حفظها عن الإبداء. وعن ابن زيد كل ما في القرآن
من حفظ الفروج فهو عن الزنى إلا هذا فإنه أراد به الاستتار. ثم أخبر أنه خبير بأحوالهم
وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم
إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون. النساء مأمورات
أيضا بغض الأبصار ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرته إلى ركبته
وإن اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك وغضها
بصرها من الأجانب أصلا أولى بها وأحسن ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم
سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك
بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا
فقال أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه. فإن قلت لم قدم غض الأبصار على حفظ
الفروج. قلت لأن النظر بريد الزنى ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر
ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه. الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل
أو خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه
للأجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والإكليل والوشاح

الإكليل شبه عصابة مزين بالجواهر

والقرط فلا بأس به انما هو لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الامر
بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها
لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والاذن فنهى عن
ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل ان
النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع انفسها متمكنا في الحظر
ثابت القدم في الحرمة شاهدا على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله
في الكشف عنها **فان قلت** ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء اليها **قلت** نعم **فان قلت**
أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل
على ما يحاذي ما تحت السرة **قلت** الامر كما قلت ولكن امر القراميل خلاف امر الحلي
لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا
عن هؤلاء الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة
عليه **فان قلت** ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار الذي تلابسه
الزينة منه **قلت** الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك
مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه
وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب
بالحناء **فان قلت** لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة **قلت** لان سترها فيه حرج
فان المرأة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا
في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة
الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره
والاصل فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين به
من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما
في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة الى صحبتهم في الاسفار
للنزول والركوب وغير ذلك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن
وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان
يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية
بما يليها ويلابسها

ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على
الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت
هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن
فاصبحن على رؤسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير
بيوتكم وقيل في نسائهن هن المؤمنات لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة
او كتابية عن ابن عباس والظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في
صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن
الى بعض وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة انها
اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت
فانت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور فان المراد
بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا
وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت
منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية أترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعند
ابي حنيفة لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد
من السلف امساكهم **فان قلت** روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فقبله **قلت** لا يقبل
فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف وان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من الاسباب
الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى
النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم
او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء او الحال والجر على الوصفية وضع الواحد
موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه ويخرجكم طفلا لم يظهروا
اما من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين
غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القرآن اخذه واطاقه اي لم يبلغوا
اوان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهي لغة هذيل **فان قلت** لم لم يذكر الله
الاعمام والاخوال **قلت** سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه
والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات يشترك الاب والابن في المحرمية الا العم

والخلخال وأيتاهما فإذا آذاها الأب فمن تمام صفقها الاسنة وليس بالمحرم فبدا في تصوره لها
بالوصف نظره إليها وهذا أيضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر
كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت
تضرب بإحدى رجليها الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين وإذا نهين عن إظهار صوت
الحلي بعد ما نهين عن إظهار الحلي علم بذلك أن النهي عن إظهار مواضع الحلي أبلغ وأبلغ
أوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وإن ضبط
نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار
وبتأميل الفلاح إذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية
لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة فإن قلت قد صحت التوبة بالإسلام والإسلام
يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت أراد بها ما يقوله العلماء أن من أذنب
ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره أن يجدد عنه التوبة لأنه يلزمه أن يستمر
على ندمه وعزمه إلى أن يلقى ربه وقرئ أيه المؤمنون بضم الهاء ووجهه أنها
كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف فلما سقطت الألف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها
حركة ما قبلها الأيامى واليتامى أصلهما أيايم ويتايم فقلبا والأيم للرجل والمرأة
وقد آم وآمت وتأيما إذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين قال
فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي وإن كنت أفتى منكم أتأيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم إنا نعوذ بك من العيمة والغيمة والأيمة والكزم والقرم والمراد
أنكحوا من تأيم منكم من الأحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم
وقرئ من عبيدكم وهذا الأمر للندب لما علم من أن النكاح أمر مندوب إليه وقد
يكون للوجوب في حق الأولياء عند طلب المرأة ذلك وعند أصحاب الظواهر النكاح
واجب ومما يدل على كونه مندوبا إليه قوله عليه السلام من أحب فطرتي فليستن بسنتي
وهي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه إذا
تزوج أحدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه وعنه عليه السلام
يا عياض لا تزوج عجوزا ولا عاقرا فإني مكاثر والأحاديث فيه عن رسول الله
والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة

وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة
والترهب على رؤوس الجبال وفي الحديث يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه
إلا بالمعصية فإذا كان ذلك الزمان حلت العزبة فإن قلت لم خص الصالحين قلت
ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولأن الصالحين من الأرقاء هم الذين مواليهم يشفقون
عليهم وينزلونهم منزلة الأولاد في الأثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام
بهم وتقبل الوصية فيهم وأما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك أو أريد
بالصلاح القيام بحقوق النكاح ينبغي أن تكون شريطة الله غير منسية في هذا
الموعد ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء الحكيم إلا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة
ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة
منصوصة في قوله وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم
ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فأفقره النكاح
وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني وأصبح مسكينا وعن النبي عليه السلام
التمسوا الرزق بالنكاح وشكا إليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله عنه
عجبت لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رث الحال ثم رأيته بعد
سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت في أول أمري على ما علمت وذلك
قبل أن أرزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني زدت
خيرا فلما تتاموا ثلاثة صب الله علي الخير صبا فأصبحت إلى ما ترى والله واسع عليم
أي غني ذو سعة لا يرزؤه إغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
وليستعفف وليجتهد في العفة وظلف النفس كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف
وحاملها عليه الذين لا يجدون نكاحا أي استطاعة تزوج ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به من المال
حتى يغنيهم الله ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون
انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك أن فضله
أولى بالأعفاء وأدنى من الصلحاء وما أحسن ما رتب هذه الأوامر حيث أمر أولا
بما يعصمهم من الفتنة ويبعدهم من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي
يحصنون به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الأمارة

بالشيء، وعن فرط الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه
«والذين يبتغون» مرفوع على الابتداء، او منصوب بفعل مضمر يفسره «فكاتبوهم» كقولك زيدا فاضربه
ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط. «والكتاب» والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول
الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق
مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك، او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت
على العتق. ويجوز عند ابي حنيفة رحمه الله حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله عز وجل لم يذكر
التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد
لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل
عاجلا. ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم
موقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد اراه
آجرها وجصها وما تبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان
كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له ان يطأ المكاتبة واذا ادى
عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا الامر للندب
عند عامة العلماء. وعن الحسن ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب. وعن عمر رض
هي عزمة من عزمات الله. وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود «خيرا» قدرة على
اداء ما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا. وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان
يكاتبه فقال اعندك مال قال لا قال افتأمرني ان آكل غسالة ايدي الناس «وآتوهم»
امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم
من بيت المال كقوله «وفي الرقاب» عند ابي حنيفة واصحابه. فان قلت هل يحل لمولاه
اذا كان غنيا ان يأخذ ما تصدق به عليه قلت نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة
بجميع البدل وعجز عن اداء الباقي طاب لمولاه اخذه لانه لم يأخذه بسبب الصدقة
ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له
ومنه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية. وعند الشافعي رحمه الله
هو ايجاب على الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا. وعن علي رض
يحط له الربع. وعن ابن عباس يرضخ له من كتابته شيئا. وعن عمر انه كاتب

له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر
وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى آخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك
ذلك. وهذا عند ابي حنيفة على وجه الندب وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة
كالبيع. وقيل معنى «وآتوهم» اسلفوهم. وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا
وهذا كله مستحب. وروي انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له
الصبيح سأل مولاه ان يكاتبه فأبى فنزلت. كانت اماء اهل الجاهلية يساعين على
مواليهن وكان لعبد الله بن ابي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة
واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت
ثنتان منهن الى رسول الله فنزلت. ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث
ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي. والبغاء مصدر البغي. فان قلت
لم اقحم قوله «ان اردن تحصنا» قلت لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وآمر الطيعة المواتية
للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بان
المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة
من حيز الشاذ النادر «غفور رحيم» لهم او لهن او لهم ولهن ان تابوا واصلحوا وفي قراءة
ابن عباس لهن غفور رحيم. فان قلت لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة
على الزنى بخلاف المكره عليه في انها غير آثمة قلت لعل الاكراه كان دون ما
اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب
عنيف او غيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون
آثمة. «مبينات» هي الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام
والحدود. ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف. وقرئ بالكسر اي بينت
هي الاحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز. او من بين بمعنى تبين ومنه المثل
قد بين الصبح لذي عينين «ومثلا من امثال من قبلكم» اي قصة عجيبة من قصصهم كقصة
يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها «وموعظة» ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو
قوله «ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله» «لولا اذ سمعتموه» «ولولا اذ سمعتموه» «يعظكم الله
ان تعودوا لمثله ابدا». نظير قوله «الله نور السموات» مع قوله «مثل نوره» و«يهدي الله لنوره»

قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات
وصاحب نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور
الى السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى
تضيء له السموات والارض واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به
مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة كمشكاة كصفة مشكاة وهي
الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة اراد قنديلا
من زجاج شامي ازهر شبهه في زهرته باحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير
كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها توقد هذا المصباح من شجرة اي ابتداء
ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع
او لانها تنبت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم
ابرهيم وعن النبي عليه السلام عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة
من الباسور لا شرقية ولا غربية اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون
الشام وقيل لا في مضحى ولا في مقنأة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها
وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه لا خير في شجرة في مقنأة
ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت
شروقها او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية غربية
ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار نور على نور
اي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة
والمصباح والزيت حتى لم تبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة
بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع
لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبث وينتشر والقنديل اعون شيء على
زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لنوره لهذا النور الثاقب من يشاء
من عباده اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه
ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى

الذي سواء عليه جنح الليل الداجي وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه
الله نور السموات والارض اي نشر فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره او نور قلوب
اهلها به وعن ابي بن كعب مثل نور من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح
والكسر ودري منسوب الى الدر اي ابيض متلألئ ودريء بوزن سكيت يدرأ
الظلام بضوئه ودريء كمريق ودريء كالسكينة عن ابي زيد وتوقد
بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد
ويوقد بفتح الياء وحذف التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويمسسه بالياء
لان التأنيث ليس بحقيقي والضمير فاصل في بيوت يتعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت الله
وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت
او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس
فيها او بمحذوف كقوله في تسع آيات اي سبحوا في بيوت والمراد بالاذن الامر ورفعها
بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابرهيم القواعد وعن ابن عباس
هي المساجد امر الله ان تبنى او تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما امر الله
ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه اوفق له وهو عام في كل ذكر
وعن ابن عباس وان يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى احد
الظروف الثلاثة اعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له
وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن ابي جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها ان يسند الى اوقات
الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد ربها كصيد عليه
يومان والمراد وحشهما والآصال جمع اصل وهو العشي والمعنى باوقات الغدو
اي بالغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل يقال آصل كاظهر واعتم
التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما ان يريد لا يشغلهم
نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه في الالهاء ادخل من قبل ان التاجر
اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته الهته ما لا يلهيه
شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقين وذاك مظنون واما
ان يسمي الشرى تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة

والمجة إذا اتجه له بيع صالح أو شرى. وقيل التجارة لأهل الجلب تجر فلان
في كذا إذا اجلبه. التاء في إقامة عوض من العين الساقطة للإعلال والأصل إقوام
فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام حرف التعويض فأسقطت ونحوه وأخلفوك عِدَ الأمر الذي
وعدوا. وتقلب القلوب والأبصار إما أن تتقلب وتتغير في أنفسها وهو أن تضطرب
من الهول والفزع وتشخص كقوله وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وإما
أن تتقلب أحوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها لا تفقه
وتبصر الأبصار بعد أن كانت عميا لا تبصر. أحسن ما عملوا أي أحسن جزاء أعمالهم
كقوله للذين أحسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا
ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة
عليها من التفضل وعطاء الله عز وجل إما تفضل وإما ثواب وإما عوض. والله يرزق
ما يتفضل به بغير حساب فأما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق. السراب
ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري.
والقيعة بمعنى القاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الأرض كجيرة في جار
وقرئ بقيعات بتاء ممطوطة كديمات وقيمات في ديمة وقيمة. وقد جعل بعضهم
بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة. شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا
يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه
ثم تخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة
وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية
الله عنده يأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين
قال الله فيهم عاملة ناصبة ويحسبون أنهم يحسنون صنعا وقدمنا إلى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا. وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية قد
كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الإسلام. اللجي
العميق الكثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر وفي أخرج ضمير الواقع
لم يكد يراها مبالغة في لم يرها أي لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها
ومنه قول ذي الرمة: إذا غير النأي المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

شبه أعمالهم أولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد
شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا أن لم يجده شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية
تعتله إلى النار ولا تقتل ظمأه بالماء، وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي
خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب. ثم قال ومن لم يوله
نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له. وهذا الكلام مجراه مجرى
الكنايات لأن الألطاف إنما تردف الإيمان والعمل أو كونهما مترقبين ألا ترى إلى قوله
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا. وقوله ويضل الله الظالمين. وقرئ سحاب
ظلمات على الإضافة. وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الأولى.
صافات يصففن أجنحتهن في الهواء. والضمير في علم لكل. أو لله. وكل قد علم صلاته
وتسبيحه. والصلاة الدعاء. ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها
سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها. يزجي يسوق ومنه البضاعة
المزجاة التي يزجيها كل أحد لا يرضاها. والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب
ومعنى تأليف الواحد أنه يكون قزعا فيضم بعضه إلى بعض. وجاز بينه وهو واحد
لأن المعنى بين أجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل. والركام المتراكم
بعضه فوق بعض. والودق المطر. من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل
وقرئ من خلله. وينزل بالتشديد. ويكاد سنا برقه على الإدغام. وبرقه جمع برقة
وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة. وبرقه بضمتين للإتباع كما قيل في جمع
فعلة فعلات كظلمات. وسناء برقه على المد. المقصور بمعنى الضوء والممدود
بمعنى العلو والارتفاع من قولك سني للمرتفع. ويذهب بالأبصار على زيادة الباء
كقوله ولا تلقوا بأيديكم. عن أبي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته و
ظهور أمره حيث ذكر تسبيح من في السماوات والأرض وكل ما يطير بين السماء والأرض ودعاءهم
له وابتهالهم إليه وأنه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من أفعاله
حتى ينزل المطر منه وأنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه
حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب
بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه إلا براهين في غاية الوضوح

على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر فإن قلت
متى رأى رسول الله تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل
المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له ألم تر قلت علمه من جهة إخبار الله إياه
بذلك على طريق الوحي فإن قلت ما الفرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله
من السماء من جبال من برد قلت الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة
للبيان أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء
من جبال فيها وعلى الأولين مفعول ينزل من جبال فإن قلت ما معنى من جبال فيها من برد
قلت فيه معنيان أحدهما أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر
والثاني أن يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب وقرئ
خلق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فأعطى
ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي
في الماشي على بطن والماشي على أربع قوائم فإن قلت لم نكر الماء في قوله من ماء قلت
لأن المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو خلقها
من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها
بهائم ومنها ناس ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل فإن قلت
فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت قصد ثم معنى آخر وهو
أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك أنه هو الأصل
وإن تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن
من نار وآدم من تراب خلقه منه فإن قلت لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب
قلت قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو قوائم
ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع فإن قلت لم سمي الزحف على البطن مشيا
قلت على سبيل الاستعارة كما قالوا في الأمر المستمر قد مشى هذا الأمر ويقال فلان لا يتمشى
له أمر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك أو
على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشيين وما أولئك بالمؤمنين إشارة إلى القائلين
آمنا وأطعنا أو إلى الفريق المتولي منهم فمعناه على الأول إعلام من الله بأن جميعهم

منتف عنهم الإيمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني إعلام بأن الفريق المتولي لم
يكن ما سبق لهم من الإيمان إيمانا إنما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لأنه لو
كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والإعراض والتعريف
في قوله بالمؤمنين دلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون
على الإيمان الموصوفون في قوله إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا معنى
إلى الله ورسوله إلى رسول الله كقولك أعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله
غلسته قبل القطا وفرطه أراد قبل فرط القطا روي أنها نزلت في بشر
المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله والمنافق
يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول إن محمدا يحيف علينا وروي أن المغيرة بن وائل
كان بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وأرض فقال المغيرة أما محمد
فلست آتيه ولا أحاكم إليه فإنه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي إليه صلة
يأتوا لأن أتى وجاء قد جاءا معديين بإلى أو يتصل بمذعنين لأنه في معنى مسرعين
في الطاعة وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى أنهم لمعرفتهم
أنه ليس معك إلا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم
الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا
إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم ثم قسم الأمر في صدودهم
عن حكومتك إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين
في أمر نبوته أو خائفين الحيف قضاء عليهم ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله بل أولئك هم الظالمون
أي لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وإنما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق
عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله فمن ثم يأبون المحاكمة إليه
وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب أقوى لأن أولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما
في التعريف وأن يقولوا أوغل لأنه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا
من قبيل كان في قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد ما يكون لنا أن نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء
للمفعول فإن قلت إلام أسند يحكم ولا بد له من فاعل قلت هو مسند إلى مصدره لأن معناه
ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما وألف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم

لدى بعض جبال

وفرط أي سبقه جمع الفرط

حكاية بخلاف قول ... الناصح هذا ...

منصوبا أي وقع التقاطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا ○ قرئ ويتقه بكسر
القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه
تقه بكتف فخفف كقوله ○ قالت سليمى اشتر لنا سويقا ○ ولقد جمع الله تعالى
في هذه الآية أسباب الفوز ○ وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه
ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل ○ وعن بعض
الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية ○ جهد يمينه مستعار
من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها
وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال بالله فقد جهد يمينه ○ وأصل أقسم جهد اليمين أقسم
يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا إلى المفعول
كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمانهم ○ طاعة
معروفة خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر أي أمركم والذي يطلب منكم طاعة
معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق
باطن أمرهم ظاهره لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها ○ أو طاعتكم
طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل ○ أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه
الأيمان الكاذبة ○ وقرأ اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى أطيعوا طاعة ○ إن
الله خبير يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وإنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم
على نفاقكم ○ صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات وهو أبلغ في تبكيتهم
يريد فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ما حمله الله وكلفه
من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه ○ وأما أنتم فعليكم ما كلفتم
من التلقي بالقبول والإذعان فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه
وإن أطعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى فالنفع والضرر
عائدان إليكم ○ وما الرسول إلا ناصح وهاد وما عليه إلا أن يبلغ ما له نفع في قبولكم
ولا عليه ضرر في توليكم ○ والبلاغ بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى التأدية ○ ومعنى المبين
كونه مقرونا بالآيات والمعجزات ○ الخطاب لرسول الله صلعم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في
آخر سورة الفتح وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء

كما فعل ببني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة ○ وأن يمكن الدين المرتضى
وهو دين الإسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده ○ وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف
الذي كانوا عليه وذلك أن رسول الله وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ○ ولما
هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم
نأمن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم
محتبيا ليس فيه حديدة ○ فأنجز الله وعده ○ وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد
بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا
ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الأنعم وفسقوا وذلك قوله عليه السلام
الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل
وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها ○ وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول ○ وليبدلنهم
بالتشديد ○ فإن قلت أين القسم الملتقى باللام والنون في ليستخلفنهم ○ قلت هو محذوف
تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم ○ أو نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى
بما يتلقى به القسم كأنه قيل أقسم الله ليستخلفنهم ○ فإن قلت ما محل يعبدونني ○ قلت
إن جعلته استينافا لم يكن له محل كأن قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني
وإن جعلته حالا عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم فمحله النصب
ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بأنعم الله ○ فأولئك هم الفاسقون أي هم
الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على غمطها ○ فإن قلت
هل في هذه الآية دليل على أمر الخلفاء الراشدين ○ قلت أوضح دليل وأبينه لأن المستخلفين
الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم ○ وأقيموا الصلاة معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال لأن حق المعطوف أن
يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها ○ وقرئ ولا يحسبن بالياء
وفيه أوجه أن يكون معجزين في الأرض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا أحدا يعجز الله
في الأرض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد ○ وأن يكون فيه ضمير الرسول
لتقدم ذكره في قوله وأطيعوا الرسول ○ وأن يكون الأصل لا يحسبنهم الذين كفروا
معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول وكان الذي سوغ ذلك أن الفاعل

والمفعولين لما كانت لشيء واحد امتنع بعد كي اثنين عن ثالث ٥ وعطف قوله ومأواهم
النار على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله
ومأواهم النار ٥ والمراد بهم المقسمون جهد أيمانهم ٥ أمر بأن يستأذن العبيد وقيل العبيد
والإماء والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار ثلاث مرات في اليوم والليلة قبل صلاة الفجر
لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة
لأنها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة
والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الأحوال عورة لأن الناس يختل تسترهم
وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها أعور الفارس وأعور المكان والأعور المختل العين
٥ ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله طوافون
عليكم يعني أن بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون
عليهم للاستخدام فلو جزم الأمر بالاستيذان في كل وقت لأدى الى الحرج ٥ وروي أن
مدلج بن عمرو وكان غلاما أنصاريا أرسله رسول الله وقت الظهر الى عمر رضي الله عنه
ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل
نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق
معه الى النبي عليه السلام فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية وهي احدى الآيات المنزلة
بسبب عمر ٥ وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمرأة
ولعلهما يكونان في لحاف واحد ٥ وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كره
دخوله فأتت رسول الله فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها ٥
وعن أبي عمرو الحلم بالسكون ٥ وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا عن ثلاث مرات أي أوقات
ثلاث عورات ٥ وعن الأعمش عورات على لغة هذيل فان قلت ما محل ليس عليكم قلت اذا رفعت
ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستيذان
واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للأمر بالاستيذان في تلك الأحوال خاصة
فان قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لأن
طوافون يدل عليه ٥ ويجوز أن يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة ٥ الأطفال منكم أي من الأحرار
دون المماليك الذين من قبلهم يريدون الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال ٥ أو الذين ذكروا

من قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية والمعنى
أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الأطفال
ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب
أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كالرجال الكبار الذين
لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة
المنسوخة ٥ وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن واني لآمر جاريتي
أن تستأذن علي ٥ وسأله عطاء أأستأذن على أختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها
وتلا هذه الآية ٥ وعنه ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله ٥ وقوله ان أكرمكم
عند الله أتقاكم فقال ناس أعظمكم بيتا ٥ وقوله واذا حضر القسمة ٥ وعن ابن مسعود
عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم ٥ وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل
له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان ٥ وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا
والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها فان قلت ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ
قلت قال أبو حنيفة ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء
خمس عشرة فيهما ٥ وعن علي رضي الله عنه أنه كان يعتبر القامة ويقدر بخمسة أشبار ٥
وبه أخذ الفرزدق في قوله ما زال مذ عقدت يداه ازاره فسما فأدرك خمسة الأشبار
واعتبر غيره الانبات ٥ وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل عن غلام فقال هل اخضر ازاره
القواعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا لا يطمعون فيه والمراد
بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات
بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي أرادها في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن
أو غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه ٥ والاستعفاف من الوضع
خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار أفضل الأعمال وأحسنها
كقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وأن تصدقوا خير لكم فان قلت ما حقيقة التبرج قلت
تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين
يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا أنه اختص بأن تتكشف المرأة
للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها ٥ وبرز وبرج بمعنى ظهر من أخوات تبرج وتبلج كذلك

كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم
والى بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعَمين والمطعِمين ريبة
في ذلك وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله ولا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل
حالكم من المؤمنين حرج في ذلك ٥ وعن عكرمة كانت الانصار في انفسها قزازة وكانت
لا تاكل من هذه البيوت اذا استغنوا ٥ وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم
لما عسى يؤدي الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين
اكيله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه وياخذ اكثر من موضعه فيضيق
على جليسه ٥ والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي او جرح يبض او انف يذن ونحو ذلك
وقيل كانوا اذا خرجوا الى الغزو خلفوا الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح
وياذنون لهم ان ياكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون ٥ حكي عن الحرث بن عمرو انه
خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال ما
اصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي ان آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء
حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك
اذا فسر بان هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم ان تاكلوا من البيوت
المذكورة لالتقاء الطائفتين في ان كل واحدة منهما منفي عنها الحرج ومثال هذا
ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر
فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر
فان قلت هلا ذكر الاولاد قلت دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لان ولد الرجل
بعضه وحكمه حكم نفسه ٥ وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده
من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب
ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى
فان قلت ما معنى او ما ملكتم مفاتحه قلت اموال الرجل اذا كان عليها قيم ووكيل
يحفظها له ان ياكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها
في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه

فان قلت ما معنى او صديقكم قلت معناه او بيوت اصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا
وكذلك الخليط والقطين والعدو ٥ يحكى عن الحسن انه دخل داره واذا حلقة من اصدقائه
وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون
فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء
الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل
جاريته كيسه فياخذ منه ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك ٥ وعن
جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح
الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن ٥ وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين ان
الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم ٥ وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما
سمج الاستئذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه جميعا
او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين ٥ نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون
ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل
ضرورة ٥ وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم ٥ وقيل
تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم
بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فابدءوا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من
عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه ٥ او لان التسليم والتحية طلب سلامة
وحياة للمسلم عليه والمحيى من عند الله ٥ ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن
لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق ٥ وعن انس قال خدمت رسول الله
عشر سنين ٥ وروي تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لشيء كسرته
لم كسرته وكنت واقفا على راسه اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلث
خصال تنتفع بها قلت بلى بابي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه
يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها
صلاة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا
السلام على عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله ٥ وعن ابن عباس

اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله ۝ وانتصب تحية
بسلموا لانها في معنى تسليما المعنى لكن قصدت تجلى شانه ۝ اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية في
ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم
حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره
وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدا مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين
ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله ان الذين
يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو انه جعل
المستاذن كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ۝ ومعنى
قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه ولم الا تراه ليف علق الامر بعد وجود استيذانهم
بمشيئته واذنه لمن استصوب ان ياذن له ۝ والامر الجامع الذي يجمع له الناس
فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور في خطب مهم ۝
او تضام لارهاب مخالف او تماسح في حلف وغير ذلك او الامر الذي يعم بضرره
او بنفعه ۝ وقرئ امر جميع وفي قوله اذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد
لرسول الله فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم
ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه
ويشعث عليه رايه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستيذان مع العذر
المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شانهم
وذكر الاستغفار للمستاذنين دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدثوا
انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه ۝ وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم
يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدميهم في الدين
والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم ۝ والامر
في الاذن مفوض الى الامام ان شاء اذن وان شاء لم ياذن على حسب ما اقتضاه رايه
اذا احتاج رسول الله الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه
ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن
الداعي ۝ او لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه

الذي سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم
والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم
يجيبه مرة ويرده اخرى غنيكم يسال له حاجة فربما اجابه وربما رده فان دعوات رسول الله
مسموعة مستجابة ۝ يتسللون ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ
الملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني ينسلون عن الجماعة في الخفية على
سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال اي ملاوذين وقيل كان بعضهم
يلوذ بالرجل اذا استاذن فياذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه ۝ وقرئ
لواذا بالفتح يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى الذين يخالفون
عن امره الذين يصدون عن امره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض
ذكر المخالف والمخالف عنه ۝ الضمير في امره لله سبحانه ۝ او للرسول عليه السلام والمعنى
عن طاعته ودينه فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة ۝ وعن
ابن عباس فتنة قتل ۝ وعن عطاء زلازل واهوال ۝ وعن جعفر بن محمد يسلط
عليهم سلطان جائر ۝ ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق
ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت
بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله
فان تمس مهجور الفناء فربما ۝ اقام به بعد الوفود وفود ۝ ونحوه قول زهير
اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ۝ ولكنه قد يهلك المال نائله ۝ والمعنى ان
جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه احوال المنافقين
وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها ۝ وسينبئهم يوم القيامة بما ابطنوا
من سوء اعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم
عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان
يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله اعلم

عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة النور اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية سبعون وسبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر
أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله والفرقان مصدر فرق بين الشيئين
إذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل أو لأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن
مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الإنزال ألا ترى إلى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه
على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ومشركي كافر بالفرق
وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله وأمته كما قال لقد أنزلنا إليكم قولوا آمنا
بالله وما أنزل إلينا والضمير في ليكون لعبده أو للفرقان ويعضد رجوعه إلى
الفرقان قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والإنس نذيرا منذرا أي مخوفا أو إنذارا
كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله فكيف كان عذابي ونذر الذي له رفع على الإبدال
من الذي نزل أو رفع على المدح أو نصب عليه فإن قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه
قلت ما فصل بينهما بشيء لأن المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكأن المبدل منه
لم يتم إلا به فإن قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا
كأنه قال وقدر كل شيء فقدره قلت المعنى أنه أحدث كل شيء إحداثا مراعى
فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله أنه خلق الإنسان
على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة
به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية
المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير فقدره لأمر ما ومصلحة مطابقا لما
قدر له غير متجاف عنه أو سمي إحداث الله خلقا لأنه لا يحدث شيئا لحكمته إلا
على وجه التقدير من غير تفاوت فإذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث
وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شيء فقدره
في إيجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره
للبقاء إلى أمد معلوم الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله إنما تعبدون من دون الله
أوثانا وتخلقون إفكا والمعنى أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة

لا عجز أبين من عجزهم لا يقدرون على شيء من أفعال الله ولا من أفعال العباد حيث لا يفتعلون
شيئا وهم يفتعلون لأن عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون أي لا يستطيعون
لأنفسهم دفع ضر عنها أو جلب نفع إليها وهم يستطيعون وإذا عجزوا عن الافتعال
ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور
التي لا يقدر عليها إلا الله أعجز قوم آخرون هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن
عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وأبو فكيهة الرومي قال ذلك
النضر بن الحارث بن عبد الدار جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته
وقد يكون على معنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل
وظلمهم أن جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع
فصحاء العرب والزور أن بهتوه بنسبة ما هو بريء منه إليه أساطير الأولين
ما سطره المتقدمون من نحو أحاديث رستم واسفنديار جمع أسطار أو أسطورة
كأحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه وأخذها كما تقول استكب الماء واصطبه
إذا سكبه وصبه لنفسه وأخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى
اكتتبها كاتب له لأنه كان أميا لا يكتب بيده وذلك من تمام إعجازه ثم حذفت
اللام فأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب كقوله واختار موسى قومه
ثم بني الفعل للضمير الذي هو إياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد أن كان بارزا منصوبا
وبقي ضمير الأساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى فإن قلت كيف قيل اكتتبها
فهي تملى عليه وإنما يقال أمليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه وجهان أحدهما
أراد اكتتابها أو طلبه فهي تملى عليه أو كتبت له وهو أمي فهي تملى عليه
أي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على
الكاتب وعن الحسن أنه قول الله سبحانه يكذبهم وإنما يستقيم أن لو فتحت
الهمزة للاستفهام الذي في معنى الإنكار ووجهه أن يكون نحو قوله أفترى على الله كذبا
الكرام وحق الحسن أن يقف على الأولين بكرة وأصيلا أي دائما أو في الخفية قبل أن
ينتشر الناس وحين يأوون إلى مساكنهم أي يعلم كل سر خفي في السماوات والأرض
ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد لرسوله مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور

وكذلك باطن امر رسول الله وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيهم على ما علم منكم وعلم منه
فان قلت كيف طابق قوله انه كان غفورا رحيما هذا المعنى قلت كيف طابق قوله انه كان
غفورا رحيما لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف
بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة ۞ او هو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم
هذه ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل
۞ وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربي وخط المصحف
سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشانه ۞ وتسميته بالرسول سخرية
منهم وطنز كانهم قالوا ما لهذا الذي يزعم انه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا ياكل
الطعام كما ناكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان
يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون
ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف
ثم نزلوا ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من
السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ۞ ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا
له بستان ياكل منه ويرتزق كما الدهاقين والمياسير ۞ او ياكلون هم من
ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم ۞ واراد بالظالمين اياهم باعيانهم
وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا ۞ وقرئ فيكون بالرفع
او يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون فان قلت ما وجه الرفع والنصب في فيكون قلت
النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على
انزل ومحله الرفع الا ترى انك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى ويكون
مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقائلون
هم كفار قريش النضر بن الحارث ۞ وعبد الله بن ابي امية ۞ ونوفل بن خويلد
ومن ضامهم مسحورا سحر فغلب على عقله ۞ او ذا سحر وهو الرئة عنوا انه
بشر لا ملك ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك
تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك

والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك ۞ فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون
عليه ۞ او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه ۞ تبارك الذي ان شاء وهب لك في الدنيا
خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك في الاخرة من الجنات والقصور ۞ وقرئ
ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله
وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ۞ ويجوز في يجعل لك اذا
ادغمت ان تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا ۞ وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو
بل كذبوا عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة
ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف
يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الاخرة وهم لا يؤمنون بالاخرة السعير النار الشديدة
الاستعار ۞ وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم ۞ رأتهم من قولهم دورهم تتراءى اي تتناظر
ومن قوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم
بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزفير ۞ ويجوز
ان يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام
منهم ۞ الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها
السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا
ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق والارهاق حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون
فيه تراصا كما روي عن ابن عباس في تفسيره انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح
وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم في
الجوامع ۞ وقيل يقرنون مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد ۞ والثبور
الهلاك ودعاؤه ان يقال واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك
لا تدعوا اي يقال لهم ذلك او هم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثم قول ۞ ومعنى
وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير
اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته
او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم ۞ الراجع الى الموصولين
محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤنه وانما قيل كانت لان ما وعده الله

وعده فهو في تحققه كأنه قد كان. أو كان مكتوبًا في اللوح قبل أن برأهم بأزمنة متطاولة
أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم. فإن قلت ما معنى قوله لو كانت لهم جزاء ومصيرا. قلت هو
كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت
مرتفقا فذم العقاب ومكانه لأن النعيم لا يتم للمتنعم إلا بطيب المكان وسعته وموافقته
للمراد والشهوة وأن لا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته
وجمعه لأسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء. والضمير في
كان لما يشاءون. والوعد الموعود أي كان ذلك موعودا واجبا على ربك إنجازه حقيقا
أن يسأل ويطلب لأنه جزاء وأجر مستحق. وقيل قد سأله الناس والملائكة
في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم. يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء
وقرئ نحشرهم بكسر الشين. ما يعبدون يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير
وعن الكلبي الأصنام ينطقها الله. ويجوز أن يكون عاما لهم جميعا. فإن قلت كيف صح استعماله
ما في العقلاء. قلت هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك إذا رأيت شبحا
من بعيد ما هو فإذا قيل لك إنسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل أو أريد
به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم ألا تراك تقول إذا أردت السؤال عن صفة زيد
ما زيد تعني أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب. فإن قلت ما فائدة أنتم وهم وهلا
قيل أضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل. قلت ليس السؤال عن الفعل ووجوده
لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وإنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره
وإيلائه حرف الاستفهام حتى يعلم أنه المسؤول عنه. فإن قلت فالله سبحانه
قد سبق علمه بالمسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال. قلت فائدته أن يجيبوا
بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم فيبهتوا وينخذلوا وتزيد
حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون
ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفا
للمكلفين. وفيه كسر بين لقول من يزعم أن الله يضل عباده على الحقيقة
حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا بأنفسهم.

فيتبرؤون من إضلالهم ويستعيذون به أن يكونوا مضلين ويقولون بل أنت تفضلت
من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها
أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فإذا برأت
الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو عمل الشياطين إليهم واستعاذوا
منه فهم لربهم الغني العدل أشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين
أضافوا إليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به
للبوار إلى الكفرة فشرحوا الإضلال المجازي الذي أسنده الله إلى ذاته في
قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا
بل أنت أضللتهم والمعنى أأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق أم هم
ضلوا عنه بأنفسهم. وضل مطاوع أضله وكان القياس ضل عن السبيل إلا
أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والأصل إلى الطريق أو للطريق وقولهم
أضل البعير في معنى جعله ضالا أي ضائعا لما كان أكثر ذلك بتفريط من صاحبه
وقلة احتياطه في حفظه قيل أضله سواء كان منه فعل أو لم يكن. سبحانك
تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لأنهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم
عن الإضلال الذي هو مختص بإبليس وحزبه. أو نطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم
المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده.
أو قصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له ملك أو نبي أو غيرهما ندا
ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحدا دونك
فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك. أو ما كان ينبغي لنا أن نكون
أمثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله فقاتلوا أولياء
الشيطان يريد الكفرة وقال الذين كفروا أولياؤهم الطاغوت. وقرأ
أبو جعفر المدني نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل أعني اتخذ يتعدى إلى مفعول
واحد كقولك اتخذ وليا وإلى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله أم اتخذوا
آلهة من الأرض. وقال واتخذ الله إبراهيم خليلا فالقراءة الأولى من المتعدي
إلى واحد وهو من أولياء والأصل أن نتخذ أولياء فزيدت من لتأكيد معنى النفي

والثانية من المتعدي الى مفعولين فالاول ما بني له الفعل والثاني من اولياء ومن للتبعيض
اي لا نتخذ بعض اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر
ذكر الله والايمان به او القرآن والشرايع والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع
ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ هذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة
رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله تعالى يا اهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير
ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القايل قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا
ثم القفول فقد جينا خراسانا وقرئ يقولون بالتاء والياء فمعنى من قرا
بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة ومعنى من قرا بالياء فقد كذبوكم بقولهم
سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء فان قلت هل يختلف حكم الباء مع
التاء والياء قلت اي والله هي مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل
من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ
يستطيعون بالتاء والياء ايضا يعني فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب
عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال
او فما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ان يحتالوا لكم الخطاب على
العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان
الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون
وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم الجملة بعد الا صفة
لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين
وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله عز من قايل
وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد وقرئ ويمشون على
البناء للمفعول اي تمشيهم حوايجهم او الناس ولو قرئ يمشون لكان اوجه
لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي
في الاسواق فتنة اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله على ما قالوه واستبعدوه
من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعد ما احتج عليهم بساير الرسل يقول

وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى
المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف
وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم
احسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك
اقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له
عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وانه جعل
الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيته يغني من
يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم
اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك
خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص
بن وايل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان
وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض اي لا ياملون لقانا
بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقانا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه
فسر قوله لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزايه بمنزلة لقايه
لو كان ملقيا اقترحوا من الآيات ان ينزل الله عليهم الملايكة فتخبرهم بان محمدا
صادق حتى يصدقوه او يروا الله جهرة فيامرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو اما ان
يكونوا عالمين بان الله لا يرسل الملايكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا
ايمانهم بما لا يكون واما ان لا يكونوا عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح آيات
سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فان قلت ما معنى في انفسهم قلت معناه انهم اضمروا الاستكبار
عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم
ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير
فبالغ في افراطه يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار

واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استينافها غاية وفي اسلوبها
قول القايل وجارة جساس ابانا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها
وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم
وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب **يوم يرون** منصوب باحد الشيئين اما
بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملايكة يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ
للتكرير واما باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون الملايكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله
للمجرمين اما ظاهر في موضع ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه **حجرا محجورا**
ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك اظهارها نحو معاذ الله
وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او هجوم
نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل اتفعل
كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع
المكروه فلا يلحقه فكان المعنى اسال الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه
على فعل او فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك
كذلك وانشدت لبعض الرجاز قالت وفيها حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر
فان قلت فاذا ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجورا **قلت** جاءت
هذه الصفة لتاكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذايل والذيل الهوان وموت مايت
والمعنى في الاية انهم يطلبون نزول الملايكة ويقترحونه وهم اذا راوهم عند الموت
او القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا
عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة وقيل
هو من قول الملايكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة او البشرى
اي جعل الله ذلك حراما عليكم ليس هاهنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال
هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن
على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم
الى اشيايهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها
اثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار

وفي امثالهم اقل من الهباء **منثورا** صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده
وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح
رايته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف ماكول لم يكفه ان شبههم بالعصف
حتى جعله ماكولا بالاكال ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول ثالث
لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين
للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة المستقر المكان الذي يكونون فيه
في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان الذي ياوون اليه
للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون
على ذلك الترتيب وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة
في الجنة واهل النار في النار وفي معناه قوله تع ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
هم وازواجهم في ظلال على الارايك متكؤن قيل في تفسير الشغل افتضاض الابكار
ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه
وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور
الى غير ذلك من التحاسين والتزيين وقرى **تشقق** والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء
وغيره ادغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي
تشق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر به
فان قلت اي فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات **قلت**
معنى انشقت به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة
ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تنفتح بغمام تخرج منها وفي الغمام الملايكة
ينزلون وفي ايديهم صحايف اعمال العباد وروي تنشق سماء سماء وتنزل الملايكة
الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم
وفي معناه قوله تع هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملايكة وقرى
وننزل الملايكة وننزل ونزل الملايكة ونزلت الملايكة وانزل
الملايكة ونزل الملايكة ونزل الملايكة على حذف النون الذي هو فاء
الفعل من ننزل قراءة اهل مكة الملك الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ

ويبطل ولا يبقى له ملكه ۞ عض اليدين والانامل والسقوط في اليد واكل البنان وحرق
الاسنان والارم ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فتذكر
الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده
في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه ۞ وقيل نزلت في عقبة بن
ابي معيط بن امية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله ۞ وقيل اتخذ ضيافة
فدعا اليها رسول الله فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان
ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبات يا عقبة قال لا ولكن ابى ان ياكل
من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي
من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده
ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك
بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا رضي الله عنه بقتله ۞ وقيل قتله عاصم بن ثابت بن
اقلح الانصاري وقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن رسول الله ابيا باحد فرجع
الى مكة فمات ۞ فاللام في الظالم يجوز ان تكون للعهد يراد به عقبة خاصة ۞ ويجوز
ان تكون للجنس فيتناول عقبة وغيره ۞ تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا
واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب به طرق الضلالة والهوى او اراد اني كنت ضالا
لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا ۞ وقرئ بالياء وهو
الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك وانما قلبت
الياء الفا كما في صحارى ومدارى ۞ فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس
فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه ۞ وان اريد
به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه
عن ذكر الله ۞ او القرآن ۞ او موعظة الرسول ۞ ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق
وعزمه على الاسلام ۞ والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل
الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة ۞ او اراد ابليس فانه هو الذي حمله على مخالة
المضل ومخالفة الرسول ثم خذله ۞ او اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ۞ ويحتمل
ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله [illegible]

ولا اظهار ولا ادغام اكثر ۞ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه
قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجاوا
اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ۞ ثم اقبل عليه مسليا وموسيا وواعدا
النصرة عليهم فقال كذلك كان لكل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هاديا الى
طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم ۞ تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي عليه السلام
من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا
به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه ۞ وقيل هو من هجر
اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان
وباطل واساطير الاولين ۞ والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه ۞ ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول بمعنى
اتخذوه هجرا ۞ والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا لقوله فانهم عدو لي ۞ وقيل
المعنى وقال الرسول يوم القيامة نزل ههنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر
ولا كان متدافعا وهذا اعتراض من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم
عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة في وقت واحد كما انزلت
الكتب الثلثة وما له انزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا
فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف
بنزوله جملة واحدة او مفرقا ۞ وقوله كذلك جواب لهم اي كذلك انزل مفرقا
والحكمة فيه ان نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى
قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة
لتعيل به وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى
حيث كان اميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد
من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة ۞ وقيل في ثلث وعشرين وايضا
فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ
ولا يتأتى ذلك الا فيما انزل مفرقا ۞ فان قلت ذلك في كذلك يجب ان تكون اشارة الى شيء
تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة فكيف فسرته بكذلك انزلناه مفرقا

قلت لأن قولهم لولا أنزل عليه جملة معناه لم أنزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض
أنهم عجزوا أن يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا
صفحة عجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا إلى المحاربة
ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كأنهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته ورتلناه
معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كأنه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله
أن قدره آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتيل
قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا أي اقرأه بترسل وتثبت ومنه
حديث عائشة في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه
لعدها وأصل الترتيل في الأسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه
بنور الأقحوان في تفليجه وقيل هو أن نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل
في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة ولا يأتونك
بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل في البطلان إلا أتيناك نحن بالجواب
الحق الذي لا محيد عنه وبما هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما كان
التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام
كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أو لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون
هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو أن يقرن بك ملك ينذر معك أو يلقى
إليك كنز أو تكون لك جنة أو ينزل عليك القرآن جملة إلا أعطيناك نحن
من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت
عليه ودلالة على صحته يعني أن تنزيله مفرقا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك
التفاريق كلما نزل شيء منها أدخل في الإعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كله
جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كأنه قيل
لهم إن حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته
ولو نظرتم بعين الإنصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر
من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك
مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية ويجوز أن يراد بالمكان الشرف

والمنزلة وأن يراد الدار والمسكن كقوله أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا
ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة
على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا
الوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر
بعضهم بعضا والمعنى فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله أن اضرب بعصاك البحر
فانفلق أي فضرب فانفلق أراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها أولها وآخرها
لأنهما المقصود من القصة بطولها أعني إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير
بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم
على التأكيد بالنون الثقيلة كأنهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا أو كان
تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع أو لم يروا بعثة الرسل أصلا كالبراهمة
وجعلناهم وجعلنا إغراقهم أو قصتهم للظالمين إما أن يعني بهم قوم نوح وأصله
وأعتدنا لهم إلا أنه قصد تظليمهم فأظهر وإما أن يتناولهم بعمومه عطف عادا
على هم في جعلناهم أو على الظالمين لأن المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تأويل
القبيلة وأما المنصرف فعلى تأويل الحي أو لأنه اسم الأب الأكبر قيل في أصحاب الرس
كانوا قوما من عبدة الأصنام أصحاب آبار ومواش فبعث الله إليهم شعيبا فدعاهم
إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه فبينا هم حول الرس وهو البئر غير المطوية
عن أبي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج
اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم أصحاب النبي
حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير سميت لطول
عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم
إن أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوا
حنظلة فأهلكوا وقيل هم أصحاب الأخدود وقيل الرس بأنطاكية قتلوا
فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر أي دسوه فيها بين ذلك
أي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب
الحاسب أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب

أو المعاد وكلا ضربنا له الأمثال بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين ووصفنا لهم ما
أدّوا إليه من تكذيب الأنبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير التفتيت
والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج ○ وكلا الأول منصوب
بما دل عليه ضربنا له الأمثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثاني بتبرنا لأنه فارغ له ○
أراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله أربعا بأهلها وبقيت
واحدة ○ ومطر السوء الحجارة يعني أن قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم
إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء ○ أفلم يكونوا في مرار مرورهم
ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون ○ بل كانوا قوما كفرة بالبعث
لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لأنه إنما يتوقع العاقبة من
يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم ○ أو لا يأملون
نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم ○ أو لا يخافون على اللغة
التهامية ○ إن الأولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما
○ واتخذه هزوا في معنى استهزأ به والأصل اتخذه موضع هزو ○ أو مهزوا به
أهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار بعث الله رسولا وإخراجه في معرض
التسليم والإقرار وهم على غاية الجحود والإنكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزئوا
لقالوا أهذا الذي زعم أو ادعى أنه مبعوث من عند الله رسولا وقوله إن كاد
ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة
في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا
دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ○ ولولا في مثل هذا
الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف
يعلمون وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدة الإمهال ولا بد للوعيد
أن يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله من أضل سبيلا كالجواب عن قولهم إن كاد
ليضلنا لأنه نسبة لرسول الله إلى الضلال من حيث لا يضل غيره إلا من هو ضال في نفسه
ويروى أنه من قول أبي جهل لعنه الله ○ من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل
ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي إلى برهان فهو عابد هواه وجاعله إلهه

فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى
أفتتوكل عليه وتجبره على الإسلام وتقول لا بد أن تسلم شئت أو أبيت ولا إكراه في الدين
وهذا كقوله وما أنت عليهم بجبار لست عليهم بمسيطر ○ ويروى أن الرجل منهم كان يعبد
الحجر فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمي ○
أم هذه منقطعة معناه بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت
بالإضراب عنها إليها وهي كونهم مسلوبي الأسماع والعقول لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق
أذنا ولا إلى تدبره عقلا ○ ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة
ثم أرجح ضلالة منها فإن قلت لم أخر هواه والأصل قولك اتخذ الهوى إلها قلت
ما هو إلا تقديم المفعول الثاني على الأول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل
عنايتك بالمنطلق فإن قلت ما معنى ذكر الأكثر قلت كان فيهم من لم يصده ○
عن الإسلام إلا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا فإن قلت كيف جعلوا
أضل من الأنعام قلت لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف
من يحسن إليها ممن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها
ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان
الذي هو عدو لهم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب
الذي هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب
الروي ألم تر إلى ربك ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل أن
جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا أي لاصقا بأصل كل
مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به أحد سمى انبساط الظل
وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ○ ومعنى كون الشمس دليلا أن الناس
يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتا في مكان
وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم إلى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك
وقبضه إليه أنه ينسخه بضح الشمس يسيرا أي على مهل وفي هذا القبض اليسير
شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر
مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فإن قلت ثم في هذين الموضعين كيف موقعها قلت

موقعهما لبيان تفاضل الأمور الثلثة كان الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم منهما
تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه آخر وهو أنه مد
الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الأرض تحتها فألقت القبة ظلها على الأرض
فينانا ما في أديمه جوب لعدم النير ولو شاء الله لجعله ساكنا مستقرا على تلك
الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له
كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه
قبضا سهلا يسيرا غير عسير ه ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه
وهي الأجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه كما ذكر إنشاءه
بإنشاء أسبابه وقوله قبضناه إلينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا
يسير ه شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت
الميت لأنه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل فإن قلت هلا فسرته
بالراحة قلت النشور في مقابلته يأباه إباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الآية
مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن الاحتجاب بستر الليل
كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت
والحياة أي عبرة فيهما لمن اعتبر ه وعن لقمن أنه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ
كذلك تموت فتنشر ه قرئ الريح ه والرياح نشرا احياء ه ونشرا جمع نشور
وهي المحيية ه ونشرا تخفيف نشر ه وبشرا تخفيف بشر جمع بشور ه وبشرى
وبين يدي رحمته استعارة مليحة أي قدام المطر طهورا بليغا في طهارته ه وعن
أحمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فإن كان ما قاله شرحا لبلاغته في
الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وإلا فليس فعول
من التفعيل في شيء والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك
ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به
ويوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه
ومنه قوله عليه السلام لا صلاة إلا بطهور أي بطهارة فإن قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور
قلت تيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظن تغيير أحد أوصافه الثلثة أو لم يتغير

أو استعماله في البدن لأداء عبادة عند أبي حنيفة وعند مالك بن أنس ما لم يتغير أحد
أوصافه فهو طهور فإن قلت فما تقول في قوله عليه السلام حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء
طهور لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه قلت قال الواقدي كان بئر
بضاعة طريقا للماء إلى البساتين ه وإنما قال ميتا لأن البلدة في معنى البلد في قوله
فسقناه إلى بلد ميت وأنه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل ه وقرئ ميتا
بالتثقيل ه وسقى وأسقى لغتان ه وقيل أسقاه جعل له سقيا ه الأناسي جمع إنسي أو
إنسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والأصل أناسين وظرابين ه وقرئ
بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل كقولك أناعم في أناعيم فإن قلت إنزال الماء موصوفا بالطهارة
وتعليله بالإحياء والسقي يؤذن بأن الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الأمير
على فرس جواد لأصيد عليه الوحش قلت لما كان سقي الأناسي من جملة ما أنزل
له الماء وصفه بالطهور إكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا أن من حقهم حين أراد الله لهم
الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وأن يربأوا بأنفسهم
عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم فإن قلت لم خص الأنعام من بين ما خلق من
الحيوان الشارب قلت لأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف
الأنعام ولأنها قنية الأناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الإنعام عليهم بسقي أنعامهم
كالإنعام بسقيهم فإن قلت فما معنى تنكير الأنعام والأناسي ووصفها بالكثرة قلت
معنى ذلك أن علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الأودية والأنهار ومنابع الماء
فبهم غنية عن سقي السماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم إلا ما ينزل الله من
رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء
المتبعدين عن مظان الماء فإن قلت لم قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناسي
قلت لأن حياة الأناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم
وتعيشهم على سقيهم ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدموا
سقياهم ه يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف
التي أنزلت على الرسل وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ه ليفكروا ويعتبروا
ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها

الاكتنان بالداخل

وقلة الاكتراث لها ٥ وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات
المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام
فابوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته
وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء
وتلا هذه الاية ٥ وروي ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام
لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة
والانعام والاناسي كانه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام
والاناسي وذلك البعض كثير **فان قلت** هل يكفر من ينسب الامطار الى الانواء
قلت ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد ان تكون هي والانواء من خلق الله فهو
كافر وان كان يرى ان الله خالقها وقد نصب الانواء دلائل وامارات عليها لم يكفر
يقول لرسول الله صلى الله عليه ولو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا
في كل قرية نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك واجللناك
وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين
فيما يريدونك عليه وانما اراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم
والضمير للقرآن ٥ او لترك الطاعة الذي يدل عليه ولا تطع والمراد ان الكفار
يجدون ويجتهدون في توهين امرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك
على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم ٥ وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق
العظام ٥ ويجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية
نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذير لوجبت على
كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده
من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا
كبيرا جامعا لكل مجاهدة ٥ سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين ٥ والفرات
البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما
متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من
عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران احدهما مع الاخر ممروج وماء العذب
منهما بالاجاج ممزوج

الفرات ما يرفت العطش اي يكسره لعذوبته وطيبه

برزخا حائلا من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته
وقرئ ملح على فعل ٥ وقيل كانه حذف من مالح كما قال وصليانا بردا يريد باردا
فان قلت وحجرا محجورا ما معناه **قلت** هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها
وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه
ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء
البغي ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ
منه وهي من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغة ٥ اراد فقسم البشر قسمين
ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات
صهر اي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى **وكان
ربك قديرا** حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثى ٥ الظهير
والمظاهر كالعوين والمعاون ٥ وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر
يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك ٥ روي انها نزلت في ابي جهل ٥ ويجوز
ان يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط
ويريد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل معناه
وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا
من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله اولئك لا خلاق
لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ٥ مثال الا من شاء والمراد الا فعل
من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب
منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك
من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد فائدتين احداهما
قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني
اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد
بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ٥ ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه
كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه ٥ ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم
اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة ٥ وقيل المراد التقرب بالصدقة

ذكر النسب واراد المنسوب اليهم

ذكر الصهر واراد به المصاهر

والنفقة في سبيل الله. أمره بأن يثق به ويسند أمره إليه في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل وأساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده. وعرّفه أن الحي الذي لا يموت حقيق بأن يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الأحياء الذين يموتون. وعن بعض السلف أنه قرأها فقال لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق. ثم أراه أن ليس إليه من أمر عباده شيء آمنوا أم كفروا وأنه خبير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم. **في ستة أيام** يعني في مدة مقدارها هذه المدة لأنه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل. وقيل ستة أيام من أيام الآخرة وكل يوم ألف سنة والظاهر أنها من أيام الدنيا. وعن مجاهد أولها يوم الأحد وآخرها الجمعة. ووجهه أن يسمي الله تعالى لملائكته تلك الأيام المعدودة بهذه الأسماء فلما خلق الشمس وأدارها وترتب أمر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الأيام. وأما الداعي إلى هذا العدد أعني الستة دون سائر الأعداد فلا نشك أنه داعي حكمة لعلمنا أنه لا يقدّر تقديرا إلا بداعي حكمة وإن كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي إلى معرفته. ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا والأرض كذلك والصلوات خمسا وأعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك. والإقرار بدواعي الحكمة في جميع أفعاله وبأن ما قدره حق وصواب هو الإيمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا. ثم قال وما يعلم جنود ربك إلا هو. وهو الجواب أيضا في أن لم يخلقهما في لحظة وهو قادر على ذلك. وعن سعيد بن جبير إنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت. وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين. الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره أو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف أو بدل من المستتر في استوى. وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي. وقرئ فاسئل والباء في به صلة سل

لقوله سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم. فسأل به كقولك اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقّر عنه. أو صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته. أو فسل رجلا خبيرا به وبرحمته. أو فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به أسدا أي برؤيته والمعنى إن سألته وجدته خبيرا. أو تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شيء. وقيل الرحمن اسم من أسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى تعرف من ينكره. ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن إلا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة. **وما الرحمن** يجوز أن يكون سؤالا عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما. ويجوز أن يكون سؤالا عن معناه لأنه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم. أو لأنهم أنكروا إطلاقه على الله. لما تأمرنا أي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده على قوله أمرتك الخير. أو لأمرك لنا. وقرئ بالياء كأن بعضهم قال لبعض أنسجد لما يأمرنا محمد أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو. وزادهم أي قوله اسجدوا للرحمن أنه هو المقول. البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت. سميت بالبروج التي هي القصور العالية لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها. واشتقاق البروج من التبرج لظهوره. والسراج الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا. وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها. وقرأ الحسن والأعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كأنه قال وذا قمر منيرا لأن الليالي تكون قمرا بالقمر فأضافه إليها. ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف إليه مقامه قول حسان بردى يصفق بالرحيق السلسل. يريد ماء بردى. ولا يبعد أن يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب. الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر. والمعنى جعلهما ذوي خلفة أي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار

يسمون المضاف إليه مقامه فيعربونه بإعرابه نكا يعطون الثابت حق المحذوف في الإعراب يعطونه حقه في غير الإعراب كالتذكير والتأنيث كما في قول حسان فإنه ذكر الضمير في يصفق حيث أراد ماء بردى وصفق الشراب حوله من إناء

يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة
واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه ۞ وقرئ يذكر ويذكر ۞ وعن ابي بن
كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال
الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على
النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وجل ومن رحمته جعل لكم
الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ۞ او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين
من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الآخر ۞ وعن الحسن رحمه الله من فاته عمله
من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب
وعباد الرحمن مبتدأ خبره في آخر السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم
اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا
وتفضيلا ۞ وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى
هينين ۞ او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة ۞ والهون الرفق
واللين ۞ ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون
والمثل اذا عز اخوك فهن ۞ ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون
بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا
ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق سلاما
تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم
السلام مقام التسلم ۞ وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم
والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله ۞ الا لا يجهلن احد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا ۞ وعن ابي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك
لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروءة والشريعة
واسلم للعرض والورع ۞ البيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت
او لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجدا او قائما وقيل
هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء
الليل او اكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما غراما هلاكا وخسرانا
ملحا لازما ۞

قال ويوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما ۞ وقال
ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ۞ ومنه الغريم لالحاحه
والزامه ۞ وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه
ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم لقوله والذين
يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا
والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي
ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم
ان ومستقرا حال ۞ او تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا
من كلام الله وحكاية لقولهم ۞ وقرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء و
تشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف
مجاوزة الحد في النفقة وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسوله
صلى الله عليه ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ۞ وقيل الاسراف
انما هو الانفاق في المعاصي فاما في القرب فلا اسراف ۞ وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف
فقال لا اسراف في الخير ۞ وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته
واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك
انما هو كلام اعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن
حاضر فسأله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد
ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني أهذا ايضا مما اعده ۞ وقيل اولئك اصحاب محمد
كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا
يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم
من الحر والقر ۞ وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اشتراه فاكله
والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة
السواء من الاستواء ۞ وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا
بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني بين ذلك قواما
جائزان ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف
الظرفا

خبرا ثانيا او حالا موكدة ۝ واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبنى
لاضافته الى غير متمكن كقوله ؛ لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت ؛ وهو من جهة
الاعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوى لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة
فليس فى الخبر الذى هو معتمد الفائدة فائدة ۝ حرم الله اى حرمها والمعنى حرم
قتلها الا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف اى بلا يقتلون ونفى هذه المقبحات
العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة فى الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين
من قريش وغيرهم كانه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل
بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره ۝ وعن ابن مسعود رض قلت يا رسول الله اى الذنب
اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اى قال ان تقتل ولدك
خشية ان يأكل معك قلت ثم اى قال ان تزنى بحليلة جارك فانزل الله
تصديقه ۝ وقرئ يلق فيه اثاما ۝ وقرئ يلقى باثبات الالف وقد جاء مثله
والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما ؛ قال
جزى الله ابن عروة حيث امسى ؛ عقوقا والعقوق له اثام ۝ وقيل
هو الاثم ومعناه يلق جزاء اثام ۝ وقرأ ابن مسعود اياما اى شدائد يقال
يوم ذو ايام لليوم العصيب ۝ يضاعف بدل من يلق لانهما فى معنى واحد ؛ كقوله
متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا ؛ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ؛ وقرئ يضعف ونضعف
له العذاب بالنون ونصب العذاب ۝ وقرئ بالرفع على الاستيناف ۝ او على الحال ۝ وكذلك
يخلد ۝ وقرئ يخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد ۝ وقرئ
وتخلد بالتاء على الالتفات ۝ يبدل مخفف ومثقل ولكن حسنا تم فان قلت ما معنى
مضاعفة العذاب وابدال الحسنات سيئات قلت اذا ارتكب المشرك معاصى مع
الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب
عليه وابدال السيئات حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات
الايمان والطاعة والتقوى ۝ وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل
المشركين وبالزنى عفة واحصانا ۝ يتوب ومن يترك المعاصى ويندم عليها
ويدخل فى العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا

للخطايا محصلا للثواب او فانه تائب متابا الى الله الذى يعرف حق التائبين ويفعل
بهم ما يستوجبون والذى يحب التوابين ويحب المتطهرين وفى كلام بعض العرب
لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد
او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واى مرجع ۝ يحتمل انهم يعرضون عن محاضر
الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر
واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل فى
النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه فى الاثم لان حضورهم ونظرهم
دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذى سلطه على فعله هو استحسان
النظارة ورغبتهم فى النظر اليه وفى مواعظ عيسى ابن مريم صلوات الله عليه اياكم
ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه ۝ وعن قتادة مجالس الباطل ۝ وعن ابن الحنفية اللهو والغناء ۝ وعن مجاهد
اعياد المشركين ۝ اللغو كل ما ينبغى ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو
والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم
كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغى
الجاهلين ۝ وعن الحسن لم تسفههم المعاصى ۝ وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم
والاذى اعرضوا وصفحوا ۝ وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه لم يخروا عليها
ليس بنفى للخرور انما هو اثبات له ونفى للصمم والعمى كما تقول لا يلقانى زيد مسلما
هو نفى للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها
واقبلوا على المذكر بها وهم فى اكبابهم عليها سامعون باذان واعية مبصرون
بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر
بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا
يبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم ۝ وقرئ ذريتنا ۝ وذرياتنا
قرة اعين ۝ وقرئ قرات اعين سألوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا
لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم ۝ وعن محمد بن كعب ليس شىء اقر لعين
المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله ۝ وعن ابن عباس هو الولد اذا راه

وقيل سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذرياتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم ۞ أئمة
فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا ۞ أو أراد واجعل
كل واحد منا إماما أو أراد جمع آمّ كصائم وصيام ۞ أو أراد واجعلنا إماما واحدا
لاتحادنا واتفاق كلمتنا ۞ وعن بعضهم في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين
يجب أن تطلب ويرغب فيها ۞ وقيل نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين
بالجنة ۞ فإن قلت من في قوله من أزواجنا ما هي قلت يحتمل أن تكون بيانية كأنه
قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا
ومعناه أن يجعلهم الله قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أي أنت أسد
وأن تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة
وصلاح فإن قلت لم قال قرة أعين فنكّر وقلّل قلت أما التنكير فلأجل
تنكير القرة لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنه قال
هب لنا منهم سرورا وفرحا وإنما قيل أعين دون عيون لأنه أراد أعين
المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور
ويجوز أن يقال في تنكير أعين إنها أعين خاصة وهي أعين المتقين ۞ المراد
يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس
والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون وقرأه في الغرفة ۞ بما صبروا
بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى
الفقر وغير ذلك وإطلاقه لأجل الشياع في كل مصبور عليه ۞ وقرئ يلقون
كقوله ولقاهم نضرة ۞ ويلقون كقوله يلق أثاما ۞ التحية دعاء بالتعمير والسلام
دعاء بالسلامة يعني أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم ۞ أو يحيي بعضهم بعضا
ويسلم عليه ۞ أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة اللهم وفقنا
لطاعتك واجعلنا مع أهل رحمتك وارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك ۞ لما وصف
عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم وأثنى عليهم من أجلها ووعدهم الرفيع
من درجاتهم في الجنة أتبع ذلك بيان أنه إنما اكترث لأولئك وعبأ بهم وأعلى
ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لأجل عبادتهم فأمر رسوله أن يصرح للناس ويجزم لهم

القول بأن الاكتراث لهم عند ربهم إنما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم
لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به والدعاء العبادة
وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كأنه قيل وأي عبء
يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني أنكم لا تستأهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة
قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبئا علي كما تقول ما
اكترثت له أي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني ۞ وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم
ربي أي وزن يكون لكم عنده ويجوز أن تكون ما نافية فقد كذبتم يقول إذا أعلمتكم أن
حكمي أني لا أعتد بعبادي إلا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم أثر
تكذيبكم حتى يكبكم في النار ۞ ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه إن
من عادتي أن أحسن إلى من يطيعني ويتبع أمري فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك
بسبب عصيانك ۞ وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام
وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة فإن قلت إلى من يتوجه هذا الخطاب
قلت إلى الناس على الإطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا
بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب ۞ وقرئ فقد كذب الكافرون ۞ وقيل يكون
العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى لزاما
وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه أن يترك اسم كان
غير منطوق به بعدما علم أنه مما توعد به لأجل الإبهام وتناول ما لا يكتنهه
الوصف والله أعلم بالصواب

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية إلا قوله والشعراء إلى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية وفي رواية ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها **الكتاب المبين** الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة او القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين البخع ان يبلغ بالذبح النخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذابح ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك **ان لا يكونوا مؤمنين** لئلا يؤمنوا او لامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا وعن قتادة باخع نفسك على الاثر آية ملجئة الى الايمان قاسرة عليه **فظلت** معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقد قرئ ولو شئنا لاتيناه وقرئ فتظل اعناقهم **فان قلت** كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق **قلت** اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة كأن الاهل غير مذكور او لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي ساجدين وقيل اعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم الرؤوس والنواصي والصدور قال في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت اعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة اي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به **فان قلت** كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض والتكذيب والاستهزاء **قلت** انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كأنه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له **فسيأتيهم** وعيد لهم وانذار لهم بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر ويوم القيامة ما الشيء الذي كانوا يستهزئون به

وهو القرآن وسيأتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم ووصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه اي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع ان في انبات تلك الاصناف لآية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم **وان ربك لهو العزيز** في انتقامه من الكفرة **الرحيم** لمن تاب وآمن وعمل صالحا **فان قلت** ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم **قلت** قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته **فان قلت** فما معنى وصف الزوج بالكريم **قلت** يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون **فان قلت** فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لآية وهلا قيل آيات **قلت** فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكأنه قال ان في الانبات لآية اي آية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبقت لهذا الوجه نظائر سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم لهم وقرئ **الا يتقون** بكسر النون بمعنى الا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة **فان قلت** بم تعلق قوله الا يتقون **قلت** هو كلام مستأنف اتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم

من ايام الله ويحتمل ان يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله
وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرأ الا تتقون على الخطاب
فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم
كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض اخصائه والجاني حاضر فاذا اندفع
في الشكاية وحرّ مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه واقبل على الجاني
يوبخه ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستح من الناس فان قلت فما فائدة
هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلم في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون
قلت اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى
مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة
التقوى وكم من آية انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين تدبرا
لها واعتبارا بموردها وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو ان يكون المعنى
الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا ۝ ويضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان على
خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع يفيد ان
فيه ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب
على ان خوفه متعلق بهذه الثلثة فان قلت في النصب تعليق الخوف بالامور الثلثة
وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هي غم يلحق الانسان لامر
سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم
وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على
ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة
فان قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر
غير منطلق اللسان قلت يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ۝ ويجوز
ان يريد القدر اليسير الذي بقي به ۝ ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه
من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون
كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل واخي هرون هو افصح
مني لسانا ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبرئيل واجعله نبيا وآزرني به

وصورته الا تتقون

والمعنى وفيه لموسى عليه كانه قال اني خائف وضيق الصدر وغير منطلق اللسان

واشدد به عضدي فهذا الكلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار
حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن
قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على
ذكر طرفي القصة اولها وآخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض
من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بايات الله فلما اراد الزام الحجة عليهم
بعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلم ان يامره الله
بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله من ورائه
قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على
تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك
وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه
وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل اراد بالذنب قتله القبطي ۝ وقيل
كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل
فاخاف ان يقتلون به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة
سيئة فان قلت قد ابيت ان تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما
التمسه فما قولك في هذه الرابعة قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق
من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده
من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والدفع ۝ جمع الله له الاستجابتين معا في قوله
كلا فاذهبا لانه استدفعهم بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس الموازرة
باخيه فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون فان قلت علام عطف
قوله فاذهبا قلت على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت
وهرون ۝ وقوله معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير
لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما
ونكسه ۝ ويجوز ان يكونا خبرين لان ۝ او يكون مستمعون مستقرا او معكم لغوا فان قلت
لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه سميع
وسامع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء

اي القصة الطويلة

عطف على محذوف اي لا يوصف بانه سميع وسامع ولكن ...

والإستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية، ومنه قوله: قل أوحي إليّ أنه استمع نفر
من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا، ويقال: استمع إلى حديثه وسمع حديثه أي أصغى
إليه وأدركه بحاسة السمع، ومنه قوله عليه السلام: من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون
صبّ في أذنيه البرم. فإن قلت: هلا ثنّى الرسول كما ثنّى في قوله إنا رسولا ربك؟ قلت:
الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة، فجعله ثمّ بمعنى المرسل فلم يكن بدّ من تثنيته،
وجعله ههنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه إذا وصف به بين الواحد والتثنية و
الجمع، كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور. قال: ألكني إليها وخير الرسول
أعلمهم بنواحي الخبر. فجعله للجماعة. والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله:
لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسرّ ولا أرسلتهم برسول. ويجوز أن يوحّد
لأن حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللأخوة كان
حكما واحدا فكأنهما رسول واحد. أو أريد أن كل واحد منا. أن أرسل بمعنى أي أرسل
لتضمن الرسول معنى الإرسال، تقول: أرسلت إليك أن افعل كذا لما في الإرسال من معنى
القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك. ومعنى هذا الإرسال التخلية والإطلاق
كقولك: أرسل البازي، يريد: خلّهم يذهبوا معنا إلى فلسطين وكانت مسكنهما.
ويروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البوّاب: إن ههنا إنسانا
يزعم أنه رسول رب العالمين، فقال: ائذن له لعلنا نضحك منه، فأدّيا إليه الرسالة فعرف
موسى فقال له: ألم نربك. حذف فأتيا فرعون فقالا له ذلك لأنه معلوم لا يشتبه، وهذا
النوع من الاختصار كثير في التنزيل. الوليد: الصبي لقرب عهده من الولادة. وفي رواية
عن أبي عمرو: من عمرك بسكون الميم. سنين، قيل: مكث عندهم ثلاثين سنة. وقيل:
وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة، وفرّ منهم على أثرها، والله أعلم بصحيح
ذلك. وعن الشعبي: فعلتك بالكسر، وهي قتلة القبطي لأنه قتله بالوكزة
وهو ضرب من القتل. وأما الفعلة فلأنها كانت وكزة واحدة. عدّد عليه نعمته
من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال، ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه، وعظّم
ذلك وفظّعه بقوله: وفعلت فعلتك التي فعلت. وأنت من الكافرين يجوز أن يكون حالا
أي قتلته وأنت لذاك من الكافرين بنعمتي، أو وأنت إذ ذاك ممن تكفرهم الساعة

وقد افترى عليه أو جهل أمره لأنه كان يعايشهم بالتقية، فإن الله عز وعلا عاصم
من يريد أن يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر، فما بال الكفر. ويجوز أن يكون
قوله: وأنت من الكافرين حكما عليه بأنه من الكافرين بالنعم، ومن كانت عادته كفران النعم
لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه، أو بأنه من الكافرين لفرعون وإلهيته، أو من
الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم، يشهد لذلك قوله تعالى:
ويذرك وآلهتك. وقرئ: وإلاهتك. فأجابه موسى صلوات الله عليه بأن تلك الفعلة
إنما فرطت منه وهو من الضالين أي الجاهلين. وقراءة ابن مسعود: من الجاهلين مفسرة
والمعنى من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه، كما قال يوسف لإخوته: هل علمتم ما فعلتم بيوسف
وأخيه إذ أنتم جاهلون. أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل، أو الذاهبين
عن الصواب. أو الناسين من قوله: أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى. وكذب فرعون
ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرّأ ساحته بأن وضع الضالين موضع الكافرين ربأ
بمحل من رشّح للنبوة عن تلك الصفة، ثم كرّ على امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله
واستأصله من سنخه، وأبى أن يسمى نعمته إلا نقمة، حيث بيّن أن حقيقة إنعامه عليه
تعبيد بني إسرائيل لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته
فكأنه امتنّ عليه بتعبيد قومه إذا حققت، وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا،
يقال: عبدت الرجل وأعبدته إذا اتخذته عبدا. قال: علام يعبدني قومي وقد كثرت
فيهم أباعر ما شاؤوا وعبدان. فإن قلت: إذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا
لفرعون فكيف وقع جزاء؟ قلت: قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى إنك جازيت
نعمتي بما فعلت، فقال له موسى: نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله، لأن نعمته كانت عنده
جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء. فإن قلت: لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع إفراده
في تمنها وعبدت؟ قلت: الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين
بقتله بدليل قوله: إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك، وأما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد.
فإن قلت: تلك إشارة إلى ماذا، وأن عبدت ما محلها من الإعراب؟ قلت: تلك إشارة إلى خصلة
شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي إلا بتفسيرها، ومحل أن عبدت الرفع عطف بيان
لتلك، ونظيره قوله: وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع. والمعنى

تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي ۝ وقال الزجاج ويجوز ان يكون ان في موضع نصب المعنى
انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في
اليم ۝ لما قال له بوابه ان هاهنا من يزعم انه رسول رب العالمين قال له عند دخوله
وما رب العالمين يريد اي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما ان يريد به اي شيء
هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة
ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وانه شيء مخالف لجميع الاشياء
ليس كمثله شيء واما ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة
ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته
استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك واما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق
فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي
يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون للعالمين
رب سواه لادعائه الالهية فلما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث
نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به حيث سماه
رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيري
وهذا يدل على صحة هذا الوجه الاخير فان قلت كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع
اليه مجموع قلت اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا
جمالين فان قلت ما معنى قوله ان كنتم موقنين واين عن فرعون وملئه الايقان قلت
معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا
لم ينفع او ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله
فان قلت ومن كان حوله قلت اشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت
للملوك خاصة فان قلت ذكر السموات والارض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى
ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب قلت قد عمم اولا ثم خصص من العام
للبيان انفسهم وآباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين
من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته
ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم

في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج
به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمرود بن كنعان فبهت الذي كفر
وقرئ رب المشارق والمغارب الذي ارسل اليكم بفتح الهمزة فان قلت كيف قال اولا ان كنتم
موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون قلت لاين اولا فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد
وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون فان قلت
الم يكن لاسجننك اخصر من لاجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه قلت اما اخصر
فنعم واما مؤد مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان
من عادته ان يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق
فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل واشد ۝ الواو في قوله اولو جئتك
واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين
اي جائيا بالمعجزة وفي قوله ان كنت من الصادقين انه لا يأتي بالمعجزة الا الصادق في دعواه
لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب
ان مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا
القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين
في دعواك أتيت به فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل عليه ثعبان مبين
ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة
والسحر ۝ وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة
الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذي
ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا للناظرين دليل على ان بياضها كان
شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نوريا ۝ روي
ان فرعون لما ابصر الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه
قال يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار
ويسد الافق فان قلت ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ
ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي
وهو النصب على الحال قال ولقد تحير فرعون لما ابصر الآيتين وبقي لا يدري اي طرفيه
اطول ۝

الظرف اي للمستقر من حوله والحال اي للكائنين حوله ۝

ما الظرفين طرفا الاذنين او ابنه هذا مثل العرب ... المراد ... عدد ۝

حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت
فرايصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه
عبيده وهو الههم ان طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره وتوقعه واحس
به من جهة موسى وغلبته على ملكه وارضه وقوله ان هذا لساحر عليم قول باهت
اذا غلب ومتمحل اذا لزم تأمرون من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي
هو ضد النهي جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا لما استولى عليه من فرط الدهش
والحيرة ◦ وماذا منصوب اما لكونه في معنى المصدر واما لانه مفعول به من قوله امرتك
الخير ◦ قرئ ارجئه ◦ وارجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال ارجأته وارجيته
اذا اخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون
لامر الله والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة ◦ وقيل احبسه حاشرين
شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر بقولهم بكل سحار فجاؤوا
بكلمة الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه ◦ وقرأ
الاعمش بكل ساحر ◦ اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت
الذي وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة
وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به اي حدد من زمان ◦ او مكان ومنه
مواقيت الاحرام هل انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم
واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه
على الانطلاق كانما يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا
هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق يريد
ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة اي في دينهم ان غلبوا موسى
ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى
فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى ◦ وقرئ نعم بالكسر
وهما لغتان ولما كان قوله ان لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذا
لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذن قارة في مكانها الذي تقتضيه
من الجواب والجزاء وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون

به موسى القربة عنده والزلفى ◦ اقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية وهكذا
كل حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض اسمائه ◦ او صفاته
كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله و
عظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت
ولا تحلفوا الا بالله الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية
نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد منهم لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته
على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم براس سلطانه فاذا اقسم به فتلك عندهم
جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته
بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى
بالتمويه على الناظرين ◦ او افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة ◦ روي
انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان يك من عند الله فلن يخفى
علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما اتوا به علموا انه من الله فآمنوا وعن عكرمة
اصبحوا سحرة وامسوا شهداء وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع
الالقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين رأوا
ما رأوا لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا
فان قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح به قلت هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق فيق
او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا
بمعنى خروا وسقطوا رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون لعنه الله
كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام
انه الذي يدعو اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما اجرى فلسوف تعلمون
اي وبال ما فعلتم ◦ الضير والضر والضور واحد ارادوا لا ضير علينا في ذلك
بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب
العظيم مع الاعواض الكثيرة او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد
لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهون اسبابه وارجاها
او لا ضير علينا في قتلك ان قتلتنا انا ننقلب الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته

لما ذكرنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك او علينا ان كنا
معناه لأن كنا وكانوا اول جماعة مومنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد
وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بأمره المتحقق لصحته وهم كانوا
متحققين انهم اول المومنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفني
حقي ومنه قوله ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا
الا لذلك ○ وقرئ أسر بقطع الهمزة ووصلها وسر انكم متبعون علل الامر بالاسراء
باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا
ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم
وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج
موسى بقومه ○ وروي ان الله اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت
ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سآمر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه
دم وسآمرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر
بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك امري فارسل فرعون في اثره الف الف وخمسمائة
الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته
سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى راسه بيضة ○ وعن ابن عباس خرج فرعون في الف
الف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا وسماهم
شرذمة قليلين ان هؤلاء محكي بعد قول مضمر ○ والشرذمة الطائفة القليلة
ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم
قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد
يجمع القليل على اقلة وقلل ○ ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة لا قلة العدد ○ والمعنى انهم لقلتهم
لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا
ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا
خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن
به ما يكسر من قهره وسلطانه ○ وقرئ حذرون ○ وحاذرون ○ وحادرون بالدال
غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره ○ وقيل المودي

اذكر بالامر اذا وثق به واعتمد عليه

هي جدي وهو من ولد المعز ... اجدوا فاذا كبرت فهو الجدا

قال الفراء الحاذر الذي يحذرك الآن والحذر المخلوق كذلك لا تلقاه الا حذرا ... وقال الزجاج الحاذر المستعد ... والحذر المتيقظ ... المودي ... الاداة ... [illegible]

في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال
أحب الصبي السوء من اجل امه ... وابغضه من بغضها وهو حادر ○ اي اذا انهم اقوياء
اشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم وعن مجاهد
سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله ○ والمقام المكان يريد المنازل الحسنة
والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر ○ وقيل السرر في الحجال ○ كذلك يحتمل ثلاثة
اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والجر على انه وصف لمقام
اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي الامر
كذلك ○ فاتبعوهم فلحقوهم ○ وقرئ فاتّبعوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق من شرقت
الشمس شروقا اذا طلعت سيهدين طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم ○ وقرئ
فلما تراءت الفئتان ○ انا لمدّركون مشدد الدال مكسور الراء من ادّرك الشيء
اذا تتابع ففني ومنه قوله بل ادّارك علمهم في الآخرة ○ قال الحسن جهلوا علم الآخرة
وفي معناه بيت الحماسة: أبعد بني أمي الذين تتابعوا ... أرجّي الحياة أم من الموت أجزع
والمعنى انا لمتتابعون في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد ○ الفرق الجزء المتفرق منه
وقرئ كل فلق والمعنى واحد ○ والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء وازلفنا ثم حيث
انفلق البحر الآخرين قوم فرعون اي قربناهم من بني اسرائيل او ادنينا بعضهم من بعض
وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد ○ او قدمناهم الى البحر ○ وقرئ وازلقنا بالقاف اي ازللنا
اقدامهم ○ والمعنى اذهبنا عزهم كقوله: تداركتما عبسا وقد ثل عرشها
وذبيان اذ زلت باقدامها النعل ○ ويحتمل ان يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف
ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه ○ عن عطاء بن السائب ان جبريل كان
بين بني اسرائيل وبين آل فرعون وكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم باولكم ويستقبل
القبط فيقول رويدكم ليلحق آخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال له مؤمن آل فرعون
وكان بين يدي موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت
بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فصار
فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق ○ وروي ان يوشع قال يا كليم الله اين
امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى ها هنا فخاض يوشع الماء

اي فاتبعوهم انفسهم
لعل ان اتبعت فلانا تبعته
اي لحقته وحقيقته اتبعه نفسه

اي في الهلاك لا ادراك والتتابع
من الاسماء الغالبة
في الهلاك كالتهلكة
والسنة والشدة
والقرب والحطمة والعام
والقحط

المنطاد المرتفع

ثلت البيت اي هدمته
وهو ان تحفر اصل الحائط
ثم تدعه منتقضا وهو
اصول الهدم قال ثل الله
عرشهم اي هدم ملكهم
وقال القوم اذا ذهب
عزهم فقد ثل عرشهم

وضرب موسى بعصاه البحر فقد خلوا ۝ وروى أن موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون
لكل شيء والكائن بعد كل شيء ويقال هذا البحر هو بحر القلزم ۝ وقيل هو بحر من وراء
مصر يقال له إساف «إن في ذلك لآية» أية آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس
وشاع أمرها فيهم وما تنبه عليها أكثرهم ولا آمن بالله وبنو إسرائيل الذين كانوا
أصحاب موسى المخصوصين بالإنجاء قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا
رؤية الله جهرة ۝ «وإن ربك لهو العزيز» المنتقم من أعدائه «الرحيم» بأوليائه ۝
كان إبراهيم صلوات الله عليه يعلم أنهم عبدة أصنام ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه
ليس من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وأنت تعلم أن ماله الرقيق ثم
تقول له الرقيق جمال وليس بمال فإن قلت «ما تعبدون» سؤال عن المعبود فحسب فكان
القياس أن يقولوا أصناما كقوله «ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو» «ماذا قال ربكم
قالوا الحق» «ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا» قلت هؤلاء قد جاؤوا بقصة أمرهم كاملة كا
لمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب إبراهيم وعلى ما قصدوه من إظهار ما في نفوسهم
من الابتهاج والافتخار ألا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد «فنظل» ولم يقتصروا
على زيادة نعبد وحده ومثاله أن تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول ألبس
البرد الأتحمي فأجر ذيله بين جواري الحي ۝ وإنما قالوا «نظل» لأنهم كانوا يعبدونها
بالنهار دون الليل ۝ لا بد في «يسمعونكم» من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم
وقرأ قتادة «يسمعونكم» أي هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء
مضارعا مع إيقاعه في إذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الأحوال الماضية
التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا أو أسمعوا قط وهذا أبلغ في التبكيت ۝ لما
أجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رقوا أمر تقليدكم هذا إلى أقصى غاياته وهي عبادة
الأقدمين الأولين من آبائكم فإن التقدم والأولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل
لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الأصنام إلا عبادة أعداء له ۝ ومعنى
العداوة قوله تعالى «كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا» ولأن المغري على عبادتها
أعدى أعداء الإنسان وهو الشيطان ۝ وإنما قال «عدو لي» تصويرا للمسألة في نفسه
على معنى أني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها

وآثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه أولا وبنى
عليها تدبير أمره لينظروا فيقولوا ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه وما أراد لنا إلا ما
أراد لروحه ليكون أدعى لهم إلى القبول وأبعث على الاستماع منه ولو قال فإنه عدو
لكم لم يكن بتلك المثابة ولأنه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما
لا يبلغه التصريح لأنه يتأمل فيه فربما قاده التأمل إلى التقبل ۝ ومنه ما يحكى عن الشافعي
أن رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث أنت لاحتجت إلى أدب ۝ وسمع رجل
ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم ۝ والعدو والصديق يجيئان في معنى
الوحدة والجماعة وقوم علي ذوي مئرة أراهم عدوا وكانوا صديقا ومنه قوله
وهم لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل
«إلا رب العالمين» استثناء منقطع كأنه قال لكن رب العالمين «فهو يهدين»
يريد أنه حين أتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع
إلى كل ما يصلحه ويعنيه وإلا فمن هداه إلى أن يغتذي بالدم في البطن امتصاصا ومن
هداه إلى معرفة الثدي عند الولادة وإلى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية
الارتضاع إلى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد ۝ وإنما قال «مرضت» دون أمرضني
لأن كثيرا من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه وغير
ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لأكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم ۝
«خطيئتي» والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لأن الأنبياء معصومون مختارون
على العالمين ۝ وقيل هي قوله «إني سقيم» ۝ «بل فعله كبيرهم» وقوله لسارة هي أختي
وما هي إلا معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار
فإن قلت إذا لم يندر منهم إلا الصغائر وهي تقع مكفرة فما له أثبت لنفسه
خطيئة أو خطايا وطمع أن تغفر له قلت الجواب ما سبق لي أن استغفار الأنبياء
تواضع منهم لربهم وهضم لأنفسهم ويدل عليه قوله «أطمع» ولم يجزم القول بالمغفرة
وفيه تعليم لأممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة
مما يفرط منهم فإن قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وإنما تغفر في الدنيا قلت
لأن أثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم ۝ «حكما» الحكمة ۝ أو الحكم بين الناس بالحق

وقيل النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله ۝ والالحاق بالصالحين ان يوفقه
لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد اجابه حيث قال وانه
في الاخرة لمن الصالحين ۝ والاخزاء من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية وهي الحياء
وهذا ايضا من نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور ۝ وفي يبعثون ضمير العباد
لانه معلوم ۝ او ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعني ولا تخزني
يوم يبعث الضالون وابي فيهم الا من اتى الله الا حال من اتى الله بقلب سليم
وهو من قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ۝ وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك
هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين
عنه واثبات سلامة القلب بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال
والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان
غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه ۝ ولك ان
تجعل الاستثنا منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة
القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان
وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثنا معنى وقد جعل
من مفعولا لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه
في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرايع ۝ ويجوز على هذا
الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من افات
الكفر والمعاصي ومما اكرم الله به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص ان
حكى استثناه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته
لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ
من خشية الله وقول اخر هو الذي سلم وسلم واسلم وسالم واستسلم ۝ وما احسن
ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سالهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر
لا مستفهم ثم انحى على الهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى
تقليدهم اباهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون شبهة فضلا ان يكون
حجة ثم صور المسالة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وعلا

اى اقبل

فعظم شانه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشايه الى حين وفاته مع ما يرجى في الاخرة
من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاواهين ثم وصله
بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة
على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليومنوا ويطيعوا ۝ الجنة تكون قريبة
من موقف السعدا ينظرون اليها ويغتبطون بانهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة
مكشوفة للاشقيا بمراى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله وازلفت الجنة
للمتقين غير بعيد وقال فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ۝ يجمع عليهم الغموم
كلها والحسرات فتجعل النار بمراى منهم فيهلكون غما في كل لحظة ۝ ويوبخون على
اشراكهم فيقال لهم اين الهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم
لانهم والهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم اي الالهة والغاوون ۝ وعبدتهم
الذين برزت لهم الجحيم ۝ والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا
على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في
قعرها اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وجنود ابليس شياطينه ۝ او متبعوه من عصاة
الانس والجن يجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز ان يجري
ذلك بين العصاة والشياطين ۝ والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله
ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ۝ وعن السدي الاولون الذين
اقتدينا بهم ۝ وعن ابن جريج ابليس وابن ادم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع
المعاصي فما لنا من شافعين كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق كما نرى
لهم اصدقاء لانه لا يتصادق في الاخرة الا المؤمنون واما اهل النار فبينهم التعادي
والتباغض قال الله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ۝ او فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم
انهم شفعاوهم عند الله وكان لهم اصدقاء من شياطين الانس ۝ او ارادوا انهم وقعوا
في مهلكة علموا ان الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم
نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم ۝ والحميم من الاحتمام
وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص

الحامة كالعامة يقال فلان
من السامة وفلان من الحامة

صار الصديق وكاف الكيمياء معا
لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا

فان قلت لم جمع الشافع ووحد الصديق قلت لكثرة الشفعاء في العادة وقلة
الصديق الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده
لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق
وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما اهمك فاعز من بيض الانوق وعن بعض
الحكماء انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق الجمع
الكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة
وذلك لما بين معنيي لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان تكون على اصلها ويحذف
الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظيره فقوله المرسلين
والمراد نوح عليه السلم كقولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة وبرد
وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه
بيت الحماسة لا يسألون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلوات الله عليه وسلامه في قريش واطيعون
في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق عليه على هذا الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاءه
ونصحه ومعنى فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكده
عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه
امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم وقرئ واتباعك جمع تابع
كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها
قد في واتبعك وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم اراذلنا
والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم
من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة
لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله صلعم وما زالت اتباع
الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم واماراتهم الا ترى الى هرقل حين سأل ابا
سفين عن اتباع رسول الله فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء
كذلك وعن ابن عباس هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة
وعن مقاتل السفلة وما علمي واي شيء علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم

اعمالهم لله واطلاعه على سر امرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم
في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما امنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم
في قوله الذين هم اراذلنا بادي الراي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلم فيفسر قولهم
الارذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو
الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش
عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيئ فالله محاسبهم ومجازيهم عليه
وما انا الا منذر لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون
مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا وان
كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى
وما انا بطارد المؤمنين يريد ليس من شاني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد
المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم وما علي الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان
الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشانكم ليس هذا باخبار بالتكذيب
لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما غاظوني
واذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك
فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي
فيصلا لانه يفصل بين الخصومات الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله وترى الفلك
فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا
فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا اسد
واسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع
دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام والمشحون المملوء يقال شحنها
عليهم خيلا ورجالا قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب
بن علس في الال يرفعها ويخفضها ريع يلوح كانه سحل ومنه قولهم
كم ريع ارضك وهو ارتفاعها والاية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في
اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها
بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع مآخذ الماء وقيل

القصور المشيدة والحصون «لعلكم تخلدون» ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد. وفي حرف أبي: كأنكم. وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا «وإذا بطشتم» بسوط او سيف كان ذلك ظلما وعلوا. وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب. وعن الحسن: تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين في العواقب. بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث أجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك أنه أيقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال أمدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وأنه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه. ونحوه قوله: ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد. **فإن قلت** كيف قرن البنين بالأنعام؟ **قلت** هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها. **فإن قلت** أوعظت أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد. **قلت** ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أو لم تكن أصلا من أهله ومباشريه فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ. من قرأ خلق بفتح الخاء فمعناه أن ما جئت به اختلاق الأولين وتخرصهم كما قالوا أساطير الأولين. أو ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب. ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون. أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر. أو ما هذا الذي جئت به من الكذب إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه. «أتتركون» يجوز أن يكون إنكارا لأن يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وأن يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله إياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الأمن والدعة. «فيما هاهنا» في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله «في جنات وعيون» وهذا أيضا إجمال ثم تفصيل. **فإن قلت** لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل أول شيء كما تتناول النعم الإبل كذلك من بين الأزواج حتى أنهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون إلا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون

إلا الإبل. قال زهير: تسقي جنة سحقا. **قلت** فيه وجهان أن يخص النخل بإفراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وأن يريد بالجنات غيرها من الشجر لأن اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل. الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه. والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم. وطلع إناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني ألطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في أن وهب لهم أجود النخل وأنفعه لأن الإناث ولادة التمر والبرني أجود التمر وأطيبه. ويجوز أن يريد أن نخيلهم أصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير وإذا كثر الحمل هضم وإذا قل جاء فاخرا. وقيل الهضيم اللين النضيج كأنه قال ونخل قد أرطب ثمره. قرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء. وقرئ فرهين. وفارهين. والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة. استعير لامتثال الأمر وارتسامه طاعة الآمر المطاع أو جعل الأمر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي إمرة مطاعة وقوله وأطيعوا أمري. **فإن قلت** ما فائدة قوله ولا يصلحون؟ **قلت** فائدته أن فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح. المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله. وقيل هو من السحر الرئة وأنه بشر. الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت. وقرئ بالضم. روي أنهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم. وعن أبي موسى رأيت مصدرها فإذا هو ستون ذراعا. وعن قتادة إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله «ولهم شرب يوم» لا تشرب فيه الماء. «بسوء» بضرب أو عقر أو غير ذلك. عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد. وروي أن مسطعا ألجأها إلى مضيق في شعب فرماها بسهم فأصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار. وروي أن عاقرها قال لا أعقرها

الآمر ولا تطيعوا أمر المسرفين على المجاز إما في المفرد أو المركب لأن الطاعة تكون للشخص الآمر للآمر وإما للامتثال فتكون للأمر وهو المصدر مثال أمرتنا فأطعنا وقال ... امتثلنا أمرك ... كذا في ...

حتى توضؤوا اجمعين وكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم
ولذلك حسبنا لهم فإن قلت لم أخذهم العذاب وقد ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين
ولكن ندم خائفين أن يعاقبوا على العقر عقاباً عاجلاً كمن يرى في بعض الأمور رأياً فاسداً ويبني
عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي أو ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة
وذلك عند معاينة العذاب وقال عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية
وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب إشارة إلى عذاب يوم عظيم
أراد بالعالمين الناس أي أتأتون من بين أولاد آدم على فرط كثرتهم وتفاوت أجناسهم وغلبة
إناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كأن الإناث قد أعوزتكم أو أتأتون أنتم من بين
من عداكم من العالمين الذكران يعني أنتم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمين
على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان من أزواجكم يصلح لأن يكون تبييناً لما خلق وأن يكون
للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم
من أزواجكم وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه
الحد ومعناه أترتكبون هذه المعصية على عظمها بل أنتم قوم عادون في جميع
المعاصي فهذا من جملة ذاك أو بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم
مثل هذه العظيمة لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح أمرنا لتكونن من جملة من أخرجناه
من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال
من تعنيف به واحتباس لأملاكه وكما تكون حال الظلمة إذا أجلوا بعض من يغضبون
عليه وكما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة ومن القالين أبلغ من أن تقول
إني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد
له بكونه معدوداً في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز أن يريد
من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد
وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى
همة الدين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية مما
يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل أن يريد بالتنجية العصمة فإن قلت
فما معنى قوله فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزاً قلت معناه أنه عصمه وأهله من ذلك

إلا العجوز فإنها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرضة والراضي
بالمعصية في حكم العاصي فإن قلت كان أهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت
الكافرة منهم قلت للاستثناء إنما وقع من الأهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج
وإن لم تشاركهم في الإيمان فإن قلت في الغابرين صفة لها كأنه قيل إلا عجوزاً غابرة ولم يكن
الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه إلا عجوزاً مقدراً غبورها ومعنى الغابرين
في العذاب والهلاك غير الناجين وقيل إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر
عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم وأما الإمطار فعن قتادة أمطر الله على
شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطراً
من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوماً بأعيانهم إنما هو
للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم قرئ أصحاب الأيكة بالهمزة وبتخفيفها
وبالجر على الإضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد
فتوهم قاد إليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص
بغير ألف وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وإنما كتبت في هاتين
السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب أصحاب النحو لان ولولى على هذه الصورة لبيان
لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة واحدة على أن ليكة
اسم لا يعرف وروي أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم
فإن قلت هلا قيل أخوهم شعيب كما في سائر المواضع قلت قالوا إن شعيباً لم يكن من أصحاب
الأيكة وفي الحديث أن شعيباً أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة الكيل
على ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء ونهى عن المحرم
الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكأن تركه عن الأمر والنهي دليل على أنه إن فعله
فقد أحسن وإن لم يفعله فلا عليه وقرئ بالقسطاس مضموماً ومكسوراً وهو الميزان
وقيل القرسطون فإن كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه
فعلاس وإلا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل يقال بخسته حقه إذا نقصته
إياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لأحد أن لا يهضم وفي كل ملك
أن لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفاً شرعياً

يقال عثى في الأرض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة وإهلاك الزروع
وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فنهوا عن ذلك ۝ وقرئ الجبلة بوزن
الأبلة ۝ والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد أي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق
الأولين ۝ فإن قلت هل اختلف المعنى بإدخال الواو هاهنا وتركها في قصة ثمود قلت
إذا أدخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية
وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحرا ولا يجوز أن يكون بشرا وإذا تركت الواو
فلم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم فإن قلت إن
المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه قلت أصلهما
أن يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك إن زيد لمنطلق فلما كان البابان أعني باب كان
وباب ظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقيل إن كان زيد لمنطلقا
وإن ظننته لمنطلقا ۝ قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو
قطع وسدر ۝ وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه
قطعه والسماء السحاب ۝ أو المظلة وما كان طلبهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود
والتكذيب ولو كان فيهم أدنى ميل إلى التصديق لما أخطروه ببالهم فضلا أن يطلبوه
والمعنى إن كنت صادقا أنك نبي فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء
ربي أعلم بما تعملون يريد أن الله أعلم بأعمالكم وما تستوجبون عليها من العقاب فإن
أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل وإن أراد عقابا بآخر فإليه الحكم
والمشيئة ۝ فأخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة إن أرادوا بالسماء
السحاب وإن أرادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم ۝ يروى أن الله حبس
عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب
فاضطروا إلى أن خرجوا إلى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا
تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي أن شعيبا بعث إلى أمتين أصحاب مدين
وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة فإن قلت كيف كرر في هذه السورة في أول
كل قصة وآخرها ما كرر قلت كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار
مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح بما افتتحت به

الومد حر الهواء والكرب الذي يأخذ بالأنفاس

صاحبتها وأن تختتم بما اختتمت به ولأن في التكرير تقريرا للمعاني في الأنفس وتثبيتا
لها في الصدور ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما
زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان
ولأن هذه القصص طرقت بها آذان وقرت عن الإنصات للحق وقلوب غلف عن تدبره
فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا
أو يفتق ذهنا أو يصقل عقلا طال عهده بالصقل أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم
الصدأ ۝ وإنه وإن هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل
المنزل ۝ والباء في نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى
نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك أي حفظكه وفهمك إياه وأثبته
في قلبك إثبات ما لا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى بلسان إما أن يتعلق بالمنذرين فيكون
المعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب وإسماعيل
ومحمد عليهم السلام وإما أن يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به
لأنه لو نزله باللسان الأعجمي لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر
الإنذار به وفي هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له
على قلبك لأنك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون
قلبك لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة
لغات فإذا كلم بلغته التي لقنها أولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه إلا إلى معاني
الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت وإن كلم بغير تلك اللغة
وإن كان ماهرا بمعرفتها كان نظره أولا في ألفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير أنه نزل
على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين ۝ وإنه وإن القرآن يعني ذكره مثبت في سائر
الكتب السماوية ۝ وقيل إن معانيه فيها وبه يحتج لأبي حنيفة في جواز القراءة
بالفارسية في الصلاة على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية حيث قيل وإنه
لفي زبر الأولين لكون معانيه فيها ۝ وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أن يعلمه
وليس بواضح ۝ وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على أنها خبره وأن يعلمه هو الاسم
وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وأن يعلمه خبرا وليست كالأولى لوقوع النكرة

اي جبرئيل

أسماء المعرفة خبرًا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة
وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا أن يكون لهم آية هي جملة الشأن
وأن يعلمه بدلًا عن آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا
ومنه بيت لبيد ۝ فمضى وقدمها وكانت عادة منه إذا هي عردت إقدامها
وقرئ تعلمه بالتاء ۝ وعلماء بني إسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى وإذا يتلى
عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين فإن قلت كيف خط في المصحف
علمؤا بواو قبل الألف قلت خط على لغة من يميل الألف إلى الواو وعلى هذه اللغة كتبت
الصلوة والزكوة والربوا ۝ الأعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والأعجمي
مثله إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد ۝ وقرأ الحسن الأعجميين ولما كان
من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمي شبهوه بمن لا يفصح
ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم قال حميد
ولا عربيًا شاقه صوت أعجما ۝ سلكناه أدخلناه ومكناه والمعنى
أنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا
فصاحته وأنه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب
المنزلة قبله على البشارة بإنزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد
تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا
فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرًا تارة وسحرًا أخرى وقالوا هو من تلفيق
محمد وافترائه ۝ ولو نزلناه على بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية فضلًا أن
يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحًا معجزًا متحدى به لكفروا به كما كفروا
ولتمحلوا لجحودهم عذرًا ولسموه سحرًا ثم قال كذلك سلكناه أي مثل هذا السلك
سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه
الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيفما فعل بهم وصنع وعلى
أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده وإنكاره
كما قال ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا
إلا سحر مبين فإن قلت كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته قلت أراد

به الدلالة على تمكنه مكذبًا في قلوبهم أشد التمكن وأثبته فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا
عليه وفطروا ألا ترى إلى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لأن الأمور الخلقية
أثبت من العارضة والدليل عليه أنه أسند ترك الإيمان به إليهم على عقيبه وهو قوله
لا يؤمنون به فإن قلت ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه
منه موقع الموضح والملخص لأنه مسوق لثباته مكذبًا مجحودًا في قلوبهم فأتبع ما يقرر
هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن
يكون حالًا أي سلكناه فيها غير مؤمن به ۝ وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء يعني الساعة
وبغتة بالتحريك ۝ وفي حرف أبي ويروه بغتة فإن قلت ما معنى التعقيب في قوله فيأتيهم
بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة
فيه في الوجود وإنما المعنى ترتبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون
رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم
النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه إن أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله
فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وإنما قصدك
إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين فما
هو أشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع في هذا الأسلوب فيحل موقعه
أفبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بإنكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب
من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والإمهال طرفة
عين فلا يجاب إليها ۝ ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم
يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ۝ ووجه آخر متصل بما بعده
وذلك أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم ممتعون
بأعمار طوال في سلامة وأمن فقال عز وجل أفبعذابنا يستعجلون أشرًا وبطرًا واستهزاء
واتكالًا على الأمل الطويل ثم قال هب أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم
فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم
وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني
فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فأبلغت ۝ وقرئ يمتعون
بالتخفيف ۝

منذرون رسل ينذرونهم ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة إما لأن أنذر وذكر
متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة وإما لأنها حال من الضمير في منذرون أي ينذرونهم
ذوي تذكرة وإما لأنها مفعول له على معنى أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة أو مرفوعة
على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون
ذوو ذكرى أو جعلوا ذكرى لإمعانهم في التذكرة وإطنابهم فيها ووجه
آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية
ظالمين إلا بعدما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكرة
وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين
وهذا الوجه عليه المعول فإن قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد إلا ولم تعزل عنها
في قوله وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم قلت الأصل عزل الواو لأن
الجملة صفة لقرية وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم
كلبهم كانوا يقولون إن محمدا كاهن وما ينزل عليه من جنس ما ينزل به الشياطين على الكهنة
فكذبوا بأن ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لأنهم مرجومون بالشهب معزولون
عن استماع كلام أهل السماء وقرأ الحسن الشياطون ووجهه أنه رأى آخره كآخر
يبرين وفلسطين فتخير بين أن يجري الإعراب على النون وبين أن يجريه على ما قبله فيقول
الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين أن يقولوا هذه يبرين ويبرون وفلسطون
وفلسطين وحقه أن يشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن
الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن أنها النون التي على هجائين وقال النضر بن
شميل إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه
يريد محمد بن السميفع مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ به إلا وقد سمعا فيه فقد علم أن ذلك
لا يكون ولكنه أراد أن يحرك منه لازدياد الإخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين
كما قال ولو تقول علينا بعض الأقاويل فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فيه وجهان أحدهما أن يؤمر
بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداءة ثم بمن يليه وأن يقدم
إنذارهم على إنذار غيرهم كما روي عنه عليه السلام أنه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع
تحت قدمي هاتين وأول ما أضعه ربا العباس والثاني أن يؤمر بأن لا يأخذه ما يأخذ القريب

للقريب من العطف والرأفة ولا يحابيهم في الإنذار والتخويف وروي أنه صعد الصفا
لما نزلت فنادى الأقرب فالأقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم
يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله إني لا أملك لكم من
الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم وروي أنه صلى الله عليه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ
أربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن
فأكلوا وشربوا حتى صدروا ثم أنذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو أخبرتكم أن بسفح
هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي
أنه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فإني
لا أغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد
ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فإني لا أغني عنكن شيئا الطائر
إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع
جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه
قول بعضهم: وأنت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه أجدلا ينهاه عن
التكبر بعد التواضع فإن قلت المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون
للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المؤمنين قلت فيه وجهان أن يسميهم قبل الدخول
في الإيمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وأن يريد بالمؤمنين المصدقين بألسنتهم وهم صنفان
صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به وصنف ما وجد منه إلا التصديق فحسب ثم إما
أن يكونوا منافقين أو فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين
من عشيرتك وغيرهم يعني أنذر قومك فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهم جناحك
فإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل
على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل
أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من إن دهمه
أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا إذا وقع الإنسان في محنة
ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه
بمعصية الله وفي مصاحف أهل المدينة والشام فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر

ولا محملان في العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع على العزيز الرحيم على الذي
يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم اتبع كونه رحيما على رسوله
ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد و
تقلبه في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون و
يستبطن سر امرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين
نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه
عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت
الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين
المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين
تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل
انه سأل ابا حنيفة هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضرني فتلا له
هذه الآية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في
كفاية امور الدين انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو
تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله اتموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم
من خلف ظهري اذا ركعتم وسجدتم وقرئ ويقلبك على كل افاك اثيم هم الكهنة والمتنبئة
كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا
بالرجم يستمعون الى الملأ الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه
من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم من اولئك واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم
لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اي المسموع من الملائكة وقيل
الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين
الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم وترى
اكثرهم ما يحكون باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه
فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقر الصب فان قلت كيف دخل حرف الجر على من
المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام الا ترى الى قولك أعلى زيد مررت
ولا تقول على أزيد مررت قلت ليس معنى التضمن ان الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم

اي الصوت الخفي

ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على
حذفه كما حذف من هل والاصل اهل قال اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فاذا
ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كانك تقول أعلى من تنزل
الشياطين كقولك أعلى زيد مررت فان قلت يلقون ما محله قلت يجوز ان يكون في محل النصب
على الحال اي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع وان لا يكون
له محل بان يستأنف كان قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فان قلت
كيف قيل واكثرهم كاذبون بعدما قضى عليهم ان كل واحد منهم افاك قلت الافاكون
الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين
قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين
وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن
اخوات قلت اريد التفريق بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع الى المجيء بهن
وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان المعنى الذي نزلن فيه من المعاني
التي اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام
بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه والشعراء مبتدأ
ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه
من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار
ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء
والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش
عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد
مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل
قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم
وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر قال ابو عبيد
كان الغالب عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة انزلناها
وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد ذكر
الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم

هائم في البرية اذا ذكر داسه

بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان
يبهتوا البريء ويفسقوا التقي ٥ وعن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي
مصرعات وبت افض اغلاق الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درأ الله عني
الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون ٥ استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله و
تلاوة القرآن وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة
والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الامة وما لا بأس
به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على
سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك
من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله ان رجلا من العلوية قال له ان صدري ليجيش بالشعر فقال فما
يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه ان الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح
الكلام ٥ وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان
كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله ويكافحون هجاة قريش
وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم
من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ٥ ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء
اهيب منه واهول ولا انكى لقلوب المتأملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله
وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه ٥ وقوله اي منقلب ينقلبون
وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه ٥ وكان السلف الصالح يتواعظون
بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولان تخاف فتبلغ الامن خير من
ان تأمن فتبلغ الخوف ٥ وقرأ ابن عباس اي منفلت ينفلتون ومعناه ان الذين ظلموا
يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات
وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل
سيئة فهو من الذين ظلموا والله اعلم بالصواب ٥ قال رسول الله صلعم من قرأ سورة الشعراء
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب
وصالح وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه

سورة النمل مكية وهي ثلث وتسعون آية وقيل اربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

طس قرئ بالتفخيم والامالة ٥ وتلك اشارة الى آيات السورة ٥ والكتاب المبين اما
اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة
واما السورة ٥ واما القرآن وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم
والشرائع وان اعجازهما ظاهر مكشوف واضافة الآيات الى القرآن والكتاب
المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان قلت
لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى في مقعد صدق
عند مليك مقتدر فان قلت ما وجه عطفه على القرآن اذا اريد به القرآن قلت
كما تعطف احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل
المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل تلك الآيات
آيات المنزل المبارك وآيات كتاب مبين وقرأ ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير
وآيات كتاب مبين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قلت ما الفرق بين هذا وبين
قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه
من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب
فيه ترجح فالاول نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو
قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم هدى وبشرى في محل النصب او الرفع فالنصب
على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة ٥ والرفع على ثلثة اوجه
على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اي جمعت انها آيات
وانها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين انها زائدة في هداهم قال الله تعالى فاما الذين
امنوا فزادتهم ايمانا فان قلت وهم بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله قلت يحتمل ان يكون
من جملة صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء
الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالآخرة وهو
الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار
معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة

بجملهم على تحمل المشاق فإن قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان
في قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة
واسناده الى الله عز وجل مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة
والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا
انعام الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح
والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم
بذلك اعمالهم واليه اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم بل متعتهم وآباءهم حتى نسوا
الذكر والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة
للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات وقيل هي اعمال الخير التي
وجب عليهم ان يعملوها زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه
التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما
ابصرها قط فقال رايت الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم ۝
سوء العذاب القتل والاسر يوم بدر والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو
آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله
۝ لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه ۝ من عند اي حكيم واي عليم ۝ وهذا معنى مجيئهما
نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف
حكمته ودقائق علمه اذ منصوب بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته
وعلمه قصة موسى ۝ ويجوز ان ينتصب بعليم ۝ وروي انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امراته وقد
كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا ۝ الشهاب
الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس
ومن قرا بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس ۝ والخبر ما يخبر به
عن حال الطريق لانه كان قد ضله فإن قلت سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين
لان احدهما ترج والآخر تيقن قلت قد يقول الراجي اذا قوي
رجاؤه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فإن قلت كيف جاء بسين التسويف
قلت عدة لاهله انه ياتيهم به وان ابطا او كانت المسافة بعيدة فإن قلت

[illegible]

لم جاء باو دون الواو قلت بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة
منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين
على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما
العزان عز الدنيا وعز الآخرة أن هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى
قيل له بورك فإن قلت هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك
والضمير ضمير الشان قلت لا لانه لا بد من قد فإن قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة
لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها
البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله نودي من شاطئ الوادي
الايمن في البقعة المباركة وتدل عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها ۝
وعنه بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث
امر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه ورب خير
يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها ويبث آثار يمنه
في اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى
والملائكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي
وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل الله ارض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبياء صلوات الله عليهم
ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احياء وامواتا فإن قلت فما معنى ابتداء خطاب الله
موسى بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة له بانه قد قضي امر عظيم تنتشر منه
في ارض الشام كلها البركة وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وايذان
بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور
وعظائم الشؤون ۝ الهاء في انه يجوز ان يكون ضمير الشان والشان انا الله مبتدا
وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر ۝ وان يكون راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعني ان
مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما اراد
ان يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام

[illegible] العظيم

الكفات الذي يكفت فيه اي يضم ومنه قوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا

لقلب الفصاحية. الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير. فان قلت علام عطف قوله والق عصاك
قلت على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي
والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى
وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك
ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر. وقرأ الحسن جأن على لغة من يجد
في الهرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنه قراءة عمرو بن عبيد
ولا الضألين. ولم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفر قال
فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا
وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون والا بمعنى
لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك
ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرط
من آدم وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى عليه السلام بوكزه القبطي ويوشك
ان يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف ماخذها
وسماه ظلما كما قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي. والحسن والسوء حسن التوبة
وقبح الذنب. وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه. وعن ابي عمرو في رواية عصمة
حسنا. في تسع آيات كلام مستانف وحرف الجر فيه متعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع
آيات الى فرعون ونحوه. فقلت الى الطعام فقال منهم فريق يحسد الانس الطعاما
ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع آيات اي في جملة تسع آيات وعداد
ولقائل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان
من مزارعهم. مبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتامليها
لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز ان يراد حقيقة
الابصار كل ناظر فيها من كافة اولي العقل وان يراد ابصار فرعون وملائه
لقوله واستيقنتها انفسهم. او جعلت كانها تبصر فتهدي لان العمي لا تقدر

على الاهتداء فضلا ان تهدي غيرها. ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة
الحسنة ترشد والسيئة تغوي. ونحوه قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات
والارض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالابصار. وقرأ علي بن الحسين رضي الله عنهما
وقتادة مبصرة وهو نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة اي مكانا يكثر فيه التبصر.
الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة. والعلو الكبر والترفع عن الايمان
بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما
لنا عابدون. وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا. وفائدة ذكر الانفس
انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان ابلغ من الايقان
وقد قوبل بين المبصرة والمبين واي ظلم افحش من ظلم من اعتقد واستيقن انها
آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه
علما طائفة من العلم او علما سنيا عزيزا. فان قلت اليس هذا موضع الفاء دون الواو
كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر. قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه
بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد
كانه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة. وقالا
الحمد لله الذي فضلنا. والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما
وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير. وفي الآية دليل على شرف العلم وانافة
محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان من
اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين اوتوا العلم درجات
وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة
لانهم القوام بما بعثوا من اجله. وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم
منها ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم. وفيها التذكير بالتواضع
وان يعتقد العالم انه اذا فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم. وما احسن قول عمر
كل الناس افقه من عمر. ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا
تسعة عشر. وكان داود اكثر تعبدا وسليمان اقضى واشكر لنعمة الله. وقال يا ايها
الناس تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس

الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظايم الامور
والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم
يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت
الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمن من منطق الطير هو
ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك راسه
ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت
لها فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا ٥ وصاح طاوس فقال يقول
كما تدين تدان ٥ وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون ٥ وصاح
طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال ٥ وصاح خطاف فقال يقول
قدموا خيرا تجدوه ٥ وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمايه
وارضه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى ٥ وقال الحدا يقول
كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم ٥ والببغا تقول ويل لمن
الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون ٥ والنسر يقول يا ابن آدم
عش ما شئت آخرك الموت والعقاب تقول في البعد من الناس انس ٥ والضفدع
تقول سبحان ربي القدوس ٥ واراد بقوله من كل شيء كثرة ما اوتي كما تقول
فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة في
العلم واستكثار منه ومثله قوله واوتيت من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين
قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم
ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا فان قلت كيف قال علمنا واوتينا
وهو من كلام المتكبرين قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه واباه ٥ والثاني
ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على
صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد تتعلق بتجمل الملك و
تفخيمه واظهار آيينه وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد او احتاج ان يرجح
في عين عدو الا ترى كيف امر العباس بان يحبس ابا سفين حتى تمر عليه الجنايب

وروي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة ٥ خمسة وعشرون للجن ٥ وخمسة وعشرون للانس
وخمسة وعشرون للطير ٥ وخمسة وعشرون للوحش ٥ وكان له الف بيت من قوارير على الخشب
فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم
فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب وفضة فيقعد عليه وحوله ستمائة
الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبيا على كراسي الذهب والعلما على كراسي الفضة
وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه
الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ٥ ويروى انه كان يامر
الريح العاصف تحمله ويامر الرخا تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السما والارض
اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر
بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى
الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة
يقبلها الله خير مما اوتي آل داود ٥ يوزعون يحبس اولهم على آخرهم
اي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد
وذلك للكثرة العظيمة فان قلت لم عدي
اتوا بعلى قلت يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلا
كما قال ابو الطيب ولشد ما قربت عليك الانجم ٥ لما كان قربا من فوق
والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم اتى على الشيء اذا انفده
وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم ما دامت الريح
تحملهم في الهوا لا يخاف حطمهم ٥ وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وبضم النون
والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه
كقولهم السبع في السبع ٥ قيل كانت تمشي وهي عرجا تتكاوس فنادت يا ايها النمل
الاية فسمع سليمن كلامها من ثلثة اميال ٥ وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة
انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم ٥ وكان ابو حنيفة حاضرا
وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمن اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال
ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة

ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها
على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة كقولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو
وهي ٥ وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله يحتطمنكم ولما جعلها
قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في أولي العقل أجرى خطابهم مجرى خطابهم فإن قلت
لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل أن يكون جوابا للأمر وأن يكون نهيا بدلا من الأمر والذي جوز أن
يكون بدلا منه أنه في معنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم على طريقة لا أرينك ها هنا أراد
لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن إشفاقها ٥ ومعنى فتبسم
ضاحكا تبسم شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك وكذلك
ضحك الأنبياء ٥ وأما ما روي أن رسول الله صلى الله عليه ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض
المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي وإلا فبدو النواجذ على الحقيقة
إنما يكون عند الاستغراب ٥ وقرأ ابن السميفع ضحكا فإن قلت ما أضحكه من قولها
قلت شيئان إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى
شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون تعني أنهم لو شعروا
لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من إدراكه بسمعه ما همس به بعض
الحكلي الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن إحاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه
على استيزاع الله شكر ما أنعم به عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح
والتقوى وحقيقة أوزعني اجعلني أزع شكر نعمتك عندي وأكفه وأربطه
لا ينفلت عني حتى لا أنفك شاكرا لك وإنما أدرج ذكر والديه لأن النعمة على الولد
نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة إلى الدين فإنه إذا كان تقيا نفعهما
بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك
وروي أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان عليه السلام
الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى وأدخلني
برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من أهل الجنة أم هي المنقطعة نظر إلى مكان
الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا أراه على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره
أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه

راجعة إليه لا إلي ومن ضل فلا يستتبعني فلا علي وما أنا إلا رسول منذر وما
على الرسول إلا البلاغ ٥ ثم أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا
توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته التي تلجئهم إلى المعرفة
والإقرار بأنها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الحسن
وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل
هو كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم الآية وكل عمل يعملونه فإن الله
عالم به غير غافل عنه لأن الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء
جزاء العاملين ٥ وقرئ تعملون بالتاء والياء ٥ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد
من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح
وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

من نبإ موسى وفرعون
مفعول نتلو أي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن
لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا أنه يؤمن لأن التلاوة إنما تنفع هؤلاء
دون غيرهم إن فرعون جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن قائلا قال
وكيف كان نبؤهما فقال إن فرعون علا في الأرض يعني أرض مملكته قد طغى
فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد
ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه قال الأعشى وبلدة يرهب
الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا أو يشيع بعضهم
بعضا في طاعته ٥ أو أصنافا في استخدامه يتسخر صنفا في بناء وصنفا
في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية ٥ أو
فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو إسرائيل والقبط
والطائفة المستضعفة بنو إسرائيل وسبب ذبح الأبناء أن كاهنا
قال له يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده ٥ وفيه دليل

طاسين
هود هو معطوف
على من صدق أي كان
المعنى بعدد قوم
سليمان وقوم هود
فحذف المضاف وأقام
المضاف إليه مقامه

يدل على انه حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان
كذب فما وجه القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل او صفة لشيعا او
كلام مستانف ويذبح بدل من يستضعف وقوله انه كان من المفسدين
بيان ان القتل ما كان الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن
او كذب فان قلت علام عطف قوله ونريد ان نمن وعطفه على نتلو ويستضعف غير
سديد قلت هي جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها
تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز ان
يكون حالا من يستضعف اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم فان قلت
كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم واذا اراد الله شيئا كان ولم
يتوقف الى وقت آخر قلت لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع
جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم ائمة مقدمين في الدين
والدنيا يطأ الناس اعقابهم وعن ابن عباس قادة يقتدى بهم في الخير وعن
مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا الوارثين يرثون
فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه
او يرقد فوطاه ومهده ونظيره ارض له ومعنى التمكين لهم في الارض وهي ارض
مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في ايام الجبابرة
وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم وقرئ ويرى فرعون وهامان و
جنودهما اي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم
اليم البحر قيل هو نيل مصر فان قلت ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما
ونهى عن الآخر قلت اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خافت ان
يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع
ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير
ذلك من المخاوف فان قلت ما الفرق بين الخوف والحزن قلت الخوف غم يلحق الانسان
لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا
واومنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا

وهو رده اليها وجعله من المرسلين وروي انه ذبح في طلب موسى تسعون
الف وليد وروي انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل
الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم
فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها
ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقبل مولودك واخبر فرعون ولكني
وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون
فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها
فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور
فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون
في طلب الولدان اوحى الله اليها فالقيه في اليم وعنه روي انها ارضعته ثلاثة
اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله اللام في ليكون هي لام كي التي
معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد
على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا
وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته
شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة
المجيء والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأدب وتحريره
ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار
الاسد لمن يشبه الاسد وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم كانوا
خاطئين في كل شيء فليس خطأهم في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا
مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم
على ايديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ
وروي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره
فاعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته
فاذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكانت لفرعون
بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه

ونحو قولهم انها لابل ام شاء واعلم انه لو قال نحو قولهم ازيد عندك ام عمرو كان اولى وذلك لان ام المنقطعة تقع في الاستفهام والخبر وما نحن فيه من
قبيل الاول وبيان ذلك ان نقول ام قسمان متصلة ومنقطعة فالمتصلة يكون معادلة لهمزة الاستفهام قرينتها حتى يكونا جميعا بمنزلة اي ومعنى
المعادلة ان يتصل بها ويجري مجرى ان تقول ازيد عندك ام عمرو ... عندك واما المنقطعة فمعناها ان لا يكون متصلة بما قبلها
ولكن ما بعدها كلاما ... ام منقطعة ... وهي تقع في الاستفهام والخبر فالاستفهام نحو قولك ازيد عندك ام عندك عمرو
... عن ... وانما يكون ... بعد اضرابك عن آخر ... ازيد عندك
... عند المخاطب ... على حقيقة الامر ... الا ... الذي عندك هو عمرو ...

يسأل عن صحته ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء ٥ وذكر من قصة الهدهد
ان سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء
وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف
شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت
الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي
فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة
فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك
وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمن
وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر
الف قائد تحت كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذكر
انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف
الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت
فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا
رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى
قالت بلى او ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه يجرها
على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك
بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله تعذيبه ان يؤدب بما تحتمله حاله ليعتبر به
ابناء جنسه ٥ وقيل كان عذاب سليمان للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل ان يطلي
بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل تأكله ٥ وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق
بينه وبين الفه ٥ وقيل لالزمنه صحبة الاضداد ٥ وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة
الاضداد ٥ وقيل لالزمنه خدمة اقرانه فان قلت من اين حل له تعذيب الهدهد
قلت يجوز ان يبيح الله له ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة كما اباح ذبح البهائم
والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم التسخير الا بالتأديب
والسياسة جاز ان يباح له ما يستصلح به ٥ وقرئ ليأتينني ٥ وليأتيني ٥ والسلطان
الحجة والعذر فان قلت قد حلف على احد ثلاثة اشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه

وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد
ما عطفهم عليه فقالت الغواة من قومه هو الصبي الذي نحذر منه فائذن
لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي ٥
وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا
على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها
ولأسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تأويله والله اعلم بصحته ٥ وروي انها
قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين خبر مبتدأ
محذوف ولا يقوى ان تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى ٥ وفي
قراءة ابن مسعود دليل على انه خبر ٥ قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك
بتقديم لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع
لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها
توسمت في سيماه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتبناه فانه اهل
للتبني ولأن يكون ولدا لبعض الملوك فان قلت وهم لا يشعرون حال ممن
قلت ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم
على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه ٥ وقوله ان فرعون
الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى
خطائهم وما احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم فارغا
صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها
لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله وافئدتهم هواء اي جوف
لا عقول فيها ومنه بيت حسان ٥ ألا أبلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء
وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون
بها ويدل عليه قراءة من قرأ فزعا ٥ ويقرب منه قراءة ابي الخطاب فرغا من قولهم
بالله ... الفضاء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ
اي هدر يعني بطل قلبها وذهب وفيها ... لا قلب لها من شدة ما ورد عليها

بسيماه مقصود سيما ... لا ... على النجابة

اي ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين

في المثل الرجل النخب ... مثل ...

... من قطع ... الفناء خلاف النعم

ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن اين درى انه ما يأتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني
بسلطان **قلت** لما نظم الثلثة باو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قوله ليكونن
احد الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما
وليس في هذا ادعاء دراية على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه
سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله او ليأتيني بسلطان مبين عن دراية وايقان **فمكث**
قرئ بفتح الكاف وضمها **غير بعيد** غير زمان بعيد كقولك عن قريب ووصف مكثه
بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان
ما اعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله عز وجل **احطت** بادغام الطاء
في التاء باطباق وبغير اطباق ۝ الهم الله الهدهد فكافح سليمن بهذا الكلام على ما اوتي
من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه
وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه
نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء
واعظم بها فتنة والاحاطة بالشيء علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم ۝
قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه
احد اعلم منه ۝ سبأ قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء وعن ابن كثير
في رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا ايدي سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي او الاب الاكبر صرف **قال**
من سبإ الحاضرين مأرب اذ يبنون من دون سيله العرما **وقال**
الواردون وتيم في ذرى سبإ قد عض اعناقهم جلد الجواميس ثم سميت مدينة
مأرب بسبإ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلث كما سميت معافر بمعافر بن اد ۝
ويحتمل ان يراد المدينة والقوم ۝ والنبأ الخبر الذي له شان وقوله من سبإ بنبإ
من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام التي تتعلق باللفظ
بشرط ان يجيء مطبوعا ۝ او يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده
ولقد جاء هاهنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع
مكان بنبإ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح لما في النبإ من الزيادة التي يطابقها

وصف الحال المرموزة بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولده
اربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس
والضمير في تملكهم راجع الى سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريدت المدينة
فمعناه تملك اهلها ۝ وقيل في وصف عرشها كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل
ثلثين مكان ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر
ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق **فان قلت** كيف استعظم عرشها
مع ما كان يرى من ملك سليمان **قلت** يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش
ويجوز ان لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض امراء الاطراف شيء لا يكون
مثله للملك الذي يملك عليهم امرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها
عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس
فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله **فان قلت** فكيف قال واوتيت
من كل شيء مع قول سليمان واوتينا من كل شيء كانه سوى بينهما **قلت** بينهما فرق بين لان سليمان
عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى ما اوتي من النبوة
والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد
الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد **فان قلت** كيف خفي
على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة ثلث بين صنعاء
ومأرب **قلت** لعل الله عز وجل اخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب
فان قلت من اين للهدهد التهدي الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس
واضافته الى الشيطان وتزيينه **قلت** لا يبعد ان يلهمه الله ذلك كما الهمه وغيره من
الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون
لها ومن اراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت له
الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له ۝ ومن قرأ بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل
لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون
الى ان يسجدوا ۝ ومن قرأ بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه ويا حرف النداء
ومناداه محذوف كما حذفه من قال الا يا اسلمي يا دار مي على البلى ۝ وفي حرف عبد الله

وهي قراءة الأعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء ○ وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى
ألا تسجدون على الخطاب ○ وفي قراءة أبيّ ألا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من
السماء والأرض ويعلم سركم وما تعلنون ○ وسمي المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر
وغيرهما مما خبأه عز وعلا من غيوبه ○ وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف ○ والخبا
على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها أن تخرج على لغة
من يقول في الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبي ثم أجرى الوصل مجرى
الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لأنها ضعيفة مسترذلة ○ وقرئ يخفون ويعلنون
بالياء والتاء ○ وقيل من أحطت إلى العظيم هو كلام الهدهد ○ وقيل كلام رب العزة
وفي إخراج الخبء أمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض
وذلك بإلهام من يخرج الخبء في السموات والأرض جلت قدرته ولطف علمه ولا تكاد
تخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة أو فن من العلم
في روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا إلا ألقى الله عليه رداء عمله
فإن قلت أسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا أم في إحداهما قلت
هي واجبة فيهما جميعا لأن مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح لمن أتى بها أو ذم
لمن تركها وإحدى القراءتين أمر بالسجود والأخرى ذم للتارك وقد اتفق أبو حنيفة والشافعي
رحمهما الله على أن سجدات القرآن أربع عشرة وإنما اختلفا في سجدة ص فهي عند أبي حنيفة
سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج
من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع إليه فإن قلت هل يفرق
الواقف بين القراءتين قلت نعم إذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ ألا
يا اسجدوا وإن شاء وقف على ألا يا ثم ابتدأ اسجدوا وإذا شدد لم يقف إلا على العرش
العظيم فإن قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم قلت
بين الوصفين بون عظيم لأن وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء
جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من
السموات والأرض وقرئ العظيم بالرفع ○ سننظر من النظر الذي هو التأمل والتصفح
وأراد أصدقت أم كذبت إلا أن كنت من الكاذبين أبلغ لأنه إذا كان معروفا

بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما
أخبر به فلم يوثق به تول عنهم تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه
بمسمع منك يرجعون من قوله تعالى يرجع بعضهم إلى بعض القول فقال دخل عليها من كوة
فألقى الكتاب إليها وتوارى في الكوة فإن قلت لم قال فألقه إليهم على لفظ الجمع
قلت لأنه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه إلى الذين هذا دينهم
اهتماما منه بأمر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع
لذلك كريم حسن مضمونه وما فيه أو وصفته بالكرم لأنه من عند ملك كريم
أو مختوم قال عليه السلام كرم الكتاب ختمه وكان عليه السلام يكتب إلى العجم فقيل له إنهم لا يقبلون
إلا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما ○ وعن ابن المقفع من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد
استخف به ○ وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم هو استئناف وتبيين لما ألقي إليها
كأنها لما قالت إني ألقي إلي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت إنه من سليمان
وإنه كيت وكيت ○ وقرأ عبد الله وإنه من سليمان وإنه عطفا على إني ○ وقرئ أنه من
سليمان وأنه بالفتح على أنه بدل من كتاب كأنه قيل ألقي إلي أنه من سليمان ○ ويجوز
أن يريد لأنه من سليمان ولأنه كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره ببسم الله
وقرأ أبي أن من سليمان وأن بسم الله على أن المفسرة وأن في أن لا تعلوا مفسرة
أيضا ○ لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك ○ وقرأ ابن عباس بالغين المعجمة من الغلو
وهو مجاوزة الحد يروى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس
ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين ○ وكانت
كتب الأنبياء جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها
الهدهد راقدة في قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح
تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية ○ وقيل نقرها
فانتبهت فزعة ○ وقيل أتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس
ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية
من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم أرعدت وخضعت وقالت لقومها
ما قالت مسلمين منقادين أو مؤمنين ○ الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق

اى اجيبونى من الرأى الفتوى [illegible]

من الفتاء فى السرّ والمراد بالفتوى هاهنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأى
والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم
وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها قاطعة امرا فاصلة وفى قراءة ابن مسعود قاضية
اى لا ابتّ امرا الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلثة عشر رجلا
كل واحد على عشرة آلاف ارادوا بالقوة قوة الاجساد وقوة الآلات والعدد وبالبأس
النجدة والبلاء فى الحرب والامر اليك اى هو موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا
بامرك نطعك ولا نخالفك كأنهم اشاروا عليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب
لا من ابناء الرأى والمشورة وانت ذات الرأى والتدبير فانظرى ماذا ترين نتبع
رأيك لما احست منهم الميل الى المحاربة رأت من الرأى الميل الى الصلح والابتداء
بما هو احسن ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه بان الملوك
اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها اى خربوها ومن ثم قالوا للفساد
الحرب واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب
وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم المستمرة
الثابتة التى لا تتغير لانها كانت فى بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت
بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأى السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها
وقد يتعلق الساعون فى الارض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح
حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين مرسلة اليهم
بهدية اى مرسلة رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكى فناظرة بما يرجع المرسلون حتى اعمل
على حسب ذلك روى انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن الاساور
والاطواق والقرطة راكبى خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع
بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فى زى الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة
وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء
وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر
ذا رأى وعقل وقالت ان كان نبيا ميّز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا
مستويا وسلك فى الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك

ملازّ ذو حقّ بات وحنبات اى ذى مغاضبة ظالم صحبة سنبة فما رأيت منه تراخيته

صانعه بكذا عن كذا اى خادعه بالرشوة

فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبى فاقبل الهدهد فاخبر سليمن فامر الجن فضربوا
لبن الذهب والفضة وفرشوه فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول
الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب البر والبحر فربطوها
عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار
ثم قعد على سريره والكراسى من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا
فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا
ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا
بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل بما فيه
فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها [illegible] الدرة
فجعل رزقها فى الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها
فى الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به
وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم
فقالت هو نبى وما لنا به طاقة فشخصت فى اثنى عشر الف قيل تحت كل قيل الوف
وفى قراءة ابن مسعود فلما جاءوا أتمدوننى وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة
وبالادغام كقوله اتحاجونى وبنون واحدة اتمدونى الهدية اسم المهدى كما ان
العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدى والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد
هى التى اهداها او اهديت اليه والمضاف اليه هاهنا هو المهدى اليه والمعنى ان ما عندى
خير مما عندكم وذلك ان الله آتانى الدين الذى فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتانى
من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلى بان تمدونى بمال وتصانعونى به بل انتم قوم
لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم
لان ذلك مبلغ همتكم وحالى خلاف حالكم وما ارضى منكم بشئ ولا افرح به الا بالايمان
وترك المجوسية فان قلت ما الفرق بين قولك اتمدوننى بمال وانا اغنى منكم وبين ان تقوله
بالفاء قلت اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبى عالما بزيادتى عليه فى الغنى واليسار
وهو مع ذلك يمدنى بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالى فانا
اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كأنى اقول له انكر عليك ما فعلت

ناني غني عنه فعليه ورد قوله فما آتاني الله **وإن قلت** فما وجه الإضراب **قلت** لما
أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم
عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التي
لا يعلمون غيرها ويجوز أن تجعل الهدية مضافة إلى المهدى ويكون المعنى بل أنتم بهديتكم
هذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على إهداء مثلها
ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد كأنه قال بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم
وتفرحوا بها **ارجع** خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر لا قبل
لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أي لا يقدرون أن يقابلوهم وقرأ
ابن مسعود لا قبل لهم بهم والضمير في منها لسبأ والذل أن يذهب عنهم ما كانوا
فيه من العزة والملك والصغار أن يقعوا في أسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا
سوقة بعد أن كانوا ملوكا يروى أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان عليه السلام
فجعل عرشها في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الأبواب
ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله أوحي إلى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها
فأراد أن يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من إجراء العجائب على يده
مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان ويصدقها وعن
قتادة أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها
وقيل أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارا
لعقلها وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية والعفراة والعفارية
من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد
وقيل كان اسمه ذكوان **لقوي** على حمله **أمين** آتي به كما هو لا أختزل منه شيئا ولا
أبدله **الذي عنده علم من الكتاب** رجل كان عنده اسم الله الأعظم وهو يا حي يا قيوم
وقيل يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت وقيل يا ذا الجلال والإكرام
وعن الحسن الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان
صديقا عالما وقيل اسمه أسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك أيد الله به سليمان
وقيل هو سليمان نفسه وكأنه استبطأ العفريت فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول وعن ابن
لهيعة

اي يورد عليها امرا غريبا

اي تصرع من التعفير وهو التمريغ في التراب

برخيا مقصور وممدود

بلغني أنه الخضر عليه السلام علم من الكتاب جنس الكتاب المنزل أو هو علم الوحي والشرائع وقيل
هو اللوح والذي عنده هو جبريل وآتيك في الموضعين يحتمل أن يكون فعلا واسم فاعل
الطرف تحريكك أجفانك إذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بإرسال
الطرف كما في قوله وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر
وصف برد الطرف والطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل أن يرتد إليك طرفك أنك ترسل طرفك
إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك وروي أن آصف قال لسليمان عليه السلام
مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه
بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله قبل أن يرد طرفه ويجوز أن يكون
هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وفي ردة
طرف والتفت ترني وما أشبه ذلك تريد السرعة **يشكر لنفسه** لأنه يحط به
عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد
وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين
إن كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها
بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم أن سبوغ ستر الله متقلص عما قريب
إذا أنت لم ترج لله وقارا **غني** عن الشكر **كريم** بالإنعام على من يكفر نعمته والذي
قاله سليمان عند رؤية العرش شاكرا لربه جرى على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله
والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة
المودعة بجميل الصبر **نكروا** اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر
الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله وقرئ
ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف **أتهتدي** لمعرفته أو للجواب الصواب إذا سئلت
عنه أو للإيمان بنبوة سليمان إذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها
وقد خلفته وأغلقت عليه الأبواب ونصبت عليه الحرس **أهكذا** ها كلمات حرف التنبيه
وكاف التشبيه واسم الإشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا
قالت كأنه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل
وأوتينا العلم من كلام سليمان وملائه **فإن قلت** علام عطف هذا الكلام وبم اتصل **قلت**

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه
سليمان وملاؤه ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كانه هو قد اصابت
في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله
وصحة النبوة بالايات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الاية العجيبة من
امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من
عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم
بالله والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين
ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كانه هو والمعنى واوتينا
العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة او قبل هذه الحالة
تعني ما تبينت من الايات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام ثم قال الله وصدها قبل ذلك
عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله او سليمان عما كانت تعبد بتقدير
حذف الجار وايصال الفعل ○ وقرئ انها بالفتح على انها بدل من فاعل صد او بمعنى لانها ○
الصرح القصر ○ وقيل صحن الدار ○ وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه انه سمع
سؤوقا فاجرى عليه الواحد ○ والممرد المملس ○ وروي ان سليمان امر قبل قدومها فبني
له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك
وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك
ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا
ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها
ولد تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع
فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر
عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هي
احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره وناداها انه صرح ممرد من قوارير
وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها
سليمان واحبها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها
في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له ○ وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان

وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل اميرا
حتى مات سليمان ظلمت نفسي تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت ان سليمان يغرقني في اللجة
فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان وقرئ ان اعبدوا الله بالضم على اتباع النون الباء ○ فريقان
فريق مؤمن وفريق كافر ○ وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه قبل ان يؤمن منهم احد
يختصمون يقول كل فريق الحق معي ○ السيئة العقوبة والحسنة التوبة فان قلت
ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احداهما قبل
الاخرى قلت كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه
تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم تقع فنحن
على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله
قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطاء فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه
كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا
تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته
او من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك
اي قدر الله الغالب الذي ينسب اليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن
فلما قالوا اطيرنا بكم اي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند الله اي سببكم
الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء
حرمكم ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة
ومنه قوله طائركم معكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم
على الاصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه ○ تفتنون تختبرون
او تعذبون ○ او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة ○ المدينة الحجر
وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس
والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى
العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب ○
غنم بن غنم ○ رئاب بن مهرج ○ مصدع بن مهرج ○ عمير بن كردبة ○ عاصم بن مخرمة ○
سبيط بن صدقة ○ سمعان بن صفي ○ قدار بن سالف ○ وهم الذين سعوا في عقر الناقة

وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم ولا يصلحون يعني ان شانهم الافساد البحت
الذي لا يخلطه شيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح تقاسموا
يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ لنبيتنه
بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح الا ان
يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو
ليلا وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر
وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل
المصدر والمكان والزمان فان قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا
بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله
فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين
لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة
الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله
ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها
عن الكذب ومكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم
من حيث لا يشعرون شبهه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي انه كان لصالح
مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ
منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا
الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة
عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا
منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل
الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوا بالحجارة ولا يرون راميا انا دمرناهم استئناف
ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم
او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار خاوية
حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف
واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه واذ بدل على الاول ظرف على الثاني

وانتم تبصرون من بصر القلب اي تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق
الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله في حكمته وحكمه وعلمكم
بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه دليل على ان القبيح من الله اقبح منه
من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين او تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا في
ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية
وكان ابا نواس بنى على مذهبهم قوله وبح باسم ما تاتي وذرني من الكنى فلا خير في
او تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فان قلت فسرت تبصرون بالعلم وبعده
بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء قلت اراد تفعلون فعل الجاهلين
بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي
كانوا عليها فان قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت
الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون قلت
اجتمعت الغيبة والمخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة وقرأ الاعمش
جواب قومه بالرفع والمشهورة احسن يتطهرون يتنزهون عن القاذورات كلها
فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس هو استهزاء قدرناها
قدرنا كونها من الغابرين كقوله قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى
امر رسوله صلى الله عليه ان يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على
كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه والمصطفين من عباده وفيه
تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار
بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها
المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا
الله وصلوا على رسول الله امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح
كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني
وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على
الهالكين من كفار الامم والصلاة على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب
للوط عليه السلام ان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه

من هلكتهم وعصمة من ذنوبهم ومعلوم أن لا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين
من هو خالق كل خير ومالكه وإنما هو إلزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك أنهم آثروا
عبادة الأصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء إلا لداع يدعوه إلى إيثاره
من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وأنهم لم يؤثروه لزيادة
الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط وإضلالهم التمييز
ونبذهم المعقول وليعلموا أن الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون
أم أنا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه أنه ليس لموسى مثل أنهاره التي كانت تجري
تحته ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما عددها في
موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ۞ وقرئ تشركون بالتاء
والياء ۞ وعن رسول الله صلى الله عليه أنه كان إذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم
فإن قلت ما الفرق بين أم وأم في أما تشركون وأمن خلق قلت تلك متصلة لأن المعنى أيهما
خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السماوات
والأرض خير تقريرا لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الأعمش
أمن بالتخفيف ووجهه أن يجعل بدلا من الله كأنه قال أمن خلق السماوات والأرض خير
أم ما تشركون فإن قلت أي نكتة في نقل الإخبار عن الغيبة إلى التكلم عن ذاته في قوله
فأنبتنا قلت تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والإيذان بأن إنبات الحدائق المختلفة
الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر
عليه إلا هو وحده ألا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها
ومعنى الكينونة الانبغاء أراد أن تأتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب
أبلغ في تخطئة رأيهم ۞ والحديقة البستان عليه حائط من الإحداق وهو الإحاطة
وقيل ذات لأن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت ۞ والبهجة
الحسن لأن الناظر يبتهج به أإله مع الله أغيره يقرن به ويجعل شريكا له ۞ وقرئ
أإلها مع الله بمعنى أتدعون أو أتشركون ولك أن تحقق الهمزتين وتوسط بينهما
مدة وتخرج الثانية بين بين يعدلون به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد
أمن جعل وما بعده بدل من أمن خلق وكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها

للاستقرار عليها حاجزا كقوله برزخا ۞ الضرورة الحالة المحوجة إلى اللجإ والاضطرار
افتعال منها يقال اضطره إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي أحوجه مرض
أو فقر ۞ أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجإ والتضرع إلى الله ۞ وعن ابن عباس هو
المجهود ۞ وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل هو المذنب إذا استغفر فإن قلت
قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر إذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب قلت
الإجابة موقوفة على أن يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد إلا شارطا فيه
المصلحة وأما المضطر فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق إلى الجزم
على أحدهما إلا بدليل وقد قام الدليل على البعض وهو الذي إجابته مصلحة فبطل التناول
على العموم ۞ خلفاء الأرض خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها
قرنا بعد قرن ۞ أو أراد بالخلافة الملك والتسلط ۞ وقرئ يذكرون بالياء مع
الإدغام وبالتاء مع الإدغام والحذف وما مزيدة أي تذكرون تذكرا قليلا
والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي ۞ يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات
في الأرض إذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر فإن قلت كيف قيل لهم أمن يبدأ الخلق
ثم يعيده وهم منكرون للإعادة قلت قد أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والإقرار
فلم يبق لهم عذر في الإنكار من السماء الماء ومن الأرض النبات إن كنتم صادقين
أن مع الله إلها فأين دليلكم عليه فإن قلت لم رفع اسم الله والله يتعالى أن يكون ممن في السماوات
والأرض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار أحد إلا حمار يريدون ما فيها
إلا حمار كأن أحدا لم يذكر ومنه قوله ۞ عشية ما تغني الرماح مكانها ۞
ولا النبل إلا المشرفي المصمم ۞ وقولهم ما أتاني زيد إلا عمرو وما أعانه إخوانكم
إلا إخوانه فإن قلت ما الداعي إلى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت إليه
نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله إلا اليعافير بعد قوله ليس بها أنيس
ليؤول المعنى إلى قولك إن كان الله ممن في السماوات والأرض فهم يعلمون الغيب يعني أن علمهم
الغيب في استحالته كاستحالة أن يكون الله منهم كما أن معنى ما في البيت إن كانت اليعافير أنيسا
ففيها أنيس بتا للقول بخلوها عن الأنيس فإن قلت هلا زعمت أن الله ممن في السماوات
والأرض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على معنى أن علمه في الأماكن كلها

فكأن ذاته فيها حتى الحملة على مذهب بني تميم قلت يأبى ذلك أن كونه في السموات مجاز
وكونهم فيهن حقيقة وإرادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على أن قولك
من في السموات والأرض وجمعك بينه وبينهم في إطلاق اسم واحد فيه إيهام تسوية والإيهامات
مزالة عنه وعن صفاته ألا ترى كيف قال عليه السلم لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب
القوم أنت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى
يقول قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وعن بعضهم أخفى غيبه عن الخلق ولم
يطلع عليه أحدا لئلا يأمن أحد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سألوا
رسول الله عن وقت الساعة أيان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين ولا ينصرف
وقرئ إيان بكسر الهمزة بل ادّارك بل أدرك بل ادّرك بل تدارك
بل أأدرك بهمزتين بل آأدرك بألف بينهما بل ادّرك بالتخفيف والنقل
بلَ ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل أدّرك على الاستفهام بلى أدرك
بلى أأدرك أم تدارك أم أدرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادّارك أصله
تدارك فادغمت التاء في الدال وادّرك افتعل ومعنى أدرك علمهم انتهى وتكامل
وادّارك تتابع واستحكم وهو على وجهين أحدهما أن أسباب استحكام العلم وتكامله
بأن القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون
وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والأرض لأنهم
لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم إلى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله ناس منهم
فإن قلت إن الآية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وأن العباد لا علم لهم بشيء منه
وأن وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى
وصف المشركين بإنكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة قلت
لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه
وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به أن عندهم عجزا أبلغ منه
وهو أنهم يقولون للكائن الذي لا بد أن يكون وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع أن
عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني أن وصفهم باستحكام العلم
وتكامله تهكم بهم كما تقول لأجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزء وذلك

حيث شكوا وعموا عن إثباته الذي الطريق إلى علمه مسلوك فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذي
لا طريق إلى معرفته وفي أدرك علمهم وادّارك علمهم وجه آخر وهو أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفني
من قولك أدركت الثمرة لأن تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم
وتدارك من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ
بل أأدرك على الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الإنكار لإدراك علمهم وكذا من
قرأ أم أدرك وأم تدارك لأنها أم التي بمعنى بل والهمزة فإن قلت فمن قرأ
بلى أدرك وبلى أأدرك قلت لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معنى بلى يشعرون
ثم فسر الشعور بقوله أدرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي
العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة أنهم لا يعلمون كونها فيرجع إلى نفي الشعور
على أبلغ ما يكون وأما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون ويعلمون
ثم أنكر علمهم بكونها وإذا أنكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لأن العلم
بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الآخرة في شأن الآخرة فإن قلت هذه
الإضرابات الثلاث ما معناها قلت ما هي إلا تنزيل لأحوالهم وصفهم أولا بأنهم لا يشعرون
وقت البعث ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم بأنهم يخبطون في شك ومرية
ولا يزيلونه والإزالة مستطاعة ألا ترى أن من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل
أربابها بعضهم لبعض كان أمره أهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتشخص به طلب التمييز
بين الحق والباطل ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكف
همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل
الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لأن الكفر بالعاقبة
والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون العامل في إذا ما دل
عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لأن بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي
همزة الاستفهام وإن ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف إذا اجتمعن والمراد
الإخراج من الأرض أو من حال الفناء إلى الحيوة وتكرير حرف الاستفهام بإدخاله على إذا وإن
جميعا إنكار على إنكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير
في إنا لهم ولآبائهم لأن كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم فإن قلت قدم في هذه الآية

هذا نحن وآباؤنا وفي آية أخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا قلت التقديم دليل على
أن المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وأن الكلام إنما سيق لأجله ففي إحدى الآيتين
دل على أن اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الأخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد
لم يلحق علامة التأنيث بفعل العاقبة لأن تأنيثها غير حقيقي ولأن المعنى كيف كان آخر أمرهم
وأراد بالمجرمين الكافرين وإنما عبر عن الكفر بلفظ الإجرام ليكون لطفاً للمسلمين في ترك
الجرائم وتخوف عاقبتها ألا ترى إلى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم أغرقوا
ولا تحزن عليهم لأنهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا أو هم قومك قريش كقوله فلعلك باخع
نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ٥ في ضيق في حرج صدر من مكرهم
وكيدهم لك ولا تبال بذلك فإن الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقاً وضيقاً
بالفتح والكسر ٥ وقد قرئ بهما والضيق أيضاً تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقاً حرجاً
قرئ مخففاً ومثقلاً ويجوز أن يراد في أمر ضيق من مكرهم استعجلوا العذاب الموعود
فقيل لهم عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في
ولا تلقوا بأيديكم ٥ أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم ومعناه
تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال ـــ فلما ردفنا من عمير وصحبه
تولوا سراعاً والمنية تعنق يعني دنونا من عمير ٥ وقرأ الأعرج ردف
لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر أفصح وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم
يدل على صدق الأمر وجده وما لا مجال للشك بعده وإنما يعنون بذلك إظهار وقارهم
وأنهم لا يعجلون بالانتقام لإدلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بأن عدوهم
لا يفوتهم وأن الرمزة إلى الأغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده ٥
الفضل والفاضلة الإفضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه
أنه مفضل عليهم بتأخير العقوبة وأنه لا يعاجلهم بها وأكثرهم لا يعرفون
حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب
وهم قريش ٥ قرئ تكن يقال كننت الشيء وأكننته إذا سترته و
أخفيته يعني أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله ومكايدهم
وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه سمى الشيء الذي يغيب ويخفى

غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة ونظائرهما النطيحة
والرمية والذبيحة في أنها أسماء غير صفات ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية
في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كأنه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا
وقد علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة
قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه أحزاباً ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى
لعن بعضهم بعضاً وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد
اليهود والنصارى للمؤمنين لمن أنصف منهم وآمن أي من بني إسرائيل ٥ أو منهم ومن غيرهم
بينهم بين من آمن بالقرآن ومن كفر به فإن قلت ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب
بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم به وهو عدله لأنه لا يقضي إلا بالعدل فسمى المحكوم به
حكماً أو أراد بحكمته وتدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد
قضاؤه العليم بمن يقضى له ومن يقضى عليه ٥ أو العزيز في انتقامه من المبطلين
العليم بالفصل بينهم وبين المحقين أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء
الدين وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه
بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وأن مثله لا يخذل
فإن قلت إنك لا تسمع الموتى يشبه أن يكون تعليلاً آخر للتوكل فما وجه ذلك قلت
وجهه أن الأمر بالتوكل جعل مسبباً عما كان يغيظ رسول الله من جهة المشركين وأهل الكتاب
من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والأذى فلاءم ذلك أن يعلل توكل متوكل
مثله بأن اتباعهم أمر قد يئس منه فلم يبق إلا الاستنصار عليهم لعداوتهم و
استكفاء شرورهم وأذاهم وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس
لأنهم إذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا أقماع القول لا تعيه آذانهم
وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح
السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث يضلون
الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء إلا الله عز وجل
فإن قلت ما معنى قوله إذا ولوا مدبرين قلت هو تأكيد لحال الأصم لأنه إذا تباعد
عن الداعي بأن يولي عنه مدبراً كان أبعد عن إدراك صوته ٥ وقرئ ولا يسمع الصم

وما أنت بهادي العمي على الأصل، وتهدي العمي. وعن ابن مسعود: وما أن تهدي العمي. وهداه
عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة، أي أبعده عنها بالسقي، وأبعده عن الضلال بالهدى
إن تسمع: أي ما يجدي إسماعك إلا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته، أي يصدقون بها
فهم مسلمون أي مخلصون، من قوله تعالى: بلى من أسلم وجهه لله، يعني جعله سالماً لله خالصاً له. سمي
معنى القول ومؤداه بالقول، وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب، ووقوعه حصوله
والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة. ودابة الأرض
الجساسة، جاء في الحديث أن طولها ستون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب
وروي لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان. وعن ابن جريج في وصفها: رأس ثور وعين
خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر
وذنب كبش وخف بعير، وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام
وروي لا تخرج إلا رأسها، ورأسها يبلغ أعنان السماء، أي يبلغ السحاب. وعن أبي هريرة:
فيها من كل لون، وما بين قرنيها فرسخ للراكب. وعن الحسن: لا يتم خروجها إلا بعد
ثلاثة أيام. وعن علي رضي الله عنه: إنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون، فلا يخرج
إلا ثلثها. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل من أين تخرج الدابة؟ فقال: من أعظم المساجد
حرمة على الله، يعني المسجد الحرام. وروي أنها تخرج ثلاث خرجات: تخرج بأقصى اليمن
ثم تتكمن، ثم تخرج بالبادية، ثم تتكمن دهراً طويلاً، فبينا الناس في أعظم المساجد حرمة
وأكرمها على الله، فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين
الخارج من المسجد، فقوم يهربون، وقوم يقفون نظارة. وقيل تخرج من الصفا
فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق، فتقول: أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون
يعني أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي، لأن خروجها من الآيات. وتقول: ألا لعنة الله
على الظالمين. وعن السدي: تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام. وعن
ابن عمر: تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل المشرق، ثم
الشام، ثم اليمن، فتفعل مثل ذلك. وروي تخرج من أجياد. وروي: بينا عيسى عليه السلام
يطوف بالبيت ومعه المسلمون، إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل، وينشق الصفا
مما يلي المسعى، فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان، فتضرب المؤمن

في مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه
حتى يضيء لها وجهه، أو فيترك وجهه كأنه كوكب دري، وتكتب بين عينيه مؤمن
وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه، وتكتب بين
عينيه كافر. وروي: فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتخطم أنف الكافر بالخاتم، ثم تقول
لهم: يا فلان أنت من أهل الجنة، ويا فلان أنت من أهل النار. وقرئ: تكلمهم من الكلم
وهو الجرح، والمراد به الوسم بالعصا والخاتم. ويجوز أن يكون تكلمهم من الكلم أيضاً
على معنى التكثير، يقال: فلان مكلم، أي مجرح. ويجوز أن يستدل بالتخفيف على
أن المراد التكليم والتجريح، كما فسر لنحرقنه بقراءة علي رضي الله عنه: لنحرقنه.
وأن يستدل بقراءة أبي: تنبئهم. وبقراءة ابن مسعود: تكلمهم بأن الناس، على أنه
من الكلام. والقراءة بإن مكسورة حكاية لقول الدابة، إما لأن الكلام بمعنى القول
أو بإضمار القول، أي تقول الدابة ذلك، أو هي حكاية لقول الله عند ذلك. فإن قلت:
إذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول بآياتنا؟ قلت: قولها حكاية لقول الله، أو على
معنى بآيات ربنا، أو لاختصاصها بالله وأثرتها عنده وأنها من خواص خلقه، أضافت
آيات الله إلى نفسها، كما يقول بعض خاصة الملك: خيلنا وبلادنا، وإنما هي خيل
مولاه وبلاده. ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار، أي تكلمهم بأن. فهم يوزعون
يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار، وهذه عبارة عن كثرة
العدد وتباعد أطرافه، كما وصفت جنود سليمان بذلك، وكذلك قوله فوجاً، فإن الفوج
الجماعة الكثيرة، ومنه قوله تعالى: يدخلون في دين الله أفواجاً. وعن ابن عباس: أبو جهل
والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة، وكذلك يحشر
قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار. فإن قلت: أي فرق بين من الأولى والثانية؟
قلت: الأولى للتبعيض، والثانية للتبيين، كقوله: من الأوثان. الواو للحال، كأنه قال:
أكذبتم بها بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها وأنها
حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب، أو للعطف، أي أجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا
أذهانكم لتحققها وتبصرها، فإن المكتوب إليه قد يجحد أن يكون الكتاب
من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه.

ام ماذا كنتم تعملون بها التبكيت لا غير وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب
فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها او التكذيب
ومثاله ان تقول لراعيك وقد علمته راعي سوء أتأكل نعمي ام ماذا تعمل
بها فتجعل ما تبتدئ به وتجعله اصل كلامك واساسه هو الذي صح عندك من اكله
وفساده وترمي بقولك ام ماذا تعمل بها مع علمك انه لا يعمل بها الا الاكل
لتبهته وتعلمه علمك بانه لا يجيء منه الا اكلها وانه لا يقدر ان يدعي الحفظ
والاصلاح لما شهر من خلاف ذلك ○ او اراد اما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر
والتكذيب بايات الله ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني انه لم يكن لهم عمل غيره
كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون
بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم يريد
ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فيشغلهم عن
النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون جعل الابصار للنهار وهو لاهله فان قلت
ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والاخر حالا قلت
هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا
ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب فان قلت لم قيل ففزع دون فيفزع قلت
لنكتة وهي الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على
اهل السموات والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد
فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله الا من ثبت الله قلبه
من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ○ وقيل الشهداء
وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش ○ وعن جابر منهم موسى لانه صعق
مرة ومثله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله
وقرئ اتوه واتاه وداخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر
الصاغر ○ وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ○ ويجوز
ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم له ○ جامدة من جمد في مكانه اذا لم يبرح
تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها

واقفة ثابتة في مكان واحد وهي تمر مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الاجرام
العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة
جيش ○ بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج ○ صنع الله
من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو
الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان كيت وكيت ○ اثاب الله
المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع
من جملة الاشياء التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي
اتقن كل شيء يعني ان مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه
للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عالم بما يفعل العباد وبما
يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ○ ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة الى آخر
الايتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماداته ورصانة
تفسيره واخذ بعضه بحجزة بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى
واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد
بصحته والمنادي على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان الا ترى
الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد ما وسمها باضافتها اليه
بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي اتقن كل شيء ومن احسن من الله صبغة ان
الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله وقرئ تفعلون على الخطاب فله خير منها
يريد الاضعاف وان العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد
وفعل السيد وقيل فله خير منها اي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة ○ وعن
ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة ○ وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه
اضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع فان قلت ما الفرق بين الفزعين
قلت الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول
يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل
على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة
واحسان وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب فان قلت فمن قرأ من فزع

اي صنع الله

اي مع اضافة فزع

واحد وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار والاثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار ٥ امن يعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله ٥ وقيل السيئة الاشراك يعبر عن الجملة بالوجه والراس والرقبة فكانه قيل فكبوا في النار كقوله فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول ٥ امر رسوله بان يقول امرت ان اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام ٥ وان اتلو القرآن من التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك ٥ والبلدة مكة حرسها الله اختصها من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال اني اعلم انك احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت ٥ واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ اليها آمن ٥ وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك اشارة الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة لعظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شيء اللهم بارك لنا في سكناها وآمنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك ٥ وقرئ التي حرمها ٥ واتل عليهم هذا القرآن عن ابي وان اتل عن ابن مسعود فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي فمنفعة اهتدائه

لتبدي به لتصحر به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وانه ولدها لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ٥ ويجوز واصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه ٥ وقرئ موسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كانها فيها فهمزت كما تهمز واو وجوه ٥ قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره ٥ وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد ٥ وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه اي نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة ولا يشعرون بانها اخته وكانت امهما مريم ٥ التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه الا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى اهمهم ذلك ٥ والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع ٥ او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي او الرضاع من قبل من قبل قصصها اثره ٥ روي انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون ٥ والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد ٥ فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله ولتعلم ان وعد الله حق يريد وليثبت علمها ويتمكن فان قلت كيف حل لها ان تاخذ الاجر على ارضاع ولدها

اي قلق القلب

قلت ما كانت تأخذه على أنه أجرة الرضاع ولكنه مال حربي كانت تأخذه
على وجه الاستباحة. وقوله ولكن أكثرهم لا يعلمون داخل تحت علمها، المعنى
لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابون
ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت وأصبح فؤادها فارغا
ويروى أنها حين ألقت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا أم موسى
كرهت أن يقتل فرعون موسى فتؤجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما
أتاها الخبر بأن فرعون أصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله
ويجوز أن يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه أن الرد إنما كان لهذا الغرض
الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الأكثر لا يعلمون بأن هذا هو الغرض
الأصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن. واستوى واعتدل
وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط
واستحملوا أمركم لله دركم شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا وذلك
أربعون سنة. ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة. العلم التوراة
والحكم السنة وحكمة الأنبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن
من آيات الله والحكمة. وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء والعلماء وسمتهم
قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه. المدينة مصر. وقيل مدينة
منف من أرض مصر. وحين غفلتهم ما بين العشاءين. وقيل وقت القائلة
وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم. وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم
بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل قرية إلا على تغفل. وقرأ سيبويه
فاستغاثه. من شيعته ممن شايعه على دينه من بني إسرائيل. وقيل هو السامري
من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الإسرائيلي لحمل
الحطب إلى مطبخ فرعون. والوكز الدفع بأطراف الأصابع. وقيل بجمع
الكف. وقرأ ابن مسعود فلكزه باللام. فقضى عليه فقتله. فإن قلت لم جعل
قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه. قلت لأنه قتله
قبل أن يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه. وعن ابن جريج ليس لنبي

أن يقتل ما لم يؤمر. بما أنعمت علي يجوز أن يكون قسما جوابه محذوف تقديره
أقسم بإنعامك علي بالمغفرة لأتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين وأن يكون
استعطافا كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت علي من المغفرة فلن أكون
إن عصمتني ظهيرا للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين إما صحبة فرعون وانتظامه
في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان
يسمى ابن فرعون وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم كمظاهرة
الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له. وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي
به مرة أخرى يعني لم يقل فلن أكون إن شاء الله. وهذا نحو قوله ولا تركنوا
إلى الذين ظلموا. وعن عطاء أن رجلا قال له إن أخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه
قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فأين
قول موسى وتلا هذه الآية. وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة
وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلما فيجمعون
في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم. وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة
فلن أستعملها إلا في مظاهرة أوليائك وأهل طاعتك والإيمان بك ولا أدع
قبطيا يغلب أحدا من بني إسرائيل. يترقب المكروه وهو الاستقادة منه
أو الأخبار وما يقال فيه. وصف الإسرائيلي بالغي لأنه كان سبب قتل رجل
وهو يقاتل آخر. وقرئ يبطش بالضم. والذي هو عدو لهما القبطي لأنه ليس
على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل. والجبار الذي يفعل ما يريد
من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن
وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله. ولما قال هذا أفشى على موسى
فانتشر الحديث في المدينة ورقي إلى فرعون وهموا بقتله. قيل الرجل
مؤمن من آل فرعون وكان ابن عم فرعون. ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا
لرجل وانتصابه حالا عنه لأنه قد تخصص بأن وصف بقوله من أقصى المدينة
وإذا جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى إلا الوصف. والائتمار التشاور
يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء

او يشير عليه بامر • والمعنى يتشاورون بسببك لك بيان وليس بصلة الناصحين
• يترقب التعرض له في الطريق او ان يلحق تلقاء مدين قصدها ونحوها
ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون
وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى لا يعرف اليها الطريق قال ابن
عباس خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه • وسواء السبيل وسطه
ومعظم نهجه • وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط
خف قدميه • وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين
• ماء مدين ماءهم الذي يستقون منه وكان بئرا فيما روي ووروده مجيئه
والوصول اليه وجد عليه وجد فوق شفيره ومستقاه امة جماعة كثيفة العدد
من الناس من اناس مختلفين من دونهم في مكان اسفل من مكانهم • والذود الطرد
والدفع وانما كانتا تذودان لان على الماء من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من
السقي • وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء • وقيل لئلا تختلط اغنامهما
باغنامهم • وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما • ما خطبكما ما
شانكما وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي
المشؤون شانا في قولك ما شانك يقال شانت شانه اي قصدت قصده
وقرئ لا نسقي • ويصدر والرعاء بضم الراء • والرعاء اسم جمع
كالرخال والثناء • واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام • كبير
كبير السن فسقى لهما غنمهما لاجلهما • وروي ان الرعاة كانوا يضعون
على راس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال • وقيل عشرة • وقيل اربعون
وقيل مائة فاقله وحده • وروي انه سالهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم
وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض
ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما • وروي انه دفعهم عن الماء
حتى سقى لهما • وقيل كانت بئرا اخرى عليها الصخرة وانما فعل هذا رغبة
في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت
عليه امة من اناس مختلفة متكاثفة العدد وراى الضعيفتين من ورائهم

مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما اخطات همته في دين الله تلك الفرصة
مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فاغاثهما
وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما اتاه
الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة • وفيه مع ارادة اقتصاص امره
وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة
الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين
والاخذ بسيرهم ومذاهبهم فان قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله
يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما
رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم
ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه
السقي لا المسقي فان قلت كيف طابق جوابهما سؤاله قلت سالهما عن سبب
الذود فقالتا السبب في ذلك انا امراتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على
مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تاخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا
رجل يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابلتا اليه
عذرهما في توليهما السقي بانفسهما فان قلت كيف ساغ لنبي الله الذي هو
شعيب عليه السلام ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت الامر في نفسه ليس بمحظور
فالدين لا ياباه واما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة
فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب
اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة • اني لما انزلت
الي قليل • او كثير غث • او سمين لفقير فان قلت لم عدي فقير باللام قلت لانه ضمن
معنى سائل وطالب • قيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراءى في بطنه
من الهزال ما سال الله الا اكلة • ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا
لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون
في ملك وثروة قال ذلك رضى بالبدل السني وفرحا به وشكرا له • وكان
الظل ظل سمرة • على استحياء في موضع الحال اي مستحيية متخفرة • وقيل

قد استترت بكم درعها ○ روى انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس و
اغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا
فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى فالزقت الريح
ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما
قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا **فان قلت** كيف ساغ لموسى عليه السلم
ان يعمل بقول امرأة وان يمشي معها وهي اجنبية **قلت** اما العمل بقول
امرأة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى
في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه ليجزيه واما مماشاته
امرأة اجنبية فلا بأس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط
والتورع **فان قلت** كيف صح له اخذ الاجر على البر والمعروف **قلت** يجوز ان
يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب
واحسانه لا على سبيل اخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف
وقد قص عليه قصته وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب ومثله
حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من انبياء الله وليس بمنكر
ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر ○ وقد روى ما يعضد
كلا القولين ○ روى انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع
وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف
ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا ○ وعن عطاء بن السائب
رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك اجر ما سقيت اي
جزاء سقيك ○ والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص ○ كبراهما كانت
تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هي التي ذهبت به وطلبت الى
ابيها ان يستأجره وهي التي تزوجها ○ وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان شعيبا اخذته
الغيرة فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع
الدلو وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه
وقولها ان خير من استأجرت القوي الامين كلام حكيم جامع لا يزاد

١٥١

عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة في القائم بامرك
فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي سياقه
سياق المثل والحكمة ان تقول استأجره لقوته وامانته **فان قلت** كيف جعل
خير من استأجرت اسما لان والقوي الامين خبرا **قلت** هو مثل قوله
الا ان خير الناس حيا وهالكا اسير ثقيف عندهم في السلاسل ○ في ان
العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعلت لها ما هو احق بان يكون خبرا
اسما وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه
قولهم اهون ما اعملت لسان ممح ○ وعن ابن مسعود رضي الله عنه افرس الناس ثلثة بنت
شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر ○ روى
انه انكحها صفراء وقوله هاتين فيه دليل على انه كانت له غيرهما **تأجرني**
من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرفه
او من اجرته كذا اذا اثبته اياه ○ ومنه تعزية رسول الله صلعم اجركم
الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج **فان قلت** كيف صح
ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز **قلت** لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن
مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد انكحتك ولم
يقل اني اريد ان انكحك **فان قلت** فكيف صح ان يمهرها اجارة نفسه في رعية
الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابي حنيفة رحمه الله كيف منع ان يتزوج
امرأة بان يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة ○ او
يسكنها داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني هو مسلم
مالا وهو العبد او الدار **قلت** الامر على مذهب ابي حنيفة على ما ذكرت واما
الشافعي فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان
المستأجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة
ويجوز ان يكون المهر شيئا آخر وانما اراد ان يكون راعي غنمه هذه المدة
واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية
على معنى اني افعل هذا اذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة

ويجوز ان يستاجره لرعيته ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تاجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عمل عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك والمعنى فهو من عندك لا من عندي يعني لا الزمكه ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه فان قلت ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر قلت حقيقته ان الامر اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه وتارة لا اطيقه او وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استاجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة الاوقات والمداقة في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة اشغالا خارجة من حد الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم السلام آخذين بالاسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي وكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله ستجدني ان شاء الله من الصالحين يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز ان يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه يستعمل الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه ذلك مبتدأ وبيني وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا نخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال اي الاجلين قضيت اطولهما الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثماني فلا عدوان علي اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه فان قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو اقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا

لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثماني اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة فموكولة الى رايي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل معناه فلا اكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود اي الاجلين ما قضيت وقرئ ايما بسكون الياء كقوله

تنظرت نصرا والسماكين ايهما ... علي من الغيث استهلت مواطره

وعن ابن قطيب عدوان بالكسر فان قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زائدة في شياعها وفي الشاذة تاكيدا للقضاء كانه قال اي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له الوكيل الذي وكل اليه الامر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك روي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح

لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فا
موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج
غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحى اليه في المنام ان اضرب بعصاك
مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطات واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء
فوفى له بشرطه ٥ سئل رسول الله صلعم اي الاجلين قضى موسى فقال ابعدهما
وابطاهما ٥ وروى انه قال قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا اختلاف الروايات
التي سبقت الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعا العود الغليظ كانت
في راسه نار او لم تكن قال كثير : باتت حواطب ليلى يلتمسن لها
جزل الجذى غير خوار ولا دعر ٥ وقال : والقى على قبس من النار جذوة
شديدا عليها جمرها والتهابها ٥ من الاولى والثانية لابتداء الغاية
اى اتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ٥ ومن الشجرة بدل
من قوله شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ
كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم ٥ وقرئ البقعة بالضم والفتح ٥
والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف ف
فان قلت ما معنى قوله واضمم اليك جناحك من الرهب قلت فيه معنيان
احدهما ان موسى عليه لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها
بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة
عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك
مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة
عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يدي الانسان
بمنزلة جناحي الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم
جناحه اليه ٥ والثاني ان يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه و
تشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من
فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان
اليه مشمران ٥ ومنه ما حكي عن عمر بن عبد العزيز ان كاتبا له كان يكتب

بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له
عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فاني ما سمعتها من احد
اكثر مما سمعتها من نفسي ٥ ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك
الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا
وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله واسلك
يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر
المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد بيضاء
وفي الثاني اخفاء الرهب فان قلت قد جعل الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما
وفي الاخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك واضمم يدك الى جناحك
فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه
اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير
ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطني مما في رهبك وليت شعري
كيف صحته في اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم
ثم ليت شعري كيف موقعه في الاية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل
على ان موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف
لا كمي لها فذانك قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد
مثنى ذلك برهانان حجتان بينتان نيرتان فان قلت لم سميت الحجة برهانا
قلت لبياضها وانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين
واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان
ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها يقال
ردأته اعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما ان
الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل : وردء كل ابيض مشرفي
شحيذ الحد عضب ذي فلول ٥ وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب
يصدقني بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثني سواء فان قلت
تصديق اخيه ما الفائدة فيه قلت ليس الغرض بتصديقه لان يقول له صدقت

أو يقول للناس صدق موسى وإنما هو أن يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه
ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى
التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان ألا ترى إلى قوله وأخي هرون
هو أفصح مني لسانا فأرسله معي وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله
صدقت فإن سحبان وباقلا يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه
الذي يخاف تكذيبه فأسند التصديق إلى هرون لأنه السبب فيه إسنادا مجازيا
ومعنى الإسناد المجازي أن التصديق حقيقة في المصدق فإسناده إليه حقيقة
وليس في السبب تصديق ولكن استعير له الإسناد لأنه لابس التصديق بالتسبب
كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله إني أخاف أن يكذبون
وفي قراءة أبي ردءا يصدقوني وفيه تقوية للقراءة بالجزم
العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة أبني لبينى لستم بيد
إلا يدا ليست لها عضد ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي
ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك بأخيك سنقويك به
ونعينك فإما أن يكون ذلك لأن اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى
بشدة اليد على مزاولة الأمور وإما لأن الرجل شبه باليد في اشتدادها
باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة سلطانا غلبة
وتسلطا أو حجة واضحة بآياتنا متعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات أي
اذهبا بآياتنا أو بنجعل لكما سلطانا أي نسلطكما بآياتنا
أو بلا يصلون أي تمتنعون منهم بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع
تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن إلا صلة له ويجوز أن يكون
قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه أو من لغو القسم سحر مفترى سحر
تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر ظاهر افتراؤه أو موصوف
بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله في آبائنا حال منصوبة
عن هذا أي كائنا في زمن آبائهم وأيامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو
من أن يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا بنحوه أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله

في فظاعته أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل
أنهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات إلا قولهم
هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها يقول ربي أعلم منكم بحال من أهله الله
للفلاح الأعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه
ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لأنه غني حكيم
لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار
هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن
وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها
أن تختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت فإن قلت
العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار لأن الدنيا
إما أن تكون خاتمتها بخير أو بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية
دون خاتمتها بالشر قلت قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا إلى الآخرة
وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله ليتلقوا خاتمة
الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف
فإذن عاقبتها الأصلية عاقبة الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها
لأنها من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو وكذا هو
في مصاحف أهل مكة وهي قراءة حسنة لأن الموضع موضع سؤال
وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة
سحرا مفترى ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن
الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر وبضدها
تتبين الأشياء وقرئ يكون بالياء والتاء روي أنه لما أمر ببناء الصرح
جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء
وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه
حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان أحد من الخلق فكان الباني لا يقدر أن يقوم
على رأسه يبني فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه

ملك فقطع فوقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعت قطعة
في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله إلا قد هلك ويروى في
هذه القصة أن فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فأراد الله
أن يفتنهم فردت إليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت إله موسى فعندها
بعث الله جبريل لهدمه والله أعلم بصحته قصد بنفي علمه بإله غيره نفي وجوده
معناه ما لكم من إله غيري كما قال عز وجل قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
ولا في الأرض معناه بما ليس فيهن وذلك لأن العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به إلا على ما
هو عليه فإذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم
بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده
ويجوز أن يكون على ظاهره وأن إلها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون
بدليل قوله وإني لأظنه من الكاذبين وإذا ظن موسى كاذبا في إثباته إلها
غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن أن في الوجود إلها غيره ولو لم يكن المخذول
ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى لقول موسى له لقد علمت ما أنزل
هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب
في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه إلى إله موسى ولئن كان جاهلا مفرط الجهل به
وبصفاته حيث حسب أنه في مكان كما كان هو في مكان وأنه يطلع إليه كما كان يطلع
إليه إذا قعد في عليته وأنه ملك السماء كما أنه ملك الأرض ولا ترى بينة أثبت شهادة
على إفراط جهله وغباوته وجهل ملئه وغباوتهم من أنهم راموا نيل أسباب
السموات بصرح يبنونه وليت شعري أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك من عقولهم
حيث صادف فيهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن وأشبههم بالبهائم بذلك أم كان
في نفسه بتلك الصفة وإن صح ما حكي من رجوع النشابة إليه ملطوخة بالدم فتهكم
به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة
ويجوز أن يفسر الظن على القول الأول باليقين كقوله فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج
ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه
لغباوتهم وبلههم أو لم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه

وإنما قال أوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لأنه
أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أحسن طباقا لفصاحة
القرآن وعلو طبقته وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره ورديفه
بالإيقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظم والتجبر وعن
عمر رضي الله عنه أنه حين سافر إلى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت أن
أحدا بنى بالآجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع
يعني الاستكبار بالحق إنما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة أي المتبالغ
في كبرياء الشأن قال رسول الله صلعم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة
إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره
بغير الحق يرجعون بالضم والفتح فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام
المفخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا
لعددهم وإن كانوا الكثير الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ في
كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله وألقينا فيها رواسي شامخات وحملت الأرض
والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته
يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لاقتداره
وأن كل مقدور وإن عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته فإن قلت
ما معنى قوله وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار قلت معناه ودعوناهم أئمة
دعاة إلى النار وقلنا إنهم أئمة دعاة إلى النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة
دعاة إلى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا إذا دعاه وقال إنه بخيل
وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا
ومنه قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ومعنى دعوتهم
إلى النار دعوتهم إلى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيامة لا ينصرون
كما ينصر الأئمة الدعاة إلى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر
ومعنى الخذلان منع الألطاف وإنما يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه وهو المصمم
على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لأن منع الألطاف

بحذف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر
حتى كانوا أئمة فيه دعاة إليه وإلى سوء عاقبته فإن قلت وأي فائدة في
ترك المحذوف إلى المرادف قلت ذكر المرادف يدل على وجود المحذوف
مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون أقوى لإثباته من ذكره ألا ترى أنك تقول
لولا أنه مصمم على الكفر مقطوع أمره مبتوت حكمه لما امتنعت منه الألطاف
فبذكر منع الألطاف يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو
قيام الحجة على وجوده وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيامة لا ينصرون
كأنه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون كما قال وأتبعناهم
في هذه الدنيا لعنة أي طردا وإبعادا عن الرحمة ويوم القيامة هم من
المقبوحين أي من المطرودين المبعدين بصائر نصب على الحال والبصيرة
نور القلب الذي يستبصر به كما أن البصر نور العين الذي تبصر به يريد آتيناه
التوراة أنوارا للقلوب لأنها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل
وإرشادا لأنهم كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لأنهم لو عملوا بها وصلوا إلى نيل
الرحمة لعلهم يتذكرون إرادة أن يتذكروا شبهت الإرادة بالترجي
فاستعير لها ويجوز أن يراد به ترجي موسى لتذكرهم كقوله لعله يتذكر
الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى
من الطور وكتب الله له في الألواح والأمر المقضي إلى موسى الوحي الذي أوحي
إليه والخطاب لرسول الله صلعم يقول وما كنت حاضر المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى
ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم نقباؤه الذين اختارهم
للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتبة
التوراة له في الألواح وغير ذلك فإن قلت كيف يتصل قوله ولكنا أنشأنا
قرونا بهذا الكلام ومن أي وجه يكون استدراكا له قلت اتصاله به وكونه
استدراكا له من حيث أن معناه ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهدك
قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذي أنت فيهم العمر أي أمد
انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك

وكسبناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى
وما جرى عليه ولكنا أوحيناه إليك فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة
ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فإذن هذا الاستدراك شبيه
الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا أي مقيما في أهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به
تتلو عليهم آياتنا تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب
وقومه ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها إذ نادينا يريد مناداة
موسى ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع
أي هي رحمة ما أتاهم من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة
وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم لولا الأولى امتناعية
وجوابها محذوف والثانية تحضيضية وإحدى الفاءين للعطف والأخرى جواب لولا
لكونها في حكم الأمر من قبل أن الأمر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد
والمعنى ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت
إلينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا إليهم يعني أن إرسال الرسول إليهم
إنما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك
فإن قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا
القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بأن يكون سببا
لإرسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها
جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا وجيء
بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه إلى قولك
ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة
لنكتة وهي أنهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما ألجئوا به إلى العلم
اليقيني لم يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا وإنما السبب في قولهم هذا هو العقاب
لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الإيمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية
على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه

ولما كانت اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي
وتقديم الايدي وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير
الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدق
بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم قالوا لولا
اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق
البحر وغيرها من الايات فجاءوا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا
انزل اليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني ابناء
جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن
موسى بما اوتي موسى وعن الحسن قد كان للعرب اصل في ايام موسى فمعناه
على هذا اولم يكفر اباؤهم قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا اي تعاونا
وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين
مبالغة في وصفهما بالسحر او ارادوا نوعين من السحر بكل واحد منهما
فان قلت بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير قلت باولم يكفروا ولي ان اعلقه
باوتي فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا
بمحمد عليه السلام بالقران فقد كفروا بموسى بالتوراة وقالوا في موسى ومحمد
ساحران تظاهرا او في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط
الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد عليه السلام فاخبروهم انه نعته
وصفته وانه في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود
فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا هو اهدى منهما مما انزل على موسى ومما انزل
علي هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر المتحقق لصحته
لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه
للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم فان قلت ما الفرق بين فعل
الاستجابة في الاية وبينه في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث
عدي بغير اللام قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي
والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال

استجاب الله دعاءه او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه واما البيت
فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فان قلت فالاستجابة تقتضي دعاء فاين الدعاء
ههنا قلت قوله فأتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه
فكانه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد الزموا
ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال ومن اضل ممن لا يتبع في دينه الا هواه
بغير هدى من الله اي مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف ان الله لا يهدي اي لا يلطف
بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال
يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه قرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى
ان القران اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح
احدهم وقيل في اربعين من مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاءوا مع جعفر من ارض
الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقران فان قلت اي فرق بين الاستئنافين
انه وانا قلت الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به
والثاني بيان لقوله امنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده
فاخبروا بان ايمانهم به متقادم لان اباءهم القدماء قرأوا في الكتب الاول
ذكره وابناءهم من بعدهم من قبله من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين
على ملة الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي بما صبروا بصبرهم
على الايمان بالتوراة والايمان بالقران او بصبرهم على الايمان بالقران قبل
نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتيكم
كفلين من رحمته بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة او بالحلم
الاذى سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين
لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم فان قلت من خاطبوا بقولهم
ولكم اعمالكم قلت اللاغين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو لا تهدي من احببت
ان تدخله في الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم لانك عبد
لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يدخل في الاسلام من يشاء
وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه وان الالطاف تنفع فيه فيقرن بها

الطافه حتى تدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين
لا يقبلون ۝ قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت في ابي طالب وذلك ان ابا طالب
قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد
يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان
تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق
ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان تكون عليك وعلى بني ابيك
غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى
من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب
وهاشم وعبد مناف ۝ قالت قريش ۝ وقيل ان القائل الحرث بن عثمن بن نوفل
بن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب
بذلك وانما نحن اكلة رأس اي قليلون ان يتخطفونا من ارضنا ۝ فالقمهم الله
الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته
وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم
لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق
تجبى اليهم من كل اوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت
وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف يستقيم ان يعرضهم للتخوف والتخطف
ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن
الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز يجبى اليه تجلب وتجمع قرئ بالتاء والياء
وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقولك يجنى الي فيه ويجنى الى
الخافة ۝ وثمرات بضمتين وبضمة وسكون ۝ ومعنى الكلية الكثرة كقوله
واوتيت من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا اي قليل
منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا
يفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما
خافوا التخطف اذا آمنوا به وخلعوا انداده فان قلت بم انتصب رزقا قلت

ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى تجبى اليه ثمرات كل شيء
ويرزق ثمرات كل شيء واحد ۝ وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق
كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة
۝ هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله
عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر
والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم ۝ وانتصبت معيشتها اما بحذف في
الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه ۝ واما على الظرف بنفسها
كقولك زيد ظني مقيم ۝ او بتقدير حذف الزمان المضاف اصله بطرت ايام
معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج ۝ واما بتضمين بطرت معنى كفرت و
غمطت ۝ وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه الا قليلا
من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة
ويحتمل ان شؤم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من
اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها
اي تركناها على حال لا يسكنها احد ۝ او خربناها وسويناها بالارض ۝
تخلف الاثار ۝ عن اصحابها حينا ويدركها الفناء فتتبع ۝ وما كانت عادة
ربك ان يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها
وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة
مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى
في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء ۝
وقرئ امها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه
عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم
ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تأكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل
ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير
ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص في قوله
بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان حاله في غناه

وحكمته مناسبة للظلم دل على ذلك بحرف التعجب مع لامه كما قال وما كان الله ليضيع
ايمانكم ٥ وأى شيء أصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلائل
وهى مدة الحيوة المتقضية وما عند الله وهو ثوابه خير فى نفسه من ذلك وابقى
لان بقاءه دائم سرمد ٥ وقرئ يعقلون بالياء وهو ابلغ فى الموعظة ٥ وعن ابن عباس
ان الله خلق الدنيا وجعل اهلها ثلثة اصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود
والمنافق يتزين والكافر يتمتع ٥ هذه الآية تقرير وايضاح للتى قبلها والوعد
الحسن الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق وأى شيء احسن
منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى وهو لاقيه كقوله ولقاهم نضرة وسرورا
وعكسه فبشرهم بعذاب اليم من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه لكنت
من المحضرين فانهم لمحضرون ٥ قيل نزلت فى رسول الله صلعم وابى جهل
لعنه الله ٥ وقيل فى على وحمزة وابى جهل وقيل فى عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة
فان قلت فسر لى الفاءين وثم واخبرنى عن مواقعها قلت قد ذكر فى الآية التى
قبلها متاع الحيوة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله أفمن وعدناه
على معنى أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين ابناء الآخرة وابناء الدنيا
فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود
مسبب عن الوعد الذى هو الضمان فى الخير واما ثم فلتراخى حال الاحضار عن حال
التمتيع لا لتراخى وقته عن وقته ٥ وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد
فى عضد تشبيها للمنفصل بالمتصل وسكون الهاء فى فهو وهو ولهو احسن لان الحرف
الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل ٥ شركائى مبنى على زعمهم وفيه تهكم
فان قلت زعم يطلب مفعولين كقوله ولم ازعمك عن ذاك معزلا فاين هما
قلت محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائى ويجوز حذف المفعولين
فى باب ظننت ولا يصح الاقتصار على احدهما ٥ الذين حق عليهم القول الشياطين او ائمة
الكفر ورؤسه ٥ ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو
قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ٥ وهؤلاء مبتدأ والذين اغوينا
صفته والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف

تقديره اغويناهم

اى احسن وعدناه

تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا
مغوين اغوونا بقسر منهم والجاء ٥ او دعونا الى الغى وسولوه لنا فهؤلاء كذلك
غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا او الجاء فلا فرق
اذن بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان فى مقابلته
دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل
وانزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك
بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان
ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم والله عز وجل قدم
هذا المعنى اول شيء حيث قال لابليس ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من
اتبعك من الغاوين ٥ تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر بانفسهم
هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان وما كانوا
ايانا يعبدون انما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين
من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى ٥ لو انهم كانوا يهتدون لوجه
من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او لو انهم كانوا مهتدين مؤمنين لما راوه
او تمنوا لو كانوا مهتدين او تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون
طريقا ٥ حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين
او ائمتهم عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بان
الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة
بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون
به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل فعميت عليهم الانباء فصارت
الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدى اليهم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا
كما يتساءل الناس فى المشكلات لانهم يتساوون جميعا فى عمى الانباء عليهم
والعجز عن الجواب ٥ وقرئ فعميت والمراد بالنبأ الخبر عما اجاب به المرسل
اليه رسوله واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون فى الجواب عن مثل

اى بهم ويدعونا ونحن مغوون

المعنى على العز ... عمى ورجل عمٍ ... قاله فى مجمل اللغة وقال فى المغرب عمى عليه الخبر اى خفى مجاز من عمى البصر

هذا السؤال ويفوضون الأمر إلى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من أممهم
فأما من تاب من المشركين من الشرك وجمع بين الإيمان والعمل الصالح فعسى
أن يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز أن يراد ترجي التائب وطمعه
كأنه قال فليطمع أن يفلح الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل
بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه
ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لأن معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل
العاطف والمعنى أن الخيرة لله في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لأحد
من خلقه أن يختار عليه وقيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار
المرسل إليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة أي يختار للعباد
ما هو خير لهم وأصلح وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم من قولهم في الأمرين ليس
فيهما خيرة لمختار فإن قلت فأين الراجع من الصلة إلى الموصول إذا جعلت
ما موصولة قلت أصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله
إن ذلك لمن عزم الأمور لأنه مفهوم سبحان الله أي الله بريء من إشراكهم وما
يحملهم عليه من الجرأة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار ما تكن صدورهم
من عداوة رسول الله وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا
اختير عليه غيره في النبوة وهو الله وهو المستأثر بالإلهية المختص بها
لا إله إلا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة إلا هي فإن قلت
الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة قلت هو قولهم الحمد لله الذي أذهب
عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد
هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس
وله الحكم القضاء بين عباده أرأيتم وقرئ أريتم بحذف الهمزة
وليس بحذف قياسي ومعناه أخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدائم
المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرد

ذو القعدة وذو الحجة والمحرم

وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص
فإن قلت هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلت ذكر الضياء
وهو ضوء الشمس لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده
والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون لأن السمع يدرك ما
لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لأن
غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه ومن رحمته زاوج
بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة لتسكنوا في أحدهما وهو الليل ولتبتغوا من
فضل الله في الآخر وهو النهار ولإرادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف
في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء إيذان بأن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك
به كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما أدخلتنا في أهل توحيدك فأدخلنا
في الناجين من وعيدك ونزعنا وأخرجنا من كل أمة شهيدا وهو نبيهم لأن
أنبياء الأمم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه فقلنا للأمة هاتوا برهانكم
فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا حينئذ أن الحق لله ولرسله لا لهم
ولشياطينهم وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون
من الباطل والكذب قارون اسم أعجمي مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف
ولو كان فاعولا من قرن لانصرف وقيل معنى قوله من قومه أنه آمن به وقيل
كان إسرائيليا ابن عم لموسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب
وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن أخيه وكان يسمى المنور
لحسن صورته وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري
وقال إذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان إلى هرون فما لي ويروى أنه
لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان
ويكون رأسا فيهم وكان القربان إلى موسى فجعله موسى إلى أخيه وجد قارون في نفسه
وحسدهما فقال لموسى الأمر لكما ولست على شيء إلى متى أصبر فقال موسى هذا
صنع الله قال والله لا أصدقك حتى تأتي بآية فأمر رؤساء بني إسرائيل أن
يجيء كل واحد بعصاه فحزمها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا

تسكنون صفة لليل أي بليل تسكنون فيه

يحرسون عصيهم بالليل فأصبحوا وإذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر وكانت
من شجر اللوز فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو
الظلم ٥ قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم ٥ وقيل من البغي وهو الكبر
والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده ٥ وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا
المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به ٥ وقيل هي الخزائن ٥ وقياس
واحدها مفتح بالفتح ٥ ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله ٥ والعصبة
الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا ٥ وقيل كانت تحمل
مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع
وكانت من جلود قال ابو رزين يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ
الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة واولي القوة ٥ وقرأ بديل بن ميسرة
لينوء بالياء ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما اضيفت اليه
للملابسة والاتصال كقولك ذهبت اهل اليمامة ٥ ومحل اذ منصوب بتنوء
لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل ولست بمفراح اذا الدهر
وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن واما من قلبه الى الآخرة
ويعلم انه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما احسن ما قال القائل
اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا وابتغ فيما آتاك الله
من الغنى والثروة وابتغ فيما آتاك الله من الغنى والثروة الدار الآخرة
بان تفعل فيه افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى
الآخرة ولا تنس نصيبك وهو ان تأخذ ما يكفيك ويصلحك ٥ واحسن الى عباد الله كما
احسن الله اليك ٥ او احسن بشكرك وطاعتك لله كما احسن اليك ٥ والفساد في الارض ما كان
عليه من الظلم والبغي ٥ وقيل ان القائل موسى صلعم ٥ وقرئ واتبع على علم اي على استحقاق
واستيجاب لما في من العلم الذي فضلت به الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل بالتوراة
وقيل هو علم الكيمياء ٥ عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلم يعلم علم الكيمياء فافاد
يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون
حتى اضاف علمهما الى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا ٥ وقيل علم الله

موسى علم الكيمياء فعلمه موسى اخته فعلمته اخته قارون ٥ وقيل هو بصره
بانواع التجارة والدهقنة وسائر المكاسب ٥ وقيل عندي معناه في ظني كما تقول
الامر عندي كذا كانه قال انما اوتيته على علم كقوله ثم اذا خولناه نعمة منا
قال انما اوتيته على علم ثم زاد عندي اي هو في ظني ورأيي هكذا ٥ يجوز ان يكون اثباتا لعلمه
بان الله قد اهلك من القرون من قبله من هو اقوى منه واغنى لانه قد قرأه في التوراة
واخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كانه قيل او لم يعلم في جملة ما عنده
من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ٥ ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه
لما قال اوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم
الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع
حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ٥ واكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا
فان قلت ما وجه اتصال قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله قلت لما ذكر قارون
من اهلك من قبله من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى قال على سبيل التهديد له والله
مطلع على ذنوب المجرمين لا حاجة الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على ان يعاقبهم
عليها كقوله والله خبير بما يعملون والله بما تعملون عليم وما اشبه ذلك في زينته
قال الحسن في الحمرة والصفرة ٥ وقيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج
من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه ٥ وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعلى
يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج
وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رؤي فيه المعصفر كان المتمنون
قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة
البشر ٥ وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في سبيل الخير
وقيل كانوا قوما كفارا ٥ الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان
تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة
قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل الله
به بعضكم على بعض ٥ وقيل لرسول الله صلعم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاه
الخبط ٥ والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بانه رجل مجدود ومحظوظ

يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا احاظ وجدود ويلكم
اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى
كما استعمل لا ابا لك واصله الدعاء على الرجل بالاقراف في الحث على الفعل والراجع
في ولا يلقاها للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب لانه في معنى المثوبة او الجنة
او للسيرة والطريقة وهي الايمان والعمل الصالح الصابرون على الطاعات
وعن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير كان قارون يؤذي نبي الله
موسى صلى الله عليه كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكوة
فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم فحسبه فاستكثره
فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى ارادكم على كل شيء وهو يريد
ان ياخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة
البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل فجعل لها الف دينار
وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا وقيل حكمها
فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى
جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون
وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت
بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وانزل التوراة ان تصدق
فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر
موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر
الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني
الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا
غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى
الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون
الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه
ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم واوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا
بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو اياي دعوا مرة واحدة لوجدوني

قريبا مجيبا فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون
ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله من المنتصرين
من المنتقمين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه
فانتصر اي منعه منه فامتنع قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك
ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا وي
مفصولة عن كان وهي كلمة تنبه على الخطا وتندم ومعناه ان القوم
قد تنبهوا على خطاهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وتندموا
ثم قالوا كانه لا يفلح الكافرون اي ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح
وهو مذهب الخليل وسيبويه قال وي كان من لم يكن له نشب يحبب ومن
وحكى الفراء ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال ويكانه وراء البيت
وعند الكوفيين ان ويك بمعنى ويلك وان المعنى الم تعلم انه لا يفلح الكافرون
ويجوز ان تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي كقوله ويك عنتر اقدم
وانه بمعنى لانه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول او لانه لا يفلح الكافرون
كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ كانه ومنهم
من يقف على ويك وقرا الاعمش لولا من الله علينا وقرئ لخسف بنا وفيه
ضمير الله ولانخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا تلك تعظيم لها وتفخيم
لشانها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الموعد بترك
العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا
الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي ان الرجل ليعجبه ان يكون
شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قراها
ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى
قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله
ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون
وقارون فله تلك الدار الاخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره
علي والفضيل وعمر معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير

لأن في إسناد عمل السيئة إليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين إلا ما كانوا يعملون إلا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله خير منها فرض عليك القرآن أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني أن الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط الوصف ولرادك بعد الموت إلى معاد أي معاد وإلى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه أن يراد رده إليها يوم الفتح ووجه تنكيره أنها كانت في ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لأهلها ولظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكأن الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها أنه يهاجر به منها ويعيده إليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم فنزل جبريل فقال له أتشتاق إلى مكة قال نعم فأوحاها إليه فإن قلت كيف اتصل قوله قل ربي أعلم بما قبله قلت لما وعد رسوله الرد إلى معاد قال قل للمشركين ربي أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم فإن قلت إلا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء قلت هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقي عليك الكتاب إلا رحمة من ربك ويجوز أن يكون إلا بمعنى لكن للاستدراك أي ولكن لرحمة من ربك ألقي إليك وقرئ يصدنك من أصده بمعنى صده وهي لغة في كلب قال:

أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن أنوف الحوائم

بعد إذ أنزلت إليك بعد وقت إنزاله وإذ تضاف إليه أسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما أشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره إلا وجهه إلا إياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الأجر

بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السماوات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا إن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام دال على مضمون فأردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك فإن قلت فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية قلت هو في قوله أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله: فتركته جزر السباع ينشنه. ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فإن قلت أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته للتأديب تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ومصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالإيمان أنهم يتركون بذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات أقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم

عندك والمقصود الخبر
عن ثباته عندك على الوجه
الذي ذكر حيث قال في العبارة
عن ثباته عندك الى آخره

ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ٥ وروي أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله قد جزعوا من أذى المشركين ٥ وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله ٥ وقيل في ناس أسلموا بمكة فكتب إليهم المهاجرون لا يقبل منكم إسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا إليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا ٥ وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع أبواه وامرأته ولقد فتنا موصول بأحسب أو بلا يفتنون كقولك ألا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني أن أتباع الأنبياء قبلهم قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا الآية ٥ وعن النبي صلعم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في الإيمان وليعلمن الكاذبين فإن قلت كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا إلا إذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز أن يكون وعدا ووعيدا كأنه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين ٥ وقرأ علي رض والزهري وليعلمن من الإعلام أي وليعرفنهم الله الناس من هم ٥ أو ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها أن يسبقونا أن يفوتونا يعني أن الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وإصرارهم على المعاصي في صورة

من يقدر ذلك ويطمع فيه ٥ ونظيره وما هم بمعجزين في الأرض ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون فإن قلت أين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه سد مسد المفعولين كقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ٥ ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الإضراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأول لأن ذلك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا ٥ أو بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم ٥ لقاء الله مثل للوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر فإما أن يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من أفعاله أو بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله من كان يرجو لقاء الله من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فإن أجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية ٥ وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال إذا لسعته فإن قلت فإن أجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت إذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للموت فكأنه قال من كان يرجو لقاء الله فإن لقاء الله لآت لأن الأجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فإن يوم الجمعة قريب إذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة ٥ ومن جاهد نفسه في منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه فإنما يجاهد لها لأن منفعة ذلك راجعة إليها وإنما أمر الله ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم ٥ إما أن يريد قوما مسلمين صالحين قد أساؤوا في بعض أعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم أي يسقط عقابها بثواب الحسنات

الحارث لسعته يعود إلى العسال المذكور في البيت والمنقدم والعسال الذي يشور العسل والدبر جماعة النحل ٥

فيكون من اطلاق المحل وإرادة الحال ومنا وجه ذكر الأجل وإرادة اللقاء ثم أشار المصنف بذكر المثال إلى أن المراد الإتيان القريب وذلك لأن الإتيان الذي يقصد للإخبار عنه بأنه قريب كما قيل كل ما هو آت قريب وحاصل المعنى من كان يرجو كما لا نشاء مجربا للإخبار بأنه يحق أن يرجو لأنها قريب ٥

[illegible]

ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون أي أحسن جزاء أعمالهم وأما قوله
آمنوا وعملوا الصالحات فإنه عز وجل يكفر سيئاتهم بأن يسقط عقاب
ما تقتضيه لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم أحسن جزاء أعمالهم في الإسلام
ووصى حكمه حكم أمر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بأن يفعل خيرا كما
تقول أمرته بأن يفعل ومنه بيت الإصلاح وذبيانية وصت بنيها بأن كذب
القراطف والقروف كما لو قال أمرتهم بأن ينتهوا عنها ومنه قوله ووصى بها إبراهيم بنيه أي وصاهم
بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته
بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الإنسان
بوالديه حسنا وصيناه بإيتاء والديه حسنا أو بإيلاء والديه حسنا
أي فعلا ذا حسن أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس
حسنا وقرئ حسنا وإحسانا ويجوز أن تجعل حسنا من باب قولك زيدا
بإضمار اضرب إذا رأيته متهيئا للضرب فتنصبه بإضمار أولهما أو افعل
بهما لأن التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كأنه قال قلنا أولهما
معروفا ولا تطعهما في الشرك إذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير إن
وقف على بوالديه وابتدئ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الأول لا بد
من إضمار القول معناه وقلنا إن جاهداك أيها الإنسان لتشرك بي ما ليس لك به علم أي لا علم
لك بإلهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال لتشرك بي
شيئا لا يصح أن يكون إلها ولا يستقيم وصاه بالوالدين وأمره بالإحسان
إليهما ثم نهاه عن طاعتهما إذا أراداه على ما ذكرنا أن كل حق وإن
عظم ساقط إذا جاء حق الله وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم
قال إلي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن أشرك فأجازيكم حق جزائكم وفيه
شيئان أحدهما أن الجزاء إلي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك و
عقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما أني لا
أمنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث
على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد

القرطف القطيفة والقروف جمع قرف

امر من ولي يلي أي أولي الإحسان إليهما

روي أن سعد بن أبي وقاص الزهري حين أسلم قالت أمه وهي حمنة بنت أبي سفيان
بن أمية بن عبد شمس يا سعد بلغني أنك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف
بيت من الضح والريح وإن الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد
وكان أحب ولده إليها فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فجاء سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشكا إليه فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الأحقاف فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يداريها ويترضاها بالإحسان وروي أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة
المخزومي وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب مترافقين حتى نزلا المدينة
فخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام أخواه لأمه أسماء بنت مخربة
امرأة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له إن من دين محمد
صلة الأرحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي
بيتا حتى تراك وهي أشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة
والغارب فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك علي أن أقسم
مالي بيني وبينك فما زالا به حتى أطاعهما وعصى عمر فقال عمر أما إذ
عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فإن رابك منهم ريب
فارجع فلما انتهوا إلى البيداء قال أبو جهل إن ناقتي قد كلت فاحملني
معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فأخذاه فشداه وثاقا وجلداه
كل واحد مائة جلدة وذهبا به إلى أمه فقالت لا تزال في عذاب حتى
ترجع عن دين محمد فنزلت في الصالحين في جملتهم والصلاح من أبلغ صفات
المؤمنين وهو متمنى أنبياء الله قال الله حكاية عن سليمان وأدخلني برحمتك
في عبادك الصالحين وقال في إبراهيم وإنه في الآخرة لمن الصالحين أو في مدخل الصالحين
وهي الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم
هم ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا مسهم أذى من الكفار وهو المراد
بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الإيمان كما أن عذاب الله صارف المؤمنين
عن الكفر أو كما يجب أن يكون عذاب الله صارفا وإذا نصر الله المؤمنين
وغنمهم اعترضوهم وقالوا إنا كنا معكم أي متابعين لكم في دينكم ثابتين

الضح ضوء الشمس

الفتل والتقريد حك البعير للتذليل

عليه ثباتكم ما قدر احد ان يفتننا فاعطونا نصيبنا من المغنم ۞ ثم اخبر انه
اعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور
هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما ابطنوه ثم وعد المؤمنين واوعد
المنافقين وقرئ ليقولن بفتح اللام ۞ امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم
التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر
وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم
والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن
منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى
في المتسمين بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على
ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا
الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ۞ ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع
اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة
العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد
اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق في المأمن فان قلت كيف سماهم كاذبين
وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم
اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه
في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه
قلت شبه الله حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به
فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه
المخبر عنه ۞ ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه
كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف ۞ وليحملن
اثقالهم اي اثقال انفسهم واثقالا يعني اثقالا اخر غير الخطايا التي ضمنوا
للمؤمنين حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم وليسألن سؤال
تقريع عما كانوا يفترون اي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل ۞ وقرئ
من خطيئاتهم ۞ كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين سنة بعث على راس اربعين

ولبث في قومه تسع مائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ۞ وعن وهب انه
عاش الفا واربع مائة سنة فان قلت هلا قيل تسع مائة وخمسين سنة قلت ما اورده الله
احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا
التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكانه قيل تسع مائة وخمسين سنة كاملة
وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملأ بالفائدة ۞ وفيه
نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من امته وما كابده
من طول المصابرة تسلية لرسول الله وتثبيتا له فكان ذكر راس العدد الذي
لا راس اكثر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره فان قلت
فلم جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام قلت لان تكرير اللفظ الواحد
في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه
المتكلم من تفخيم ۞ او تهويل ۞ او تنويه ۞ او نحو ذلك ۞ والطوفان ما اطاف
واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما قال العجاج
وغم طوفان الظلام الاثأبا ۞ اصحاب السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفسا
نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم
وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة ۞ وقد روي عن النبي صلعم
كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة والضمير في وجعلناها للسفينة
او للحادثة او القصة ۞ ونصب ابرهيم باضمار اذكر وابدل عنه اذ بدل اشتمال
لان الاحيان تشتمل على ما فيها او معطوف على نوح ۞ واذ ظرف لارسلنا
يعني ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم
ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى ۞ وقرأ ابرهيم النخعي و
ابو حنيفة وابرهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابرهيم ان كنتم تعلمون
يعني ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم ۞ او ان نظرتم بعين الدراية
المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم انه خير لكم ۞ وقرئ تخلقون من خلق
بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص ۞ وقرئ أفكا ۞
وفيه وجهان ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب وان فعل مخفف منه كالكذب واللعب في اصلهما

وان يكون صفة على فعل اى خلقا افكا ذا افك وباطل واختلاقهم لها
تسميتهم لها اوثانا الهة وشركاء لله او شفعاء اليه او سمي الاصنام
افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك فان قلت لم نكر الرزق ثم عرفه
قلت لانه اراد لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله
الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره اليه ترجعون وقرئ
بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على انعمه وان تكذبوا
فلا تضروني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم وما ضروهم
وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل واما الرسول
فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه
بآيات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء
اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق
ولا يكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة
ان تكون من جملة قول ابرهيم صلعم لقومه وان تكون آيات وقعت معترضة
في شان رسول الله صلعم وشان قريش بين اول قصة ابرهيم وآخرها فان قلت
اذا كانت من قول ابرهيم فما المراد بالامم قبله قلت قوم شيث وادريس
ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في معنى امم جمة مكذبة
ولقد عاش ادريس الف سنة في قومه الى ان رفع الى السماء وآمن به الف
انسان منهم على عدد سنيه واعقابهم على التكذيب فان قلت فما تصنع بقوله
قل سيروا في الارض قلت هي حكاية كلام الله حكاه ابرهيم عليه لقومه كما يحكي
رسولنا صلعم كلام الله على هذا المنهاج في اكثر القرآن فان قلت فاذا كانت خطابا
لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة ابرهيم والجملة او الجمل الاعتراضية
لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه الا تراك لا تقول مكة وزيد
ابوه قائم خير بلاد الله قلت ايراد قصة ابرهيم ليس الا ارادة للتنفيس
عن رسول الله وان يكون مسلاة ومتفرجا بان اباه ابرهيم خليل الله
كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان
او مبتلى

فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا
محمدا فقد كذب ابرهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله فقد كذب امم
من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابرهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر
الآيات الواقعة عقيبها من ذيولها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد
ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه
ووضوح حجته وبرهانه اولم تروا بالتاء والياء يبدئ ويبدا
وقوله ثم يعيده ليس معطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو
اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدا الخلق
ثم الله ينشئ النشاة الآخرة على البدء دون الانشاء ونحوه قولك
ما زلت اوثر فلانا واستخلفه على من اخلفه فان قلت هو معطوف بحرف العطف
فلا بد له من معطوف عليه فما هو قلت جملة قوله اولم تروا كيف يبدئ الله الخلق
وكذلك واستخلفه معطوف على جملة قولك ما زلت اوثر فلانا ذلك يرجع
الى ما يرجع اليه هو في قوله وهو اهون عليه من معنى يعيد دل بقوله النشاة
الآخرة على انهما نشاتان وان كل واحدة منهما انشاء اي ابتداء و
اختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الآخرة
انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرئ النشاة والنشاءة
كالرافة والرآفة فان قلت ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدا
في قوله ثم الله ينشئ النشاة الآخرة بعد اضماره في قوله كيف بدا
الخلق وكان القياس ان يقال بدا الله الخلق ثم ينشئ النشاة الآخرة
قلت الكلام معهم كان واقعا في الاعادة وفيها كانت تصطك الركب
فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل
الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابداء
فهو الذي وجب ان لا تعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذي انشا
النشاة الاولى هو الذي ينشئ النشاة الآخرة فللدلالة والتنبيه
على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدا يعذب من يشاء تعذيبه

ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من
القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق إذا لم يتب وبالمعصوم
والتائب وإليه تقلبون تردون وترجعون وما أنتم بمعجزين ربكم أي لا
تفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه في الأرض الفسيحة ولا في السماء التي
هي أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها كقوله إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار
السموات والأرض فانفذوا وقيل ولا من في السماء كما قال حسان
أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء ويحتمل أن يراد
لا تعجزونه كيف ما هبطتم في مهاوي الأرض وأعماقها أو علوتم في البروج
والقلاع الذاهبة في السماء لقوله ولو كنتم في بروج مشيدة أو لا تعجزون
أمره الجاري في السماء والأرض أن يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر
من الأرض أو ينزل من السماء بآيات الله بدلائله على وحدانيته وكتبه و
معجزاته ولقائه والبعث يئسوا من رحمتي وعيد أي ييأسون يوم
القيامة لقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون أو هو وصف لحالهم
لأن المؤمن إنما يكون راجيا خائفا فأما الكافر فلا يخطر بباله
رجاء ولا خوف أو شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من
الرحمة وعن قتادة إن الله ذم قوما هانوا عليه فقال أولئك يئسوا من
رحمتي وقال إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن
أن لا ييأس من روح الله ولا من رحمته ولا يأمن عذابه وعقابه صفة
المؤمن أن يكون راجيا لله خائفا فما كان جواب قومه بالنصب والرفع قالوا
قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم
القائلين وروي أنه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم ألقي إبراهيم
في النار وذلك لذهاب حرها وقرئ على النصب بغير إضافة وبإضافة وعلى الرفع
كذلك فالنصب على وجهين على التعليل أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم
على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب
فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم ولأن يكون مفعولا ثانيا كقوله

اتخذ إلهه هواه أي اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف
المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله ومن الناس
من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان أن يكون خبرا
لأن على أن ما موصولة والأولى أن يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى أن الأوثان مودة
بينكم أي مودودة أو سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم
مع الإضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرأ ابن مسعود
أوثانا إنما مودة بينكم في الحياة تتوادون عليها أي تودد وتهادي في الحيوة الدنيا
ثم يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبدة
ويتلاعن العبدة والأصنام كقوله ويكونون عليهم ضدا فآمن له لوط ابن أخت
إبراهيم وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه وقال يعني إبراهيم إني
مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة إلى حران ثم منها إلى فلسطين ومن ثم
قالوا لكل نبي هجرة ولإبراهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامرأته
سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة إلى ربي إلى حيث أمرني بالهجرة
إليه إنه هو العزيز الذي يمنعني من أعدائي الحكيم الذي لا يأمرني إلا بما هو
مصلحتي أجره الثناء الحسن والصلوة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة
والنبوة وأن أهل الملل كلهم يتولونه فإن قلت ما بال إسمعيل عليه لم يذكر
وذكر إسحق وعقبه قلت قد دل عليه في قوله وجعلنا في ذريته النبوة و
الكتاب فلم يخل الدليل لشهرة أمره وعلو قدره فإن قلت ما المراد بالكتاب
قلت قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الأربعة
التي هي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن ولوطا معطوف على إبراهيم أو
على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة البالغة في القبح ما سبقكم بها من أحد
من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن قائلا قال لم
كانت فاحشة فقيل لأن أحدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم
لإفراط قبحها حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم
قالوا أئنكم ذكر ما ذكر قبل في لوط فقط وقرئ أنكم بغير استفهام

في الأول دون الثاني قال أبو عبيد وجدته في الإمام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثاني بحرفين الياء والنون. وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الأنفس وأخذ الأموال، وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة، وعن الحسن قطع النسل بإتيان ما ليس بحرث. والمنكر عن ابن عباس هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الأزرار والسباب والفحش في المزاح، وعن عائشة كانوا يتحابقون، وقيل السخرية بمن مر بهم، وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل، وكل معصية فإظهارها أقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له، ولا يقال للمجلس نادٍ إلا ما دام فيه أهله فإذا قاموا عنه لم يبق ناديا. إن كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب. كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولأنهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فأراد لوط عليه السلام أن يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه. بالبشرى هي البشارة بالولد والنافلة وهما إسحق ويعقوب. وإضافة مهلكوا أهل إضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها أجور من قاضي سدوم. كانوا ظالمين معناه لأن الظلم قد استمر منهم إيجاده في الأيام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وألوان معاصيهم. إن فيها لوطا ليس إخبارا لهم بكونه فيها وإنما هو جدال في شأنه لأنهم لما عللوا إهلاك أهلها بظلمهم اعترض عليهم بأن فيها من هو بريء من الظلم وأراد بالجدال إظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لأخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من أن يمسه أذى أو يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن إلا يحوط المؤمن. ألا ترى إلى جوابهم بأنهم أعلم منه بمن فيها يعني نحن أعلم منك وأخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وأنه لا يستأهل ما يستأهلون فخفض

سذوم بالذال عن الزهري والمحدثون بالدال غير معجمة

[illegible]

على نفسك وهون عليك الخطب. وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك. أن صلة أكدت وجود الفعلين مرتبا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه. وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا إذا كان مطيقا له والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة. الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس إذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرئ منزلون مخففا ومشددا. منها من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الأسود على وجه الأرض وقيل الخبر عما صنع بهم. لقوم يتعلق بتركنا أو ببينة. وارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب أو أمروا بالرجاء والمراد اشتراطه أي اشتراط ما يسوغه من الإيمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على إرادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف. والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل لأن القلوب رجفت لها. في دارهم في بلدهم وأرضهم أو في ديارهم فاكتفى بالواحد لأنه لا يلبس. جاثمين باركين على الركب ميتين. وعادا منصوب بإضمار أهلكنا لأن قوله فأخذتهم الرجفة يدل عليه لأنه في معنى الإهلاك. وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من إهلاكهم من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم فيبصرونها. وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا أو كانوا متبينين أن العذاب نازل بهم لأن الله تعالى قد بين لهم على ألسنة الرسل

[illegible]

ولكنهم لجّوا حتى هلكوا «سابقين» فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه. الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء. وقيل ملك كان يرميهم. والصيحة لمدين وثمود. والخسف لقارون. والغرق لقوم نوح وفرعون. الغرض تشبيه ما اتخذوه متّكلا ومعتمدا في دينهم وتولّوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت. ألا ترى إلى مقطع التشبيه وهو قوله «وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت». فإن قلت ما معنى قوله «لو كانوا يعلمون» وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت. قلت معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن. ووجه آخر وهو أنه إذا صحّ تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صحّ أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبيّن أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون. أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكأنه قال وإن أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون. ولقائل أن يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالإضافة إلى رجل يبني بيتا بآجرّ وجصّ أو ينحته من صخر. وكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها دينا دينا عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون. قرئ تدعون بالتاء والياء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا «وهو العزيز الحكيم» فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لأنه جماد ليس معه مصحّح العلم والقدرة أصلا وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا إلا بحكمة وتدبير. كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال «وما يعقلها إلا العالمون» أي لا يعقل صحتها

وحسنها وفائدتها إلا هم لأن الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصوّرها للأفهام كما صوّر هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وبين حال الموحّد. وعن النبي صلعم أنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه. «بالحق» أي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو أن تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته. ألا ترى إلى قوله «إن في ذلك لآية للمؤمنين» ونحوه قوله «وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا». والصلوة تكون لطفا في ترك المعاصي فكأنها ناهية عنها. فإن قلت كم من مصلّ يرتكب ولا تنهاه صلاته. قلت الصلوة التي هي الصلوة عند الله المستحقّ بها الثواب أن يدخل فيها مقدّما للتوبة النصوح متّقيا لقوله «إنما يتقبّل الله من المتقين» ويصلّيها خاشعا بالقلب والجوارح. فقد روى عن حاتم كأن رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي وأصلّي بين الخوف والرجاء. ثم يحوطها بعد أن يصلّيها فلا يحبطها فهي الصلوة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر. وعن ابن عباس رضي من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعدا. وعن الحسن رحمه الله من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلوة وهي وبال عليه. وقيل من كان مراعيا للصلوة جرّه ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يوما ما. فقد روي أنه قيل لرسول الله إن فلانا يصلّي بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلاته لتردعه. وروي أن فتى من الأنصار كان يصلّي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب. وعلى كل حال فإن المراعي للصلوة لا بدّ أن يكون أبعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها. وأيضا فكم من مصلّين تنهاهم الصلوة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي

أن لا تخرج واحداً من المصلين عن قضيتها كما تقول إن زيداً ينهى عن المنكر فليس
غرضك أنه ينهى عن جميع المناكير وإنما تريد أن هذه الخصلة موجودة فيه
وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم ولذكر الله أكبر يريد والصلاة أكبر
من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا إلى ذكر الله وإنما
قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال والصلاة أكبر لأنها ذكر الله
أو ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذلك نهيه عنهما ووعيده عليهما
أكبر وكان أولى بأن ينهى من اللطف الذي في الصلاة ○ وعن ابن عباس ولذكر الله
إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون
من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب بالتي هي أحسن بالخصلة التي هي
أحسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالأناة
كما قال ادفع بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فأفرطوا في الاعتداء والعناد
ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة ○ وقيل
إلا الذين آذوا رسول الله ○ وقيل إلا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا
يد الله مغلولة ○ وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين
للجزية إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية
فإن أولئك مجادلتهم بالسيف ○ وعن قتادة الآية منسوخة بقوله قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة أشد من السيف ○ وقوله وقولوا
آمنا بالذي أنزل إلينا من جنس المجادلة بالتي هي أحسن ○ وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه
ورسله فإن كان باطلاً لم تصدقوهم وإن كان حقاً لم تكذبوهم ○ ومثل ذلك
الإنزال أنزلنا إليك الكتاب أي أنزلناه مصدقاً لسائر الكتب السماوية
تحقيقاً لقوله آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ○ وقيل كما أنزلنا
الكتب إلى من قبلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب
هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ومن هؤلاء من أهل مكة ○ وقيل
أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله من أهل الكتاب

ومن هؤلاء
ممن في عهد

ومن هؤلاء ممن في عهده ومنهم وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة
عنها إلا المتوغلون في الكفر المصممون عليه ○ وقيل هم كعب بن الأشرف
وأصحابه ○ وأنت أمي ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط إذن لو
كان شيء من ذلك أي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من أهل الكتاب
وقالوا الذي نجده في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب مشركو
مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده فإن قلت لم سماهم مبطلين ولو لم يكن
أمياً وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محققين ولكان أهل محققين
مكة أيضاً على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه فإنه رجل قارئ كاتب قلت
سماهم مبطلين لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون
في كفرهم به لو لم يكن أمياً لارتابوا أشد الريب فحين ليس بقارئ
كاتب فلا وجه لارتيابهم ○ وشيء آخر وهو أن سائر الأنبياء لم يكونوا
أميين ووجب الإيمان بهم وبما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم
بالمعجزات فهب أنه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي
آمنوا منه بموسى وعيسى على أن المنزل ليس بمعجز بل هذا المنزل
معجز فإذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أمي ومبطلون لو لم
يؤمنوا به وهو غير أمي فإن قلت ما فائدة قوله بيمينك قلت ذكر
اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه
كاتباً ألا ترى أنك إذا قلت في الإثبات رأيت الأمير يخط هذا الكتاب
بيمينه كان أشد لإثباتك أنه تولى كتبته فكذلك النفي ○ بل القرآن
آيات بينات في صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون
آياته بينات الإعجاز وكونه محفوظاً في الصدور يتلوه أكثر الأمة ظاهراً
بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ إلا من المصاحف
ومنه ما جاء في صفة هذه الأمة صدورهم أناجيلهم ○ وما يجحد بآياتنا
الواضحة ○ إلا المتوغلون في الظلم المكابرون ○ قرئ آية وآيات أرادوا
هلا أنزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك ○ إنما الآيات عند الله

ينزل أيتها شاء ولو شاء أن ينزل ما تقترحونه لفعل وإنما أنا نذير كلفت
الإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات وليس لي أن أتخير على الله آياته
فأقول أنزل علي آية كذا دون آية كذا مع علمي أن الغرض من الآية ثبوت
الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك ۝ ثم قال أولم يكفهم آية
مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن
الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة
لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان
إن في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان إلى آخر الدهر لرحمة
لنعمة عظيمة لا تشكر وتذكرة لقوم يؤمنون ۝ وقيل أولم يكفهم
يعني اليهود أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في أيديهم من نعتك
ونعت دينك ۝ وقيل إن ناسا من المسلمين أتوا رسول الله بكتف قد كتبوا
فيها بعض ما تقول اليهود فلما أن نظر إليها ألقاها وقال كفى بها حماقة
قوم ۝ أو ضلالة أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير
نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا كفى بالله بيني وبينكم شهيدا أني قد
بلغتكم ما أرسلت به إليكم وأنذرتكم وأنكم قابلتموني بالجحد والتكذيب
يعلم ما في السموات والأرض فهو مطلع على أمري وأمركم وعالم بحقي وبا
طلكم والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما يعبدون من دون الله ۝ وكفروا بالله
وآياته أولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر
بالإيمان إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف كقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى
أو في ضلال مبين وكقول حسان فشركما لخيركما الفداء ۝ وروي
أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بأنك رسول الله
فنزلت ۝ كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحارث
هو الذي قال اللهم أمطر علينا حجارة من السماء كما قال أصحاب الأيكة فأسقط
علينا كسفا من السماء ۝ ولولا أجل قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم
وأوجبت الحكمة تأخيره إلى ذلك الأجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا

والمراد بالأجل الآخرة لما روي أن الله وعد رسوله أن لا يعذب
قومه ولا يستأصلهم وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة ۝ وقيل يوم بدر
وقيل وقت فنائهم بآجالهم لمحيطة أي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب ۝
أو هي محيطة بهم في الدنيا لأن المعاصي التي توجبها محيطة بهم ۝ أو لأنها مآلهم
ومرجعهم لا محالة فكأنها الساعة محيطة بهم يوم يغشاهم على هذا منصوب
بمضمر أي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت أرجلهم
كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ونقول قرئ بالنون والياء
ما كنتم تعملون أي جزاءه معنى الآية أن المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة
في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يجب فليهاجر عنه إلى بلد يقدر أنه
فيه أسلم قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة وأحسن خشوعا ولعمري إن البقاع
تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب أولونا فلم نجد
فيما درنا وداروا أعون على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقلب المتلفت
وأضم للهم المنتشر وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من
كثير الفتن وأضبط للأمر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله
فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر وأوزع من الشكر
وعن رسول الله صلعم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض
استوجبت له الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد ۝ وقيل هي في المستضعفين
بمكة الذين نزل فيهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وإنما
كان ذلك لأن أمر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة فإياي
فاعبدون في المتكلم نحو إياه ضربته في الغائب وإياك عضبتك في المخاطب
والتقدير فإياي فاعبدوا فاعبدون فإن قلت ما معنى الفاء في فاعبدون
وتقديم المفعول قلت الفاء جواب شرط محذوف لأن المعنى إن أرضي واسعة
فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط
وعوض من حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص
۝ لما أمر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا

استتب لم الأمر
تهيأ واستقام

لها أوفق البلاد وإن سئمت أتبعه قوله ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ أي واجدة
مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه إنكم ميتون فواصلون
إلى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها وأن يستعد
بجهده ﴿لنبوئنهم﴾ لننزلنهم من الجنة علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء
وهو النزول للإقامة يقال ثوى في المنزل وأثوى هو وأثوى غيره وثوى
غير متعد فإذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا
نحو ذهب وأذهبته والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف إما
إجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم أو حذف الجار وإيصال الفعل أو تشبيه
الظرف المؤقت بالمبهم وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء
﴿الذين صبروا﴾ على مفارقة الأوطان والهجرة لأجل الدين وعلى أذى المشركين
وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك
إلا على الله لما أمر رسول الله من أسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة
فكان يقول الرجل منهم كيف أقدم بلدة ليس لي فيها معيشة فنزلت والدابة
كل نفس دبت على وجه الأرض عقلت أو لم تعقل ﴿لا تحمل رزقها﴾ لا تطيق أن
تحمله لضعفها عن حمله ﴿الله يرزقها وإياكم﴾ أي لا يرزق تلك الدواب
الضعاف إلا الله ولا يرزقكم أيضا أيها الأقوياء إلا هو وإن كنتم مطيقين
لحمل أرزاقكم وكسبها لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم
أعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره إنما تصبح
فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ إلا الإنسان والنملة و
الفأرة وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابئ
إلا أنه ينساها ﴿وهو السميع﴾ لقولكم نخشى الفقر والضيعة ﴿العليم﴾ بما في
ضمائركم الضمير في سألتهم لأهل مكة ﴿فأنى يؤفكون﴾ فكيف يصرفون عن
توحيد الله وأن لا يشركوا به مع إقرارهم بأنه خالق السماوات والأرض قدر
الرزق وقتره بمعنى إذا ضيقه فإن قلت الذي رجع إليه الضمير في قوله ويقدر
له هو من يشاء فكأن بسط الرزق وقدره جعلا لواحد قلت يحتمل الوجهين

جميعا أن يوسع ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لأن من يشاء
مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وأن يريد تعاقب الأمرين على واحد
على حسب المصلحة ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم
استحمد رسول الله على أنه ممن أقر بنحو ما أقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله
ونفي الأنداد والشركاء عنه ولم يكن إقرارا عاطلا كإقرار المشركين وبكتهم
وعلى أنهم أقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة إلى الله وقد جعلوا
العبادة للصنم ثم قال ﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ ما يقولون وما فيه من الدلالة
على بطلان الشرك وصحة التوحيد أو لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد
لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم هذه وفيها ازدراء للدنيا
وتصغير لأمرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هي
لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم
يتفرقون ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ أي ليس فيها إلا حيوة مستمرة
دائمة خالدة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حيوة والحيوان مصدر حيي
وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة وبه سمي رجل
وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان
وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة وهو ما في بناء فعلان من
معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان واللهبان وما أشبه ذلك
والحيوة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة
مبالغة في معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة
﴿لو كانوا يعلمون﴾ فلم يؤثروا الحياة الدنيا عليها فإن قلت بم اتصل قوله فإذا ركبوا
قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به
من الشرك والعناد ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾ كائنين
في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون
معه إلها آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم ﴿فلما نجاهم إلى البر﴾ وأمنوا
عادوا إلى حال الشرك واللام في ليكفروا محتملة لأن تكون لام كي وكذلك

في وليتمتعوا فيمن قرأها بالكسر ۝ والمعنى أنهم يعودون إلى شركهم ليكونوا بالعود إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة إذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله في إنجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة لا إلى التمتع والتلذذ ۝ وأن تكون لام الأمر ۝ وقرئ وليتمتعوا بالسكون ويشهد له ونحوه قوله اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير **فإن قلت** كيف جاز أن يأمر الله بالكفر وبأن يعمل العصاة ما شاءوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه **قلت** هو مجاز عن الخذلان والتخلية وأن ذلك الأمر متسخط إلى غاية ۝ ومثاله أن ترى الرجل قد عزم على أمر وعندك أن ذلك الأمر خطأ وأنه يؤدي إلى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه فإذا لم تر منه إلا الإباء والتصميم حردت عليه وقلت أنت وشأنك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الأمر وكيف والآمر بالشيء مريد له وأنت شديد الكراهة متحسر ولكنك كأنك تقول له فإذ قد أبيت قبول النصيحة فأنت أهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك إذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك ۝ كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون وأهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة ووبخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها إلا الله وحده مكفورة عندهم ۝ افتراؤهم على الله كذبا زعمهم أن لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الأمور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون إلى أن يصح لهم صدقه أو كذبه ۝ أليس تقرير لثوائهم في جهنم كقوله ۝ ألستم خير من ركب المطايا ۝ قال بعضهم ولو كان استفهاما ما أعطاه الخليفة مائة من الإبل وحقيقته أن الهمزة همزة الإنكار دخلت على

النفي فرجع إلى معنى التقرير فهما وجهان أحدهما ألا يثوون في جهنم وألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب ۝ والثاني ألم يصح عندهم أن في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترءوا مثل هذه الجرأة ۝ أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين ۝ فينا في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا **لنهدينهم سبلنا** لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى ۝ وعن أبي سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا ۝ وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم ۝ وقيل إن الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم إنما هو من تقصيرنا فيما نعلم **لمع المحسنين** لناصرهم ومعينهم **قال رسول الله صلى الله عليه** من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية إلا قوله فسبحان الله حين تمسون الآية وهي ستون آية وقيل تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

القراءة المشهورة الكثيرة غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والأرض أرض العرب لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام أو أراد أرضهم على إنابة اللام مناب المضاف إليه أي في أدنى أرضهم إلى عدوهم ۝ قال مجاهد هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم إلى فارس ۝ وعن ابن عباس الأردن وفلسطين ۝ وقرئ في أداني الأرض ۝ والبضع ما بين الثلاث إلى العشر عن الأصمعي ۝ وقيل احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله والمسلمين لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف كذبت يا أبا فضيل اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه

احتربوا وتحاربوا بمعنى

على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الأجل فجعلاها
مائة قلوص إلى تسع سنين ومات أبيّ من جرح رسول الله وظهرت الروم
على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر
للفريقين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبيّ وجاء به إلى رسول الله فقال تصدّق
به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وأن القرآن
من عند الله لأنها إنباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام
والغلْب والغلَب مصدران كالجلْب والجلَب وقرئ غلَبت الروم
بالفتح وسيُغلبون بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم
المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم
وإضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهي في أحداهما إضافة المصدر إلى المفعول
وفي الثانية إضافته إلى الفاعل [illegible] عليهم [illegible] ولن يخلف
الله وعده فإن قلت كيف صحت المناحبة وإنما هي قمار قلت
عن قتادة أنه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد أن
العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين
والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده أبو بكر بينه وبين أبيّ بن
خلف من قبل ومن بعد أي في أول الوقتين وفي آخرهما حين غُلبوا وحين يَغلبون
كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم
مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين أولاً وغالبين آخراً
ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس وقرئ من قبلٍ
ومن بعدٍ على الجر من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه كأنه قيل قبلاً
وبعداً بمعنى أولاً وآخراً ويومئذ ويوم يغلب الروم على فارس ويحل ما
وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب
على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله
هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم

وقيل نصر الله أنه ولّى بعض الظالمين بعضاً وفرّق بين كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا
وفلّ هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للإسلام وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون وهو العزيز الرحيم ينصر
عليكم تارة وينصر لكم أخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه كقولك لك على ألف درهم
عرفاً لأن معناه أعترف لك بها اعترافاً ووعد الله ذلك وعداً لأن ما سبقه في معنى
وعده ذمّهم الله عز وجل بأنهم عقلاء في أمور الدنيا بُلْه في أمر الدين وذلك أنهم كانوا
أصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق أحدهم أنه يأخذ الدرهم فينقره
بإصبعه فيعلم أرديء هو أم جيد وقوله يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا
الإبدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك
أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا
ظاهراً من الحياة الدنيا يفيد أن للدنيا ظاهراً وباطناً فظاهرها ما يعرفه
الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذّها وباطنها وحقيقتها أنها
مجاز إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر
أنهم لا يعلمون إلا ظاهراً واحداً من جملة ظواهرها وهم الثانية يجوز أن يكون مبتدأ
وغافلون خبره والجملة خبر هم الأولى وأن تكون تكريراً للأولى وغافلون خبر
الأولى وأية كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرّها
ومحلها وأنها منهم تنبع وإليهم ترجع في أنفسهم يحتمل أن يكون ظرفاً كأنه قيل أولم
يحدثوا التفكر في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون إلا
في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك
وأضمره في نفسك وأن يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الأمر وأجال فيه فكره
وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل
معناه فيعلموا لأن في الكلام دليلاً عليه إلا بالحق وأجل مسمى أي ما خلقها باطلاً وعبثاً
بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وإنما خلقها مقروناً بالحق
مصحوباً بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه وهو قيام
الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى إلى قوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً

وأنكم إلينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين إليه عبثا والباء في قوله بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشتريت الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتريته وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقناها إلا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به فإن قلت إذا جعلت في أنفسهم صلة للتفكر فما معناه قلت معناه أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر أمرها على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم الأجل المسمى أولم يسيروا تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الأرض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمي ثورا لإثارته الأرض وبقرة لأنها تبقرها أي تشقها وعمروها يعني أولئك المدمرين أكثر مما عمروها من عمارة أهل مكة وأهل مكة أهل واد غير ذي زرع ما لهم إثارة للأرض أصلا ولا عمارة لها رأسا فما هو إلا تهكم بهم وتضعيف حالهم في دنياهم لأن معظم ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة وهم أيضا ضعاف القوى فقوله كانوا أشد منهم قوة أي من عاد وثمود وأضرابهم من هذا القبيل كقوله أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وإن كان هذا أبلغ لأنه خالق القوى والقدر فما كان تدميره إياهم ظلما لهم لأن حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم قرئ عاقبة بالنصب والرفع والسوأى تأنيث الأسوأ وهو الأقبح كما أن الحسنى تأنيث الأحسن والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى إلا أنه وضع المظهر موضع المضمر أي العقوبة

التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة وهي جهنم التي أعدت للكافرين وأن كذبوا بمعنى لأن كذبوا ويجوز أن يكون أن بمعنى أي لأنه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب وما أشبه ذلك ووجه آخر أن يكون أساءوا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايا وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو إرادة للإبهام ثم إليه ترجعون أي إلى ثوابه وعقابه وقرئ بالياء والتاء الإبلاس أن يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فأبلس إذا لم ينبس ويئس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام من أبلسه إذا أسكته من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكانوا بشركائهم كافرين أي يكفرون بإلهيتهم ويجحدونها أو وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعؤا في المصحف بواو قبل الألف كما كتب علمؤا بني إسرائيل وكذلك كتبت السوأى بألف قبل الياء إثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده وما قبله عليه وعن الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين وهؤلاء في أسفل سافلين وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها في روضة في بستان وهي الجنة والتنكير لإبهام أمرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل أرض ذات نبات وماء وفي أمثالهم أحسن من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة يحبرون يسرون يقال حبره إذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن أبي بكر بن عياش التيجان على رؤوسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلعم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم أعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا أعرابي إن في الجنة لنهرا حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت

جمع جرس

أبا الدرداء بم يتغنون قال بالتسبيح ۝ وروي أن في الجنة لأشجارا عليها أجراس
من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك
الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا محضرون
لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم ۝ لما
ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجي من الوعيد ۝ والمراد
بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في
هذه الأوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة ۝ وقيل الصلوة وقيل
لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وتلا هذه الآية تمسون
صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون
صلوة الظهر وقوله وعشيا متصل بقوله حين تمسون ۝ وقوله وله الحمد في السموات
والأرض اعتراض بينهما ومعناه أن على المميزين كلهم من أهل السموات والأرض
أن يحمدوه فإن قلت لم ذهب الحسن رحمه الله إلى أن الآية مدنية قلت
لأنه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين
في غير وقت معلوم والقول الأكثر أن الخمس إنما فرضت بمكة ۝ وعن عائشة
فرضت الصلوة ركعتين فلما قدم رسول الله المدينة أقرت صلوة السفر
وزيد في صلوة الحضر ۝ وعن رسول الله صلعم من سره أن يكال له بالقفيز
الأوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية ۝ وعنه عليه السلم
من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله وكذلك تخرجون
أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته ۝ وفي قراءة
عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون ۝ والمعنى تمسون فيه وتصبحون
فيه كقوله يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا معنى فيه ۝ الحي من الميت الطائر
من البيضة ۝ والميت من الحي البيضة من الطائر وإحياء الأرض إخراج النبات
منها وكذلك تخرجون ومثل ذلك الإخراج تخرجون من القبور وتبعثون
والمعنى أن الإبداء والإعادة متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد
والعكس من إخراج الميت من الحي وإخراج الحي من الميت وإحياء الميت وإماتة
الحي

وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء خلقكم من تراب لأنه خلق أصلهم
منه وإذا للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الأرض
كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء من أنفسكم أزواجا لأن حواء خلقت من ضلع
آدم والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال أو من شكل أنفسكم وجنسها لا من
جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الألف والسكون وما بين الجنسين
المختلفين من التنافر وجعل بينكم التواد والتراحم بعصمة الزواج بعد
أن لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة
أو رحم ۝ وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة
منا وقال ذكر رحمة ربك عبده ويقال سكن إليه إذا مال إليه كقولهم انقطع
إليه واطمأن إليه ۝ ومنه السكن وهو الإلف المسكون إليه فعل بمعنى مفعول
وقيل إن المودة والرحمة من قبل الله وإن الفرك من قبل الشيطان
۝ الألسنة اللغات أو أجناس النطق وأشكاله خالف عز وعلا بين هذه الأشياء حتى
لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة
ولا لكنة ولا نظم ولا أسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله وكذلك الصور
وتخطيطها والألوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف وإلا فلو اتفقت وتشاكلت
وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة
وربما رأيت توأمين يشتبهان في الحلية فيعروك الخطأ في التمييز بينهما
وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلى وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب
واحد وفرعوا من أصل فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله مختلفون
متفاوتون ۝ وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى
وما يعقلها إلا العالمون ۝ هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم
من فضله بالليل والنهار إلا أنه فصل بين القرينين الأولين بالقرينين الآخرين
لأنهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع إعانة اللف على الاتحاد ۝
ويجوز أن يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الأول لتكرره
في القرآن وأسد المعاني ما دل عليه القرآن ۝ يسمعونه بالآذان الواعية

في يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبه فسر المثل تسمع
بالمعيدي خير من ان تراه وقول القائل: وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح
خوفا من الصاعقة او من الاخلاف وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر
وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له فان قلت من حق المفعول له ان يكون فعلا
لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك قلت فيه وجهان احدهما ان المفعولين
فاعلون في المعنى لانهم راءون فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني
ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وقرئ ينزّل بالتشديد
ومن آياته قيام السموات والارض واستمساكهما بغير عمد بامره اي بقوله كونا
قائمتين والمراد باقامته لهما وارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله
اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال
ومن آياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة
واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف
ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل
دعوت كليبا دعوة فكانما دعوت به ابن الطود او هو اسرع
يريد بابن الطود الصدى او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات
والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان
يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت
تنظر كما قال ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقولك دعوته من مكان
كذا كما يجوز ان يكون مكانك يجوز ان يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا
من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع الي فان قلت بم يتعلق
من الارض ابالفعل ام بالمصدر قلت هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل
فان قلت ما الفرق بين اذا واذا قلت الاولى للشرط والثانية للمفاجأة
وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها
قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو اهون عليه فيما يجب

عندكم وينقاس على اصولكم ويقتضيه معقولكم لان من اعاد منكم صنعة شيء كانت
اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون للصانع اذا اخطأ في بعض ما ينشئه بقولكم
اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون انه عاودها
كرة بعد اخرى حتى مرن عليها وهانت عليه فان قلت لم ذكر الضمير في قوله
وهو اهون والمراد به الاعادة قلت معناه وان يعيده اهون عليه فان قلت
لم اخرت الصلة في قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت هنالك
قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد
بين هم وعاقر واما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون
من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى فان قلت ما بال الاعادة
استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم حتى كانها فضلت على قيام السموات والارض بامره
ثم هونت بعد ذلك قلت الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى
الانشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من الانشاء لان
تكوينه في حد الاستحكام والتمام اهون عليه واقل تعبا وكبدا من ان ينتقل في احوال
ويندرج فيها الى ان يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه آخر
وهو ان الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا يفعله
والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها
واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج من المقدور واما
ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبح وهو رديف المحال لان الصارف يمنع
وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل
ان يفعله وان لا يفعله واما واجب لا بد له من فعله ولا سبيل الى الاخلال به وكان
الواجب ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة
من قبيل الواجب كانت ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدها من
الامتناع كانت ادخلها في التأتي والتسهل فكانت اهون منها واذا كانت اهون
منها كانت اهون من الانشاء وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره
مثله قد عرف به ووصف في السموات والارض على السنة الخلائق والسنة الدلائل

وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات والذي
يدل عليه وهو العزيز الحكيم اي القاهر لكل مقدور والحكيم الذي يجري كل فعل
على قضايا حكمته وعلمه ۝ وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه وله
الوصف الاعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم
وقال الزجاج وله المثل الاعلى في السموات والارض اي قوله هو اهون عليه فقد ضرب لكم مثلا
فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية
والثالثة في قوله من انفسكم مما ملكت ايمانكم من شركاء قلت الاولى للابتداء كانه
قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهي انفسكم ولم يبعد والثانية
للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ۝ ومعناه هل ترضون
لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشرا كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم
فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه على السوية من غير تفصلة
بين حر وعبد تهابون ان تستبدوا وتتصرفوا دونهم وان تفتاتوا بتدبير
عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون
لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده له شركاء
كذلك اي مثل هذا التفصيل نفصل الآيات اي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني
ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك
بالصور المشوهة ۝ الذين ظلموا اي اشركوا كقوله ان الشرك لظلم
عظيم بغير علم اي اتبعوا اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما
ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء
من اضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف له فمن يقدر
على هداية مثله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان
فاقم وجهك للدين فقوّمه وجهك له وعدّله غير ملتفت عنه يمينا وشمالا
وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه
فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوّم له وجهه
مقبلا به عليه ۝ وحنيفا حال من المامور ۝ او من الدين فطرة الله

اي بالوجه

اي الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله
منيبين ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا
معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله
والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين
له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه
دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله على كل
عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا
بي غيري وقوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان
يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة
او تغير فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد
ذلك للبيان والتلخيص من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا
دين الاسلام ۝ وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف
اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب
منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ۝ ويجوز ان يكون من الذين منقطعا
مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين على ان فرحين ولكنه
رفع في خبرا على الوصف لكل كقوله وكل خليل غير هاضم نفسه
۝ الضر الشدة ۝ من هزال ۝ او مرض ۝ او قحط ۝ او غير ذلك ۝ والرحمة
الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا مجاز مثلها في ليكون لهم عدوا
فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون وبال تمتعكم ۝ وقرئ ابن
مسعود وليتمتعوا ۝ السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه
ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كانه
قال فهو يشهد بشركهم وبصحته وما بما كانوا به يشركون اي بكونهم
بالله يشركون ۝ ويجوز ان تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه
فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون ۝ ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم

ذا سلطان اى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه يشركون
واذا اذقناهم رحمة اى نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها وان تصبهم
سيئة اى بلاء من جدب او ضيق او مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا
من الرحمة ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون
من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصى التى عوقبوا بالشدة من
اجلها حتى يعيد اليهم رحمته حق ذى القربى صلة الرحم وحق المسكين و
ابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه
الاية فى وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعى
لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم
لانه لا ولاد بينهم فان قلت كيف تعلق قوله فآت ذا القربى حقه بما قبله حتى
جيء بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر
ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك يريدون وجه الله يحتمل ان يراد
بوجهه ذاته او جهته وجانبه اى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا
وحقه كقوله الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب
الى الله لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة
هذه الاية فى معنى قوله تعالى يمحق الله الربا ويربى الصدقات سواء
بسواء يريد وما اعطيتم اكلة الربا من ربا ليربو فى اموالهم ليزيد
ويزكو فى اموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه وما آتيتم من
زكوة اى صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا
رياء وسمعة فاولئك هم المضعفون ذووا الاضعاف من الحسنات
ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار وقرئ
بفتح العين وقيل نزلت فى ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد ان
يهب الرجل للرجل او يهدى له ليعوضه اكثر مما وهب او
اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على
تلك الزيادة وقالوا الربا رباءان فالحرام كل قرض يؤخذ

منه اكثر منه او تجر منفعة والذى ليس بحرام ان يستدعى بهبته
او يهدى به اكثر منها وفى الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ
وما آتيتم من ربا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربا
وقرئ لتربوا اى لتزيدوا فى اموالهم كقوله يربى الصدقات اى يزيدها
وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه قال لملائكته وخواص خلقه
فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم
من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من
ضمير يرجع الى ما ووجه آخر وهو ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك هم
المضعفون والحذف لما فى الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا والاول
املأ بالفائدة الله مبتدأ وخبره الذى خلقكم اى الله هو فاعل
هذه الافعال الخاصة التى لا يقدر على شىء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم
الذين اتخذتموهم اندادا له من الاصنام وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك
الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال الشركاء ويجوز
ان يكون الذى خلقكم صفة للمبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله من
ذلكم هو الذى ربط الجملة بالمبتدأ لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية
والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل
عبدتهم الفساد فى البر والبحر نحو الجدب والقحط وقلة الريع فى الزراعات
والربح فى التجارات ووقوع الموتان فى الناس والدواب وكثرة
الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات
من كل شىء وقلة المنافع فى الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس رضى الله عنهما
اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت
دواب البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التى على
شاطئه وعن عكرمة العرب تسمى الامصار البحار وقرئ فى البر
والبحور بما كسبت ايدى الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد

هو الذى يطلب الكثر مما اهدى

في البر بقتل ابن آدم اخاه وفي البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا
وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله رجع راجعون عن الضلال
والظلم ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك فان قلت ما معنى
قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قلت اما على التفسير الاول
فظاهر وهو ان الله قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض
اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه
واما على الثاني فاللام مجاز على معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا
به ان يذيقهم الله وبال اعمالهم ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا وتسببوا
لفشو المعاصي في الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون ثم اكد تسبب
المعاصي لغضب الله ونكاله حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله
الامم واذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم ودل بقوله كان اكثرهم مشركين
على ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وان ما دونه من المعاصي يكون سببا
لذلك القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتاتى فيه عوج من الله اما ان يتعلق
بياتي فيكون المعنى من قبل ان ياتي من الله يوم لا يرده احد كقوله فلا يستطيعون
ردها او بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته
والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون يتصدعون اي يتفرقون كقوله ويوم
تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية
وراءه من المضار لان من كان ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة
فلانفسهم يمهدون اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد
فرشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده
من نتوء او قضض او بعض ما يؤذي الراقد ويجوز ان يريد فعلى انفسهم يشفقون
من قولهم في المشفق ام فرشت فانامت وتقديم الظرف في الموضعين لدلالة
على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل
الصالح ترجع الى المؤمن لا تتجاوزه ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له من فضله
عما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل

تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من عطائه وهو ثوابه
لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن
الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس الرياح
هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فريح
العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الاغراض
في ارسالها وانه ارسلها للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر
وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض
قال رسول الله صلعم اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة
من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها
وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون مؤاتية فلا بد من ارساء السفن
والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا من فضله يريد تجارة
البحر ولتشكروا نعمة الله فيها فان قلت بم تعلق وليذيقكم قلت فيه وجهان ان
يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم وان يتعلق
بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها اختصر الطريق
الى الغرض بان ادرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين وقد اخلى الكلام
اولا عن ذكرهم وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين و
رفع من شانهم وتاهيل لكرامة سنية واظهار لفضل سابقة ومزية
حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم مستوجبين عليه ان يظهرهم ويظفرهم
وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين
وعن رسول الله صلعم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله
ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين
فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا اي قطعا تارة فترى الودق يخرج
من خلاله في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله وفرعها
في السماء وباصابة العباد اصابة بلادهم واراضيهم من قبله من باب التكرير

والتوكيد كقوله فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة
على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم ياسهم وتمادى ابلاسهم فكان
الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك ۝ قرئ اثر وآثار على الوحدة والجمع ۝ وقرأ
ابو حيوة وغيره كيف تحيي اي الرحمة ان ذلك يعني ان ذلك القادر الذي
يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات
قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء فرأوه فرأوا اثر رحمة الله
لان رحمة الله هي الغيث واثرها النبات ۝ ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى
معناه لان معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير
لانه مصدر سمي به ما ينبت ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا
جواب القسم سد مسد الجوابين اعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن
۝ ذمهم الله عز وجل بانه اذا حبس عنهم المطر قنطوا من رحمته وضربوا اذقانهم
على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا
فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع
هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا
وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وان يصبروا
على بلائه فكفروا ۝ والريح التي اصفر لها النبات يجوز ان تكون حرورا وحرجفا
فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما ۝ وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة
وقيل فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر ۝ قرئ بفتح الضاد
وضمها وهما لغتان والضم اقوى في القراءة لما روى ابن عمر قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ضعف فاقرأني من ضعف وقوله خلقكم من ضعف كقوله خلق الانسان من عجل
يعني ان اساس امركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا
اي ابتدأناكم في اول الامر ضعافا وذلك حال الطفولية والنشء وحتى بلغتم وقت
الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم
الى اصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف كقوله
من ماء مهين وهذا الترديد في الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة

اظهر دليل واعدل شاهد على الصانع العليم القدير ۝ الساعة القيامة سميت
بذلك لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وبديهة كما تقول
في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة وارادوا
لبثهم في الدنيا ۝ او في القبور ۝ او فيما بين فناء الدنيا الى البعث ۝ وفي الحديث ما بين
فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم اربعون سنة ام اربعون الف سنة
وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه
استقصارهم له او ينسون او يكذبون او يخمنون كذلك كانوا يؤفكون اي مثل ذلك
الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون امرهم
على خلاف الحق او مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن
انه ما كان الا ساعة ۝ القائلون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون في كتاب الله
في اللوح او في علم الله وقضائه او فيما كتبه اي اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه
وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث
بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في طلب
الحق واتباعه فان قلت ما هذه الفاء وما حقيقتها قلت هي التي في قوله فقد
جئنا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط يدل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم
من ان خراسان اقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا ان نخلص وكذلك
ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اي فقد تبين بطلان قولكم ۝ وقرأ الحسن
يوم البعث بالتحريك لا ينفع قرئ بالياء والتاء يستعتبون من قولك استعتبني فلان
فاعتبته اي استرضاني فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته
ازلت عتبه الا ترى الى قوله غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم
كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى
لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون
فان قلت كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله
وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قلت اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه
واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم

كلام المصنف

جنى عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله اي يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته ۝ ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج اسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التي تنشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدأ والرين اياها وكأنه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله في تلك الصفة فاصبر على عداوتهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه والوفاء به ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن ابي اسحق ويعقوب ولا يستحقنك اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته ۝ سورة لقمن مكية وهي اربع وثلثون آية وقيل ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الحكيم ذي الحكمة او وصف بصفة الله تعالى على الاسناد المجازي ويجوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة وبالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف للمحسنين للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والايقان بالآخرة ونظيره قول اوس الالمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا ۝

حكي عن الاصمعي

حكي عن الاصمعي فانشده ولم يزد ۝ او للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ۝ ثم خص منهم القائمين بهذه الثلث لفضل اعتدادها ۝ اللهو كل باطل الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما اشبه ذلك ۝ وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن ۝ وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلوة والصيام وان تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلعم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن ۝ وعنه ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت ۝ وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب فان قلت ما معنى اضافة اللهو الى الحديث قلت معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف الشيء الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ۝ ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله يشتري اما من الشراء على ما روي عن النضر من شراء كتب الاعاجم او من شراء القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه ۝ وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق ۝ وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها وسبيل الله دين الاسلام او القرآن فان قلت القراءة بالضم بينة لان النضر كان غرضه باشتراء اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه

فما معنى القراءة بالفتح قلت فيه معنيان احدهما ليثبت على ضلالته الذى كان
عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة فى
عداوة الدين وصد الناس عنه والثانى ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل
ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف فان قلت ما معنى قوله
بغير علم قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشترى بغير علم بالتجارة
وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تع
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها وقرئ ويتخذها بالنصب
والرفع عطفا على يشترى او ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله وتصدون
عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا ولى مستكبرا زاما لا يعبأ بها ولا
يرفع بها راسا تشبه حاله فى ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كان فى اذنيه
وقرا اى ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال فان قلت ما محل الجملتين
المصدرتين بكان قلت الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها
ويجوز ان يكونا استئنافين والاصل فى كان المخففة كانه والضمير ضمير الشان
وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره
لان قوله لهم جنات النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد
بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما
جميعا قوله لهم جنات النعيم وهو العزيز الذى لا يغلبه شىء ولا يعجزه يقدر
على الشىء وضده فيعطى النعيم من شاء والبؤس من شاء وهو الحكيم لا
يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل ترونها الضمير للسموات وهو استشهاد
برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك انا بلا سيف
ولا رمح ترانى فان قلت ما محلها من الاعراب قلت لا محل لها لانها مستانفة
او هى فى محل الجر صفة للعمد اى بغير عمد مرئية يعنى انه عمدها بعمد لا ترى
وهى امساكها بقدرته هذا اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى
المخلوق والذين من دونه آلهتهم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه
الله وانشاه فارونى ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة

العزيز فعيل من عز اذا غلبه

اى محل ترونها

جمع عمود كاديم وادم

اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط فى ضلال ليس بعده ضلال هو
لقمن ابن باعوراء ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر
وعاش الف سنة وادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعث داود
فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفى اذا كفيت وقيل كان قاضيا
فى بنى اسرائيل واكثر الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس رضه
لقمن لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق ورضى قوله
ووصيته فقص امره فى القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبى
كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب
كان اسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين
متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه
كل يوم حزمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت ترانى غليظ الشفتين
فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت ترانى اسود فقلبى ابيض وروى
ان رجلا وقف عليه فى مجلسه فقال الست الذى ترعى معى فى مكان كذا
قال بلى قال ما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنينى
وروى انه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد
كالطين فاراد ان يساله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها
وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق
ما سميت حكيما وروى ان مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب
مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج
اخبث مضغتين فاخرج اللسان والقلب فساله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها
اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه قال لاسود
لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمن
ان هى المفسرة لان ايتاء الحكمة فى معنى القول وقد نبه الله سبحانه على
ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقى هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له
حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر غنى غير محتاج الى الشكر حميد

اى من الشاة

بدل من بلال او عطف بيان لها

حقيق بأن يحمد وإن لم يحمد فهو حميد ٥ قيل كان اسم ابنه أنعم وقال الكلبي أشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى أسلما **لظلم عظيم** لأن التسوية بين من لا نعمة إلا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور أن يكون منه ظلم لا يكتنه عظمه ٥ أي حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى أنها تضعف ضعفا فوق ضعف أي يتزايد ضعفها ويتضاعف لأن الحمل كلما ازداد وعظم ازداد ثقلا وضعفا ٥ وقرئ وهنا على وهن بالتحريك ٥ عن أبي عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن ٥ وقرئ وفصله **أن اشكر** تفسير لوصينا **ما ليس لك به علم** أراد بنفي العلم به نفيه أي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الأصنام كقوله ما يدعون من دونه من شيء **معروفا** صحابا ٥ أو مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة **واتبع سبيل من أناب إلي** يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ٥ ثم إلي مرجعك ومرجعهما فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الإنسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الأبوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الإخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة ٥ وروي أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه وفي القصة أنها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود ٥ وروي أنه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت إلى الكفر **فإن قلت** هذا الكلام كيف وقع في أثناء وصية لقمان **قلت** هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تأكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك **فإن قلت** فقوله حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين كيف اعترض به بين المفسَّر والمفسِّر **قلت** لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة إيجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ٥ ومن ثم قال رسول الله صلعم لمن قال له من أبر قال أمك

ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك ٥ وعن بعض العرب أنه حمل أمه إلى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه ٥ أحمل أمي وهي الحمالة ترضعني الدرة والعلالة ولا يجازى والد فعاله **فإن قلت** ما معنى توقيت الفصال بالعامين **قلت** المعنى في توقيته بهذه المدة أنها الغاية التي لا تتجاوز والأمر فيما دون العامين موكول إلى اجتهاد الأم إن علمت أنه يقوى على الفطام فلها أن تفطمه ٥ ويدل عليه قوله والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي رحمه الله على أن مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب أبي يوسف ومحمد وأما عند أبي حنيفة فمدة الرضاع ثلاثون شهرا ٥ وعن أبي حنيفة إن فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعا وإن أكل أكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم أرضعته فهو رضاع محرم ٥ وقرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الإساءة ٥ أو الإحسان أي إن كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة ٥ أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي **يأت بها الله** يوم القيامة فيحاسب بها عاملها **إن الله لطيف** يتوصل علمه إلى كل خفي **خبير** عالم بكنهه ٥ وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ٥ ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وإنما أنث المثقال لإضافته إلى الحبة كما قال ٥ كما شرقت صدر القناة من الدم ٥ وروي أن ابن لقمان قال له أرأيت الحبة تكون في مقل البحر أي في مغاصه يعلمها الله فقال إن الله يعلم أصغر الأشياء في أخفى الأمكنة لأن الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء ٥ وقيل الصخرة هي التي تحت الأرض وهي السجين تكتب فيها أعمال الكفار ٥ وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن إذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا **واصبر على ما أصابك** يجوز أن يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وأن يكون خاصا بما يصيبه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ٥ إن ذلك مما عزمه الله من الأمور أي قطعه قطع إيجاب وإلزام ومنه الحديث لا صيام

لمن لم يعزم الصيام من الليل اى لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام
ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة
من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده
عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا
مندوحة فى تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات
الامور اى مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا فى معنى الفاعل اصله
من عازمات الامور من قوله فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك
بهذه الاية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مامورا بها فى سائر الامم
وان الصلوة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها موصى بها فى الاديان
كلها تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده وصعره
وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب
البعير يلوى منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم
شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون اراد ولا تمش تمرح مرحا
او اوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح
والاشر اى لا يكن غرضك فى المشى البطالة والاشر كما يمشى كثير من الناس
لذلك لا لكفاية مهم دينى او دنيوى ونحوه قوله ولا تكونوا كالذين خرجوا
من ديارهم بطرا ورئاء الناس والمختال مقابل للماشى مرحا وكذلك
الفخور للمصعر خده كبرا واقصد فى مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا
بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار قال رسول الله صلعم
سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن واما قول عائشة فى عمر رض كان اذا
مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد
بقطع الهمزة اى سدد فى مشيك من اقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية
واغضض من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا
قصر به ووضع منه انكر الاصوات اوحشها من قولك شيء نكر
اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل فى الذم

المتماوت الذى يرى انه ميت اى كالميت لسقوط قواه بكثرة العبادات والرياضات صفرة الناسك

البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم
من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين
كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد فى مساوى الاداب ان يجرى ذكر
الحمار فى مجلس قوم من اولى المروءة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا
وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق
ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا
وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة فى الذم والتهجين وافراط فى التثبيط عن رفع
الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان فان قلت لم وحد
صوت الحمير ولم يجمع قلت ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من احاد هذا
الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وانكر
اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده ما فى السموات
الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما فى الارض البحار والانهار
والمعادن والدواب وما لا يحصى واسبغ قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين
اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول فى سلخ صلخ وفى سقر صقر وفى سالغ
صالغ وقرئ نعمه ونعمة ونعمته فان قلت ما النعمة قلت كل نفع
قصد به الاحسان والله عز وعلا خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان
واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث
ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل
ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة فان قلت لم كان خلق العالم مقصودا به
الاحسان قلت لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه
ولا يجوز ان يكون لغرض راجع اليه من نفع لانه غنى غير محتاج الى المنافع
فلم يبق الا ان يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه فان قلت فما معنى
الظاهرة والباطنة قلت الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة
ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلا فكم فى بدن الانسان من نعمة لا يعلمها
ولا يهتدى الى العلم بها وقد اكثروا فى ذلك فعن مجاهد ظهور الاسلام والنصرة

سالغ البقر والشاة تسلغ سلوغا اذا سقطت السن التى خلف السديس وصلغت لغة فيه وصالغ وكذلك الانثى بغير الهاء وذلك فى السنة السادسة

على الأعداء والباطنة الإمداد من الملائكة ۝ وعن الحسن الظاهرة الإسلام والباطنة الستر
وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة
وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة
القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك ۝ ويروى في دعاء موسى صلوات الله عليه إلهي دلني
على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتي عليهم النفس ۝ ويروى أن أيسر ما يعذب
به أهل النار الأخذ بالأنفاس معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم أي
في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب ۝ قرأ علي بن أبي طالب رضه ومن يسلّم بالتشديد
يقال أسلم أمرك وسلّم أمرك إلى الله فإن قلت ما له عُدّي بإلى وقد عُدّي
باللام في قوله بلى من أسلم وجهه لله قلت معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته
ونفسه سالماً لله أي خالصاً له ومعناه مع إلى أنه سلّم إليه نفسه كما يسلّم المتاع
إلى الرجل إذا دفع إليه ۝ والمراد التوكل عليه والتفويض إليه فقد استمسك بالعروة
الوثقى من باب التمثيل مثّلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط
لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه وإلى الله
عاقبة الأمور أي هي صائرة إليه ۝ قرئ يَحزُنك ويُحزِنك من حَزَن
وأحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض أحزنه ويحزنه والمعنى لا
يهمنك كفر من كفر وكيده للإسلام فإن الله عز وجل دافع كيده في
نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله ۝ إن الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل
بهم على حسبه نمتعهم زماناً قليلاً بدنياهم ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ
شبّه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار المضطر إلى الشيء الذي
لا يقدر على الانفكاك منه ۝ والغلظ مستعار من الأجرام الغليظة والمراد
الشدة والثقل على المعذب قل الحمد لله إلزام لهم على إقرارهم بأن الذي
خلق السموات والأرض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر
وأن لا يعبد معه غيره ۝ ثم قال بل أكثرهم لا يعلمون أن ذلك يلزمهم وإذا
نبهوا عليه لم ينتبهوا ۝ إن الله هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد وإن
لم يحمدوه ۝ قرئ والبحرُ بالنصب عطفاً على اسم أنّ وبالرفع عطفاً على محل أنّ

اي يستعمل احزن في الماضي ويحزن في المستقبل

١٨٧

ومعمولها أي ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً وثبت البحر ممدوداً بسبعة أبحر ۝
أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدوداً
وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ۝ ويجب أن يحمل هذا على الوجه
الأول ۝ وقرئ تمدّه ويُمدّه بالتاء والياء فإن قلت كان مقتضى الكلام أن يقال
ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد قلت أغنى عن ذكر المداد قوله يمدّه لأنه من
قولك مدّ الدواة وأمدّها جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة وجعل الأبحر السبعة
مملوءة مداداً فهي تصب فيه مدادها أبداً صباً لا ينقطع ۝ والمعنى ولو أن أشجار
الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد
كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الأقلام والمداد كقوله قل لو كان البحر
مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي فإن قلت زعمت أن
قوله والبحر يمده حال في أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذي الحال قلت
هو كقوله وقد اغتدي والطير في وكناتها ۝ وجئت والجيش مصطف وما أشبه
ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف ۝ ويجوز أن يكون المعنى وبحرها والضمير
للأرض فإن قلت لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت
أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة
إلا قد بريت أقلاماً فإن قلت الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل
فهلا قيل كلم الله قلت معناه أن كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت جواباً لليهود لما قالوا قد أوتينا التوراة وفيها كل
الحكمة ۝ وقيل إن المشركين قالوا إن هذا يعنون الوحي كلام سينفد فأعلم الله
أن كلامه لا ينفد ۝ وهذه الآية عند بعضهم مدنية وأنها نزلت بعد الهجرة
وقيل هي مكية وإنما أمر اليهود وفد قريش أن يقولوا لرسول الله صلعم ألست
تتلو فيما أنزل عليك أنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء إن الله عزيز
لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمته إلا كنفس واحدة
إلا كخلقها وبعثها أي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد
والجمع لا يتفاوت وذلك أنه إنما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس

كل ما تمد به الشيء ويقوى به فهو مداد له

الكثير في العدد انه لا يشغله شان عن شان وفعل عن فعل وقد دل على ذلك
ان الله سميع بصير يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله ادراك
بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث كل واحد من الشمس والقمر يجري
في فلكه ويقطعه الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر
وعن الحسن الاجل المسمى يوم القيامة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ دل ايضا
بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على
تقدير وحساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته فان قلت
يجري لاجل مسمى ويجري الى اجل مسمى اهو من تعاقب الحرفين قلت كلا ولا
يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعني الانتهاء
والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قولك يجري الى اجل مسمى
معناه يبلغه وينتهي اليه وقولك يجري لاجل مسمى تريد يجري لادراك اجل مسمى
تجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى الا ترى ان جري الشمس مختص باخر السنة
وجري القمر باخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه ذلك الذي وصف
من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون
فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله انما هو بسبب انه هو الحق الثابت
الاهيته وان من دونه باطل الالهية وان الله هو العلي الشان
الكبير السلطان او ذلك الذي اوحي اليك من هذه الآيات بسبب بيان
ان الله هو الحق وان الها غيره باطل وان الله هو العلي الكبير عن ان يشرك به
وقرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل
على مذهب التعويض بنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها
الكسر والفتح والسكون بنعمة الله باحسانه ورحمته صبار على بلائه
شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قال ان في ذلك لآيات لكل مؤمن
يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما اظلك من جبل
او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فمنهم مقتصد
متوسط في الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار اي

مقتصد في الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف
لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله
في البحر والختر اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا
مددنا لك باعا من ختر قال وانك لو رايت ابا عمير ملأت يديك من غدر وختر
لا يجزي لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة
بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغني يقال
اجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزي فيه فحذف والغرور الشيطان
وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير الغرة
بالله ان يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك
لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا
جعل الغرور غارا كما قيل جد جده او اريد زينة الدنيا لانها غرور فان قلت
قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو
معطوف عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم الى
ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمؤمنين
وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فاريد حسم اطماعهم
واطماع الناس فيهم ان ينفعوا آباءهم في الآخرة وان يشفعوا لهم وان يغنوا
عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الآكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود
ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان
يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود
فانه لمن ولد منك روي ان رجلا من محارب وهو الحارث بن عمرو بن حارثة
اتى رسول الله صلعم فقال يا رسول الله اخبرني عن الساعة متى قيامها واني قد القيت
حباتي في الارض وقد ابطات عنا السماء فمتى تمطر واخبرني عن امراتي فقد
اشتملت ما في بطنها اذكر ام انثى واني علمت ما عملت امس فما اعمل غدا
وهذا مولدي قد عرفته فاين اموت فنزلت وعن النبي صلعم مفاتح الغيب خمس
وتلا هذه الآية وعن ابن عباس من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم

والكهانة فإن الكهانة تدعو إلى الشرك والشرك وأهله في النار ۝ وعن المنصور
أنه أهمه معنى مدة عمره فرأى في منامه كأن خيالا أخرج يده من
البحر وأشار إليه بالأصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوها خمس سنين
وبخمسة أشهر وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة رحمه الله تأويلها أن مفاتح الغيب خمس
لا يعلمها إلا الله وأن ما طلبت معرفته لا سبيل لك إليه ۝ عنده علم الساعة
أي زمان إرسائها وينزل الغيث في إبانه من غير تقديم ولا تأخير وفي بلد لا يجاوزه
به ويعلم ما في الأرحام أذكر أم أنثى أتام أم ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الأحوال
وما تدري نفس برة أو فاجرة ماذا تكسب غدا من خير أو شر وربما كانت
عازمة على خير فعملت شرا أو عازمة على شر فعملت خيرا وما تدري نفس أين تموت
وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها وأقبر فيها فترمي
بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثت به ظنونها ۝
وروي أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر
إليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني وسأل سليمان أن
يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام
نظري إليه تعجبا منه لأني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك ۝ وجعل
العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة ۝ و
المعنى أنها لا تعرف وإن أعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شيء
أخص بالإنسان من كسبه وعاقبته فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان من
معرفة ما عداهما أبعد ۝ وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيث أي
بتأنيث كل في قولهم كلتهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطي من الحسنات عشرا عشرا
بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر ۝

سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم الم على أنها اسم
السورة مبتدأ خبره تنزيل الكتاب وإن جعلتها تعديدا للحروف ارتفع

تنزيل الكتاب بأنه خبر مبتدأ محذوف ۝ أو هو مبتدأ خبره لا ريب فيه ۝ والوجه
أن يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له و
الضمير في فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه منزلا
من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله أم يقولون افتراه لأن قولهم هذا
مفترى إنكار لأن يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك
وما فيه من تقرير أنه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أولا أن تنزيله
من رب العالمين وأن ذلك ما لا ريب فيه ۝ ثم أضرب عن ذلك إلى قوله أم يقولون
افتراه لأن أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة إنكارا
لقولهم وتعجيبا منه لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ۝ ثم
أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من ربك ونظيره أن يعلل العالم
في المسألة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها أنواع الاحترازات كقول المتكلمين
النظر أول الأفعال الواجبة على الإطلاق التي لا يعرى عن وجوبها مكلف ثم يعترض
عليه فيها بعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص أنه احترز من ذلك ثم
يعود إلى تقرير كلامه وتمشيته فإن قلت كيف نفى أن يرتاب في أنه من الله
وقد أثبت ما هو أطم من الريب وهو قولهم افتراه قلت معنى لا ريب فيه
أن لا مدخل للريب في أنه تنزيل الله لأن نافي الريب وممبطه معه
لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله أبعد شيء من الريب وأما
قولهم افتراه فإما قول متعنت مع علمه أنه من الله لظهور الإعجاز له أو جاهل
يقوله قبل التأمل والنظر لأنه سمع الناس يقولونه ما أتاهم من نذير
من قبلك كقوله ما أنذر آباؤهم وذلك أن قريشا لم يبعث الله إليهم
رسولا قبل محمد صلعم فإن قلت إذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت
أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا بالرسل فلا وأما قيامها بمعرفة
الله وتوحيده وحكمته فنعم لأن أدلة العقل الموصلة إلى ذلك معهم
في كل زمان لعلهم يهتدون فيه وجهان أن يكون على الترجي من رسول الله

كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون وان يستعار لفظ الترجي
للارادة فان قلت ما معنى قوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع قلت هو على
معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم
ولا شفيعا يشفع لكم والثاني ان الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم
اي ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع فهو كقوله وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير الامر المامور به
من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم لا يعمل
به ولا يصعد اليه ذلك المامور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة
لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود
الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا
كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال وان يوما
عند ربك كالف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اي يصير اليه ويثبت عنده ويكتب
في صحف ملائكته كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل
تحت الوجود الى ان تبلغ المدة آخرها ثم يدبر ايضا ليوم آخر وهلم
جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء الى الارض
ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحي او رده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة
الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان ما
بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة
جبريل لانه يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر
الدنيا من السماء الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر
كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيامة
وقرا ابن ابي عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرئ يعدون بالياء
احسن كل شيء حسنه لانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته
الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن

واحسن كما قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه
من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته اي يعرفه معرفة
حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على البدل اي احسن خلق كل شيء
وخلقه على الوصف اي كل شيء خلقه فقد احسنه سميت الذرية نسلا
لانها تنسل منه اي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل
وسواه قومه كقوله في احسن تقويم ودل باضافة الروح الى ذاته على انه خلق
عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسألونك عن الروح الآية كانه قال ونفخ
فيه من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته وقالوا قيل القائل ابي بن خلف
ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا وقرئ اينا وانا على الاستفهام وتركه
ضللنا صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما
يضل الماء في اللبن او غبنا في الارض بالدفن فيها من قوله وآب مضلوه بعين جلية
وقرا علي وابن عباس ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرا
الحسن صللنا من صل اللحم واصل اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة
وهي الارض فان قلت بم انتصب الظرف في اءذا ضللنا قلت بما يدل عليه انا لفي
خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة
من تلقي ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه
الى ما هو ابلغ في الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء
وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم
بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا و
التوفي استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس وقال
اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك توفيت
حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته وافيا كاملا من غير نقصان
والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منه تقضيته واستقضيته
وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض و
جعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم

ومعه أعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها
ولو ترى يجوز أن يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان أن يراد به التمني كأنه قال
وليتك ترى كقوله عليه السلام للمغيرة لو نظرت إليها والتمني لرسول الله كما كان الترجي له
في لعلهم يهتدون لأنه تجرع منهم الغصص ومن عنادهم وضرارهم فجعل الله
له تمني أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت
بهم وأن تكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت أمرا فظيعا أو لرأيت
أسوأ حال ترى ويجوز أن يخاطب به كل أحد كما تقول فلان لئيم إن أكرمته أهانك
وإن أحسنت إليه أساء إليك فلا تريد به مخاطبا بعينه فكأنك قلت إن أكرم
وإن أحسن إليه ولو وإذ كلاهما للمضي وإنما جاز ذلك لأن المترقب من الله بمنزلة
الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كأنه قيل ولو يكون
منك الرؤية وإذ ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا أبصرنا وسمعنا فلا يغاثون
يعني أبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك أو كنا عميا
وصما فأبصرنا وسمعنا فارجعنا من الرجعة إلى الدنيا ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
على طريق الإلجاء والقسر ولكن بنينا الأمر على الاختيار دون الاضطرار فا
ستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على أهل العمى دون البصراء ألا ترى
إلى ما عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم
من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان
خلاف التذكر يعني أن الانهماك في الشهوات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة
وسلط عليكم نسيانها ثم قال إنا نسيناكم على المقابلة أي جازيناكم جزاء
نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك أي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة
وفي استئناف قوله إنا نسيناكم وبناء الفعل على إن واسمها تشديد في الانتقام
منهم والمعنى فذوقوا هذا أي ما أنتم فيه من نكس الرؤوس والخزي والغم
بسبب نسيان اللقاء وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم
من المعاصي والكبائر الموبقة إذا ذكروا بها أي وعظوا سجدوا تواضعا لله
وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الإسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله

من نسبة القبائح إليه وأثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل
من يصر مستكبرا كأن لم يسمعها ومثله قوله إن الذين أوتوا العلم من قبله
إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا تتجافى ترتفع
وتتنحى جنوبهم عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم عابدين له لأجل
خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن أنه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق
كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت
تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا
يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا إلى الجنة
ثم يحاسب سائر الناس وعن أنس بن مالك كان أناس من أصحاب رسول الله
يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين
يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها ما أخفي لهم على البناء للمفعول ما أخفى لهم
على البناء للفاعل وهو الله سبحانه ما أخفي لهم وما نخفي لهم وما أخفيت
لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذي أو بمعنى أي وقرئ من
قرة أعين وقرات أعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة
منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل أي نوع عظيم من الثواب ادخر الله
لأولئك وأخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه إلا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد
على هذه العدة ولا مطمع وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم أطماع المتمنين
وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه اقرءوا إن شئتم فلا تعلم
نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وعن الحسن أخفى القوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله
لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت كان مؤمنا وكان فاسقا محمولان على لفظ من
لا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله فأما الذين آمنوا وأما الذين فسقوا ونحوه
قوله ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك فلهم جنات المأوى نوع

بله أي اترك ما أطلعتهم

من الجنان قال الله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها
جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس قال تأوي إليها أرواح الشهداء
وقيل هي عن يمين العرش ○ وقرئ جنة المأوى على التوحيد نزلا عطاء بأعمالهم
والنزل عطاء النازل ثم صار عاما فمأواهم النار أي ملجأهم ومنزلهم ○ ويجوز
أن يراد فجنة مأواهم النار أي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله
فبشرهم بعذاب أليم ○ العذاب الأدنى عذاب الدنيا من القتل والأسر
وما محنوا به من السنة سبع سنين ○ وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب
الأكبر عذاب الآخرة أي نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة
لعلهم يرجعون أي يتوبون عن الكفر أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه
لقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت إرادة الرجوع رجوعا كما سميت إرادة
القيام قياما في قوله إذا قمتم إلى الصلاة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون
على البناء للمفعول فإن قلت من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله
إرادة وإذا أراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون ألا ترى أنها
لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الأكبر قلت إرادة الله
تتعلق بأفعاله وأفعال عباده فإذا أراد شيئا من أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار
وخلوص الداعي وأما أفعال عباده فإما أن يريدها وهم مختارون لها أو مضطرون
إليها بقسره وإلجائه فإن أرادها وقد قسرهم عليها فحكمها حكم أفعاله وإن أرادها
على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره
كما لا يقدح في اقتدارك إرادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لأن
اختياره لا يتعلق بقدرتك وإذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على
عجزك ○ وروي أنه شجر بين علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن
أبي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فإنك صبي أنا أشب منك شبابا
وأجلد منك جلدا وأذرب منك لسانا وأحد منك سنانا وأملأ منك حشوا
في الكتيبة فقال له علي اسكت فإنك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين
فتناولتهما وكل من في مثل حالهما ○ وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال للوليد كيف

تشنيع عليها وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا ○ ثم في قوله ثم أعرض
عنها للاستبعاد ○ والمعنى أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها
وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد
في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا
لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة: لا يكشف الغماء إلا ابن حرة يرى غمرات
استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها
فإن قلت هلا قيل إنا منه منتقمون قلت لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد
المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام
ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة ○ الكتاب للجنس والضمير في لقائه له
ومعناه إنا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي
فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله فإن كنت في شك
مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ○ ونحوه قوله من لقائه
قوله وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ○ ونحوه ونخرج له يوم القيامة
كتابا يلقاه منشورا وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هدى لقومه ○ وجعلنا منهم
أئمة يهدون الناس ويدعونهم إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه لصبرهم
وإيقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل إليك هدى ونورا ولنجعلن
من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا
عليه من اليقين ○ وقيل من لقائك موسى ليلة الإسراء ○ أو يوم القيامة ○ وقيل
من لقاء موسى الكتاب أي من تلقيه له بالرضا والقبول وقرئ لما صبروا
وبما صبروا أي لصبرهم ○ وعن الحسن صبروا عن الدنيا ○ وقيل إنما جعل الله
التوراة هدى لبني إسرائيل خاصة ولم يتعبدنا بما فيها وولد إسمعيل يفصل
بينهم يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل ○ الواو في أولم يهد للعطف على
معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لأهل مكة ○ وقرئ
بالنون والياء ○ والفاعل ما دل عليه كم أهلكنا لأن كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني
كم رجل تقديره أولم يهد لهم كثرة إهلاكنا القرون أو هذا الكلام

كما هو بمضمونه ومعناه كقولك يعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ○ ويجوز ان يكون فيه
ضمير الله بدلالة القراءة بالنون ○ والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون
يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ○ وقرئ يمشّون
بالتشديد ○ الجرز الارض التي جرز نباتها اى قطع اما لعدم الماء واما لانه
رعي وازيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به
زرعا ○ وعن ابن عباس انها ارض اليمن ○ وعن مجاهد ابين ○ به بالماء ○ تأكل
من الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم من حبه ○ وقرئ يأكل بالياء ○ الفتح
النصر ○ او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان
الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا
متى هذا الفتح اى في اى وقت يكون ان كنتم صادقين في انه كائن ○ ويوم
الفتح يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم
عليهم ○ وقيل هو يوم بدر ○ وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة ○ فان قلت
قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم قلت كان غرضهم
في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا
على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا
فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم
في ادراك العذاب فلم تنظروا ○ فان قلت فمن فسره بيوم الفتح او بيوم بدر
كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة
وناسا يوم بدر ○ قلت المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل
كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق ○ وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم
انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون
وقرأ ابن السميفع منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم احقاء
بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة ○ او وانتظر ذلك فان الملائكة
في السماء ينتظرونه ○ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك
اعطي من الاجر كانما احيا ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان
بيته ثلثة ايام

بفتح الهمزة اسم موضع

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عن زر
قال قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلثا وسبعين آية
قال فوالذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة
او اطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما
البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي رضي الله عنه ان ذلك من جملة ما نسخ من
القرآن ○ واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة
فاكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض ○ جعل نداءه بالنبي والرسول
في قوله يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم يا ايها الرسول بلغ ما انزل
اليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا
وتنويها بفضله ○ فان قلت ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه
في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول ○ قلت ذاك لتعليم الناس
بانه رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين
النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف
ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه النبي
اولى بالمؤمنين من انفسهم ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون
بالله والنبي ○ اتق الله واثبت على ما انت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد
منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ آخره ○ ولا تطع الكافرين والمنافقين
لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس
منهم فانهم اعداء الله واعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود
قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان
يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز
عنه وكان يسمع منهم فنزلت ○ وروي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل

وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم
عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله ارفض
ذكر الهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله وعلى
المومنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة
ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي
ان اهل مكة دعوا رسول الله الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم
وان يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة انهم
يقتلونه ان لم يرجع فنزلت ان الله كان عليما بالصواب من الخطا والمصلحة
من المفسدة حكيما لا يفعل شيا ولا يامر به الا بداعي الحكمة واتبع ما يوحى اليك
في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك ان الله يوحي اليك خبير بما تعملون
فموح اليك ما يصلح به اعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون
بالياء اي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله
واسند امرك اليه وكله الى تدبيره وكيلا حافظا موكولا اليه كل امر
ما جعل الله قلبين في جوف ولا زوجية وامومة في امراة ولا بنوة
ودعوة في رجل والمعنى ان الله سبحانه كما لم ير في حكمته ان يجعل للانسان
قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل بالاخر من افعال القلوب فاحدهما
فضلة غير محتاج اليها واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي
الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة
لم ير ايضا ان تكون المراة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الام مخدومة
مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش
وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وان يكون الرجل الواحد
دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة
الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد ان يكون اصيلا غير
اصيل وهذا مثل ضربه الله في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي
صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن
حزام

لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلعم وهبته له وطلبه ابوه وعمه
فخير فاختار رسول الله فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فانزل الله
هذه الاية وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقيل كان ابو معمر رجلا
من احفظ العرب وارواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن اسد
الفهري وكان يقول ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فروي
انه انهزم يوم بدر فمر بابي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى
في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال ما بال
احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب
الله قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني وعن ابن عباس كان
المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله وقيل سها في صلوته فقالت
اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في ان الواحد
يقول نفس تامرني ونفس تنهاني والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية
على قلبين تاكيدان لما قصد من المعنى كانه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد
منهم قلبين البتة في جوفه فان قلت اي فائدة في ذكر الجوف قلت الفائدة
فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة
التصور والتجلي للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على
قلبين فكان اسرع الى الانكار وقرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين
واللاي بياء ساكنة بعد الهمزة وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون
من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون
من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل
من الظهور ومعنى ظاهر من امراته قال لها انت علي كظهر امي ونحوه في العبارة
عن اللفظ لبى المحرم اذا قال لبيك وافف الرجل اذا قال اف واخوات لهن فان قلت
فما وجه تعديه بمن قلت كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية
فكانوا يتجنبون المراة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان
قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها
حاذر منها

اي اللائي بياء واللاء بالهمزة
ملتبس بين واللاي بياء بالهمزة
بعدها ياء ساكنة صح

وظهّر منها وتظهّر وظاهر منها وتظاهر منها ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى
التباعد منها عُدّي بمن والا فآلى في اصله الذي هو معنى حلف واقسم ليس هذا
بحكمه **فإن قلت** ما معنى قولهم انت علي كظهر امي **قلت** ارادوا ان يقولوا انت علي
حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب
ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ۝ ومنه حديث
عمر رضي الله عنه يجيء به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره ۝ ووجه آخر وهو ان
اتيان المرأة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة
يقولون اذا اتيت المرأة ووجهها الى الارض جاء الولد احول فلقصد المطلق
منهم الى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى
جعله ظهر امه فلم يترك **فإن قلت** الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى
ولدا فما له جمع على افعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقياء وشقي
واشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي **قلت** ان شذوذه عن القياس كشذوذ
قتلاء واسراء والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي ۝ ذلكم النسب هو
قولكم بافواهكم هذا ابني لا غير من غير ان يواطئه اعتقاد لصحته وكونه
حقا ۝ والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي الا
سبيل الحق ۝ ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله ادعوهم
لآبائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن
والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق النظم ۝ وقرأ قتادة وهو الذي يهدي
السبيل ۝ وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه
الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه
فيقال فلان ابن فلان ۝ فان لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم اليهم ۝ فهم اخوانكم
في الدين واولياؤكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا مولاي ويا اخي ويا مولاي
يريد الاخوة في الدين والولاية فيه **ما تعمدت** في محل الجر عطفا على ما اخطأتم
ويجوز ان يكون ارتفاعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت
قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل

ورود النهي

ورود النهي ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي او لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم
يا بني على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين ۝ ويجوز ان يراد العفو
عن الخطأ دون العمد على طريق العموم كقوله عليه السلام ما اخشى عليكم الخطأ ولكن اخشى عليكم
العمد وقوله وضع عن امتي الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول لعمومه
خطأ التبني وعمده **فإن قلت** فاذا وجد التبني فما حكمه **قلت** اذا كان المتبنى مجهول
النسب واصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب
وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند ابي حنيفة وعند صاحبيه
لا يعتق ۝ واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وان كان عبدا اعتق **وكان
الله غفورا رحيما** لعفوه عن الخطأ ۝ وعن العمد اذا تاب العامد **النبي اولى بالمؤمنين**
في كل شيء من امور الدين والدنيا **من انفسهم** ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون
احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها
وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه
اذا اعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب وان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم
ولا ما يصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله وصرفهم عنه لان
كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم
عنه فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة وعذاب النار
او هو اولى بهم على معنى انه ارأف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله تعالى
بالمؤمنين رؤوف رحيم ۝ وعن النبي صلعم ما من مؤمن الا انا اولى به في الدنيا والآخرة
اقرؤوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن هلك وترك مالا
فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضياعا فالي ۝ وفي قراءة ابن
مسعود النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته
ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلعم ابوهم في الدين **وازواجه امهاتهم**
تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن
وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وهن فيما وراء
ذلك بمنزلة الاجنبيات ۝ ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء تعني انهن

إنما كن أمهات الرجال المؤمنين تحريماً عليهم لتحريم أمهاتهم والدليل على ذلك أن
هذا التحريم لم يتعد إلى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر أحكام الأمهات
كان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة
كما كانت تتألف قلوب قوم بإسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الإسلام
وعز أهله وجعل التوارث بحق القرابة **في كتاب الله** في اللوح أو فيما
أوحى الله إلى نبيه وهو هذه الآية أو في آية المواريث أو فيما فرض الله
كقوله كتاب الله عليكم **من المؤمنين والمهاجرين** يجوز أن يكون بياناً لأولي الأرحام
أي الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضاً من الأجانب ويجوز أن يكون
لابتداء الغاية أي أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق
الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة **فإن قلت** مم استثنى أن تفعلوا
قلت من أعم العام في معنى النفع والإحسان كما تقول القريب أولى من الأجنبي إلا
في الوصية تريد أنه أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة
وغير ذلك إلا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لأنه لا وصية لوارث
وعدى تفعلوا بإلى لأنه في معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالأولياء المؤمنون
والمهاجرون للولاية في الدين **ذلك** إشارة إلى ما ذكر في الآيتين جميعاً وتفسير
الكتاب ما مر آنفاً والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الأحكام
واذكر حين أخذنا من النبيين جميعاً ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء
إلى الدين القيم ومنك خصوصاً ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى
وإنما فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة عند تواقف الأشهاد المؤمنين
الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم
قالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا
عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين أو ليسأل المصدقين للأنبياء عن
تصديقهم لأن من قال للصادق صدقت كان صادقاً في قوله أو ليسأل الأنبياء
ما الذي أجابتهم به أممهم وتأويل مسألة الرسل تبكيت الكافرين بهم
كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله **فإن قلت**

لم قدم رسول الله على نوح فمن بعده **قلت** هذا العطف لبيان فضيلة الأنبياء
الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء المفضلين قدم
عليهم لبيان أنه أفضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه **فإن قلت** فقد قدم
عليه نوح في الآية التي هي أخت هذه وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً
والذي أوحينا إليك ثم قدم على غيره **قلت** مورد هذه الآية على طريقة خلاف
طريقة تلك وذلك أن الله تعالى إنما أوردها لوصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة
فكأنه قال شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث
عليه محمد خاتم الأنبياء في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الأنبياء
المشاهير **فإن قلت** فماذا أراد بالميثاق الغليظ **قلت** أراد به ذلك الميثاق
بعينه معناه وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقاً غليظاً والغلظ استعارة من
وصف الأجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شأنه في بابه وقيل الميثاق الغليظ
اليمين بالله على الوفاء بما حملوا **فإن قلت** علام عطف قوله وأعد للكافرين
قلت على أخذنا من النبيين لأن المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوة
إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذاباً أليماً أو على ما دل عليه
ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين اذكروا ما
أنعم الله به عليكم يوم الأحزاب وهو يوم الخندق **إذ جاءتكم جنود**
وهم الأحزاب فأرسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه
نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور **وجنوداً لم تروها** وهم
الملائكة وكانوا ألفاً بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فأخصرتهم
وسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت الأ
طناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها
في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم
فقال طليحة بن خويلد الأسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء
النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلعم بإقبالهم ضرب
الخندق على المدينة أشار عليه بذلك سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة آلاف
من المسلمين

فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط وكانت قريش قد اقبلت في عشرة آلاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر «تعملون» قرئ بالتاء والياء «من فوقكم» من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان «ومن اسفل منكم» من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا «اذ زاغت الابصار» مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع الحنجرة راس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة «وتظنون بالله الظنونا» خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون انهم يبتلون وقرئ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة الف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادوها في القافية من قال — اقلي اللوم عاذل والعتابا وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل ايضا اجراء له مجرى الوقف

قال ابو عبيد وهن كلهن في الامام بالالف وعن ابي عمرو اشمام الزاي زلزلوا وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج «الا غرورا» قيل قائله معتب بن قشير حين راى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور «واذ قالت طائفة» منهم هم اوس بن قيظي ومن وافقه على رايه وعن السدي عبد الله بن ابي واصحابه «يثرب» اسم المدينة وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية منها «لا مقام لكم» قرئ بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم ها هنا ولا مكان تقيمون فيه او تقيمون «فارجعوا» الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان وقرئ «عورة» بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار «ولو دخلت عليهم» المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره «من اقطارها» من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة «الفتنة» اي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين «لآتوها» لجاؤوها وفعلوها وقرئ لآتوها لاعطوها «وما تلبثوا بها» وما البثوا اعطاءها «الا يسيرا» ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف او وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملأوهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة

بغضهم

بأهله وحبّهم الكفرة وتربّصهم على حزبه ه عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلعم
ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ه وقيل هم قوم غابوا عن بدر
فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن ه وعن محمد بن إسحق عاهدوا يوم أحد
أن لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل مسؤولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به لن ينفعكم
الفرار مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف أنف أو قتل وإن نفعكم الفرار مثلا فمتعتم
بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا زمانا قليلا ه وعن بعض المروانية أنه مر بحائط
مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب فإن قلت كيف جعلت
الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة إلا من السوء قلت معناه أو يصيبكم
بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام وأجري مجرى قوله متقلدا سيفا
ورمحا ه أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع ه المعوقين المثبطين
عن رسول الله وهم المنافقون ه كانوا يقولون لإخوانهم من ساكني المدينة من أنصار
رسول الله ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفين
وأصحابه فخلوهم وهلم إلينا أي قربوا أنفسكم إلينا وهي لغة أهل الحجاز
يسوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال
وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب قل هلم شهداءكم إلا قليلا
إلا إتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون
ويقاتلون إلا شيئا قليلا إذا اضطروا إليه كقوله ما قاتلوا إلا قليلا أشحة عليكم
في وقت الحرب أضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل
دونه عند الخوف ينظرون إليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات
الموت حذرا وخورا أو لواذا بك فإذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت
القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم إلى الخير وهو المال
والغنيمة ونسوا تلك الحالة الأولى واجترؤوا عليكم وضربوكم بألسنتهم
وقالوا وفروا قسمتنا فإنا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم
وبنا نصرتم عليهم ه ونصب أشحة على الحال أو على الذم ه وقرئ أشحة بالرفع
وصلقوكم بالصاد فإن قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الإحباط قلت

لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن أن الإيمان باللسان إيمان وإن لم يواطئه القلب
وأن ما يعمل المنافق من الأعمال يجدي عليه فبين أن إيمانه ليس بإيمان وأن كل
عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على إتقان المكلف أساس أمره وهو
الإيمان الصحيح وتنبيه على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء
على غير أساس وأنها مما يذهب عند الله هباء منثورا فإن قلت ما معنى قوله
وكان ذلك على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير قلت معناه أن أعمالهم حقيقة
بالإحباط تدعو إليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف ه يحسبون أن الأحزاب
لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق إلى المدينة راجعين لما نزل بهم
من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط وإن يأت الأحزاب كرة ثانية
تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة أنهم خارجون إلى البدو حاصلون بين الأعراب
يسألون كل قادم منهم من جانب المدينة ه عن أخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا
فيكم ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا إلا تعلة رياء وسمعة
وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفي رواية صاحب الإقليد بدي
بوزن عدي ويساءلون أي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت
ماذا بلغك ه أو يتساءلون الأعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه
كان لكم أن تؤتسوا برسول الله بأنفسكم فتؤازروه وتثبتوا معه كما آساكم
بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته
يوم أحد وشج وجهه فإن قلت فما حقيقة قوله لقد كان لكم في رسول الله
أسوة حسنة وقرئ أسوة بالضم قلت فيه وجهان أحدهما أنه في نفسه
أسوة حسنة أي قدوة وهو المؤتسى به أي المقتدى به كما تقول في البيضة
عشرون منا حديد أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد ه والثاني أن فيه خصلة
من حقها أن يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجو الله بدل
من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم يرجو الله واليوم الآخر من قولك
رجوت زيدا وفضله أي فضل زيد أو يرجو أيام الله واليوم الآخر خصوصا
والرجاء بمعنى الأمل أو الخوف وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة

والتوفر على الاعمال الصالحة والمؤتسي برسول الله من كان كذلك ووعدهم ان يزلزلوا
حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم ○ فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا
الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر
وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا
او عشرا اي في آخر تسع ليال او عشر فلما راوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا
ذلك وهذا الاشارة الى الخطب ○ او البلاء ايمانا بالله وبمواعيده ○ وتسليما لقضاياه
واقداره ○ نذر رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله ثبتوا
وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن
زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم فمنهم من قضى نحبه
يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة ○ وفي الحديث من احب
ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة قلت ما قضاء النحب
قلت وقع عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكانه نذر
لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اي نذره وقوله فمنهم من قضى
نحبه يحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله فان قلت ما حقيقة
قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني اخوك وكذبني اذا قال
لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره ومعناه صدقني في سن بكره
بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن
في طرح الجار ○ واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا للمعاهد
عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا
وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ○ ولقد ثبت
طلحة مع رسول الله يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله اوجب طلحة
وفيه تعريض لمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب جعل المنافقون كانهم
قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق
بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا

في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا
ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا
خيرا غير ظافرين وهما حالان متداخلان ○ او متعاقبان ○ ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى
او استينافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وانزل الذين ظاهروهم
الاحزاب من اهل الكتاب من صياصيهم من حصونهم ○ والصيصية ما تحصن به يقال
لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه
يتحصن بها ○ روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلعم صبيحة الليلة التي انهزم
فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم
والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش
فجعل رسول الله يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة
لم تضع السلاح ان الله يامرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله
داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في الناس ان من كان سامعا
مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد
العشاء الآخرة لقول رسول الله فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم
الحصار فقال لهم رسول الله تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ
فرضوا فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم
فكبر النبي صلعم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم و
خندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة
الى تسعمائة ○ وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير ○ وقرئ الرعب
بسكون العين وضمها وتاسرون بضم السين ○ وروي ان رسول الله جعل عقارهم
للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر
اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس
قال رضينا بما صنع الله ورسوله ○ وارضا لم تطؤها عن الحسن فارس والروم
وعن قتادة كنا نحدث انها مكة ○ وعن مقاتل هي خيبر ○ وعن عكرمة
كل ارض تفتح الى يوم القيامة ○ ومن بدع التفاسير انه اراد نساءهم

أردن شيئاً من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغمّ ذلك رسول الله
ﷺ فنزلت فبدأ بعائشة وكانت أحبهن إليه فخيّرها وقرأ عليها القرآن
فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله
ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فأنزل لا يحل لك النساء
من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج. وروي أنه قال لعائشة إني ذاكر لك أمراً
ولا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفي
هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. وروي أنها قالت
لا تخبر أزواجك أني اخترتك فقال إنما بعثني الله مبلّغاً ولم يبعثني متعنّتاً
فإن قلت ما حكم التخيير في الطلاق قلت إذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي
أو قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخيِّر أو المخيَّرة
وقعت طلقة بائنة عند أبي حنيفة وأصحابه واعتبروا أن يكون ذلك في المجلس
قبل القيام أو الاشتغال بما يدل على الإعراض. واعتبر الشافعي رحمه الله اختيارها
على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود رضي الله عنهما
وعن الحسن وقتادة والزهري أمرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره. وإذا
اختارت زوجها لم يقع شيء بإجماع فقهاء الأمصار. وعن عائشة رضي الله عنها خيّرنا
رسول الله فاخترناه ولم يعدّه طلاقاً. وروي أفكان طلاقاً. وعن علي رضي الله عنه
إذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وإن اختارت نفسها فواحدة
بائنة. وروي عنه أيضاً أنها إن اختارت زوجها فليس بشيء. أصل تعال
أن يقول له من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطئ ثم كثر حتى
استوت في استعماله الأمكنة. ومعنى تعالين أقبلن بإرادتكن واختياركن
لأحد أمرين ولم يرد نهوضهن إليه بأنفسهن كما تقول أقبل يخاصمني وذهب
يكلمني وقام يهددني. أمتعكن أعطكن متعة الطلاق. فإن قلت المتعة
في الطلاق واجبة أم لا قلت المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد
متعتها واجبة عند أبي حنيفة وأصحابه وأما سائر المطلقات فمتعتهن
مستحبة. وعن الزهري متعتان إحداهما يقضي بها السلطان من طلق قبل

أن يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل
وخاصمت امرأة إلى شريح في المتعة فقال متعها إن كنت من المتقين ولم يجبره
وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض. وعن الحسن لكل مطلقة متعة إلا المختلعة
والملاعنة. والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والإقتار إلا أن
يكون نصف مهرها أقل من ذلك فيجب لها الأقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم لأن
أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها. فإن قلت ما وجه قراءة من قرأ أمتعكنَّ
وأسرحكنَّ بالرفع قلت وجهه الاستئناف. سراحاً جميلاً من غير ضرار طلاقاً بالسنة
منكن للبيان لا للتبعيض. الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة
والمبيّنة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر. وقيل هي
عصيانهن رسول الله ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به
ذرعه ويغتم لأجله. وقيل الزنى والله عاصم رسوله من ذلك كما مرّ في حديث
الإفك. وإنما ضوعف عذابهن لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن وأقبح
لأن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة
على العاصي من المعصي وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي ولا على أحد منهن مثل
ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقاباً يتبع كون الفعل
قبيحاً فمتى ازداد قبحاً ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي
العالم أشد منه للعاصي الجاهل لأن المعصية من العالم أقبح ولذلك فضل حد الأحرار
على حد العبيد حتى إن أبا حنيفة وأصحابه لا يرون الرجم على الكافر. وكان ذلك
على الله يسيراً إيذان بأن كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيئاً وكيف يغني
عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعياً إلى تشديد الأمر عليهن غير
صارف عنه. وقرئ تأت بالتاء والياء. مبيَّنة بفتح الياء وكسرها من بيّن
بمعنى تبيّن. يضاعف ويضعَّف على البناء للمفعول ويضاعف ويضعِّف بالياء
والنون. وقرئ يقنت وتعمل بالياء والتاء ويؤتها بالياء والنون. والقنوت الطاعة
وإنما ضوعف أجرهن لطلبهن رضا رسول الله بحسن الخلق وطيب المعاشرة
والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى. أحد في الأصل بمعنى وحد

وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله لستن كأحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومثله قوله والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين **ان اتقيتن** ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات **فلا تخضعن بالقول** فلا تجبن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات **فيطمع الذي في قلبه مرض** اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انهن نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كأنه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن انه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول اي فيطمع القول المريب **قولا معروفا** بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها واصله اقررن فحذفت الراء والقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها آخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة والجاهلية الاولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه ابراهيم كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل زمن داود وسليمن والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما ويجوز ان تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكأن المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر

ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال بل جاهلية كفر امرهن امرا خاصا بالصلوة والزكوة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس واما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به واهل البيت نصب على النداء او على المدح وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي من اهل بيته ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع **ان الله كان لطيفا خبيرا** حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته او حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين روي ان ازواج النبي صلعم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي صلعم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب ان يصدق به والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله والمتصدق الذي

يزكي ماله ولا يخل بالنوافل • وقيل من تصدق في أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين
• ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين • والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو
من ذكر الله بقلبه او لسانه او بهما • وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر
وقال رسول الله صلعم من استيقظ من نومه وايقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين
كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات • والمعنى والحافظاتها والذاكراته
فحذف لان الظاهر يدل عليه فان قلت اي فرق بين العطفين عطف الاناث
على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين قلت العطف الاول نحو قوله ثيبات
وابكارا في انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف
بينهما واما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين
والجامعات لهذه الطاعات اعد الله لهم • خطب رسول الله زينب بنت جحش
بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى
اخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه
اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا
من طعام وثلثين صاعا من تمر • وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة ابن ابي
معيط وهي اول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي فقال قد قبلت
فزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده
• والمعنى وما صح لرجل ولا امراة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله اي رسول الله
او لان قضاء رسول الله هو قضاء الله امرا من الامور ان يختاروا من امرهم
ما شاءوا بل من حقهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم تلوا لاختياره
فان قلت كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امراة الا
كان من شانه كذا قلت نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة
فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ • وقرئ تكون بالتاء والياء والخيرة ما
يتخير • للذي انعم الله عليه بالاسلام الذي هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه
ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله
ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب بنت

جحش وذلك ان رسول الله ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال
سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها
ولو ارادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن و
القى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله
اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت
منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال له امسك عليك زوجك
واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله ما اجد احدا اوثق
في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها
فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان
رسول الله ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله
يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت
الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله ودخل بها وما
اولم على امراة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز
واللحم حتى امتد النهار فان قلت ما اراد الله بقوله واتق الله قلت
اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا
يطلق وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج
فان قلت ما الذي اخفى في نفسه قلت تعلق قلبه بها • وقيل مودة
مفارقة زيد اياها • وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها
لان الله قد اعلمه بذلك • وعن عايشة رض لو كتم رسول الله شيئا مما اوحي
اليه لكتم هذه الاية فان قلت فماذا اراد الله منه ان يقول له حين قال له زيد
اريد مفارقتها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها قلت
كان الذي اراد منه عز وجل ان يصمت عند ذلك • او يقول له انت اعلم بشانك
حتى لا تخالف سره في ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوي
الظاهر والباطن والتصلب في الامور والتجاوب في الاحوال والاستمرار
على طريقة مستتبة كما جاء في حديث ارادة رسول الله قتل عبد الله بن ابي

استتب الامر اي تهيأ واستقام

وأعني ابن ابي سرح بشفاعة عثمان له ان عمر قال له لقد كان عيني الى عينك هل تشير
الي فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد فان قلت كيف
عاتبه الله في ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبي التصريح بشيء
الا والشيء في نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح في العقول
والعادات وما له لم يعاتبه في نفس الامر ولم يامره بقمع الشهوة وكف النفس
ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه عن تعلق الهجنة به وما يعرضه
للقالة قلت كم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو
في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول
في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم
يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم الا من اوتي فضلا وعلما ودينا
ونظرا في حقائق الامور ولبوبها دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا
في بيوت رسول الله بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستانسين بالحديث
وكان رسول الله يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده
ان يامرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم
والله لا يستحيي من الحق ولو ابرز رسول الله مكنون ضميره وامرهم
ان ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فهذا من ذاك القبيل لان طموح
قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امراة او غيرها غير موصوف بالقبح
في العقل ولا في الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول
المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير
استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو اقرب اليه من رد قميصه ان يتوا اسية
مفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء بل كانت تجفو
عنها ونفس رسول الله متعلقة بها ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل
عن امراته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الاخر فان المهاجرين
حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت
له امراتان نزل عن احديهما وانكحها المهاجري واذا كان الامر مباحا

من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد
بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله امنت الايمة
والضيعة ونالت الشرف وعادت اما من امهات المسلمين الى ما ذكر الله من المصلحة
العامة في قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا
فبالحري ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله امسك عليك زوجك
واتق الله وان لا يرضى له الا اتحاد الضميرين والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى
يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا فان قلت الواو
في وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ما هي قلت واو الحال اي تقول لزيد امسك
عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا تمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى
الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله او واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك
امسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل
ذلك اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى
فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها
وانقضت عدتها زوجناكها وقراءة اهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن
محمد اليس تقرا على غير ذلك فقال لا والذي لا اله الا هو ما قراتها على ابي الا كذلك
ولا قراها الحسن بن علي على ابيه الا كذلك ولا قراها علي بن ابي طالب على النبي صلعم
وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان امر الله الذي يريد ان يكونه
مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله زينب
ومن نفي الحرج عن المؤمنين في اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين
في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز ان يراد
بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو امره فرض الله له قسم له واوجب
من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم سنة الله
اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبي
من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا يحرج
عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم

المباينة والسنن ارى وكانت لداود مائة امراة وثلثمائة سرية ولسليمان
ثلثمائة وسبعمائة في الذين خلوا في الانبياء الذين مضوا الذين يبلغون
يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء والرفع والنصب على المدح
على هم الذين يبلغون او على اعني الذين يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا
مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبياء بانهم لا يخشون الا
الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه حسيبا
كافيا للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان لا يكون حق الخشية
من مثله ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة
حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر و
النكاح ولكن كان رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب
التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة له عليه لا في سائر
الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا
باولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص
والتقريب لا غير وكان خاتم النبيين يعني انه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال
لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى انه قال في ابراهيم حين توفي لو
عاش لكان نبيا فان قلت اما كان ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم
قلت قد اخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم من وجهين احدهما ان هؤلاء لم يبلغوا
مبلغ الرجال والثاني انه قد اضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم
فان قلت اما كان ابا للحسن والحسين رضي الله عنهما قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين
حينئذ وهما ايضا من رجاله لا من رجالهم وشيء آخر وهو انه انما قصد ولده
خاصة لا ولد ولده لقوله وخاتم النبيين الا ترى ان الحسن والحسين قد عاشا
الى ان نيف احدهما على الاربعين والآخر على الخمسين قرئ ولكن رسول الله
بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد
على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه اي لم يعش له
ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل
اي كلاهما

الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين فان قلت كيف كان آخر
الانبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان قلت معنى كونه آخر الانبياء انه لا ينبأ
احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد مصليا
الى قبلته كانه بعض امته اذكروا الله اثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس
والتحميد والتهليل والتكبير وما هو اهله واكثروا ذلك بكرة واصيلا
اي في كافة الاوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروى
في قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله و
الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وعن مجاهد هذه كلمات يقولهن الطاهر و
الجنب والغفلان اعني اذكروا الله وسبحوه موجهان الى البكرة والاصيل
كقولهم صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختصه من
بين انواعه اختصاص جبرئيل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر
الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال وتبرئته
من القبائح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة
من ادناس المعاصي والطهر من ارجاس المآثم على سائر اوصافه من كثرة
الصلوة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم
والاشتهار بالفضائل ويجوز ان يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات
والاقبال على العبادات فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر
ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلوة في جميع اوقاتها لفضل
الصلوة على غيرها او صلاة الفجر والعشائين لان اداءها اشق ومراعاتها
اشد لما كان من شان المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف
على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمراة في حنوها
على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله
عليك اي ترحم عليك وترأف فان قلت قوله هو الذي يصلي عليكم ان فسرته
بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله وملائكته وما معنى صلاتهم قلت هي
قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كانهم فاعلون الرحمة

والدعاء له. ونظيره قولك: حياك الله، أي أحياك وأبقاك. وحييتك أي
دعوت لك بأن يحييك الله، لأنك لاتكالك على إجابة دعوتك كأنك
تبقيه على الحقيقة. وكذلك عمرك الله وعمرتك، وسقاك وسقيتك. وعليه
قوله تعالى: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه، أي ادعوا
بأن يصلي عليه. والمعنى: هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم إلى الخير
ويأمركم بإكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة، ليخرجكم من ظلمات المعصية
إلى نور الطاعة. وكان بالمؤمنين رحيما دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة.
ويروى أنه لما نزل قوله: إن الله وملائكته يصلون على النبي، قال أبو بكر:
ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه، فأنزلت. تحيتهم
من إضافة المصدر إلى المفعول، أي يحيون يوم لقائه بسلام. فيجوز أن يعظمهم
الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم، وأن يكون مثلا كاللقاء
على ما فسرنا. وقيل: هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم
بالجنة. وقيل: سلام الملائكة عند الخروج من القبور. وقيل: عند دخول
الجنة، كما قال: والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم. والأجر الكريم: الجنة.
شاهدا على من بعثت إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم، أي مقبولا قولك عند
الله لهم وعليهم، كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم. فإن قلت: وكيف كان شاهدا
وقت الإرسال، وإنما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة أو عند أدائها؟ قلت:
هو حال مقدرة، كمسألة الكتاب: مررت برجل معه صقر صائدا به غدا،
أي مقدرا به الصيد غدا. فإن قلت: قد فهم من قوله: إنا أرسلناك داعيا أنه
مأذون له في الدعاء، فما فائدة قوله: بإذنه؟ قلت: لم يرد به حقيقة الإذن،
وإنما جعل الإذن مستعارا للتسهيل والتيسير، لأن الدخول في حق المالك متعذر،
فإذا صودف الإذن تسهل وتيسر، فلما كان الإذن تسهيلا لما تعذر من ذلك
وضع موضعه، وذلك أن دعاء أهل الشرك والجاهلية إلى التوحيد والشرائع
أمر في غاية الصعوبة والتعذر، فقيل: بإذنه، للإيذان بأن الأمر صعب لا يتأتى
ولا يستطاع إلا إذا سهله الله ويسره. ومنه قولهم في الشحيح: إنه غير مأذون

له في الإنفاق، أي غير مسهل له الإنفاق لكونه شاقا عليه داخلا في حد التعذر.
جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج
المنير ويهتدى به. أو أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج
نور الأبصار. ووصفه بالإنارة لأن من السرج ما لا يضيء إذا قل سليطه ودقت
فتيلته. وفي كلام بعضهم: ثلاثة تضني: رسول بطيء، وسراج لا يضيء، ومائدة ئدة
ينتظر لها من يجيء. وسئل بعضهم عن الموحشين فقال: ظلام ساتر وسراج فاتر.
وقيل: وذا سراج منير. أو وتاليا سراجا منيرا. ويجوز على هذا التفسير أن يعطف
على كاف أرسلناك. الفضل: ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب، وإذا ذكر المتفضل — اى ارسلناك وارسلنا القرآن
به وكبره فما ظنك بالثواب. ويجوز أن يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا
فضول وفواضل. وأن يريد أن لهم فضلا كبيرا على سائر الأمم، وذلك الفضل
من جهة الله، وأنه آتاهم ما فضلوا به. ولا تطع الكافرين معناه الدوام والثبات
على ما كان عليه. أو التهييج. أذاهم يحتمل إضافته إلى الفاعل والمفعول، يعني:
ودع أن تؤذيهم بضرر أو قتل، وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم.
أو ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر. وعن ابن عباس:
هي منسوخة بآية السيف. وتوكل على الله فإنه يكفيكهم، وكفى به مفوضا
إليه. ولقائل أن يقول: وصفه الله بخمسة أوصاف، وقابل كلا منها بخطاب
مناسب له؛ قابل الشاهد بقوله: وبشر المؤمنين، لأنه يكون شاهدا
على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم، وهو الفضل الكبير. والمبشر
بالإعراض عن الكافرين والمنافقين، لأنه إذا أعرض عنهم أقبل جميع إقباله
على المؤمنين، وهو مناسب للبشارة. والنذير بدع أذاهم، لأنه إذا ترك أذاهم
في الحاضر والأذى لا بد له من عقاب عاجل أو آجل كانوا منذرين به
في المستقبل. والداعي إلى الله بتيسيره بقوله: وتوكل على الله، لأن من توكل
على الله يسر عليه كل عسير. والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا، لأن من أناره الله
برهانا على جميع خلقه كان جديرا بأن يكتفى به عن جميع خلقه. النكاح:
الوطء، وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث إنه طريق إليه. ونظيره

تسميتهم الخمر إثما لأنها سبب في اقتراف الإثم ونحوه في علم البيان قول الراجز
أسنمة الآبال في سحابه. سمى الماء بأسنمة الآبال لأنه سبب سمن المال
وارتفاع أسنمته. ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا في معنى العقد لأنه
في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة
والمماسة والقربان والتغشي والإتيان. فإن قلت لم خص المؤمنات والحكم
الذي نطقت به الآية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات. قلت في اختصاصهن
تنبيه على أن أصل أمر المؤمن والأولى به أن يتخير لنطفته وأن لا ينكح
إلا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر و
يستنكف أن يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه. فالتي في سورة
المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين أوتوا
الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الأولى بالمؤمنين من نكاح المؤمنات. فإن قلت
ما فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن. قلت فائدته نفي التوهم عمن عسى
يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين أن
يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها.
فإن قلت إذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس.
قلت نعم عند أبي حنيفة وأصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس.
وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على أن العدة واجبة على النساء
للرجال. تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم
فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه. وقرئ تعتدونها
مخففا أي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه. والمراد بالاعتداء
ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا. فإن قلت ما هذا التمتيع أواجب
أم مندوب إليه. قلت إن كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة
ولا تجب المتعة عند أبي حنيفة إلا لها وحدها دون سائر المطلقات. وإن
كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم
أبو حنيفة وبعض على الوجوب. سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب

أجورهن مهورهن لأن المهر أجر على البضع وإيتاؤها إما إعطاؤها عاجلا
وإما فرضها وتسميتها في العقد. فإن قلت لم قال اللاتي آتيت أجورهن ومما
أفاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات. قلت
قد اختار الله لرسوله الأفضل الأولى واستحبه بالأطيب الأزكى كما اختصه
بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الأثر وذلك أن تسمية المهر
في العقد أولى وأفضل من ترك التسمية وإن وقع العقد جائزا وله
أن يماسها وعليه مهر المثل إن دخل بها والمتعة إن لم يدخل بها وسوق
المهر إليها عاجلا أفضل من أن يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف
وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية إذا كانت سبية مالكها
وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب أحل وأطيب مما
يشترى من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي
الطيبة ما سبي من أهل الحرب وأما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي
خبثة ويدل عليه قوله مما أفاء الله عليك لأن فيء الله لا يطلق إلا على
الطيب دون الخبيث كما أن رزق الله يجب إطلاقه على الحلال دون الحرام
وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله من قرائبه غير المحارم أفضل من غير
المهاجرات معه. وعن أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله فاعتذرت
إليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه كنت من
الطلقاء. وأحللنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا
من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك ولذلك نكرها. واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن
عباس لم يكن عند رسول الله أحد منهن بالهبة. وقيل الموهوبات أربع ميمونة
بنت الحارث. وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية. وأم شريك
بنت جابر. وخولة بنت حكيم. وقرئ إن وهبت على الشرط. وقرأ الحسن
أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام. ويجوز أن يكون مصدرا محذوفا معه
الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت
هبتها نفسها. وقرأ ابن مسعود بغير إن. فإن قلت ما معنى الشرط الثاني مع الأول

قلت هو تقييد له شرط في الإحلال هبتها نفسها وفي الهبة إرادة استنكاح
رسول الله كأنه قال أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن
تستنكحها لأن إرادته هي قبول الهبة وما به تتم فإن قلت لم عدل عن
الخطاب إلى الغيبة في قوله نفسها للنبي إن أراد النبي ثم رجع إلى الخطاب
قلت للإيذان بأنه مما خص به وأوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على أن
الاختصاص تكرمة له لأجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه
الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه ٥ وقد استشهد
به أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله وأمته
سواء في الأحكام إلا فيما خصه الدليل ٥ وقال الشافعي لا يصح وقد خص رسول الله
بمعنى الهبة ولفظها جميعا لأن اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في
اللفظ يحتاج إلى دليل ٥ وقال أبو الحسن الكرخي إن عقد النكاح بلفظ الإجارة
جائز لقوله اللاتي آتيت أجورهن ٥ وقال أبو بكر الرازي لا يصح لأن الإجارة
عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان خالصة مصدر مؤكد
كوعد الله وصبغة الله أي خلص لك إحلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا
والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيز كالخارج والقاعد والعافية و
الكاذبة ٥ والدليل على أنها وردت في أثر الإحلالات الأربع مخصوصة
برسول الله على سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم
وما ملكت أيمانهم بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية
لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه
الجملة الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في
الأزواج والإماء وعلى أي حد وصفة يجب أن يفرض عليهم ففرضه
وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا
يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك با
لتنزيه واختيار ما هو أولى وأفضل وفي دنياك حيث أحللنا لك أجناس
المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع أي ذاك

خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ٥ ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه
هذه المرأة خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا للواقع في الحرج إذا تاب رحيما
بالتوسعة على عباده ٥ روي أن أمهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة
وغظن رسول الله هجرهن شهرا ونزل التخيير فأشفقن أن يطلقهن فقلن
يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت ٥ وروي أن عائشة قالت أرى
ربك يسارع في هواك ٥ ترجي بهمز وبغير همز تؤخر ٥ وتؤوي تضم يعني تترك
مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء ٥ أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء ٥ أو لا
تقسم لأيتهن شئت وتقسم لمن شئت ٥ أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك
وتتزوج من شئت ٥ وعن الحسن كان النبي إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن
يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لأنه إما أن يطلق وإما
أن يمسك فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق وعزل فإما
أن يخلي المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها ٥ وروي أنه أرجى منهن سودة و
جويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء
وكانت ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى خمسا
وآوى أربعا ٥ وروي أنه كان يسوي مع ما أطلق له وخير فيه إلا سودة
فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك
٥ ذلك التفويض إلى مشيئتك أدنى إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن
جميعا لأنه إذا سوى بينهن في الإيواء والإرجاء والعزل والابتغاء وارتفع
التفاضل ولم يكن لإحداهن مما تريد ومما لا تريد إلا مثل ما للأخرى وعلمن
أن هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس
والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب والله يعلم ما في
قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض إلى مشيئة
رسوله وبعث على تواطؤ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على
طلب رضا رسول الله وما فيه طيب نفسه ٥ وقرئ تقر أعينهن
بضم التاء ونصب الأعين وتقر أعينهن على البناء للمفعول وكان الله عليما

بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق ان يتقى ويحذر كلهن
تاكيد لنون يرضين وقرئ ابن مسعود ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم
وقرئ كلهن تاكيدا لهن في آتيتهن لا يحل وقرئ بالتذكير لان تانيث الجمع
غير حقيقي واذا جاز بغير فصل فمع الفصل اجوز من بعد من بعد
التسع لان التسع نصاب رسول الله من الازواج كما ان الاربع نصاب امته منهن
فلا يحل له ان يتجاوز النصاب ولا ان يبدل بهن ولا تستبدل بهؤلاء التسع
ازواجا اخر بكلهن او بعضهن اراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن
ورضين فقصر رسول الله عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة بنت
ابي بكر حفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابي سفيان سودة بنت زمعة
ام سلمة بنت ابي امية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحرث
الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحرث المصطلقية
من في من ازواج لتاكيد النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل
معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة
من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح وقيل في تحريم
التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك
وابادلك بامرأتي فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى ان
عيينة بن حصن دخل على النبي صلعم وعنده عائشة من غير استئذان فقال
رسول الله يا عيينة اين الاستئذان قال يا رسول الله ما استاذنت على رجل
قط ممن مضى منذ ادركت ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك فقال عليه السلام
هذه عائشة ام المؤمنين قال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال ان
الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع
وانه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة ما مات رسول الله حتى
احل له النساء تعني ان الاية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما ان يكون
بالسنة واما بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على
ترتيب المصحف ولو اعجبك في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول

الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن
وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب والمراد
انها ممن اعجبه حسنهن واستثنى ممن حرم عليه الا ما ملكت رقيبا حافظا مهيمنا وهو
تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه ان يؤذن لكم في معنى الظرف تقديره
وقت ان يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا
كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهؤلاء
قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه
ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام
غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل
بيوت النبي الا ان يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام فحسب
وعن ابن ابي عبلة انه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه
لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال
غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي وانى الطعام ادراكه
يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى ومنه قوله من حميم آن بالغ اناه
وقيل اناه وقته اي غير ناظرين وقت الطعام وساعة اكله وروي
ان رسول الله صلعم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا ان يدعو
بالناس فترادفوا افواجا ياكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله
دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس
وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله ليخرجوا فانطلق الى
حجرة عائشة فقال السلام عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله
فكيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع
فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله شديد الحياء فتولى فلما راوه
متوليا خرجوا فرجع ونزلت ولا مستانسين لحديث نهوا عن ان يطيلوا
الجلوس يستانس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به او عن ان يستانسوا
حديث اهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف

على ناظرين إناه ○ وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين ○ لا بد في قوله فيستحيي منكم
من تقدير المضاف اي من إخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني أن
إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيا منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الأفعال
قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا
أدب أدّب الله به الثقلاء ○ وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء أن الله
لم يحتملهم وقال فإذا طعمتم فانتشروا ○ وقرئ لا يستحي بياء واحدة
○ الضمير في سألتموهن لنساء النبي صلعم ولم يذكرن لأن الحال ناطقة بذكرهن
متاعا حاجة فسئلوهن فسئلوهن المتاع ○ قيل إن عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب
عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود أن ينزل فيه وكان يقول لو
أطاع فيكن ما رأتكن عين ○ وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو
أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت ○ وروي أنه مر عليهن وهن مع النساء
في المسجد فقال لئن احتجبتن فإن لكن على النساء فضلا كما أن لزوجكن على الرجال
الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في
بيوتنا فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى نزلت ○ وقيل إن رسول الله كان يطعم
ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبي عليه السلام
ذلك فنزلت آية الحجاب ○ وذكر أن بعضهم قال أننهى أن نكلم بنات
عمنا إلا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن فلانة فأعلم الله أن ذلك
محرم ○ وما كان لكم وما صح لكم إيذاء رسول الله ولا نكاح أزواجه من بعده وسمى
نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من إعلام تعظيم الله لرسوله وإيجاب حرمته
حيا وميتا وإعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره
فإن نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس
من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده
وعن بعض الفتيان أنه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا
واستهتارا فنظر إليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه
مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لهذا الغي

عائشة

يتفوق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره ○ وعن بعض الفقهاء أن الزوج
الثاني في هدم الثلاث يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله عما يلاحظ ذلك
إن تبدوا شيئا من نكاحهن على ألسنتكم أو تخفوه في صدوركم فإن الله يعلم ذلك
فيعاقبكم به وإنما جاء به على أثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن
وغيره ولأنه على هذه الطريقة أهول وأجزل ○ روي أنه لما نزلت آية الحجاب
قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أو نحن أيضا نكلمهن من وراء
حجاب فنزلت لا جناح عليهن أي لا إثم عليهن أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم
والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم أبا قال الله وإله آبائك
إبراهيم وإسمعيل وإسحق وإسمعيل عم يعقوب ○ وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما
لأنهما يصفانها لأبنائهما وأبناؤهما غير محارم ○ ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب
وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشدد فقيل واتقين الله فيما أمرتن به من
الاحتجاب وأنزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثني منه
ما قدرتن واحفظن حدودهما واسلكن طريقة التقوى في حفظهما وليكن
عملكن في الحجب أحسن مما كان وأنتن غير محتجبات ليفضل سركن علنكن
إن الله كان على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه
شهيدا لا تتفاوت في علمه الأحوال ○ قرئ وملائكته بالرفع عطفا على
محل إن واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين
أن يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه ○ صلوا عليه وسلموا أي قولوا الصلاة على الرسول
والسلام ومعناه الدعاء بأن يترحم عليه الله ويسلم ○ فإن قلت الصلاة على
رسول الله واجبة أو مندوب إليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا في حال
وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده
فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله ○ ويروى أنه قيل يا رسول الله
أرأيت قول الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي فقال عليه السلام
هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم إن الله
وكل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلي علي إلا قال ذانك الملكان غفر

وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا يذكر عند عبد
مسلم فلا يصلي عليه الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته
لذينك الملكين آمين ۝ ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره
كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره
ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه ۝
الاحتياط الصلوة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار فان قلت فالصلوة عليه
في الصلوة اهي شرط في جوازها ام لا قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرونها
شرطا ۝ وعن ابراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد و
هو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي فقد جعلها شرطا فان قلت فما تقول
في الصلوة على غيره قلت القياس جواز الصلوة على كل مؤمن لقوله هو الذي
يصلي عليكم وقوله وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وقوله عليه السلام اللهم صل على آل ابي
اوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو انها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى
الله على النبي وآله فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلاة كما يفرد
هو فمكروه لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله ولانه يؤدي الى الاتهام
بالرفض ۝ وقال رسول الله من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن
مواقف التهم يؤذون الله ورسوله فيه وجهان احدهما ان يعبر بايذائهما
عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة
ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله من انواع المكروه
على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة الايذاء صحيحة
في رسول الله لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة
والثاني ان يراد يؤذون رسول الله وقيل في اذى الله هو قول اليهود
والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح
ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين
يلحدون في اسمائه وصفاته ۝ وعن رسول الله فيما حكى عن ربه شتمني ابن
آدم ولم ينبغ له ان يشتمني وآذاني ولم ينبغ له ان يؤذيني فاما شتمه

إياي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد
ان بداني ۝ وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق
مثل خلق الله ۝ وقيل في اذى رسول الله قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون ۝ وقيل
كسر رباعيته وشج وجهه يوم احد ۝ وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي
۝ واطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان اذى الله
ورسوله لا يكون الا غير حق ابدا واما اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه
۝ ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للاذى ۝ وقيل نزلت في
ناس من المنافقين الذين يؤذون عليا رض ويسمعونه ۝ وقيل في الذين افكوا
على عائشة ۝ وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات ۝ وعن
الفضيل لا يحل لك ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف ۝ وكان ابن عون
لا يكري الحوانيت الا من اهل الذمة لما فيه من الروعة عند كر الحول ۝
الجلباب ثوب واسع اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة
على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها ۝ وعن ابن عباس الرداء
الذي يستر من فوق الى اسفل ۝ وقيل الملحفة وكل ما يتستر به
من كساء او غيره قال ابو زبيد مجلبب من سواد الليل جلبابا
ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن
يقال اذا زل الثوب عن وجه المرأة ادني ثوبك على وجهك وذلك ان النساء
كن في اول الاسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة
في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان واهل الشطارة
يتعرضون اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان
للاماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها امة
فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس الاردية والملاحف
وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله
ذلك ادنى ان يعرفن اي اولى واجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما
يكرهن فان قلت ما معنى من في من جلابيبهن قلت هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض

يحتمل وجهين أحدهما أن يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد أن لا تكون الحرة متبذلة في درع وخمار كالأمة والماهنة ولها جلبابان فصاعداً في بيتها والثاني أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال أن تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها وعن السدي أن تغطي إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر إلا العين وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الإدناء وكان الله غفوراً لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لأن هذا مما يمكن معرفته بالعقل الذين في قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة وأهل الفجور من قوله فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبراً متزلزلاً غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسوؤهم وتنوؤهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى أن لا يساكنوك فيها إلا زماناً قليلاً ريثما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ملعونين نصب على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك إلا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معاً كما مر في قوله إلا أن يؤذن لكم غير ناظرين ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلاً هو منصوب على الحال أيضاً ومعناه لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين فإن قلت ما موقع لا يجاورونك قلت لا يجاورونك عطف على لنغرينك لأنه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى إلى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك فإن قلت أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء وأن يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك قلت لو جعل الثاني مسبباً عن الأول لكان الأمر كما قلت

ساءه وناءه للإتباع

ولكنه جعل جواباً آخر للقسم معطوفاً على الأول وإنما عطف بثم لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه سنة الله في موضع مصدر مؤكد أي سن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل أهل بدر وأسروا كان المشركون يسألون رسول الله عن وقت قيام الساعة استعجالاً على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحاناً لأن الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فأمر رسول الله أن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكاً ولا نبياً ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديداً للمستعجلين وإسكاتاً للممتحنين قريباً شيئاً قريباً أو لأن الساعة في معنى اليوم أو في زمان قريب السعير النار المسعورة الشديدة الإيقاد وقرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب أي نقلب نحن وتقلب على أن الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان من جهة إلى جهة أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون أو محذوف وهو اذكر وإذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالاً وقرئ ساداتنا وسادتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف وقرئ كثيراً تكثيراً لأعداد اللعائن وكبيراً ليدل على أشد اللعن وأعظمه ضعفين ضعفاً لضلاله وضعفاً لإضلاله يعني يستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في أذى موسى عليه هو حديث المومسة

التي اراد ما قارون عاقه فيه بنفسها. وقيل اتهامهم اياه بقتل هارون
وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم
ميتا فابصروه حتى عرفوا انه غير مقتول. وقيل احياه الله فاخبرهم
ببراءة موسى. وقيل قذفوه بعيب في جسده من برص او ادرة فاطلعهم
الله على انه بريء منه وجيها ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه
التهم ويدفع الاذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل
الملك بمن له عنده قربة ووجاهة. وقرا ابن مسعود والاعمش
وابو حيوة وكان عبد الله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن
شنبوذ في شهر رمضان فسمعته يقرؤها. وقراءة العامة اوجه
لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عند ذي العرش مكين
وهذه ليست كذلك فان قلت قوله مما قالوا معناه من قولهم او من مقولهم
لان ما اما مصدرية او موصولة وايهما كان فكيف تصح البراءة منه
قلت المراد بالقول او المقول مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب
الا ترى انهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول قولا سديدا
قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم
نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد. والمراد نهيهم عما
خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسددوا
قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول راس الخير كله
والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك
اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة
سيئاتكم وتكفيرها. وقيل اصلاح الاعمال التوفيق في المجيء بها صالحة
مرضية. وهذه الاية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي
رسول الله وهذه على الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم
النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الامر
الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه

والعرب تقول لها شادة وللشدائد الكوارث

لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز العظيم اتبعه قوله انا عرضنا
الامانة وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها وفيه وجهان احدهما
ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز
وجل انقياد مثلها وهو ما يتاتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التي تصح منها
وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئات
مختلفة واشكال متنوعة كما قال قالتا اتينا طائعين واما الانسان فلم تكن حاله
فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان
عاقل صالح للتكليف مثل حال الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم
الامتناع. والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما ان الامانة
لازمة الاداء وعرضها على الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز واما حمل الامانة
فمن قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها تريد انه لا يؤديها الى صاحبها
حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة كانها راكبة
للمؤتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق
فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى
لمولى نصرا يريدون انه يبذل له النصرة ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل
ومنه قول القائل اخوك الذي لا تملك الحس نفسه وترفض عند المحفظات الكتائف
اي لا يمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك
ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه الى
اخيه ولم يؤده واذا ابغضه اخرجه واداه فمعنى فابين ان يحملنها
وحملها الانسان فابين الا ان يؤدينها وابى الانسان الا ان يكون
محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة
وبالجهل لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو اداؤها والثاني ان
ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله
من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله والاستقلال
به واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان ظلوما جهولا

احفظه اذا اغضبه والحفيظة الغضب والكتيفة الحقد

حاسب الجيفة اذا فسد

حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من
الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم
من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوي العوج وكم وكم لهم من أمثال
على ألسنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض أن السمن
في الحيوان مما يحسن قبيحه كما أن العجف مما يقبح حسنه فصور أثر السمن
فيه تصويرا هو أوقع في نفس السامع وهي به آنس وله أقبل وعلى حقيقته أوقف
وكذلك تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها فإن قلت
قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد أراك تقدم رجلا
وتؤخر أخرى لأنه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرأيين و
تركه المضي على أحدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه
للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل
تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في هذه الآية فإن عرض الأمانة على الجماد وإباءه و
إشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما
مثال هذا إلا أن تشبه شيئا والمشبه به غير معقول قلت الممثل
به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم أين تذهب وفي نظائره مفروض
والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف
في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والأرض والجبال
لأبين أن يحملنها وأشفقن منها ٥ واللام في ليعذب لام التعليل على طريق
المجاز لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة كما أن التأديب في
ضربته للتأديب نتيجة الضرب ٥ وقرأ الأعمش ويتوب
ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى
قراءة العامة ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب
على غيره ممن لم يحملها لأنه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب
الغادر والله أعلم قال رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة
الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ما في السموات وما في الأرض كله نعمة
من الله وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله ولما قال الحمد لله ثم وصف
ذاته بالإنعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه أنه المحمود على نعم الدنيا
كما تقول أحمد أخاك الذي كساك وحملك تريد أحمده على كسوته وحملانه
ولما قال وله الحمد في الآخرة علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهي الثواب
فإن قلت ما الفرق بين الحمدين قلت أما الحمد في الدنيا فواجب
لأنه على نعمة متفضل بها وهو الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب
وأما الحمد في الآخرة فليس بواجب لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها
إنما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما
يلتذ من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي أحكم أمور الدارين
ودبرها بحكمته الخبير بكل كائن يكون ٥ ثم ذكر مما يحيط به علما
ما يلج في الأرض من الغيث ٥ كقوله فسلكه ينابيع في الأرض ومن الكنوز
والدفائن والأموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر
والنبات وماء العيون والفلز والدواب وغير ذلك وما ينزل
من السماء من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق و
الملائكة وأنواع البركات والمقادير كما قال وفي السماء رزقكم
وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة وأعمال العباد وهو مع
كثرة نعمته وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين في أداء مواجب
شكرها ٥ وقرأ علي بن أبي طالب ننزل بالنون والتشديد ٥ وقولهم
لا تأتينا الساعة نفي للبعث وإنكار لمجيء الساعة ٥ أو استبطاء لما
وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقوله متى هذا الوعد
٥ أوجب ما بعد النفي ببلى على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها ثم أعيد
إيجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد
باليمين بالله عز وجل ٥ ثم أمد التوكيد القسمي إمدادا بما أتبع المقسم به

من الوصف بما وصف به الى قوله ليجزي لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به اعلى كعبا وابين فضلا وارفع منزلة كانت الشهادة اقوى وآكد والمستشهد عليه اثبت وارسخ فان قلت هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى قلت نعم وذلك ان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في الخفية واولها مسارعة الى القلب اذا قيل عالم الغيب فحين اقسم باسمه على اثبات قيام الساعة وانه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وانه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته احاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا فان قلت الناس قد انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب انه حلف لهم باغلظ الايمان واقسم عليه جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما انكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله ليجزي متصل بقوله لتأتينكم تعليلا له ۝ وقرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء ان يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم او يسند الى عالم الغيب اي ليأتينكم امره ۝ كما قال هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك ۝ وقال او يأتي امر ربك ۝ وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي ۝ وعالم الغيب ۝ وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار اصغر نملة ذلك اشارة الى مثقال ذرة ۝ وقرئ ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالرفع على اصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله ۝

نظيره ايه الخبر وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بان يأتيكم بآية فاذا اتى بها تبين انه نذير مبين فان قلت ما بصاحبكم بم يتعلق قلت يجوز ان يكون كلاما مستأنفا تنبيها من الله تعالى على طريقة النظر في امر رسول الله ۝ ويجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم ان تكون ما استفهامية بين يدي عذاب شديد كقوله عليه السلام بعثت في نسم الساعة فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله ما سألتكم من اجر تقديره اي شيء سألتكم من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة ۝ وفيه معنيان احدهما نفي مسألة الاجر راسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ولكنه يريد البت لتعليقه الاخذ بما لم يكن والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لان القرابة قد انتظمته واياهم على كل شيء شهيد حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا اطمع منكم في شيء ۝ القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب رفع محمول على محل ان واسمها ۝ او على المستكن في يقذف ۝ او هو خبر مبتدأ محذوف ۝ وقرئ بالنصب صفة لربي ۝ او على المدح ۝ وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الامر الذي غاب وخفي جدا ۝ الحي اما ان يبدئ فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد

اقفر من اهله عبيد ۝ فاليوم لا يبدي ولا يعيد

والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله وجاء الحق وزهق الباطل ۝ وعن ابن مسعود دخل النبي صلعم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها

يعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وقيل الإسلام وقيل السيف وقيل الباطل إبليس أي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله وعن الحسن لا يبدئ لأهله خيرا ولا يعيده أي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج أي شيء ينشئ إبليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لأنه صاحب الباطل أو لأنه هالك كما قيل له الشيطان من شاط إذا هلك قرئ ضللت أضل بفتح العين مع كسرها وضللت أضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت أظل وظللت أظل وقرئ إضل بكسر الهمزة مع فتح العين فإن قلت أين التقابل من قوله فإنما أضل على نفسي وقوله فبما يوحي إلي ربي وإنما كان يستقيم لو قيل فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فإنما أهتدي لها كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها أو يقال فإنما أضل بنفسي قلت هما متقابلان من جهة المعنى لأن النفس كل ما عليها فهو بها أعني أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لأنها الأمارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسوله أن يسنده إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به إنه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء ولو ترى جوابه محذوف يعني لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة ولو وإذ والأفعال التي هي فزعوا وأخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لأن ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس نزلت في خسف البيداء وذلك أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت والأخذ من مكان قريب من الموقف إلى النار إذا بعثوا أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا أو من صحراء بدر إلى القليب أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم فإن قلت علام عطف وأخذوا قلت فيه وجهان العطف على فزعوا

قوله والأخذ سواء أخذ من الموقف فكأنه قال والأخذ من مكان قريب سواء الأخذ من الموقف منتهيا الى النار ونحو بين المصنف في الاول القرب بقوله الى النار فان الموقف قريب من نار جهنم وكذا الثاني فان ظهر الارض قريب من بطنها وصحراء بدر قريب من القليب ولم يذكر مثل ذلك في قوله من تحت اقدامهم لظهور ذلك وسواء ظهر ذلك الموضع

أي فزعوا وأخذوا

٢٥

أي فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم أو على لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا وقرئ وأخذ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك أخذ آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة والتناول والتناوش أخوان إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت في أجوه وأدؤر وعن أبي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت إذا أبطأت وتأخرت ومنه البيت تمنى نئيشا أن يكون أطاعني أي أخيرا ويقذفون معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والأمر الخفي لأنهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لأن أبعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول أي يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم إياه وإن شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على أنه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الإيمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشيء الغائب ويجوز أن يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب نحن أكرم على الله من أن يعذبنا قايسين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قذفا منهم بالغيب وهو غيب مقذوف به من جهة بعيدة لأن دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف ما يشتهون من نفع الإيمان

يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا
نعمل صالحا باشياعهم باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم
مريب ايماء من اتاه الوقعة فى الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا
ريبة ودخل فيها وكلاهما مجازان الا ان بينهما فرقا وهو ان المريب من الاول
منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثانى منقول
من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة سبا لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

سورة الملئكة مكية خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم فاطر السموات
مبتدئها ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادرى ما فاطر السموات
والارض حتى اختصم الى اعرابيان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها
وقرئ الذى فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة
بالرفع على المدح رسلا بضم السين وسكونها اولى اجنحة اصحاب اجنحة واولوا اسم
جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما فى المتمكنة المخاض والخلفة
مثنى وثلث ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل
فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر
عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية
فلا تفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا ترى انك تقول مررت بنسوة
اربع وبرجال ثلثة فلا يعرج عليها والمعنى ان الملائكة خلقا اجنحتهم
اثنان اثنان اى لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة
يزيد فى الخلق ما يشاء اى يزيد فى خلق الاجنحة وفى غيره ما تقتضيه مشيئته
وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة
على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان قلت قياس الشفع من الاجنحة
ان يكون فى كل شق نصفه فما صورة الثلثة قلت لعل الثالث يكون فى وسط
الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران فقد مر بى فى بعض الكتب

ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان
يطيرون بهما فى الامر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله
وعن رسول الله صلعم انه راى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروى انه سال
جبريل صلوات الله عليه ان يترآى له فى صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال انى احب
ان تفعل فخرج رسول الله فى ليلة مقمرة فاتاه جبريل فى صورته فغشى على رسول الله
ثم افاق وجبريل عليه مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال
سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رايت اسرافيل
له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله
وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير
وروى عن رسول الله صلعم فى قوله يزيد فى الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن
والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة الملاحة فى العينين والاية مطلقة
تتناول كل زيادة فى الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام فى الاعضاء وقوة
فى البطش وحصافة فى العقل وجزالة فى الراى وجراءة فى القلب وسماحة فى النفس
وذلاقة فى اللسان ولباقة فى التكلم وحسن تأت فى مزاولة الامور وما
اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف ه استعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى
الى قوله فلا مرسل له مكان لا فاتح له يعنى اى شئ يطلق الله من رحمة اى من نعمة
رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه التى لا يحاط بعددها
وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية رحمة كانت سماوية
او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واى شئ يمسك الله فلا احد يقدر
على اطلاقه فان قلت لم انث الضمير اولا ثم ذكره وهو راجع فى الحالين الى الاسم المتضمن
معنى الشرط قلت هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما
فانث على معنى الرحمة وذكر على ان لفظ المرجوع اليه لا تانيث فيه ولان الاول
فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثانى فترك على الاصل
التذكير وقرئ فلا مرسل لها فان قلت لابد للثانى من تفسير فما تفسيره قلت
يحتمل ان يكون تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالة الاول عليه وان يكون مطلق

وكل ما يرسله من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون الثاني للدلالة على ان رحمته
سبقت غضبه فان قلت فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس قلت
ان اراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي اراده ابن عباس رضي الله عنه ان قاله فمقبول
وان اراد انه ان شاء ان يتوب العاصي تاب وان لم يشا لم يتب فمردود لان الله تعالى
يشاء التوبة ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاءها من بعده من بعد امساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله
فباي حديث بعد الله اي من بعد هدايته وبعد اياته وهو العزيز الغالب القادر على
الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه
ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من
الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها
ومنه قول الرجل لمن انعم عليه اذكر ايادي عندك يريد حفظها وشكرها
والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن
عباس يريد يا اهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث اسكنكم حرمه ومنعكم
من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية وقرئ
غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء فان قلت
ما محل يرزقكم قلت يحتمل ان يكون له محل اذا اوقعته صفة لخالق وان لا يكون له
محل اذا رفعت محل من خالق باضمار يرزقكم واوقعت يرزقكم تفسيرا له او جعلته
كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله فان قلت هل فيه دليل على ان الخالق لا
يطلق على غير الله تعالى قلت نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث
من الاوجه الثلاثة واما على الوجهين الاخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد
فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه
بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل
لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى
لان قولك هل من خالق اخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل من
خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات
فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك نعى به على قريش

بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقناه واحييناه معدولا
بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه والكاف في كذلك في محل الرفع
اي مثل احياء الموات نشور الاموات وروي قيل لرسول الله صلعم كيف يحيي الله الموتى
وما اية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا
قالوا نعم فقال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك ايته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق
بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه اجساد الخلق كان الكافرون
يتعززون بالاصنام كما قال تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا والذين
امنوا بالسنتهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال
الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة
فان العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله ولاوليائه وقال ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة جميعا
موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشيء لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه
ونظيره قولك من اراد النصيحة فهي عند الابرار تريد فليطلبها عندهم الا
انك اقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعا ان العزة كلها
مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الاخرة ثم عرف ان ما تطلب به العزة
هو الايمان والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
والكلم الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس يعني ان هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد
الى السماء فتكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال تعالى ان كتاب الابرار لفي
عليين الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها
واصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من
موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر
من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قران ودعاء واستغفار وغير ذلك
وعن النبي صلعم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن
عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعملا
الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية
الا باصابة السنة

وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر ⊙ وقرئ اليه يُصعَد الكلمُ الطيبُ على البناء للمفعول ⊙ واليه يُصعِد الكلمَ الطيبَ على تسمية الفاعل من اصعد والمُصعِد هو الرجل اى يُصعِد الى الله عز وجل الكلم الطيب ⊙ واليه يصعد الكلام الطيب ⊙ وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم او الله عز وعلا فان قلت مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فيم نصب السيئات قلت هذه صفة للمصدر او لما فى حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اصله والذين يمكرون المكرات السيئات ⊙ او اصناف المكر السيئات عنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا فى دار الندوة وتداوروا الرأى فى احدى ثلث مكرات يمكرونها برسول الله صلعم اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ومكر اولئك هو يبور يعنى ومكر اولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلث هو خاصة يبور اى يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم فى قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ⊙ وقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ازواجا اصنافا او ذكرانا واناثا كقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا ⊙ وعن قتادة زوج بعضكم بعضا بعلمه فى موضع الحال اى الا معلومة له فان قلت ما معنى قوله وما يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر من احد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه فان قلت الانسان اما معمر اى طويل العمر او منقوص العمر اى قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة فى تأويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر فى عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه ثوائى وفيه تأويل آخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا فى كتاب

وله كما فى حكمه ما اضيف الى المصدر

او كرهته

وصورته ان يكتب فى اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعين فقد نقص من عمره الذى هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلعم فى قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الاعمار ⊙ وعن كعب انه قال حين طعن عمر رضه لو ان عمر دعا الله لاخر فى اجله فقيل لكعب أليس قد قال الله اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله وما يعمر من معمر وقد استفاض على الالسنة اطال الله بقاءك وفسح فى مدتك وما اشبهه ⊙ وعن سعيد بن جبير يكتب فى الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب فى اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتى على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة ⊙ الكتاب اللوح عن ابن عباس ⊙ ويجوز ان يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان ⊙ وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال تعالى على سبيل الاستطراد فى صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ومن كل اى ومن كل واحد منهما تأكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية وهى اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه فى كل مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذى اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كانها تقشره كما تمخره ⊙ من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر فى الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه ⊙ وحرف لعل مستعار لمعنى ارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذى يكسر العطش ⊙ والسائغ المرئ السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيّغ بوزن سيّد ⊙ وسيْغ بالتخفيف ⊙ وملح على فعل ⊙ والاجاج الذى يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب

في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو
في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم
قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء
وان منها لما يهبط من خشية الله ذلكم مبتدأ والله ربكم له الملك اخبار
مترادفة او الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران
قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ويجوز في حكم الاعراب ايقاع
اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعنى يأباه
والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها ان تدعوا
الاوثان لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل
لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤن
منها وقيل ما نفعوكم يكفرون بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم
اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالا
مر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذي
يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم
به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرئ تدعون بالتاء
والياء فان قلت لم عرف الفقراء قلت قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة
افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين
اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير
اضعف كان افقر وقد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف في قوله وخلق
الانسان ضعيفا وقال الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم
بعض الفقراء فان قلت قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد قلت
لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا
كان الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم واستحق
عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه
الجواد المنعم عليهم ان يحمدوه الحميد على الالسنة من منهم بعزيز

ممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم باياته ومعاصيهم
كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده
لا يشرك به شيئا الوزر والوقر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة
صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي
اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي
والجار بالجار فان قلت هلا قيل ولا تزر نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة قلت
لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها
لا وزر غيرها فان قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم قلت تلك الاية في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال اضلال الناس
مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى
كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء فان قلت ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر
وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه
شيء قلت الاول في الدلالة على عدل الله في حكمه وانه لا يؤاخذ نفسا
بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا
قد اثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب
ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد او اخ فان قلت
الام اسند كان في ولو كان ذا قربى قلت الى المدعو المفهوم من قوله
وان تدع مثقلة فان قلت فلم ترك ذكر المدعو قلت ليعم ويشمل
كل مدعو فان قلت كيف استقام اضمار العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى
للمثقلة قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل فان قلت ما تقول فيمن قرأ
ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة قلت نظم الكلام
احسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة ان دعت احدا
الى حملها لا يحمل منه شيء وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح
ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه

وزر اذا اذنب
ووزر اذا ...
وزر ...

والقيامة على ان ها هنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما اوردته بالغيب
حال من الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم غائبين عن عذابه او يخشون
عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله
من اصحابه كانت عادتهم المستمرة ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلوة وتركوها
منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك
وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم ومن تزكى
ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فانما يزكى
وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى
الله المصير وعد للمتزكين بالثواب فان قلت كيف اتصل قوله انما تنذر
بما قبله قلت لما غضب عليهم في قوله ان يشأ يذهبكم اتبعه الانذار
بيوم القيامة وذكر اهوالها ثم قال انما تنذر كان رسول الله اسمعهم
ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر او اخبره الله بعلمه فيهم لا الاعمى والبصير
مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما او للصنم والله عز وعلا
والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان
اليه من الثواب والعقاب ولا الاحياء ولا الاموات مثل للذين دخلوا في الاسلام
والذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر والحرور السموم الا ان السموم
تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل فان قلت لا المقرونة
بواو العطف ما هي قلت اذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتاكيد معنى النفي
فان قلت هل من فرق بين هذه الواوات قلت بعضها ضمت شفعا الى شفع و
بعضها وترا الى وتر ان الله يسمع من يشاء يعني انه قد علم من يدخل في الاسلام
ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل من علم
انها لا تنفع فيه واما انت فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص وتتهالك
على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد ان يسمع المقبورين
وذلك ما لا سبيل اليه ثم قال ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ
وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين

فلا عليك ان الله يسمع من يشاء انه قادر على ان يهدي المطبوع
على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق واما
انت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى بالحق حال من
احد الضميرين يعني محقا او محقين او صفة للمصدر اي ارسالا مصحوبا بالحق
او صلة لبشيرا ونذيرا على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق
والامة الجماعة الكثيرة قال الله وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل
كل عصر امة وفي حدود المتكلمين الامة هم المصدقون بالرسول دون المبعوث
اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ها هنا اهل العصر فان قلت كم من
امة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام لم يخل فيها نذير قلت اذا كانت
آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس وحين اندرست
آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله فان قلت كيف اكتفى بذكر النذير
عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما قلت لما كانت النذارة مشفوعة
بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الآية
على ذكرهما بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر
وبالصحف وبالكتاب المنير نحو التوراة والانجيل والزبور لما كانت
هذه الاشياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها
في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة
لرسول الله الوانها اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها
مما لا يحصر او هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها والجدد
الخطط والطرائق قال لبيد او مذهب جدد على الواحه
ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي
جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب معطوف على
بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على
لون واحد غرابيب وعن عكرمة هي الجبال الطوال السود فان قلت
الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود غربيب واسود حلكوك وهو الذي

أبعد في السواد وأغرب فيه، ومنه الغراب. ومن حق التأكيد أن يتبع
المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك. قلت وجهه
أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما أضمر كقول النابغة
والمؤمن العائذات الطير. وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى
الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعا، ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن
الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول إلى قولك
ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها. ومن الناس والدواب
والأنعام مختلف ألوانه يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه. وقرئ ألوانها. وقرأ
الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة، يقال جديدة وجدد وجدائد
كسفينة وسفن وسفائن، وقد فسر بها قول أبي ذؤيب: جون السراة له جدائد أربع
وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر، وضعه موضع الطرائق
والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض. وقرئ والدواب ونظيره
هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضالين لأن كل واحد منهما فر من
التقاء الساكنين فحرك ذاك أولهما وحذف هذا آخرهما. وقوله كذلك أي كاختلاف
الثمرات والجبال. المراد العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده
وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته،
ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا، ومن كان علمه به أقل كان آمن. وفي
الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية. وعن مسروق: كفى بالمرء
علما أن يخشى، وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه. وقال رجل للشعبي أفتني
أيها العالم، فقال: العالم من خشي الله. وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رض
وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه. فإن قلت هل يختلف المعنى إذا قدم
المفعول في هذا الكلام أو أخر؟ قلت لا بد من ذلك، فإنك إذا قدمت اسم الله وأخرت
العلماء كان المعنى إن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم،
وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله ولا يخشون
أحدا إلا الله، وهما معنيان مختلفان. فإن قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله

اى أقسم بالله

قلت لما قال ألم تر بمعنى ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء، وعدد
آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعه وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس
وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء، كأنه
قال إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه.
وعن النبي صلعم: أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به. فإن قلت فما وجه قراءة
من قرأ إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ وهو عمر بن عبد العزيز، وتحكى عن أبي حنيفة
قلت الخشية في هذه القراءة استعارة، والمعنى إنما يجلهم ويعظمهم كما يجل
المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده. إن الله عزيز غفور
تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم وإثابة أهل الطاعة
والعفو عنهم، والمعاقب المثيب حقه أن يخشى. يتلون كتاب الله يداومون
على تلاوته وهي شأنهم وديدنهم. وعن مطرف رحمه الله: هي آية القراء. وعن
الكلبي: يأخذون بما فيه. وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به. وعن السدي هم
أصحاب رسول الله صلعم ورضي عنهم. وعن عطاء هم المؤمنون. يرجون خبر إن
والتجارة طلب الثواب بالطاعة. ليوفيهم متعلق بلن تبور أي تجارة ينتفي
عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده أجورهم وهي ما استحقوه
من الثواب. ويزيدهم من التفضل على المستحق، وإن شئت جعلت يرجون في موضع الحال
على وأنفقوا راجين ليوفيهم أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق
في سبيل الله لهذا الغرض، وخبر إن قوله إنه غفور شكور على معنى غفور لهم شكور
لأعمالهم، والشكر مجاز عن الإثابة. الكتاب القرآن، ومن للتبيين أو الجنس
ومن للتبعيض. مصدقا حال مؤكدة لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق. لما بين يديه
لما تقدمه من الكتب. لخبير بصير يعني أنه خبرك وأبصر أحوالك فرآك
أهلا لأن يوحي إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب.
فإن قلت ما معنى قوله ثم أورثنا الكتاب؟ قلت فيه وجهان: أحدهما إنا أوحينا
إليك القرآن ثم أورثناه من بعدك أي حكمنا بتوريثه، أو قال أورثناه
وهو يريد نورثه لما عليه أخبار الله. الذين اصطفينا من عبادنا وهم أمته

من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة لأن الله
اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس
واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسل الله وبحمل الكتاب الذي هو
أفضل كتب الله ثم قسمهم إلى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجى لأمر الله
ومقتصد وهو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وسابق من السابقين
والوجه الثاني أنه قد تقدم إرسال الرسل في كل أمة رسولاً وأنهم كذبوا رسلهم
وقد جاؤوهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال إن الذين يتلون كتاب
الله فأثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر
الأمم واعترض بقوله والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم أورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا أي من بعد أولئك المذكورين يريد بالمصطفين
من عباده أهل الملة الحنيفية فإن قلت فكيف جعلت جنات عدن بدلاً
من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار إليه بذلك قلت لما كان
السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كأنه هو الثواب فأبدلت
عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت
عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم
لنفسه حذراً وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا
بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور
له فإن شرط ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله أن يتوب عليهم وقوله إما
يعذبهم وإما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقراها
اطلع على حقيقة الأمر ولم يعلل نفسه بالخدع وقرئ سباق ومعنى
بإذن الله بتيسيره وتوفيقه فإن قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق
قلت للإيذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وأن المقتصدين قليل
بالإضافة إليهم والسابقون أقل من القليل وقرئ جنة عدن على الإفراد
كأنها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر
أي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلون فيها على البناء للمفعول ويحلون من

من حليت المرأة فهي حال ولؤلؤاً معطوف على محل من أساور ومن داخلة للتبعيض
أي يحلون بعض أساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض كما سبق المسورون
به غيرهم وقيل إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ ولؤلؤ ولولؤاً بتخفيف الهمزة
الأولى وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين ما أهمهم من خوف سوء العاقبة
كقوله إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم
وعن ابن عباس حزن الأعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك
حزن إبليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد أكثروا
حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه أنه يعم كل حزن من أحزان الدين
والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم
ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم
وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن
وذكر الشكور دليل على أن القوم كثيرو الحسنات المقامة بمعنى
الإقامة يقال أقمت إقامة ومقاماً ومقامة من فضله من عطائه وإفضاله
من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لأن
الثواب بمنزلة الأجر المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ لغوب بالفتح
وهو اسم ما يلغب منه أي لا نتكلف عملاً يلغبنا أو مصدر كالقبول
والولوع أو صفة للمصدر كأنه لغوب لغوب كقولك موت مائت فإن قلت
ما الفرق بين النصب واللغوب قلت النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب
للأمر المزاول له وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب
نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال
والفترة فيموتوا جواب النفي ونصبه بإضمار أن وقرئ فيموتون عطفاً
على يقضى وإدخالاً له في حكم النفي أي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله
ولا يؤذن لهم فيعتذرون كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي وقرئ يجازى
ويجزى كل كفور بالنون يصطرخون يتصايحون يفتعلون من الصراخ
وهو الصياح بجهد وشدة قال كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها

واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته. فإن قلت هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى
به في قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة غير الذي كنا نعمل على أنه
يوهم أنهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه. قلت فائدته زيادة
التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم فزائل لظهور
حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة
كما قال الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقالوا أخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله. أولم نعمركم توبيخ من الله يعني
فنقول لهم. وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الإدغام وهو متناول
لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن التوبيخ في
المتطاول أعظم. وعن النبي صلعم العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون
سنة. وعن مجاهد ما بين العشرين إلى الستين. وقيل ثماني عشرة وسبع
عشرة. والنذير الرسول. وقيل الشيب. وقرئ وجاءتكم النذر. فإن قلت
علام عطف وجاءكم النذير. قلت على معنى أولم نعمركم لأن لفظه لفظ
استخبار ومعناه معنى إخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير. إنه
عليم بذات الصدور كالتعليل لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون
فقد علم كل غيب في العالم. وذات الصدور مضمراتها وهي تأنيث ذو في نحو قول
أبي بكر رضي ذو بطن خارجة جارية. وقوله: لتغني عني ذا إنائك أجمعا
المعنى ما في بطنها من الحبل وما في إنائك من الشراب لأن الحبل والشراب
يصحبان البطن والإناء ألا ترى إلى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات
تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع لمعنى الصحبة. يقال
للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى
أنه جعلكم خلفاءه في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم
على ما فيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة. فمن كفر
منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو
مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ليس بعده خسار

سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بأن له في الأنبياء قبله أسوة
ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب
بما يستحقانه. وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها. فإن قلت ما وجه صحة جزاء الشرط
ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له. قلت معناه وإن يكذبوك
فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس
استغناء بالسبب عن المسبب أعني بالتكذيب عن التأسي. فإن قلت ما معنى التنكير
في رسل. قلت معناه فقد كذبت رسل أي رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذر
وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك وهذا أسلى له وأحث
على المصابرة. وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب فلا تغرنكم فلا تخدعنكم
الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله
ولا يغرنكم بالله الغرور لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فإن الله غفور يغفر كل كبيرة
ويعفو عن كل خطيئة. والغرور الشيطان لأن ذلك ديدنه. وقرئ بالضم وهو
مصدر غره كاللزوم والنهوك أو جمع غار كقاعد وقعود. أخبرنا عز وجل
أن الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم صلعم وكيف انتدب
لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد
منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بأنه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو أعرق
في العداوة منه وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا
في عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم إلا ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم
وجهركم. ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤمه
في دعوة شيعته ومتبعي خطواته هو أن يوردهم مورد الشقوة والهلاك
وأن يكونوا من أصحاب السعير. ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الأطماع
الفارغة والأماني الكاذبة فبنى الأمر كله على الإيمان والعمل وتركهما.
لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه أفمن زين له
سوء عمله فرآه حسنا يعني أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن
لم يزين له فكأن رسول الله قال لا فقال إن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا
تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى تزيين العمل والإضلال واحد

وهو أن يكون العاصي على صفة لا يجديه غلبة المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله
وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق أمره النهي ويعتنق طاعة الهوى
حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت
قول أبي نواس: اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح ... وإذا خذل الله
المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فإن على الرسول أن لا يهتم بأمرهم
ولا يلقي بالا إلى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله تعالى في
خذلانهم وتخليتهم. وذكر الزجاج أن المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت
نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه. أو أفمن
زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء عليه. حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب
كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا. أو هو بيان للمتحسر عليه. ولا يجوز
أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا تتقدم عليه صلته. ويجوز أن يكون حالا كأن كلها
صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير: مشق الهواجر لحمهن مع السرى
حتى ذهبن كلاكلا وصدورا ... يريد رجعن كلاكلا وصدورا أي لم تبق
إلا كلاكلها وصدورها. ومنه قوله: فعلى إثرهم تساقط نفسي حسرات
وذكرهم لي سقام ... وقرئ فلا تذهب نفسك. إن الله عليم بما يصنعون
فيجازيهم بالعقاب على سوء صنيعهم. وقرئ أرسل الريح. فتثير سحابا
على المضارعة دون ما قبله وما بعده لتحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح
السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية
وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم
المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شرا: بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب
كالصحيفة صحصحان ... فأضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران
لأنه قصد أن يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول
كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته
على كل هول وثباته عند كل شدة. وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء

والمقت أشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه مقتي لكونه ممقوتا
في كل قلب. والخطابات للناس وقيل هو خطاب لمن بعث إليهم رسول الله أي جعلكم
أمة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي أن تعتبر به فمن كفر
منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة كما أن ذلك حكم من قبلكم
أروني بدل من أرأيتم لأن معنى أرأيتم أخبروني كأنه قال أخبروني عن هؤلاء
الشركاء وعما استحقوا به الإلهية والشركة أروني أي جزء من أجزاء
الأرض استبدوا بخلقه دون الله. أم لهم شرك مع الله شركة في خلق السموات
أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان
من ذلك الكتاب. أو يكون الضمير في آتيناهم للمشركين كقوله أم أنزلنا عليهم
سلطانا أم آتيناهم كتابا من قبله. بل إن يعد الظالمون بعضهم وهم الرؤساء بعضا
وهم الأتباع إلا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله. وقرئ بينات
أن تزولا كراهة أن تزولا أو لأن تمسكهما يمنعهما من أن تزولا لأن الإمساك منع
إنه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين
بأن تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض
وقرئ ولو زالتا. وإن أمسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد الجوابين
ومن الأولى مزيدة لتأكيد النفي والثانية للابتداء. من بعده من بعد إمساكه
وعن ابن عباس أنه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته
يقول قال سمعته يقول إن السموات على منكب ملك قال كذب كعب أما ترك
يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية. بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل
فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم فلما بعث
رسول الله كذبوه. من إحدى الأمم أي من واحدة من الأمم من
الأمم من اليهود والنصارى وغيرهم والثاني من الأمة التي يقال فيها هي إحدى
الأمم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة. ما زادهم إسناد مجازي لأنه
هو السبب في أن زادوا أنفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم
رجسا إلى رجسهم

استكبارا بدل من نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا ان نفروا استكبارا
وعلوا في الارض او حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله والمؤمنين ويجوز
ان يكون ومكر السيئ معطوفا على نفورا فان قلت ما وجه قوله ومكر السيئ
اصله وان مكروا السيئ اي المكر السيئ ثم ومكرا السيئ ثم ومكر
السيئ والدليل عليه قوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ومعنى يحيق
يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيئ اي لا يحيق الله ولقد حاق
بهم يوم بدر وعن النبي صلى الله عليه لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله
يقول ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله
انما بغيكم على انفسكم وعن كعب انه قال لابن عباس قرات في التوراة
من حفر مهواة وقع فيها قال انا وجدت ذلك في كتاب الله فقرا الاية
وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرا حمزة ومكر
السيئ باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله
اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا ولا يحيق
وقرا ابن مسعود ومكرا سيئا سنة الاولين انزال العذاب على الذين
كذبوا برسلهم من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين
ان عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها
اي لا يغيرها وان ذلك مفعول له لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه
في مسايرهم ومتاجرهم في رحلهم الى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين
وعلامات هلاكهم ودمارهم ليعجزه ليسبقه ويفوته بما كسبوا بما اقترفوا
من معاصيهم على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها يريد بني
آدم وقيل ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم
وعن ابن مسعود كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه
الاية وعن انس ان الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم
وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء الى اجل مسمى الى يوم القيامة كان بعباده
بصيرا وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الملائكة دعته ثمانية
ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قرئ يا سين بالفتح
كاين وكيف او بالنصب على اتل يا سين وبالكسر على الاصل كجير وبالرفع على
هذه يا سين او بالضم كحيث وفخمت الالف واميلت وعن ابن عباس معناه يا
انسان في لغة طيئ والله اعلم بصحته وان صح فوجهه ان يكون اصله يا
انيسين فكثر النداء به على السنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في
القسم م الله في ايمن الله الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل ناطق بالحكمة كالحي
او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به على صراط مستقيم خبر بعد
خبر او صلة للمرسلين فان قلت اي حاجة اليه خبرا كان او صلة وقد علم ان
المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم قلت ليس الغرض بذكره ما ذهبت
اليه من تمييز من ارسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وانما
الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد
كانه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وايضا فان التنكير فيه
دال على انه ارسل من بين الصراط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه
وصفه وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالنصب
على اعني وبالجر على البدل من القرآن قوما ما انذر آباؤهم قوما غير منذر
آباؤهم على الوصف ونحوه قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا
اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما انذر آباؤهم على اثبات الانذار ووجه ذلك
ان تجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار آبائهم او موصولة منصوبة على المفعول
الثاني لتنذر قوما ما انذره آباؤهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا
قريبا فان قلت اي فرق بين تعلقي قوله فهم غافلون على التفسيرين قلت
هو على الاول متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم انذارهم هو سبب
غفلتهم وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك الى فلان
لتنذره فانه غافل او فهو غافل فان قلت فكيف يكونون منذرين وغير منذرين
لمناقضة هذا لما في الآي الاخرى قلت لا مناقضة لان الآي في نفي انذارهم لا في نفي انذ

وآباؤهم القدماء من ولد إسمعيل وكانت النذارة فيهم فإن قلت ففي أحد التفسير
ان آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع قلت أريد آباؤهم الأدنون دون
الأباعد ⊙ القول قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين يعني تعلق بهم
هذا القول وثبت عليهم ووجب لأنهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر ثم مثّل
تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين
المقمحين في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون
رؤوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم وما خلفهم في أن لا
تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله فإن قلت ما معنى قوله
فهي إلى الأذقان قلت معناه فالأغلال واصلة إلى الأذقان ملزوزة إليها
وذلك أن طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن
حلقة فيها رأس العمود نادرًا من الحلقة إلى الذقن فلا تخليه يطأطئ رأسه
ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحًا والمقمح الذي يرفع رأسه ويغض بصره
يقال قمح البعير فهو قامح إذا روي فرفع رأسه ⊙ ومنه شهرا قماح
لأن الإبل ترفع رؤوسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت
السويق فإن قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدي ⊙ وزعم أن الغل لما كان
جامعًا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الأعناق دالًا على ذكر الأيدي
قلت الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون ألا ترى كيف جعل الإقماح
نتيجة قوله فهي إلى الأذقان ولو كان الضمير للأيدي لم يكن معنى التسبب في الإقماح
ظاهرًا على أن هذا الإضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه
المعنى إلى نفسه إلى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الأبلج إلى الباطل اللجلج
فإن قلت فقد قرأ ابن عباس في أيديهم وابن مسعود في أيمانهم فهل تجوز على
هاتين القراءتين أن تجعل الضمير للأيدي أو للأيمان قلت يأبى ذلك وإن ذهب
الإضمار المتعسف ظهور كون الضمير للأغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت
وقرئ سدًّا بالفتح والضم ⊙ وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان
من خلق الله فبالضم فأغشيناهم فأغشينا أبصارهم أي غطيناها وجعلنا عليها
كالجبل ونحوه

غشاوة عن أن تطمح إلى مرئي ⊙ وعن مجاهد فأغشيناهم فألبسنا أبصارهم
غشاوة ⊙ وقرئ بالعين من العشا ⊙ وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك
أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدًا يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه
حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى
فكّوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومي آخر أنا أقتله
بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره فإن قلت قد ذكر ما دل على انتفاء إيمانهم
مع ثبوت الإنذار ثم قفاه بقوله إنما تنذر وإنما كانت تصح هذه التقفية
لو كان الإنذار منفيًا قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيًا للإيمان مع وجود
الإنذار وكان معناه أن البغية المرومة بالإنذار غير حاصلة وهي الإيمان
قفى بقوله إنما تنذر على معنى إنما تحصل البغية بإنذارك من غير هؤلاء المنذرين
وهم المتبعون بالذكر وهو القرآن أو الوعظ الخاشون ربهم نحيي الموتى
نبعثهم بعد مماتهم ⊙ وعن الحسن إحياؤهم أن نخرجهم من الشرك إلى الإيمان ونكتب
ما أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علّموه أو كتاب
صنّفوه ⊙ أو حبيس احتبسوه ⊙ أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة
أو نحو ذلك أو سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة
أحدث فيها تخسيرهم وشيء أحدث فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه
وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ⊙ ونحوه قوله ينبأ الإنسان
يومئذ بما قدم وأخر أي قدم من أعماله وأخر من آثاره ⊙ وقيل هي آثار
المشائين إلى المساجد ⊙ وعن جابر أردنا النقلة إلى المسجد والبقاع حوله
خالية فبلغ ذلك رسول الله فأتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني أنكم
تريدون النقلة إلى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية
فقال عليكم دياركم فإنما تكتب آثاركم قال فما وددنا بحضرة المسجد لما
قال رسول الله ⊙ وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلًا شيئًا لأغفل
هذه الآثار التي تعفيها الرياح ⊙ والإمام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا
وآثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا ومثّل لهم مثلًا

من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد
اي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية اي اذكر لهم
قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب اذ
بانه بدل من اصحاب القرية والقرية انطاكية والمرسلون رسل عيسى صلوات الله عليه
الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان ارسل اليهم اثنين فلما
قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس
فسألهما فاخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص
وكان له ولد مريض سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على
ايديهما خلق ورقي حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم
من اوجدك وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وضربوهما
وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك
حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له ذات يوم
بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني
وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء
وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال
وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله
حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين
ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون
لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع
وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع وتحسبون انه منهم ثم قال
ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام
فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه
فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء
الثلثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون
ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا

اي صاحب هذه السورة اي مذكور في يس قصته

فعززنا فقوينا يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها وشددها وتعزز
لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه اي فغلبنا وقهرنا بثالث
وهو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون ترك ذكر المفعول به لان الغرض ذكر المعزز
به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان
الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كان ما سواه
مرفوضا مطرحا ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق
اليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه قالوا ما انتم الا بشر
مثلنا ورفع بشر لانتقاض النفي بالا فلا يبقى لما المشبهة بليس
شبهة فلا يبقى لها عمل قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون قلت لم قيل انا اليكم مرسلون اولا وانا اليكم لمرسلون
آخرا قلت لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار وقوله ربنا يعلم
جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وانما حسن منهم
هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا الا البلاغ
المبين اي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته والا فلو قال المدعي
والله اني لصادق فيما ادعي ولم يحضر البينة كان قبيحا قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم
وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا
بكل شيء مالوا اليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا
بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة او بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم
هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه
وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل
حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة ان اصابنا شيء كان من اجلكم
طائركم معكم وقرئ طيركم اي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم او اسباب
شؤمكم معكم وهي كفرهم ومعاصيهم وقرأ الحسن اطيركم اي تطيركم
وقرئ أئن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآان ذكرتم
بالف بينهما بمعنى أتطيرون ان ذكرتم وقرئ أأن بهمزة الاستفهام
وأن الناصبة بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم وقرئ أن وإن بغير استفهام

انما قال ان الله المتطلق بعد لما نكار فيحتاج الى التاكيد

قوله سبب شؤمكم هنا على القراءة الاولى وهذا اسباب على القراءة الثانية ... لان الطائر ... والطير ...

بمعنى الاخبار اى تطيرتم لأن ذكرتم او ان ذكرتم تطيرتم ٥ وقرئ أين
ذكرتم على التخفيف اى شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شئم المكان بذكركم
كان بحلولكم فيه اشأم بل انتم قوم مسرفون في العصيان فمن ثم اتاكم الشؤم
لا من قبل رسل الله وتذكيرهم ٥ او بل انتم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم
حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله رجل يسعى هو حبيب بن
اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن آمن برسول الله صلعم وبينهما ستمائة
سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي
احد الا بعد ظهوره ٥ وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم
واظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا او انت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه
وقيل توطؤه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره ٥ وقيل رجموه وهو يقول
اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية فلما قتل غضب الله عليهم فاهلكوا
بصيحة جبريل ٥ وعن رسول الله صلعم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين
علي بن ابي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون من لا يسألكم اجرا
وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم اى لا تخسرون معهم شيئا من
دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة ٥ ثم ابرز
الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم
ولانه ادخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع
قوله ومالي لا اعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم
الا ترى الى قوله واليه ترجعون ولولا انه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه ارجع
وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال اني آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا
قولي واطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه ان العبادة لا تصح
الا لمن منه مبتدأكم واليه مرجعكم وما ادفع العقول وانكر لها
لان تستحبوا على عبادته عبادة اشياء ان اراد لكم هو ضرا وشفع لكم
هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا ان يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا
على انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر

بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز ٥ وقيل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع
نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم اني آمنت بربكم فاسمعون اى اسمعوا ايماني
تشهدوا لي به ٥ وقرئ ان يردن الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا اى يجعلني
موردا للضر ٥ اى لما قتل قيل له ادخل الجنة ٥ وعن قتادة ادخله الله الجنة
وهو فيها حي يرزق اراد قوله بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين ٥ وقيل
معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها كيف مخرج هذا القول في علم البيان
قلت مخرجه مخرج الاستئناف لان هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه
كان قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه
بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول
وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون
مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وانما
تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة
عن الكفر والدخول في الايمان والعمل الصالح المفضيين باهلهما الى الجنة وفي حديث
مرفوع نصح قومه حيا وميتا ٥ وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم
الغيظ والحلم عن اهل الجهل والترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار
واهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك
عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له
الغوائل وهم كفرة عبدة اصنام ٥ ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا
على خطأ عظيم في امره ٥ وانه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم
لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له و
تضاعف لذة وسرور والاول اوجه ٥ وقرئ المكرمين فان قلت ما
في قوله بما غفر لي ربي اي الماءات هي قلت المصدرية او الموصولة اى بالذي
غفره لي من الذنوب ٥ ويحتمل ان تكون استفهامية يعني باي شيء غفر لي ربي
يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا ان قولك
بم غفر لي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت

فان قلت

اى لم يقل قيل له

هذا ادبهم صنعت ٥ المعنى ان الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لإهلاكهم
جنداً من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق فان قلت وما معنى قوله
وما كنا منزلين قلت معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في إهلاك
قوم حبيب جنداً من السماء وذلك لأن الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه
دون بعض وما ذاك إلا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة الا ترى
الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من
خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا فان قلت فلم أنزل الجنود من السماء يوم
بدر والخندق فقال فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها بألف من الملائكة
مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين قلت انما كان يكفي ملك واحد فقد أهلكت مدائن قوم لوط
بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة ولكن الله فضل
محمداً صلى الله عليه وسلم بكل شيء على كبار الأنبياء وأولي العزم من الرسل فضلاً عن حبيب
النجار وأولاه من أسباب الكرامة والإعزاز ما لم يوله أحداً فمن ذلك انه
أنزل له جنوداً من السماء وكأنه أشار بقوله وما أنزلنا وما كنا منزلين
الى ان انزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا
نفعله بغيرك ان كانت الا صيحة ان كانت الأخذة او العقوبة الا صيحة
وقرأ ابو جعفر المدني بالرفع على كان التامة اي ما وقعت الا صيحة
والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لأن المعنى ما وقع شيء الا صيحة
ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة
الحسن فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع
وقرأ ابن مسعود الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي اذا
صاح ومنه المثل أثقل من الزواقي خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود رماداً
كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد اذ هو ساطع
يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه
من أحوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم

أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون ٥ أو هم متحسر
عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ٥ ويجوز ان يكون من الله على سبيل
الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له و
تعجيبه منه ٥ وقراءة من قرأ يا حسرتا تعضد هذا الوجه لأن المعنى يا حسرتي
٥ وقرئ يا حسرة العباد على الإضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة
اليهم ٥ ويا حسره على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف ألم يروا ألم يعلموا
وهو معلق عن العمل في كم لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر
لأن أصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم تر ما ان
زيداً لمنطلق وان لم يعمل في لفظه وأنهم اليهم لا يرجعون بدل من كم أهلكنا
على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من
قبلهم كونهم غير راجعين اليهم ٥ وعن الحسن كسر ان على الاستئناف ٥ وفي قراءة
ابن مسعود ألم يروا من أهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا
مما يرد قول أهل الرجعة ٥ ويحكى عن ابن عباس انه قيل له ان قوماً يزعمون
ان علياً مبعوث قبل يوم القيامة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه
وقسمنا ميراثه ٥ قرئ لما بالتخفيف على ان ما صلة للتأكيد وان مخففة
من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في
مسألة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية والتنوين في كل هو الذي
يقع عوضاً من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائماً ٥ والمعنى ان كلهم محشورون
مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة ٥ وقيل محضرون معذبون فان قلت
كيف أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد قلت ليس بواحد لأن كلاً يفيد معنى الإحاطة
وان لا ينفلت منهم أحد والجميع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم والجميع
فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤوا جميعاً ٥ قرئ الميتة بالتشديد على الخفة
أشيع لسلسها على اللسان وأحييناها استئناف بيان لكون الأرض الميتة
آية وكذلك نسلخ ويجوز ان توصف الأرض والليل بالفعل لأنه أريد بهما الجنسان
مطلقين لا أرض وليل بأعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفها بالأفعال

نشدتك بالله لما فعلت معناه ما أسألك الا ان تفعل ٥

ونحوه: ولقد أمر على اللئيم يسبني ۞ وقوله فمنه يأكلون تقديم الظرف
للدلالة على أن الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق
منه صلاح الإنس وإذا قل جاء القحط ووقع الضر وإذا فقد حضر الهلاك
ونزل البلاء ۞ وقرئ وفجرنا بالتثقيل والتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح
لفظا ومعنى ۞ وقرئ ثمره بفتحتين وضمتين وضمة وسكون والضمير
لله تعالى ۞ والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته أيديهم من الغرس
والسقي والإبار وغير ذلك من الأعمال إلى أن بلغ الثمر منتهاه وإبان أكله
يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم وأصله
من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريقة
الالتفات ۞ ويجوز أن يرجع إلى النخيل وتترك الأعناب غير مرجوع إليها لأنه
علم أنها في حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره ۞ ويجوز أن يراد من ثمر المذكور
وهو الجنات كما قال رؤبة: فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق
فقيل له فقال أردت كأن ذاك ۞ وما عملته ما نافية على أن الثمر
خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه ۞ وقرئ على الوجه الأول
وما عملت من غير راجع وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك ۞ وفي مصاحف أهل
الحرمين والبصرة والشام مع الضمير ۞ الأزواج الأجناس والأصناف ومما لا يعلمون
ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها بطريق من طرق
العلم ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر
طريقا إلى العلم به لأنه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم ولو كانت
بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون ۞ وعن ابن
عباس رضي لم يسمهم ۞ وفي الحديث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه فأعلمنا بوجوده وأعداده ولم
يعلمنا به ما هو ۞ ونحوه فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين
وفي الإعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته
واتساع ملكه ۞ سلخ جلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله ومنه سلخ الحية

لخرشائها فاستعير لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله
مظلمون داخلون في الظلام يقال أظلمنا كما تقول أعتمنا وأدجينا
لمستقر لها لحد لها مؤقت مقدر تنتهي إليه من فلكها في آخر السنة
شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره ۞ أو لمنتهى لها من المشارق
والمغارب لأنها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ أقصاها
ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لأنها لا تعدوه ۞ أو لحد لها
من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب ۞ وقيل مستقرها
أجلها الذي أقر الله عليه أمرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر
السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة
وقرئ تجري إلى مستقر لها ۞ وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها أي لا تزال
تجري لا تستقر ۞ وقرئ لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس ذلك الجري على ذلك
التقدير والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الأفهام
في استنباطه ما هو إلا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط
علما بكل معلوم ۞ قرئ والقمر رفعا على الابتداء أو عطفا على الليل
يعني ومن آياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه
منازل من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا
مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في
واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير
فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة
إذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت إليها العرب
الأنواء المستمطرة وهي الشرطان ۞ البطين ۞ الثريا ۞ الدبران ۞
الهقعة ۞ الهنعة ۞ الذراع ۞ النثرة ۞ الطرف ۞ الجبهة ۞ الزبرة ۞
الصرفة ۞ العواء ۞ السماك ۞ الغفر ۞ الزبانى ۞ الإكليل ۞ القلب ۞
الشولة ۞ النعائم ۞ البلدة ۞ سعد الذابح ۞ سعد بلع ۞ سعد السعود ۞ سعد الأخبية ۞
فرغ الدلو المقدم ۞ فرغ الدلو المؤخر ۞ الرشاء ۞ فإذا كان في آخر منازله

كوكبان كالفرقدين

العوّا مقصور وممدود

دق واستقوس عاد كالعرجون القديم وهو عود العذق ما بين شماريخه
الى منبته من النخلة ۝ وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف
وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم
المحول واذا اقدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه ۝ وقيل اقل
عدة الموصوف بالقديم الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب
ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول واكثر ۝ وقرئ سابق النهار على الاصل
والمعنى ان الله قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب
له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها
ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين
سلطان على حياله **ان تدرك القمر** فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في
سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار
وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك
وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها **فان قلت** لم جعل
الشمس غير مدركة والقمر غير سابق **قلت** لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة
والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة ان توصف بالادراك لتباطؤ
سيرها عن سير القمر والقمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره ۝ **وكل**
التنوين فيه عوض من المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق
ذكره ۝ **ذرياتهم** اولادهم ومن يهمهم حمله ۝ وقيل اسم الذرية يقع على
النساء لانهن مزارعها ۝ وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء
من مثله من مثل الفلك **ما يركبون** من الابل وهي سفائن البر ۝ وقيل الفلك
المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم
الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ
في الامتنان عليهم وادخل في التعجيب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيامة
في سفينة نوح ۝ ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق
صريخ لا مغيث ۝ او لا اغاثة يقال اتاهم الصريخ **ولا هم ينقذون** لا ينجون

من الموت بالغرق **الا رحمة** الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة **الى حين** الى اجل
يموتون فيه لا بد منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد احسن من قال
ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام ۝ وقرأ الحسن نغرقهم
اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم
من السماء والارض ۝ وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر ۝ وعن قتادة ما بين
ايديكم من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها
وما خلفكم من امر الساعة **لعلكم ترحمون** لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب
اذا محذوف مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا
ثم قال ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة ۝ كانت الزنادقة منهم يسمعون
المؤمنين يعلقون افعال الله بمشيئته فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء
لاعزه ولو شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا
يقولونه من تعليق الامور بمشيئة الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك
انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى والفقر من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع
وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا
والله ايفقره الله ونطعمه نحن ۝ وقيل كانوا يوهمون ان الله لما كان قادرا
على اطعامهم ولا يشاء اطعامهم فنحن احق بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال
فقراء اصحاب رسول الله اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون قوله
وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم
ان انتم الا في ضلال قول الله لهم او حكاية قول المؤمنين لهم او هو من جملة جوابهم
للمؤمنين ۝ وقرئ وهم يخصمون بادغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع
الياء الخاء في الكسر ۝ ويختصمون على الاصل ۝ ويخصمون من خصمه والمعنى انها تبغتهم
وهم في امنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم
ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا
وقيل تأخذهم وهم عند انفسهم يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون ۝ لا يستطيعون
ان يوصوا في شيء من امورهم توصية ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم واهاليهم

بل الموتون بحيث تفجأهم الصيحة وقرئ الصور بسكون الواو وهو القرن او جمع
صورة وحركها بعضهم والاجداث القبور وقرئ بالفاء وينسلون يعدون
بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية وقرئ يا ويلتنا وعن ابن مسعود من
اهبنا من هب من نومه اذا انتبه واهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا
وعن بعضهم اراد هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبتنا
على من الجارة والمصدر وهذا مبتدأ وما وعد خبره وما مصدرية او موصولة
ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدأ محذوف اى هذا وعد الرحمن
او مبتدأ محذوف الخبر اى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وعن مجاهد
للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا
واما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين
وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم
بعضا فان قلت اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين
على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون
اذا جعلتها موصولة قلت تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه
المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال
ومنه صدقني سن بكره فان قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث
فكيف طابقه ذلك جوابا قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث و
انبأكم به الرسل الا انه جيء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم
احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم واخبروا بوقوع ما انذروا به
وكانه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده
حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع
وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين الا صيحة
واحدة قرئت منصوبة ومرفوعة فاليوم لا تظلم نفس شيئا ان اصحاب الجنة
اليوم في شغل حكاية لما يقال لهم في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة
تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره

في شغل في اي شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة
التي هي دار المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم
ووقع في تلك الملاذ التي اعدها الله للمرتضين من عباده ثم اثابهم على اعمالهم
مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتفصي من مشاق التكليف
ومضايق التقوى والخشية وتخطي الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط
ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس في افتضاض الابكار
وعنه في ضرب الاوتار وعن ابن كيسان في التزاور وقيل في ضيافة
الله وعن الحسن شغلهم عما فيه اهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل
عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص
في نعيمهم وقرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون
والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به
وكذلك الفكاهة وهي المزاحة وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها
كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس وقرئ فاكهين وفكهين على
انه حال والظرف مستقر وهم يحتمل ان يكون مبتدأ وان يكون تأكيدا للضمير
في شغل وفي فاكهون على ان ازواجهم يشاركونهم في ذلك الشغل والتفكه
والاتكاء على الارائك تحت الظلال وقرئ في ظلل والارائك السرر
في الحجال وقيل الفراش فيها وفي قراءة ابن مسعود متكين يدعون
يفتعلون من الدعاء اي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل
لنفسه قال لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل ويجوز ان يكون بمعنى
يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما
شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى قال الزجاج
وهو من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة يأتيهم وسلام بدل مما يدعون
كانه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى ان الله يسلم بواسطة
الملائكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه
قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون

لأن السلام بمعنى السلامة

مبتدأ وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وهو لا مصدر
مؤكد لقوله ولهم ما يدعون سلام اى عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب
على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام فى المعنيين وعن ابن
مسعود سلاما نصب على الحال اى لهم مرادهم خالصا (وامتازوا) وانفردوا عن المؤمنين
وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة ونحوه قوله ويوم
تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى
روضة يحبرون واما الذين كفروا الآية يقال مازه فانماز وامتاز
وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه
لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم يمتاز من بعض العهد الوصية وعهد اليه
اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركزه فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم
من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم
وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز فى حروف مضارعته الكسر
الا فى الياء واعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج ان يكون من باب نعم ينعم
وضرب يضرب واحهد بالحاء واحد وهى لغة تميم ومنه قولهم دحا محا
هذا اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن
اذ لا صراط اقوم منه ونحو التنكير فيه ما فى قول كثير لئن كان يهدى برد انيابها
لأفقر منى اننى لفقير اراد اننى لفقير بليغ الفقر حقيق بان اوصف
به لكمال شرائطه فى والا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط
مستقيم يريد صراط بليغ فى بابه بليغ فى استقامته جامع لكل شرط يجب ان
يكون عليه ويجوز ان يراد هذا بعض الصراط المستقيمة توبيخا لهم على العدول
عنه والتفادى عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذى
يؤدى الى الضلالة والتهلكة كانه قيل اقل احوال الطريق الذى هو اقوم
الطرق ان يعتقد فيه كما يعتقد فى الطريق الذى لا يضل السالك كما يقول
الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذى ليس بعده هذا فيما اظن
قول نافع غير ضار توبيخا له على الاعراض عن نصائحه وقرئ جبلا

بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديد وبكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديد
وهذه لغات فى معنى الخلق وقرئ جبلا جمع جبلة كفطرة وفطر وقرئ
جيلا واحد الاجيال يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد
عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم
على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة
انى لا اجيز على شاهدا الا من نفسى فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق
باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل
وقرئ يختم على افواههم وتتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم وتشهد
بلام كى والنصب على معنى ولذلك نختم على افواههم وقرئ ولتكلمنا ايديهم
ولتشهد بلام الامر والجزم على ان الله يأمر الاعضاء بالكلام والشهادة
الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة (فاستبقوا الصراط) لا
يخلو من ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط
او يضمن معنى ابتدروا او يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه
او ينتصب على الظرف والمعنى انه لو شاء لمسح اعينهم فلو راموا ان يستبقوا
الى الطريق المهيع الذى اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المألوفة
التى ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون اليه ساعين فى متصرفاتهم
موضعين فى امور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم ان يبصروا او يعلموا جهة
السلوك فضلا عن غيره او لو شاء لاعماهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين
فى الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا او لو شاء لاعماهم
فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذى اعتادوا المشى فيه لعجزوا ولم يعرفوا
طريقا يعنى انهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه
من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا وضروا به من
المقاصد دون غيرها (على مكانتهم) وقرئ مكاناتهم والمكانة والمكان واحد
كالمقامة والمقام اى لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه
باقبال ولا ادبار ولا مضى ولا رجوع واختلف فى المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم

ردة وخنازير وقيل حجارة ٥ وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم و
ازمناهم ٥ وقرئ مضيا بالحركات الثلث فالمضي والمضي كالعتي والعتي
والمضي كالصبي ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه
قبلا وذلك انا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد
وينتقل من حال الى حال ويرتقي من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل
قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص
حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم
كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله قال ع يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم
من بعد علم شيئا ثم رددناه اسفل سافلين وهذه دلالة على ان من ينقلهم
من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف
وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على
ان يطمس على اعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء واراد ٥ وقرئ
ننكسه ونُنكِسه من التنكيس والانكاس افلا تعقلون
بالتاء والياء ٥ كانوا يقولون لرسول الله صلعم شاعر روي ان القائل عقبة بن
ابي معيط فقيل وما علمناه الشعر اي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على
معنى ان القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء واين هو عن الشعر
والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن واين
التقفية واين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه واين نظم كلامهم
من نظمه واساليبه فاذن لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم
الا ان هذا لفظه عربي كما ان ذاك كذلك وما ينبغي له وما يصح له ولا
يتطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له ولم
يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت و
الشبهة ادحض ٥ وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله من كثير من الكلام
ولكن كان لا يتأتى له فان قلت فقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت قلت ما هو

٢٧

الا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف
الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه ان جاء موزونا كما يتفق
في كثير من انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة
ولا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع انه شعر وان افتشت
في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في اوزان البحور غير عزيز على ان الخليل
ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر
قال ان هو الا ذكر وقرآن مبين يعني ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس
والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن كتاب سماوي
يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين
فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين ٥ لينذر القرآن او الرسول
٥ وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه من كان حيا اي عاقلا
متأملا لان الغافل كالميت ٥ او معلوما منه انه يؤمن فيحيا بالايمان ويحق
القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم
الايمان مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا
وانما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر عليها الا هو
وعمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي فهم لها مالكون اي خلقناها
لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع
فيها لا يزاحمون او فهم لها ضابطون قاهرون من قوله اصبحت لا احمل السلاح
اي لا اضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا
تذليله وتسخيره لها كما قال القائل يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف
وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير ٥ ولهذا الزم الله
سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا
هذا وما كنا له مقرنين ٥ وقرئ ركوبهم ٥ وركوبتهم وهما ما يركب
كالحلوب والحلوبة ٥ وقيل الركوبة جمع ٥ وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم
او فمن منافعها ركوبهم منافع من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك

اي المكروه ٥ وله
لقد عظم البعير بغير لب
فلم يستغن بالعظم البعير
الخسف الذل والهضم
والجرير الخطام المضفور
من الادم والهراوى جمع
هراوة وهي العصا والمعنى
ترى البعير مع عظمه وقوته
لم يعجب عظمه اللب
وقوته التمييز لم يستعمل
بما اعطي من ذلك بل تراه
مسخرا للصبي على وجه الدلالة
والوليدة تضربه او
فلا انكار منه ولا تغيير

ومشارب من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها في قوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
الآية والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشرب ۝ اتخذوا الآلهة
طمعا في ان يتقووا بهم ويتعضدوا بمكانهم والامر على عكس ما قدروا حيث هم
جند لآلهتهم معدون يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة
لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر او اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا
لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون
لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار ۝ قرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها
من حزنه واحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم وانا
عالمون بما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك
ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة
حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن فان قلت ما تقول فيمن يقول ان قرأ
قارئ انا نعلم بالفتح انتقضت صلاته وان اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر
قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن والشعر
وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية
رسول الله صلعم ان الحمد والنعمة لك كسر ابو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما
تعليل ۝ والثاني ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون
وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين
ان تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها
وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر
البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية
ثم ان قدرته كاسرا او فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهي
رسول الله عن الحزن على كون الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك
مما يوجب شيئا الا ترى الى قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ۝ ولا تكونن من المشركين
ولا تدع مع الله الها آخر ۝ قبح الله عز وجل انكارهم البعث تقبيحا لا ترى
اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان وافراطه في جحود النعم

وعقوق الايادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره بان
عنصره الذي خلقه منه هو اخس شيء وامهنه وهو النطفة المذرة
الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله
على مهانة اصله ودناءة اوله لمخاصمة الجبار وشرز صفحته لمجادلته ويركب
متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت بعد ما رمت عظامه
ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو
ينكر انشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها ۝ وروي ان جماعة
من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد
بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث
الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا
فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه
نعم ويبعثك ويدخلك جهنم ۝ وقيل معنى قوله فاذا هو خصيم مبين فاذا
هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب
عما في نفسه فصيح كما قال اومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فان قلت
لم سمى قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلا قلت لما دل عليه من قصة عجيبة
شبيهة بالمثل وهو انكار قدرة الله على احياء الموتى ۝ او لما فيه من التشبيه
لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله تع بالقدرة عليه بدليل النشأة الاولى
فاذا قيل من يحيي العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تع
بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له لخلقه في انهم غير موصوفين
بالقدرة عليه ۝ والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات
فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل
او مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام ويقول
ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها
واما اصحاب ابي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون
ان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام

في الأجزاء نوردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس وهو بكل شيء
عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من المنشآت والمعادات من أجناسها
وأنواعها وجلائلها ودقائقها ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر
الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي يوري بها الأعراب
وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم في كل شجر نار واستمجد
المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما أخضران
يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتنقدح
النار بإذن الله وعن ابن عباس ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب
فالواو لذلك تتخذ منه كذينقات القصارين الأخضر على اللفظ و
قرئ الخضراء على المعنى وكقوله لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون
فشاربون عليه من الحميم ومن قدر على خلق السماوات والأرض مع عظم شأنهما فهو
على خلق الأناسي أقدر وفي معناه قوله لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق
الناس وقرئ يقدر وقوله أن يخلق مثلهم يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم
في الصغر والقماءة بالإضافة إلى السماوات والأرض أو أن يعيدهم لأن المعاد
مثل للمبتدأ وليس به وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات
وقرئ الخالق إنما أمره إنما شأنه إذا أراد شيئا إذا دعاه داعي حكمة
إلى تكوينه والصارف أن يقول له كن أن يكونه من غير توقف فيكون
فيحدث أي فهو كائن موجود لا محالة فإن قلت ما حقيقة قوله أن يقول
له كن قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لأنه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وأنه
بمنزلة المأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع فإن قلت فما وجه
القراءة بنصب فيكون قلت أما الرفع فلأنها جملة من مبتدأ وخبر لأن تقديرها
فهو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن وأما النصب فللعطف
على يقول والمعنى أنه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الأجسام إذا فعلت شيئا
مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك
من المشقة والتعب واللغوب إنما أمره وهو القادر العالم لذاته أن يخلق

داعية إلى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الإعادة فسبحان
تنزيه له عما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا الذي بيده ملكوت كل شيء
هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة
كل شيء أي مملكة كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها
وعن ابن عباس كنت لا أعلم ما روي في فضائل ياسين وقراءتها كيف خصت بذلك فإذا
أنه لهذه الآية ثم قال رسول الله صلعم إن لكل شيء قلبا وإن قلب القرآن ياسين من قرأ
ياسين يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن
اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة
ياسين نزل بكل حرف فيها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه
ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون
دفنه وأيما مسلم قرأ ياسين وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت
روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها
وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو
ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال
إن في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها ألا وهي سورة ياسين

سورة والصافات مكية وهي مائة وإحدى وثمانون وقيل اثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم أقسم سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوس
الصافات أقدامها في الصلوة من قوله وإنا لنحن الصافون أو أجنحتها في الهواء
واقفة منتظرة لأمر الله فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله
من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله والطير صافات والزاجرات
كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله أو بنفوس
بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف
الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات
شرائعه أو بنفوس غزاة الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر
الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن أبي طالب

فإن قلت ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات قلت إما أن تدل على ترتب معانيها
في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب كأنه قال الذي
صبح فغنم فآب وإما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الأفضل
فالأكمل واعمل الأحسن فالأجمل وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم
الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات
فإن قلت فعلى أي هذه القوانين هي فيما أنت بصدده قلت إن وحدت الموصوف
كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وإن ثلثته فهي للدلالة على ترتب
الموصوفات فيه بيان ذلك أنك إذا أجريت هذه الأوصاف على الملائكة وجعلتهم
جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل إما أن يكون الفضل للصف
ثم للزجر ثم للتلاوة وإما على العكس وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة
وإن أجريت الصفة الأولى على طوائف والثانية والثالثة على أخر فقد أفادت
ترتب الموصوفات في الفضل أعني أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات
أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس وكذلك إذا أردت بالصافات الطير و
بالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر
فإن الموصوفات مختلفة وقرئ بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال رب السموات
خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف والمشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك
المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا
تغرب في واحد يومين فإن قلت فماذا أراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين
قلت أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما الدنيا القربى منكم والزينة
مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة
ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فإن أردت المصدر فعلى إضافته إلى الفاعل
أي بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على إضافته إلى المفعول
أي بأن زان الله الكواكب وحسنها لأنها إنما زينت السماء لحسنها في أنفسها
وأصله بزينة الكواكب وهي قراءة أبي بكر والأعمش وابن وثاب
وإن أردت الاسم فللإضافة وجهان أن تقع الكواكب بيانا للزينة لأن الزينة

مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وأن يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن
عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا
وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وقرئ على هذا المعنى
بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الإبدال ويجوز في نصب الكواكب أن يكون
بدلا من محل بزينة وحفظا مما حمل على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة
للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين ويجوز أن يقدر الفعل المعلل كأنه قيل وحفظا من كل شيطان
زيناها بالكواكب وقيل حفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة المتملس
منها الضمير في لا يسمعون لكل شيطان لأنه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد
وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وعن ابن
عباس هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد فإن قلت لا يسمعون
كيف اتصل بما قبله قلت لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان
أو استئنافا فلا تصح الصفة لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون
لا معنى له وكذلك الاستئناف لأن سائلا لو سأل لم تحفظ من الشياطين فأجيب
بأنهم لا يسمعون لم يستقم فبقي أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا
لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة
أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك إلا من أمهل حتى خطف
خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة بإتباع الشهاب
الثاقب فإن قلت هل يصح قول من زعم أن أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام
كما حذفت في قولك جئتك أن تكرمني فبقي أن لا يسمعوا فحذفت أن وأهدر
عملها كما في قول القائل ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى قلت كل واحد
من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فأما اجتماعهما فمنكر من
المنكرات على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب فإن قلت أي فرق
بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت إليه يتحدث وسمعت حديثه وإلى حديثه
قلت المعدى بنفسه يفيد الإدراك والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك

والملأ الأعلى الملائكة لأنهم يسكنون السموات، والإنس والجن هم الملأ الأسفل
لأنهم سكان الأرض. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هم الكتبة من الملائكة. وعنه: أشراف
الملائكة. من كل جانب من جميع جوانب السماء من أي جهة صعدوا للاستراق
دحورا مفعول له، أي: ويقذفون للدحور وهو الطرد. أو مدحورين على
الحال. أو لأن القذف والطرد متقاربان في المعنى، فكأنه قيل: يدحرون
أو يقذفون. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على: قذفا دحورا طرودا
أو على أنه قد جاء مجيء القبول والولوع. والواصب الدائم، وصب الأمر
وصوبا. يعني أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب، وقد أعد لهم في الآخرة نوع
من العذاب دائم غير منقطع. من رفع محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون، أي
لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي خطف الخطفة. وقرئ: خطف بكسر الخاء
والطاء وتشديدها، وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها، وأصلهما اختطف.
وقرئ: فاتبعه، وفأتبعه. المهمة: نور إن جرمها مغنى النفي، فهو بمعنى
الاستفهام في أصلها، فلذلك لم يقل: فاستفتهم، أي استخبرهم أهم أشد خلقا ولم
يقل أفقر أم، والضمير لمشركي مكة. وقيل: نزلت في أبي الأشد بن كلدة
وكني بذلك لشدة بطشه وقوته. أم من خلقنا يريد ما ذكر من خلائقه
من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب
والشياطين المردة، وغلب أولي العقل على غيرهم، فقال: من خلقنا. والدليل عليه
قوله بعد عدّ هذه الأشياء: فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا، بالفاء
المعقبة. وقوله: أم من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان
ما تقدمه، كأنه قال: خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه، فاستفتهم
أهم أشد خلقا أم الذي خلقناه من ذلك. وتقطع قراءة من قرأ: أم من عددنا
بالتخفيف والتشديد. وأشد خلقا يحتمل أقوى خلقا من قولهم: شديد الخلق، وفي
خلقه شدة، وأصعب خلقا وأشقه، على معنى الرد لإنكارهم البعث والنشأة
الأخرى، وأن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها
كان خلق البشر عليه أهون. وخلقهم من طين لازب إما شهادة عليهم بالضعف

والرخاوة، لأن ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة. أو احتجاج عليهم
بأن الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب، فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب
مثله حيث قالوا: أئذا كنا ترابا. وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر إنكارهم
البعث. وقيل: من خلقنا من الأمم الماضية، وليس هذا القول بملائم. وقرئ: لازم
ولاتب، والمعنى واحد. والثاقب الشديد الإضاءة. بل عجبت من قدرة الله على
هذه الخلائق العظيمة، وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة
الله، أو من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث. وقرئ بضم التاء، أي بلغ
من عظم آياتي وكثرة خلائقي أني عجبت منها، فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم
وعنادهم يسخرون من آياتي. أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفعاله،
وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه. فإن قلت: كيف يكون العجب على الله،
وإنما هو روعة تعتري الإنسان عند استعظام الشيء، والله تعالى لا يجوز عليه الروعة؟
قلت: فيه وجهان: أن يجرد العجب لمعنى الاستعظام. والثاني أن يتخيل العجب
ويفرض. وقد جاء في الحديث: عجب ربكم من إلّكم وقنوطكم وسرعة إجابته
إياكم. وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول: إن الله لا يعجب من شيء، وإنما يعجب
من لا يعلم. فقال إبراهيم النخعي: إن شريحا كان يعجبه علمه، وعبد الله أعلم، يريد
عبد الله بن مسعود، وكان يقرأ بالضم. وقيل معناه: قل يا محمد بل عجبت. وإذا
ذكروا ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء لا يتعظون به. وإذا رأوا آية
من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية،
أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها. أوآباؤنا معطوف على محل إن واسمها،
أو على الضمير في مبعوثون، والذي جوّز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام.
والمعنى: أيبعث أيضا آباؤنا، على زيادة الاستبعاد، يعنون أنهم أقدم، فبعثهم
أبعد وأبطل. وقرئ: أو آباؤنا. قل نعم، وقرئ: نعم بكسر العين، وهما لغتان.
وقرئ: قال نعم، أي الله أو الرسول. والمعنى: نعم تبعثون وأنتم داخرون
صاغرون. فإنما جواب شرط مقدر، تقديره: إذا كان ذلك فما هي إلا زجرة
واحدة، وهي لا ترجع إلى شيء، إنما هي مبهمة موضحها خبرها. ويجوز: فإنما

البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك
زجر الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها فريعت لصوته ومنه
زجر ابي عروة السباع اذ اشفق ان يختلطن بالغنم يريد تصويته
بها فاذا هم احياء بصراء ينظرون يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله
احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وان يكون من كلام الملائكة لهم
وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من
كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي ندان فيه اي نجازى
باعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال احشروا
خطاب الله للملائكة او خطاب بعضهم مع بعض وازواجهم وضرباءهم
عن النبي صلعم وهم نظراؤهم واشباههم من العصاة اهل الزنى مع اهل الزنى
واهل السرقة مع اهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم
اللاتي على دينهم فاهدوهم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها هذا تهكم بهم
وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين
بل هم اليوم مستسلمون قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم
غير منتصر وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام اليمين لما كانت
اشرف العضوين وامتنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون
ويناولون ويتناولون ويزاولون اكثر الامور ويتشاءمون بالشمال
ولذلك سموها الشؤمى كما سموا اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا
من البارح وكان الاعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة
افاضل الامور باليمين واراذلها بالشمال وكان رسول الله صلعم يحب التيامن
في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد
المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه والمسيء ان يؤتاه بشماله استعيرت لجهة
الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير وناحيته فصده عنه
واضله وجاء في بعض التفسير من اتاه الشيطان من جهة اليمين اتاه من قبل
الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن

اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن اتاه
من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة
فان قلت قولهم اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا
عن المجاز قلت من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذاك ولك
ان تجعلها مستعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش
والمعنى انكم كنتم تاتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة
حتى تحملونا على الضلال وتقسروننا عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم و
الغواة لشياطينهم بل لم تكونوا مؤمنين بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه مع
تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين وما كان لنا عليكم من تسلط نسلبكم
به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان فحق علينا فلزمنا قول ربنا
انا لذائقون يعني وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا
بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ
المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل لقد زعمت هوازن قل مالي
ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن
الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف فاغويناكم فدعوناكم
الى الغي دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد
انا كنا غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا فانهم فان الاتباع
والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيامة مشتركون في العذاب كما كانوا مشتركين
في الغواية انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام
فمن ارتكبه استوجبها انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا
عنها وابوا الا الشرك لشاعر مجنون يعنون محمدا صلعم بل جاء بالحق رد على المشركين
وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه وقرئ لذائقوا العذاب
بالنصب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا بتقدير التنوين وقرئ على
الاصل لذائقون العذاب الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل
سيئ الا عباد الله ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع فيه الرزق المعلوم

بالفواكه ومعنى كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني أن رزقهم
كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات بأنهم أجسام محكمة
مخلوقة للأبد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز أن يراد
رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن
منظر ۝ وقيل معلوم الوقت لقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ۝
وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات يأباه وقوله وهم
مكرمون هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو
من أعظم ما يجب أن تتوق إليه نفوس ذوي الهمم كما أن من أعظم ما يجب أن تنفر عنه
نفوسهم هوان أهل النار وصغارهم ۝ التقابل أتم للسرور وآنس ۝ وقيل لا
ينظر بعضهم إلى قفا بعض ۝ يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها
كأسا قال وكأس شربت على لذة ۝ وعن الأخفش كل كأس في القرآن ف
هي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس من معين من شراب معين أو من نهر معين
وهو الجاري على وجه الأرض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لأنه يجري
في الجنة في أنهار كما يجري الماء كما قال وأنهار من خمر بيضاء صفة للكأس
لذة إما أن توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها ۝ أو هي تأنيث اللذ
يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال
ولذ كطعم الصرخدي تركته بأرض العدى من خشية الحدثان
يريد النوم ۝ الغول من غاله يغوله غولا إذا أهلكه وأفسده ومنه
الغول التي في تكاذيب العرب وفي أمثالهم الغضب غول الحلم وينزفون
على البناء للمفعول من نزف الشارب إذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف
ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات إذا خرج دمه كله ونزحت
الركية حتى نزفتها إذا لم تترك فيها ماء وفي أمثالهم أجبن من المنزوف
ضرطا وقرئ ينزفون من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه
قال لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم لبئس الندامى كنتم آل أبجرا
ومعناه صار ذا نزف ونظيره أقشع السحاب وقشعته الريح وأكب

الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا في القشع والكب ۝ وقرأ طلحة بن مصرف
ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب إذا سكر والمعنى لا فيها
فساد قط من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار
أو عربدة أو لغو أو تأثيم ۝ أو غير ذلك ولا هم يسكرون وهو أعظم مفاسدها
فأفرده وأفرده بالذكر قاصرات الطرف قصرن أبصارهن على أزواجهن
لا يمددن طرفا إلى غيرهم كقوله عربا ۝ والعين النجل العيون شبههن ببيض
النعام المكنون في الأداحي وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات
الخدور فإن قلت علام عطف قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون على يطاف عليهم
والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال
وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام ۝ فيقبل بعضهم
على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا إلا أنه جيء به ماضيا على عادة
الله في أخباره ۝ وقرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدقين من تصدق
الصادر من التصدق ۝ وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج
فاستجدى بعض إخوانه فقال وأين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله
في الآخرة خيرا منه فقال أإنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين
لطلب الثواب والله لا أعطيك شيئا لمدينون لمجزيون من الدين وهو
الجزاء ۝ أو لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ۝ ومنه الحديث
العاقل من دان نفسه قال يعني ذلك القائل هل أنتم مطلعون إلى النار
لأريكم ذلك القرين ۝ قيل إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها
إلى أهل النار ۝ وقيل القائل الله عز وجل ۝ وقيل بعض الملائكة
يقول لأهل الجنة هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة
أهل النار ۝ وقرئ مطلعون فأطلع وفاطلع بالتشديد على لفظ
الماضي والمضارع المنصوب ۝ ومطلعون فأطلع ۝ وفأطلع بالتخفيف
على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان
وأطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون إلى القرين

فاطلع أنا إليهم أو عرض عليهم الاطلاع فاعتذروا فاطلع هو بعد ذلك وإن جعلت
الاطلاع من اطلعه غيره فالمعنى أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب
المجالسة أن لا يستبد بشيء دون جلسائه فكأنهم مطلعوه. وقيل الخطاب على هذا
للملائكة. وقرئ مطلعون بكسر النون أي مطلعون إياي فوضع المتصل موضع المنفصل
كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه أو شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ
بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع إلا في الشعر. في سواء الجحيم في وسطها
يقال تعبت حتى انقطع سوائي. وعن أبي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت
أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائي. إن مخففة من الثقيلة وهي تدخل
على كاد كما تدخل على كان ونحوه إن كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
والإرداء الإهلاك. وفي قراءة عبد الله لتغوين. ولولا نعمة ربي بالعصمة والتوفيق
في الاستمساك بعروة الإسلام والبراءة من قرين السوء أو إنعامه بالثواب
وكونه من أهل الجنة. من المحضرين من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت و
أمثالك. الذي عطفت عليه الفاء محذوف معناه أنحن مخلدون منعمون فما
نحن بميتين وبمعذبين. وقرئ بمائتين والمعنى أن هذه حال المؤمنين و
صفتهم وما قضى الله به لهم للعلم بأعمالهم لا يذوقوا إلا الموتة الأولى
بخلاف الكفار فإنهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة. وقيل لبعض الحكماء
ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت. يقوله المؤمن تحدثا
بنعمة الله واغتباطا بحاله وتعجبا من قرينه ليكون توبيخا له يزيد
به تعذيبا أو لحكاية الله فيكون لنا لطفا وزاجرا. ويجوز أن يكون من كلامهم
جميعا. وكذلك قوله إن هذا لهو الفوز العظيم أي إن هذا الأمر الذي نحن
فيه. وقيل هو من قول الله تقريرا لقولهم وتصديقا له. وقرئ لهو الرزق
العظيم وهو ما رزقوه من السعادة. تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع
إلى ذكر الرزق المعلوم فقال أذلك خير نزلا أي خير حاصلا أم شجرة
الزقوم وأصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل
فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل

شجرة الزقوم الألم والغم. وانتصاب نزلا على التمييز أو الحال
كما تقول أثمر النخلة خير بلحا أم رطبا يعني أن الرزق المعلوم نزل أهل
الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير في كونه نزلا. والنزل
ما يقام للنازل بالمكان من الرزق. ومنه أنزال الجند لأرزاقهم كما
يقال لما يقام لساكن الدار السكن. ومعنى الأول أن للرزق المعلوم
نزلا وللشجرة الزقوم نزلا فأيهما خير نزلا. ومعلوم أنه لا خير في شجرة
الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى إلى الرزق المعلوم واختار
الكافرون ما أدى إلى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم
فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة أو ابتلاء لهم في الدنيا وذلك
أنهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا.
وقرئ نابتة في أصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع
إلى دركاتها. والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها
إما استعارة لفظية أو معنوية. وشبه برؤوس الشياطين دلالة
على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح
في طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح
الصورة كأنه وجه شيطان كأنه رأس شيطان وإذا صوره المصورون
جاؤوا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله كما أنهم اعتقدوا في الملك
أنه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال ما هذا
بشرا إن هذا إلا ملك كريم. وهذا تشبيه تخييلي. وقيل الشيطان
حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا. وقيل إن شجرا يقال
له الأستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين
وما سمت العرب هذا الثمر برؤوس الشياطين إلا قصدا إلى أحد التشبيهين
ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلا ثالثا يشبه به. منها من الشجرة
أي من طلعها فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد أو يقسرون
على أكلها وإن كرهوها ليكون نوعا من العذاب فإذا أشبعوا غلبهم العطش

فيسقون شرابا من غساق أو صديد مشوب به أي ممزوج من حميم يشوي
وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال في صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من
تسنيم ۝ وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والأول تسمية بالمصدر
فإن قلت ما معنى حرف التراخي في قوله ثم إن لهم عليها لشوبا وفي قوله ثم إن
مرجعهم قلت في الأول وجهان أحدهما أنهم يملؤون البطون من شجرة الزقوم
وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون إلا بعد ملي تعذيبا بذلك
العطش ثم يسقون ما هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم ۝ والثاني أنه
ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع
فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته
لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني أنهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم
في الجحيم وهي الدركات التي أسكنوها إلى شجرة الزقوم فيأكلون إلى أن
يتملؤوا ۝ أو يسقون بعد ذلك ثم يرجعون إلى دركاتهم ومعنى التراخي
في ذلك بين ۝ وقرئ ثم إن منقلبهم ثم إن مصيرهم ثم إن منقلبهم لإلى
الجحيم ۝ علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في
الدين واتباعهم إياهم على الضلال وترك اتباع الدليل ۝ والإهراع الإسراع
الشديد كأنهم يحثون حثا ۝ وقيل إسراع فيه شبه بالرعدة ۝ ولقد ضل
قبلهم قبل قومك قريش منذرين أنبياء حذروهم العواقب المنذرين الذين
أنذروا وحذروا أي أهلكوا جميعا إلا عباد الله الذين آمنوا منهم وأخلصوا
دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين لما ذكر إرسال المنذرين
في الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين أتبع ذلك ذكر نوح ودعائه
إياه حين أيس من قومه ۝ واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف
والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة
والكبرياء والمعنى إنا أجبناه أحسن الإجابة وأوصلها إلى مراده وبغيته
من نصرته على أعدائه والانتقام منهم بأبلغ ما يكون هم الباقين هم الذين
بقوا وحدهم وقد فني غيرهم ۝ فقد روي أنه مات كل من كان معه في السفينة

غير ولده أو هم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة ۝ قال قتادة الناس كلهم
من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وحام ويافث فسام
أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب ويافث أبو
الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين من الأمم هذه الكلمة وهي
سلام على نوح يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك
قرأت سورة أنزلناها فإن قلت ما معنى قوله في العالمين قلت معناه الدعاء
بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وأن لا يخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله
التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم ۝
علل مجازاة نوح عليه بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم
العالمين عليه إلى آخر الدهر بأنه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا
مؤمنا ليريك جلالة محل الإيمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك
في تحصيله والازدياد منه من شيعته ممن شايعه على أصول الدين وإن اختلفت
شرائعهما أو شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين ۝ ويجوز أن
يكون بين شريعتيهما اتفاق في أكثر الأشياء ۝ وعن ابن عباس من أهل دينه
وعلى سنته وما كان بين نوح وإبراهيم إلا نبيان هود وصالح وكان بين نوح
وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة فإن قلت بم تعلق الظرف قلت
بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وإن ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه
بقلب سليم لإبراهيم أو بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع آفات القلوب وقيل
من الشرك ولا معنى للتخصيص لأنه مطلق فليس بعض الآفات أولى من بعض فيتناولها
كلها فإن قلت ما معنى المجيء بقلبه ربه قلت معناه أنه أخلص لله قلبه وعرف
ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك أئفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله
إفكا وإنما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان
الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم ۝ ويجوز أن يكون إفكا
مفعولا به يعني أتريدون إفكا ثم فسر الإفك بقوله آلهة من دون الله على أنها
إفك في أنفسها ۝ ويجوز أن يكون حالا بمعنى أتريدون آلهة من دون الله آفكين

فما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لأن من كان ربا للعالمين استحق عليهم أن يعبدوه
حتى تركتم عبادته إلى عبادة الأصنام والمعنى أنه لا يقدر في وهمكم ولا يظن
ما يصد عن عبادته ○ أو فما ظنكم به أي شيء هو من الأشياء حتى جعلتم الأصنام
له أندادا أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره في النجوم
في علم النجوم ○ أو في كتابها ○ أو في أحكامها ○ وعن بعض الملوك أنه سئل عن مشتهاه
فقال حبيب أنظر إليه ومحتاج أنظر له وكتاب أنظر فيه ○ كان القوم نجامين
فأوهمهم أنه استدل بأمارة في علم النجوم على أنه يسقم فقال إني سقيم أي مشارف
للسقم وهو الطاعون ○ وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى
ليتفرقوا عنه فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه
أحد ففعل بالأصنام ما فعل فإن قلت كيف جاز له أن يكذب قلت قد جوزه بعض
الناس في المكيدة في الحرب والتقية وإرضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين
والمتهاجرين والصحيح أن الكذب حرام إلا إذا عرض وورى والذي قاله
إبراهيم صلوات الله عليه معراض من الكلام ولقد نوى به أن من في عنقه الموت سقيم
ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا
ليصحني فإذا السلامة داء ○ وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس فقالوا
مات وهو صحيح فقال أعرابي أصحيح من الموت في عنقه ○ وقيل أراد إني سقيم النفس لكفركم
فراغ إلى آلهتهم فذهب إليها في خفية من روغة الثعلب إلى آلهتهم إلى أصنامهم
التي هي في زعمهم آلهة كقوله أين شركائي ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون
استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها فراغ عليهم فأقبل عليهم مستخفيا
كأنه قال فضربهم ضربا لأن راغ عليهم بمعنى ضربهم ○ أو فراغ عليهم
يضربهم ضربا ○ أو فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا ○ وقرئ صفقا ○ وسفقا
ومعناهما الضرب ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا قويا لأن اليمين أقوى
الجارحتين وأشدهما ○ وقيل بالقوة والمتانة ○ وقيل بسبب الحلف وهو
قوله تالله لأكيدن أصنامكم يزفون يسرعون من زفيف النعام ويزفون
من أزف إذا دخل في الزفيف ○ أو من أزفه إذا حمله على الزفيف أي يزف
أي العدو

بعضهم بعضا ○ ويزفون على البناء للمفعول أي يحملون على الزفيف ○ ويزفون
من وزف يزف إذا أسرع ○ ويزفون من زفاه إذا حداه كأن بعضهم يزفو
بعضا لتسارعهم إليه فإن قلت بين هذا وبين قوله قالوا من فعل هذا بآلهتنا
إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم كالتناقض حيث
ذكر هاهنا أنهم أدبروا عنه خيفة العدوى فلما أبصروه يكسرهم أقبلوا
إليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم أنهم سألوا عن الكاسر حتى
قيل لهم سمعنا إبراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففي إحداهما أنهم شاهدوه يكسرها
وفي الآخر أنهم استدلوا بذمه على أنه الكاسر قلت فيه وجهان أحدهما أن
يكون الذين أبصروه وزفوا إليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما
رجع الجمهور والعلية من عيدهم إلى بيت الأصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه
عندها لتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا من فعل
هذا بها لم ينم عليه أولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض
بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف ○ والثاني أن يكسرها ويذهب
ولا يشعر بذلك أحد ويكون إقبالهم إليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم
وسؤالهم عن الكاسر وقولهم قالوا فأتوا به على أعين الناس والله خلقكم وما تعملون
يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام كقوله بل ربكم رب السموات والأرض
الذي فطرهن أي فطر الأصنام فإن قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله
معمولا لهم حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعا قلت هذا كما يقال عمل
النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل أشكال
هذه الأشياء وصورها دون جواهرها والأصنام جواهر وأشكال فخالق
جواهرها الله وعاملوا أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض
أجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه فإن قلت فما أنكرت أن تكون
ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة
قلت أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أن
معنى الآية يأباه إباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك أن الله عز وجل قد احتج

عليهم بان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على ان
العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر ان يصور
نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم ولا كان
لكلامك طباق وشيء آخر وهو ان قوله وما تعملون ترجمة عن قوله ما
تنحتون وما في ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن اختها
الا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن
فان قلت اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما الزمت واريد وما تعملونه من
اعمالكم قلت بل الالزامان في عنقك لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك
وان جعلتها موصولة فانك في ارادتك بها العمل غير محتج على المشركين
كحالك وقد جعلتها مصدرية وايضا فانك قاطع بذلك الوصلة بين ما
تعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الاعيان
التي هي الاصنام وبما تعملون المعاني التي هي الاعمال وفي ذلك فك النظم
وتبتيره كما اذا جعلتها مصدرية الجحيم النار الشديدة الوقود
وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى ان الله تعالى غلبه
عليهم في المقامين جميعا واذلهم بين يديه ارادوا ان يغلبوه بالحجة فلقنه
الله والهمه ما القمهم به الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر فابطل الله
مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه اراد بذهابه الى ربه
مهاجرته الى حيث امره بالمهاجرة اليه من ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي
سيهدين سيرشدني الى ما فيه صلاح ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى
عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين كان الله وعده وقال له سأهديك فاجرى
كلامه على سنن موعد ربه او بناه على عادة الله معه في هدايته وارشاده
او اظهر بذلك توكله وتفويضه امره الى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال
كما قال موسى عليه السلام عسى ربي ان يهديني سواء السبيل هب لي من الصالحين
هب لي بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء
في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا قال عز وجل ووهبنا له

اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن ابي طالب لابن عباس حين هنأه
بولده علي ابي الاملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت
التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب فبشرناه انطوت البشارة على ثلاث
على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واي حلم
اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم وذلك
لعزة وجوده ولقد نعت الله به ابرهيم في قوله ان ابرهيم لاواه حليم
ان ابرهيم لحليم اواه منيب لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا فلما بلغ ان يسعى
مع ابيه في اشغاله وحوائجه فان قلت معه بم يتعلق قلت لا يخلو اما ان يتعلق ببلغ او
بالسعي او بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا
بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي ان يكون بيانا كانه لما قال فلما
بلغ السعي اي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع ابيه والمعنى
في اختصاص الاب انه ارفق الناس به واعطفهم عليه وغيره ربما عنف به
في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ ذاك
ابن ثلث عشرة سنة والمراد انه على غضاضة سنه وتقلبه في حد
الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك
البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم اني ارى في المنام فقيل له اذبح
ابنك ورؤيا الانبياء وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال اني ارى في المنام
اني اذبحك فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى انه راكب
في سفينة رأيت في المنام اني ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية
كان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روّى في
ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي
يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمي
يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر
وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد

وبلغ حدّ السعي معه قيل له اوف بنذرك فانظر ماذا ترى من الرأي
على وجه المشاورة ٥ وقرئ ماذا تُري اي ماذا تبصر من رأيك وتبديه
وماذا تُرى على البناء للمفعول اي ماذا تريك نفسك من الرأي افعل ما تؤمر
اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
او امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به امرا ٥ وقرئ ما تؤمر
به فان قلت لم شاوره في امر هو حتم من الله قلت لم يشاوره ليرجع الى رأيه
ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبّره
ان جزع ويأمن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلّمه حتى يراجع نفسه فيوطنها
ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لـ
امر الله قبل نزوله ولان المغافصة بالذبح مما يستهجن وليكون سنة في المشاورة
فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك فان قلت
لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة قلت كما اُري يوسف عليه السلام سجود ابويه
واخوته له في المنام من غير وحي الى ابيه وكما وعد رسول الله صلعم دخول المسجد
الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة
على كونهم صادقين مصدقين لان الحال اما حال يقظة او حال منام فاذا تظاهرت
الحالتان على الصدق كان ذلك اقوى في الدلالة من انفراد احدهما يقال سلم لامر الله
واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا اذا انقاد له وخضع
واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع
فيه وقولهم سلّم لامر الله واسلم له منقولان منه وحقيقة معناهما اخلص نفسه
لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه
لله ٥ وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتلّه للجبين صرعه
على شقه فوقع احد جبينيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر
وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان ٥ وروي ان ذلك المكان عند
الصخرة التي بمنى ٥ وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى ٥ وعن الضحاك
في المنحر الذي ينحر فيه اليوم فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف تقديره

فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا كان
مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما
لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما
اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان
الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل
لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس البلاء
المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم ٥ او المحنة البينة
الصعوبة التي لا محنة اصعب منها ٥ الذبح اسم ما يذبح ٥ وعن ابن عباس
هو الكبش الذي قرب به هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي
به اسمعيل ٥ وعن الحسن فدي بوعل اهبط عليه من ثبير ٥ وعن ابن عباس
لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة ٥ وذبح الناس ابناءهم عظيم
ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي ٥ وقوله عليه السلام استشرفوا ضحاياكم
فانها على الصراط مطاياكم ٥ وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابرهيم ٥ وروي
انه هرب من ابرهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت
سنة في الرمي ٥ وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند
ذبح ولده ٥ وروي انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح
لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة ٥
وحكي في قصة الذبيح انه حين اراد ذبحه فقال يا بني خذ الحبل والمدية
وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر
فقال له اشدد رباطي لا اضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها
شيء من دمي فينتقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع
امرارها على حلقي حتى تجهز علي ليكون اهون فان الموت شديد واقرأ
على امي سلامي وان رأيت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون
اسهل لها فقال ابرهيم نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله
وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم يعمل لان الله ضرب صفيحة

نحاس على حلقه فقال له كبني على وجهي فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني
وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب
السكين ونودي يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبريل معه كبش
اقرن املح فكبر جبريل والكبش وابرهيم وابنه واتى المنحر من منى
فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود الى الارض جاء الفرج وقد استشهد
ابو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة فان قلت
من كان الذبيح من ولديه قلت قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن
كعب القرظي وجماعة من التابعين انه اسمعيل والحجة فيه ان رسول الله صلعم
قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك
فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له امرها
ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد
ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل وعن محمد بن
كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابرهيم
واسمعيل واسرائيل فقال موسى يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا
قال اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل وانا بين اظهرهم قد اسمعتني
كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يحبني احد حب ابرهيم
قط ولا خير بيني وبين شيء قط الا اختارني واما اسمعيل فانه جاد بدم
نفسه واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط ويدل
عليه ان الله لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق وعن محمد بن كعب انه
قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا لشيء ما كنت انظر فيه
واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي قد اسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم
انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه ان قرني الكبش
كانا منوطين بالكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت وعن الاصمعي
قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك
عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت

او رجع الى الاكل

هو لقب يعقوب واسمه العجمي

وكان ثم احتراق في الجاهلية

قال السائل وادرع اربعين الشاهد من الست والجمعة

مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله تع وصفه بالصبر دون اخيه اسحق في قوله
واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه
بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على
الذبح فوفى به ولان الله بشره باسحق وولده يعقوب في قوله فبشرناها
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد في يعقوب وعن
علي بن ابي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين انه اسحق
والحجة فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله ابرهيم حين هاجر الى الشام بانه استوهبه
ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام
المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق
ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فان قلت قد اوحى الى ابرهيم صلعم في المنام بان يذبح
ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه
الذبح ولم يصح قلت قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه
وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه
وهذا لا يقدح في فعل ابرهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى
مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم
وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء
كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فان قلت الله تع هو المفتدي
منه لانه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه قلت الفادي هو
ابرهيم عليه السلم والله تع وهب له الكبش ليفتدي به وانما قال وفديناه اسنادا
للفداء الى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته فان قلت فاذا
كان ما اتى به ابرهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء و
الفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل قلت قد علم بمنع الله ان حقيقة الذبح
من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام
تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش
بدلا منه فان قلت فاي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغني عنها بقيام ما وجد

او صفوة الله

الشق الى القطع والاوداج جمع الودج وهو عرق في العنق وهما ودجان
اي قطع وجرى
المفتدي عنه الذي يطلب الفداء والمفتدى منه

من ابرهيم مقام الذبح من غير نقصان فلعل العائدة في ذلك لئن يوجد ما منع منه
في بلده حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور و ايجاد المامور به من كل وجه فان قلت
لم قيل ههنا كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص انا كذلك قلت قد سبقه
في هذه القصة انا كذلك فكانما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره
ثانية نبيا حال مقدرة كقوله فادخلوها خالدين فان قلت فرق بين هذا وبين قوله
فادخلوها خالدين وذلك لان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود
معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به
فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله
لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذي
هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة
متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة للفاعل او المفعول
عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها
صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون
موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق قلت هذا
سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير
مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرة
نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله
فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها على سبيل الثناء و
التقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين ۝ وعن قتادة بشره
الله بنبوة اسحق بعدما امتحنه بذبحه ۝ وهذا جواب من يقول الذبيح
اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان يبشره
الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون
نبيا وباركنا عليه وعلى اسحق وقرئ وبركنا اي افضنا عليهما بركات
الدين والدنيا كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن
الصالحين ۝ وقيل باركنا على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا

انبياء بني اسرائيل من صلبه ۝ وقوله وظالم لنفسه نظيره ومن ذريتي
قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبث والطيب لا يجري
امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما
يهدم امر الطبائع والعناصر وعلى ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب
والنقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه
لا على ما وجد من اصله او فرعه من الكرب العظيم من الغرق او من سلطان
فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما
وقومهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة كما قال
انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور وقال من جوز ان تكون التوراة عربية
ان يشتق من ورى الزند فوعلة منه على ان التاء مبدلة من واو الصراط
المستقيم صراط اهل الاسلام وهو صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين ۝ وقرئ الياس بكسر الهمزة ۝ والياس على لفظ الوصل ۝ وقيل
هو ادريس النبي ۝ وقرا ابن مسعود ۝ وان ادريس في موضع الياس ۝
وقرئ ادراس ۝ وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون اخي موسى اتدعون
بعلا اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل ۝ وقيل كان من
ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى
اخدموه اربع مائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان يدخل جوف
بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم
اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك ۝ وقيل البعل
الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون
بعض البعول وتتركون عبادة الله الله ربكم ورب آبائكم قرئ
بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف
رفع ۝ وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين وادرسين
على انها لغة في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية
معنى ۝ وقرئ على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه

اي لبعض الاصنام والمعنى على القول الآخر

كقولهم الخبيبون والمهلبون فإن قلت فهلا حملت على هذا إلياسين على القطع وأخواته
قلت لو كان جمعًا لعُرّف بالألف واللام وأما من قرأ على آل ياسين فعلى أن ياسين اسم
أبي إلياس أضيف إليه الآل مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم
في متاجركم إلى الشام ليلًا ونهارًا أفما فيكم عقول تعتبرون بها وقرئ يونس بضم
النون وكسرها وسمي هربه من قومه بغير إذن ربه إباقًا على طريقة المجاز
والمساهمة المقارعة يقال استهم القوم إذا اقترعوا والمدحض المغلوب
المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روي أنه حين ركب
في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد أبق من سيده وفيما يزعم البحارون أن
السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال
أنا الآبق وزج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في الملامة
يقال رب لائم مليم أي يلوم غيره وهو أحق منه باللوم وقرئ مَليم بفتح الميم
من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيًا على شيب ونحوه مدعي بناء على
دعي من المسبحين من الذاكرين الله كثيرًا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله
في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن
عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وعن قتادة كان كثير الصلاة في الرخاء
قال وكان يقال إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر وإذا صرع وجد متكأ
وهذا ترغيب من الله عز وجل في إكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله وإقباله
على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة
لينفعه ذلك عنده في المضايق والشدائد للبث في بطنه الظاهر لبثه
فيه حيًا إلى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرًا إلى يوم القيامة
وروي أنه حين ابتلعه أوحى الله إلى الحوت إني جعلت بطنك له سجنًا ولم أجعله
لك طعامًا واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي أربعون يومًا وعن الضحاك
عشرون وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث إلا قليلًا ثم أخرج
من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه وروي أن الحوت سار مع السفينة رافعًا
رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر فلفظه

سالمًا لم يتغير منه شيء فأسلموا وروي أن الحوت قذفه بساحل قرية
من الموصل والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه وهو سقيم اعتل
مما حل به وروي أنه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد واليقطين كل
ما ينسدح على وجه الأرض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل
وهو يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به وقيل هو الدباء وفائدة الدباء
أن الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلعم إنك لتحب القرع قال أجل
هي شجرة أخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقه
واستظل بأغصانها وأفطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت
وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها وروي أنه مر زمان على الشجرة
فيبست فبكى جزعًا فأوحى إليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة ألف بيد الكافر
فإن قلت ما معنى وأنبتنا عليه شجرة قلت أنبتناها فوقه مظلة له
كما يطنب البيت على الإنسان وأرسلناه إلى مائة ألف المراد به ما سبق من إرساله
إلى قومه وهم أهل نينوى وقيل هو إرسال ثان بعد ما جرى عليه إلى
الأولين أو إلى غيرهم وقيل أسلموا فسألوه أن يرجع إليهم فأبى لأن النبي
إذا هاجر عن قومه لم يرجع إليهم مقيمًا فيهم وقال لهم إن الله باعث إليكم نبيًا
أو يزيدون في مرأى الناظر أي إذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر
والغرض الوصف بالكثرة إلى حين إلى أجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى
حين فاستفتهم معطوف على مثله في أول السورة وإن تباعدت بينهما المسافة
أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولًا ثم ساق الكلام موصولًا
بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا
لله الإناث ولأنفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة
لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة أنواع
من الكفر أحدها التجسيم لأن الولادة مختصة بالأجسام والثاني تفضيل
أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم كما قال وإذا بشر أحدهم
بما ضرب للرحمن مثلًا ظل وجهه مسودًا وهو كظيم أو من ينشؤا في الحلية

اى علوا فاستفتهم اهم اشد خلقا

وهو في الخصام غير مبين ه والثالث أنهم استهانوا بأكرم خلق الله عليه وأقربهم إليه حيث أنثوهم ولو قيل لأقلهم وأدناهم فيك أنوثة أو شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في أهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه الأنواع كلها في كتابه مرات ودل على فظاعتها في آيات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه ه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ه ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أم له البنات ولكم البنون ه ويجعلون لله ما يكرهون ه أصطفى البنات على البنين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون فإن قلت لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة قلت ما هو إلا استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله أشهدوا خلقهم ونحوه ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وذلك أنهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا بأخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ه ويجوز أن يكون المعنى أنهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمأنينة نفس لإفراط جهلهم كأنهم قد شاهدوا خلقهم ه وقرئ ولد الله أي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدي وهو ولدي فإن قلت أصطفى البنات بفتح الهمزة استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة أبي جعفر بكسر الهمزة على الإثبات قلت جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله ه وقد قرأ بها حمزة والأعمش وهذه القراءة وإن كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي أضعفها أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وإنهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للإثبات فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين ه وقرئ تذكرون من ذكر أم لكم سلطان أي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بأن الملائكة بنات الله فأتوا بكتابكم الذي أنزل عليكم في ذلك كقوله أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وإنكار فظيع

ومن جمع الحجية

والولد بمعنى الولد والمولود فعل وفعل بمعنى مفعول كالنقض والنقض والخبث والخبيث والذكر والخطب ه

٢٤٩

واستبعاد لأقاويلهم شديد وما الأساليب التي وردت عليها إلا ناطقة بتسفيه أحلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من أن تخطر مخطر مثل ذلك على باله وتحدث به نفسا فضلا أن تجعله معتقدا أو تتظاهر به مذهبا وجعلوا بين الله وبين الجنة وأراد الملائكة نسبا وهو زعمهم أنهم بنات الله والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم وأثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة فإن قلت لم سمى الملائكة جنة قلت قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وإنما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وإن كانوا معظمين في أنفسهم أن يبلغوا منزلة المناسبة التي أضافوها إليهم ه وفيه إشارة إلى أن من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الأجرام لا يصلح أن يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله أن تسوي بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك أتسوي بيني وبين عبدي وإذا ذكره في غير هذا المقام وقره وكناه ه والضمير في إنهم لمحضرون للكفرة والمعنى أنهم يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علم الملائكة أنهم في ذلك كاذبون مفترون وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث أضيف إلى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة ه وقيل قالوا إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا إن الله والشيطان أخوان ه وعن الحسن أشركوا الجن في طاعة الله ه ويجوز إذا فسرت الجنة بالشياطين أن يكون الضمير في إنهم لمحضرون لهم والمعنى أن الشياطين عالمون أن الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له أو شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم إلا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ه ويجوز أن يقع الاستثناء من الواو في يصفون أي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين برآء من أن يصفوه به ه والضمير في عليه لله عز وجل ه ومعناه فإنكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعا بفاتنين على الله إلا أصحاب النار الذين سبق في علمه أنهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها فإن قلت كيف يفتنونهم على الله قلت

وضع منه فلان إذا أحط من درجته ه

وقيل من هذا المقول المنسي ... ليس يأكل إلا الميتة الضبع ه

يفسد ونمّم عليه باغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته
كما تقول افسدها عليه وخبّبها عليه ○ ويجوز ان يكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع
مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته
وان كل رجل وضيعته جاز ان يسكت على فانكم وما تعبدون لان قوله
وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم
مع الهتكم اي فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم
عليه اي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال
الا من هو ضال مثلكم او يكون في اسلوب قوله ○ فانك والكتاب الى علي
كدابغة وقد حلم الاديم ○ وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلثة اوجه
احدها ان يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هي ولام المعرّف فان قلت
كيف استقام الجمع مع قوله من هو قلت من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو
على لفظه والصالون على معناه كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في
اية واحدة ○ والثاني ان يكون اصله صائل على القلب ثم يقال صال في صائل
كقولهم شاك في شائك ○ والثالث ان تحذف لام صال تخفيفا ويجرى الاعراب
على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية
من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنا الجنتين دان وله الجوار المنشآت
باجراء الاعراب على العين ○ وما منا احد الا له مقام معلوم فحذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه كقوله ○ انا ابن جلا وطلاع الثنايا ○
بكفي كان من ارمى البشر ○ مقام معلوم مقام في العبادة والانتهاء
الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع
راسه لنحن الصافون نصف اقدامنا في الصلوة ○ او اجنحتنا في الهواء
منتظرين ما نؤمر ○ وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين ○ وقيل
ان المسلمين انما اصطفوا في الصلوة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف احد
من اهل الملل في صلواتهم غير المسلمين المسبحون المنزهون ○ او المصلون والوجه
ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم

في قوله ولقد علمت الجنة كانه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين
مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك
واستثنوا عباد الله المخلصين وبرأوهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح
ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه
الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وارادته تعالى الله عما
يقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة
ويجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل
منا مقام من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا
لجلاله ونحن الصافون اقدامنا لعبادته او اجنحتنا مذعنين خاضعين
مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله
يعني وما من المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ○ ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون
في الصلوة ويسبحون الله وينزهونه عما يضيف اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه
هم مشركو قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من كتب
الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لاخلصنا العبادة لله ولما
كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار
والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب ○ فكفروا به ونحوه ○ فلما جاءهم
نذير ما زادهم الا نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من
الانتقام وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم كانوا
يقولونه مؤكدين للقول جادين فكم بين اول امرهم وآخره ○ الكلمة
قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهي كلمات
عدة لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة ○ وقرئ كلماتنا
والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال
في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة ○ كما قال والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة
ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم

ولمن بعدهم في العاقبة ولقي مشاهد رسول الله والخلفاء الراشدين مثل الخندق
عليها وعجم يعتبر بها. وعن الحسن رحمه الله ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولأن
قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وإن وقع في تضاعيف
ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب. وعن ابن عباس إن لم ينصروا
في الدنيا نصروا في الآخرة. وفي قراءة ابن مسعود على عباده على تضمين سبقت معنى حقت
فتول عنهم فأعرض عنهم وأغض على أذاهم حتى حين إلى مدة يسيرة وهي مدة
الكف عن القتال. وعن السدي إلى يوم بدر. وقيل إلى الموت. وقيل إلى يوم القيامة
وأبصرهم وما يقضى عليهم من الأسر والقتل والعذاب في الآخرة فسوف يبصرون
ما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب في العاقبة والمراد بالأمر بإبصارهم
على الحال المنتظرة الموعودة التي لا لبث على أنها كائنة واقعة لا محالة وأن كينونتها
قريبة كأنها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه. وقوله فسوف
يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد. مثل العذاب النازل بهم بعدما
أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا
إلى إنذاره ولا أخذوا أهبتهم ولا دبروا أمرهم تدبيرا ينجيهم حتى
أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم
أن يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وإن وقعت في وقت آخر. وما فصحت
هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك
إلا لمجيئها على طريقة التمثيل. وقرأ ابن مسعود فبئس صباح. وقرئ نزل
بساحتهم على إسناده إلى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على نزل العذاب
والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من
أنذروا لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك. وقيل هو نزول رسول الله يوم الفتح
بمكة. وعن أنس رض لما أتى رسول الله خيبر وكانوا خارجين إلى مزارعهم
ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا إلى حصنهم فقال عليه السلام الله أكبر
خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وإنما ثنى
وتول عنهم ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد إلى تأكيد وفيه

فائدة زائدة وهي إطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون
ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة. وقيل أريد بأحدهما
عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة. أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها
كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق. ويجوز أن يراد أنه ما من
عزة لأحد من الملوك وغيرهم إلا وهو ربها ومالكها لقوله تعز من تشاء. اشتملت السورة
على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا إليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون
من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيهه
ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين
على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا
به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد. وعن علي رض
من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا
قام من مجلسه سبحان ربك إلى آخر السورة. عن رسول الله صلى الله عليه
من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان
وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة منه

سورة ص مكية وهي ست وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم صاد على الوقف وهي أكثر القراء
وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن ينتصب بحذف حرف القسم وإيصال فعله
كقولهم الله لأفعلن بالنصب أو بإضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن
بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لأنها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ
صاد بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل. وقيل فيمن كسر هو من المصاداة
وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الأماكن الخالية
من الأجسام الصلبة ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن
نواهيه. فإن قلت قوله ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق
كلام ظاهره متناف غير منتظم فما وجه انتظامه؟ قلت فيه وجهان أحدهما
أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه

على الإعجاز كما مرّ في أول الكتاب ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي
عليه كأنه قال والقرآن ذي الذكر إنه لكلام معجز والثاني أن يكون صاد
خبر مبتدأ محذوف على أنها اسم للسورة كأنه قال هذه ص يعني هذه
السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله
تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال أقسمت
بصاد والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة
واستكبار عن الإذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله
وإذا جعلتها مقسماً بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك أن
تريد بالقرآن التنزيل كله وأن تريد السورة بعينها ومعناه أقسم
بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم
وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف و
الشهرة من قولك فلان مذكور وإنه لذكر لك ولقومك أو الذكرى
والموعظة أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع وغيرها كأقاصيص
الأنبياء والوعد والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما
وتفاقمهما وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق
كم أهلكنا وعيد لذوي العزة والشقاق فنادوا فدعوا واستغاثوا
وعن الحسن فنادوا بالتوبة ولات هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث
كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على
الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضييها إما الاسم وإما الخبر وامتنع
بروزهما جميعاً وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الأخفش أنها
لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الأحيان وحين مناص منصوب
بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم وعنه أن ما ينتصب بعده بفعل مضمر أي
ولا أرى حين مناص ويرتفع بالابتداء أي ولا حين مناص كائن لهم وعندهما
أن النصب على ولات الحين حين مناص أي وليس الحين حين مناص والرفع
على ولات حين مناص حاصلاً لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول أبي زبيد
الطائي

طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن لات حين بقاء فإن قلت
ما وجه الكسر في أوان قلت شبه بإذ في قوله وأنت إذ صحيح في أنه زمان
قطع منه المضاف إليه وعوض التنوين لأن الأصل ولات أوان صلح فإن قلت
فما تقول في حين مناص والمضاف إليه قائم قلت نزل قطع المضاف إليه من مناص
لأن أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف إليه
وجعل تنوينه عوضاً من الضمير المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافاً إلى غير متمكن
وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير فإن قلت كيف يوقف على لات قلت
يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذي تتصل به تاء التأنيث وأما الكسائي
فيقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة وأما قول أبي عبيد إن التاء
داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين في الإمام
لا متشبث به فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط والمناص
المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه إذا فاته واستناص طلب المناص
قال حارثة بن بدر غمر الجراء إذا قصرت عنانه بيدي استناص ورام جري المسحل
منذر منهم رسول من أنفسهم وقال الكافرون ولم يقل وقالوا إظهاراً
للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يتجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون
في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم أولئك هم الكافرون حقاً وهل ترى
كفراً أعظم وجهلاً أبلغ من أن يسموا من صدقه الله بوحيه كاذباً ويتعجبوا
من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل
الذي لا وجه لصحته روي أن إسلام عمر رضي الله عنه فرح به المؤمنون فرحاً شديداً
وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفساً من صناديدهم ومشوا
إلى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون
الذين دخلوا في الإسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر
أبو طالب رسول الله وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل
كل الميل على قومك فقال صلعم ماذا تسألوني قالوا ارفضنا وارفض ذكر
آلهتنا وندعك وإلهك فقال عليه السلام أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطيّ

أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشرا أي
نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا أجعل
الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب أي بليغ في العجب وقرئ عجّاب بالتشديد
كقوله مكرا كبّارا وهو أبلغ من المخفف ونظيره كريم وكرّام وكبير وكبّار وقوله
أجعل الآلهة إلها واحدا مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا في أن
معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كأنه قال أجعل الجماعة واحدا
في قوله لأن ذلك في الفعل محال وانطلق الملأ أشراف قريش يريدون وانطلقوا عن مجلس أبي طالب
بعدما بكّتهم رسول الله بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا
فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد إن هذا لشيء يراد يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه
وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر أو إن هذا الأمر لشيء
من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه أو إن دينكم لشيء يراد أي يطلب
ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وأن بمعنى أي لأن المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد
لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز
أن يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وأنهم قالوا امشوا أي اكثروا واجتمعوا من
مشت المرأة إذا كثرت ولادها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افشوا ماشيتكم ومعنى واصبروا على آلهتكم واصبروا على عبادتها
والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا بغير أن على إضمار
القول وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا في الملة الآخرة
في ملة عيسى التي هي آخر الملل لأن النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة
أو في ملة قريش التي أدركنا عليها آباءنا أو ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الآخرة
على أن يجعل في الملة الآخرة حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجه الأول والمعنى أنا
لم نسمع من أهل الكتاب ولا الكهان أنه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله ما هذا إلا اختلاق
أي افتعال وكذب أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل
عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الإنكار
ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوة من بينهم

بل هم في شك من ذكري من القرآن يقولون في أنفسهم إما وإما وقولهم إن هذا إلا اختلاق
كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فإذا
ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسهم
العذاب مضطرين إلى تصديقه أم عندهم خزائن رحمة ربك يعني ما هم بمالكي خزائن
الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم
ويترفعوا بها عن محمد عليه السلام وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر
على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه
حكمته وعدله كما قال أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا ثم رشح هذا المعنى فقال
أم لهم ملك السموات والأرض حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية
التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فإن
كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي
يميزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النبوة دون من لا تحق له فليرتقوا في الأسباب
فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا
أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي إلى من يختارون ويستصوبون ثم خسأهم
خسأة عن ذلك بقوله جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب يريد ما هم إلا
جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال
بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول
امرئ القيس وحديث ما على قصره إلا أنه على سبيل الهزء وهنالك إشارة
إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم
لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك ذو الأوتاد أصله من ثبات البيت المطنب
بأوتاده قال والبيت لا يبتنى إلا على عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الأمر كما قال الأسود في ظل ملك ثابت
وقيل كان يشبح المعذب بين أربع سوار كل طرف من أطرافه إلى سارية
مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين أربعة
أوتاد في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها

أُولَئِكَ الأحزاب قصد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم أولا في الجملة الخبرية على وجه الإبهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه ثم قال فحق عقاب أي فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم هؤلاء أهل مكة ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب لاستحضارهم بالذكر أو لأنهم كالحضور عند الله والصيحة النفخة ما لها من فواق وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن عباس ما لها من رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر إلى ضرعها يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد القط القسط من الشيء لأنه قطعة منه من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله عجل لنا قطنا أي نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلعم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها فإن قلت كيف تطابق قوله اصبر على ما يقولون وقوله واذكر عبدنا داود حتى عطف أحدهما على صاحبه قلت كأنه قال لنبيه عليه السلام اصبر على ما يقولون وعظم أمر معصية الله في أعينهم بذكر قصة داود وهو أنه نبي من أنبياء الله قد أولاه ما أولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث إليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال مجددا للندم عليها

فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم أو قال له صلعم اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم واذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته إلى البغي ما لقي ذا الأيد ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه بأعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان أيد وذو أيد وآد وإياد كل شيء ما يتقوى به أواب تواب رجاع إلى مرضاة الله فإن قلت ما دلك على أن الأيد القوة في الدين قلت قوله إنه أواب لأنه تعليل لذي الأيد والإشراق ووقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ دخل علينا رسول الله صلعم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلوة الإشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلوة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق وقال كانت صلوة يصليها داود عليه السلام وعنه ما عرفت صلوة الضحى إلا بهذه الآية وعنه لم يزل في نفسي من صلوة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في هذه الآية يسبحن بالعشي والإشراق وكان لا يصلي صلوة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب أنه قال لابن عباس إني لأجد في كتب الله صلوة بعد طلوع الشمس فقال أنا أوجدك ذلك في كتاب الله يعني هذه الآية ويحتمل أن يكون من أشرق القوم إذا دخلوا في الشروق ومنه قوله فأخذتهم الصيحة مشرقين وقول أهل الجاهلية أشرق ثبير كيما نغير ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن في معنى مسبحات على الحال فإن قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات قلت نعم وما اختير يسبحن على مسبحات إلا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الأعشى إلى ضوء نار في يفاع تحرق ولو قال محرقة لم يكن شيئا وقوله محشورة في مقابلة يسبحن إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة

على الحدوث شيئاً بعد شيء جيء به اسماً لا فعلاً وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير
يحشرن على ان الحشر يوجد من حاشرها شيئاً بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل
لكان خلفاً لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة ٥ وعن ابن عباس رض
كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها
وقرئ والطير محشورة بالرفع **كل له اواب** كل واحد من الجبال والطير
لاجل داود اى لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب
موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى
فعله رجوعاً بعد رجوع ٥ واما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله
وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه
وقيل الضمير لله اى كل من داود والجبال والطير لله اواب اى مسبح مرجع
للتسبيح **وشددنا ملكه** قويناه قال سنشد عضدك ٥ وقرئ شددنا
على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه ٥
وقيل الذى شد الله به ملكه وقذف فى قلوب قومه الهيبة ان رجلا ادعى
عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى اليه فى المنام ان اقتل
المدعى عليه فقال هذا منام فاعيد الوحى فى اليقظة فاعلم الرجل فقال
ان الله لم ياخذنى بهذا الذنب ولكن بانى قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال
الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عليه فقتله فهابوه ٥ الحكمة الزبور
وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة الفصل التمييز بين
الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام
ملتبس وفى كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل فى نقيضه فصل اى مفصول بعضه
من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من يخاطب به
لا يلتبس عليه ٥ ومن فصل الخطاب وملخصه ان لا يخطئ صاحبه مظان الفصل
والوصل فلا يقف فى كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين
الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وانتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك
وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ٥ وان شئت

كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور واردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب
الذى يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطا وهو كلامه
فى القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات ٥ وعن على ابن ابى طالب رض هو قوله
البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه
قول بعضهم هو قوله اما بعد لانه يفتتح اذا تكلم فى الامر الذى له شان بذكر الله
وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله
بقوله اما بعد ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع
ممل ومنه ما جاء فى صفة كلام رسول الله صلعم فصل لا نزر ولا هذر ٥ كان اهل
زمان داود يسال بعضهم بعضاً ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته
وكانت لهم عادة فى المواساة بذلك قد اعتادوها وقد روينا ان الانصار كانوا
يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان عين داود وقعت على امراة رجل
يقال له اوريا فاحبها فساله النزول له عنها فاستحيى ان يرده ففعل
فتزوجها وهى ام سليمن فقيل له انك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك
وكبر شانك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك ان تسال رجلا ليس له الا امراة
واحدة النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر
على ما امتحنت به ٥ وقيل خطبها اوريا ثم خطبها داود فآثره اهلها
فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه ٥ واما ما يذكر
ان داود تمنى منزلة آبائه ابرهيم واسحق ويعقوب فقال يا رب ان آبائى
قد ذهبوا بالخير كله فاوحى اليه انهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها قد ابتلى
ابرهيم بنمروذ وذبح ولده واسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب
بالحزن على يوسف فسال الابتلاء فاوحى اليه انك لمبتلى فى يوم كذا وكذا
فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلى ويقرا
الزبور فجاءه الشيطان فى صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها
لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت فى كوة فتبعها
فابصر امراة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهى امراة اوريا

وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث
اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى
يفتح الله على يده او يستشهد ففتح الله على يده وسلم فامر برده مرة اخرى و
ثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امراته
فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا
عن بعض اعلام الانبياء وعن سعيد بن المسيب والحارث الاعور ان علي بن ابي طالب رض
قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين
وهو حد الفرية على الانبياء وروي انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز
وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب
الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت
وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه قال عمر لسماعي هذا الكلام
احب الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضرب الله لقصته
عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المراة ان ينزل له عنها فحسب فان قلت لم جاءت
على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح قلت لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان التامل
اذا اداه الى الشعور بالمعرض به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم
اثرا فيه واجلب لاحتشامه وحيائه وادعى الى التنبه على الخطاء فيه من ان يباده
به صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة الا ترى الى الحكماء كيف اوصوا في
سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بان يعرض له بانكارها عليه ولا يصرح
وان تحكى له حكاية ملاحظة لحاله اذا تاملها استسمج حال صاحب الحكاية
فاستسمج حال نفسه وذلك ازجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشانه
فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين الوالد و
الولد من حجاب الحشمة فان قلت فلم كان ذلك على وجه التحاكم اليه قلت ليحكم بما حكم
به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا
على نفسه بظلمه وهل اتيك نبا الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة
على انه من الانباء العجيبة التي حقها ان تشيع ولا تخفى على احد والتشويق الى استماعه

النعجة البقرة الوحشية والشاة

والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف ابرهيم
المكرمين لانه مصدر في اصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا فان قلت
هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك قلت معنى خصمان فريقان خصمان
والدليل عليه قراءة من قرا خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله هذان خصمان
اختصموا فان قلت فما تصنع بقوله ان هذا اخي وهو دليل على اثنين قلت هذا
قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض فان قلت فقد جاء في الرواية انه بعث اليه
ملكان قلت معناه ان التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك ان يصحبهما آخرون فان قلت
فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما في قوله نبا الخصم وخصمان قلت
لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به فان قلت
بم انتصب اذ قلت لا يخلو اما ان ينتصب باتاك او بالنبا او بمحذوف فلا يسوغ انتصابه
باتاك لان اتيان النبا رسول الله لا يقع الا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبا
لان النبا الواقع في عهد داود لا يصح اتيانه رسول الله وان اردت بالنبا القصة
في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان ينتصب بمحذوف وتقديره وهل اتاك نبا تحاكم الخصم
ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل واما اذ الثانية فبدل من الاولى تسوروا
المحراب تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الابنية
تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته روي ان الله بعث اليه ملكين
في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس
فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم قال ابن عباس
ان داود عليه السلام جزا زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما
للاشتغال بخواص اموره ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه
في غير يوم القضاء ففزع منهم ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس
حوله لا يتركون من يدخل عليه خصمان خبر مبتدا محذوف اي نحن خصمان ولا تشطط
ولا تجر وقرئ ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط
وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق وسواء الصراط وسطه
ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه اخي بدل من هذا او خبر لان والمراد

... ولو ملت الوجه مع هذا التفسير الآخر. قال عمر بن أبي ربيعة: فظللت أرعاها وظل يحوطها حتى دنوت إذ
... رميت غفلة عينه عن شاته فأصبت حبة قلبها وطحالها. قوله أرعاها أي أحفظها وأرقبها أو أنظر إليها
... سوا أيضا يعني زوجها أو رقيبها حتى إذا جاء الليل دنوت إليها ونظرت إليها نظر كالرمية حال غفلة عين الزوج
... الطرح التي كالرمية حبة قلبها وأصبت طحالها. قال عنترة بن شداد: يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي
... بالتحريك الصيد وما رأيت قنص محمود بإضافة الشاة إليه ويجوز أن تكون التقدير يا شاة رجل ذي قنص ورجل قانص
... ولها سولا، استعدوا لها لأوان شاة قنص لمن حلت له فتعجبوا من حسنها وجمالها يعني أنها حسنة جميلة تمنع

أخوة الدين، أو أخوة الصداقة والألفة، أو أخوة الشركة والخلطة
لقوله تعالى: وإن كثيرا من الخلطاء. وكل واحدة من هذه الأخوات تدلي بحق
مانع من الاعتداء والظلم. وقرئ: تسع وتسعون بفتح التاء. ونعجة بكسر النون
وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة. أكفلنيها ملكنيها
وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي. وعزني وغلبني؛ يقال عزه يعزه
قال: قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح. يريد: جاءني
بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرده به. وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل
أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا أي غالبني في الخطبة فغلبني
حيث زوجها دوني. وقرئ: وعازني من المعازة وهي المغالبة. وقرأ أبو حيوة
وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكأنه قاسه على نحو ظلت
ومست. فإن قلت: ما معنى ذكر النعاج؟ قلت: كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا
وكلامهم تمثيلا لأن التمثيل أبلغ في التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على أنه أمر يستحيا
من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الإفصاح به وللستر على داود
والاحتفاظ بحرمته. ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصته بقصة رجل
له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة
فطمع في نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه وحاجه في ذلك
محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله: وإن كثيرا من الخلطاء.
وإنما خص هذه القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعجة. فإن قلت:
إنما تستقيم طريقة التمثيل إذا فسرت الخطاب بالجدال، فإن فسرته با
لمغالبة في الخطبة لم تستقم. قلت: الوجه مع هذا التفسير أن أجعل النعجة
استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله: يا شاة ما قنص لمن
فرميت غفلة عينه عن شاته. وشبهها بالنعجة من قال:
كنعاج الملا تعسفن رملا. لولا أن الخلطاء يأباه إلا أن يضرب داود
الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم. فإن قلت: الملائكة عليهم السلام كيف
صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا به ولا هو من شأنهم. قلت:

هو تصوير للمسألة وفرض لها فصوروها في أنفسهم وكانوا في صورة الأناسي كما تقول
في تصوير المسائل: زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون وأنت تشير إليهما فخلطاها
وحال عليها الحول كم يجب فيها؟ وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد. وتقول أيضا
في تصويرها: لي أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها وما لكما من أربعين أربعة
ولا ربعها. فإن قلت: ما وجه قراءة ابن مسعود: ولي نعجة أنثى؟ قلت: يقال
امرأة أنثى للحسناء الجميلة، والمعنى وصفها بالعراقة في لين الأنوثة
وفتورها وذلك أملح لها وأزيد في تكسرها وتثنيها، ألا ترى إلى وصفهم
لها بالكسول والمكسال. وقوله: فتور القيام قطيع الكلام. وقوله:
تمشي رويدا تكاد تنغرف. لقد ظلمك جواب قسم محذوف، وفي ذلك
استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه. والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول
كقوله: من دعاء الخير. وقد ضمن معنى الإضافة فعدي تعديتها كأنه قيل بإضافة
نعجتك إلى نعاجه على وجه السؤال والطلب. فإن قلت: كيف سارع إلى تصديق
أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه؟ قلت: ما قال ذلك إلا بعد اعتراف
صاحبه، ولكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم. ويروى أنه قال: أنا أريد أن آخذها
منه وأكمل نعاجي مائة، فقال داود: إن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا
وأشار إلى طرف الأنف والجبهة، فقال: يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا
وأنت فعلت كيت وكيت، ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه. والخلطاء
الشركاء الذين خلطوا أموالهم، الواحد خليط، وهي الخلطة. وقد غلبت في الماشية
والشافعي يعتبرها، فإذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير
مقسومة، أو لكل واحد منهما ماشية على حدة إلا أن مراحهما ومسقاهما
وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان
زكاة الواحد، فإن كانت لهما أربعون شاة فعليهما شاة، وإن كانوا ثلاثة
ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد.
وعند أبي حنيفة لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد
ففي أربعين بين خليطين لا شيء عنده، وفي مائة وعشرين بين ثلاثة

بلغت شياهه. فإن قلت: فهذه الخلطة ما تقول فيها؟ قلت: عليهما شاة واحدة،
فيجب على ذى النعجة أداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعى وعند
أبى حنيفة لا شيء عليه. فإن قلت: ماذا أراد بذكر حال الخلطاء فى ذلك
المقام؟ قلت: قصد به الموعظة الحسنة والترغيب فى إيثار عادة الخلطاء
الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة، وأن يكره إليهم الظلم والاعتداء الذى
عليه أكثرهم مع التأسف على حالهم، وأن يسلى المظلوم عما جرى عليه
من خليطه وأن له فى أكثر الخلطاء أسوة. وقرئ: ليبغى بفتح الياء
على تقدير النون الخفيفة وحذفها، كقوله: اضرب عنك الهموم طارقها، وهو
جواب قسم محذوف، وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة. وما فى
وقليل ما هم للإبهام، وفيه تعجب من قلتهم، وإن أردت أن تتحقق فائدتها وموقعها
فاطرحها من قول امرئ القيس: وحديث ما على قصره، وانظر هل
بقى له معنى قط. لما كان الظن الغالب يدانى العلم استعير له، ومعناه
وعلم داود وأيقن. أنما فتناه: أنما ابتليناه لا محالة بامرأة أوريا هل
يثبت أم يزل. وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة، وافتناه من قوله:
لئن فتنتنى لهى بالأمس أفتنت. وفتناه وفتناه على أن الألف ضمير الملكين.
وعبر بالراكع عن الساجد لأنه ينحنى ويخضع كالساجد، وبه استشهد أبو حنيفة
وأصحابه فى سجدة التلاوة على أن الركوع يقوم مقام السجود. وعن الحسن
لأنه لا يكون ساجدا حتى يركع. ويجوز أن يكون قد استغفر الله لذنبه وأحرم
بركعتى الاستغفار والإنابة، فيكون المعنى: وخر للسجود راكعا أى مصليا
لأن الركوع يجعل عبارة عن الصلاة. وأناب: ورجع إلى الله بالتوبة
والتنصل. وروى أنه بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه إلا
لصلاة مكتوبة أو ما لا بد منه، ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه
إلى رأسه، ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمع، وجهد نفسه راغبا إلى الله فى
العفو عنه حتى كاد يهلك، واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له
يقال له إيشا على ملكه ودعا إلى نفسه، واجتمع إليه أهل الزيغ من بنى إسرائيل

بلامام

ايها العظيم وذلك الحديث على قصره

فلما غفر له حاربه فهزمه. وروى أنه نقش خطيئته فى كفه حتى
لا ينساها. وقيل: إن الخصمين كانا من الإنس، وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما:
إما كانا خليطين فى الغنم، وإما كان أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهائر
والسرارى، والثانى معسر ما له إلا امرأة واحدة، فاستنزله عنها،
وإنما فزع لدخولهما عليه فى غير وقت الحكومة أن يكونا مغتالين. وما كان
ذنب داود إلا أنه صدق أحدهما على الآخر وظلمه قبل مسألته. خليفة فى الأرض:
أى استخلفناك على الملك فى الأرض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد
ويملكه عليها. ومنه قولهم: خلفاء الله فى أرضه. أو جعلناك خليفة
ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق. وفيه دليل على أن حاله بعد
التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير. فاحكم بين الناس بالحق: بحكم الله
إذ كنت خليفته. ولا تتبع هوى النفس فى قضائك وغيره مما تتصرف فيه
من أسباب الدين والدنيا. فيضلك الهوى فيكون سببا لضلالك
عن سبيل الله: عن دلائله التى نصبها فى العقول وعن شرائعه التى شرعها
وأوحى بها. بما نسوا يوم الحساب: متعلق بنسوا، أى بنسيانهم يوم الحساب،
أو بقوله لهم، أى لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم
عن سبيل الله. وعن بعض خلفاء بنى مروان أنه قال لعمر بن عبد
العزيز أو للزهرى: هل سمعت ما بلغنا؟ قال: وما هو؟ قال: بلغنا أن الخليفة
لا يجرى عليه القلم ولا تكتب عليه معصية. فقال: يا أمير المؤمنين
الخلفاء أفضل أم الأنبياء؟ ثم تلا هذه الآية. باطلا: خلقا باطلا
لا لغرض صحيح وحكمة بالغة، أو مبطلين عابثين، كقوله: وما خلقنا
السماء والأرض وما بينهما لاعبين، ما خلقناهما إلا بالحق، وتقديره
ذوى باطل، أو عبثا، فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيئا موضع المصدر
وهو صفة. أى ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب، ولكن للحق المبين،
وهو أن خلقنا نفوسا أودعناها العقل والتمييز، ومنحناها التمكين،
وأزحنا عللها، ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف، وأعددنا لها

فهو صفة مصدر محذوف

ومعنى الحق

أعددنا

عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم • ذلك اشارة الى خلقها باطلا • والظن بمعنى المظنون اى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا فان قلت اذا كانوا مقرين بان الله خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة قلت لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذى سيقت اليه الحكمة فى خلق العالم من رأسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة فى خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار • ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما • وقرئ مباركا وليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب • وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذى يؤدى الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها • وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما اسقطت منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى للقرآن عليه اثر فى خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا كثر الله فى الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين • وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا اليه بالتوبة او مسبحا مؤوبا للتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب اواب • والصافن الذى فى قوله

ألف الصفون فما يزال كأنه ... مما يقوم على الثلاث كسيرا

وقيل الذى يقوم على طرف سنبك يد او رجل هو المتخيم • واما الصافن فالذى يجمع بين يديه

وعن النبى صلعم من سره ان يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار • اى واقفين كما يخدم الجبابرة • فان قلت ما معنى وصفها بالصفون قلت الصفون لا يكاد يكون فى الهجن وانما هو فى العراب الخلص • وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها • وروى ان سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس • وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة • وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعدما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر • او عن ورد من الذكر كان له وقت العشى وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله وبقى مائة فما فى ايدى الناس من الجياد فمن نسلها • وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا منها وهى الريح تجرى بامره • فان قلت ما معنى احببت حب الخير عن ذكر ربى قلت احببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربى او جعلت حب الخير مجزيا او مغنيا عن ذكر ربى • وذكر ابو الفتح الهمدانى فى كتاب التبيان ان احببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا • وليس بذاك • والخير المال كقوله ان ترك خيرا • وقوله وانه لحب الخير لشديد • والمال الخيل التى شغلته • او سمى الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق الخير بها • قال رسول الله صلعم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة • وقال فى زيد الخيل حين وفد عليه واسلم ما وصف لى رجل فرأيته الا كان دون ما بلغنى الا زيد الخيل وسماه زيد الخير • وسأل رجل بلالا عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله صلعم قال له الرجل اردت الخيل فقال وانا اردت الخير • والتوارى بالحجاب مجاز فى غروب الشمس عن توارى الملك او المخبأة بحجابهما • والذى دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشى ولا بد للمضمر من جرى ذكر او دليل ذكر • وقيل الضمير للصافنات اى حتى توارت بحجاب الليل يعنى الظلام • ومن بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب

فطفق مسحا فجعل يمسح مسحا اى يمسح السيف بسوقها واعناقها يعنى يقطعها تقول
مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه
وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب اعناقها اراد بالكسف القطع ومنه الكسف
فى القاب الزحاف فى العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده
استحسانا لها واعجابا بها فان قلت بم اتصل قوله ردوها على قلت
بمحذوف تقديره قال ردوها على فاضمر واضمر ما هو جواب له كأن قائلا قال
فماذا قال سليمن لانه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبى من انبياء
الله بامر الدنيا حتى تفوته الصلوة عن وقتها وقرئ بالسؤق بهمز الواو لضمتها
كما فى ادؤر ونظيره الغؤور فى مصدر غارت الشمس واما من قرأ بالسؤوق فقد
جعل الضمة فى السين كأنها فى الواو للتلاصق كما قيل مؤسى ونظير ساق وسوق
اسد واسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس وقيل فتن
سليمن بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من
فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا
ان نقتله او نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه فى السحابة فما راعه الا ان القى
على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه فى ان لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه
وتاب اليه وروى عن النبى صلعم قال سليمن لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل
واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم
تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذى نفسى بيده لو قال ان
شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله ولقد
فتنا سليمن وهذا ونحوه مما لا بأس به واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان
وعبادة الوثن فى بيت سليمن فالله اعلم بصحته حكوا ان سليمن بلغه خبر
صيدون وهى مدينة فى بعض الجزائر وان بها ملكا عظيم الشأن لا يقوى
عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس
فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها
لنفسه واسلمت واحبها وكانت لا يرقأ دمعها جزعا على ابيها فامر

الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها
وتروح مع ولائدها يسجدون له كعادتهن فى ملكه فاخبر آصف سليمن
بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له
الرماد فجلس عليه تائبا الى الله متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة
اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه فى
خاتمه فوضعه عندها يوما واتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذى دل
سليمن على الماس حين امر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمن
فقال يا امينة خاتمى فتختم به وجلس على كرسى سليمن وعكفت عليه
الطير والجن والانس وغير سليمن عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته
وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف
واذا قال انا سليمن حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم
السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد
ما عبد الوثن فى بيته فانكر آصف وعظماء بنى اسرائيل حكم الشيطان و
سأل آصف نساء سليمن فقلن ما يدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل من جنابة
وقيل بل نفذ حكمه فى كل شئ الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر
فابتلعته سمكة ووقعت السمكة فى يد سليمان فبقر بطنها فاذا
هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة لصخر
فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه فى
البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال
له آصف انك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقر فى يدك فتب الى الله
ولقد ابى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين
لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا
فى تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبيح واما اتخاذ التماثيل
فيجوز ان تختلف فيه الشرائع الا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل واما
السجود للصورة فلا يظن بنبى الله ان يأذن فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه

وقوله والقينا على كرسيه جسدا اناب عن ابن داود ومعنى انابته الشيطان نبوءة ا
ظاهرا قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين
في تقديم امر دينهم على امور دنياهم لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون ومعنى من بعدي
دوني فان قلت اما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة ان يستعطي الله
ما لا يعطيه غيره قلت كان سليمن عليه السلام ناشئا في بيت الملك والنبوة ووارثا
لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زائدا على الممالك
زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا
للمبعوث اليهم وان يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لاحد
من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله
فيه كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
وقيل ملكا لا اسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة واقيم مقامي
غيري ويجوز ان يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين
وعلم انه لا يضطلع باعبائه غيره واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان
يستوهبه اياه فاستوهبه بامر من الله على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه
عليها الا هو وحده دون سائر عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال
لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان
ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد تعظيم
ما عنده وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال احسد مني من قال
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي هذا من جرأته على الله وشيطنته كما حكي
عنه طاعتنا اوجب من طاعة الله لانه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم
واطلق طاعتنا فقال واولي الامر منكم وقرئ الرياح رخاء لينة
طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه حيث اصاب حيث قصد
واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب وعن
رؤبة ان رجلين من اهل اللغة قصداه ليسالاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما
فقال اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال اصاب الله بك خيرا

وهذا من باب العزة يا الله من باب الحكمة

[illegible]

والشياطين عطف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين وآخرين عطف على
كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شاء من الابنية
ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو اول من استخرج الدر من البحر وكان يقرن
مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتاديب والكف عن الفساد
وعن السدي كان يجمع ايديهم الى اعناقهم مغللين في الجوامع والصفد القيد و
سمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد اسرك
ومن جفاك فقد اطلقك وقول القائل غل يدا مطلقها وارق رقبة معتقها
وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه من قال ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا
وفرقوا بين الفعلين فقالوا اصفده في القيد وصفده اعطاه كوعده واوعده
اي هذا الذي اعطيناك من الملك والمال والبسطة عطاؤنا بغير حساب يعني
جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره فامنن من المنة وهي العطاء
اي فاعط منه ما شئت او امسك مفوضا اليه التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود
هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب او هذا التسخير عطاؤنا فامنن
على من شئت من الشياطين بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب
اي لا حساب عليك في ذلك ايوب عطف بيان واذ بدل اشتمال منه اني مسني
باني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه
لانه غائب وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما
فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على اصل المصدر والنصب تثقيل
نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الالم يريد مرضه
وما كان يقاسي فيه من انواع الوصب وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الاهل
والمال فان قلت لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز ان يسلطه الله على انبيائه ليقضي
من اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه
واهلكه وقد تكرر في القرآن انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب قلت
لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به
من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله

وربما جمعت الثلاثة انها خطر التي يجمع بها من اليد والرجل وهي جمع جامعة ه

اوله تبين وقيدت نفسي في ذراك محبة كنت

في دعا ربه أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو. وقيل أراد ما كان يوسوس به إليه
في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فا
لتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر
الجميل. وروي أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه
فقيل ألقى إليه الشيطان أن الله لا يبتلي الأنبياء والصالحين. وذكر في سبب
بلائه أن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه. وقيل كانت مواشيه في
ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه. وقيل أعجب بكثرة ماله. اركض
برجلك حكاية لما أجيب به أيوب أي اضرب برجلك الأرض. وعن قتادة
هي أرض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب
أي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وتنقلب ما
بك قلبة. وقيل نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب
الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله. وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين
حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها. رحمة منا وذكرى
مفعول لهما والمعنى أن الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولي الألباب
لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة
الصابرين وما يفعل الله بهم. وخذ معطوف على اركض. والضغث الحزمة
الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك. وعن ابن عباس قبضة من
الشجر. كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ فحلل الله يمينه
بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها. وهذه الرخصة
باقية. وعن النبي صلعم أنه أتي بمخدج قد خبث بأمة فقال خذوا عثكالا
فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة. ويجب أن يصيب المضروب بكل واحد من
المائة إما أطرافها قائمة وإما أعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب
وكان السبب في يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره
وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب إذا قام. وقيل قال
لها الشيطان اسجدي لي سجدة فأرد عليكم مالكم وأولادكم فهمت بذلك

فأدركتها الخشية فذكرت ذلك له فحلف. وقيل أوهمها الشيطان أن أيوب
إذا شرب الخمر برئ فعرضت له بذلك. وقيل سألته أن يقرب للشيطان
بعناق. إنا وجدناه صابرا علمناه صابرا. فإن قلت كيف وجده صابرا وقد شكا إليه
ما به واسترحمه قلت الشكوى إلى الله عز وجل لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب
عليه إنما أشكو بثي وحزني إلى الله. وكذلك شكوى العليل إلى الطبيب وذلك أن أصبر
الناس على البلاء لا يخلون من تمني العافية وطلبها فإذا صح أن يسمى صابرا مع
تمني العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجأ إلى الله والدعاء بكشف
ما به ومع التعالج ومشاورة الأطباء على أن أيوب عليه كان يطلب الشفاء
خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم كما كان يوسوس
إليه أنه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وإرادة القوة على الطاعة
فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان. ويروى أنه قال في مناجاته
إلهي قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني
ولم آكل إلا ومعي يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع أو
عريان فكشف الله عنه. إبراهيم وإسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا
ومن قرأ عبدنا جعل إبراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته
على عبدنا وهي إسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس وإله أبيك إبراهيم وإسمعيل
وإسحق. لما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلبت فقيل في كل عمل
هذا مما عملت أيديهم وإن كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالأيدي
أو كان العمال جذما لا أيدي لهم وعلى ذلك ورد قوله تعالى أولي الأيدي والأبصار
يريد أولي الأعمال والفكر كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله
ولا يفكرون أفكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون
على إعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم. وفيه تعريض بكل
من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة
والتأمل مع كونهم متمكنين منهما. وقرئ أولي الأيادي على جمع الجمع. وفي
قراءة ابن مسعود أولي الأيد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره

بالأيد من التأييد. وقلق غير متمكن. (أي غير مطابق) {أخلصناهم} جعلناهم لنا خالصين {بخالصة}
بخصلة خالصة لا شوب فيها، ثم فسرها بذكرى الدار، شهادة لذكرى الدار بالخلوص
والصفاء وانتفاء الكدورة عنها. وقرئ على الإضافة. والمعنى بما خلص من ذكرى الدار (أو الثواب)
على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهمّ آخر، إنما همهم ذكرى الدار لا غير. ومعنى
ذكرى الدار ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم إليها ذكرى الدنيا. أو تذكيرهم
الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الأنبياء وديدنهم.
وقيل: ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم.
فإن قلت: ما معنى أخلصناهم بخالصة؟ قلت: معناه أخلصناهم بسبب هذه الخصلة
وبأنهم من أهلها. أو أخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها. و
تعضد الأول قراءة من قرأ: بخالصتهم. {المصطفين} المختارين من بين
أبناء جنسهم. والأخيار جمع خيّر أو خير على التخفيف، كالأموات في جمع ميّت
أو ميْت. {واليسع} كأن حرف التعريف دخل على يسع. وقرئ: والليسع، كأن
حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع. والتنوين في وكلّ عوض
من المضاف إليه، ومعناه: وكلهم من الأخيار. {هذا ذكر} أي هذا نوع من الذكر
وهو القرآن؛ لما أجرى ذكر الأنبياء وأتمّه، وهو باب من أبواب التنزيل
ونوع من أنواعه، وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة
وأهلها، قال: هذا ذكر. ثم قال: وإن للمتقين، كما يقول الجاحظ في كتبه: فهذا باب،
ثم يشرع في باب آخر. ويقول الكاتب إذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع
في آخر: هذا وقد كان كيت وكيت. والدليل عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة
وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال: هذا وإن للطاغين. وقيل: معناه هذا شرف
وذكر جميل يذكرون به أبدا. وعن ابن عباس: هذا ذكر من مضى من الأنبياء. {جنات
عدن} معرفة لقوله: جنات عدن التي وعد الرحمن، وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن
مآب. {مفتحة} حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل، وفي مفتحة ضمير الجنات
و{الأبواب} بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الأبواب، كقولهم: ضُرب زيد اليدُ والرجلُ، وهو
من بدل الاشتمال. وقرئ: جنات عدن مفتحة، بالرفع على أن جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره

أو كلاهما خبر مبتدأ محذوف، أي هو جنات عدن هي مفتحة لهم. كأن اللدات
سميت أترابا لأن التراب مسّهن في وقت واحد، إنما جعلن على سن واحدة لأن التحاب
بين الأقران أثبت. وقيل: هن أتراب لأزواجهن أسنانهن كأسنانهم.
وقرئ: توعدون بالتاء والياء. {ليوم الحساب} لأجل يوم الحساب كما تقول: هذا ما
تدخرونه ليوم الحساب، أي ليوم تجزى كل نفس ما عملت. {هذا} أي الأمر هذا
أو هذا كما ذكر. {فبئس المهاد} لقوله: لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش. شبّه ما تحتهم
من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم. أي هذا حميم فليذوقوه. أو العذاب
هذا فليذوقوه. ثم ابتدأ فقال: هو حميم وغساق. أو هذا فليذوقوه بمنزلة
وإياي فارهبون، أي ليذوقوا هذا فليذوقوه. والغساق بالتخفيف والتشديد
ما يغسق من صديد أهل النار. يقال: غسقت العين إذا سال دمعها. وقيل: الحميم
يحرق بحره والغساق يحرق ببرده. وقيل: لو قطرت قطرة في المشرق
لنتنت أهل المغرب، ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت أهل المشرق.
وعن الحسن: الغساق عذاب لا يعلمه إلا الله. إن الناس أخفوا لله طاعة
فأخفى لهم ثوابا في قوله: فلا تعلم نفس، وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة. {وآخر}
ومذوق آخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة. {أزواج}
أجناس. وقرئ: وأخر، أي وعذاب آخر، أو مذوق آخر. وأزواج صفة
لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروبا. أو صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر
من شكله. وقرئ: من شكله بالكسر وهي لغة. وأما الغنج فبالكسر
لا غير. {هذا فوج مقتحم معكم} هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار، أي دخل النار
في صحبتكم وقرانكم. والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها. والقحمة الشدة.
وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض، أي يقولون هذا. والمراد بالفوج
أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب. {لا مرحبا بهم}
دعاء منهم على أتباعهم. تقول لمن تدعو له: مرحبا، أي أتيت رحبا من البلاد لا
ضيقا، أو رحبت بلادك رحبا، ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء. و{بهم} بيان
للمدعو عليهم. {إنهم صالوا النار} تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم. ونحوه

قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها ٥ وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة
لرؤساء الكفرة في أتباعهم ولا مرحبا بهم إنهم صالوا النار كلام الرؤساء
وقيل هذا كله كلام الخزنة قالوا أي الأتباع بل أنتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء
الذي دعوتم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقولهم أنتم قدمتموه لنا والضمير
للعذاب أو لصليهم ٥ فإن قلت ما معنى تقديمهم العذاب لهم قلت المقدم هو
عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ولكن الرؤساء
لما كانوا السبب فيه بإغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل أنتم قدمتموه
لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين
لأن العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم
لا جزاؤه فإن قلت فالذي جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله
بل أنتم لا مرحبا بكم والمخاطبون أعني رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا له
قلت كأنه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة أنتم يا رؤساء أحق به منا
لإغوائكم إيانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم
لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين أخزى الله هؤلاء ما أسوأ
فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل أنتم أولى بالخزي منا فلولا أنتم لم نرتكب
ذلك قالوا هم الأتباع الضالون فزده عذابا ضعفا أي مضاعفا ومعناه ذا ضعف
ونحوه قوله ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو أن يزيد على عذابه
مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء في التفسير
عذابا ضعفا حيات وأفاعي وقالوا الضمير للطاغين رجالا يعنون فقراء
المسلمين الذين لا يؤبه لهم من الأشرار من الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى
ولأنهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشرارا أتخذناهم سخريا قرئ
بلفظ الإخبار على أنه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الأشرار ٥
وبهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار
منهم وقوله أم زاغت عنهم الأبصار له وجهان من الاتصال أحدهما أن يتصل بقوله
ما لنا أي ما لنا لا نراهم في النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا

فلا نراهم وفيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار
إلا أنه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني أن يتصل بأتخذناهم سخريا إما أن تكون
أم متصلة على معنى أي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم ازدراؤهم
وتحقيرهم وأن أبصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى إنكار الأمرين
جميعا على أنفسهم ٥ وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم
أبصارهم محقرة لهم وإما أن تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على
الخبر أو الاستفهام كقولك إنها لإبل أم شاء وأزيد عندك أم عندك عمرو ولك
أن تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزة لأن أم تدل
عليها فلا تفترق القراءتان إثبات همزة الاستفهام وحذفها ٥ وقيل
الضمير في وقالوا لصناديد قريش كأبي جهل والوليد وأضرابهما والرجال
عمار وصهيب وبلال وأشباههم ٥ وقرئ سخريا بالضم والكسر إن ذلك
الذي حكينا عنهم لحق لا بد أن يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تخاصم أهل النار
٥ وقرئ بالنصب على أنه صفة لذلك لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس
فإن قلت لم سمي ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب
بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولأن قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول
أتباعهم بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمي التقاول كله تخاصما
لأجل اشتماله على ذلك قل يا محمد لمشركي مكة ما أنا إلا رسول منذر
أنذركم عذاب الله للمشركين وأقول لكم إن دين الحق توحيد الله وأن يعتقد
أن لا إله إلا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شيء وأن الملك
والربوبية له في العالم كله وهو العزيز الذي لا يغلب إذا عاقب العصاة وهو مع
ذلك الغفار لذنوب من التجأ إليه ٥ أو قل لهم ما أنا إلا منذر لكم ما أعلم
وأنا أنذركم عقوبة من هذه صفته فإن مثله حقيق بأن يخاف عقابه
كما هو حقيق بأن يرجى ثوابه قل هو نبأ عظيم أي هذا الذي أنبأتكم به
من كوني رسولا منذرا وأن الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض
عن مثله إلا غافل شديد الغفلة ثم احتج لصحة نبوته بأن ما ينبئ به

اراد به التقاول

عن الملأ الأعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك
الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة
الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل له إلا بالوحي من الله إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير أي
لأنما أنا نذير ومعناه ما يوحى إلي إلا للإنذار فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل
إليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى إلي إلا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا
أفرط في ذلك أي ما أومر إلا بهذا الأمر وحده وليس إلي غير ذلك وقرئ
إنما بالكسر على الحكاية أي إلا هذا القول وهو أن أقول لكم إنما أنا نذير مبين
ولا أدعي شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والإنباء به من غير سماع
من أحد وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن يوم القيامة فإن قلت بم يتعلق
إذ يختصمون قلت بمحذوف لأن المعنى ما كان لي من علم بكلام الملأ الأعلى
وقت اختصامهم وإذ قال بدل من إذ يختصمون فإن قلت ما المراد بالملأ
الأعلى قلت أصحاب القصة الملائكة وآدم وإبليس لأنهم كانوا في السماء وكان
التقاول بينهم فإن قلت ما كان التقاول بينهم إنما كان بين الله وبينهم لأن الله
سبحانه هو الذي قال لهم وقالوا له فأنت بين أمرين إما أن تقول الملأ الأعلى
هؤلاء وكان التقاول بينهم فلم يكن التقاول بينهم وإما أن تقول التقاول كان
بين الله وبينهم فقد جعلته من الملأ الأعلى قلت كانت مقاولة الله سبحانه
بواسطة ملك فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح أن التقاول
كان بين الملائكة وآدم وإبليس وهم الملأ الأعلى والمراد بالاختصام التقاول
على ما سبق فإن قلت كيف صح أن يقول لهم إني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر
ولا عهدوا به قبل قلت وجهه أن يكون قد قال لهم إني خالق خلقا من صفته كيت
وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم فإذا سويته فإذا أتممت خلقته
وعدلته ونفخت فيه من روحي وأحييته وجعلته حساسا متنفسا فقعوا
فخروا كل للإحاطة وأجمعون للاجتماع فأفاد معا أنهم سجدوا عن
آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجد وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير
متفرقين في أوقات فإن قلت كيف ساغ السجود لغير الله قلت الذي لا يسوغ

هو السجود لغير الله على وجه العبادة فأما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه
العقل إلا أن يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه فإن قلت كيف استثنى إبليس
من الملائكة وهو من الجن قلت قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد
الملائكة ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا وكان من الكافرين
أريد وجود كفره ذلك الوقت وإن لم يكن قبله كافرا لأن كان مطلق في
جنس الأوقات الماضية فهو صالح لأيها شئت ويجوز أن يراد وكان من الكافرين
في الأزمنة الماضية في علم الله فإن قلت ما وجه قوله خلقت بيدي قلت قد سبق
لنا أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال
التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدي
له يداك أوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته
وهذا مما عملته يداك ومنه قوله مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدي فإن قلت
ما معنى قوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي قلت الوجه الذي استنكر
له إبليس السجود لآدم واستنكف منه أنه سجود لمخلوق فذهب بنفسه
وتكبر أن يكون سجوده لغير الخالق وانضم إلى ذلك أن آدم مخلوق
من طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم أن يسجد
لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزل عنه أن الله سبحانه حين أمر به
أعز عباده عليه وأقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم أحق بأن يذهبوا
بأنفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم
ثم لم يفعلوا وتبعوا أمر الله وجعلوه قدام أعينهم ولم يلتفتوا إلى التفاوت
بين الساجد والمسجود له تعظيما لأمر ربهم وإجلالا لخطابه كان هو مع
انحطاطه عن مرتبتهم حريا بأن يقتدي بهم ويقتفي أثرهم ويعلم أنهم
في السجود لمن هو دونهم بأمر الله أوغل في عبادته منهم في السجود له
لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك أن تسجد لما
خلقت بيدي أي ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته
بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لأمري وإعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة

فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه ۝ وقيل
له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد امرك الله به يعني كان عليك ان
تعتبر امر الله ولا تعتبر هذه العلة ۝ ومثاله ان يامر الملك وزيره ان
يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك ان
تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه يريد هلا اعتبرت امري وخطابي وتركت
اعتبار سقوطه وفيه اني خلقته بيدي فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت
الملائكة بان يسجدوا له لداعي الحكمة دعاني اليه من انعام عليه بالتكرمة
السنية وابتلاء للملائكة فمن انت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني
عن الامر بالسجود له ۝ وقيل معنى لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة ۝ و
قرئ بيدي كما قرئ بمصرخي وبيدي على التوحيد من العالين ممن علوت
وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه ۝ وقيل استكبرت
الآن ام لم تزل مذ كنت من المستكبرين ۝ ومعنى الهمزة التقرير ۝ وقرئ
استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان ام تدل عليه ۝ او بمعنى الاخبار هذا
على سبيل الاولى اي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف
اسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتاكله وقد جرت
الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار مجرى المعطوف عطف البيان
من المعطوف عليه في البيان والايضاح منها من الجنة ۝ وقيل من السموات ۝
وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود
بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا
والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لان
من طرد رمي بالحجارة على اثره والرجم الرمي بالحجارة ۝ او لان الشياطين
يرجمون بالشهب فان قلت قوله لعنتي الى يوم الدين كان لعنة ابليس
غايتها يوم الدين ثم تنقطع قلت كيف تنقطع وقد قال الله فاذن مؤذن
بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا
كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكانها انقطعت

فان قلت ما الوقت المعلوم الذي اضيف اليه اليوم قلت الوقت الذي تقع فيه
النفخة الاولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من اجزائه ۝ ومعنى
المعلوم انه معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستاخر فبعزتك
اقسام بعزة الله وهي سلطانه وقهره ۝ قرئ فالحق والحق منصوبين
على ان الاول مقسم به كالله في ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان
والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق
والمراد بالحق اما اسمه عز وعلا الذي في قوله ان الله هو الحق المبين ۝ او الحق
الذي هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به ومرفوعين على ان الاول مبتدأ
محذوف الخبر كقوله لعمرك اي فالحق قسمي لاملان والحق اقول اي اقوله كقوله
كله لم اصنع ۝ ومجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك
الله لافعلن والحق اقول اي ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه
التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع ايضا وهو
وجه دقيق حسن ۝ وقرئ برفع الاول وجره مع نصب الثاني وتخريجه على
ما ذكرنا منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم
فان قلت اجمعين تاكيد لماذا قلت لا يخلو ان يؤكد به الضمير في منهم او الكاف
في منك مع من تبعك ومعناه لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين
لا اترك منهم احدا او لاملانها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس
لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبياء
وغيرهم عليه من اجر الضمير للقرآن او الوحي وما انا من المتكلفين
من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا
ولا مدعيا ما ليس عندي حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو
الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحي الي فانا ابلغه ۝ وعن رسول الله صلعم
للمتكلف ثلث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم
ولتعلمن نباه اي ما ياتيكم عند الموت ۝ او يوم القيامة ۝ او عند ظهور الاسلام
وفشوه من صحة خبره وانه الحق والصدق وفيه تهديد عن رسول الله صلعم

من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه أن يصر على ذنب صغير أو كبير

سورة الزمر مكية إلا قوله قل يا عبادي الذين أسرفوا الآية وتسمى سورة الغرف وهي خمس وسبعون آية وقيل ثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب قرئ بالرفع على أنه مبتدأ أخبر عنه بالظرف أو خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله أو غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان إلى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الإشارة وبالنصب على إضمار فعل نحو اقرأ والزم فإن قلت ما المراد بالكتاب قلت الظاهر على الوجه الأول أنه القرآن وعلى الثاني أنه السورة مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلَصا بفتح اللام لقوله واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله ألا لله الدين الخالص والمخلص وأجيد إلا أن يصف الدين بصفة صاحبه على الإسناد المجازي كقولهم شعر شاعر وأما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء بإعراب رجع به الكلام إلى قولك لله الدين ألا لله الدين الخالص أي هو الذي وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والأسرار ولأنه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله وعن الحسن الإسلام والذين اتخذوا يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس فالضمير في اتخذوا على الأول راجع إلى الذين وعلى الثاني إلى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع إلى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون أولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء

فإن قلت فالخبر ما هو قلت هو على الأول إما إن الله يحكم بينهم أو ما أضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثاني إن الله يحكم بينهم فإن قلت فإذا كان إن الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر قلت يجوز أن يكون في موضع الحال أي قائلين ذلك ويجوز أن يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما أن المبدل منه كذلك وعن ابن مسعود بإظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة أبي ما نعبدكم إلا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نُعبُدهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الأمر والتنوين في عذاب اركض والضمير في بينهم لهم ولأوليائهم والمعنى أن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم وإياها حصب جهنم واختلافهم أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون وأولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى وقيل كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السماوات والأرض أقروا وقالوا الله فإذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الأصنام قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد إليهم وإلى المسلمين والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا لطف لهم وأنهم في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت إلا أن يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه إياهم فزعمتم أولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الأجسام والأعراض كأنه قال لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة إلا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم أولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات

أي والذين اتخذوا من دونه أولياء عابدين

ملكهم لكنه ابين كفار بين متنبا الغير فلا فرق على الله وملائكته غالين في الكفر
ثم قال سبحانه فنزه ذاته عن أن يكون له أحد ما نسبوا إليه من الأولاد والأولياء
ودل على ذلك بما ينافيه وهو أنه واحد فلا يجوز أن تكون له صاحبة لأنه لو كانت
له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له وإذا لم يتأت أن تكون له صاحبة لم يتأت
أن يكون له ولد وهو معنى قوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ۝ وقهار
غلاب لكل شيء ومن الأشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكون له أولياء وشركاء
ثم دل بخلق السموات والأرض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين
وجريهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق
الأنعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب والتكوير اللف واللي
يقال كار العمامة على رأسه وكورها ۝ وفيه أوجه منها أن الليل والنهار
خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا وإذا غشي مكانه فكأنما ألبسه
ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب
تلوي الثنايا بأحقيها حواشيه لي الملاء بأبواب التفاريج
ومنها أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبه تغييبه إياه بشيء
ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار ۝ ومنها أن هذا يكر على هذا
كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على إثر بعض
ألا هو العزيز الغفار الغالب القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب
التائبين ۝ أو الغالب الذي يقدر على أن يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم
ويؤخرهم إلى أجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة **فإن قلت** ما وجه قوله
ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي **قلت** هما آيتان من جملة
الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق
الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه إلا أن إحداهما جعلها
الله عادة مستمرة والأخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق أنثى غير حواء
من قصيرى رجل فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لعجب السامع فعطفها
بثم على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها

عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي
في الوجود ۝ وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كأنه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها
الله بزوج ۝ وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك
حواء **وأنزل لكم** وقضى لكم وقسم لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء
حيث كتب في اللوح كل كائن يكون ۝ وقيل لا تعيش الأنعام إلا بالنبات والنبات لا يقوم
إلا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها ۝ وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها **ثمانية
أزواج** ذكر وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز والزوج اسم لواحد معه
آخر فإذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى
خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية
من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف ۝ والظلمات الثلاث البطن والرحم
والمشيمة ۝ وقيل الصلب والرحم والبطن **ذلكم** الذي هذه أفعاله هو الله ربكم
فأنى تصرفون فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره **فإن الله غني
عنكم** عن إيمانكم وإنكم المحتاجون إليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالإيمان
ولا يرضى لعباده الكفر رحمة لهم لأنه يوقعهم في الهلكة **وإن تشكروا
يرضه لكم** أي يرض الشكر لكم لأنه سبب فوزكم وفلاحكم فإذن ما كره كفركم
ولا رضي شكركم إلا لكم ولصلاحكم لا لأن منفعة ترجع إليه لأنه الغني الذي
لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من
الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي أريد به الخاص وما أراد
إلا عباده الذين عناهم في قوله إن عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين
كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون ۝ وقرئ يرضه
بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها ۝ خوله أعطاه قال أبو النجم
أعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول ۝ وفي حقيقته
وجهان أحدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال إذا
كان متعهدا له حسن القيام به ۝ ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخول
أصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول إذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب

ان الغنى طويل الذيل مياس ما كان يدعو اليه اى نسى الضر الذى كان
يدعو الله الى كشفه ٥ وقيل نسى ربه الذى كان يتضرع اليه ويبتهل اليه
وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى ٥ وقرئ ليضل بفتح اليآء وضمها
يعنى ان نتيجة جعله لله اندادا ضلاله عن سبيل الله او اضلاله والنتيجة
قد تكون غرضا فى الفعل وقد تكون غير غرض ٥ وقوله تمتع بكفرك من باب الخذلان
والتخلية كانه قيل له اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك
ان لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة فى خذلانه وتخليته وشانه
لانه لا مبالغة فى الخذلان اشد من ان يبعث على عكس ما امر به ونظيره فى المعنى
قوله متاع قليل ثم ماواهم جهنم ٥ قرئ امن هو قانت بالتخفيف على
ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على ادخال ام عليه ومن مبتدا
خبره محذوف تقديره امن هو قانت كغيره وانما حذف لدلالة الكلام
عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون
والذين لا يعلمون ٥ وقيل معناه امن هو قانت افضل ام من هو كافر على
الاستفهام المتصل ٥ والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ٥ ومنه قوله عليه السلام افضل
الصلوة طول القنوت وهو القيام فيها ٥ ومنه القنوت فى الوتر لانه دعآء
المصلى قائما ساجدا وقائما حال وقرئ ساجد وقائم على انه خبر بعد خبر والواو للجمع
بين الصفتين ٥ وقرئ ويحذر عذاب الآخرة واراد بالذين يعلمون العاملين
من علماء الديانة كانه جعل من لا يعمل غير عالم ٥ وفيه ازدرآء عظيم بالذين يقتنون
العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة
حيث جعل القانتين هم العلمآء ٥ ويجوز ان يرد على سبيل التشبيه اى كما
لا يستوى العالمون والجاهلون كذلك لا يستوى القانتون والعاصون
وقيل نزلت فى عمار بن ياسر وابى حذيفة بن المغيرة المخزومى ٥
وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى فى المعاصى ويرجو فقال هذا تمن وانما
الرجاء قوله وتلا هذه الآية ٥ وقرئ انما يذكر بالادغام فى
هذه الدنيا متعلق باحسنوا لا بحسنة معناه الذين احسنوا فى هذه الدنيا

فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول الجنة اى حسنة غير مكتنهة بالوصف
وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية فان قلت
اذا علق الظرف باحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح ان
يقع صفة لها لتقدمه قلت هو صفة لها اذا تاخر فاذا تقدم كان بيانا
لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وان لم يكن التعلق وصفا ومعنى وارض الله
واسعة ان لا عذر للمفرطين فى الاحسان البتة حتى ان اعتلوا باوطانهم
وبلادهم وانهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف هممهم اليه
قيل لهم فان ارض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا
الى بلاد اخر واقتدوا بالانبياء والصالحين فى مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا
احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم ٥ وقيل هو للذين كانوا فى بلد المشركين
فامروا بالمهاجرة عنه كقوله الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها
وقيل هى ارض الجنة ٥ والصابرون الذين صبروا على مفارقة اوطانهم و
عشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وازدياد
الخير بغير حساب لا يحاسبون عليه ٥ وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف
لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس لا يهتدى اليه حساب الحساب
ولا يعرف ٥ وعن النبى صلعم ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى باهل
الصلوة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الصدقة فيوفون اجورهم
بالموازين ويؤتى باهل الحج فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل البلآء
فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تع
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا
ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلآء من الفضل قل انى
امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين اى مقدمهم
وسابقهم فى الدنيا والآخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة فى الدين
فمن اخلص كان سابقا فان قلت كيف عطف امرت على امرت وهما واحد
قلت ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه

شيء والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء وإذا اختلف وجها الشيء وصفتاه تنزل بذلك منزلة شيئين ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت لأن أفعل ولا تزاد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضا من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضا من ترك الأصل الذي هو أطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وأمرت أن أكون من المسلمين ۝ وأمرت أن أكون من المؤمنين ۝ وأمرت أن أكون أول من أسلم ۝ وفي معناه أوجه أن أكون أول من أسلم في زماني ومن قومي لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها ۝ وأن أكون أول الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاما ۝ وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره لأكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون ۝ وأن أفعل ما استحق به الأولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعني أن الله أمرني أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليلي العقل والوحي فإن عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا أعصيه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوه إلى دين آبائه فإن قلت ما معنى التكرير في قوله قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله أعبد مخلصا له ديني قلت ليس بتكرير لأن الأول للإخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص ۝ والثاني في إخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الأول فالكلام أولا واقع في الفعل نفسه وإيجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين ۝ قل إن الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه هم الذين خسروا أنفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها وخسروا أهليهم لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا

كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده إليهم وقيل وخسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة يعني وخسروا أهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله ألا ذلك هو الخسران المبين حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين ۝ ومن تحتهم أطباق من النار هي ظلل لآخرين ۝ ذلك العذاب هو الذي يتوعد به الله عباده ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادي ۝ الطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت إلا أن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان ۝ أو الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص إذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ها هنا الجمع ۝ وقرئ الطواغيت أن يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال لهم البشرى هي البشارة بالثواب كقوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة الله عز وجل يبشرهم بذلك في وحيه على ألسنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات وأراد بعباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير أراد أن يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها على السبك وأقواها عند السبر وأبينها دليلا أو أمارة وأن لا تكون

في معنى هبل كما قال القائل ولا تكن مثل عير قيد فانقادا بوس المقلد ٥ وقيل
يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن ٥ وقيل يستمعون اوامر الله
فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والاغضاء والابداء والاخفاء
لقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم
وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث
باحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادي ويبتدى
الذين يستمعون يرفعه على الابتداء وخبره اولئك ٥ اصل الكلام امن حق عليه كلمة
العذاب فانت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء
الجزاء ثم دخلت الفاء التي في اولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره
اانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية هي
الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير
فالاية على هذا جملة واحدة ٥ ووجه اخر وهو ان تكون الاية جملتين افمن
حق عليه العذاب فانت تخلصه افانت تنقذ من في النار وانما جاز حذف فانت
تخلصه لان افانت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا
منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله وكده نفسه في دعائهم
الى الايمان منزلة انقاذهم من النار وقوله افانت تنقذ يفيد ان الله
هو الذي يقدر على الانقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك احد غيره
فكما لا تقدر انت ان تنقذ الداخل في النار من النار لا تقدر ان تخلصه
مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الايمان فيه غرف من فوقها غرف
علالي بعضها فوق بعض فان قلت ما معنى قوله مبنية قلت معناه والله اعلم
انها بنيت بناء المنازل التي على الارض وسويت تسويتها تجري من تحتها الانهار
كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر
موكد لان قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك انزل من السماء ماء هو المطر
وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله
فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق

في الاجساد مختلفا الوانه هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك
او اصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها يهيج يتم جفافه عن الاصمعي لانه
اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منابته ويذهب حطاما فتاتا ودرينا ان
في ذلك لذكرى لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن
على تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز ان يكون مثلا للدنيا كقوله انما
مثل الحيوة الدنيا واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا ٥ وقرى مصفارا افمن
اي من عرف الله انه من اهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للاسلام
ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ونور الله
هو لطفه ٥ وقرا رسول الله صلعم هذه الاية فقيل يا رسول الله كيف
انشراح الصدر قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله
فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب
للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله امن هو قانت في حذف الخبر
من ذكر الله من اجل ذكره اي اذا ذكر الله عندهم وآياته اشمازوا
وازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا وقرى عن ذكر الله
فان قلت ما الفرق بين من وعن في هذا قلت اذا قلت قسا قلبه من ذكر الله
فالمعنى ما ذكرت من ان القسوة من اجل الذكر وبسببه واذا قلت عن
ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ٥ ونظيره سقاه
من العيمة اي من اجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا ارواه حتى ابعده
عن العطش عن ابن مسعود رضه ان اصحاب رسول الله صلعم ملوا ملة فقالوا
له حدثنا فنزلت ٥ وايقاع اسم الله مبتدا وبناء نزل عليه فيه تفخيم
لاحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتاكيد لاستناده الى
الله وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه وتنبيه على انه
وحي معجز مباين لسائر الاحاديث وكتابا بدل من احسن الحديث
ويحتمل ان يكون حالا منه ومتشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان
متناولا لتشابه معانيه في الصحة والاحكام والبناء على الحق والصدق

ومنفعة الخلق وتناسب ألفاظه وتناصفها في التخير والإصابة وتجاوب نظمه
وتأليفه في الإعجاز والتبكيت ويجوز أن يكون مثاني بيانا لكونه متشابها
لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة ٥ والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد
ومكرر لما ثني من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده
ووعيده ومواعظه ٥ وقيل لأنه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه
لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ٥ ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل
من التثنية بمعنى التكرير والإعادة كما كان قوله ثم ارجع البصر كرتين
بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك فإن قلت
كيف وصف الواحد بالجمع قلت إنما صح ذلك لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل
الشيء هي جملته لا غير ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور
وآيات فكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات وفي
نظيره قولك الإنسان عظام وعروق وأعصاب إلا أنك تركت الموصوف
إلى الصفة وأصله كتابا متشابها فصولا مثاني ٥ ويجوز أن يكون كقولك برمة
أعشار وثوب أخلاق ٥ ويجوز أن لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على
التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة
مثانيه فإن قلت ما فائدة التثنية والتكرير قلت النفوس أنفر شيء
عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ
فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلعم أن يكرر عليهم ما
كان يعظ وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه
في صدورهم اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من
حروف القشع وهو الأديم اليابس مضموما إليها حرف رابع وهو الراء ليكون
رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف
شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل
تصويرا لإفراط خشيتهم وأن يريد التحقيق ٥ والمعنى أنهم إذا سمعوا
بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم

ثم إذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم
وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة فإن قلت
ما وجه تعديته بإلى قلت ضمن معنى فعل متعد بإلى كأنه قيل سكنت
أو اطمأنت إلى ذكر الله لينة غير منقبضة راجية غير خاشية
فإن قلت لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة قلت لأن أصل أمره
الرحمة والرأفة ورحمته هي سابقة غضبه فلأصالة رحمته إذا
ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته إلا كونه رءوفا رحيما فإن قلت
لم ذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا قلت
إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكأنه قيل
تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في أول وهلة فإذا
ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية
رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك إشارة إلى الكتاب
وهو هدى الله يهدي به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا
تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين ومن يضلل الله
ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من هاد أو ذلك الكائن من الخشية
والرجاء هدى الله أي أثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لأنه حاصل
بالهدى يهدي به بهذا الأثر من يشاء من عباده يعني من صحب أولئك ورآهم
خاشعين راجين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك
طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم يؤثر فيه ألطافه لقسوة قلبه
وإصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط ٥ يقال اتقاه
بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه إياه واتقاه بيده
وتقديره أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن أمن العذاب
فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه
أن الإنسان إذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب
أن يقي بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه والذي يلقى في النار

يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقي النار الا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في ابي جهل وقال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون رافهون اذ فوجئوا من مأمنهم والخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما اشبه ذلك من نكال الله قرآنا عربيا حال مؤكدة كما تقول جاءني زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز ان ينتصب على المدح غير ذي عوج مستقيما بريا من التناقض والاختلاف فان قلت فهلا قيل مستقيما او غير معوج قلت فيه فائدتان احداهما نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثاني ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وانشد وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشادة (مشاغل) واذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في امره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت افكاره لا يدري ايهم يرضي بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع اي هذين العبدين احسن حالا واجمل شانا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من ان يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدري ايهم يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه اوزاع وحال من لم يثبت الا الها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما ارضاه وما اسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله

وفيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست احواله وتشاخست اسنانه سالما لرجل خالصا له وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل اي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء اي وهناك رجل سالم لرجل وانما جعله رجلا ليكون افطن لما شقي به او سعد فان المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك هل يستويان مثلا هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل تستوي صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله واكثر اموالا واولادا اشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين ان يكون الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجلين والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه اي يجب ان يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة فقد ثبت انه لا اله الا هو بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره كانوا يتربصون برسول الله صلعم موته فاخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم انفسكم وقرئ مائت ومائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت صفة لازمة كالسيد واما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا اي سيموت وسيسود واذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما يرجع الى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله انك ميت وانهم ميتون انك واياهم وان كنتم احياء فانتم في عداد الموتى لان ما هو كائن فكأن قد كان ثم انكم ثم انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته يقول الاتباع

بيان الاعتذار

أطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا
الأقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا
حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج وأهل
القبلة يكون بينهم الخصام ٥ وعن عبد الله بن عمر لقد عشنا
برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتاب
قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى
رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فينا
وقال أبو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد و
ديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا
على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا ٥ وعن إبراهيم النخعي قالت الصحابة
ما خصومتنا ونحن إخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا
وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام
الله هو ما قدمت أولا ألا ترى إلى قوله فمن أظلم ممن كذب على الله
وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو إلا بيان وتفسير للذين
تكون بينهم الخصومة كذب على الله افترى عليه بإضافة الولد والشريك
إليه وكذب بالصدق بالأمر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
إذ جاءه فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية
أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون
مثوى للكافرين أي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق
واللام في الكافرين إشارة إليهم والذي جاء بالصدق وصدق به
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه كما
أراد بموسى إياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم
يهتدون فلذلك قال أولئك هم المتقون إلا أن هذا في الصفة وذاك
في الاسم ٥ ويجوز أن يريد والفوج ٥ أو الفريق الذي جاء بالصدق و
صدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به

وقرئ وصدق به بالتخفيف أي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني
أداه إليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل وصار صادقا أي بسببه لأن
القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها
على يده ٥ ولا يجوز أن يصدق إلا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة
وقرئ وصدق به فإن قلت ما معنى إضافة الأسوأ والأحسن إلى الذي
عملوا وما معنى التفضيل فيهما قلت أما الإضافة فما هي من إضافة أفعل
إلى الجملة التي يفضل عليها ولكن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل
كقولك الأشج أعدل بني مروان وأما التفضيل فإيذان بأن السيء
الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الأسوأ لا
ستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن لحسن
إخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ وحسنهم بالأحسن ٥ وقرئ
أسواء الذي عملوا جمع سوء أليس الله بكاف عبده أدخلت همزة
الإنكار على كلمة النفي فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها ٥ وقرئ
بكاف عبده وهو رسول الله وبكاف عباده وهم الأنبياء وذلك أن
قريشا قالت لرسول الله إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا وإنا نخشى عليك معرتها
لعيبك إياها ٥ ويروى أنه بعث خالدا إلى العزى ليكسرها فقال
له سادنها أحذركها يا خالد إن لها لشدة لا يقوم لها شيء
فعمد خالد إليها فهشم أنفها فقال الله أليس الله بكاف نبيه أن يعصمه
من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف وفي هذا تهكم بهم
لأنهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر ٥ أي أليس الله بكاف أنبياءه
ولقد قالت أممهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قول قوم هود
إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ويجوز أن يريد العبد
والعباد على الإطلاق لأنه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم ٥
وقرئ بكافي عباده على الإضافة ويكافي عباده ٥ ويكافي يحتمل أن
يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي وهو أبلغ

من كفى لبنائه على لفظ المبالغة والمبادأة وان يكون مهموزا من المكافأة
وهي المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم اجرهم بالذين من دونه
اراد الاوثان التي اتخذوها الهة من دونه بعزيز بغالب منيع ذي
انتقام ينتقم من اعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بانه
ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ٥ قرئ كاشفات ضره وممسكات
رحمته بالتنوين على الاصل وبالاضافة للتخفيف فان قلت لم فرض المسئلة
في نفسه دونهم قلت لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فامر
بان يقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد
التقرير فان ارادني خالق العالم الذي اقررتم به بضر من مرض
او فقر ٥ او غير ذلك من النوازل ٥ او برحمة من صحة ٥ او غنى ونحوهما
هل هؤلاء اللاتي خوفتمونى اياهن كاشفات عني ضره او ممسكات
رحمته حتى اذا القمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة
قال حسبي الله كافيا لمعرة اوثانكم عليه يتوكل المتوكلون
وفيه تهكم ٥ ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله
فان قلت لم قيل كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك
بالذين من دونه قلت انثهن وكن اناثا وهن اللات والعزى و
مناة قال الله تعالى افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
الكم الذكر ولان في تأنيثها لتضعيفها وتعجيزها زيادة تضعيف وتعجيز
عما طالبهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان الانوثة من باب
اللين والرخاوة كما ان الذكورة من باب الشدة والصلابة كأنه
قال الاناث اللاتي هن اللات والعزى ومناة اضعف مما تدعون
لهن واعجز وفيه تهكم ايضا على مكانتكم على حالتكم التي انتم عليها او جهتكم
من العداوة التي انتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها
والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا
وحيث للزمان وهما للمكان ٥ فان قلت حق الكلام فاني عامل على مكانتي فلم

حذف قلت
للاختصار

٢٤

حذف قلت للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حاله
لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه و
مظهره على الدين كله الا ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم
بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والاخرة لانهم اذا اتاهم الخزي
والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز
من اوليائه وبذل ذليل من اعدائه يخزيه مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب
اي عذاب مخز له وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار ٥ و
قرئ مكاناتكم للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا
فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لي الى ذلك
فانا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة
فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبني
على الاختيار دون الاجبار ٥ الانفس الجمل كما هي وتوفيها اماتتها
وهو ان تسلب ما هي به حية حساسة دراكة من صحة اجزائها
وسلامتها لانها عند سلب الصحة كأن ذاتها قد سلبت والتي لم تمت في
منامها يريد ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها اي يتوفاها حين
تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله وهو الذي يتوفاكم بالليل
حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك فيمسك الانفس
التي قضى عليها الموت الحقيقي اي لا يردها في وقتها حية ويرسل
الاخرى النائمة الى اجل مسمى الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس
يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحياة والحركة ويتوفى
الانفس التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا فالتي تتوفى
في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة لان نفس الحياة اذا زالت زال
معها النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس
وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح
التي فيها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه

والصحيح ما ذكرت أولاً لأن الله عز وعلا علق التوفي والموت و
المنام جميعاً بالأنفس وما عنوا بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز
غير متصف بالموت والنوم وإنما الجملة التي هي تموت وهي التي تنام إن
في ذلك إن في توفي الأنفس مائتة ونائمة وإمساكها وإرسالها إلى أجل
لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون
وقرئ قضي عليها الموت على البناء للمفعول أم اتخذوا بل اتخذ قريش
والهمزة للإنكار من دون الله من دون إذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء
شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ألا ترى إلى قوله قل لله
الشفاعة جميعاً أي هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة إلا بشرطين
أن يكون المشفوع له مرتضى وأن يكون الشفيع مأذوناً له وها هنا
الشرطان مفقودان جميعاً أولو كانوا معناه أيشفعون ولو كانوا لا
يملكون شيئاً ولا يعقلون أي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئاً
قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم له ملك السموات والأرض
تقرير لقوله لله الشفاعة جميعاً لأنه إذا كان له الملك كله والشفاعة
من الملك كان مالكاً لها فإن قلت بم يتصل قوله ثم إليه ترجعون قلت
بما يليه معناه له ملك السموات والأرض اليوم ثم إليه ترجعون يوم القيامة
فلا يكون الملك في ذلك اليوم إلا له فله ملك الدنيا والآخرة مدار
المعنى على قوله وحده أي إذا أفرد الله بالذكر ولم تذكر معه
آلهتهم اشمأزوا أي نفروا وانقبضوا وإذا ذكر الذين من دونه
وهم آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر استبشروا لافتتانهم
بها ونسيانهم حق الله إلى هواهم فيها وقيل إذا قيل لا إله إلا الله
وحده لا شريك له نفروا لأن فيه نفياً لآلهتهم وقيل إذا استبشروا هم
بما سبق إليه لسان رسول الله من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة
فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد
منهما غاية في بابه لأن الاستبشار أن يمتلئ قلبه سروراً حتى ينبسط له

بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يمتلئ غماً وغيظاً حتى يظهر الانقباض
في أديم وجهه فإن قلت ما العامل في إذا ذكر قلت العامل في إذا المفاجأة
تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار بحل برسول الله
ما بهم وبشدة شكيمتهم في الكفر والعناد فقيل له ادع الله بأسمائه العظمى
وقل أنت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه
وصف لحالهم وإعذار لرسول الله وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع بن
خثيم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين وسخط على قاتله وقالوا الآن
يتكلم فما زاد على أن قال آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية وروي أنه قال
على أثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه وبدا لهم من الله
وعيد لا كنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس
ما أخفي لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم
ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا أعمالاً حسبوها حسنات فإذا هي سيئات
وعن سفيان الثوري أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء
وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله
وتلاها فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسبه وبدا لهم سيئات ما كسبوا
أي سيئات أعمالهم التي كسبوا أو سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية
عليهم كقوله أحصاه الله ونسوه أو أراد بالسيئات أنواع العذاب التي
يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة
مثلها وحاق بهم ونزل بهم وأحاط جزاء هزئهم التخويل مختص بالتفضل
يقال خولني إذا أعطاك على غير جزاء على علم أي على علم مني أني
سأعطاه لما في من فضل واستحقاق أو على علم من الله بي وباستحقاقي
أو على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي فإن قلت
لم ذكر الضمير في أوتيته وهو للنعمة قلت ذهاباً به إلى المعنى لأن قوله
نعمة منا شيئاً من النعمة وقسماً منها ويحتمل أن تكون ما في إنما
موصولة لا كافة فيرجع إليها الضمير على معنى أن الذي أوتيته على علم

بل هي فتنة انكار لها كانه قال ما خولناك ما خولناك من النعمة لما
تقول بل هي فتنة اي ابتلاء وامتحان لك اتشكر ام تكفر فان قلت
كيف ذكر الضمير ثم انثه قلت حملا على المعنى اولا وعلى اللفظ آخرا ولان
الخبر لما كان مؤنثا اعني فتنة ساغ تانيث المبتدا لاجله لانه في معناه
كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته فان قلت
ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في اول السورة بالواو
قلت السبب في ذلك ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده
اشمأزت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر
الآلهة فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره
وما بينهما من الآي اعتراض فان قلت حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه
قلت ما في الاعتراض من دعاء رسول الله صلعم ربه بامر منه وقوله
انت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم
واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون آلهتهم كانه قيل قل
يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجرأة
وينكرون مثل هذا المنكر الا انت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول
لهم ولكل ظالم ان جعل مطلقا او اياهم خاصة ان عنيتهم به كانه
قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين
احكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علم
النظم والا بقيت محتجبة في اكمامها واما الآية الاولى فلم تقع
مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو
كقولك قام زيد وقعد عمرو فان قلت من اي وجه وقعت مسببة
والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم اليه بل هو مقتض لصدوفهم
عنه قلت في هذا التسبيب لطف وبيانه انك تقول زيد مؤمن بالله
فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر
بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة كان الكافر

حين التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان ومجريه
مجراه في جعله سببا في الالتجاء فانت تحكي ما عكس فيه الكافر الا ترى
انك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجيب من فعله الضمير في قالها راجع
الى قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من القول وقرئ قد قاله
على معنى القول والكلام والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال
انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكانهم قالوها ويجوز ان يكون في الامم
الخالية آخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا
ويجمعون منه من هؤلاء من مشركي قومك سيصيبهم مثل ما اصاب اولئك
فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط
لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم اولم يعلموا انه لا قابض ولا باسط الا الله عز
اسرفوا على انفسهم جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها لا تقنطوا
قرئ بفتح النون وكسرها وضمها ان الله يغفر الذنوب جميعا بشرط
التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيما ذكر
فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لان القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه
التناقض وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن
يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله
لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي صلعم وفاطمة رضي الله عنها
يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظيره نفي المبالاة نفي الخوف في قوله
ولا يخاف عقباها وقيل قال اهل مكة يزعم محمد ان من عبد
الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر و
عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وروي انه اسلم
عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا
وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا ابدا
فنزلت فكتب بها عمر رض اليهم فاسلموا وهاجروا وقيل نزلت في
وحشي قاتل حمزة رض وعن رسول الله صلعم ما احب ان لي الدنيا

وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات {وأنيبوا إلى ربكم} وتوبوا إليه {وأسلموا له} وأخلصوا له العمل وإنما ذكر الإنابة على أثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على أنها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه {واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم} مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه {وأنتم لا تشعرون} أي يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم {أن تقول نفس} كراهة أن تقول فإن قلت لم نكرت قلت لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس إما بلجاج في الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز أن يراد التكثير كما قال الأعشى:

ورب بقيع لو هتفت بجوه ... أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا

وهو يريد أفواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد إلا التكثير وقرئ يا حسرتي على الإضافة ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه والجنب الجانب يقال أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري:

أما تتقين الله في جنب وامق ... له كبد حرى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ألا ترى إلى قوله:

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج

ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لأجلك وفي الحديث من الشرك الخفي أن يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع إلى أداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت في جنب الله على معنى فرطت في ذات الله فإن قلت فمرجع كلامك إلى أن ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكأنه قيل فرطت في الله فما معنى فرطت في الله قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب أو لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله وما أشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله وما في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت {وإن كنت لمن الساخرين} قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل وإن كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر أي فرطت في حال سخريتي وروي أنه كان في بني إسرائيل عالم ترك علمه وفسق أتاه إبليس فقال له تمتع من الدنيا ثم تب فأطاعه وكان له مال فأنفقه في الفجور فأتاه ملك الموت في ألذ ما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان وأسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فأنزل الله خبره في القرآن {لو أن الله هداني} لا يخلو إما أن يريد به الهداية بالإلجاء أو بالألطاف أو بالوحي فالإلجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من أهل الألطاف فيلطف به وأما الوحي فقد كان ولكنه أعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وإنما يقول هذا تحيرا في أمره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل بإغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله {بلى قد جاءتك آياتي} رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر على الإيمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس فإن قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هداني ولم يفصل بينهما بآية قلت لأنه لا يخلو إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن وإما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب فإن قلت كيف صح أن تقع

لعله استضعف في دار الغربة فهاهنا

أي جمع بين العوض وهو الألف واللام وبين المعوض وهو الياء

قوله بمفازتهم قال في الصحاح الفوز النجاة والظفر بالخير فهو للمصنف وسبب منجاتهم عطف على قوله بفلاحهم وقوله ويجوز ايضا عطف على قوله والحاصل انه ذكر وجوها اربعة الاول ان المراد بالمفازة الفلاح والظفر بالمراد وذلك المراد هو نفي السوء والحزن عنهم فكان قوله بنفي السوء والحزن عنهم والثاني ان يكون المراد بالمفازة النجاة ويكون المضاف محذوفا وهو السبب المعني بجميع الاعمال الصالحة والثالث ان المراد بالمفازة هو الفلاح والظفر بالمراد كما في الوجه الاول لكن يكون المضاف محذوفا وهو السبب المراد بالفلاح دخول الجنة والرابع ان يكون المراد بالمفازة العمل

بلى جوابا لغيره منتفي **قلت** لو ان الله هداني فمعنى ما هديت **كذبوا على الله** وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح وتجويز ان يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا متسترين بالبلكفة ويجعلون له اندادا باثباتهم معه قدماء **وجوههم مسودة** جملة في موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب **وينجي** وقرئ ينجي **بمفازتهم** بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم او بسبب منجاتهم من قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي بمنجاة منه لان النجاة من اعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضه المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها وقرئ بمفازاتهم على ان لكل متق مفازة **فان قلت** لا يمسهم ما محله من الاعراب على التفسيرين **قلت** اما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستانف واما على الثاني فمحله النصب على الحال **له مقاليد السموات والارض** اي هو مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال اقليد واقاليد والكلمة اصلها فارسية **فان قلت** ما للكتاب العربي المبين وللفارسية **قلت** التعريب احالها عربية كما اخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا **فان قلت** بم اتصل قوله **والذين كفروا**

المعتزلة لانهم قالوا بعدم الصفات من حيث المعنى لانهم اثبتوا احوالا خمسة الاول والحيية والعالمية والقادرية والالوهية ومنع الاخرى ابنتها ابو هاشم علة فان ذاته مع عندهم تشارك سائر الذوات في الذاتية وعا تمهد الحالة الاربعة عندهم

قلت يتصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من اعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على ان كل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل سال عثمن رضه رسول الله صلعم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمن ما سالني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتاويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه **والذين كفروا بايات الله** وكلمات توحيده وتمجيده **اولئك هم الخاسرون** **افغير الله** منصوب باعبد وتامروني اعتراض ومعناه افغير الله اعبد بامركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك او ينصب بما يدل عليه جملة قوله تامروني ان اعبد لانه في معنى تعبدونني وتقولون لي اعبد والاصل تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى الا تراك تقول افغير الله تقولون لي اعبده وافغير الله تقولون لي اعبد فكذلك افغير الله تامرونني ان اعبده وافغير الله تامرونني ان اعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرا اعبد بالنصب وقرئ تامرونني على الاصل وتامروني على ادغام النون او حذفها **ليحبطن عملك** وليحبطن على البناء للمفعول ولنحبطن بالنون والياء اي ليحبطن الله او الشرك **فان قلت** الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت على التوحيد **قلت** معناه اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله او اوحي اليك والى كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل واحد منا **فان قلت** ما الفرق بين اللامين **قلت** الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب

وهذا الجواب سادٌّ مسدّ الجوابين أعني جوابي القسم والشرط **فإن قلت** كيف صح
هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم **قلت** هو على سبيل
الفرض والمحالات يصح فرضها لأغراض فكيف بما ليس بمحال ألا ترى إلى قوله ولو شاء
ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا يعني على سبيل الإلجاء ولن يكون ذلك لامتناع
الداعي إليه ووجود الصارف عنه **فإن قلت** ما معنى قوله **ولتكونن من الخاسرين**
قلت يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة
من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم إن مت على الردة ويجوز أن يكون غضب الله
على الرسول أشد فلا إمهال بعد الردة ألا ترى إلى قوله إذا لأذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات **بل الله فاعبد** رد لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنه
قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إن كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط و
جعل تقديم المفعول عوضا منه **وكن من الشاكرين** على ما أنعم به عليك من أن
جعلك سيد ولد آدم وجوّز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله
أعبد فاعبد لما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حق معرفته
وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره
وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة
شأنه على طريقة التخييل فقال **والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه** والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف
على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة
مجاز وكذلك حكم ما يروى أن جبريل صلوات الله عليه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا
القاسم إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع
والجبال على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع
ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال ثم قرأ تصديقا له
وما قدروا الله الآية وإنما ضحك أفصح العرب وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا
ما يفهمه علماء البيان من غير تصور إمساك ولا أصبع ولا هز ولا شيء من
ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي

هي الدلالة على القدرة الباهرة وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها
الأذهان ولا تكتنهها الأوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع إلى الوقوف
عليه إلا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان
أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام
الله في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء فإن أكثره وعليته تخييلات
قد زلت فيها الأقدام قديما وما أتي الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى
يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم
أن العلوم كلها مفتقرة إليه وعيال عليه إذ لا يحل عقدها الموربة
ولا يفك قيودها المكربة إلا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث
من أحاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه
الرثة لأن من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا منه من دبير
والمراد بالأرض الأرضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله
والسموات ولأن الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة ومع
القصد إلى الجمع وتأكيده بالجميع أتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم
أول الأمر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن الأراضي
كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من أثر الرسول
والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال أيضا أعطني قبضة
من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي أنه نهى عن خطفة
السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والأرضون جميعا قبضته أي ذوات
قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني أن الأرضين مع عظمهن وبسطتهن
لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة
كما تقول الجزور أكلة لقمان والقلة جرعة أي ذات أكلة
وذات جرعة تريد أنهما لا يفيان إلا بأكلة فذة من أكلاته وجرعة
فردة من جرعاته وإذا أريد معنى القبضة فظاهر لأن المعنى أن الأرضين
بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة **فإن قلت** ما وجه قراءة من قرأ

قبضته بالنصب قلت جعلها ظرفا مشبها للموقت بالمبهم مطويات من الطي
الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل وعادة طاوي السجل
أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته
وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها ومن اشتم رائحة
من علمنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية
لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني به من أمثاله وأثقل منه على الروح وأصدع
للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب
الاهتزاز به من السامعين وقرئ مطويات على نظم السماوات في حكم الأرض ودخولها
تحت القبضة ونصب مطويات على الحال سبحانه وتعالى ما أبعد من هذه قدرته
وعظمته وما أعلاه عما يضاف إليه من الشركاء فإن قلت أخرى ما محلها من الإعراب
قلت يحتمل الرفع والنصب أما الرفع فعلى قوله فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة
وأما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى ونفخ في الصور
نفخة واحدة ثم نفخ فيه أخرى وإنما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها
معلومة بذكرها في غير مكان وقرئ قياما ينظرون يقلبون أبصارهم
في الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم
ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم قد استعار الله
النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذاك والمعنى
وأشرقت الأرض بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب
ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بأنه مستعار إضافته إلى اسمه
لأنه هو الحق العدل وإضافة اسمه إلى الأرض لأنه يزينها حيث ينشر فيها
عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين
للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه وفي هذه الإضافة أن ربها وخالقها
هو الذي يعدل فيها وإنما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على إشراق الأرض من
وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور
وترى الناس يقولون للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا

بقسطك كما يقولون أظلمت البلاد بجور فلان وقال رسول الله صلعم الظلم ظلمات
يوم القيامة وكما فتح الآية بإثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ وأشرقت
على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق إذا امتلأت به واغتصت وأشرقها
الله كما تقول ملأ الأرض عدلا وطبقها عدلا والكتاب صحائف الأعمال ولكنه
اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء الذين يشهدون للأمم
وعليهم من الحفظة والأخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله الزمر الأفواج
المتفرقة بعضها في إثر بعض وقد تزمروا قال حتى احزألت زمر بعد زمر
وقيل في زمرا الذين اتقوا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد و
العلماء والقراء وغيرهم وقرئ نذر منكم فإن قلت لم أضيف إليهم
اليوم قلت أرادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة
وقد جاء استعمال اليوم والأيام مستفيضا في أوقات الشدة قالوا بلى
أتونا وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لأملأن لسوء أعمالنا كما قالوا
غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب
لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال الكلام في المتكبرين للجنس لأن مثوى
المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف
إلى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم
حتى هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية
إلا أن جزاءها محذوف وإنما حذف لأنه في صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على
أنه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى إذا جاؤوها
جاؤوها وفتحت أبوابها أي مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح إلا عند
دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله جنات
عدن مفتحة لهم الأبواب فلذلك جيء بالواو كأنه قيل حتى إذا جاؤوها وقد فتحت
أبوابها فإن قلت كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق قلت المراد
بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأسارى والخارجين
على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم

لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين وحثها إسراع بهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرّف ويكرّم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا فادخلوها جعل دخول الجنة مسبباً عن الطيب والطهارة فما هي إلا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لأنها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر ولا يدخلها إلا مناسب لها موصوف بصفتها فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة وما أضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة إلا أن يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحاً تنقي أنفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب خالدين مقدرين الخلود الأرض عبارة عن المكان الذي أقاموا فيه واتخذوه مقراً ومتبوأ وقد أورثوها أي ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم فيها كما يشاؤون تشبيهاً بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في إنفاقه طولاً وعرضاً فإن قلت ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى جنة غيره حافين محدقين من حوله يسبحون بحمد ربهم يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله بينهم قلت يجوز أن يرجع إلى العباد كلهم وأن إدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون إلا قضاء بينهم بالحق والعدل وأن يرجع إلى الملائكة على أن ثوابهم وإن كانوا معصومين جميعاً لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في أعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق فإن قلت قوله وقيل الحمد لله من القائل ذلك قلت المقضي بينهم إما جميع العباد وإما الملائكة كأنه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وإنزال كل منا منزلته التي هي حقه عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر

تعبّد الله اي عبده وتعبّده الله اي استعبده

سورة المؤمن مكية قال الحسن إلا قوله وسبح بحمد ربك لأن الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل في الحواميم كلها إنها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية وهي خمس وثمانون آية وقيل ثنتان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

قرئ بإمالة ألف حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وإيثار أخف الحركات نحو أين وكيف أو النصب بإضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف أو للتعريف وأنها على زنة أعجمي نحو قابيل وهابيل التوب والثوب والأوب أخوات في معنى الرجوع والطول الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والإفضال يقال طال عليه وتطول إذا تفضل فإن قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنكيراً والموصوف معرفة يقتضي أن تكون مثله معارف قلت أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غداً حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون إضافتهما غير حقيقية وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش وأما شديد العقاب فأمره مشكل لأنه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلاً وفي كونه بدلاً وحده بين الصفات نبوّ ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل أن يقول هي صفات وإنما حذف الألف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظاً فقد غيروا كثيراً من كلامهم عن قوانينه لأجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لأجل ما هو شفع على أن الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل ذلك إنه على نية الألف واللام

كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام ومما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة
الموصوف ويجوز ان يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة
وعلى ما لا شيء ادهى منه وامر لزيادة الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية
الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال **فان قلت** ما بال الواو في قوله
وقابل التوب **قلت** فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين
بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب
كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول وروي ان عمر رضي الله عنه افتقد رجلا
ذا باس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه
اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذي لا اله الا هو
بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا
تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته
الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه
فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ
عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه
وادعوا الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين عليه سجل على المجادلين
في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض
الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط
معانيها ورد اهل الزيغ بها وعنها فاعظم جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم ان
جدالا في القرآن كفر وايراده منكرا وان لم يقل ان الجدال تمييز منه بين جدال
وجدال **فان قلت** من اين تسبب لقوله فلا يغررك ما قبله **قلت** من حيث
انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا احد اشقى منه عند الله
وجب على من تحقق ذلك ان لا ترجح احوالهم في عينه ولا يغره اقبالهم في دنياهم
وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش
كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون

فان مصيرهم الى ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم
وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من
نحو ذلك من الامم وما اخذهم به من عقابه واحله بساحتهم من انتقامه وقرئ كذبت قبلهم قوم نوح و
الاحزاب الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم
وهمت كل امة من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب **برسولهم** وقرئ برسولها
ليأخذوه ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته بما ارادوا من تعذيب او قتل
ويقال للاسير اخيذ **فاخذتهم** يعني انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة
اخذه ان اخذتهم **فكيف كان عقاب** فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون
اثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب **انهم اصحاب النار** في محل الرفع بدل من كلمة
ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب
اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة
او في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل و**الذين كفروا** قريش ومعناه
كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم
من اصحاب النار وقرئ كلمات روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى
ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفكروا
في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة
يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى
وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه
الوصع وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام
على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة
خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام
وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين
ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين
اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على
الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر وقرأ ابن عباس
العرش بضم العين **فان قلت** ما فائدة قوله **ويؤمنون به** ولا يخفى على احد ان حملة العرش

ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده ويؤمنون قلت فائدته اظهار شرف الايمان
وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال
الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان ٥ وفائدة اخرى وهي التنبيه
على ان الامر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين
ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم
علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في ان ايمان الجميع بطريق
النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات
الاجرام ٥ وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا
كانه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم ٥ وفيه تنبيه على
ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة وابعثه على امحاض الشفقة
وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين
سماوي وارضي قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي
حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله ويستغفرون لمن في الارض
اي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله
وان يكون حالا فان قلت تعالى الله عن المكان فكيف صح ان يقال وسع كل شيء قلت
الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع كل شيء رحمتك و
علمك ولكن ازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا
منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم
واسعان كل شيء فان قلت قد ذكر الرحمة والعلم فوجب ان يكون ما بعد الفاء
مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده قلت معناه فاغفر
للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق الذي
نهجها لعباده ودعا اليها انك انت العزيز الحكيم اي الملك الذي لا يغلب
وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا الا بداعي الحكمة وموجب حكمتك
ان تفي بوعدك وقهم السيئات اي العقوبات او جزاء السيئات فحذف المضاف
على ان السيئات هي الصغائر او الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير
او قبول التوبة فان قلت فما الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون

موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد قلت هذه بمنزلة الشفاعة وفائدته
زيادة الكرامة والثواب ٥ وقرئ جنة عدن ٥ وصلح بضم اللام والفتح
افصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذرياتهم ٥ اي ينادون يوم القيامة
فيقال لهم لمقت الله اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم
فاستغنى بذكرها مرة اذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال
لهم يوم القيامة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان
الانبياء يدعونكم الى الايمان فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما
تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم هواهن ٥ وعن الحسن
لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله ٥ وقيل معناه لمقت الله
اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
بعضا واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض ٥ فوضع موضع ابلغ الانكار و
اشده اثنتين اماتتين واحياءتين او موتتين وحياتين واراد بالاماتتين
خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة
الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس فان قلت كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا
اماتة قلت كما صح ان تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل
وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر
الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت
الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان الصغر والكبر جائزان معا
على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار
الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن
الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ٥ ومن جعل الاماتتين التي بعد حياة
الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه اثبات ثلاث احياءات وهو خلاف ما في
القرآن الا ان يتمحل فيجعل احداها غير معتد بها ٥ او يزعم ان الله يحييهم
في القبور وتستمر بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين

من الصعقة في قوله إلا من شاء الله فإن قلت كيف تسبب هذا القول لـ فاعترفنا بذنوبنا
قلت قد أنكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لأن من لم يخش
العاقبة تخرق في المعاصي فلما رأوا الإماتة والإحياء قد تكرر عليهم علموا بأن
الله قادر على الإعادة قدرته على الإنشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من
إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم فهل إلى خروج أي إلى نوع من الخروج سريع
أو بطيء من سبيل قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه وهذا
كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وإنما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا أجاب
الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم أي ذلكم الذي أنتم فيه وأن لا سبيل لكم إلى الخروج
قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به فالحكم لله حيث حكم عليكم
بالعذاب السرمد وقوله العلي الكبير دلالة على الكبرياء والعظمة و
على أن عقاب مثله لا يكون إلا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته
وقيل كان الحرورية أخذوا قولهم لا حكم إلا لله من هذا هو الذي يريكم آياته من الريح
والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها والرزق المطر لأنه سببه وما
يتذكر إلا من ينيب وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله إلا من يتوب من الشرك
ويرجع إلى الله فإن المعاند لا سبيل إلى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين
فادعوا الله أي اعبدوه مخلصين له الدين من الشرك وإن غاظ ذلك أعداءكم
ممن ليس على دينكم رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلاثة أخبار
لقوله هو مترتبة على قوله الذي يريكم أو أخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة
تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات
لقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش وهي دليل على عزته
وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز أن يكون عبارة
عن رفعة شأنه وعلو سلطانه كما أن ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل
هي درجات ثوابه التي ينزلها في الجنة الروح من أمره الذي هو سبب الحياة
من أمره بيان للوحي الذي هو أمر بالخير ويبعث عليه فاستعار له الروح كما قال
أومن كان ميتا فأحييناه لينذر الله أو الملقى عليه وهو الرسول أو الروح

وقرئ لتنذر أي لتنذر الروح لأنها تؤنث أو على خطاب الرسول وقرئ
لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول ويوم التلاق يوم القيامة لأن الخلائق
تلتقي فيه وقيل يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض وقيل المعبود والعابد يوم هم
بارزون ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء لأن الأرض بارزة
قاع صفصف ولا عليهم ثياب إنما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون
عراة حفاة غرلا لا يخفى على الله منهم شيء أي من أعمالهم وأحوالهم وعن ابن
مسعود لا يخفى عليه منهم شيء فإن قلت قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان و
تقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا أو لم يبرزوا فما معناه
قلت معناه أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا إذا استتروا بالحيطان والحجب
أن الله لا يراهم وتخفى عليه أعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف
إلى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمون قال الله ولكن ظننتم أن
الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله
وذلك لعلمهم أن الناس يبصرونهم وظنهم أن الله لا يبصرهم وهو معنى
قوله وبرزوا لله الواحد القهار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية
لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه أنه ينادي مناد فيقول
لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله
الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص
الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار اليوم تجزى كل نفس الآية فهذا يقتضي أن يكون المنادي هو المجيب
لما تقرر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي
أن كل نفس تجزى ما كسبت وأن الظلم مأمون لأن الله ليس بظلام للعبيد
وأن الحساب لا يبطئ لأن الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق
كله في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضي الله عنهما إذا أخذ في
حسابهم لم يقل أهل الجنة إلا فيها ولا أهل النار إلا فيها الآزفة القيامة سميت
بها لأزوفها أي لقربها ويجوز أن يريد بيوم الآزفة وقت الخطة الآزفة

الخطة الخطب العظيم

وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارّها فتلتصق بحناجرهم
فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروّحوا ولكنها
معترضة كالشجا كما قال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فان قلت
كاظمين بم انتصب قلت هو حال عن اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم
لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة
على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه
وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال رأيتهم لي ساجدين وقال فظلت
اعناقهم لها خاضعين وتعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز ان يكون حالا
عن قوله وانذرهم اي وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله فادخلوها
خالدين الحميم المحب المشفق والمطاع مجاز في المشفع لان حقيقة الطاعة نحو
حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن فوقك فان قلت ما معنى قوله ولا شفيع يطاع
قلت يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وان يتناول الطاعة
دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وان عندك
كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا
ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره فان قلت فعلى اي
الاحتمالين يجب حمله قلت على نفي الامرين جميعا من قبل ان الشفعاء هم اولياء
الله واولياء الله لا يحبون ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله لا يحب
الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى
وما للظالمين من انصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون
الا في زيادة التفضل واهل التفضل وزيادته انما هم اهل الثواب بدليل قوله
ويزيدهم من فضله وعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة فان قلت الغرض حاصل
بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها قلت في ذكرها
فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على
انتفاء الصفة لان الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم
وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس اركبه

ولا معي سلاح احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة
من الركوب والمحاربة كأنك تقول كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة
ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع
ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء
الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه الخائنة
صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد
استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب ولا يحسن ان يراد الخائنة من
الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه فان قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة
الاعين قلت هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن
يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم
التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته والله يقضي بالحق
يعني والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه
عن الظلم وآلهتكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة
لا يقال فيه يقضي او لا يقضي ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم
خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر
ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا
تبصر وقرئ تدعون بالتاء والياء هم في كانوا هم اشد منهم فصل فان قلت
من حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو اشد منهم
قلت قد ضارع المعرفة في انه لا تدخله الالف واللام فاجري مجراها وقرئ منكم
وهي في مصاحف اهل الشام وآثارا يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما
يوصف بالشدة من آثارهم او ارادوا اكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا
وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب
فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا فلما جاءهم بالحق بالنبوة فان قلت
اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة ان يولد المولود
الذي انذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده قلت قد كان ذلك

القتل حينئذ هو قتل آخر ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله قالوا اقتلوا أعيدوا عليهم
القتل كالذي كان أولا يريد أن هذا قتل غير القتل الأول في ضلال في ضياع وذهاب
باطلا لم يجد عليهم يعني أنهم باشروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله
بإظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني ، وكان فرعون قد كف عن قتل
الولدان فلما بعث موسى وأحس بأنه قد وقع أعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه
أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم أن كيده ضائع في الكرتين جميعا
ذروني أقتل موسى كانوا إذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقل
من ذلك وأضعف وما هو إلا بعض السحرة ومثله لا يقاوم إلا ساحرا مثله ويقولون
إذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك قد عجزت عن معارضته
بالحجة ، والظاهر أن فرعون لعنه الله كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به
آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا
للدماء في أهون شيء فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه هو الذي يثل عرشه
ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك ، وقوله وليدع
ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني أقتل
موسى تمويها على قومه وإيهاما أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه إلا
ما في نفسه من هول الفزع أن يبدل دينكم أن يغير ما أنتم عليه وكانوا
يعبدونه ويعبدون الأصنام بدليل قوله ويذرك وآلهتك والفساد في الأرض
التقاتل والتهارج الذي يذهب معه الأمن وتتعطل المزارع والمكاسب
والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كأنه قال إني أخاف أن يفسد عليكم
دينكم بدعوتكم إلى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه ، وفي
مصاحف أهل الحجاز وأن يظهر بالواو ومعناه إني أخاف فساد دينكم ودنياكم معا
وقرئ يظهر من أظهر والفساد منصوب أي يظهر موسى الفساد ، وقرئ
يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أي تتابع وتعاون ،
لما سمع موسى عليه السلام بما أجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه إني عذت بالله الذي
هو ربي وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله

عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته
فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد
بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدله على
دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال لا يؤمن بيوم
الحساب لأنه إذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة
بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجرأة على الله وعباده ولم يترك
عظيمة إلا ارتكبها ، وعذت ولذت أخوان ، وقرئ عت بالإدغام
رجل مؤمن وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد وكان قبطيا ابن عم
لفرعون آمن بموسى سرا ، وقيل إسرائيليا ، من آل فرعون صفة لرجل ،
أو صلة ليكتم أي يكتم إيمانه من آل فرعون واسمه سمعان ، أو حبيب ، وقيل
خربيل ، أو حزبيل ، والظاهر أنه كان من آل فرعون فإن المؤمنين من
بني إسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون أبناء الذين آمنوا
معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا دليل ظاهر على أنه يتنصح
لقومه أن يقول لأن يقول وهذا إنكار منه عظيم وتبكيت شديد
كأنه قال أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم
علة قط في ارتكابها إلا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع أنه
لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب
إليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم إلى الاعتراف
به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورة تهورهم ولك أن تقدر مضافا محذوفا
أي وقت أن يقول والمعنى أتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير
روية ولا فكر في أمره ، وقوله بالبينات يريد بالبينات العظيمة التي عهدتموها
وشهدتموها ، ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من أن
يكون كاذبا أو صادقا فإن يك كاذبا فعليه كذبه أي يعود عليه كذبه
ولا يتخطاه ضرره وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن تعرضتم
فإن قلت لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم أن يصيبهم

كله البعض قلت لانه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى ان
يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف في القول وياتيهم من جهة
المناصحة فجاء بما علم انه اقرب الى تسليمهم لقوله وادخل في تصديقهم
له وقبولهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام
المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوه عليه وذلك انه
حين فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق في جميع ما يعد ولكنه اردفه
يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه
ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له او يرمي بالحصى
من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق ايضا من هذا القبيل وكذلك قوله ان الله
لا يهدي من هو مسرف كذاب فان قلت فعن ابي عبيدة انه فسر البعض بالكل
وانشد بيت لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها
قلت ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسئلة العلقى كان
اجفى من ان يفقه ما اقول له ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يحتمل انه
ان كان مسرفا كذابا خذله الله واهلكه ولم يستقم له امر فتتخلصون
منه وانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده
بالبينات وقيل ما تولى ابو بكر من رسول الله صلعم كان اشد من ذلك طاف
بالبيت فلقوه حين فرغ فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا له انت الذي
تنهانا عما كان يعبد اباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر رض فالتزمه
من ورائه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر
الصادق رض ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وابو بكر قاله ظاهرا ظاهرين
في الارض في ارض مصر عالين فيها على بني اسرائيل يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم
الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لباس الله
وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال ينصرنا وجاءنا
لانه منهم في القرابة وليعلمهم بان الذي ينصحهم به هو مساهم

لهم فيه ما اريكم الا ما ارى اي ما اشير عليكم برأي الا بما ارى من قتله يعني
لا استصوب الا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب وما اهديكم بهذا الراي
الا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح او ما اعلمكم الا ما اعلم من
الصواب ولا ادخر منه شيئا ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر يعني ان لسانه
وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد
من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف
الامر على الاشارة وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام او من رشد
بالفتح كعباد وقيل هو من ارشد كجبار من اجبر وليس بذاك لان فعالا من
افعل لم يجئ الا في عدة احرف نحو دراك وسار وقصار وجبار ولا يصح
القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور
فيه الى فعل مثل يوم الاحزاب مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب
وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس ان كل حزب منهم كان له
يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لان المضاف اليه اغنى عن ذلك كقوله كلوا في بعض
وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دؤوبهم
في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما
منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دابهم فان قلت
بم انتصب مثل الثاني قلت بانه عطف بيان لمثل الاول لان آخر ما تناولته
الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن
الا عطف بيان لاضافة قوم الى اعلام فسرى ذلك الحكم الى اول ما تناولته
الاضافة وما الله يريد ظلما للعباد يعني ان تدميرهم كان عدلا وقسطا
لانهم استوجبوه باعمالهم وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث
جعل المنفي ارادة الظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم
ابعد وحيث نكر الظلم كانه نفى ان يريد ظلما ما لعباده ويجوز ان يكون
معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر اي لا يريد لهم ان يظلموا يعني انه
دمرهم لانهم كانوا ظالمين التناد ما حكى الله في سورة الاعراف

من قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة
ويجوز ان يكون تصايحهم بالويل والثبور وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم
من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار
ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم
يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب (تولون مدبرين)
عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار
غير معجزين هو يوسف بن يعقوب عليهما السلم وقيل هو يوسف بن ابرهيم بن يوسف
بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف
عمر الى زمنه وقيل هو فرعون آخر ووبخهم بان يوسف اتاكم بالمعجزات
فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين حتى اذا قبض (قلتم لن يبعث الله
من بعده رسولا) حكما من عند انفسكم من غير برهان وتقدمة عزم
منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على
حكمكم الباطل الذي اسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا
بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب
لرسالة من بعده مضموم الى تكذيب رسالته وقرئ الن يبعث الله على ادخال
همزة الاستفهام على حرف النفي كان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم
قال (كذلك يضل الله) اي مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف في عصيانه
مرتاب في دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف فان قلت كيف جاز
ابداله منه وهو جمع وذاك موحد قلت لانه لا يريد مسرفا واحدا فكانه
قال كل مسرف فان قلت فما فاعل كبر قلت ضمير من هو مسرف فان قلت اما قلت
هو جمع ولهذا ابدلت منه الذين يجادلون قلت بلى هو جمع في المعنى واما
اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه وليس
ببدع ان يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى وله نظائر ويجوز ان يرفع
الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه
الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل ان يكون

الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان اتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك
اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال
كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر
مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد اشكاله
من الجبابرة وقرئ سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب با
لتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الاذن
ونحوه قوله فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة ويجوز ان يكون على حذف
المضاف اي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب قيل الصرح
البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد اشتقوه من صرح الشيء
اذا ظهر واسباب السموات طرقها وابوابها وما يؤدي اليها وكل
ما اداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه فان قلت ما فائدة هذا
التكرير ولو قيل لعلي ابلغ اسباب السموات قلت اذا ابهم الشيء ثم
اوضح كان تفخيما لشانه فلما اراد تفخيم ما امل بلوغه من اسباب
السموات ابهمها ثم اوضحها ولانه لما كان بلوغها امرا عجيبا اراد
ان يورده على نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فابهمه
ليشوف اليه نفس هامان ثم اوضحه وقرئ فاطلع بالنصب على جواب
الترجي تشبيها للترجي بالتمني ومثل ذلك التزيين وذلك الصد (زين
لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) والمزين اما الشيطان بوسوسته
كقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل او الله تعالى على وجه التسبيب
لانه مكن الشيطان وامهله ومثله زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون
وقرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله دل عليه قوله
الى اله موسى وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين الى الفاء
كما قيل قيل والتباب الخسران والهلاك وصد مصدر معطوف على سوء
عمله وصدوا مثله ونحوه قال اهدكم (سبيل الرشاد) فاجمل لهم ثم فسر
فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها هو اصل الشر كله

اطّلع الى الشئ اي صعده وطلع الجبل كذلك

ومنه تتشعب جميع ما يؤدي الى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم
الآخرة والاطلاع على حقيقتها وانها هي الوطن والمستقر وبذكر الاعمال سيئها
وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين
الدعوتين دعوته الى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم الى اتخاذ الانداد
الذي عاقبته النار وحذر وانذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم ان الله
استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله فوقيه
الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفي هذا ايضا
دليل بين على ان الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض
شبيه بالتصريح لان ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي فلا يجزى الا مثلها
لان الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لانها ظلم واما الزيادة
على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لانها فضل فاولئك يدخلون بغير حساب
واقع في مقابلة الا مثلها يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد
على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت
من الزيادة على الحق والكثرة والسعة فان قلت لم كرر نداء قومه
ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلت اما تكرير النداء ففيه
زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وعشيرته وهم
فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم
ويتلطف بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهموه فان سرورهم سروره وغمهم غمه
وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر ابراهيم صلى الله عليه وسلم في نصيحة ابيه يا ابت واما المجيء
بالواو العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له
فاعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل
على كلام ليس بتلك المثابة تقول دعاه الى كذا ودعاه له كما تقول هداه الى الطريق
وهداه له ما ليس لي به علم اي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه
قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها لا جرم سياقه
على مذهب البصريين ان يجعل لا ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق

وان مع ما في حيزه فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته او بمعنى كسب من قوله
ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا اي كسب
ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته
ويجوز ان يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا
فعل من التبديد وهو التفريق فكما ان معنى لا بد انك تفعل كذا بمعنى لا بعد
لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار اي لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون
النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال
باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروي عن العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم
وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم
ليس له دعوة معناه ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اي من
حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها
اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا
يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله في الدنيا ولا
في الآخرة يعني انه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره وفي الآخرة
اذا انشأه الله حيوانا تبرأ من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه
ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا وفي الآخرة او دعوة مستجاب بها
جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة
باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له
دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء المسرفين عن قتادة
المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم
خيرهم هم المسرفون وقرئ فستذكرون اي فسيذكر بعضكم بعضا
وافوض امري الى الله لانهم توعدوه فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد
مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى
وحاق بآل فرعون ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم النار بدل
من سوء العذاب او خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار

او مبتدأ خبره يعرضون عليها وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها
وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به
وقرئ النار بالنصب وهي تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون
عليها ويجوز ان ينتصب على الاختصاص غدوا وعشيا في هذين الوقتين يعذبون بالنار
وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان يعذبون بجنس آخر من العذاب او ينفس عنهم
ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت
الساعة قيل لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب عذاب جهنم وقرئ ادخلوا آل فرعون
اي يقال لخزنة جهنم ادخلوهم فان قلت قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب
معناه انه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا
وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا
عليهم لانهم لا يعذبون بجهنم قلت يجوز ان يهم الانسان بان يغرق قوما فيحرق
بالنار ويسمى ذلك حيقا لانهم هموا بسوء فاصابهم ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط
في الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز ان يهم فرعون لما سمع
انذار المسلم بالنار وقول المؤمن وان المسرفين هم اصحاب النار فيفعل نحو ما
فعل نمرود ويعذبهم بالنار فحاق به مثل ما اضمره وهم بفعله ويستدل
بهذه الآية على اثبات عذاب القبر واذكر وقت يتحاجون تبعا تباعا
كخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع او وصفا بالمصدر وقرئ كلا على
التأكيد لاسم ان لانه معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا
او كلنا فيها فان قلت هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها قلت لا لان
الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم
لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل بان
ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لخزنة جهنم للقوام بتعذيب
اهلها فان قلت هلا قيل الذين في النار لخزنتها قلت لان في ذكر جهنم تهويلا و
تفظيعا ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم بير جهنام بعيدة القعر
وفي لهم النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه يلقي الشعر على لسان

المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال ابو نواس في خلف الاحمر
قليذم من العيالم الخسف وفيها اعتى الكفار واطغاهم ولعل الملائكة
الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا
تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم اولم تك تاتيكم الزام للحجة وتوبيخ
وانهم خلفوا وراءهم اوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب التي
يستجيب الله لها الدعوات قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع
الا بشرط كون المشفوع له غير ظالم والاذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها
وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة
على الخيبة وان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه كيف يسمع دعاء الكافر
في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدنيا والآخرة يعني انه يغلبهم
في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين
امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم ولو بعد حين
والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الحفظة من الملائكة والانبياء
والمؤمنين من امة محمد صلعم لانهم يشهدون على الناس واليوم الثاني بدل
من الاول يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم لو
جاؤوا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولهم اللعنة
البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار اي سوء دار الآخرة وهو عذابها وقرئ
تقوم ولا تنفع بالتاء والياء يريد بالهدى جميع ما آتاه في باب الدين من
المعجزات والتوراة والشرائع واورثنا وتركنا على بني اسرائيل من بعده
الكتاب اي التوراة هدى وذكرى ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول
له او على الحال لاولي الالباب المؤمنين به العاملين بما فيه فاصبر ان وعد
الله حق يعني ان نصرة الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى
وما آتاه من اسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وابقاء آثاره وهداه
في بني اسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك
امتك مشارق الارض ومغاربها فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص فان

العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق واقبل على التقوى
واستدرك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي
والابكار وقيل هما صلاتا العصر والفجر ان في صدورهم الا كبر الا تكبر
وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك
ودفعوا اياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة
تحتها كل ملك ورياسة او ارادة ان تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل
عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الايات بالجدال ما هم
ببالغيه اي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة
او النبوة او دفع الايات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون
يخرج صاحبنا المسيح ابن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر و
البحر وتسير معه الانهار وهو اية من ايات الله فيرجع الينا الملك فسمى
الله تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ
اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك انه هو السميع لما تقول ويقولون
البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم فان قلت
كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض بما قبله قلت ان مجادلتهم في ايات الله
كانت مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق
السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها وبانها خلق عظيم لا يقادر
قدره وخلق الناس بالقياس اليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها
كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله لا يعلمون
لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم اهواءهم ضرب
الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء وقرئ يتذكرون بالياء والتاء والتاء اعم
لا ريب فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء
لا يؤمنون لا يصدقون بها ادعوني اعبدوني والدعاء بمعنى العبادة كثير
في القران ويدل عليه قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابة
الاثابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني اثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها

اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب للذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله وعن الثوري انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء
وفي الحديث اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء اعطيته افضل ما اعطي السائلين
وروى النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرا هذه الاية ويجوز ان يريد
الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتي دعائي لان الدعاء باب من العبادة
ومن افضل ابوابها يصدقه قول ابن عباس افضل العبادة الدعاء وعن كعب اعطى
الله هذه الامة ثلاث خلال لم يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت شاهدي
على خلقي وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج
وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني استجب لك وقال
لنا ادعوني استجب لكم وعن ابن عباس وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير للدعاء
بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد داخرين صاغرين مبصرا من الاسناد المجازي
لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار فان قلت لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال
وهلا كانا حالين او مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث
المعنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الاخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة
التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز ان يوصف بالسكون على الحقيقة الا
ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم تتميز الحقيقة من المجاز فان قلت
فهلا قيل لمفضل او لمتفضل قلت لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه
فضل وذلك انما يستوي بالاضافة فان قلت فلو قيل ولكن اكثرهم فلا يتكرر
ذكر الناس قلت في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون
فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود
ان الانسان لظلوم كفار ذلكم المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه
فيها احد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة
اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانشائه
لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لا ثاني له فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه
تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان ثم ذكر ان كل من جحد بايات الله

ولم يتأملها ولم تكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة أفك كما أفكوا ۝
وقرئ خالقَ كلِّ شيء نصبا على الاختصاص ۝ ويؤفكون بالياء والتاء ۝ هذه أيضا دلالة
أخرى على تفرده بأفعال خاصة وهي أنه جعل الأرض مستقرا والسماء بناء أي قبة
۝ ومنه أبنية العرب لمضاربهم لأن السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه
الأرض فأحسن صوركم وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا
أحسن صورة من الإنسان ۝ وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله في أحسن تقويم
فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين أي الطاعة من الشرك والرياء قائلين
الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها
الحمد لله رب العالمين فإن قلت أما نهي رسول الله صلعم عن عبادة الأوثان بأدلة العقل
حتى جاءته البينات من ربه قلت بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لأدلة
العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى أتعبدون ما تنحتون والله
خلقكم وما تعملون وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل كان ذكر البينات
ذكرا لأدلة العقل والسمع جميعا وإنما ذكر ما يدل على الأمرين جميعا لأن ذكر
تناصر أدلة العقل وأدلة السمع أقوى في إبطال مذهبهم وإن كانت أدلة
العقل وحدها كافية لتبلغوا أشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم
لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما ولتبلغوا أجلا مسمى ومعناه وقت الموت ۝ وقيل
يوم القيامة ۝ وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى
كل واحد منكم ۝ أو اقتصر على الواحد لأن الغرض بيان الجنس من قبل من قبل الشيخوخة
أو من قبل هذه الأحوال إذا خرج سقطا ولعلكم تعقلون ما في ذلك من العبر والحجج
فإذا قضى أمرا فإنما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته
على الإحياء والإماتة وسائر ما ذكر من أفعاله الدالة على أن مقدورا لا يمتنع
عليه كأنه قال فلذلك من الاقتدار إذا قضى أمرا كان أهون شيء وأسرعه بالكتاب
بالقرآن وبما أرسلنا به رسلنا من الكتب فإن قلت وهل قوله فسوف يعلمون إذ الأغلال
في أعناقهم إلا مثل قولك سوف أصوم أمس قلت المعنى على إذا إلا أن الأمور
المستقبلة لما كانت في أخبار الله متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان

ووجد والمعنى على الاستقبال ۝ وعن ابن عباس والسلاسلَ يَسحبون بالنصب وفتح الياء
على عطف الجملة الفعلية على الاسمية ۝ وعنه والسلاسلِ يُسحبون بجر السلاسل
ووجهه أنه لو قيل إذ أعناقهم في الأغلال مكان قوله إذ الأغلال في أعناقهم
لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة
الأخرى ونظيره ۝ مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ۝ ولا ناعب إلا ببين غرابها كأنه قيل بمصلحين
وقرئ وبالسلاسل يسحبون في النار يسجرون من سجر التنور إذا ملأه بالوقود
ومنه السجير كأنه سجر بالحب أي ملئ ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم وهم
مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على
الأفئدة اللهم أجرنا من نارك إنا عائذون بجوارك ضلوا عنا غابوا عن عيوننا
فلا نراهم ولا ننتفع بهم فإن قلت أما ذكرت في تفسير قوله تعالى إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم أنهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد
ضلوا عنهم قلت يجوز أن يضلوا عنهم إذ وبخوا وقيل لهم أينما كنتم تشركون
من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم ۝ وأن يكونوا معهم في سائر الأوقات ۝ وأن يكونوا
معهم في جميع أوقاتهم إلا أنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم بل لم نكن ندعو
من قبل شيئا أي تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما
تقول حسبت أن فلانا شيء فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنده خيرا
كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى
لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا ذلكم الإضلال بسبب ما كان
لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الأوثان ادخلوا أبواب
جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء
مقسوم خالدين مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق المستخفين
به مثواكم أو جهنم فإن قلت أليس قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين
كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى قلت
الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء فإما نرينك أصله فإن نرك وما مزيدة
لتأكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول إن تكرمني

أكرمك ولكن إما تكرمني أكرمك فإن قلت لا يخلو إما أن تعطف أو نتوفينك
على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله فإلينا يرجعون فقولك فإما
نرينك بعض الذي نعدهم فإلينا يرجعون غير صحيح وإن جعلت فإلينا يرجعون
مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء قلت فإلينا
يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فإما نرينك
بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك أو إن نتوفينك
قبل يوم بدر فإلينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام
ونحوه قوله فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم
فإنا عليهم مقتدرون ومنهم من لم نقصص عليك قيل بعث الله ثمانية
آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن علي
إن الله بعث نبيا أسود فهو ممن لم يقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على
رسول الله عنادا يعني أنا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم
أن يأتي بآية إلا بإذن الله فمن لي بأن آتي بآية مما تقترحونه إلا أن يشاء
الله ويأذن في الإتيان بها فإذا جاء أمر الله وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات
وأمر الله القيامة المبطلون المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد
أتتهم الآيات فأنكروها وسموها سحرا الأنعام الإبل خاصة فإن قلت
لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل ولتأكلوا منها ولتصلوا إلى
منافع أو هلا قال منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة في
صدوركم قلت في الركوب الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة
الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين أو طلب علم وهذه أغراض دينية إما
واجبة أو مندوب إليها مما يتعلق به إرادة الحكيم وأما الأكل
وإصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به إرادته ومعنى قوله
وعليها وعلى الفلك تحملون وعلى الأنعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى
الفلك في البر والبحر فإن قلت هلا قيل وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من
كل زوجين اثنين قلت معنى الإيعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم

ان الفلك وعاء لمن يكون

ان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت
العبارتان وأيضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه فأي آيات الله
جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لأن التفرقة بين
المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في أي أغرب
لإبهامه وآثارا قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم بأرجلهم لعظم أجرامهم
فما أغنى عنهم ما نافية أو مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية
موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع يعني أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم
فرحوا بما عندهم من العلم فيه وجوه منها أنه أراد العلم على طريق التهكم
في قوله بل ادارك علمهم في الآخرة وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون لا
نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده
للحسنى وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا
منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الأنبياء
كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها أن يريد علم الفلاسفة
والدهريين من بني يونان وكانوا إذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا
علم الأنبياء إلى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى صلوات الله عليه وقيل
له لو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهديون فلا حاجة بنا إلى من يهدينا
ومنها أن يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع
قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب
لأقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم ومنها
أن يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه
قال استهزؤوا بالبينات وبما جاؤوا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل
عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ومنها أن يجعل الفرح للرسل
ومعناه أن الرسل لما رأوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء
عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا
من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم

ويجوز ان يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم
فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي ابعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا
والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها
واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به البأس شدة
العذاب ومنه قوله بعذاب بئيس فان قلت اي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم
ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم قلت هو من كان في نحو قوله ما كان لله
ان يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم فان قلت
كيف ترادفت هذه الفاءات قلت اما قوله فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا
اكثر منهم واما قوله فلما جاءتهم رسلهم فجار مجرى البيان والتفسير لقوله
فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء
وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما رأوا
بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله
سنت الله بمنزلة وعد الله وما اشبهه من المصادر المؤكدة وهنالك
مكان مستعار للزمان اي وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر
هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله قضي بالحق اي وخسروا وقت
مجيء امر الله او وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ
سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية وهي اربع وخمسون وقيل ثلاث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ان جعلت حم اسما للسورة
كانت في موضع المبتدأ وتنزيل خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل
خبرا لمبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ
محذوف وجوز الزجاج ان يكون تنزيل مبتدأ وكتاب خبره ووجهه ان
تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ فصلت آياته ميزت وجعلت
تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد

للمؤمنين اي ما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم
انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله
وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين ذلكم الحاكم
بينكم هو ربي عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين واليه ارجع في كفاية
شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا
فيه الى رسول الله ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل
آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر
من سنة رسول الله وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي
لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح
قال الله ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي فان قلت هل يجوز حمله على اختلاف
المجتهدين في احكام الشريعة قلت لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول فاطر
السموات قرئ بالرفع والجر فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدأ محذوف
والجر على فحكمه الى الله فاطر السموات وذلكم الى انيب اعتراض بين الصفة والموصوف
جعل لكم خلق لكم من انفسكم من جنسكم من الناس ازواجا ومن الانعام ازواجا اي
وخلق من الانعام ازواجا ومعناه وخلق للانعام ايضا من انفسها ازواجا يذرؤكم
يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرء والذرو
اخوات فيه في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا حتى كان
بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم
يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل
وهي من الاحكام ذات العلتين فان قلت ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا
قيل يذرؤكم به قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير
الا تراك تقول للحيوان في خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حيوة
قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا
المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده

وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان أبلغ من قولك أنت لا تخفر ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون إيفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد إلى طهارته وطيبه فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله بل يداه مبسوطتان فإن معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر حتى إنهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال فأصبحت مثل كعصف مأكول ويقدر ويضيق إنه بكل شيء عليم فإذا علم أن الغنى خير للعبد أغناه وإلا أفقره شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة قال الله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن أقيموا إما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه وإما رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو إقامة الدين ونحوه قوله إن هذه أمتكم أمة واحدة كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم إليه من إقامة دين الله والتوحيد الله يجتبي إليه يجتلب إليه والضمير لما تدعوهم أو للدين من يشاء من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليهم ألطافه وما تفرقوا يعني أهل الكتاب بعد أنبيائهم إلا من بعد ما جاءهم العلم
بعد

ان الفرقة ضلال

أن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بالتأخير إلى يوم القيامة لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم وهم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان وقيل كان الناس أمة واحدة مؤمنين بعد أن أهلك الله أهل الأرض أجمعين بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الأبناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله إليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وإنما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق أهل الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله كقوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والإنجيل وقرئ ورثوا وورثوا فلذلك فلأجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلى الدعوة إليها كما أمرك الله ولا تتبع أهواءهم المختلفة الباطلة بما أنزل الله من كتاب بأي كتاب صح أن الله أنزله يعني الإيمان بجميع الكتب المنزلة لأن المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض إلى قوله أولئك هم الكافرون حقا لأعدل بينكم في الحكم إذا تخاصمتم فتحاكمتم إلي لا حجة بيننا وبينكم أي لا خصومة إذ الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة إلى المحاجة ومعناه لا إيراد حجة بيننا لأن المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا يوم القيامة فيفصل بيننا وبينكم لما منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والإلزام فإن قلت كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والإجلاء قلت المراد محاجزة في مواقف المقاولة لا المقاتلة يحاجون في الله يخاصمون في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الإسلام ليردوهم إلى دين الجاهلية كقوله ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم

كفاراً كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم
ونحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم
بدر وأظهر دين الإسلام داحضة باطلة زائلة الله الذي أنزل الكتاب أي جنس الكتاب
والميزان والعدل والتسوية ومعنى إنزال العدل أنه أنزله في كتبه المنزلة
وقيل الذي يوزن به بالحق ملتبساً بالحق مقترناً به بعيداً من الباطل أو
بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة أو بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك
الساعة في تأويل البعث فلذلك قيل قريب أو لعل مجيء الساعة قريب فإن قلت
كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع إنزال الكتاب والميزان قلت لأن الساعة
يوم الحساب ووضع الموازين القسط فكأنه قيل أمركم الله بالعدل والتسوية
والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن أعمالكم ويوفي
لمن أوفى ويطفف لمن طفف المماراة الملاجة لأن كل واحد منهما يمري
ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة
الله ولدلالة الكتاب المعجز على أنها آتية لا ريب فيها ولشهادة العقول
على أنه لا بد من دار الجزاء لطيف بعباده بر بليغ البر بهم قد توصل بره إلى
جميعهم وتوصل من كل واحد منهم إلى حيث لا يبلغه وهم أحد من كلياته وجزئياته
فإن قلت فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره إلى جميعهم قلت
كلهم مبرورون لا يخلو أحد من بره لكن البر أصناف وله أوصاف والقسمة
بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد
صنف من البر لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف
لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لم يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذي أراد
بقوله يرزق من يشاء كما يرزق أحد الأخوين ولداً دون الآخر على أنه
أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر القدرة
الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب سمى ما يعمله العامل مما
يبتغي به الفائدة والزكاء حرثاً على المجاز وفرق بين عملي العاملين
بأن من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا

أعطي شيئاً منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه
وما له نصيب قط في الآخرة ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا
نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة للاستهانة بذلك إلى جنب ما
هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب ومعنى الهمزة في أم التقرير و
التقريع وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل
للدنيا لأنهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرعت لهم الشياطين وتعالى الله
عن الإذن فيه والأمر به وقيل شركاؤهم أوثانهم وإنما أضيفت إليهم لأنهم
متخذوها شركاء فتارة تضاف إليهم لهذه الملابسة وتارة إلى الله ولما
كانت سبباً لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال إبراهيم
صلوات الله عليه إنهن أضللن كثيراً من الناس ولولا كلمة الفصل أي القضاء
السابق بتأجيل الجزاء أو ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة لقضي
بينهم أي بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم وقرئ وأن الظالمين
بالفتح وأن الظالمين بالفتح عطفاً له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل وتقدير
تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا ترى الظالمين في الآخرة
مشفقين خائفين خوفاً شديداً أرق قلوبهم مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم
يريد ووباله واقع بهم وواصل إليهم لا بد لهم منه أشفقوا أو لم يشفقوا
كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها عند ربهم منصوب
بالظرف لا بيشاؤن قرئ يبشر من بشره ويبشر من أبشره ويبشر
من بشره والأصل ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده فحذف الجار
كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع إلى الموصول كقوله أهذا الذي بعث الله
رسولاً أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده روي أنه اجتمع المشركون
في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً فنزلت
الآية إلا المودة في القربى يجوز أن يكون استثناء متصلاً أي لا أسألكم
أجراً إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي ولم يكن هذا أجراً في الحقيقة
لأن قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة ويجوز أن يكون منقطعاً

اى لا اسألكم اجرا قط ولكنى اسألكم ان تودوا اقربائى الذين هم قرابتكم
ولا تؤذوهم فان قلت هلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى وما معنى
قوله الا المودة فى القربى قلت جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى آل فلان
مودة ولى فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبى ومحله وليست
فى بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هى متعلقة بمحذوف
تعلق الظرف به فى قولك المال فى الكيس وتقديره الا المودة ثابتة فى القربى
ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد
فى اهل القربى وروى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين
وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما ويدل عليه ما روى عن على رضى الله عنه
شكوت الى رسول الله صلعم حسد الناس لى فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول
من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا
وذريتنا خلف ازواجنا وعن النبى صلعم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتى واذانى
فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها
فانا اجازيه عليها غدا اذا لقينى يوم القيامة وروى ان الانصار قالوا
فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فقال عباس او ابن عباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلعم
فاتاهم فى مجالسهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله بى
قالوا بلى يا رسول الله قال الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى قالوا بلى يا رسول الله قال
افلا تجيبونى قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك قومك
فآويناك او لم يكذبوك فصدقناك او لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول
حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما فى ايدينا لله ولرسوله فنزلت الاية
وقال رسول الله صلعم من مات على حب آل محمد مات شهيدا الا ومن مات على
حب آل محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا الا ومن
مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب آل
محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب آل محمد
يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب آل محمد

فتح له فى قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره
مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة
الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله
الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم
رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله وبينهم قرابة
فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه نزلت والمعنى الا ان تودونى فى القربى
اى فى حق القربى ومن اجلها كما تقول الحب فى الله والبغض فى الله بمعنى فى حقه ومن اجله
يعنى انكم قومى واحق من اجابنى واطاعنى فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق
القربى ولا تؤذونى ولا تهيجوا على وقيل اتت الانصار رسول الله بمال جمعوه
وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وانت ابن اختنا وتعروك نوائب وحقوق
وما لك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب
الى الله اى الا ان تتقربوا الى الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ
الا مودة فى القربى ومن يقترف حسنة عن السدى انها المودة فى آل رسول الله
نزلت فى ابى بكر الصديق رضه ومودته فيهم والظاهر العموم فى اى حسنة كانت
الا انها لما ذكرت عقيب ذكر المودة فى القربى دل ذلك على انها تناولت المودة
تناولا اوليا كأن سائر الحسنات لها توابع وقرئ يزد اى يزد الله وزيادة
حسنها من جهة الله مضاعفتها لقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهى مصدر كالبشرى الشكور فى صفة الله
مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله الى الافتراء
ثم الى الافتراء على الله الذى هو اعظم الفرى وافحشها فان يشا الله يختم على
قلبك فان يشا الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفترى عليه الكذب
فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان فى مثل حالهم وهذا الاسلوب
مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وانه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول
فى جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامناء فيقول

فيقول لعل الله خذلني لعل الله أعمى قلبي وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى
القلب وإنما يريد استبعاد أن يخون مثله والتنبيه على أنه ركب من تخوينه
أمر عظيم ثم قال ومن عادة الله أن يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه
أو بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما تزعمون
لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه ويجوز أن يكون
عدة لرسول الله بأنه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق
الذي أنت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك عليهم إن الله عليم
بما في صدرك وصدورهم فيجري الأمر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك
ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك
وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم فإن قلت
إن كان قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فما بال الواو
ساقطة في الخط قلت كما سقطت في قوله ويدع الإنسان بالشر وقوله
سندع الزبانية على أنها مثبتة في بعض المصاحف يقال قبلت منه الشيء
وقبلته عنه فمعنى قبلته منه أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه
ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وأبنته عنه والتوبة أن يرجع عن القبيح
والإخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على أن لا يعاود لأن المرجوع عنه
قبيح وإخلال بالواجب وإن كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التفصي على طريقه
وروي جابر أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلعم وقال اللهم إني أستغفرك
وأتوب إليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي رض يا هذا إن سرعة
اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج إلى التوبة فقال يا أمير المؤمنين
وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة
ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما
ربيتها في المعصية وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة
المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات عن الكبائر
إذا تيب عنها وعن الصغائر إذا اجتنبت الكبائر ويعلم ما تفعلون قرئ

هنا على منهجه

بالتاء والياء أي يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته ويستجيب الذين
آمنوا ويستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله وإذا كالوهم أي يثيبهم على طاعتهم
ويزيدهم على الثواب تفضلا وإذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا
وزادهم على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم أي يستجيبون له بالطاعة
إذا دعاهم إليها ويزيدهم هو من فضله على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا
من فعلهم يجيبونه إذا دعاهم وعن إبراهيم بن أدهم أنه قيل له ما بالنا
ندعو فلا نجاب قال لأنه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو إلى دار السلام
ويستجيب الذين آمنوا لبغوا من البغي وهو الظلم أي لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا
لأن الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه السلام أخوف
ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب وقد جعل الوسمي
ينبت بيننا وبين بني رومان نبعا وشوحطا يعني أنهم أحيوا فحدثوا أنفسهم بالبغي و
التغابن أو من البغي وهو البذخ والكبر أي لتكبروا وأفسدوا في الأرض وفعلوا
ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت في قوم من أهل الصفة
تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب بن الأرت فينا نزلت وذلك أنا
نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها بقدر
يقال قدره قدرا وقدرا خبير بصير يعرف ما يؤول إليه أحوالهم فيقدر
لهم ما هو أصلح وأقرب إلى جمع شملهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض
ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم
لهلكوا فإن قلت قد نرى الناس يبغي بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم
مقبوض عنهم فإن كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وإن كان المقبوض عنهم
يبغون فقد يكون البغي بدون البسط فلم شرطه قلت لا شبهة في أن البغي
مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب وكلاهما سبب ظاهر للإقدام على
البغي والإحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الأمر إلى عكس ما عليه
الآن قنطوا بفتح النون وكسرها وينشر رحمته أي بركات الغيث ومنافعه
وما يحصل به من الخصب وعن عمر رضي الله عنه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا إذن

ويجوز أن يريد رحمته في كل شيء كأنه قال ينزل الرحمة التي هي الغيث و
ينشر غيرها من رحمته الواسعة **الولي** الذي يتولى عباده بإحسانه **الحميد**
المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته **وما بث** يجوز أن يكون مجرورا ومرفوعا
حملا على المضاف إليه أو المضاف **فإن قلت** لم جاز فيهما من دابة والدواب في الأرض وحدها
قلت يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم
فيهم شاعر مجيد أو شجاع بطل وإنما هو في فخذ من أفخاذهم أو فصيلة من فصائلهم
وبنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله نويس منهم ومنه قوله يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان وإنما يخرج من الملح ويجوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران
فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الأناسي ولا يبعد أن يخلق في السموات حيوانا
يمشون فيها مشي الأناسي على الأرض سبحان الذي خلق ما نعلم ومما لا نعلم من أصناف
الخلق **إذا** يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي قال الله تعالى والليل إذا يغشى ومنه إذا
يشاء قال الشاعر. وإذا ما أشاء أبعث منها آخر الليل ناشطا مذعورا
في مصاحف أهل العراق **فبما كسبت** بإثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفي مصاحف
أهل المدينة بما كسبت بغير فاء على أن ما مبتدأة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى
الشرط والآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع أن يستوفي الله بعض عقاب المجرم
ويعفو عن بعض فأما من لا جرم له كالأنبياء والأطفال والمجانين فهؤلاء إذا أصابهم
شيء من ألم أو غيره فللعوض الموفى والمصلحة وعن النبي صلعم ما من اختلاج عرق
ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر وعن بعضهم
من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه
أكثر كان قليل النظر في إحسان ربه إليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات في كل
أوان وجناياته في طاعته أكثر من جناياته في معاصيه لأن جناية المعصية من
وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب
ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة
وعن علي رضه وقد رفعه من عفي عنه في الدنيا عفي عنه في الآخرة ومن عوقب
في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة وعنه رضي الله عنه هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن

بمعجزين بفائتين ما قضي عليكم من المصائب **من ولي** من متول بالرحمة **الجوار**
السفن وقرئ الجواري **كالأعلام** كالجبال قالت الخنساء. كأنه علم في رأسه نار
وقرئ الرياح **فيظللن** بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل
رواكد ثوابت لا تجري **على ظهره** على ظهر البحر **لكل صبار** على بلاء الله **شكور** لنعمائه
وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله
فهو يستملي منها العبر **يوبقهن** يهلكهن والمعنى أنه إن يشأ يبتلي المسافرين
في البحر بإحدى بليتين إما أن يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن
من الجري وإما أن يرسل الريح عاصفة فيهلكهن إغراقا بسبب ما كسبوا
من الذنوب ويعف عن كثير منها **فإن قلت** علام عطف يوبقهن **قلت** على يسكن
لأن المعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها **فإن قلت**
فما معنى إدخال العفو في حكم الإيباق حيث جزم جزمه **قلت** معناه أو إن يشأ يهلك
ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم **فإن قلت** فمن قرأ ويعفو **قلت** قد استأنف
الكلام **فإن قلت** فما وجوه القراءات الثلاث في ويعلم **قلت** أما الجزم فعلى ظاهر
العطف وأما الرفع فعلى الاستئناف وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره
لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز
في القرآن منه قوله ولنجعله آية للناس وقوله وخلق الله السموات والأرض
بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وأما قول الزجاج النصب على إضمار أن لأن
قبلها جزاء تقول ما تصنع أصنع مثله وأكرمك وإن شئت وأكرمك على وأنا
أكرمك وإن شئت وأكرمك جزما ففيه نظر لما أورده سيبويه في كتابه
قال واعلم أن النصب بالفاء والواو في قوله إن تأتني آتك وأعطيك ضعيف
وهو نحو من قوله. وألحق بالحجاز فأستريحا. فهذا يجوز وليس بحد الكلام
ولا وجهه إلا أنه في الجزاء صار أقوى قليلا لأنه ليس بواجب أنه يفعل إلا
أن يكون من الأول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه
هذا على ضعفه ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد
الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه منها كتابه وقد

وكسيبويه نظائر منها من أبيات المشكلة. فإن قلت فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم؟ قلت
كأنه قال أو إن يشأ يجمع بين ثلاثة أمور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين
من محيص من محيد عن عقابه. ما الأولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها
بخلاف الثانية. وعن علي رضي الله عنه اجتمع لأبي بكر رضي الله عنه مال فتصدق به كله في سبيل الله والخير
فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت. والذين يجتنبون عطف على الذين
آمنوا وكذلك ما بعده. ومعنى كبائر الإثم الكبائر من هذا الجنس. وقرئ
كبير الإثم. وعن ابن عباس كبير الإثم هو الشرك. هم يغفرون أي هم الأخصاء
بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم
وإيقاعه مبتدأ وإسناد يغفرون إليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون
والذين استجابوا لربهم نزلت في الأنصار دعاهم الله عز وجل للإيمان به
وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه. وأقاموا الصلوة وأتموا الصلوات
الخمس وكانوا قبل الإسلام وقبل مقدم رسول الله صلعم المدينة إذا كان
بينهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم أي لا ينفردون برأي حتى
يجتمعوا عليه. وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم. والشورى
مصدر كالفتيا بمعنى التشاور. ومعنى قوله وأمرهم شورى بينهم أي ذو شورى
وكذلك قولهم ترك رسول الله صلعم وعمر بن الخطاب الخلافة شورى. هو أن يقتصروا
في الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يعتدوا. وعن النخعي أنه كان إذا
قرأها قال كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق. فإن قلت
أهم محمودون على الانتصار؟ قلت نعم لأن من أخذ حقه غير متعد حد الله
وما أمر به فلم يسرف في القتل إن كان ولي دم أو رد على سفيه محاماة على عرضه
وردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود. كلتا الفعلتين الأولى وجزاؤها
سيئة لأنها تسوء من تنزل به قال الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه
من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا. والمعنى أنه يجب إذا قوبلت
الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة فإذا قال أخزاك الله قال
أخزاك الله. فمن عفا وأصلح بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء كما قال فإذا

الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. فأجره على الله عدة مبهمة لا يقاس
أمرها في العظم. وقوله إنه لا يحب الظالمين دلالة على أن الانتصار لا يكاد
يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما
كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر. وعن النبي صلعم إذا كان يوم القيامة
نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم
على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة بإذن الله. بعد
ظلمه من إضافة المصدر إلى المفعول وتفسره قراءة من قرأ بعد ما ظلم. فأولئك
إشارة إلى المعنى من دون لفظه. ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعائب. إنما
السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالظلم. ويبغون في الأرض يتكبرون
فيها ويعلون ويفسدون. ولمن صبر على الظلم والأذى وغفر ولم ينتصر وفوض
أمره إلى الله. إن ذلك منه لمن عزم الأمور وحذف الراجع لأنه مفهوم كما
حذف من قولهم السمن منوان بدرهم. ويحكى أن رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب
يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها
إذ ضيعها الجاهلون. وقالوا العفو مندوب إليه وقد ينعكس الأمر في بعض الأحوال
فيرجع ترك العفو مندوبا إليه وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي وقطع
مادة الأذى. وعن النبي صلعم ما يدل عليه وهو أن زينب أسمعت عائشة بحضرته
وكان ينهاها فلا تنتهي فقال لعائشة دونك فانتصري. ومن يضلل الله ومن
يخذل الله فما له من ولي من بعده فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه. خاشعين
متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل. وقد يعلق من الذل بينظرون
ويوقف على خاشعين. من طرف خفي أي يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم
ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر إلى السيف وهكذا نظر الناظر
إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل في
نظره إلى المحاب. وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون إلا بقلوبهم وذلك نظر
من طرف خفي وفيه تعسف. يوم القيامة إما أن يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين
واقعا في الدنيا وإما أن يتعلق بقال أي يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة

من الله من صلة لا مرد اي لا يرده الله بعد ما حكم به او من صلة يأتي اي من قبل ان يأتي من الله يوم لا يقدر احد على رده والنكير الانكار اي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون في صحائف اعمالكم ۝ اراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله وان تصبهم سيئة ولم يرد الا المجرمين لان اصابة السيئة بما قدمت ايديهم انما تستقيم فيهم ۝ والرحمة النعمة من الصحة والغنى والامن والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف ۝ والكفور البليغ الكفران ولم يقل فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم ۝ كما قال ان الانسان لظلوم كفار ۝ ان الانسان لربه لكنود والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها ۝ لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له الملك وانه يقسم النعمة والبلاء كيف اراد ويهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط ۝ **فان قلت** لم قدم الاناث اولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث **قلت** لانه ذكر البلاء في آخر الآية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء واخر الذكور فلما اخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم احقاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى آخر فقال ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى

وقيل نزلت في الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابرهيم ذكورا ولمحمد ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين **انه عليم** بمصالح العباد **قدير** على تكوين ما يصلحهم **وما كان لبشر** وما صح لاحد من البشر **ان يكلمه الله** الا على ثلاثة اوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب او المنام كما اوحى الى ام موسى والى ابرهيم عليه السلام في ذبح ولده ۝ وعن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره ۝ قال عبيد بن الابرص ۝ واوحى الي الله ان قد تأمروا ۝ بابل ابي اوفى فقمت على رجلي ۝ اي الهمني وقذف في قلبي ۝ واما على ان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي ۝ وقوله **من وراء حجاب** مثل اي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة ۝ واما على ان يرسل اليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة **او يرسل رسولا** اي نبيا كما كلم امم الانبياء على السنتهم ۝ ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء الحجاب او مرسلا ۝ ويجوز ان يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لان الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا اكلمه الا جهرا والا خفاتا لان الجهر والخفات ضربان من الكلام ۝ وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك او رسولك ۝ وقوله او من وراء حجاب ۝ ومن جعل وحيا في معنى ان يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحي او بان يرسل فعليه ان يقدر قوله او من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو او ان يسمع من وراء حجاب ۝ وقرئ او يرسل رسولا فيوحي بالرفع على او هو يرسل او بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا ۝ وروي ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن

حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله ضر لك ۝ وعن عائشة رض من زعم ان محمدا
رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية
انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يجري افعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة
واخرى بغير واسطة اما الهاما واما خطابا وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يريد ما اوحي اليه لان الخلق
يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح فان قلت قد علم ان رسول الله صلعم ما كان
يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الايمان والانبياء لا يجوز عليهم
اذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال ان يخطئهم الايمان بالله وتوحيده
ويجب ان يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير
قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر قلت الايمان اسم يتناول
اشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق
اليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي الا ترى انه قد
فسر الايمان في قوله تع وما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلوة لانها بعض ما يتناوله
الايمان من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه
صراط الله بدل ۝ وقرئ لتهدى اي يهديك الله ۝ وقرئ لتدعو عن رسول الله صلعم
من قرأ حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية وقال مقاتل الا قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا وهي تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله انا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم
وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من
واد واحد ونظيره قول ابي تمام وثناياك انها اغريض المبين البين
للذين انزل عليهم لانه بلغتهم واساليبهم ۝ وقيل الواضح للمتدبرين
وقيل المبين الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما تحتاج
اليه الامة في ابواب الديانات جعلناه بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين
او بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور قرآنا عربيا
حال ۝ ولعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي اي خلقناه

عربيا غير عجمي ارادة ان تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته ۝ وقرئ
ام الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بام الكتاب
لانه الاصل الذي اثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ علي رفيع الشأن في الكتب
لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة اي منزلته عندنا منزلة كتاب
هما صفتاه وهو مثبت في ام الكتاب هكذا افنضرب عنكم الذكر صفحا
بمعنى افننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب
عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم ضرب غرائب الابل
وقال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس
والفاء للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا
لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه
ويعملوا بموجبه ۝ وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب
على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا
عنكم واما بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى
افننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا
وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه آخر وهو ان يكون
تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال اي صافحين معرضين ان كنتم لان
كنتم ۝ وقرئ ان كنتم واذ كنتم فان قلت كيف استقام معنى ان الشرطية
وقد كانوا مسرفين على البت قلت هو من الشرط الذي ذكرت انه يصدر عن
المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني
حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك في الخروج عن
الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له وما يأتيهم حكاية
حال ماضية مستمرة اي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله عن استهزاء
قومه ۝ والضمير في اشد منهم للقوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله
يخبره عنهم ومضى مثل الاولين اي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر
قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله ووعيد لهم

فإن قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الأوصاف عقيبه إن كان من قولهم فما تصنع بقوله فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وإن كان من قول الله فما وجهه قلت هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها إلى الذي هذه أوصافه وليسندنه إليه بقدر بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا والأزواج الأصناف ما تركبون أي تركبونه فإن قلت يقال ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه قلت غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه على ظهوره على ظهور ما تركبون وهو الفلك والأنعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم أن يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بألسنتهم وهو ما يروى عن النبي صلعم أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا إذا ركب في السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها إن ربي لغفور رحيم وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما أنه رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال أبهذا أمرتم فقال وبم أمرنا فقال أن تذكروا نعمة ربكم كان قد أغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما أحسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات مقرنين مطيقين يقال أقرن الشيء إذا أطاقه قال ابن هرمة وأقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر وحقيقة أقرنه وجده قرينته وما يقرن به لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف ألا ترى إلى قولهم في الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد فإن قلت كيف اتصل بذلك قوله وإنا إلى ربنا لمنقلبون قلت كم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة أمر مخطر واتصالا بسبب من أسباب التلف كان من

حق الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لا محالة فمنقلب إلى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله بإصلاحه من نفسه والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا ننتزه على الخيل أو في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون إلا الشيطان ولا يمتثلون إلا أوامره ولقد بلغني أن بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد إلى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح إلا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا أحس به فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين ما أمر الله به في هذه الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم أي ولئن سألتهم عن خالق السماوات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا أي وصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزءا أن قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث وما هو إلا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا إن أجزأت حرة يوما فلا عجب زوجتها من بنات الأوس مجزئة وقرئ جزءا بضمتين لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لأن نسبة الولد إليه كفر والكفر أصل الكفران كله أم اتخذ بل اتخذ والهمزة للإنكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين وهو الإناث دون الذكور على أنهم أنفر خلق الله عن الإناث وأمقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت إلى أن وأدوهن كأنه قيل هبوا أن إضافة اتخاذ الولد إليه جائزة فرضا وتمثيلا أما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم

جاوز الحد

أنه أنكر على نفسه بخير الجنسين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما وتصغير بنات وتعريف البنين وتقديمهم في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور. بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله مثلا أي شبها لأنه إذا جعل الملائكة جزءا له وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد يعني أنهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب. وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا

غضبان أن لا نلد البنينا ... ليس لنا من أمرنا ما شينا

وإنما نأخذ ما أعطينا

والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها. وقرئ مسود ومسواد على أن في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر. ثم قال أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه ينشأ في الحلية أي يتربى في الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها. وفيه أنه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وأنه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا وإن أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى. وقرئ ينشأ وينشأ ويناشأ ونظيره المناشاة بمعنى الإنشاء المغالاة بمعنى الإغلاء. قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد ونسبوا إليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم. وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعند الرحمن وهو مثل لزلفاهم

واختصاصهم. وإناثا وأناثا جمع الجمع. ومعنى جعلوا سموا وقالوا إنهم إناث. وقرئ أشهدوا وأأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بألف بينهما وهذا تهكم بهم يعني أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك ولا تطرقوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا عن هذه المشاهدة. ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم ويسألون وهذا وعيد. وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وشهادتهم ويساءلون على يفاعلون. وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم هما كفرتان أيضا مضمومتان إلى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما يقول إخواننا المجبرة. فإن قلت ما أنكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين. قلت لا دليل على أنهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على أن الله تعالى قد حكى عنهم على سبيل الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزءا وأنه اتخذ بنات وأصفاهم بالبنين وأنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثا وأنهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريقة الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو إيمان عنده لو جدوا في النطق به مدحا لهم من قبل أن تلك الكلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقي أن يكونوا جادين وتشترك كلها في أنها كلمات كفر. فإن قالوا نجعل هذا الأخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم إلا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزؤا لم يكن لقوله ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون معنى لأن من قال لا إله إلا الله على طريق الهزء كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لأنه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان أو هازئا. فإن قلت ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم إن الملائكة بنات الله من علم إن هم إلا يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله. قلت تمحل مبطل وتحريف مكابر

ونحوه قوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا
من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم ۝ الضمير في من قبله للقرآن أو الرسول والمعنى
أنهم ألصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قالوه غير مستند إلى علم ثم قال
أم آتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح إلينا فحصل لهم
علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم
يستمسكون بها إلا قولهم إنا وجدنا آباءنا على أمة على دين ۝ وقرئ إمة
بالكسر وكلتاهما من الأم وهو القصد فالأمة الطريقة التي تؤم أي تقصد كالرحلة
للمرحول إليه ۝ والإمة الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد ۝ وقيل
على نعمة وحالة حسنة على آثارهم مهتدون خبران ۝ أو الظرف صلة لمهتدون و
مترفوها الذين أترفتهم النعمة أي أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات والملاهي و
يعافون مشاق الدين وتكاليفه ۝ قرئ قل ۝ وقال وجئتكم وجئناكم يعني أتتبعون
آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم ۝ قالوا إنا ثابتون على دين آبائنا
لا ننفك عنه وإن جئتنا بما هو أهدى وأهدى ۝ قرئ براء بفتح الباء وضمها ۝ وبريء
فبريء وبراء نحو كريم وكرام ۝ وبراء مصدر كظماء ۝ ولذلك استوى
فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك
والخلاء منك الذي فطرني فيه غير وجه أن يكون منصوبا على أنه استثناء منقطع
كأنه قال لكن الذي فطرني فإنه سيهدين ۝ وأن يكون مجرورا بدلا من المجرور
بمن كأنه قال إنني براء مما تعبدون إلا من الذي فطرني فإن قلت كيف تجعله
بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين أحدهما أن ذات الله مخالفة لجميع الذوات
فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون ۝ والثاني أن الله تعالى غير معبود بينهم والأوثان
معبودة قلت كانوا يعبدون الله مع أوثانهم ۝ وأن تكون إلا صفة بمعنى غير
على أن ما في ما تعبدون موصوفة تقديره إنني براء من آلهة تعبدونها غير الذي
فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فإن قلت ما معنى قوله
سيهدين على التسويف قلت قال مرة فهو يهدين ومرة فإنه سيهدين
فاجمع بينهما وقدر كأنه قال فهو يهدين وسيهدين يدلان على استمرار الهداية

في الحال والاستقبال وجعلها وجعل إبراهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التي تكلم
بها وهي قوله إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في
ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيده لعل من أشرك منهم يرجع
بدعاء من وحد منهم ۝ ونحوه ووصى بها إبراهيم بنيه ۝ وقيل وجعلها الله ۝ وقرئ
كلمة على التخفيف ۝ وفي عقبه كذلك ۝ وفي عاقبه أي فيمن عقبه أي خلفه
بل متعت هؤلاء يعني أهل مكة وهم من عقب إبراهيم بالمد في العمر والنعمة
فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان
عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين الرسالة واضحها
بما معه من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد
منهم ما رجاه إبراهيم ۝ وقرئ بل متعنا ۝ فإن قلت فما وجه من قرأ متعت
بفتح التاء قلت كأن الله تعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية
في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة
في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد بذلك الإطناب في
تعييرهم لأنه إذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سببا
في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والإيمان لا أن يشركوا به ويجعلوا
له أندادا فمثاله أن يشكو الرجل إساءة من أحسن إليه ثم يقبل على نفسه
فيقول أنت السبب في ذلك بمعروفك وإحسانك إليه وغرضه بهذا الكلام
توبيخ المسيء لا تقبيح فعله فإن قلت فقد جعل مجيء الحق والرسول غاية
التمتيع ثم أردفه قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة
هذا النظم ومؤداه قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم
بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن
التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا
عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ۝ ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء
الحق فقال ولما جاءهم جاءوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو
أن ضموا إلى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته

واستخفاف بكتاب الله وبشر آتيه والراضي او على افعال الكفرة وتراجعهم
على حكمة الله في تخيير محمد من اهل زمانه بقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم وعلى الغاية في تشويه صورة امرهم ۞ يعنى على رجل بشأن
الجسيم من القريتين من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اى من احدهما
والقريتان مكة والطائف ۞ وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة
المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس ۞ وعن مجاهد
عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ۞ وعن قتادة الوليد بن
المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول
محمد لنزل هذا القرآن علي او على ابي مسعود الثقفي وابو مسعود كنية
عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون ان يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا
بتكرير الله الحجج ان الرسل لم يكونوا الا رجالا من اهل القرى جاؤوا بالانكار
من وجه آخر وهو تحكمهم ان يكون احد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على
وجه الاستهانة به وارادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا
وعزب عن عقولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما اهم يقسمون رحمت
ربك هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم
وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة والتخير لها من
يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها الا
هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ۞ ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون
عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم في دنياهم وان الله عز وعلا هو
الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم
بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في اسباب العيش وغاير بين منازلهم
فجعل منهم اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج وموالي وخدما ليصرف
بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم
في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا
على مرافقهم ولو وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لضاعوا

وهلكوا واذا كانوا في تدبير امر المعيشة الدنية في الحيوة الدنيا على هذه الصفة
فما ظنك بهم في تدبير امر الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى
وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى حلول دار السلام ثم قال ورحمت
ربك يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير
مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا فان قلت معيشتهم ما يعيشون به من المنافع
ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله الحرام كما قسم
الحلال قلت الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما
يصلحه من المنافع واذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه ان يسلك في
تناولها الطريق التي شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة
حلالا وسماها رزق الله واذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له ان يسميها
رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها
صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدولهم فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه
لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ۞ ويجوز ان يكونا بمنزلة اللامين في قولك
وهبت له ثوبا لقميصه ۞ وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف ۞ وبضمها
وسكون القاف وبضمهما جمع سقف كرهن ورهن ورهن ۞ وعن الفراء جمع سقيفة
وسقفا بفتحتين كانه لغة في سقف ۞ وسقوفا ۞ ومعارج ومعاريج والمعارج
جمع معرج ۞ او اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون
اي على المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما اسطاعوا ان يظهروه وسررا
بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفي التضعيف لما متاع الحيوة اللام هي الفارقة
بين ان المخففة والنافية ۞ وقرئ بكسر اللام اي للذي هو متاع الحياة كقوله مثلا
ما بعوضة اي الذي هو بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية ۞ وقرئ الا
وقرئ وما كل ذلك الا ۞ لما قال خير مما يجمعون فقلل امر الدنيا وصغرها
اردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة
اي ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة
الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة

وجعلنا لهم زخرفاً أي زينة من كل شيء. والزخرف الذهب والزينة. ويجوز
أن يكون الأصل سقفاً من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب
فنصب عطفاً على محل من فضة. وفي معناه قول رسول الله صلعم لو وزنت عند الله
جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء. فإن قلت فحين لم يوسع على الكافرين
للفتنة التي كان يؤدي إليها التوسعة عليهم من إطباق الناس على الكفر لحبهم
الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الإسلام قلت
التوسعة عليهم مفسدة أيضاً لما تؤدي إليه من الدخول في الإسلام لأجل الدنيا
والدخول في الدين لأجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل
في الفريقين أغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى. قرئ ومن يعش بضم الشين
وفتحها والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي وإذا نظر
نظر العشي ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى
مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة: متى تأته تعشو إلى ضوء ناره
أي تنظر إليها نظر العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو
بين في قول حاتم: أعشو إذا ما جارتي برزت حتى يواري جارتي الخدر
وقرئ يعشو على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ
أن يرفع نقيض. ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو
القرآن كقوله صم بكم عمي. وأما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره
أي يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله وجحدوا بها واستيقنتها
أنفسهم. نقيض له شيطاناً نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله وقيضنا
لهم قرناء. ألم تر أنا أرسلنا الشياطين. وقرئ يقيض أي يقيض له الرحمن
ويقيض له شيطان. فإن قلت لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله وإنهم ليصدونهم
قلت لأن من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز
أن يتناولا لإبهامهما غير واحد جاز أن يرجع الضمير إليهما مجموعاً. حتى إذا جاءنا
العاشي. وقرئ جاءانا على أن الفعل له ولشيطانه. قال لشيطانه يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران. فإن قلت فما بعد

المشرقين قلت

المشرقين قلت تباعدهما والأصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق
فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية أضاف البعد إليهما. أنكم في محل الرفع على الفاعلية
يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الأمر الصعب
اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل أعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك
أن كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته. ولك أن تجعل الفعل
للتمني في قوله يا ليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما أنتم فيه من تمني
مباعدة القرين. وقوله أنكم في العذاب مشتركون تعليل أي لن ينفعكم تمنيكم
لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه
وهو الكفر. وتقويه قراءة من قرأ إنكم بالكسر. وقيل إذا رأى الممنو
بشدة من مني بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسي الذي
ذكرته الخنساء: أعزي النفس عنه بالتأسي * فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم
ولا يروحهم لعظم ما هم فيه. فإن قلت ما معنى قوله إذ ظلمتم قلت معناه إذ صح ظلمكم
وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة في أنكم صح ظلمكم ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة
في أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة. وإذ بدل من اليوم ونظيره إذا ما انتسبنا لم
تلدني لئيمة أي تبين أني ولد كريمة. كان رسول الله صلعم يجد ويجتهد ويكد روحه
في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه إلا تصميماً على الكفر وتمادياً في الغي
فأنكر عليه بقوله أفأنت تسمع الصم إنكار تعجب من أن يكون هو الذي يقدر على
هدايتهم وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإلجاء والقسر
كقوله إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور. ما في قوله فإما نذهبن
بمنزلة لام القسم في أنها إذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة. والمعنى فإن
قبضناك قبل أن ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم فإنا منهم منتقمون
أشد الانتقام في الآخرة كقوله أو نتوفينك فإلينا يرجعون. وإن أردنا
أن ننجز في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت
ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال
ثم أتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة. وقرئ نرينك بالنون الخفيفة

وقرئ بالذي أوحى إليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى وسواء عجلنا لك
الظفر والغلبة أو أخرناه إلى اليوم الآخر فكن متمسكا بما أوحينا إليك وبالعمل به
فإنه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه إلا ضال شقي وزد كل يوم صلابة
في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بأمرهم إلى شيء من اللين والرخاوة في أمرك
ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره وإنه
وإن الذي أوحي إليك لذكر لشرف لك ولقومك وسوف تسألون عنه يوم القيامة
وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به
من بين العالمين ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لإحالته ولكنه مجاز
عن النظر في أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملة
من ملل الأنبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما
بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا
وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها والسؤال الواقع مجازا
عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مساءلة الشعراء الديار
والرسوم والأطلال وقول من قال سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك
وجنى ثمارك فإنها إن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وقيل إن النبي
جمع له الأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس فأمهم وقيل سلهم فلم يتشكك
ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين التوراة
والإنجيل وعن الفراء هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم
فكأنه سأل الأنبياء ما أجابوه به عند قوله إني رسول رب العالمين
محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم بآياتنا وهو مطالبتهم إياه بإحضار البينة
على دعواه وإبراز الآية إذا هم منها يضحكون أي يسخرون منها ويهزؤون
بها ويسمونها سحرا وإذا للمفاجأة فإن قلت كيف جاز أن يجاب لما بإذا المفاجأة
قلت لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما
جاءهم بآياتنا فاجؤوا وقت ضحكهم فإن قلت إذا جاءتهم آية واحدة من جملة
التسع فما أختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات قلت أختها التي هي

آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات
على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو أفضل رجل رأيته
تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم إذا قفوتهم رجلا رجلا فإن قلت فهو كلام
متناقض لأن معناه ما من آية من التسع إلا وهي أكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة
منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة قلت الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر
لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل وتتفاوت
منازلها فيه التفاوت اليسير أن تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم
هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم أفضل
من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل
ذاك ومنه بيت الحماسة من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري
وقد فاضلت الأنمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما أبصرت مراتبهم
متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة
المفرغة لا يدرى أين طرفاها لعلهم يرجعون إرادة أن يرجعوا عن
الكفر إلى الإيمان فإن قلت لو أراد رجوعهم لكان قلت إرادته فعل غيره ليس
إلا أن يأمره به ويطلب منه إيجاده فإن كان ذلك على سبيل القسر وجد وإلا
دار بين أن يوجد وأن لا يوجد على حسب اختيار المكلف وإنما لم يكن الرجوع
لأن الإرادة لم تكن قسرا ولم يختاروه والمراد العذاب السنون والطوفان
والجراد وغير ذلك وقرئ يا أيه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه فإن قلت
كيف سموه بالساحر مع قولهم إننا لمهتدون قلت قولهم إننا لمهتدون وعد
منوي إخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط أن يدعو لهم وينكشف عنهم
العذاب ألا ترى إلى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم
إياه بالساحر بمنافية لقولهم إننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر
ساحر لاستعظامهم علم السحر بما عهد عندك بعهده عندك من أن دعوتك
مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك فوفيت به وهو
الإيمان والطاعة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى ونادى فرعون في قومه

جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى انه امر بالنداء في مجامعهم واماكنهم من
نادى فيها بذلك فاسند النداء اليه كقولك قطع الامير اللص اذا امر بقطعه
ويجوز ان يكون عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه
في جموع القبط فكانه نودي به بينهم فقال **اليس لي ملك مصر وهذه الانهار**
يعني انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط
ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل
بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز ان تكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري
نصب على الحال منها وان تكون الواو للحال واسم الاشارة مبتدا والانهار صفة
لاسم الاشارة وتجري خبر للمبتدا وليت شعري كيف ارتقت الى دعوى الربوبية
همة من تعاظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمته وامر فنودي بها في
اسواق مصر وازقتها لئلا تخفى تلك الابهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى
يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد انه لما قراها
قال لاولينها اخس عبيدي فولاها الخصيب وكان على وضوئه
وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها بصره
قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال اليس لي ملك مصر والله لهي اقل عندي
من ان ادخلها فثنى عنانه **ام انا خير** ام هذه متصلة لان المعنى افلا تبصرون
ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير
فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب ويجوز ان تكون منقطعة
على بل انا خير والهمزة للتقرير وذلك انه قدم تعديد اسباب الفضل والتقدم
عليهم من ملك مصر وجري الانهار تحته ونادى بذلك وملا به مسامعهم ثم قال
انا خير كانه يقول اثبت عندكم واستقر اني انا خير وهذه حالي **من هذا
الذي هو مهين** اي ضعيف حقير وقرئ اما انا خير **ولا يكاد يبين** الكلام
لما به من الرتة يريد انه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد
به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الانبياء كلهم
ابيناء بلغاء واراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه

او اسبابه

لانهم كانوا اذا ارادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب **مقترنين**
اما مقترنين به من قولك قرنته به فاقترن به واما من اقترنوا بمعنى تقارنوا لما وصف
نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى صلعم ووصفه بالضعف وقلة الاعضاد
اعترض فقال هلا ان كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة
اعضاده وانصاره وقرئ اساورة جمع اسوار واساور جمع اسورة وهو السوار
واساورة على تعويض التاء من ياء اساوير وقرئ القي عليه اسورة واساور
على البناء للفاعل وهو الله عز وجل **فاستخف قومه** فاستفزهم وحقيقته حملهم
على ان يخفوا له ولما اراد منهم وكذلك استفزه من قولهم للخفيف فز **آسفونا**
منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجاة رحمة للمؤمن
واخذة اسف للكافر ومعناه انهم افرطوا في المعاصي وعدوا طورهم فاستوجبوا
ان نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وان لا نحلم عنهم وقرئ سلفا جمع سالف كخادم
وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف اي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة اي ثلة
قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق
مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل افعالهم وحديثا عجيب الشان سائرا مسير
المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون لما قرا رسول الله
صلعم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك
امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد اخاصة لنا ولآلهتنا ام
لجميع الامم فقال عليه هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة
الست تزعم ان عيسى ابن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى امه وقد علمت
ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا
ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلعم فانزل الله
ان الذين سبقت لهم ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله
بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله بعبادة النصارى اياه
اذا قومك قريش **منه** من هذا المثل **يصدون** يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا
وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلى الله عليه بجدله كما يرتفع

لغط القوم وضجيجهم اذا اخذوا في الحجة ثم فتحت عليهم ⊙ واما من قرأ يصدون بالضم
فمن الصدود اى من اجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه ⊙ وقيل من الصديد
وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائرهما ⊙ وقالوا ءالهتنا خير ام
هو يعنون ان آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار
كان امر آلهتنا هينا ما ضربوه اى ما ضربوا هذا المثل لك الا جدلا الا لاجل
الجدل والغلبة في القول لا لطلب المميز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون لد
شداد الخصومة دأبهم اللجاج كقوله قوما لدا وذلك ان قوله انكم
وما تعبدون وما اريد به الا الاصنام وكذا كقوله عليه هو لكم ولالهتكم والجميع
لانهم انما قصد به الاصنام ومحال ان يقصد الانبياء والملائكة الا ان ابن
الزبعرى بخبثه وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا
لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا
فصرف معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريقة المحك
والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله
حتى اجاب عنه ربه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على ان الآية
خاصة في الاصنام على ان ظاهر قوله وما تعبدون لغير العقلاء ⊙ وقيل
لما سمعوا قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن اهدى من النصارى
لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت ⊙ وقوله ءالهتنا خير ام هو
على هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة وما ضربوه
لك الا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعني ءالهتنا خير ام هو الا للجدل
وقرئ ءآلهتنا خير باثبات همزة الاستفهام وباسقاطها لدلالة ام
العديلة عليها ⊙ وفي حرف ابن مسعود خير ام هذا ⊙ ويجوز ان يكون جدلا حالا
اى جدلين ⊙ وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا
الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى
المسيح وهو بشر ⊙ ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في ام هو
لمحمد صلعم وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية به والاستهزاء

ويجوز ان يقولوا لما انكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا
بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه
ونحن اشف منهم قولا وفعلا فانا نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل
لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما انتم
عليه بما اوردتموه الا قياس باطل بباطل ما عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه
حيث جعلناه آية بان خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه
عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور
وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض
كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة
الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام وذات القديم متعالية عن ذلك
وانه وان عيسى عليه لعلم للساعة اى شرط من اشراطها تعلم به فسمي الشرط علما
لحصول العلم به وقرأ ابن عباس لعلم وهو العلامة ⊙ وقرئ للعلم ⊙ وقرأ ابي
لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمي ما تعلم به علما ⊙ وفي الحديث ان عيسى عليه
ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان
وشعر رأسه دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس
والناس في صلاة الصبح والامام يؤم بهم فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي
خلفه على شريعة محمد عليه ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس
ويقتل النصارى الا من آمن به ⊙ وعن الحسن ان الضمير للقرآن وان القرآن به تعلم
الساعة لان فيه الاعلام بها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها من المرية وهو الشك واتبعوني
واتبعوا هداي وشرعي او رسولي ⊙ وقيل هذا امر لرسول الله ان يقوله هذا صراط
اى هذا الذي ادعوكم اليه ⊙ او هذا القرآن ان جعل الضمير في وانه للقرآن عدو
مبين قد اثبت عداوته لكم اذ اخرج اباكم من الجنة ونزع عنه لباس
النور ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات ⊙ او بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات
بالحكمة يعني الانجيل والشرائع ولأبين لهم بعض الذي يختلفون فيه
ولكن بعضه ولذ كانوا اختلفوا في الديانات وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما

لم يتعبد والمعرفة به والسؤال عنه وانما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيهم
من امر دينهم ۝ الاحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى ۝ وقيل اليهود والنصارى
فويل للذين ظلموا وعيد للاحزاب فان قلت من بينهم الى من يرجع الضمير فيه
قلت الى الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم
ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة فان قلت
اما ادى قوله بغتة مؤدى قوله وهم لا يشعرون فيستغنى عنه قلت لا لان معنى
قوله وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون
ويجوز ان تأتيهم بغتة وهم فطنون يومئذ منصوب بعدو اي ينقطع في ذلك اليوم
كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين
في الله فانها الخلة الباقية المزدادة قوة اذا راوا ثواب التحاب في الله
والتباغض في الله ۝ وقيل الا المتقين الا المجتنبين اخلاء السوء وقيل نزلت
في ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط يا عبادي حكاية لما ينادى به المتقون
المتحابون في الله يومئذ والذين آمنوا منصوب المحل صفة لعبادي لانه منادى
مضاف اي الذين صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين
انفسهم سالمة لطاعتنا ۝ وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي
مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس
الناس منها غير المسلمين ۝ وقرئ يا عباد تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره
اي اثره على وجوههم لقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم ۝ وقال الزجاج
تكرمون اكراما يبالغ فيه ۝ والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل ۝ والكوب
الكوز لا عروة له وفيها الضمير للجنة ۝ وقرئ تشتهي ۝ وتشتهيه ۝
وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب واما مستلذة في العيون
۝ وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وهي مبتدأ والجنة خبره والتي اورثتموها
صفة الجنة او الجنة صفة للمبتدأ الذي هو اسم الاشارة والتي اورثتموها
خبر المبتدأ ۝ او التي اورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق
بمحذوف كما في الظروف التي تقع اخبارا وفي الوجه الاول تتعلق باورثتموها

وشبهت في بقائها على اهلها بالميراث الباقي على الورثة ۝ وقرئ ورثتموها
منها تأكلون عوضا بانه من ثمرها كما في الدنيا ۝ وعن النبي صلعم لا ينزع رجل في الجنة
من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها لا يفتر عنهم لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت
عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها ۝ والمبلس اليائس الساكت سكوت
يائس من فرج ۝ وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه
فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى هم فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين ۝ وقرئ
وهم فيها اي في النار ۝ وقرأ علي وابن مسعود يا مال بحذف الكاف للترخيم كقول القائل
والحق يا مال غير ما تصف ۝ وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ ونادوا
يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم ۝ وعن بعضهم حسن الترخيم انهم
يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه ۝ وقرأ ابو السرار الغنوي
يا مال بالرفع كما يقال يا حار ليقض علينا من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى
عليه والمعنى سل ربك ان يقضي علينا فان قلت كيف قال ونادوا يا مالك بعدما
وصفهم بالابلاس قلت تلك ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف
بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة اليأس عليهم وعلمهم انه لا فرج ويغوثون
اوقاتا لشدة ما بهم ماكثون لابثون وفيه استهزاء والمراد خالدون
عن ابن عباس انما يجيبهم بعد الف سنة ۝ وعن النبي صلعم يلقى على اهل النار الجوع
حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا
ربك لقد جئناكم بالحق كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم ويجب
ان يكون في قال ضمير الله لما سألوا مالكا ان يسأل الله القضاء عليهم اجابهم الله
بذلك كارهون لا يقبلونه وينفرون منه ويشمئزون لان مع الباطل الدعة ومع
الحق التعب ام ابرموا مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله
فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله ام يريدون كيدا فالذين كفروا
هم المكيدون وكانوا يتنادون فيتناجون في امر رسول الله فان قلت ما المراد
بالسر والنجوى قلت السر ما حدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خال والنجوى
ما تكلموا به فيما بينهم بلى نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا يريد الحفظة عندهم

يلبثون ذلك. وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه وأبداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله أهون الناظرين إليه وهو من علامات النفاق. إن كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه. وهذا الكلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والإطناب فيه وأن لا يترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة إثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها. ونظيره أن يقول العدلي للمجبر إن كان الله خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فأنا أول من يقول هو شيطان وليس بإله فمعنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه نفي أن يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب إليه والشهادة القاطعة بإحالته والإفصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه. ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال أما والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدت إلها غيرك. وقد تمحل الناس بما أخرجوه به من هذا الأسلوب الشريف الملي بالنكت والفوائد المستقل بإثبات التوحيد على أبلغ وجوهه فقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم بإضافة الولد إليه. وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد. وقرأ بعضهم عبدين. وقيل هي إن النافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد. وروي أن النضر بن عبد الدار بن قصي قال إن الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك

ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له. وقرئ وُلْد بضم الواو. ثم نزه ذاته موصوفة بربوبية السموات والأرض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على أنه من صفة الأجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره. فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب وإعلام لرسول الله أنهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وإن ركب في دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية كقوله اعملوا ما شئتم وإيعاد بالشقاء في العاقبة. ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الأرض كما تقول هو حاتم في طيئ حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كأنك قلت هو جواد في طيئ جواد في تغلب. وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله. ومثله قوله وهو الله في السموات وفي الأرض كأنه ضمن معنى المعبود أو المالك أو نحو ذلك. والراجع إلى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذي قائل لك شيئا وزاده طولا أن المعطوف داخل في حيز الصلة. ويحتمل أن يكون في السماء صلة الذي وإله خبر مبتدأ محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه في السماء على سبيل الإلهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفي الآلهة التي كانت تعبد في الأرض. ترجعون قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة. وقرئ تحشرون بالتاء. ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإيقان وإخلاص هو الذي يملك الشفاعة. وهو استثناء منقطع. ويجوز أن يكون متصلا لأن في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة. وقرئ تدعون بالتاء وتدّعون بالتاء وتشديد الدال. وقيله قرئ بالحركات الثلاث. وذكر في النصب عن الأخفش أنه حمله على أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله. وعنه وقال قيله. وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرو. وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده. وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله. والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل

بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك
وأوجه أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم أيمن الله
وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم
كأنه قيل وأقسم بقيله يا رب أو وقيله يا رب قسمي إن هؤلاء قوم لا يؤمنون
فاصفح عنهم وأعرض عن دعوتهم يائسا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم وقل لهم سلام
أي تسلم منكم ومتاركة فسوف تعلمون وعيد من الله وتسلية لرسوله
والضمير في وقيله لرسول الله وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه
والتجائه إليه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان
ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية إلا قوله إنا كاشفوا العذاب قليلا الآية
وهي سبع وخمسون آية وقيل تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم الواو في والكتاب واو القسم
إن جعلت حم تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف
وواو العطف إن كانت حم مقسما بها وقوله إنا أنزلناه جواب القسم و
الكتاب المبين القرآن والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف
من شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة
الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين القدر أربعون ليلة وقيل في
تسميتها ليلة البراءة أن البندار إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة
كذلك الله عز وعلا يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هي مختصة
بخمس خصال تفريق كل أمر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلعم من صلى
في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه
بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا
وعشرة يدفعون عنه مكائد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه السلام إن الله
يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب وحصول المغفرة
قال عليه السلام إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن أو ساحر أو مشاحن

أو مدمن خمر أو عاق للوالدين أو مصر على الزنا وما أعطي فيها رسول الله من تمام
الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطي الثلث منها
ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطي الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطي الجميع
إلا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة أن يزيد فيها
ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الأكثر أن المراد بالليلة المباركة ليلة
القدر لقوله إنا أنزلناه في ليلة القدر ولمطابقة قوله فيها يفرق كل أمر حكيم
لقوله تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر وقوله شهر رمضان
الذي أنزل فيه القرآن وليلة القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان فإن قلت ما معنى
إنزال القرآن في هذه الليلة قلت قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة
إلى السماء الدنيا وأمر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبرئيل ينزله
على رسول الله صلعم نجوما نجوما فإن قلت إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم
ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب
القسم الذي هو قوله إنا أنزلناه في ليلة مباركة كأنه قيل أنزلناه لأن من شأننا
الإنذار والتحذير من العقاب وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصا
لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل أمر
حكيم والمباركة الكثيرة الخير لما ينتج الله فيها من الأمور التي تتعلق بها
منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى
به بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم
وجميع أمرهم منها إلى الأخرى القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح
المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق
إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبرئيل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة
الأعمال إلى إسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت
وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله فيلقى على ألسنة الخلق مدحه وعلى
قلوبهم هيبته وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل
ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه نفرق بالنون

من هذه الليلة الى الليلة الاخرى من السنة القابلة. ع

كل أمر حكيم كل شأن ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الإسناد
المجازي لأن الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الأمر به مجاز أمرا
من عندنا نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بأن وصفه بالحكيم ثم زاده
جزالة وكسبه فخامة بأن قال أعني بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا كائنا من
لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز أن يراد به الأمر الذي هو ضد النهي
ثم إما أن يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لأن معنى الأمر والفرقان واحد
من حيث أنه إذا حكم بالشيء وكتبه فقد أمر به وأوجبه أو يكون حالا من
أحد الضميرين في أنزلناه إما من ضمير الفاعل أي أنزلناه آمرين أمرا أو من ضمير
المفعول أي أنزلناه في حال كونه أمرا من عندنا بما يجب أن يفعل فإن قلت
إنا كنا مرسلين رحمة من ربك بم يتعلق قلت يجوز أن يكون بدلا من قوله
إنا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى إنا أنزلنا القرآن
لأن من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم وأن يكون
تعليلا ليفرق أو لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة
بالإرسال كما وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده أي يفصل في هذه
الليلة كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا
وفصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الأوامر الصادرة
من جهته عز وعلا لأن الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع والأصل إنا كنا
مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير إيذانا بأن الربوبية تقتضي
الرحمة على المربوبين وفي قراءة زيد بن علي أمر من عندنا على هو أمر
وهي تنصر انتصابه على الاختصاص وقرأ الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة
وهي تنصر انتصابها بأنها مفعول له إنه هو السميع العليم وما بعده تحقيق
لربوبيته وأنها لا تحق إلا لمن هذه أوصافه وقرئ رب السماوات وربكم
ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك فإن قلت ما معنى الشرط الذي هو قوله إن كنتم
موقنين قلت كانوا يقرون بأن للسماوات والأرض ربا وخالقا فقيل لهم
إن إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل إن هذا الرب

هو السميع العليم الذي أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السماوات والأرض
وما بينهما إن كان إقراركم عن علم وإيقان كما تقول إن هذا إنعام زيد الذي تسامع
الناس بكرمه واشتهروا سخاءه إن بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد
أن يكونوا موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون وأن إقرارهم غير صادر عن علم
وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزء ولعب يوم تأتي السماء
مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلف
في الدخان فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبه أخذ الحسن أنه دخان يأتي من السماء قبل
يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري
المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدجال ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج
من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان
فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما
وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران
يخرج من منخريه وأذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضت الروم
والدخان والقمر والبطشة واللزام ويروى أنه قيل لابن مسعود إن
قاصا عند أبواب كندة يقول إنه دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأنفاس
الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من علم الرجل
أن يقول لشيء لا يعلمه الله أعلم ثم قال ألا وسأحدثكم أن قريشا لما
استعصت على رسول الله دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها
عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز
وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع
كلامه ولا يراه من الدخان فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه وناشدوه
الله والرحم وواعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم
رجعوا إلى شركهم بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان
يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة لدخان هذا عذاب

الى نحو انا مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر هو يقولون منصوب على الحال اى قائلين
ذلك انا مؤمنون موعدة بالايمان ان كشف العذاب انى لهم الذكرى
كيف يتذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد
جاءهم ما هو اعظم وادخل فى وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على
رسول الله من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا
وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه
ونسبوه الى الجنون ثم قال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون
اى ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف
على ما انتم عليه من التضرع والابتهال فان قلت كيف يستقيم على قول من جعل الدخان
قبل القيامة قوله انا كاشفوا العذاب قليلا قلت اذا اتت السماء بالدخان
تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف
عنا العذاب انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما فريثما
يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ثم قال يوم نبطش البطشة الكبرى
يريد يوم القيامة كقوله فاذا جاءت الطامة الكبرى انا منتقمون اى ننتقم
منهم فى ذلك اليوم فان قلت بم انتصب يوم نبطش قلت بما دل عليه انا منتقمون
وهو ننتقم ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان تحجب عن ذلك وقرى نبطش
بضم الطاء وقرا الحسن نبطش بضم النون كانه تحمل الملائكة على ان يبطشوا
بهم البطشة الكبرى او يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة
الكبرى يوم بدر وقرى ولقد فتنا بالتشديد للتاكيد او لوقوعه
على القوم ومعنى الفتنة انه امهلهم ووسع عليهم فى الرزق فكان ذلك
سببا فى ارتكابهم المعاصى واقترافهم الآثام او ابتلاهم بارسال موسى
اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او سلبهم ملكهم واغرقهم
كريم على الله وعلى عباده المؤمنين او كريم فى نفسه لان الله لم يبعث نبيا
الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الى هى ان المفسرة لان مجىء الرسول
من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا

الى الله او المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشان والحديث
ادوا الى وعباد الله مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الى وارسلوهم
معى كقوله فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على ادوا
الى يا عباد الله ما هو واجب لى عليكم من الايمان لى وقبول دعوتى واتباع سبيلى
وعلل ذلك بانه رسول امين غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه و
رسالته وان لا تعلوا ان هذه مثل الاولى فى وجهيها اى لا تستكبروا على
الله بالاستهانة برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبى الله بسلطان
مبين بحجة واضحة ان ترجمون ان تقتلون وقرى عت بالادغام
ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير
مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل فاعتزلون يريد ان لم تؤمنوا
لى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن فتنحوا عنى واقطعوا اسباب الوصلة عنى
او فخلونى كفافا لا لى ولا على ولا تتعرضوا لى بشركم واذاكم فليس جزاء
من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك ان هؤلاء بان هؤلاء اى دعا ربه بذلك
قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب الذى استوجبوا
به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرى ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اى
فدعا ربه فقال ان هؤلاء فاسر قرى بقطع الهمزة من اسرى ووصلها
من سرى وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادى وان يكون
جواب شرط محذوف كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادى يعنى
فاسر ببنى اسرائيل فقد دبر الله ان تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده
فينجى المتقدمين ويغرق التابعين رهوا فيه وجهان احدهما انه
الساكن قال الاعشى يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور
اى مشيا ساكنا على هينته اراد موسى لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه
فينطبق كما ضربه به فانفلق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا
على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه

شيئاً ليدخله القبط فاذا دخلوا فيه اطبقه الله عليهم ○ والثاني ان الرهو
الفجوة الواسعة ○ وعن بعض العرب انه راى جملاً فالجاً فقال سبحان الله
رهو بين سنامين ○ اي اتركه مفتوحاً على حاله منفرجاً انهم جند وقرئ
بالفتح بمعنى لانهم ○ والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة
وقيل المنابر ○ والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام ○ وقرئ فاكهين
وفكهين كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم
منها واورثناها ○ او في موضع الرفع على الامر كذلك قوماً آخرين ليسوا منهم في شيء
من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين في ايديهم
فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم ○ اذا مات رجل
خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح و
اظلمت له الشمس ○ وفي حديث رسول الله صلعم ما من مؤمن مات في غربة غابت
فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض وقال جرير ○○
تبكي عليك نجوم الليل والقمرا ○○ وقالت الخارجية ايا شجر الخابور ما لك مورقاً
كانك لم تجزع على ابن طريف ○○ وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة
في وجوب الجزع والبكاء عليه ○ وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضه من بكاء
مصلى المؤمن وآثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل
ونفى ذلك عنهم في قوله فما بكت عليهم السماء والارض فيه تهكم بهم وبحالهم
المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض ○ وعن الحسن
فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى
عليهم اهل السماء واهل الارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم
لم ينظروا الى وقت آخر ○ او لم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا
من فرعون بدل من العذاب المهين كانه في نفسه كان عذاباً مهيناً لا
فراطه في تعذيبهم واهانتهم ○ ويجوز ان يكون المعنى من العذاب المهين واقعاً
من جهة فرعون ○ وقرئ من عذاب المهين ووجهه ان يكون تقدير قوله
من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون ○ وفي قراءة

ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون
على هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله انه
كان عالياً من المسرفين اي كبيراً رفيع الطبقة من بينهم فائقاً لهم بليغاً في اسرافه
او عالياً متكبراً كقوله ان فرعون علا في الارض ومن المسرفين خبر ثان كانه
قيل انه كان متكبراً مسرفاً ○ الضمير في اخترناهم لبني اسرائيل وعلى علم في موضع الحال
اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء بان يختاروا ○ ويجوز ان يكون المعنى مع علم
منا بانهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات في بعض الاحوال على العالمين على عالمي
زمانهم ○ وقيل على الناس جميعاً لكثرة الانبياء منهم من الآيات من نحو فلق
البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التي
لم يظهر الله في غيرهم مثلها بلاء مبين نعمة ظاهرة لان الله تعالى يبلو بالنعمة
كما يبلو بالمصيبة ○ او اختبار ظاهر لينظر كيف يعملون كقوله وفي ذلكم بلاء من
ربكم عظيم هؤلاء اشارة الى كفار قريش فان قلت كان الكلام واقعاً في
الحيوة الثانية لا في الموت فهلا قيل ان هي الا حياتنا الاولى وما نحن بمنشرين
كما قيل ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله ان هي الا
موتتنا الاولى وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة اخرى حتى نفوها
وجحدوها واثبتوا الاولى قلت معناه والله الموفق للصواب انه قيل
لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها
حياة وذلك قوله وكنتم امواتاً فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي
الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شانها ان تتعقبها حياة الا
الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة
من تعقب الحياة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق اذن بين هذا وبين
قوله ان هي الا حياتنا الدنيا في المعنى ○ يقال انشر الله الموتى ونشرهم
اذا بعثهم فأتوا بآبائنا خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلعم
والمؤمنين اي ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من
آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلاً على ان ما تعدونه من قيام الساعة

على هذا الوجه

وبعث الموتى حتى ⊙ وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعو الله فينشر لهم قصي بن
كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم
الشؤن أهم خير أم قوم تبع الحميري كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذم الله
قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند ⊙
وقيل هدمها وكان اذا كتب قال باسم الذي ملك برا وبحرا ⊙ وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم ⊙ وعنه عليه السلام ما ادري أكان تبع نبيا او غير
نبي ⊙ وعن ابن عباس كان نبيا ⊙ وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير هذا قبر
رضوى وقبر حبى بنتي تبع لا تشركان بالله شيئا ⊙ وقيل هو الذي كسا البيت
وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون
ومنه الظل تبعا لانه يتبع الشمس فان قلت ما معنى قوله أهم خير والخير في
الفريقين قلت معناه أهم خير في القوة والمنعة كقوله أكفاركم خير من
أولئكم بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنهما أهم أشد أم قوم تبع وما
بينهما وما بين الجنسين ⊙ وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن ⊙ وقرئ ميقاتهم
بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها أي ان ميعاد حسابهم وجزائهم
في يوم الفصل لا يغني مولى أي مولى كان من قرابة او غيرها عن أي مولى كان
شيئا من اغناء أي قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لانهم في المعنى كثير
لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى الا من رحم الله في محل الرفع
على البدل من الواو في ينصرون أي لا يمنع من العذاب الا من رحم الله ويجوز
أن ينصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من عصاه الرحيم لمن أطاعه
وقرئ ان شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها
وشيرة بالياء ⊙ وروي انه لما نزل أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم
قال ابن الزبعرى ان اهل اليمن يدعون اكل الزبد والتمر التزقم
فدعا ابو جهل بتمر وزبد وقال تزقموا فان هذا هو الذي يخوفكم به محمد
فنزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وهو الفاجر الكثير الآثام ⊙ وعن
ابي الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر

يا هذا ⊙ وبهذا يستدل على ان ابدال كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية
معناها ⊙ ومنه اجاز ابو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهي ان يؤدي
القارئ المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا ⊙ قالوا وهذه الشريطة
تشهد انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز
بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف المعاني والاغراض ما لا يستقل باداية
لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه
عن تحقيق وتبصر ⊙ وروى علي بن الجعد عن ابي يوسف رحمه الله عن ابي حنيفة مثل قول
صاحبيه في انكار القراءة بالفارسية كالمهل وقرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي
الزيت ويدل عليه قوله يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان
وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك تغلي ⊙ وقرئ
بالتاء للشجرة وبالياء للطعام والحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه ⊙ يقال
للزبانية خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة وهو ان يؤخذ بتلبيب
الرجل فيجر الى حبس او قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي ⊙ وقرئ بكسر التاء
وضمها الى سواء الجحيم الى وسطه ومعظمه فان قلت هلا قيل صبوا فوق راسه
من الحميم كقوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه
قلت اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته الا ان صب العذاب
طريقة الاستعارة كقوله: صبت عليه صروف الدهر من صبب ⊙ وكقوله
أفرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون اهول واهيب
⊙ يقال ذق انك انت العزيز الكريم على سبيل الهزء والتهكم بمن
كان يتعزز ويتكرم على قومه ⊙ وروي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها
أعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا ⊙ وقرئ
انك بمعنى لانك ⊙ وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قرأ بها على المنبر ان هذا العذاب
او ان هذا الامر هو ما كنتم به تمترون اي تشكون او تتمارون وتتلاجون
[illegible] مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي
وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم وهو موضع الاقامة ⊙ والامين من قولك امن الرجل

أمانة فهو أمين، وهو صفة للكائن فوصف به المكان استعارة لأن المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره. قيل السندس ما رق من الديباج والإستبرق ما غلظ منه، وهو تعريب استبر. فإن قلت كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ أعجمي؟ قلت إذا عرّب خرج من أن يكون عجميًا لأن معنى التعريب أن يجعل عربيًا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه وإجرائه على أوجه الإعراب. كذلك الكاف مرفوعة على الأمر كذلك، أو منصوب على مثل ذلك أثبناهم وزوجناهم. وقرأ عكرمة بحور عين على الإضافة، والمعنى بالحور من العين لأن العين إما أن تكون حورًا أو غير حور فهؤلاء من حور العين لا من شهلهن مثلًا. وفي قراءة عبد الله بعيس عين، والعيساء البيضاء تعلوها حمرة. وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت. وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت. فإن قلت كيف استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها؟ قلت أريد أن يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله إلا الموتة الأولى موضع ذلك لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال، كأنه قيل إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فإنهم يذوقونها. وقرئ ووقاهم بالتشديد. فضلًا من ربك عطاء من ربك وثوابًا يعني كل ما أعطي المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار. وقرئ فضل أي ذلك فضل. فإنما يسرناه بلسانك فذلكة للسورة ومعناه ذكّرهم بالكتاب المبين فإنما يسرناه أي سهلناه حيث أنزلناه عربيًا بلسانك بلغتك إرادة أن يفهمه قومك فيتذكروا. فارتقب فانتظر ما يحل بهم إنهم مرتقبون ما يحل بك متربصون بك الدوائر. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك. وعنه عليه السلام من قرأ حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة أصبح مغفورًا له.

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية وقيل ست

بسم الله الرحمن الرحيم

حم إن جعلتها اسمًا مبتدأ مخبرًا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب، وهي الوصلة للتنزيل. وإن جعلتها تعديدًا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرًا. إن في السموات والأرض يجوز أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى إن في خلق السموات لقوله وفي خلقكم. فإن قلت علام عطف وما يبث أعلى الخلق المضاف أم على الضمير المضاف إليه؟ قلت بل على المضاف لأن المضاف إليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه، استقبحوا أن يقال مررت بك وزيد وهذا أبوك وعمرو، وكذلك إن أكدوه كرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد. آيات لقوم يوقنون قرئ بالنصب والرفع على قولك إن زيدًا في الدار وعمرًا في السوق أو وعمرو في السوق. وأما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان إذا نصبت هما إن وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار، والنصب في آيات. وإذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف. وقرأ ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار. فإن قلت العطف على عاملين على مذهب الأخفش سديد لا مقال فيه وقد أباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده؟ قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون على إضمار في، والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود. والثاني أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفًا على ما قبله أو على التكرير ورفعهما بإضمار هي. وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع. وقرئ آية وكذلك وما يبث من دابة آية. وقرئ وتصريف الريح. والمعنى أن المنصفين من العباد إذا نظروا في السموات والأرض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله وأقروا، فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال وهيئة إلى هيئة وفي خلق ما على ظهر الأرض من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانًا وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس، فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبًا وشمالًا وقبولًا ودبورًا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم. وسمي المطر رزقًا لأنه سبب الرزق. تلك إشارة إلى الآيات المتقدمة أي

تتلوها في محل الحال اي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى
الاشارة ۝ وقرئ يتلوها بالياء فبأي حديث بعد الله وآياته اي بعد
آيات الله كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد ۝ ويجوز
ان يراد بعد حديث الله وهو كتابه [illegible] انه كقوله الله نزل احسن
الحديث ۝ وقرئ يؤمنون بالياء والتاء لكل افاك كذاب اثيم المتبالغ
في اقتراف الآثام يصر على كفره ويقيم عليه واصله من اصرار الحمار على العانة وهو
ان ينحي عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالآيات والاذعان لما
تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده ۝ قيل نزلت في النضر بن الحارث
وما كان يشتري من احاديث الاعاجم يشغل بها الناس عن استماع القرآن
والآية عامة في كل من كان مضادا لدين الله فإن قلت ما معنى ثم في قوله
ثم يصر مستكبرا قلت كمعناه في قول القائل يرى غمرات الموت ثم يزورها
وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار
عنها واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان
بان فعل المقدم عليها بعدما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات
والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها
كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان
بها كأن مخففة والاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن كما في قوله
كأن ظبية تعطو الى ناضر السلم ∴ ومحل الجملة النصب على الحال اي يصر
مثل غير السامع ۝ واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها اتخذها اي اتخذ
الآيات هزوا ۝ ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشيء من الكلام
انه من جملة الآيات التي انزلها الله على محمد صلى الله عليه خاض في الاستهزاء بجميع
الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ۝ ويحتمل واذا علم من آياتنا شيئا
يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه
واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو اعتراض ابن الزبعرى في قوله عز وعلا
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله وقوله خصمتك

ويجوز ان يرجع الضمير

ويجوز ان يرجع الضمير الى شيء لانه في معنى الآية كقول ابي العتاهية
نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها حيث
اراد عتبة ۝ وقرئ علم اولئك اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين
والوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام قال
أليس ورائي ان تراخت منيتي أدب مع الولدان ازحف كالنسر ۝
ومنه قوله من ورائهم اي قدامهم ما كسبوا من الاموال [illegible] ومتاجرهم ولا
ما اتخذوا من دون الله من الاوثان هذا اشارة الى القرآن يدل عليه قوله والذين
كفروا بآيات ربهم لان آيات ربهم هي القرآن اي هذا القرآن كامل في الهداية
كما تقول زيد رجل تريد كامل في الرجولية وايما رجل ۝ والرجز اشد العذاب
۝ وقرئ بجر اليم ورفعه ولتبتغوا من فضله بالتجارة ۝ او بالغوص على اللؤلؤ
والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر فإن قلت ما معنى منه
جميعا منه وما موقعهما من الاعراب قلت هي واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر
هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها
بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ۝ ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره
هي جميعا منه وان يكون وسخر لكم تأكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتدئ قوله
ما في السموات وما في الارض جميعا منه ۝ وان يكون وما في الارض مبتدأ ومنه خبره
وقرأ ابن عباس منة ۝ وقرأ مسلمة بن محارب منه على ان يكون منه
فاعل سخر على الاسناد المجازي ۝ او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ذلك هو او منه
حذف المقول لان الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا لا يرجون
ايام الله لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من قولهم لوقائع العرب ايام العرب
وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز
فيها ۝ قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها ۝ وقيل نزلت في عمر رضي
وقد شتمه رجل من غفار فهم ان يبطش به ۝ وعن سعيد بن المسيب كنا بين
يدي عمر بن الخطاب فقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزي عمر
بما صنع ليجزي تعليل للأمر بالمغفرة اي انما امروا بان يغفروا لما اراده

الله من توفيقهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة وان قلت قوله قوما ما وجه تنكيره
وانما اراد الذين آمنوا وهم معارف قلت هو مدح لهم وثناء عليهم كانه قيل
ليجزي اي ما قوما وقوما مخصوصين لصبرهم واغضائهم على اذى اعدائهم من
الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم
الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قوله غفر ليجزي عفوهم ما صنع ليجزي
بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلعم عند نزول الآية والذي بعثك بالحق لا ترى
الغضب في وجهي ٥ وقرئ ليجزي قوما اي الله عز وجل ٥ وليجزى قوم ٥ وليجزى
قوما على معنى ٥ وليجزى الجزاء قوما الكتاب التوراة والحكم والحكمة والفقه
٥ او فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة من الطيبات مما احل
الله لهم واطايب من الارزاق وفضلناهم على العالمين حيث لم نؤت غيرهم مثل ما
آتيناهم بينات آيات ومعجزات من الامر من امر الدين فما وقع بينهم الخلاف
في الدين ٥ الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما
اختلفوا لبغي حدث بينهم اي لعداوة وحسد على شريعة على طريقة ومنهاج
من الامر من امر الدين ٥ فاتبعها شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع
ما لا حجة عليه من اهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء
قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك ولا توالهم انما يوالي الظالمين من هو
ظالم مثلهم واما المتقون فوليهم الله وهو موالاتهم وما ابين الفضل
بين الولايتين هذا القرآن بصائر للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع
بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة وهو هدى من الضلالة
ورحمة من العذاب لمن آمن وايقن ٥ وقرئ هذه بصائر اي هذه
الآيات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب
ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ان نجعلهم ان نصيرهم وهو
من جعل المتعدي الى مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف والجملة التي
هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت
في حكم المفرد الا ترى انك لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا

كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق ٥ ومن قرأ سواء بالنصب اجرى سواء مجرى مستويا
وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ٥ ومن قرأ ومماتهم بالنصب
جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم اي سواء في محياهم وفي مماتهم
٥ والمعنى انكار ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق
احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات واولئك على ركوب المعاصي ومماتا
حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه واولئك على
الياس من رحمة الله والوصول الى هول ما اعد لهم ٥ وقيل معناه انكار ان يستووا
في الممات كما استووا في الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق
والصحة وانما يفترقون في الممات ٥ وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستأنف
على ان محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت
على حسب ما عاش عليه ٥ وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كان يصلي ذات ليلة عند
المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون ٥ وعن
الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين
انت ولتجزى معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل ٥ او على معلل محذوف تقديره و
خلق السموات والارض ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس ٥ اي هو مطواع لهوى
النفس يتبع ما تدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه ٥ وقرئ آلهة
هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا راى ما هو احسن رفضه اليه
فكانه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها واضله الله على علم
وتركه على الهداية واللطف وخذله على علم عالما بان ذلك لا يجدي عليه وانه
ممن لا لطف له ٥ او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف المحصلة والمقربة
فمن يهديه من بعد اضلال الله ٥ وقرئ غشاوة بالحركات الثلاث ٥ وغشوة
بالفتح والكسر ٥ وقرئ تتذكرون نموت ونحيا نموت نحن ونحيا ببقاء اولادنا
او يموت بعض ويحيا بعض ٥ او نكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيا بعد ذلك ٥ او يصيبنا
الامران الموت والحياة يريدون الحياة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك
حياة ٥ وقرئ ونحيا بضم النون ٥ وقرئ الا دهر يمر ٥ وما قالوا ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين

وعلى هذا لا يكون بدلا

كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك
الموت وقبضه للارواح بامر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر
والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر
فان الله هو الدهر اى فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر ۝ وقرئ حجتهم
بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتأخيره فان قلت لم سمي قولهم حجة وليس بحجة
قلت لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل
التهكم ۝ او لانه في حسبانهم وتقديرهم حجة ۝ او لانه في اسلوب قوله تحية
بينهم ضرب وجيع ۝ كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة و
المراد نفي ان يكون لهم حجة البتة فان قلت كيف وقع قوله قل الله
يحييكم جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قلت لما انكروا البعث
وكذبوا الرسول وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به
من ان الله هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب
الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيامة ومن
كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم وكان اهون شيء عليه
عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم جاثية باركة
مستوفزة على الركب ۝ وقرئ جاذية والجذو اشد استيفازا من الجثو
لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه ۝ وعن ابن عباس جاثية مجتمعة
وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى ۝ وفي الحديث من
جثى جهنم ۝ وقرئ كل امة على الابتداء وكل امة على الابدال من كل امة
الى كتابها الى صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس لقوله ووضع الكتاب فترى
المجرمين مشفقين مما فيه اليوم تجزون محمول على القول فان قلت كيف اضيف
الكتاب اليهم والى الله عز وجل قلت الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم
ولابسه اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته
اياه فلانه مالكه والآمر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده ينطق عليكم
يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ الملائكة

ما كنتم تعملون اى نستكتبهم اعمالكم في رحمته في جنته وجواب اما محذوف
تقديره واما الذين كفروا فيقال لهم افلم تكن آياتي تتلى عليكم والمعنى الم يأتكم
رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ۝ وقرئ والساعة بالنصب عطفا
على الوعد وبالرفع عطفا على محل ان واسمها ما الساعة اى شيء الساعة فان قلت
ما معنى ان نظن الا ظنا قلت اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل
حرفا النفي والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن
توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا اى قبائح اعمالهم ۝
او عقوبات اعمالهم السيئات كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ننساكم
نترككم في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم وهي الطاعة او نجعلكم بمنزلة الشيء
المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشيء الذي
يطرح نسيا منسيا فان قلت ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم قلت كمعنى اضافة المكر
في قوله بل مكر الليل والنهار اى نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه ۝ وقرئ
لا يخرجون بفتح الياء ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه
فلله الحمد فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض
والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه
فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات والارض وحق مثله ان يكبر ويعظم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلاثون آية وقيل خمس

بسم الله الرحمن الرحيم الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحكمة
والغرض الصحيح وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيامة والذين كفروا
عما انذروا من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه اليه معرضون لا يؤمنون
به ولا يهتمون بالاستعداد له ۝ ويجوز ان تكون ما مصدرية اى عن انذارهم ذلك اليوم
بكتاب من قبل هذا اى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق
بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق
بمثل ذلك فائتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله

خلق السموات والارض

أو أثارة من علم أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين من قولهم سمنت
الناقة على أثارة من شحم أو على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب ۝ وقرئ أثرة
أي من شيء أوثرتم به وخصصتم من علم لا إحاطة به لغيركم وقرئ أثرة بالحركات
الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء فالإثرة بالكسر بمعنى الأثرة ۝ وأما الأثرة فالمرة
من مصدر أثر الحديث إذا رواه ۝ وأما الأثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة
اسم ما يخطب به ومن أضل معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلهم
أبلغ ضلالا من عبدة الأصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل
كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة
أحد منهم ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة وإذا قامت القيامة وحشر
الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين إلا على نكد ومضرة
لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم ۝ وإنما
قيل من وهم لأنه أسند إليهم ما يسند إلى أولي العلم من الاستجابة والغفلة ولأنهم
كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ۝ ويجوز أن يريد كل معبود من دون الله
من الجن والإنس والأوثان فغلب غير الأوثان عليها ۝ وقرئ ما لا يستجيب ۝ وقرئ
يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق
التهكم بها وبعبدتها ۝ ونحوه قوله إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا
ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم بينات جمع بينة وهي
الحجة والشاهد ۝ أو واضحات مبينات ۝ واللام في للحق مثلها في قوله للذين
آمنوا لو كان خيرا أي لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا ۝ والمراد بالحق الآيات وبالذين
كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو
بالحق لما جاءهم أي بادهوه بالجحود ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير إجالة
فكر ولا إعادة نظر ومن عنادهم وظلمهم أنهم سموه سحرا مبينا ظاهرا أمره
في البطلان لا شبهة فيه أم يقولون افتراه إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا
إلى ذكر قولهم إن محمدا افتراه ۝ ومعنى الهمزة في أم الإنكار والتعجيب
كأنه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك أن محمدا

كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون أمة العرب
لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة وإذا كانت معجزة كانت تصديقا
من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به
الآيات قل إن افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء
عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف
أفتريه وأتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك إذا غضب ولا يملك عنانه إذا صمم
ومثله ۝ فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم ۝ ومن يرد
الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ۝ ومنه قوله عليه السلام لا أملك لكم من الله شيئا
ثم قال هو أعلم بما تفيضون فيه أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في
آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم
يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم
والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم وهو الغفور الرحيم موعدة بالغفران
والرحمة إن رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا ۝ وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم
ما ارتكبوه فإن قلت فما معنى إسناد الفعل إليهم في قوله فلا تملكون لي قلت كان
فيما أتاهم به النصيحة لهم والإشفاق عليهم من سوء العاقبة وإرادة الخير
بهم فكأنه قال لهم إن افتريته وأنا أريد بذلك النصح لكم وصدكم عن عبادة
الآلهة إلى عبادة الله فما تغنون عني أيها المنصوحون إن أخذني الله بعقوبة
الافتراء عليه ۝ البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف ۝ وقرئ بدعا بفتح
الدال أي ذا بدع ۝ ويجوز أن يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ۝ ولحم زيم
كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به إليه من الغيوب فقيل له
قل ما كنت بدعا من الرسل فآتيكم بكل ما تقترحونه وأخبركم بكل ما تسألون
عنه من المغيبات فإن الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما آتاهم الله من آياته ولا
يخبرون إلا بما أوحي إليهم ۝ ولقد أجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون
فما بال القرون الأولى بقوله علمها عند ربي وما أدري لأنه لا علم لي بالغيب
ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من أفعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه

إن أتبع إلا ما يوحى إلي وعن الحسن وما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا
ومن الغالب منا والمغلوب ٥ وعن الكلبي قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى
المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة
أم أومر بالخروج إلى أرض قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه ذات نخيل
وشجر ٥ وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ٥ ويجوز أن يكون نفيا للدراية
المفصلة ٥ وقرئ ما يفعل بفتح الياء أي يفعل الله ٥ فإن قلت إن يفعل مثبت
غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم قلت أجل ولكن النفي في ما أدري
لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن ألا ترى إلى قوله
أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخلت
الباء في خبر أن وذلك لتناول النفي إياها مع ما في حيزها ٥ وما في ما يفعل
يجوز أن تكون موصولة منصوبة ٥ وأن تكون استفهامية مرفوعة ٥ وقرئ
يوحي أي الله عز وجل ٥ جواب الشرط محذوف تقديره إن كان القرآن
من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ٥ ويدل على هذا المحذوف قوله إن الله
لا يهدي القوم الظالمين ٥ والشاهد من بني إسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر إلى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله
فتحقق أنه هو النبي المنتظر وقال له إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا
نبي ما أول أشراط الساعة ٥ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ٥ والولد
ينزع إلى أبيه أو إلى أمه فقال عليه السلام أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم
من المشرق إلى المغرب ٥ وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد
حوت ٥ وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة
نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله إن اليهود
قوم بهت وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت
اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا
وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم إن أسلم عبد الله

قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف
يا رسول الله وأحذر ٥ قال سعد بن أبي وقاص ما سمعت رسول الله يقول لأحد
يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد
شاهد من بني إسرائيل على مثله الضمير للقرآن أي على مثله في المعنى وهو ما في
التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد
وغير ذلك ويدل عليه قوله وإنه لفي زبر الأولين إن هذا لفي الصحف الأولى
كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك ٥ ويجوز أن يكون المعنى إن كان من عند الله
وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله فإن قلت أخبرني
عن نظم هذا الكلام لأقف على معناه من جهة النظم قلت الواو الأولى عاطفة
لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم
كفرتم به وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد
وأما الواو في وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني إسرائيل
على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ٥ ونظيره
قولك إن أحسنت إليك وأسأت وأقبلت عليك وأعرضت لم نتفق
تريد أنك أخذت ضميمين فعطفتهما على مثليهما ٥ والمعنى قل أخبروني إن اجتمع
كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل
على نزول مثله فإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به ألستم أضل الناس
وأظلمهم ٥ وقد جعل الإيمان في قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لأنه لما
علم أن مثله أنزل على موسى صلوات الله عليه وأنه من جنس الوحي وليس من كلام
البشر وأنصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الإيمان نتيجة ذلك للذين
آمنوا لأجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون
الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا
إليه هؤلاء ٥ وقيل لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار قالت
بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لو كان خيرا ما سبقنا إليه رعاء البهم

وقيل ان امة اسلمت لعمر فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا انى فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة ۝ وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام واصحابه فان قلت لا بد من عامل فى الظرف فى قوله واذ لم يهتدوا به ومن متعلق لقوله فسيقولون وهو غير مستقيم لتدافع دلالتى المضى والاستقبال فما وجه هذا الكلام قلت العامل فى اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ تقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم فهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار ان قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم افك قديم كقولهم اساطير الاولين كتاب موسى مبتدا ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب اماما على الحال كقولك فى الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذى قبله التوراة ومعنى اماما قدوة يؤتم به فى دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى ۝ او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب ۝ وقرئ مصدق لما بين يديه لسانا عربيا حال من ضمير الكتاب فى مصدق والعامل فيه مصدق ۝ ويجوز ان ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة ۝ وجوز ان يكون مفعولا لمصدق اى يصدق ذا لسان عربى وهو الرسول ۝ وقرئ لتنذر بالتاء والياء ۝ ولينذر من نذر ينذر اذا حذر ۝ وبشرى فى محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له ۝ قرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما ۝ وبفتحهما واحسانا ۝ كرها بالفتح والضم وهما لغتان فى معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال اى ذات كره ۝ او على انه صفة للمصدر اى حملا ذا كره وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهرا ۝ وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله حولين كاملين لمن اراد

ان يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة اشهر ۝ وقرئ وفصله والفصال والفصل كالفطام والفطم بناء ومعنى فان قلت المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال قلت لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهى به ويتم سمى فصالا كما سمى المدة بالامد من قال كل حى مستكمل عدة العمر ومود اذا انتهى امده ۝ وفيه فائدة وهى الدلالة على الرضاع التام المنتهى بالفصال ووقته ۝ وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفى السن التى تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك اذا اناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته الاربعين وقيل لم يبعث نبى قط الا بعد اربعين سنة ۝ والمراد بالنعمة التى استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه ۝ وقيل فى العمل المرضى هو الصلوات الخمس فان قلت ما معنى فى فى قوله واصلح لى فى ذريتى قلت معناه ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لى الصلاح فى ذريتى واوقعه فيهم ونحوه يجرح فى عراقيبها نصلى ۝ من المسلمين من المخلصين ۝ وقرئ يتقبل ۝ ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله ۝ وقرئا بالنون فان قلت ما معنى قوله فى اصحاب الجنة قلت هو نحو قولك اكرمنى الامير فى ناس من اصحابه تريد اكرمنى فى جملة من اكرم منهم ونظمنى فى عدادهم ۝ ومحله النصب على الحال على معنى كائنين فى اصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز ۝ وقيل نزلت فى ابى بكر وفى ابيه ابى قحافة وامه ام الخير وفى اولاده واستجابة دعائه فيهم ۝ وقيل لم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابى بكر والذى قال مبتدا خبره اولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذى قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا ۝ وعن الحسن هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث

وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه ○ وقيل نزلت في
عبد الرحمن ابن ابي بكر قبل اسلامه وقد دعاه ابو بكر وامه ام رومان
الى الاسلام فافف بهما وقال ابعثوا لي جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو
وهما من اجدادي حتى اسالهما عما يقول محمد ○ ويشهد لبطلانه ان المراد
بالذي قال جنس القائلين ذلك وان قوله الذين حق عليهم القول هم اصحاب النار
وعبد الرحمن كان من افاضل المسلمين وسرواتهم ○ وعن عائشة رضه انكار نزولها
فيه وحين كتب معاوية الى مروان بان يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد
جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم فقال مروان يا ايها الناس هو الذي
قال الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله
ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض
من لعنة الله ○ وقرئ اف بالكسر ○ والفتح بغير تنوين ○ وبالحركات الثلث مع
التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر ○ كما اذا قال حس علم
انه متوجع ○ واللام للبيان معناه هذا التافيف لكما خاصة ○ او لاجلكما دون
غيركما ○ وقرئ اتعدانني بنونين ○ واتعداني بادغامهما ○ واتعداني بالادغام
وقد قرا بعضهم اتعدانني بفتح النون كانه استثقل اجتماع النونين
والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من ادغم ومن طرح
احدهما ان اخرج ان ابعث واخرج من الارض ○ وقرئ اخرج وقد خلت القرون
من قبلي يعني ولم يبعث منهم احد ○ يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك
منك ويلك ○ وهو استعظام لقوله ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث
والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك ○ كقوله في اصحاب الجنة ○ وقرئ
ان بالفتح على معنى آمن بان وعد الله حق ○ ولكل من الجنسين المذكورين درجات
مما عملوا اي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر ○ او من اجل
ما عملوا منهما والدركات كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار
دركات قلت يجوز ان يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين وليوفيهم
وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كانه قيل وليوفيهم اعمالهم

ولا يظلمون حقوقهم ○ قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات
والعقاب دركات ○ ناصب الظرف هو القول المضمر قبل اذهبتم وعرضهم
على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به ○ وقيل
قوله تم النار يعرضون عليها ○ ويجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة
على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا او يدل عليه تفسير ابن عباس رض
يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها اذهبتم طيباتكم اي ما كتب لكم حظ من الطيبات
الا ما قد اصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم بعده
استيفاء حظكم شيء منها ○ وعن عمر رضه لو شئت لدعوت بصلايق وصناب
وكراكر واسنمة ولكني رايت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا ○ وعنه لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا
ولكني استبقي طيباتي ○ وعن رسول الله صلعم انه دخل على اهل الصفة وهم
يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال اانتم اليوم خير
ام يوم يغدو احدكم في حلة ويروح في اخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح
عليه باخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل انتم
اليوم خير ○ وقرئ ااذهبتم بهمزة الاستفهام ○ وآاذهبتم بالف
بين همزتين ○ الهون الهوان ○ وقرئ عذاب الهوان ○ وقرئ يفسقون
بضم السين وكسرها ○ الاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه
انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج ○ وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون
بين رمال مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن ○ وقيل بين
عمان ومهرة ○ والنذر جمع نذير بمعنى المنذر ○ او الانذار من بين
يديه من قبله ومن خلفه ومن بعده ○ وقرئ من بين يديه ومن بعده ○ والمعنى
لان هودا اعلمهم قد انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم العذاب
واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون
نحو انذاره ○ وعن ابن عباس رضه يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا
في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد انذاره هذا اذا علقت

وقد خلت النذر بقوله انذر قومه ذلك ان تجعل قوله وقد خلت النذر من بين يديه
ومن خلفه اعتراضا بين انذر قومه وبين ان لا تعبدوا ويكون المعنى واذكر
انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه
من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم ۞ لتأفكنا لتصرفنا يقال افكه
عن رأيه عن آلهتنا عن عبادتها بما تعدنا من معاجلة العذاب على الشرك ان كنت
صادقا في وعدك فان قلت من اين طابق قوله انما العلم عند الله جوابا لقولهم
فأتنا بما تعدنا قلت من حيث ان قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب الا ترى
الى قوله بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم
حكمة وصوابا انما علم ذلك عند الله فكيف ادعوه بان يأتيكم بعذابه في وقت
عاجل تقترحونه انتم ومعنى وابلغكم ما ارسلت به ۞ وقرئ بالتخفيف ان الذي
هو شأني وشرطي ان ابلغكم ما ارسلت به من الانذار والتخويف والصرف عما يعرضكم
لسخط الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان الرسل لم يبعثوا الا منذرين
لا مقترحين ولا سائلين غير ما اذن لهم فيه فلما رأوه في الضمير وجهان ان يرجع
الى ما تعدنا وان يكون مبهما قد وضح امره بقوله عارضا اما تمييزا او اما حالا
وهذا الوجه اعرب وافصح ۞ والعارض السحاب الذي يعرض في افق السماء
۞ ومثله الحبي والعنان من حبا وعن اذا عرض واضافة مستقبل وممطر
مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وصفا للنكرة
بل هو القول قبله مضمر والقائل هود عليه والدليل عليه قراءة من قرأ
قال هود بل هو ۞ وقرئ بل ما استعجلتم به هي ريح اي قال الله قل تدمر
كل شيء تهلك من نفوس عاد واموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية
وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك لا ترى الخطاب للرائي
من كان ۞ وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء
وهي عن الحسن لا ترى بقايا ولا اشياء الا مساكنهم ۞ ومنه بيت ذي الرمة
وما بقيت الا الضلوع الجراشع ... وليست بالقوية ۞ وقرئ لا ترى
الا مساكنهم ۞ ولا يرى الا مساكنهم ۞ وروي ان الريح كانت تحمل الفسطاط

يرى النحز والاحوال ما في عروضها ... وما بقيت الا معالي الراكب بحمر بواسطة الرحل
اي دق والناحز ايضا ان يصيب مرفق البعير كركرته فقال ناحز ابو زيد نحزه في
صدره مثل نهزه اذا ضربه بالجمع والحول بالتحريك الحجارة وكذلك الحوال والواو للنداز
بجمعه وارض حولة ذات حواول والجمع حوال والغرض عرض الدابة عال الغرض البعير
شددت عليه الغرضة

والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة ۞ وقيل اول من ابصر
العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار ۞ وروي اول ما عرفوا
به انه عذاب انهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بهم الريح
بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب
وصرعتهم واماله الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم
انين ثم كشفت الريح عنهم واحتملتهم فطرحتهم في البحر ۞ وروي ان هودا
لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع ۞ وعن ابن
عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على
الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم
بالحجارة ۞ وعن النبي صلعم انه كان اذا رأى الريح فزع وقال اللهم اني اسألك
خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به
واذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله
ما تخاف فيقول اني اخاف ان يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا
فان قلت ما فائدة اضافة الرب الى الريح قلت الدلالة على ان الريح وتصريف
اعنتها مما يشهد لعظم قدرته لانها من اعاجيب خلقه واكابر جنوده وذكر
الامر وكونها مأمورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه ۞ ان نافية
اي فيما مكناكم فيه الا ان ان احسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من
التكرير المستبشع ومثله مجتنب الا ترى ان الاصل في مهما ماما فلبشاعة
التكرير قلبوا الالف هاء ولقد اغث ابو الطيب في قوله لعمرك ما ما بان
منك لضارب وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ما ان بان منك لضارب
وقد جعلت ان صلة مثلها فيما انشده الاخفش يرجى المرء ما ان لا يراه
ويعرض دون ادناه الخطوب ... وتؤول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم
فيه والوجه هو الاول ولقد جاء عليه غير آية في القرآن هم احسن اثاثا ورئيا
كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا وهو ابلغ في التوبيخ وادخل في الحث
على الاعتبار من شيء اي من شيء من الاغناء وهو القليل منه فان قلت بم انتصب

إذ كانوا يجحدون متعلق بقوله فما أغنى وإذ جرى مجرى التعليل لاستواء
مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لإساءته وضربته إذ أساء لأنك إذا ضربته
في وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا
دون سائر الظروف في ذلك ما حولكم يا أهل مكة من القرى من نحو حجر ثمود
وقرى قوم سدوم وغيرها والمراد أهل القرى ولذلك قال لعلهم يرجعون
القربان ما تقرب به إلى الله أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله حيث
قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف
والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه
لفساد المعنى ٥ وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعتهم من الهلاك
آلهتهم بل ضلوا عنهم أي غابوا عن نصرتهم وذلك إشارة إلى امتناع نصرة
آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها
آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء ٥
وقرئ أفكهم والإفك والأفك كالحذر والحذر ٥ وقرئ وذلك أفكهم
أي وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق ٥ وقرئ أفّكهم
على التشديد للمبالغة ٥ وآفكهم جعلهم آفكين ٥ وآفكهم أي قولهم الآفك
ذو الإفك كما تقول قول كاذب وذلك إفك مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا
يفترون من الإفك صرفنا إليك نفرا أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك
وقرئ صرّفنا بالتشديد لأنهم جماعة ٥ والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا
ومنه حديث أبي ذر رض لو كان هاهنا أحد من أنفارنا فلما حضروه الضمير للقرآن
أي فلما كان يتلى منه ٥ أو لرسول الله صلعم ٥ ويعضده قراءة من قرأ فلما
قضي أي أتم قراءته وفرغ منها قالوا قال بعضهم لبعض أنصتوا اسكتوا مستمعين
يقال أنصت لكذا واستنصت له ٥ روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما
حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا إلا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر
أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا
تهامة ثم اندفعوا إلى وادي نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم

في جوف الليل يصلي ٥ أو في صلاة الفجر فاستمعوا القراءة وذلك عند منصرفه من الطائف
حين خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغرى بهم سفهاء ثقيف
وعن سعيد بن جبير رح ما قرأ رسول الله على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته
فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم ٥ وقيل
بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرا منهم جمعهم له
فقال إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فأطرقوا
إلا عبد الله بن مسعود رض قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيري فانطلقنا
حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود
إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله وغشيته
أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب
فقال لي رسول الله هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض
فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم
اقرأ باسم ربك فإن قلت كيف قالوا من بعد موسى قلت عن عطاء أنهم كانوا على اليهودية
وعن ابن عباس أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى
فإن قلت لم بعّض في قوله من ذنوبكم قلت لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان
كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر
لكم من ذنوبكم فإن قلت هل للجن ثواب كما للإنس قلت اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم
إلا النجاة من النار لقوله ويجركم من عذاب أليم وإليه كان يذهب أبو حنيفة رح
والصحيح أنهم في حكم بني آدم لأنهم مكلفون مثلهم فليس بمعجز في الأرض أي لا ينجي
منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ٥ ونحوه قوله وأنا ظننا أن لن نعجز الله
في الأرض ولن نعجزه هربا بقادر محله الرفع لأنه خبر أن يدل عليه قراءة
عبد الله قادر وإنما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على أن وما في
حيزها ٥ وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله
بقادر ألا ترى إلى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره
لا لرؤيتهم ٥ وقرئ يقدر ويقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه ومنه

افعيينا بالخلق الاول اليس هذا بالحق محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر
هو ناصب الظرف وهذه الاشارة الى العذاب بدليل قوله فذوقوا العذاب
والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده
وقولهم وما نحن بمعذبين اولوا العزم اولوا الجد والثبات والصبر ومن
يجوز ان تكون للتبعيض ويراد باولي العزم بعض الانبياء قيل هم نوح صبر
على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم على النار وذبح ولده
واسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن
وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي
سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة
قال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى في آدم ولم نجد له
عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز ان تكون للبيان فيكون اولوا
العزم صفة الرسل كلهم ولا تستعجل لكفار قريش بالعذاب اي لا تدع
لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تاخر وانهم مستقصرون حينئذ
مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار بلاغ هذا بلاغ اي هذا
الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او هذا تبليغ من الرسول فهل يهلك
الا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه ويدل على معنى التبليغ قراءة
من قرأ بلغ فهل يهلك وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح
الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون الا القوم الفاسقين
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا
سورة محمد صلى الله عليه مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيد بن
جبير مكية وهي سورة القتال وهي تسع وثلاثون آية وقيل ثمان
بسم الله الرحمن الرحيم وصدوا واعرضوا ا
وامتنعوا عن الدخول في الاسلام او صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما
هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من اهل الشرك
يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب الذين

مفعول اراده

كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل
من كفر وصد اضل اعمالهم ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة
ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي هي بمضيعة لا رب لها يحفظها
ويعتني بامرها او جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء
في اللبن واعمالهم ما عملوه في كفرهم بما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام
وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقيل ابطل ما عملوه
من الكيد لرسول الله والصد عن سبيل الله بان نصره عليهم واظهر دينه على الدين
كله والذين آمنوا قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل
هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل هو عام وقوله وآمنوا بما نزل على محمد
اختصاص للايمان بالمنزل على رسول الله من بين ما يجب الايمان به تعظيما لشانه وتعليما
لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به واكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله
وهو الحق من ربهم وقيل معناها ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ
لغيره وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للفاعل
ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم
من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم واصلح بالهم اي حالهم وشانهم
بالتوفيق في امور الدين وبالتسليط على الدنيا بما اعطاهم من النصرة والتاييد ذلك
مبتدأ وما بعده خبره اي ذلك الامر وهو اضلال اعمال احد الفريقين وتكفير
سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز ان يكون
ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور
منصوبا على هذا ومرفوعا على الاول والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل
الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب
يضرب الله للناس امثالهم والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين من
الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم فان قلت اين
ضرب الامثال قلت في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا
لعمل المؤمنين او في ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز
المؤمنين

لقيتم من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف
الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء
معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب
الرقاب عبارة عن القتل لان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من
الاعضاء وذلك انهم يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته
وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك ان قتل الانسان اكثر ما يكون بضرب
رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله
بما كسبت ايديكم على ان في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل
لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق واطارة العضو الذي هو
راس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله فاضربوا
فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه
من الشيء الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم
النهوض فشدوا الوثاق فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به
منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء
والمعنى التخيير بعد الاسر بين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين ان يفادوهم
فان قلت كيف حكم اسارى المشركين قلت اما عند ابي حنيفة واصحابه فاحد
امرين اما قتلهم واما استرقاقهم ايهما راى الامام ويقولون في المن والفداء المذكورين
في الاية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما
هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل و
يسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من اهل الذمة
وبالفداء ان يفادى باساراهم اسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا
عن ابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا
حربا للمسلمين واما الشافعي فيقول للامام ان يختار احد اربعة على حسب
ما اقتضاه نظره للمسلمين وهي القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين
والمن ويحتج بان رسول الله صلعم من على ابي عزة الجمحي وعلى اثال الحنفي

وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند اصحاب الراي وقرئ
فدا بالقصر مع فتح الفاء اوزار الحرب الاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح
والكراع قال الاعشى وأعددت للحرب أوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا
وسميت اوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرها فكانها تحملها وتستقل بها فاذا
انقضت فكانها وضعتها وقيل اوزارها اثامها يعني حتى يترك اهل الحرب
وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا فان قلت حتى بم تعلقت قلت
لا تخلو من ان تتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين
عند الشافعي رح انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين
وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابي حنيفة رح
اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس
الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء
فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتأول
المن والفداء بما ذكرنا من التأويل ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك لانتصر
منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة من خسف او رجفة او حاصب او غرق
او موت جارف ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوا
ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم
على ايديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا
وقاتلوا وقرئ فلن يضل اعمالهم ويضل اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم
من ضل وعن قتادة انها نزلت في يوم احد عرفها لهم اعلمها لهم وبينها بما يعلم به
كل احد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي اهل الجنة الى مساكنهم
منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل
ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه
الله او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي كلام بعضهم عزف
كنوح القماري وعرف كفوح القماري او حددها لهم فجنة كل
احد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وارفها والعرف والارف

إن تنصروا دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت أقدامكم
في مواطن الحرب او على محجة الاسلام والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء
والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قال اتعس الذين كفروا فان قلت علام عطف
قوله واضل اعمالهم قلت على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم
او فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا
يريد فالعثور والانحطاط اقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن
عباس يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار كرهوا القرآن
وما انزل الله فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال واطلاق العنان
في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم دمره اهلكه ودمر
عليه اهلك عليه ما يختص به والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم
واولادهم واموالهم وكل ما كان لهم وللكافرين امثالها الضمير للعاقبة
المذكورة او للهلكة لان التدمير يدل عليها او للسنة لقوله سنة الله
في الذين خلوا مولى الذين آمنوا وليهم وناصرهم وفي قراءة ابن مسعود ولي
الذين آمنوا ويروى ان رسول الله صلعم كان في الشعب يوم احد وقد فشت فيهم
الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون اعل هبل فنادى المسلمون الله
اعلى واجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا
عزى لكم فقال رسول الله صلعم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة
اما قتلانا فاحياء يرزقون واما قتلاكم ففي النار يعذبون فان قلت قوله
ثم ردوا الى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الآية قلت لا تناقض
بينهما لان الله مولى عباده جميعا على معنى انه ربهم ومالك امرهم
واما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين يتمتعون ينتفعون بمتاع الحياة
الدنيا اياما قلائل ويأكلون غافلين غير مفكرين في العاقبة كما تأكل الانعام
في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح مثوى لهم
منزل ومقام وقرئ وكاين بوزن كاعن واراد بالقرية اهلها ولذلك
قال اهلكناهم كانه قال وكم من قوم هم اشد قوة من قومك الذين

الذين اخرجوك اهلكناهم ومعنى اخرجوك كانوا سبب خروجك فان قلت كيف قال فلا ناصر
لهم وانما هو امر قد مضى قلت مجراه مجرى الحال المحكية كقولك اهلكناهم فهم لا ينصرون
من زين له هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله
ومن كان على بينة من ربه اي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر
المعجزات هو رسول الله صلعم وقرئ امن كان على بينة وقال سوء عمله واتبعوا
للحمل على لفظ من ومعناه فان قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد المتقون
فيها انهار كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الاثبات ومعنى النفي و
الانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وانخراطه
في سلكه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكانه قيل
امثل الجنة كمن هو خالد في النار فان قلت فلم عري من حرف الانكار وما فائدة
التعرية قلت تعريته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي
بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة
التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها الحميم ونظيره قول القائل
افرح ان ارزأ الكرام وان اورث ذودا شصائصا نبلا وهو كلام
منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الانكار
لانطوائه تحت حكم قول من قال له اتفرح بموت اخيك وبوراثة ابله
والذي طرح لاجله حرف الانكار ارادة ان يصور قبح ما ازن به فكانه
قال نعم مثلي يفرح بمرزئة الكرام وبان يستبدل منهم ذودا يقل طائله
وهو من التسليم الذي تحته كل انكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة
الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقوله فيها انهار داخل في حكم الصلة
كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف
هي فيها انهار وكان قائلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار وان يكون في موضع الحال
اي مستقرة فيها انهار وفي قراءة علي رض امثال الجنة اي ما صفاتها كصفات
النار وقرئ اسن يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه وانشد
ليزيد بن معاوية لقد سقتني رضابا غير ذي اسن كالمسك فت على ماء العناقيد

من لبن لم يتغير طعمه كما يتغير ألبان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حازرا
ولا ما يكره من الطعوم لذة ما تأنيث لذ وهو اللذيذ او وصف بمصدره وقرئ
بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الانهار والنصب على العلة
اي لاجل لذة الشاربين والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار
ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر مصفى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره
ماء حميما قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم فاذا
شربوه قطع امعاءهم هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلعم فيسمعون
كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولي العلم من الصحابة
ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين
خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس
انا منهم وقد سميت فيمن سئل آنفا وقرئ انفا فعل نصب على الظرف قال الزجاج
هو من استانفت الشيء اذا ابتداته والمعنى ماذا قال في اول وقت يقرب
منا زادهم الله هدى بالتوفيق وآتاهم تقواهم اعانهم عليها او آتاهم جزاء
تقواهم وعن السدي بين لهم ما يتقون وقرئ واعطاهم وقيل الضمير
في زادهم لقول الرسول او لاستهزاء المنافقين ان تاتيهم بدل اشتمال من الساعة
نحو ان تطؤوهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ ان تاتهم بالوقف
على الساعة واستئناف الشرط وهي في مصاحف اهل مكة فان قلت فما جزاء
الشرط قلت قوله فانى لهم ومعناه ان تاتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم واتعاظهم
اذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله يومئذ يتذكر الانسان
وانى له الذكرى فان قلت بم يتصل قوله فقد جاء اشراطها على القراءتين قلت
باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك ان اكرمني زيد فانا حقيق بالاكرام
اكرمه والاشراط العلامات قال ابو الاسود فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا
فقد جعلت اشراط اوله تبدو وقيل مبعث محمد خاتم الانبياء صلى الله
عليه وعليهم منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة
وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقرئ

جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر اختها وهي مروية عن ابي عمرو وما
اخوفني ان تكون غلطة من الراوي على ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة
بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم لما ذكر حال المؤمنين وحال
الكافرين قال اذا علمت ان الامر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على
ما انت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب
من على دينك والله يعلم احوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم
ويعلم حيث تستقرون من منازلكم او متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور
او متقلبكم في اعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بان يتقى ويخشى
وان يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة انه سئل عن فضل العلم فقال
الم تسمع قوله حين بدا به فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل
بعد العلم وقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا الى مغفرة
وقال واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا
انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعد كانوا يدعون الحرص
على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون لولا نزلت سورة في معنى الجهاد فاذا
انزلت وامروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا
في ايديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس محكمة
مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة
فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين وقيل
لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة
وهي غير منسوخة الى يوم القيامة وقيل هي المحدثة لانها حين يحدث نزولها
لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك او تبقى غير منسوخة وفي قراءة
عبد الله سورة محدثة وقرئ فاذا انزلت سورة وذكر فيها القتال
على البناء للفاعل ونصب القتال الذين في قلوبهم مرض هم الذين كانوا على حرف
غير ثابتي الاقدام نظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا
كما ينظر من اصابته الغشية عند الموت فاولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل

من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه طاعة وقول معروف
كلام مستأنف اي طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم اي قالوا
طاعة وقول معروف بمعنى امرنا طاعة وقول معروف ويشهد له قراءة أبي
يقولون طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر اي جد والعزم والجد لاصحاب
الامر وانما يسندان الى الامر اسنادا مجازيا ومنه قوله ان ذلك من عزم الامور
فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد او فلو صدقوا في ايمانهم وواطأت
قلوبهم فيه ألسنتهم عسيت وعسيتم لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون
عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا والمعقول الصمابن وقرأ نافع بكسر السين
وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون
ابلغ في التوبيخ فهل عسيتم ان تفسدوا في الارض معناه هل يتوقع
منكم الا افساد فان قلت كيف يصح هذا في كلام الله وهو عالم بما كان وما يكون قلت
معناه انكم لما عهد منكم احقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة
عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم
لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل الا ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم
تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل ان اعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله
وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور
والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات
وقرئ وُليتم وفي قراءة علي بن ابي طالب رضه تُوُليتم اي ان تولاكم ولاة
غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وافسدتم بافسادهم وقرئ
وتقطعوا وتقطّعوا من التقطيع والتقطّع اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله
لافسادهم وقطعهم الارحام فمنعهم الطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع
الموعظة وعموا عن ابصار طريق الهدى ويجوز ان يريد بالذين آمنوا المؤمنين
الخلص الثابتين وانهم يتشوقون الى الوحي اذا ابطأ عليهم فاذا انزلت سورة
في معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها افلا يتدبرون القرآن
ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا

على المعاصي ثم قال ام على قلوب اقفالها وام بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل
عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر وعن قتادة اذن والله
يجدوا في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم اخذوا بالمتشابه
فهلكوا فان قلت لم نكرت القلوب واضيفت الاقفال اليها قلت اما التنكير
ففيه وجهان ان يراد على قلوب قاسية مبهم امرها في ذلك او يراد على بعض
القلوب وهي قلوب المنافقين واما اضافة الاقفال فلانه يريد الاقفال المختصة بها
وهي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرئ اقفالها على المصدر الشيطان
سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان كقولك ان زيدا عمرو مر به سول
سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السؤل
من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني و
قرئ واملي لهم يعني ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم كقوله انما نملي لهم وقرئ
واملي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم وقرئ سول لهم
ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف ان الذين ارتدوا هم
ذلك اليهود كفروا بمحمد صلعم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته في التوراة
وقيل هم المنافقون الذين قالوا القائلون اليهود والذين كرهوا ما
نزل الله المنافقون وقيل عكسه وانه قول المنافقين لقريظة والنضير
لئن اخرجتم لنخرجن معكم وقيل بعض الامر التكذيب برسول الله او بلا
اله الا الله او ترك القتال معه وقيل هو قول احد الفريقين للمشركين
سنطيعكم في التظافر على عداوة رسول الله والقعود عن الجهاد معه
ومعنى في بعض الامر في بعض ما تأمرون به او في بعض الامر الذي يهمكم
والله يعلم اسرارهم وقرئ اسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما
بينهم فافشاه الله عليهم فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ وقرئ توفاهم
ويحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت احدى تاءيه كقوله ان الذين
توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رضه لا يتوفى احد على معصيته الا يضرب
من الملائكة في وجهه ودبره ذلك اشارة الى التوفي الموصوف بما اسخط الله

من كتمان نعت رسول الله ورضوانه الإيمان برسول الله أضغانهم أحقادهم
وإخراجهم إبرازها لرسول الله وللمؤمنين وإظهارهم على نفاقهم وعداوتهم
لهم وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم لأريناكهم لعرفناكهم ودللناك
عليهم حتى تعرفهم بأعيانهم لا يخفون عليك بسيماهم بعلامتهم وهو أن
يسمهم الله بعلامة يعلمون بها. وعن أنس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله بعد
هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات
وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا
وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق. فإن قلت أي فرق بين اللامين
في فلعرفتهم ولتعرفنهم قلت الأولى هي الداخلة في جواب لو كالتي
في لأريناكهم كررت في المعطوف وأما اللام في ولتعرفنهم فواقعة
مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول في نحوه وأسلوبه. وعن ابن عباس
هو قولهم ما لنا إن أطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا إن عصينا من العقاب
وقيل اللحن أن تلحن بكلامك أي تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك
كالتعريض والتورية قال. ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا عن الصواب
واللحن يعرفه ذوو الألباب. وقيل للمخطئ لاحن لأنه يعدل بالكلام
أخباركم ما يحكى عنكم وما يخبر به عن أعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها
لأن الخبر على حسب المخبر عنه إن حسنا فحسن وإن قبيحا فقبيح
وقرأ يعقوب ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلو أخباركم
وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء. وعن الفضيل أنه كان
إذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فإنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت
أستارنا وعذبتنا وسيحبط أعمالهم التي عملوها في دينهم يرجون
بها الثواب لأنها مع كفرهم برسول الله باطلة وهم قريظة والنضير
أو سيحبط أعمالهم التي عملوها والمكايد التي نصبوها في مشاقة
الرسول أي سيبطلها فلا يصلون منها إلى أغراضهم بل يستضرون بها
ولا تثمر لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم. وقيل هم رؤساء

قريش والمطعمون يوم بدر ولا تبطلوا أعمالكم أي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إلى أن قال أن تحبط أعمالكم. وعن أبي العالية كان أصحاب
رسول الله يرون أنه لا يضر مع الإسلام ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت
ولا تبطلوا أعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على أعمالهم. وعن حذيفة فخافوا أن تحبط
الكبائر أعمالهم. وعن ابن عمر كنا نرى أنه ليس شيء من حسناتنا إلا مقبولا حتى
نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات
والفواحش حتى نزل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك وكنا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو
لمن لم يصبها. وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيئ
وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما. وعن ابن عباس لا تبطلوها بالرياء والسمعة
وعنه بالشك والنفاق. وقيل بالعجب فإن العجب يأكل الحسنات كما تأكل
النار الحطب. وقيل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى. ثم ماتوا وهم كفار
قيل هم أصحاب القليب والظاهر العموم فلا تهنوا فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو
ولا تدعوا إلى السلم. وقرئ السلم وهما المسالمة وأنتم الأعلون
أي الأغلبون الأقهرون والله معكم أي ناصركم. وعن قتادة لا تكونوا أول
الطائفتين ضرعت إلى صاحبتها بالموادعة. وقرئ ولا تدعوا من ادعى
القوم وتداعوا إذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه. وتدعوا مجزوم
لدخوله في حكم النهي أو منصوب لإضمار أن ونحو قوله وأنتم الأعلون قوله إنك
أنت الأعلى ولن يتركم من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ
أو حميم أو حربته وحقيقته أفردته من قريبه أو ماله من الوتر وهو
الفرد فشبه إضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من
فصيح الكلام. ومنه قوله عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله
أي أفرد عنهما قتلا ونهبا يؤتكم أجوركم ثواب إيمانكم وتقواكم ولا يسألكم
أموالكم أي ولا يسألكم جميعها إنما يقتصر منكم على ربع العشر. ثم قال إن
يسألكموها فيحفكم أي يجهدكم ويطلبه كله والإحفاء المبالغة

وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفاه في المسألة اذا لم يترك شيئا من الالحاح
واحفى شاربه استاصله تبخلوا ويخرج اضغانكم اي تضطغنون على رسول
الله وتضيق صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب باموالكم
والضمير في يخرج لله اي يضغنكم بطلب اموالكم او للبخل لانه سبب الاضطغان
وقرئ ونخرج بالنون وتخرج بالياء والتاء مفتوحتين ورفع اضغانكم هؤلاء
موصول بمعنى الذين صلته تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون
هؤلاء الموصوفون ثم استانف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون
لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكوة كانه قيل الدليل
على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون الى اداء
ربع العشر فمنكم ناس يبخلون به ثم قال ومن يبخل بالصدقة واداء الفريضة
فلا يتعداه ضرر بخله وانما يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه وكذلك
ضننت عليه وعنه ثم اخبر انه لا يأمر بذلك ولا يدعو اليه لحاجته اليه
فهو الغني الذي تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب
وان تتولوا معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا يستبدل قوما غيركم
يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى غير متولين
عنهما لقوله ويأت بخلق جديد وقيل هم الملائكة وقيل الانصار وعن ابن
عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم
وسئل رسول الله صلعم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه
وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله
رجال من فارس عن رسول الله صلعم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم هو فتح مكة وقد نزلت
مرجع رسول الله صلعم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به
على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في اخباره لانها لتحققها
وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على

علو شان المخبر ما لا يخفى فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة
قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي
المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه
قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز
الدارين واغراض العاجل والآجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد
للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا
بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد
فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام
بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رموا المشركين حتى ادخلوهم
ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح فان قلت كيف يكون فتحا
وقد احصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية قلت كان ذلك قبل الهدنة
فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة اقبل رسول الله صلعم
من الحديبية راجعا فقال رجل من اصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا
عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي عليه السلام فقال بئس الكلام هذا بل هو اعظم
الفتوح وقد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم
القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد راوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت
بالحديبية واصاب رسول الله صلعم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة اصاب
ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم
على فارس وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية اية
عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله
ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء
حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم
وقيل فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين
منه واعظم وهو رأس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو
تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على اهل مكة ان تدخلها

أنت وأصحابك من نائل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة ○ وكذا
عن قتادة ﴿ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ يريد جميع ما فرط منك ○ وعن مقاتل
ما تقدم في الجاهلية وما بعدها ○ وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر
من امرأة زيد ﴿نصرا عزيزا﴾ فيه عز ومنعة ○ أو وصف بصفة المنصور
إسنادا مجازيا ○ أو عزيزا صاحبه ○ ﴿السكينة﴾ للسكون كالبهيتة للبهتان
أي أنزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والأمن ليعرفوا
فضل الله عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا
يقينا إلى يقينهم ○ أو أنزل فيها السكون إلى ما جاء به محمد عليه من الشرائع
ليزدادوا إيمانا بالشرائع مقرونا إلى إيمانهم وهو التوحيد ○ عن ابن عباس رض
أن أول ما أتاهم به النبي صلعم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده أنزل الصلوة
والزكوة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا إيمانا إلى إيمانهم أو أنزل فيها الوقار
والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك إيمانا إلى إيمانهم ○ وقيل
أنزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزدادوا إيمانهم ﴿ولله جنود السموات
والأرض﴾ يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن
سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم ○ وإنما قضى
ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب
فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه
وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته
وصلاحه فقيل في المرضي الصالح من الأفعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد
منها فعل سوء ومعنى ظن السوء ظنهم أن الله لا ينصر الرسول والمؤمنين
ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا ﴿عليهم دائرة السوء﴾
أي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم
والسوء الهلاك والدمار ○ وقرئ دائرة السوء بالفتح أي الدائرة
التي يذمونها ويسخطونها فهي عندكم دائرة سوء وعند المؤمنين
دائرة صدق وفيه دليل لمن فرق بين السوء والسوء وهما كالكره والكره

والضعف والضعف من ساء إلا أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد
ذمه من كل شيء وأما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال
أراد به السوء وأراد به الخير ولذلك أضيف الظن إلى المفتوح لكونه
مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها أن لا تضاف إليه إلا على التأويل
الذي ذكرنا وأما دائرة السوء بالضم فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة
فصح أن يقع عليه اسم السوء كقوله تعالى إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة
﴿شاهدا﴾ تشهد على أمتك كقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴿لتؤمنوا﴾ الضمير
للناس ﴿وتعزروه﴾ وتقووه بالنصرة ﴿وتوقروه﴾ وتعظموه ﴿وتسبحوه﴾ من
التسبيح أو من السبحة ○ والضمائر لله تع ○ والمراد بتعزير الله تعزير دينه
ورسوله ومن فرق الضمائر فقد أبعد ○ وقرئ ليؤمنوا ويعزروه و
يوقروه بالياء والخطاب لرسول الله ولأمته ○ وتعزروه بضم الزاء وكسرها
وتعزروه بضم التاء والتخفيف ○ وتعززوه بالزائين وتوقروه من
أوقره بمعنى وقره ○ وتسبحوا الله ﴿بكرة وأصيلا﴾ عن ابن عباس صلاة
الفجر وصلاة الظهر والعصر ○ لما قال ﴿إنما يبايعون الله﴾ أكده تأكيدا
على طريقة التخييل فقال ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ يريد أن يد رسول الله
التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله تع منزه عن الجوارح
وعن صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول
كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله
والمراد بيعة الرضوان ﴿فإنما ينكث على نفسه﴾ فلا يعود ضرر نكثه
إلا عليه قال جابر بن عبد الله رضه بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت
وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منا البيعة إلا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ
تحت إبط بعيره ولم يسر مع القوم ○ وقرئ إنما يبايعون لله أي لأجل
الله ولوجهه ○ وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها ○ ﴿بما عاهد﴾ وعهد
فسنؤتيه بالنون والياء ○ يقال وفيت بالعهد وأوفيت به وهي لغة
تهامة ○ ومنها قوله أوفوا بالعقود والموفون بعهدهم ○ هم الذين خلفوا

مخلقة في ضمن قرينة مانعة عن حمل الاسم على ما يسبق منه إلى الفهم من كون مسماه شيئا محققا مثل أن تشبه الحال
إذا وجدتها دالة على أمر من الأمور بالإنسان الذي يتكلم فيحمل الوهم في الاختراع للحال ما قوام كلام المتكلم به
وهو تصور صورة اللسان ثم يطلق عليها اسم اللسان المحقق ويضيفه إلى الحال فيقال لسان الحال الشبيه
بالمتكلم ناطق بكذا ومثل أن تشبه فيما نحن فيه الله بالمبايع فيحمل الوهم في الاختراع لديه ما قوام مبايعة المبايع
وهو تصور صورة اليد المحققة ويضيفه إليه فقال يد الله لكون الإضافة إليه قرينة مانعة عن إطلاق اسم اليد
على ما يسبق إلى الفهم وهو العضو المخصوص لكونه منزها عن الجوارح وعن صفات الأجسام ○

عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم
والديل وذلك انه صلعم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا
استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا
من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلى الله عليه
وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا
يذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم
وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم
وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم ○ وقرئ شغّلتنا بالتشديد يقولون بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس بما يقولون
وانما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم للاستغفار ايضا ليس بصادر عن
حقيقة فمن يملك لكم فمن يمنعكم من مشية الله وقضائه ان اراد بكم
ما يضركم من قتل او هزيمة او اراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة ○ وقرئ
ضرا بالفتح والضم الاهلون جمع اهل وقد يقال اهلات على تقدير تاء التانيث
كارض وارضات وقد جاء اهلة واما اهال فاسم جمع كليال ○ وقرئ
الى اهلهم ○ وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان ○ او الله وكلاهما جاء
في القرآن وزين لهم الشيطان اعمالهم زينا لهم اعمالهم ○ والبور من بار كالهالك
من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ ○ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في انفسكم
وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه
للكافرين مقام مقام لهم للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله
وبرسوله فهو كافر ○ وتنكير سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا
تلظى ولله ملك السموات والارض يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر
ويعذب بمشيته ومشيته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة
للتائب وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة
لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة

سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم
الى غنائم خيبر ان يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله ان يغيروا موعد الله
لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم
خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا ○ وقيل هو قوله تعالى
لن تخرجوا معي ابدا تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم ○ وقرئ
بضم السين وكسرها لا يفقهون لا يفهمون الا فهما قليلا وهو فطنتهم
لامور الدنيا دون امور الدين كقوله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
فان قلت ما الفرق بين حرفي الاضراب قلت الاول اضراب معناه رد ان يكون
حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة
الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل
للمخلفين هم الذين تخلفوا عن الحديبية الى قوم اولي باس شديد يعني
بني حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق رض
لان مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف
عند ابي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس
تقبل منهم الجزية ○ وعند الشافعي لا تقبل الجزية الا من اهل الكتاب
والمجوس دون مشركي العجم والعرب وهذا دليل على امامة ابي بكر الصديق رض
فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول الله ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله
مع قوله تع قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا ○ وقيل هم
فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون لان الروم نصارى وفارس مجوس
يقبل منهم اعطاء الجزية فان قلت عن قتادة انهم ثقيف وهوازن وكان
ذلك في ايام رسول الله قلت ان صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم
على ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين ○ او على قول مجاهد
كان الموعد انهم لا يتبعون رسول الله الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم
كما توليتم من قبل يريد عن غزوة الحديبية او يسلمون معطوف على تقاتلونهم
اي يكون احد الامرين اما المقاتلة ○ او الاسلام لا ثالث لهما ○ وفي

او يسلموا المعنى الى ان يسلموا ○ نفى الحرج عن هؤلاء من ذوى العاهات في التخلف عن الغزو ○ وقرئ ندخله ونعذبه بالنون ○ بيعة الرضوان سميت بهذه الاية ○ وقصتها ان النبى صلعم حين نزل بالحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر رض ليبعثه فقال انى اخافهم على نفسي لما عرف من عداوتى اياهم وما بمكة عدوى يمنعنى ولكنى ادلك على رجل هو اعز بها منى واحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلعم واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة ○ قال جابر بن عبد الله لو كنت ابصر لاريتكم مكانها ○ وقيل كان رسول الله جالسا في اصل الشجرة وعلى ظهره غصن من اغصانها ○ قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على راسه وبيدي غصن من الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره ○ فبايعوه على الموت دونه وعلى ان لا يفروا فقال لهم رسول الله انتم اليوم خير اهل الارض وكان عدد المبايعين الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين ○ وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلثمائة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه فانزل السكينة اى الطمانينة والامن بسبب الصلح على قلوبهم واثابهم فتحا قريبا وقرئ واتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة ○ وعن الحسن فتح هجر وهو اجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا ومغانم كثيرة ياخذونها هي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم ثم اتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد ان نحر بالحديبية وحلق وعدكم الله مغانم كثيرة وهى ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيامة فعجل لكم هذه المغانم يعنى مغانم خيبر وكف ايدى الناس عنكم يعنى ايدى اهل خيبر

وحلفائهم من اسد وغطفان حين جاؤوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا ○ وقيل ايدى اهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة اية للمؤمنين وعبرة يعرفون بها انهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم ○ وقيل راى رسول الله صلى الله عليه فتح مكة في منامه ورؤيا الانبياء وحي فتاخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ويهديكم صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله واخرى معطوفة على هذه اى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهى مغانم هوازن في غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها اى قدر عليها واستولى واظهركم عليها وغنمكموها ○ ويجوز في اخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد احاط الله بها تقديره وقضى الله اخرى قد احاط بها واما لم تقدروا عليها فصفة لاخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد احاط بها خبر المبتدا او الجر باضمار رب فان قلت قوله ولتكون اية للمؤمنين كيف موقعه قلت هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة اية للمؤمنين فعل ذلك ○ ويجوز ان يكون المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الاعداء لينفعكم بها ولتكون اية للمؤمنين اذا وجدوا وعد الله بها صادقا لان صدق الاخبار عن الغيوب معجزة واية ويزيدكم بذلك هداية وايقانا ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا ○ وقيل من حلفاء اهل خيبر لغلبوا وانهزموا سنة الله في موضع المصدر المؤكد اى سن الله غلبة انبيائه سنة وهو قوله لاغلبن انا ورسلي ايديهم ايدى اهل مكة اى قضى بينهم وبينكم المكافة

اى الهزيمة ثم الرجوع والكون ... ثم الهزيمة ثم الرجوع ... الجولة ... هذه وتراجع ... ورجوع وعلى هذا الوجه لم تقدروا عليها صفة ... وعلى هذا احاط الا صفة ... ومتعلق ... مجرورة ... رفعا ... متعلق اللام محذوفة ... على هذا الوجه تكون ولتكون عطفا على علة محذوفة وقوله فعجل وكف تنازع في ... اياه

والمجاهرة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة، وذلك يوم الفتح
وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن مكة فتحت عنوة لا صلحاً.
وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي أن عكرمة بن أبي جهل
خرج في خمسمائة فبعث رسول الله من هزمه وأدخله
حيطان مكة. وعن ابن عباس أظهر الله المسلمين
عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت. وقرئ تعملون
بالتاء والياء. قرئ والهدي والهديّ بتخفيف الياء
وتشديدها وهو ما يهدى إلى الكعبة بالنصب عطفاً على الضمير المنصوب
في صدوكم أي صدوكم وصدوا الهدي، وبالجر عطفاً
على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدي. معكوفاً
أن يبلغ محله: محبوساً عن أن يبلغ، وبالرفع على وصُدَّ الهديُ.
ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره أي يجب، وهذا دليل
لأبي حنيفة على أن المحصر محل هديه الحرم. فإن قلت:
فكيف حل رسول الله ومن معه وإنما نحر هديهم بالحديبية؟
قلت: بعض الحديبية من الحرم. وروي أن مضارب
رسول الله كانت في الحل ومصلاه في الحرم. فإن قلت:
فإذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفاً أن يبلغ محله؟ قلت:
المراد المحل المعهود وهو منى. لم تعلموهم صفة للرجال
والنساء جميعاً. وأن تطؤهم بدل اشتمال منهم أو من
الضمير المنصوب في تعلموهم. والمعرة مفعلة من عرّه
بمعنى عراه إذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه. وبغير علم
متعلق بأن تطؤهم يعني أن تطؤهم غير عالمين بهم. والوطء
والدوس عبارة عن الإيقاع والإبادة، قال:
ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم
وقال رسول الله صلى الله عليه وإن آخر وطأة

وطئها الله بوج. والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون
بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الأماكن، فقيل
ولولا كراهة أن تهلكوا ناساً مؤمنين بين ظهراني
المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم
بإهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم
وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه. ويجوز أن
يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا لمرجعهما
إلى معنى واحد، ويكون لعذبنا هو الجواب. فإن قلت:
أي معرة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون؟ قلت:
يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين
أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير
تمييز، والمأثم إذا جرى منهم بعض التقصير. فإن قلت:
ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لماذا؟ قلت:
لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الأيدي عن أهل
مكة والمنع من قتلهم صوناً لمن بين أظهرهم من المؤمنين
كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته
أي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم. أو ليدخل
في الإسلام من رغب فيه من مشركيهم. لو تزيلوا: لو تفرقوا
وتميز بعضهم من بعض، من زاله يزيله. وقرئ لو تزايلوا.
إذ يجوز أن يعمل فيه ما قبله أي لعذبناهم، أو
صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت. وأن ينتصب
بإضمار اذكر. والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين
الحمية الأنفة والسكينة الوقار. ما يروى أن رسول الله
صلى الله عليه لما نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن
عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن

حفص بن الأخيف على أن يعرضوا على النبي صلعم أن يرجع
من عامه ذلك على أن تخلي له قريش مكة من العام القابل
ثلثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام
لعلي أكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل
وأصحابه ما نعرف هذا ولكن أكتب باسمك اللهم ثم قال
أكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو
كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا
قاتلناك ولكن أكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله
أهل مكة فقال عليه السلم أكتب ما يريدون فأنا أشهد
أني رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون أن يأبوا
ذلك ويشمئزوا منه فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا
وكلمة التقوى بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله
قد اختارها الله لنبيه وللذين معه أهل الخير ومستحقيه
ومن هو أولى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة
وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى إضافتها
الى التقوى أنها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل
التقوى وفي مصحف الحارث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا
أهلها وأحق بها وهو الذي دفن مصحفه أيام الحجاج رأى
رسول الله صلعم قبل خروجه الى الحديبية كأنه
وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص
الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها
في عامهم وقالوا إن رؤيا رسول الله حق فلما تأخر ذلك قال
عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله
ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى صدق
الله رسوله الرؤيا صدقه في رؤياه ولم يكذبه

تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار
وأوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه بالحق يتعلق
بالحق قلت إما بصدق أي صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله
صدقا ملتبسا بالحق أي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه
من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض ويجوز
أن يتعلق بالرؤيا حالا منها أي صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق
على معنى أنها لم تكن من أضغاث الأحلام ويجوز أن يكون
بالحق قسما إما بالحق الذي هو نقيض الباطل أو بالحق الذي
هو من أسمائه ولتدخلن جوابه وعلى الأول هو جواب قسم
محذوف فإن قلت ما وجه دخول إن شاء الله في إخبار الله
عز وجل قلت فيه وجوه أن يعلق عدته بالمشيئة تعليما
لعباده أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدبين
بأدب الله ومقتدين بسنته وأن يريد لتدخلن جميعا إن شاء الله
ولم يمت منكم أحد أو كان ذلك على لسان ملك فأدخل
الملك إن شاء الله أو هي حكاية ما قال رسول الله
لأصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين فعلم ما لم تعلموا
من الحكمة والصواب في تأخير مكة الى العام القابل
فجعل من دون ذلك أي من دون فتح مكة فتحا قريبا وهو
فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى أن يتيسر الفتح
الموعود بالهدى ودين الحق بدين الإسلام ليظهره ليعليه
على الدين كله على جنس الدين كله يريد الأديان المختلفة من
أديان المشركين والجاحدين من أهل الكتاب ولقد حقق ذلك
سبحانه فإنك لا ترى دينا قط إلا وللإسلام دونه
العزة والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه
الأرض كافر وقيل إظهاره بالحجج والآيات وفي هذه الآية

استروح استنام

الارض كافة تاكيدا لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المومنين
على ان الله سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم
ما يستقلون اليه فتح مكة «وكفى بالله شهيدا» على ان ما وعده
كائن عن الحسن شهد على نفسه انه سيظهر دينك
«محمد» اما خبر مبتدا اى هو محمد لتقدم قوله هو
الذى ارسل رسوله ، واما مبتدا و«رسول الله» عطف
بيان ، وعن ابن عامر انه قرا رسول الله بالنصب على المدح
«والذين معه» اصحابه «اشداء على الكفار رحماء بينهم» جمع شديد
ورحيم ، ونحوه «اذلة على المومنين اعزة على الكافرين»
«واغلظ عليهم» «بالمومنين رؤف رحيم» ، وعن الحسن بلغ من تشددهم
على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم
ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم
انه كان لا يرى مومن مومنا الا صافحه وعانقه ، والمصافحة
لم يختلف فيها الفقهاء ، واما المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة
رحمه الله وكذلك التقبيل قال لا احب ان يقبل الرجل
من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص
ابو يوسف فى المعانقة ، ومن حق المسلمين فى كل زمان ان
يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على
من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم
فى الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة
والاحتمال والاخلاق السجيحة ، ووجه من قرا اشداء
رحماء بالنصب ان ينصبهما على المدح ، او على الحال بالمقدر
فى معه ويجعل «تراهم» الخبر «سيماهم» علامتهم ، وقرئ
سيمياؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيماء ، والمراد
بها السمة التى تحدث فى جبهة السجاد من كثرة السجود

وقوله «من اثر السجود» يفسرها اى من التاثير الذى يوثره
السجود ، وكان كل من العليين على بن الحسين زين العابدين
وعلى بن عبد الله بن عباس ابى الاملاك يقال له ذو الثفنات
لان كثرة سجودهما احدثت فى مواقعه منهما اشباه
ثفنات البعير ، وقرئ من اثر السجود ومن آثار
السجود ، وكذا عن سعيد بن جبير هى السمة فى الوجه
فان قلت فقد جاء عن النبى صلعم لا تعلبوا صوركم
وعن ابن عمر رضى الله عنه انه راى رجلا قد اثر فى
وجهه السجود فقال ان صورة وجهك انفك فلا تعلب
وجهك ولا تشن صورتك ، قلت ذلك اذا اعتمد بجبهته
على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق
يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث فى جبهة السجاد الذى
لا يسجد الا خالصا لوجه الله ، وعن بعض المتقدمين كنا
نصلى فلا يرى بين اعيننا شىء ونرى احدنا الان يصلى
فيرى بين عينيه ركبة البعير فما ندرى اثقلت الرؤوس
ام خشنت الارض وانما اراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق ، وقيل
هو صفرة الوجه من خشية الله ، وعن الضحاك ليس بالندب
فى الوجوه ولكنه صفرة ، وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور
وتراب الارض ، وعن عطاء استنارت وجوههم من طول
ما صلوا بالليل لقوله من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه
بالنهار ، «ذلك» الوصف «مثلهم» اى وصفهم العجيب الشان فى الكتابين
جميعا ، ثم ابتدا فقال «كزرع» يريد هم كزرع ، وقيل تم
الكلام عند قوله «ذلك مثلهم فى التوراة» ثم ابتدئ «و
مثلهم فى الانجيل كزرع» ، ويجوز ان يكون ذلك اشارة
مبهمة اوضحت بقوله «كزرع اخرج شطأه» كقوله «وقضينا

اليه ذلك الأمر أن ذا بن هو آ مقطوع منصبين ○ وقرئ الأنجيل
بفتح الهمزة شطأه فراخه يقال أشطأ الزرع إذا
فرخ ○ وقرئ شطأه بفتح الطاء ○ وشطاه بتخفيف الهمزة
وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها
إلى ما قبلها ○ وشطوه بقلبها واوا فآزره من المؤازرة
وهي المعاونة ○ وعن الأخفش أنه أفعل ○ وقرئ فأزره
بالتخفيف والتشديد أي فشد أزره وقواه ومن جعل آزر
أفعل فهو في معنى القراءتين فاستغلظ فصار من الدقة إلى
الغلظة فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق
وقيل مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ○ وعن عكرمة
أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان
فاستوى على سوقه بعلي ○ وهذا مثل ضربه الله لبدء
أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم
لأن النبي صلى الله عليه قام وحده ثم قواه
الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الأولى
من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع
فإن قلت قوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا قلت
لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم
في الزيادة والقوة ○ ويجوز أن يعلل به وعد الله
الذين آمنوا لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة
مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومعنى منهم البيان
كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان
ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قدّمه
وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه إذا تقدمه في قوله تعالى
يقدم قومه ○ ونظيرهما معنى ونقلا سلفه وأسلفه وفي قوله لا تقدموا
من غير ذكر مفعول وجهان أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم وأن
لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي إلى نفس التقدمة كأنه قيل
لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله هو الذي يحيي ويميت
ويجوز أن يكون من قدّم بمعنى تقدّم كوجّه وبيّن ومنه مقدمة الجيش خلاف
ساقته وهي الجماعة المتقدمة منه ○ وتعضده قراءة من قرأ لا تقدّموا
بحذف إحدى تاءي تتقدموا إلا أن الأول أملح وأوجه وأشد ملاءمة
لبلاغة القرآن والعلماء له أقبل ○ وقرئ لا تقدموا من القدوم أي لا تقدموا
إلى أمر من أمور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما ○ وحقيقة قولهم جلست بين
يدي فلان أن يجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان
يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره
إذا جاوره وداناه في غير موضع وقد جرت هذه العبارة هاهنا على سنن
ضرب من المجاز وهو الذي يسميه أهل البيان تمثيلا ولجريها هاهنا فائدة
جليلة ليست في الكلام العريان وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه
من الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة ○ والمعنى
أن لا تقطعوا أمرا إلا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا إما عاملين بالوحي
المنزل وإما مقتدين برسول الله وعليه يدور تفسير ابن عباس ○ وعن مجاهد
لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله ويجوز أن يجري مجرى قولك
سرني زيد وحسن حاله وأعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الأسلوب الدلالة
على قوة الاختصاص ○ ولما كان رسول الله صلعم من الله بالمكان الذي لا يخفى
سلك به ذلك المسلك وفي هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوها من رفع
أصواتهم فوق صوته لأن من أحظاه الله بهذه الأثرة واختصه هذا الاختصاص القوي

كان أحب ما يجب له من التهيب والإجلال أن يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام
وقيل بعث رسول الله صلعم إلى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن
عمرو الساعدي فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل إلا ثلاثة نفر نجوا فلقوا
رجلين من بني سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم إلى بني عامر لأنهم أعز من سليم فقتلوهما
وسلبوهما ثم أتوا رسول الله فقال بئسما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما
فودى رسول الله ونزلت أي لا تعملوا شيئا من ذات أنفسكم حتى تستأمروا رسول الله
وعن مسروق دخلت على عائشة في اليوم الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه
فقلت إني صائم فقالت قد نهى عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت ۞ وعن الحسن
أن أناسا ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله أن يعيدوا
ذبحا آخر وهذا مذهب أبي حنيفة إلا أن تزول الشمس وعند الشافعي يجوز
الذبح إذا مضى من الوقت مقدار الصلاة ۞ وعن الحسن أيضا لما استقر رسول الله
بالمدينة أتته الوفود من الآفاق فأكثروا عليه بالمسائل فنهوا أن يبتدئوه
بالمسألة حتى يكون هو المبتدئ ۞ وعن قتادة ذكر لنا أن ناسا كانوا
يقولون لو أنزل في كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وأنزلها ۞ وقيل
هي عامة في كل قول وفعل ويدخل فيها أنه إذا جرت مسألة في مجلس رسول الله
لم يسبقوه بالجواب وأن لا يمشي بين يديه إلا للحاجة وأن يستأني في الافتتاح
بالطعام **واتقوا الله** فإنكم إن اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة
المنهي عنها وعن جميع ما تقتضي مراقبة الله تجنبه فإن التقي حذر
لا يشافه أمرا إلا عن انزياح الريب وانجلاء الشك في أن لا تبعة عليه
فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار
فتنهاه أولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه
أمرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها
إن الله سميع لما تقولون **عليم** بما تعملون وحق مثله أن يتقى ويراقب
۞ إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب
وارد وتطرية الإنصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا

عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله من الأدب الذي المحافظة
عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم وذلك أن في إعظام صاحب الشرع
إعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه إلا أن يألو عملا بما يحدوه
عليه وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء إلى كل خير والمراد بقوله **لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي** أنه إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم
وراء الحد الذي يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم
وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة
وامتيازه عن جمهوركم كشية الأبلق غير خاف لا أن تغمروا صوته بلغطكم
وتبهروا منطقه بصخبكم وبقوله ولا تجهروا له بالقول إنكم إذا كلمتموه
وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن لا تبلغوا
به الجهر الدائر بينكم وأن تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من
الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عز اسمه
وتعزروه وتوقروه ۞ وقيل معنى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
لا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة ۞ قال ابن عباس لما نزلت هذه
الآية قال أبو بكر رضه يا رسول الله والله لا أكلمك إلا السرار أو أخا السرار حتى
ألقى الله ۞ وعن عمر رضه أنه كان يكلم النبي صلعم كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه
وكان أبو بكر إذا قدم على رسول الله وفد أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلمون
ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله وليس الغرض برفع الصوت
ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لأن ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون
وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب
به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده إلى حد يميل به إلى ما يستبين
فيه المأمور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي أيضا رفع الصوت الذي
لا يتأذى به رسول الله وهو ما كان منهم في حرب أو مجادلة معاند أو إرهاب
عدو أو ما أشبه ذلك ففي الحديث أنه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم
الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس أجهر الناس صوتا يروى أن غارة

انهم يوماً فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة
بني جعدة · زجر ابي عروة السباع اذا · اشفق ان يختلطن بالغنم · زعمت
الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه · وفي قراءة
ابن مسعود لا ترفعوا باصواتكم والباء مزيدة محذوّة بباب التشديد في قول الاعلم
الهذلي · رفعت عيني بالحجاز الى اناس بالمناقب · وليس المعنى في هذه القراءة
انهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلاً ان يكون ما دون الشديد مسوغاً لهم ولكن المعنى
نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون · وعن ابن عباس
نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان
اذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله فيتأذى بصوته · وعن انس
ان هذه الآية لما نزلت فقد ثابت فتفقده رسول الله فاخبر بشانه
فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل
جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله لست هناك
انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة · واما ما يروى عن الحسن
انها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله فمحمله
ان الخطاب للمؤمنين على ان ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون
الامر اغلظ عليهم واشق · وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم ليظهروا
قلة مبالاتهم به فيقتدي بهم ضعفة المسلمين · وكاف التشبيه في محل النصب
اي لا تجهروا له جهراً مثل جهر بعضكم لبعض · وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر
مطلقاً حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن جهر
مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه
فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط
سائر الرتب وان جلت عن رتبتها · ان تحبط اعمالكم منصوب الموضع على انه
مفعول له وفي متعلقه وجهان احدهما ان يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا
عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف
كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا · والثاني ان يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى

انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط
جعل كانه فعل لاجله وكانه العلة والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون
لهم عدواً وحزناً · فان قلت لخص الفرق بين الوجهين · قلت تلخيصه ان يقدر الفعل
في الثاني مضموماً اليه المفعول له كانهما شيء واحد ثم يصب النهي عليهما جميعاً صباً
وفي الاول يقدر النهي موجهاً على الفعل على حياله ثم يعلل له منهياً عنه · فان قلت
بأي النهيين تعلق المفعول له · قلت بالثاني عند البصريين مقدراً اضماره
عند الاول كقوله آتوني افرغ عليه قطراً وبالعكس عند الكوفيين وايهما كان
فمرجع المعنى الى ان الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه الى حبوط العمل
وقراءة ابن مسعود فتحبط اعمالكم اظهر نصاً بذلك لان ما بعد الفاء
لا يكون الا مسبباً عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من
الطغيان في قوله فيحل عليكم غضبي · والحبوط من حبطت الابل اذا اكلت الخضر
فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه قوله عليه السلام وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً او
يلم · ومن اخواته حبجت الابل اذا اكلت العرفج فاصابها ذلك واحبض
عمله مثل احبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وترامیه
الى الفساد · جعل العمل السيء في اضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض
لمن يصاب به · اعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الآمال · وقد دلت
الآية على امرين هائلين احدهما ان فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما
يحبط عمله · والثاني ان في آثامه ما لا يدري انه محبط ولعله عند الله
كذلك فعلى المؤمن ان يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز
ويتوقى ويتحفظ · امتحن الله قلوبهم للتقوى من قولك امتحن فلان لامر
كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى
انهم صبر على التقوى اقوياء على احتمال مشاقها · او وضع الامتحان موضع
المعرفة لان تحقق الشيء باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكانه قيل
عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في
قولك انت لهذا الامر اي كائن له ومختص به · قال · انت لها احمد من بين البشر

أعدّ أم من للبعثلات على الوجى ۞ وهي مع معمولها منصوبة على الحال ○ او ضرب
الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى اى لتثبت وتظهر
تقواها ويعلم انهم متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد
والاصطبار عليها ○ وقيل اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه
اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه ○ وعن عمر رض اذهب الشهوات
عنها ○ والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد ○ قال ابو عمرو
كل شيء جهدته فقد محنته وانشد ۞ اتت رذايا باديا كلالها ۞
قد محنت واضطربت آطالها ۞ قيل انزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان
منهما من غض الصوت والبلوغ به اخا السرار وهذه الآية بنظمها الذي رتبت
عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة
من مبتدا وخبر معرفتين معا والمبتدا اسم الاشارة واستئناف الجملة
المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره
ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول
الله من خفض اصواتهم وفي الاعلام بمبلغ عزة رسول الله وقدر شرف منزلته
وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم واستيجابهم ضد ما
استوجب هؤلاء ○ والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظلته من خلف
او قدام ○ ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان فان قلت
أفرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وما تسقط عنه قلت الفرق بينهما ان المنادي
والمنادى في احدهما يجوز ان يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء تصير بدخول
من مبتدأ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة ان تكون مبتدأ ومنتهى لفعل
واحد والذي يقول نادانى فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها
ولكن اي قطر من اقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار
لم يتوجه عليهم من قبل ان النداء وقع منهم في ادبار الحجرات او في وجوهها
وانما انكر عليهم انهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم
لبعض من غير قصد الى جهة دون جهة ○ والحجرة الرقعة من الارض المحجورة

بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كا
لغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات
بتسكينها ○ وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله وكانت
لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات
متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك وانهم قد اتوها
حجرة حجرة فنادوه من ورائها وانهم نادوه من وراء الحجرة التي
كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله ولمكان حرمته والفعل وان كان
مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكانهم
تولوه جميعا فقد ذكر الاصم ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن
حابس ○ والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد
بالمحاشاة ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي ان يكون فيهم
من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم ○ وروي ان وفد بني تميم اتوا
رسول الله وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فا
ستيقظ فخرج ونزلت وسئل رسول الله عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا
انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم
وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات
اكبار محل رسول الله واجلاله ○ منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به
بالسفه والجهل لما اقدموا عليه ○ ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية
عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ○ ومنها المرور على لفظها بالاقتصار
على القدر الذي يتبين به ما استنكر عليهم ○ ومنها التعريف باللام دون الاضافة
ومنها ان شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع
التمييز في المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله وتسلية له واماطة لما
تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء ادبهم وهلم جرا من اول السورة
الى آخر هذه الآية فتأمل كيف ابتدئ بايجاب ان تكون الامور التي تنتمي
الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم اردف

ذلك النهي عما هو من جنس التقدم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساطا للثاني
ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا اصواتهم
دلالة على عظيم موقعه عند الله ثم جيء على عقب ذلك بما هو اطم وهجنته اتم
من الصياح برسول الله في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح
باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما اجترؤا عليه وجسروا عليه لان من رفع
الله قدره عن ان يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والانصار باخي
السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا ومن هذا
وامثاله يقتطف ثمر الالباب ويقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن ابي عبيد
ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت بابا
على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه. انهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية
لان المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها
قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف
منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس فلهذا
قيل للحبس على اليمين او القتل صبر. وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه
الا حر. فان قلت هل من فرق بين حتى تخرج والى ان تخرج قلت ان حتى
مختصة بالغاية المضروبة تقول اكلت السمكة حتى راسها ولو قلت حتى
نصفها او صدرها لم يجز والى عامة في كل غاية فقد افادت حتى بوضعها
ان خروج رسول الله اليهم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم ان يقطعوا
امرا دون الانتهاء اليها. فان قلت فاي فائدة في قوله اليهم قلت فيه انه
لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان
خروجه اليهم. لكان خيرا لهم في كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو واما
ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له. والله غفور رحيم
بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان
تابوا وانابوا. بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه وهو الذي
ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن ابي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلوة
الفجر اربعا

ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم
احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال
لرسول الله قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب
رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن او لابعثن اليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل
مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه وقيل بعث
اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين فسلموا اليه الصدقات
فرجع. وفي تنكير الفاسق والنبأ شياع في الفساق والانباء كانه قال اي فاسق
جاءكم باي نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا
تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع
منه والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها
ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا
قفست الشيء اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج
عن القصد والانسلاخ من الحق قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا وقرأ
ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات في
البيان والتعرف. ولما كان رسول الله والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر احد
ان يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم
بحرف الشك. وفيه ان على المؤمنين ان يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في
مخاطبتهم بكلمة زور. ان تصيبوا مفعول له اي كراهة ان تصيبوا قوما بجهالة
حال كقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين بحقيقة الامر
وكنه القصة. والاصباح بمعنى الصيرورة. والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم
على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام
ولزام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام التركيب
ودوام صحبته ومن مقلوبه ادمن الامر ادامه ومدن بالمكان اقام به
ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا
بانه لا يفارق صاحبه. الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستانفا لاداية

اوله يهوين في نجد وغورا غائرا

يعني في هذا الموضع

الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع
او البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد ٥ والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة
يجب عليكم تغييرها وهى انكم تحاولون منه ان يعمل في الحوادث
على مقتضى ما يعن لكم من راى واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه
المحتذى على امثلته ولو فعل ذلك **لعنتم** اى لوقعتم في الجهد والهلاك يقال فلان
يتعنت فلانا اى يطلب ما يؤديه الى الهلاك وقد اعنت العظم اذا هيض بعد
الجبر وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله الايقاع ببنى المصطلق
وتصديق قول الوليد وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وان
بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم
الذين استثناهم بقوله **ولكن الله حبب اليكم الايمان** اى الى بعضكم ولكنه
اغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات
القرآن ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها الا الخواص ٥ وعن بعض المفسرين
هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ٥ وقوله **اولئك هم الراشدون**
والخطاب لرسول الله اى اولئك المستثنون هم الراشدون يصدق ما قلته
فان قلت ما فائدة تقديم خبر ان على اسمها **قلت** القصد الى توبيخ بعض المؤمنين
على ما استهجن منهم من استتباع راى رسول الله لآرائهم فوجب تقديمه
لانصباب الغرض اليه **فان قلت** فلم قيل يطيعكم دون اطاعكم **قلت** للدلالة على انه
كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وانه كلما عن لهم راى في امر
كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر كقولك فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم
تريد انه مما اعتاده ووجد منه مستمرا **فان قلت** كيف موقع لكن وشريطتها
مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا **قلت** هى مفقودة
من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت
صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك
ومعنى تحبيب الله وتزيينه اللطف والامداد بالتوفيق وسبيله الكناية
كما سبق وكل ذى لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يغبى عليه ان الرجل

لا يمدح بغير فعله وحمل الآية على ظاهرها يؤدى الى ان يثنى عليهم بفعل الله
وقد نعى الله هذا على الذين انزل فيهم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا **فان قلت**
فان العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول
عند الناس غير مردود **قلت** الذى سوغ ذلك لهم انهم راوا حسن الرواء
ووسامة المنظر في الغالب يسفر عن مخبر مرضى واخلاق محمودة ومن ثم قالوا
احسن ما في الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته
على غيره على ان من محققة الثقات وعلماء المعانى من دفع صحة ذلك وخطأ
المادح به وقصر المدح على النعت بامهات الخير وهى الفصاحة والشجاعة والعدل
والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة
الحفدة والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن
المعقول ٥ والكفر تغطية نعم الله وغمطها بالجحود ٥ والفسوق الخروج
عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر ٥ والعصيان ترك الانقياد والمضى
لما امر به الشارع والعرق العاصى العائد واعتصت النواة اشتدت
والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى الصخرة
قال ابو الوازع كل صخرة رشادة وانشد: وغير مقلد وموشمات
صلين الضوء من صم الرشاد ٥ وفضلا مفعول له او مصدر من غير فعله **فان قلت**
من اين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط
ان يتحد الفاعل **قلت** لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه
مسندة الى اسمه تقدست اسماؤه صار الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب
عنه او لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله والجملة التى
هى اولئك هم الراشدون اعتراض ٥ او عن فعل مقدر كانه قيل جرى ذلك او
كان ذلك فضلا من الله واما كونه مصدرا من غير فعله فان يوضع موضع رشدا
لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى
الافضال والانعام **والله عليم** باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل
حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق على افاضلهم ٥ عن ابن عباس رضى الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه

على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك عبد الله بن ابي بانفه وقال
خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه. فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول
حماره لاطيب من مسكك ۞ وروى حماره افضل منك وبول حماره اطيب من مسكك
ومضى رسول الله وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس
والخزرج فتجالدوا بالعصي ۞ وقيل بالايدي والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله
فاصلح بينهم ونزلت ۞ وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا ۞ والبغي الاستطالة
والظلم واباء الصلح ۞ والفيء الرجوع ۞ وقد سمي به الظل والغنيمة لان
الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين
۞ وعن ابي عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه ان ابا عمرو خفف الاولى
من الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها فان قلت
ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن ابي عبلة او اقتتلا كما قرأ
عبيد بن عمير على تاويل الرهطين او النفرين قلت هو مما حمل على المعنى دون
اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا
الى امر الله فان فاءوا فخذوا بينهم بالقسط ۞ وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها
ما قاتلت ۞ وعن ابن عمر ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت من امر هذه الآية
ان لم اقاتل هذه الفئة الباغية كما امرني الله قاله بعد ان اعتزل ۞ فاذا كافت
وقبضت عن الحرب ايديها تركت واذا تولت عمل بما روي عن النبي صلعم انه قال يا ابن
ام عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله
اعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم
فيئها ولا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما اما ان تقتتلا على سبيل البغي منهما
جميعا فالواجب في ذلك ان يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة
والموادعة فان لم تتحاجزا ولم تصطلحا واقامتا على البغي صير الى مقاتلتهما
واما ان يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة
فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما
على مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه

ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين ۞ واما
ان تكون احداهما الباغية على الاخرى فالواجب ان تقاتل فئة البغي الى ان تكف
وتتوب فان فعلت اصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل
ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان
كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن فانه كان يفتي
بان الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند او حين تتفرق عند وضع
الحرب اوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل في قوله فاصلحوا
بينهما بالعدل على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره
وجهه ان يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذي ذكروا ان الغرض اماتة
الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمامور به
من اعمال العدل ومراعاة القسط فان قلت فلم قرن بالاصلاح الثاني العدل دون
الاول قلت لان المراد بالاقتتال في اول الآية ان تقتتلا باغيتين معا او راكبتي
شبهة وايتهما كانت فالذي يجب على المسلمين ان يأخذوا به في شانهما اصلاح ذات البين
وتسكين الدهماء باراءة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا اذا
اصرتا فحينئذ تجب المقاتلة واما الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت
احداهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين واقسطوا امر باستعمال
القسط على طريق العموم بعد ما امر به في اصلاح ذات البين والقول فيه مثله في
الامر باتقاء الله على عقب النهي عن التقدم بين يديه والقسط بالفتح الجور
من القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس واقسطته الرياح
واما القسط بمعنى العدل فالفعل منه اقسط وهمزته للسلب اي ازال القسط
وهو الجور ۞ هذا تقرير لما الزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة
من المؤمنين وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب
اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم يبخس عنها ولم يتقاصر
عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين
من اخوة الولاد لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته ويركبوا الصعب

الاول مشيا بالصلح وبثا للشفاعة بينهما الى ان يصادف ما وهى من الوفاق من
بقعة وما استشن من الوصال من بلة فالاخوة في الدين احق بذلك وباشد منه
وعن النبي صلعم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان
فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم
الا قليل **فان قلت** فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع **قلت** لان اقل من يقع بينهم الشقاق
اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد في شقاق
الجمع اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين
اخوتكم واخوانكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وانهم خلص لذلك متمحضون
قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية وابى لطف حالهم في التمازج والاتحاد ان
يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه
واتقوا الله فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والائتلاف والمسارعة
الى اماطة ما يفرط منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال
رافته عليكم حقيقا بان تعقدوا به رجاءكم القوم الرجال خاصة لانهم
القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون وقال عليه السلام النساء لحم على
وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور
في جمع صائم وزائر او تسمية بالمصدر عن بعض العرب اذا اكلت طعاما احببت نوما
وابغضت قوما اي قياما واختصاص القوم بالرجال صريح في الاية وفي قول زهير
اقوم آل حصن ام نساء واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور و
الاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر
الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد
لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد افادة الشياع وان تصير
كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امراة من امراة
على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية
واستفظاعا للشان الذي كانوا عليه ولان مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى
ويستضحك على قوله ولا ياتي ما عليه من النهي والانكار فيكون شريك الساخر

وتلاه في تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي
ذلك وان اوجده واحد الى تكثير السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما
وقوله عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستانف قد ورد مورد جواب المستخبر
عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء
والمعنى وجوب ان يعتقد كل احد ان المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر
لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذي يزن
عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغي ان لا يجترئ
احد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا راه رث الحال او ذا عاهة في بدنه
او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد صفته
فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ
بالسلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رايت
رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل الذي صنعه وعن
عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول
كلبا وفي قراءة عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى على هذه
القراءة ذات الخبر كالتي في قوله فهل عسيتم وعلى الاولى التي لا خبر لها كقوله
وعسى ان تكرهوا شيئا واللمز الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا
بالضم والمعنى وخصوا ايها المؤمنون انفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها
ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث
عن رسول الله صلعم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وعن الحسن في ذكر
الحجاج اخرج الي بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الاعنة في سبيل الله ثم
جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا ابا سعيد يا ابا سعيد وقال لما مات
اللهم انت امته فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش يخطر في مشيته
ويصعد المنبر حتى تفوته الصلوة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحيي
فوقه الله وتحته مائة الف او يزيدون لا يقول له قائل الصلوة ايها الرجل
الصلوة ايها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يعب

ولا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكانما
عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد
لمز نفسه حقيقة والتنابز بالالقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان
يتنابزون ويتنابزون ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهي
عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا
فاما ما يحبه مما يزينه وينوه به فلا باس به وروى عن النبي صلى الله عليه من حق
المؤمن على اخيه ان يسميه باحب اسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من السنة
والادب الحسن قال عمر رضه اشيعوا الكنى فانها منبهة ولقد لقب ابو بكر
بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزة باسد الله وخالد بسيف الله
وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب
الحسنة في الامم كلها من العرب والعجم تجرى في مخاطباتهم ومكاتباتهم
من غير نكير وروى عن الضحاك في قوم من بني تميم استهزءوا ببلال وخباب
وعمار وصهيب وابي ذر وسالم مولى حذيفة فنزلت وعن عائشة انها
كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن ابن عباس
ان ام سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفها خلفها فكانت تجره
فقالت عائشة لحفصة انظري ما تجر خلفها كانه لسان كلب وعن انس عيرت
نساء رسول الله ام سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس ان صفية
بنت حيي اتت رسول الله فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت
يهوديين فقال لها رسول الله هلا قلت ان ابي هرون وان عمي موسى وان زوجي
محمد وروى انها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له
في مجلس رسول الله ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله فقال
لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن
فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت
لا افخر على احد في الحسب بعدها ابدا الاسم هاهنا بمعنى الذكر من قولهم
طار اسمه في الناس بالكرم او باللؤم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته

ما سما من ذكره وارتفع بين الناس الا ترى الى قولهم اشاد بذكره كانه قيل
بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر ان يذكروا
بالفسق وفي قوله بعد الايمان ثلثة اوجه احدها استقباح الجمع بين الايمان
وبين الفسق الذي ياباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشان بعد الكبرة
الصبوة والثاني انه كان في شتائمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا
فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية
بعد ايمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث
ان يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست
الحرفة الفلاحة بعد التجارة يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته
جعله منه في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله واجنبني وبني ان نعبد
الاصنام ثم يقال في مطاوعه اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا
والمامور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى
الى قوله ان بعض الظن اثم فان قلت بين الفصل بين كثيرا حيث جاء نكرة
وبينه لو جاء معرفة قلت مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وان في الظنون
ما يجب ان يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ احد على ظن الا بعد نظر
وتامل وتمييز بين حقه وباطله بامارة بينة مع استشعار للتقوى والحذر ولو
عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب ان يكون
كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظننه والذي
يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها ان كل ما لم تعرف له امارة صحيحة
وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن
شوهد منه الستر والصلاح واونست منه الامانة في الظاهر فظن الفساد
والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة
بالخبائث وعن النبي صلعم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به
ظن السوء وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام وانت اليوم في زمان
اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان

الفاسق إذا أظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله وإذا استتر لم يظهر الله
عليه لعله أن يتوب. وقد روي من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له. والإثم الذنب
الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الأثام فعال منه كالنكال
والعذاب والوبال قال: لقد فعلت هذي النوى بي فعلة أصاب النوى قبل الممات أثامها
والهمزة فيه عن الواو كأنه يأثم الأعمال أي يكسرها بإحباطه. وقرئ ولا
تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث
عنه تفعل من الجس كما أن التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب
وقد جاء بمعنى الطلب في قوله وأنا لمسنا السماء والتحسس التعرف من الحس
ولتقاربهما قيل لمشاعر الإنسان الحواس بالحاء والجيم. والمراد النهي
عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه. وعن مجاهد
خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله. وعن النبي صلعم أنه خطب فرفع صوته
حتى أسمع العواتق في خدورهن قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان
إلى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله
عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته. وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود
هل لك في الوليد بن عقبة بن أبي معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود
إنا قد نهينا عن التجسس فإن ظهر لنا شيء أخذنا به. غابه واغتابه كغاله
واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر السوء
في الغيبة. وسئل رسول الله عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكرهه
فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته. وعن ابن عباس
الغيبة إدام كلاب الناس. أيحب أحدكم تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب
من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه وفيه مبالغات شتى منها
الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة
موصولا بالمحبة ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحدا من الأحدين
لا يحب ذلك ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان
حتى جعل الإنسان أخا ومنها أن لم يقتصر على لحم الأخ حتى جعل ميتا

وعن قتادة كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها كذلك فاكره
لحم أخيك وهو حي. وانتصب ميتا على الحال من اللحم ويجوز أن ينتصب عن الأخ
وقرئ ميّتا. ولما قررهم عز وجل بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه
عقب ذلك بقوله فكرهتموه أي فتحققت بوجوب الإقرار عليكم وبأنكم
لا تقدرون على دفعه وإنكاره لإباء البشرية عليكم أن تجحدوه كراهتكم
له وتقذركم منه فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة
والطعن في أعراض المسلمين. وقرئ فكرّهتموه أي جبلتم على كراهته
فإن قلت فهلا عدي بإلى كما عدي في قوله وكره إليكم الكفر وأيهما
القياس قلت القياس تعديه بنفسه لأنه ذو مفعول واحد قبل تثقيله
تقول كرهت الشيء فإذا ثقل استدعى زيادة مفعول وأما تعديته
بإلى فتأول وإجراء لكره مجرى بغض منقول من بغض إليه الشيء فهو
بغيض إليه كقوله حبب إليه فهو حبيب إليه. والمبالغة في التواب للدلالة
على كثرة من يتوب عليه من عباده أو لأنه ما من ذنب يقترفه المقترف
إلا كان معفوا عنه بالتوبة أو لأنه بليغ في قبول التوبة منزل صاحبها
منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه. والمعنى واتقوا الله بترك ما أمركم
باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فإنكم إن اتقيتم تقبل الله توبتكم
وأنعم عليكم بثواب المتقين التائبين. وعن ابن عباس أن سلمان كان يخدم
رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه
إلى رسول الله يبغي لهما إداما وكان أسامة على طعام رسول الله فقال ما عندي
شيء فأخبرهما سلمان فعند ذلك قالا لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار
ماؤها فلما راحا إلى رسول الله قال لهما ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما
فقالا ما تناولنا لحما فقال إنكما قد اغتبتما ونزلت. من ذكر وأنثى
من آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فما منكم أحد
إلا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر و
التفاضل في النسب. والشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التي

الدين في اللغة الجزاء ثم الطاعة تسمى دينا لانها سبب الجزاء اعلم ان في عرف الشرع الاسلام مثل الايمان فان قوله ان
الدين عند الله الاسلام يقتضي ان الدين المقبول عند الله ليس الا الاسلام فلو كان الايمان غيره وجب ان لا يكون الايمان دينا مقبولا
عند الله مع المنافاة لقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلو كان الايمان غير الاسلام لوجب ان لا يكون مقبولا فان قيل
قال الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا صريح في التغاير قلنا الاسلام عبارة عن الانقياد في اصل اللغة والمنافق
انقاد في الظاهر من خوف السيف فلا جرم كان الاسلام حاصلا في الظاهر والايمان كان حاصلا في حكم الظاهر لانه تعالى قال

والقبيلة دون العمارة، والبطن، والفخذ، والفصيلة. فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة
تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ، والفخذ تجمع الفصائل: خزيمة
شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، والعباس
فصيلة. وسميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها. وقرئ: لتعارفوا، ولتعارفوا
بالإدغام. ولتعرفوا أي لتعلموا كيف تتناسبون. ولتتعرفوا. والمعنى: أن الحكمة
التي من أجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي أن يعرف بعضكم نسب بعض فلا
يعتزي إلى غير آبائه، لا أن تتفاخروا بالآباء والأجداد، وتدعوا التفاوت
والتفاضل في الأنساب. ثم بين الخصلة التي بها يفضل الإنسان غيره ويكتسب
الشرف والكرم عند الله فقال: إن أكرمكم عند الله أتقاكم. وقرئ: أن بالفتح،
كأنه قيل: لم لا تتفاخر بالأنساب؟ فقيل: لأن أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم.
وعن النبي صلعم أنه طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمد لله الذي
أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها، يا أيها الناس إنما الناس رجلان:
مؤمن تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، ثم قرأ الآية. وعنه
عليه السلام: من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله. وعن ابن عباس: كرم الدنيا
الغنى، وكرم الآخرة التقوى. وعن يزيد بن شجرة: مر رسول الله في سوق
المدينة فرأى غلاما أسود يقول: من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات
الخمس خلف رسول الله، فاشتراه رجل، فكان رسول الله يراه عند كل صلاة، ففقده
فسأل عنه صاحبه فقال: محموم، فعاده، ثم سأل عنه بعد أيام فقيل: هو لما به،
فجاءه وهو في ذمائه، فتولى غسله ودفنه، فدخل على المهاجرين والأنصار
أمر عظيم فنزلت. الإيمان هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس، والإسلام
الدخول في السلم، والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين بإظهار الشهادتين، ألا ترى
إلى قوله: ولما يدخل الإيمان في قلوبكم، فاعلم أن ما يكون من الإقرار باللسان
من غير مواطأة القلب فهو إسلام، وما واطأ فيه القلب اللسان فهو إيمان. فإن قلت:
ما وجه قوله: قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا، والذي يقتضيه نظم الكلام أن يقال:
قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا، أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم؟ قلت: أفاد هذا

النظم تكذيب دعواهم أولا، ودفع ما انتحلوه، فقيل: قل لم تؤمنوا، وروعي في هذا
النوع من التكذيب أدب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل: كذبتم، ووضع: لم تؤمنوا
الذي هو نفي ما ادعوا إثباته موضعه، ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في
قوله في صفة المخلصين: أولئك هم الصادقون، تعريضا بأن هؤلاء هم الكاذبون، ورب
تعريض لا يقاومه التصريح، واستغنى بالجملة التي هي: لم تؤمنوا، عن أن يقال: لا تقولوا
آمنا، لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالإيمان، ثم وصلت بها
الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى، ولم يقل: ولكن أسلمتم، ليكون
خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك، ولو قيل: ولكن أسلمتم،
لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به.
فإن قلت: قوله: ولما يدخل الإيمان في قلوبكم بعد قوله: قل لم تؤمنوا يشبه التكرير
من غير استقلال بفائدة متجددة. قلت: ليس كذلك، فإن فائدة قوله:
لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم، وقوله: ولما يدخل الإيمان في قلوبكم توقيت
لما أمروا به أن يقولوه، كأنه قيل لهم: ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة
قلوبكم لألسنتكم؛ لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا. وما في لما
من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد. لا يلتكم: لا ينقصكم ولا يظلمكم.
يقال: ألته السلطان حقه أشد الألت، وهي لغة غطفان. ولغة أسد وأهل الحجاز:
لاته ليتا. وحكى الأصمعي عن أم هشام السلولية أنها قالت: الحمد لله الذي
لا يفات ولا يلات، ولا تصمه الأصوات. وقرئ: لا يألتكم ولا يلتكم،
ونحوه في المعنى: فلا تظلم نفس شيئا. ومعنى طاعة الله ورسوله
أن يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق، ويعقدوا قلوبهم على الإيمان، ويعملوا
بمقتضياته، فإن فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم، ووهب لهم مغفرته، وأنعم عليهم
بجزيل ثوابه. وعن ابن عباس: أن نفرا من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة
فأظهروا الشهادة، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوا أسعارها،
وهم يغدون ويروحون على رسول الله ويقولون: أتتك العرب بأنفسها على ظهور
رواحلها، وجئناك بالأثقال والذراري، يريدون الصدقة، ويمنون عليه، فنزلت

إذ ما ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة والمعنى أنهم آمنوا ثم لم يقع
في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق معه فإن قلت
ما معنى ثم ههنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنا للإيمان لأنه وصف فيه
لما بينت من إفادة الإيمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء
الريب قلت الجواب على طريقين أحدهما أن من وجد منه الإيمان ربما اعترضه الشيطان
أو بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه أو
نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب
له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا
والثاني أن الإيقان وزوال الريب لما كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم
الإيمان تنبيها على مكانه وعطف على الإيمان بكلمة التراخي إشعارا باستقراره في الأزمنة
المتراخية المتطاولة غضا جديدا وجاهدوا يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو
العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز
أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة
بالمال نحو ما صنع عثمان في جيش العسرة وأن يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال
من أعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله أولئك هم الصادقون
الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد أو هم الذين
إيمانهم إيمان صدق وإيمان حق وجد وثبات يقال علمت به بمعنى شعرت به
وأحطت به ومنه قوله أتعلمون الله بدينكم وفيه تجهيل لهم يقال من عليه
بيد إذا أسداها إليه كقولك أنعم عليه وأفضل عليه والمنة النعمة التي لا يستثيب
مسديها من يزلها إليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع لأنه إنما يسديها
إليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير أن يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه
صنعه إذا اعتده عليه منة وإنعاما وسياق هذه الآية فيه لطف ورشاقة
وذلك أن الكائن من الأعراب قد سماه الله إسلاما ونفى أن يكون كما زعموا
إيمانا فلما منوا على رسول الله ما كان منهم قال الله سبحانه لرسوله عليه السلام إن هؤلاء
يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذي حق تسميته أن يقال

له إسلام فقل لهم لا تعتدوا علي إسلامكم أي حدثكم المسمى إسلاما عندي لا إيمانا
ثم قال بل الله يعتد عليكم أن أمدكم بتوفيقه حيث هداكم للإيمان على ما زعمتم
وادعيتم أنكم أرشدتم إليه ووفقتم له إن صح زعمكم وصدقت دعواكم
إلا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي إضافة الإسلام إليهم وإيراد
الإيمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه
تقديره إن كنتم صادقين في ادعائكم الإيمان فلله المنة عليكم وقرئ إن هداكم
بالكسر وفي قراءة ابن مسعود إذ هداكم وقرئ تعملون بالتاء والياء وهذا
بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني أنه عز وجل يعلم كل مستتر في العالم
ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى
عليه ما في ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك أن حاله مع كل معلوم
واحدة لا تختلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات
أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد بل عجبوا الكلام في ق والقرآن المجيد نحوه في ص والقرآن ذي الذكر سواء
بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف
على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس
وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته قوله بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم
إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا
وساطته فيهم وعدالته وأمانته ومن كان على صفته لم يكن إلا ناصحا لقومه
مترفقا عليهم خائفا أن ينالهم سوء ويحل بهم مكروه وإذا علم أن
مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف
ونهاية المحاذير وإنكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة
الله على خلق السماوات والأرض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وإبداعه وإقرارهم
بالنشأة الأولى ومع شهادة العقل بأنه لا بد من الجزاء ثم عول على أحد الإنكارين

بقوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب أإذا متنا دلالة على أن تعجبهم من
البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالإنكار ٥ ووضع الكافرون موضع الضمير
للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم ٥ وهذا إشارة
إلى الرجع وإذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد
مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد أبعد فلان في قوله ٥ ومعناه
بعيد من الوهم والعادة ٥ ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ٥ ويكون
من كلام الله استبعادا لإنكارهم ما أنذروا به من البعث ٥ والوقف قبله على
هذا التفسير حسن ٥ وقرئ إذا متنا على لفظ الخبر ٥ ومعناه إذا متنا بعد
أن نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد فإن قلت فما ناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع
قلت ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث قد علمنا رد لاستبعادهم
الرجع لأن من لطف علمه حتى تغلغل إلى ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكله
من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا ٥ عن النبي صلى الله عليه وسلم
كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب ٥ وعن السدي ما تنقص الأرض منهم ما يموت
فيدفن في الأرض منهم كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين ومن التغيير وهو
اللوح المحفوظ ٥ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه بل كذبوا إضراب أتبع
الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاءوا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب
بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر
فهم في أمر مريج مضطرب يقال مرج الخاتم في إصبعه وجرج فيقولون
تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد ٥ وقرئ
لما جاءهم بكسر اللام ٥ وما المصدرية ٥ واللام هي التي في قولهم لخمس خلون أي
عند مجيئه إياهم ٥ وقيل الحق القرآن ٥ وقيل الإخبار بالبعث أفلم ينظروا
حين كفروا بالبعث إلى آثار قدرة الله في خلق العالم بنيناها رفعناها بغير
عمد من فروج من فتوق يعني أنها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها
ولا صدع ولا خلل كقوله هل ترى من فطور مددناها دحوناها رواسي جبالا
ثوابت لولا هي لتكفأت من كل زوج من كل صنف بهيج يبتهج به لحسنه

تبصرة وذكرى

تبصرة وذكرى لنبصر به ونذكر كل عبد منيب راجع إلى ربه مفكر في بدائع
خلقه ٥ وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع أي خلقها تبصرة ماء مباركا كثير المنافع
وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة
والشعير وغيرهما باسقات طوالا في السماء ٥ وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات بإبدال
السين صادا لأجل القاف نضيد منضود بعضه فوق بعض إما أن يريد كثرة
الطلع وتراكمه أو كثرة ما فيه من الثمر رزقا على أنبتناها لأن أنبتناها
في معنى رزقنا ٥ أو على أنه مفعول له أي أنبتناها لرزقهم كذلك الخروج
كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم ٥ والكاف في
محل الرفع على الابتداء ٥ أراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملئهم لأن المعطوف
عليه قوم نوح والمعطوف جماعات كل يجوز أن يراد به كل واحد منهم وأن يراد
جميعهم إلا أنه وحد الضمير الراجع إليه على اللفظ دون المعنى فحق وعيد فوجب
وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله وتهديد لهم ٥ عيي
بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للإنكار والمعنى إنا لم نعجز كما علموا
عن الخلق الأول حتى نعجز عن الثاني ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول
واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الإعادة بل هم في لبس أي في
خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ٥ ومنه قول علي رضي الله عنه يا حار
إنه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف أهله ٥ ولبس الشيطان عليهم تسويله
إليهم أن إحياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح أن
من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر فإن قلت لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف
كما عرف الخلق الأول قلت قصد في تنكيره إلى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديدة
حق من سمع به أن يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله ٥ الوسوسة
الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الإنسان ويهجس في
ضميره من حديث النفس ٥ والباء مثلها في قولك صوت بكذا وهمس به ويجوز أن تكون
للتعدية ٥ والضمير للإنسان أي ما تجعله موسوسا وما مصدرية لأنهم يقولون حدث
نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال وأكذب النفس إذا حدثتها

ونحن أقرب إليه مجاز والمراد قرب علمه منه وأنه يتعلق بمعلومه منه ومن
أحواله تعلقاً لا يخفى عليه شيء من خفياته فكأن ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل
مكان وقد جل عن الأمكنة وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني
مقعد القابلة ومعقد الإزار قال ذو الرمة والموت أدنى لي من الوريد
والحبل العرق شبه بواحد الحبال ألا ترى إلى قوله كأن وريديه رشاءا خلب
والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين
يردان من الرأس إليه وقيل سمي وريداً لأن الروح ترده فإن قلت
ما وجه إضافة الحبل إلى الوريد والشيء لا يضاف إلى نفسه قلت فيه وجهان أحدهما
أن تكون الإضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثاني أن يراد حبل العاتق
فيضاف إلى الوريد كما يضاف إلى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل
العلباء مثلاً إذ منصوب بأقرب وساغ ذلك لأن المعنى يعمل في الظرف متقدمة
ومتأخرة والمعنى أنه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس وما لا شيء أخفى منه
وهو أقرب من الإنسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به إيذاناً
بأن استحفاظ الملكين أمر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على أخفى
الخفيات وإنما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما
وعرض صحائف العمل يوم يقوم الأشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه بإحاطة
الله بعمله من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات
وعن النبي صلى الله عليه وسلم إن مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك
مدادهما وأنت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما ويجوز أن يكون
تلقي الملكين بياناً للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون على أحواله مهيمنون
عليه إذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة و
القعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال
قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه كقوله كنت منه ووالدي بريئاً
رقيب ملك يرقب عمله عتيد حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل
يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه

أو يوزر به ويدل عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب
السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا عمل
حسنة كتبها ملك اليمين عشراً وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال
دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر وقيل إن الملائكة يجتنبون
الإنسان عند غائطه وعند جماعه وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول لما ذكر
إنكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه أعلمهم أن ما أنكروه
وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه
على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله وجاءت سكرة الموت
ونفخ في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق
للتعدية يعني وأحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر الذي أنطق الله به
كتبه وبعث به رسله أو حقيقة الأمر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته
وقيل الحق الذي خلق له الإنسان من أن كل نفس ذائقة الموت ويجوز
أن تكون الباء مثلها في قوله تنبت بالدهن أي وجاءت ملتبسة بالحق أي بحقيقة
الأمر أو بالحكمة والغرض الصحيح كقوله خلق السماوات والأرض بالحق وقرأ أبو بكر
وابن مسعود رضي الله عنهما سكرة الحق بالموت على إضافة السكرة إلى الحق
والدلالة على أنها السكرة التي كتبت على الإنسان وأوجبت له وأنها حكمة
والباء للتعدية لأنها سبب زهوق الروح لشدتها أو لأن الموت يعقبها فكأنها
جاءت به ويجوز أن يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة
الله أضيفت إليه تفظيعاً لشأنها وتهويلاً وقرئ سكرات الموت ذلك إشارة
إلى الموت والخطاب للإنسان في قوله ولقد خلقنا الإنسان على طريق الالتفات
أو إلى الحق والخطاب للفاجر تحيد تنفر وتهرب وعن بعضهم أنه سأل زيد بن
أسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله
ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما
للحسين بن محمد بن عبيد الله بن عباس فقال أخالفهما جميعاً هو للبر والفاجر
ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف أي وقت ذلك يوم الوعيد والإشارة
إلى مصدر نفخ

القولين وهذا الكلام إشارة إلى اختيار القول الأول

سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله
او ملك واحد جامع بين الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه
ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة
قرئ لقد كنت عنك غطاءك فبصرك بالكسر على خطاب النفس اي يقال لها لقد كنت
جعلت الغفلة كانها غطاء غطي به جسده كله او غشاوة غطي بها
عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها
فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا
لتيقظه وقال قرينه هو الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا
فهو له قرين يشهد له قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته هذا ما لدي عتيد
هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه وآخر
يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائي
واضلالي فان قلت كيف اعراب هذا الكلام قلت ان جعلت ما موصوفة فعتيد
صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف
القيا خطاب من الله للملكين السائق والشهيد ويجوز ان يكون
خطابا للواحد على وجهين احدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة
تثنية الفعل لاتحاد هما كانه قيل الق الق للتاكيد والثاني ان العرب اكثر
ما يرافق الرجل منهم اثنين فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي
وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين وعن الحجاج انه كان
يقول يا حرسي اضربا عنقه وقرا الحسن القين بالنون الخفيفة
ويجوز ان تكون الالف في القيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف
عنيد معاند مجانب للحق معاند لاهله مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه
جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا قط او مناع لجنس الخير ان يصل
الى اهله يحول بينه وبينهم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع
بني اخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما عشت
معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مبتدا

متضمن معنى الشرط ولذلك اجيب بالفاء ويجوز ان يكون الذي جعل منصوبا بدلا من كل
كفار ويكون فالقياه تكريرا للتوكيد فان قلت لم اخليت هذه الجملة من الواو
وادخلت على التي قبلها قلت انما استونفت كما تستانف الجمل الواقعة في حكاية التقاول
كما رايت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون فان قلت فاين التقاول ههنا قلت لما قال
قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وتلاه لا تختصموا
لدي علم ان ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو اطغاني
فقال قرينه ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها على ما قبلها للدلالة على الجمع
بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه
ما قال له ما اطغيته ما جعلته طاغيا وما اوقعته في الطغيان ولكنه طغى و
اختار الضلالة على الهدى كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
قال لا تختصموا استيناف مثل قوله قال قرينه كان قائلا قال فماذا قال الله
فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا
فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي
وعلى السنة رسلي فما تركت لكم حجة علي ثم قال لا تطمعوا ان ابدل
قولي واعيدي فاعفيكم عما اوعدتكم وما انا بظلام للعبيد فاعذب
من ليس بمستوجب للعذاب والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا
بايديكم او معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز ان يقع الفعل
على جملة قوله ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا
اي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم
فان قلت ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد
في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب قلت معناه
لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الآخرة
فان قلت كيف قال بظلام على لفظ المبالغة قلت فيه وجهان ان يكون من قولك
هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب
لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك وقرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير
يوم يقول الله لجهنم هكذا قرا

وعن ابن مسعود والحسن يقال ○ وانتصاب اليوم بظلام ○ او بمضمر نحو اذكر وانذر
ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم ○ وعلى هذا يشار ب
بذلك الى يوم نقول ولا يقدر حذف المضاف ○ وسؤال جهنم وجوابها من باب
التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتبيينه وفيه معنيان احدهما
انها تمتلئ مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها
لقوله لاملأن جهنم ○ والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع
للمزيد ○ ويجوز ان يكون هل من مزيد استكثارا للذين دخلوها واستبعادا
للزيادة عليهم لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا على العصاة ○ والمزيد
اما مصدر كالمجيد والمحيد واما اسم مفعول كالمبيع غير بعيد نصب على
الظرف اي مكانا غير بعيد ○ او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر
كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث ○ او على
حذف الموصوف اي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما يقال هو قريب غير بعيد
وعزيز غير ذليل ○ وقرئ توعدون بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية ○ ولكل
اواب بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم
وهذا اشارة الى الثواب او الى مصدر ازلفت ○ والاواب الرجاع الى
ذكر الله والحفيظ الحافظ لحدوده ○ ومن خشي بدل بعد بدل تابع لكل
ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ ○ ولا يجوز ان يكون في حكم اواب
وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي وحده ○
ويجوز ان يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع
ويجوز ان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الي وحذف حرف النداء
للتقريب بالغيب حال من المفعول اي خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا
الا بطريق الاستدلال ○ او صفة لمصدر خشي اي خشيه خشية ملتبسة بالغيب
حيث خشي عقابه وهو غائب ○ او خشيه بسبب الغيب الذي اوعده به
من عذابه ○ وقيل في الخلوة حيث لا يراه احد فان قلت كيف قرن الخشية باسمه
الدال على سعة الرحمة قلت للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه

انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه خاش مع ان المخشي منه غائب ○ ونحوه
والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات
وصف القلب بالانابة ومعناه الرجوع الى الله لان الاعتبار بما ثبت منها في القلب
يقال لهم ادخلوها بسلام اي سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم
يسلم عليكم الله وملائكته يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها
خالدين اي مقدرين الخلود ولدينا مزيد هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه
امانيهم حتى يشاؤوه ○ وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور
فتقول نحن المزيد الذي قال الله عز وجل ولدينا مزيد فنقبوا وقرئ بالتخفيف
خرقوا في البلاد ودوخوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب ○
قال الحارث بن حلزة نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال
ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم اشد منهم بطشا اي شدة بطشهم اقدرتهم
على التنقيب وقوتهم عليه ○ ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة في اسفارهم
ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم
والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الامر كقوله فسيحوا في الارض
وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو ان ينتقب خف البعير قال
ما مسها من نقب ولا دبر ○ والمعنى فنقبت اخفاف ابلهم او حفيت اقدامهم
ونقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طوفهم في البلاد هل من محيص من الله او
من الموت لمن كان له قلب اي قلب واع لان من لا يعي قلبه فكانه لا قلب له والقاء
السمع الاصغاء وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه
غائب ○ وقد ملح الامام عبد القاهر في قوله لبعض من يأخذ عنه
ما شئت من زهزهة والفتى بمصقلاباذ لسقي الزروع ○ او وهو
مؤمن شاهد على صحته وانه وحي من الله او وهو بعض الشهداء في قوله
لتكونوا شهداء على الناس ○ وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من اهل الكتاب
لوجود نعته عنده وقرأ السدي وجماعة ألقي السمع على البناء
للمفعول ومعناه لمن القي غيره السمع وفتح له اذنه فحسب ولم يحضر ذهنه

وهو حاضر الذهن متفطن • وقيل لقي سمعه • أو السمع منه • اللغوب الإعياء
وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع • قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيبا
لقولهم خلق الله السموات والارض في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة
واستراح يوم السبت واستلقى على العرش • وقالوا إن الذي وقع من التشبيه
في هذه الأمة إنما وقع من اليهود ومنهم أخذ فاصبر على ما يقول اليهود ويأتون
به من الكفر والتشبيه • وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من إنكارهم البعث
فإن من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم • وقيل هي منسوخة
بآية السيف • وقيل الصبر مأمور به في كل حال بحمد ربك حامدا ربك • و
التسبيح محمول على ظاهره • وعلى الصلوة فالصلوة قبل طلوع الشمس الفجر
وقبل الغروب الظهر • والعصر • ومن الليل العشاءان • وقيل التهجد • وأدبار
السجود التسبيح في آثار الصلوات • والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة
وقيل النوافل بعد المكتوبات • وعن علي رضه الركعتان بعد المغرب • وروى
عن النبي صلعم من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلوته في عليين • وعن ابن
عباس الوتر بعد العشاء • والأدبار جمع دبر • وقرئ وإدبار من أدبرت
الصلوة إذا انقضت وتمت • ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك
خفوق النجم • واستمع يعني واستمع لما أخبرك به من حال يوم القيامة • وفي
ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدث عنه كما يروى عن النبي صلعم
أنه قال سبعة أيام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه بعد ذلك
فإن قلت بم انتصب اليوم قلت بما دل عليه ذلك يوم الخروج أي يوم ينادي
المنادي يخرجون من القبور ويوم يسمعون بدل من يوم ينادي • والمنادي
إسرافيل ينفخ في الصور وينادي أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة
واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن
لفصل القضاء • وقيل إسرافيل ينفخ وجبرئيل ينادي بالحشر من مكان
قريب من صخرة بيت المقدس وهي أقرب الأرض من السماء باثني عشر
ميلا وهي وسط الأرض • وقيل من تحت أقدامهم • وقيل من منابت شعورهم

يسمع من كل شعرة أيتها العظام البالية • والصيحة النفخة الثانية
بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء • قرئ تشقق وتشقق
بإدغام التاء في الشين • وتشقق على البناء للمفعول • وتنشق سراعا حال من المجرور
علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم
إلا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم إلا
كنفس واحدة • نحن أعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية لرسول الله • بجبار كقوله
بمسيطر حتى تقسرهم على الإيمان إنما أنت داع وباعث • وقيل أريد الحلم عنهم
وترك الغلظة عليهم • ويجوز أن يكون من جبره على الأمر بمعنى أجبره أي ما أنت
بوال عليهم تجبرهم على الإيمان وعلى بمنزلته في قولك هو عليهم أي داك وليهم
والمالك أمرهم • من يخاف وعيد كقوله إنما أنت منذر من يخشاها لأنه لا ينتفع
إلا فيه دون المصر على الكفر • عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ
سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته هـ

سورة والذاريات مكية وهي ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الذاريات الرياح لأنها تذرو التراب وغيره قال الله تذروه الرياح
وقرئ بإدغام التاء في الذال • فالحاملات وقرا السحاب لأنها تحمل المطر
وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر أو على إيقاعه موقع
حملا • فالجاريات يسرا الفلك • ومعنى يسرا جريا ذا يسر أي ذا سهولة
فالمقسمات أمرا الملائكة لأنها تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها
أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك وعن مجاهد تتولى تقسيم أمر العباد جبريل
للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الأرواح وإسرافيل للنفخ
وعن علي رضه أنه قال وهو على المنبر سلوني قبل أن لا تسئلوني ولن تسئلوا
بعدي مثلي فقام ابن الكوا فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات
وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات أمرا قال
الملائكة • وكذا عن ابن عباس • وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله به ...

أو تأثرا في العباد وفي جملتهن على الكواكب السبعة ويجوز أن يراد بالرياح لا غير لأنها
تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الأمطار
بتصريف السحاب. فإن قلت ما معنى الفاء على التفسيرين قلت أما على الأول فمعنى
التعقيب فيها أنه أقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي تجريها
بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الأرزاق بإذن الله من الأمطار وتجارات البحر
ومنافعها وأما على الثاني فلأنها تبتدئ في الهبوب فتذرو التراب والحصباء
فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر. إنما توعدون جواب
القسم وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث ووعد صادق كعيشة
راضية. والدين الجزاء والواقع الحاصل. الحبك الطرائق مثل حبك الرمل
والماء إذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره.
قال زهير: مكلل بأصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك
والدرع محبوكة لأن حلقها مطرق طرائق ويقال إن خلقة السماء
كذلك. وعن الحسن حبكها نجومها والمعنى أنها تزينها كما تزين الموشى
طرائق الوشي. وقيل حبكها صفاقتها وإحكامها من قولهم فرس محبوك
المعاقم أي محكمها وإذا أجاد الحائك الحياكة قالوا ما أحسن حبكه وهو
جمع حباك كمثال ومثل أو حبيكة كطريقة وطرق. وقرئ الحبك بوزن
القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن
البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن إبل. إنكم لفي قول مختلف قولهم
في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن شعر وسحر وأساطير
الأولين. وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا إنما هو متناقض مختلف.
وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر. يؤفك عنه الضمير
للقرآن أو الرسول أي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم
كقوله لا يهلك على الله إلا هالك. وقيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله
أي علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يرعوي. ويجوز أن يكون الضمير
لما توعدون أو للدين أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق

ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد
ثم قال يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوك. ووجه آخر وهو
أن يرجع الضمير إلى قول مختلف وعن مثله في قوله ينهون عن الأكل وعن الشرب
أي يتناهون في السمن بسبب الأكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم في السمن
عنهما وكذلك يصدر إفكهم عن القول المختلف. وقرأ سعيد بن جبير يؤفك عنه
من أفك على البناء للفاعل أي من أفك الناس عنه وهم قريش وذلك أن الحي كانوا
يبعثون الرجل ذا العقل والرأي ليسأل عن رسول الله فيقولون احذره فيرجع
فيخبرهم. وعن زيد بن علي يأفك عنه من أفك أي يصرف الناس عنه من هو
مأفوك في نفسه. وعنه أيضا يأفك عنه من أفك أي يصرف الناس عنه من هو
أفاك كذاب. وقرئ يؤفن عنه من أفن أي يحرمه من حرم من أفن الضرع
إذا نهكه حلبا. قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله قتل الإنسان ما أكفره
وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح. والخراصون
الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم أصحاب القول المختلف. واللام إشارة
إليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون. وقرئ قتل الخراصين أي قتل الله. في
غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما أمروا به يسألون فيقولون
أيان يوم الدين أي متى يوم الجزاء. وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة. فإن قلت
كيف وقع أيان ظرفا لليوم وإنما تقع الأحيان ظروفا للحدثان قلت معناه
أيان وقوع يوم الدين. فإن قلت فبم انتصب اليوم الواقع في الجواب قلت بفعل
مضمر دل عليه السؤال أي يقع يوم هم على النار يفتنون. ويجوز أن يكون مفتوحا
لإضافته إلى غير متمكن وهي الجملة. فإن قلت فما محله مفتوحا قلت يجوز أن يكون
محله نصبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون. وقرأه
ابن أبي عبلة بالرفع. يفتنون يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهي الحرة
لأن حجارتها كأنها محرقة. ذوقوا فتنتكم في محل الحال أي مقولا لهم هذا القول
هذا مبتدأ والذي خبره أي هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون. ويجوز
أن يكون هذا بدلا من فتنتكم أي ذوقوا هذا العذاب
آخذين ما آتاهم ربهم

على هذا الوجه يكون الذي صفة
او خبرا لمحذوف اي هو او هذا الذي

قابلين لكل ما أعطاهم راضين به يعني أنه ليس فيها الا ما هو متلقى بالقبول
مرضي غير مسخوط لأن جميعه حسن طيب ومنه قوله ويأخذ الصدقات
أي يقبلها ويرضاها **محسنين** قد أحسنوا أعمالهم وتفسير إحسانهم ما بعده
ما مزيدة والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل إن جعلت قليلا ظرفا
ولك أن تجعله صفة للمصدر أي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز أن تكون ما
مصدرية أو موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه
وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم
قال قد حصت البيضة رأسي فما أطعم نوما غير تهجاع وقوله قليلا
ومن الليل لأن الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك
وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين فإذا أسحروا أخذوا في الاستغفار كأنهم
أسلفوا في ليلهم الجرائم وقوله **هم يستغفرون** فيه أنهم هم المستغفرون
الأحقاء بالاستغفار دون المصرين فكأنهم المختصون به لاستدامتهم له
وإطنابهم فيه **فإن قلت** هل يجوز أن تكون ما نافية كما قال بعضهم وأن يكون المعنى أنهم
لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله **قلت** لا لأن ما النافية لا يعمل ما
بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم أضرب ولا تقول زيدا ما ضربت السائل الذي
يستجدي والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي
صلعم ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان والتمرة والتمرتان
قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمى له مال
وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب **وفي الأرض آيات** تدل على الصانع وقدرته
وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل
لكم الأرض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين
في مناكبها وهي مجزأة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات
من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بألوان النبات
وأنواع الأشجار بالثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح تسقى بماء
واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها

وهو خلاف قولك مبارك قال حارف بالشار والاباجر مبارك بالفلق الباتر وقد حورف
كسب فلان إذا شدد عليه في معاشه كأنه ميل برزقه منه من المحارك موضع بالبادية
والفلق سيف منسوب إليه الجلوالماد الكثير

ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن
المفتنة والدواب المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور والأشكال
والأفعال من الوحشي والإنسي والهوام وغير ذلك **للموقنين** للموحدين الذين
سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة
وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا إيمانا مع إيمانهم
وإيقانا الى إيقانهم **وفي أنفسكم** في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال
وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه
الأذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من أصناف المعاني
وبالألسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات
الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر دع الأسماع والأبصار والأطراف
وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى في الأعضاء من المفاصل للانعطاف
والتثني فإنه إذا جسا شيء منها جاء العجز وإذا استرخى أناخ الذل
فتبارك الله أحسن الخالقين **رزقكم** هو المطر لأنه سبب الأقوات وعن سعيد بن
جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه
فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم **وما توعدون** الجنة هي على
ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد أن ما ترزقونه في الدنيا وما
توعدونه في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء وقرئ مثل بالرفع
صفة للحق أي حق مثل نطقكم وبالنصب على إنه لحق حقا مثل نطقكم
ويجوز أن يكون فتحا لإضافته الى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا
كقول الناس إن هذا لحق كما أنك ترى وتسمع ومثل ما أنك ها هنا وهذا
الضمير إشارة الى ما ذكر من أمر الآيات والرزق وأمر النبي صلعم أو الى ما توعدون
وعن الأصمعي أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود له فقال ممن الرجل
قلت من بني أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال
اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك
فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد الى سيفه وقوسه

عدون

ونكس نعماه وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف
بي بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرا
السورة فلما بلغت الاية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل
غير هذا فقرات فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا
الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجاوه الى اليمين قالها ثلاثا
وخرجت معها نفسه هل اتاك تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله
وانما عرفه بالوحي ۝ والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم لانه في الاصل
مصدر ضافه ۝ وكانوا اثني عشر ملكا ۝ وقيل تسعة عاشرهم جبريل ۝
وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك معهما ۝ وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة
الضيف حيث اضافهم ابرهيم ۝ او لانهم كانوا في حسبانه كذلك ۝ واكرامهم
ان ابرهيم خدمهم بنفسه واخدمهم امراته وعجل لهم القرى ۝ او انهم في
انفسهم مكرمون قال الله بل عباد مكرمون اذ دخلوا نصب بالمكرمين
اذا فسر باكرام ابرهيم لهم ۝ والا فبما في ضيف من معنى الفعل ۝ او باضمار اذكر
سلاما مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه واصله نسلم عليكم سلاما
واما سلام فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام
للدلالة على ثبات السلام كانه قصد ان يحييهم باحسن مما حيوه به اخذا
بادب الله وهذا ايضا من اكرامه لهم ۝ وقرئا مرفوعين ۝ وقرئ سلاما
قال سلما والسلم السلام ۝ وقرئ سلاما قال سلم قوم منكرون انكرهم
للسلام الذي هو علم الاسلام ۝ او اراد انهم ليسوا من معارفه او من جنس الناس
الذين عهدهم كما لو ابصر العرب قوما من الخزر ۝ او راى لهم حالا وشكلا
خلاف حال الناس وشكلهم ۝ او كان هذا سؤالا لهم كانه قال انتم قوم منكرون
فعرفوني من انتم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن ادب
المضيف ان يخفي امره وان يباده بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا
من ان يكفه ويعذره ۝ قال قتادة كان عامة مال نبي الله ابرهيم
البقر فجاء بعجل ۝ والهمزة في الا تاكلون للانكار انكر عليهم ترك الاكل

او حثهم عليه فاوجس فاضمر وانما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن انهم يريدون به
سوءا ۝ وعن ابن عباس وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب ۝ وعن عون بن
شداد مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه بغلام عليم اي يبلغ و
يعلم ۝ وعن الحسن عليم نبي والمبشر به اسحق ۝ وهو اكثر الاقاويل واصحها
لان الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امراة ابرهيم وهو بعلها ۝ وعن مجاهد هو اسمعيل
في صرة من صر الجندب وصر القلم والباب ۝ ومحله النصب على الحال اي
فجاءت صارة ۝ قال الحسن اقبلت الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم لانها وجدت
حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء ۝ وقيل فاخذت في صرة كما تقول اقبل
يشتمني ۝ وقيل صرتها قولها اوه ۝ وقيل يا ويلتى ۝ وعن عكرمة رنتها
فصكت فلطمت ببسط يديها ۝ وقيل فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل
المتعجب عجوز انا عجوز فكيف الد كذلك مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به
قال ربك اي انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين ۝ وروي ان جبريل
قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة
لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا باذن الله رسلا في بعض الامور
قال فما خطبكم اي فما شانكم وما طلبكم الى قوم مجرمين الى قوم لوط
حجارة من طين يريد السجيل وهي طين طبخ كما يطبخ الاجر حتى صار
في صلابة الحجارة مسومة معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد
منها اسم من يهلك به ۝ وقيل اعلمت بانها من حجارة العذاب ۝ وقيل
بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا ۝ سماهم مسرفين كما سماهم عادين
لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقتنعوا بما ابيح لهم ۝ الضمير في فيها
للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على ان الايمان
والاسلام واحد وانهما صفتا مدح ۝ قيل هم لوط وابنتاه ۝ وقيل
كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر ۝ وعن قتادة لو كان فيها
اكثر من ذلك لانجاهم ليعلموا ان الايمان محفوظ لا ضيعة على اهله عند الله
اية علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم ۝ قال ابن جريج

ريح الصبا هي من جانب المشرق والدبور يقابلها والجنوب تقابل الشمال وهي تجيء من شمال من يتوجه المشرق والنكباء الريح الناكبة تنكب أي
تعدل عن مهابّ الرياح القوم ومن الأربع والنكب في الرياح أربع فنكباء الصبا والجنوب تسمى الأزيب ونكباء الصبا والشمال تسمى الصابية وتسمى أيضاً
النكيب وإنما صغروها وهم يريدون تكبيرها لأنهم يستبردونها جداً ونكباء الشمال والدبور قد تسمى الجربياء وهي نيحة الأزيب ونكباء الجنوب
والدبور حارة تسمى الهيف وهي نيحة النكباء لأن العرب تناوح بين هذه النكب كما ناوحوا بين القوم من الرياح التناوح التقابل
ومنه سميت النوائح لأن بعضهن يقابل بعضاً وكذلك الرياح إذا تناوحت لأن بعضها يناوح بعضاً ويقال الجبلان يتناوحان
وكل ريح استطالت إذا هبت عليه ريح طولاً فهي نيحته فإن اعترضته فهي نسيحته ٥

على بعض منضود فيها ٥ وقيل هي أسود مدمن وفي موسى معطوف على وفي الأرض
آيات ٥ أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها
تبناً وماءً بارداً فتولى بركنه فازورّ وأعرض كقوله ونأى بجانبه ٥ وقيل
فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه ٥ وقرئ بركنه بضم الكاف وقال
ساحر أي هو ساحر مليم آت بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو
حال من الضمير في فأخذناه فإن قلت كيف وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه
بما وصف به فرعون في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم قلت موجبات اللوم
تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على
مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة ألا ترى إلى قوله وعصوا رسله وعصى
آدم ربه لأن الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم
القبيح والسيئة ٥ العقيم التي لا خير فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر
وهي ريح الهلاك ٥ واختلف فيها فعن علي النكباء ٥ وعن ابن عباس
الدبور ٥ وعن ابن المسيب الجنوب ٥ والرميم كل ما رم أي بلي وتفتت
من عظم أو نبات أو غير ذلك حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم
ثلاثة أيام فعتوا عن أمر ربهم فاستكبروا عن امتثاله ٥ وقرئ الصعقة
وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها
وهم ينظرون كانت نهاراً يعاينونها ٥ وروي أن العمالقة كانوا معهم في
الوادي ينظرون إليهم وما ضرتهم فما استطاعوا من قيام كقوله فأصبحوا
في دارهم جاثمين ٥ وقيل هو من قولهم ما يقوم به إذا عجز عن دفعه منتصرين
ممتنعين من العذاب ٥ وقوم قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح ويقويه
قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالنصب على معنى أهلكنا قوم نوح لأن
ما قبله يدل عليه ٥ أو واذكروا قوم نوح بأيد بقوة والأيد والآد
القوة وقد آد يئيد وهو أيّد وإنا لموسعون لقادرون من الوسع
وهو الطاقة والموسع القوي على الإنفاق ٥ وعن الحسن لموسعون الرزق
بالمطر ٥ وقيل جعلنا بينها وبين الأرض سعة فنعم الماهدون فنعم الماهدون
نحن

ومن كل شيء أي من كل شيء من الحيوان خلقنا زوجين ذكراً وأنثى ٥ وعن الحسن
السماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد
أشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون
أي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج إرادة أن تتذكروا
فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا إلى الله إلى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه
ووحدوه ولا تشركوا به وكرر قوله إني لكم منه نذير مبين عند الأمر
بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل كما أن العمل
لا ينفع إلا مع الإيمان وأنه لا يفوز عند الله إلا الجامع بينهما ألا ترى إلى قوله
لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ٥ والمعنى قل
يا محمد ففروا إلى الله كذلك الأمر مثل ذلك وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول
وتسميته ساحراً ومجنوناً ٥ ثم فسر ما أجمل بقوله ما أتى ولا يصح أن تكون
الكاف منصوبة بأتى لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت
لكان صحيحاً على معنى مثل ذلك الإتيان لم يأت من قبلهم رسول إلا قالوا
أتواصوا به الضمير للقول يعني أتواصى الأولون والآخرون بهذا القول حتى
قالوه جميعاً متفقين عليه بل هم قوم طاغون أي لم يتواصوا به لأنهم لم يتلاقوا
في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان والطغيان هو الحامل
عليه فتول عنهم فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا عتواً
منهم العناد واللجاج ٥ فلا لوم عليك في إعراضك بعدما بلغت الرسالة
وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة ٥ ولا تدع التذكير والموعظة
بأيام الله فإن الذكرى تنفع المؤمنين أي تؤثر في الذين عرف الله منهم
أنهم يدخلون في الإيمان ٥ أو تزيد الداخلين فيه إيماناً ٥ وروي أنه لما نزلت فتول
عنهم حزن رسول الله واشتد ذلك على أصحابه ورأوا أن الوحي قد انقطع
وأن العذاب قد حضر فأنزل الله وذكر ٥ أي وما خلقت الجن والإنس إلا لأجل
العبادة ولم أرد من جميعهم إلا إياها فإن قلت لو كان مريداً للعبادة منهم
لكانوا كلهم عباداً قلت إنما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين

إلا أنه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها
ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم ﴿ما أريد منهم من رزق﴾ يريد أن شأني مع عبادي
ليس كشأن السادة مع عبيدهم فإن ملاك العبيد إنما يملكونهم ليستعينوا بهم
في تحصيل معايشهم وأرزاقهم فإما مجهز في تجارة ليبغي ربحا أو مرتب
في فلاحة ليغتل أرضا أو مسلم في حرفة لينتفع بأجرته أو محتطب
أو محتش أو مستق أو طابخ أو خابز وما أشبه ذلك من الأعمال والمهن
التي هي تصرف في أسباب المعيشة وأبواب الرزق فأما مالك ملك العبيد
فقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في أنفسكم ولا أريد أن أصرفكم في تحصيل رزقي
ولا رزقكم وأنا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم
وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو إلا أنا وحدي ﴿المتين﴾ الشديد القوة
وقرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار والمعنى
في وصفه بالقوة والمتانة أنه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء
وقرئ الرازق وفي قراءة النبي صلعم إني أنا الرزاق ﴿ذنوبا﴾ الذنوب الدلو
العظيمة وهذا تمثيل أصله في السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب
ولهذا ذنوب قال لنا ذنوب ولكم ذنوب فإن أبيتم فلنا القليب
ولما قال عمرو بن شأس وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشأس من نداك ذنوب
قال الملك نعم وأذنبه ﴿والمعنى فإن للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب
من أهل مكة لهم نصيبا من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم
من القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل أصحابهم ﴿من يومهم﴾
من يوم القيامة وقيل من يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه
من قرأ سورة والذاريات أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح
هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية وهي تسع وأربعون وقيل ثمان وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والطور﴾ الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين ﴿والكتاب المسطور﴾

﴿في رق منشور﴾ والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي
يكتب فيه الأعمال قال الله تعالى ويخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا
وقيل هو ما كتبه الله لموسى وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل
القرآن وتنكيره لأنه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله ونفس وما سواها
﴿والبيت المعمور﴾ الضراح في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته
من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين
﴿والسقف المرفوع﴾ السماء ﴿والبحر المسجور﴾ المملوء وقيل الموقد من قوله وإذا
البحار سجرت وروي أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارا تسجر
بها نار جهنم وعن علي رض أنه سأل يهوديا أين موضع النار في كتابكم قال
في البحر قال علي ما أراه إلا صادقا لقوله والبحر المسجور ﴿لواقع﴾ لنازل قال
جبير بن مطعم أتيت رسول الله أكلمه في الأسارى فألفيته في صلوة الفجر يقرأ سورة
الطور فلما بلغ إن عذاب ربك لواقع أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب ﴿تمور﴾
تضطرب وتجيء وتذهب وقيل المور تحرك في تموج وهو الشيء يتردد
في عرض كالداغصة في الركبة ﴿في خوض﴾ غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب
ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وخضتم كالذي خاضوا ﴿الدع﴾ الدفع
العنيف وذلك أن خزنة النار يغلون أيديهم إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم
إلى أقدامهم ويدفعونهم إلى النار دفعا على وجوههم وزخا في أقفيتهم وقرئ
يدعون من الدعاء أي يقال لهم هلموا إلى النار وادخلوا النار
دعا مدعوعين يقال لهم ﴿هذه النار﴾ ﴿أفسحر هذا﴾ يعني كنتم تقولون للوحي
هذا سحر أفسحر هذا أي بل هذا المصداق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى
﴿أم أنتم لا تبصرون﴾ كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما
كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم ﴿سواء﴾ خبره محذوف أي سواء عليكم
الأمران الصبر وعدمه ﴿فاصبروا أو لا تصبروا﴾ لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله ﴿إنما تجزون
ما كنتم تعملون﴾ لأن الصبر إنما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة
بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير فأما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له

المصداق هو الشيء الذي يعرف به الصدق والعذاب في الآخرة وغيره مذكور في أحوال القيمة وما بعدها كان مصداقا لقول الأنبياء ولكن قال المصنف هذا المصداق أيضا سحر

ولا منفعة ولا مضرة له على الجوع في جنات ونعيم في أية جنات وأي نعيم
بمعنى الكمال في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة ۝ وقرئ
فاكهين ۝ وفكهين وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا
جعل الظرف لغوا اي متلذذين بما آتاهم ربهم فان قلت علام عطف قوله ووقاهم ربهم
قلت على قوله في جنات ۝ او على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية ۝ والمعنى
فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ۝ ويجوز ان تكون الواو للحال
وقد بعدها مضمرة يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا ۝ او طعاما
وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ۝ ويجوز ان يكون مثله في قوله هنيئا مريئا
غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت اعني صفة استعملت استعمال
المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه
قيل هنأ عزة المستحل من اعراضنا ۝ وكذلك معنى هنيئا ها هنا هنأكم
الاكل والشرب ۝ او هنأكم ما كنتم تعملون ۝ اي جزاء ما كنتم تعملون ۝ والباء
مزيدة كما في كفى بالله ۝ والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل
والشرب ۝ وقرئ بعيس عين والذين آمنوا معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور
وبالذين آمنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين
فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين واتبعناهم
ذرياتهم قال رسول الله صلعم ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان
كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم انواع السرور
بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان وباجتماع
اولادهم ونسلهم بهم ثم قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اي بسبب ايمان عظيم
رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم ذرياتهم وان كانوا لا يستأهلونها
تفضلا عليهم وعلى آبائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم فان قلت ما معنى
تنكير ايمان قلت معناه الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة ۝ ويجوز ان
يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة
الآباء الحقناهم بهم ۝ وقرئ اتبعتهم ذريتهم واتبعناهم ذرياتهم وذرياتهم

وقرئ ذرياتهم بكسر الذال ۝ ووجه آخر وهو ان يكون والذين آمنوا مبتدأ
خبره بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض وما التناهم وما نقصناهم
يعني وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من التفضل والثواب وما نقصناهم من ثواب عملهم
من شيء ۝ وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا نعطيه الابناء حتى يلحقوا
بهم انما الحقناهم بهم على سبيل التفضل ۝ قرئ التناهم ولتناهم من الت
يالت ومن الات يليت كامات يميت ۝ والتناهم من آلت يؤلت كآمن يؤمن
ولتناهم من لات يليت ۝ وولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد كل امرئ
بما كسب رهين اي مرهون كان نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي
هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها
والا اوبقها وامددناهم وزدناهم في وقت بعد وقت يتنازعون يتعاطون
ويتعاورون هم وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم كأسا لا لغو فيها في شربها
ولا تأثيم اي لا يتكلمون في اثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين
في الدنيا على الشراب في سفههم وعربدتهم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله
اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون
بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء
وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم غلمان لهم اي مملوكون لهم مخصوصون بهم مكنون
في الصدف لانه رطبا احسن واصفى ۝ او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي
القيمة ۝ وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلعم والذي
نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
وعنه عليه ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف
ببابه لبيك لبيك يتساءلون يتحادثون ويسأل بعضهم بعضا عن احواله
واعماله وما استوجب به نيل ما عند الله مشفقين ارقاء القلوب من خشية
الله ۝ وقرئ ووقانا بالتشديد عذاب السموم عذاب النار ووهجها ولفحها
۝ والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه
الصفة من قبل من قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون في الدنيا ندعوه نعبده ۝

اى المتقين ووقاهم ربهم

الفيس بالفتح نقاوة وعمرة

ونسأله الوقاية انه هو البر الرحيم المحسن العظيم الرحمة الذى اذا عبد
اثاب واذا سئل اجاب. وقرى انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فاثبت على تذكير
الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن او مجنون ولا تبال به فانه قول باطل متناقض
لان الكاهن يحتاج فى كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما انت
بحمد الله وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل احد هذين. وقرى نتربص
به ريب المنون على البناء للمفعول. وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها من
حوادث الدهر قال: امن المنون وريبه تتوجع. وقيل المنون الموت
وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا
ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة
من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى احلامهم عقولهم والبابهم
ومنه قولهم احلام عاد والمعنى اتامرهم احلامهم بهذا التناقض فى القول وهو
قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون اهل الاحلام والنهى
ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد فى العناد مع ظهور الحق لهم فان قلت ما معنى
كون الاحلام امرة قلت هو مجاز لادائها الى ذلك كقوله اصلواتك تامرك
ان نترك ما يعبد اباؤنا. وقرى بل هم قوم طاغون تقوله اختلقه
من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن
مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد
من العرب. وقرى بحديث مثله على الاضافة والضمير لرسول الله ومعناه ان
مثل محمد فى فصاحته ليس بمعوز فى العرب فان قدر محمد على نظمه كان مثله
قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل ام خلقوا ام احدثوا وقدروا التقدير
الذى عليه فطرتهم من غير شئ من غير مقدر ام هم الذين خلقوا انفسهم
حيث لا يعبدون الخالق بل لا يوقنون اى اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات
والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون. وقيل اخلقوا من اجل
لا شئ من جزاء وحساب. وقيل اخلقوا من غير اب وام ام عندهم خزائن الرزق
حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا او اعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها

من اختلاقه حكمة ومصلحة ام هم المسيطرون الارباب الغالبون حتى يدبروا
امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم. وقرى المصيطرون
بالصاد ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون صاعدين فيه الى كلام الملائكة
وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم
وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق
استماع مستمعهم. المغرم ان يلتزم الانسان ما ليس عليه اى لزمهم مغرم
ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك فى اتباعك ام عندهم الغيب اى اللوح المحفوظ
فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب ام يريدون
كيدا وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله وبالمؤمنين فالذين كفروا اشارة
اليهم او اريد بهم كل من كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود عليهم
وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر او المغلوبون
فى الكيد من كايدته فكدته. الكسف القطعة وهو جواب قولهم او
تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد انهم لشدة طغيانهم وعنادهم
لو اسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا
ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب. وقرى حتى يلقوا ويلقوا
يصعقون يموتون. وقرى يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة
الاولى نفخة الصعق وان للذين ظلموا وان لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك
دون يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر
وفى مصحف عبد الله دون ذلك قريبا لحكم ربك بامهالهم وما يلحقك فيه من المشقة
والكلفة فانك باعيننا مثل اى بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين
لان الضمير بلفظ الجماعة الا ترى الى قوله ولتصنع على عينى. وقرى باعينا بالادغام
حين تقوم من اى مكان قمت. وقيل من منامك وادبار النجوم واذا ادبرت
النجوم من اخر الليل. وقرى وادبار بالفتح بمعنى فى اعقاب النجوم واثارها
اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده فى هذه الاوقات.
وقيل التسبيح الصلاة اذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم
صلاة الفجر.

عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الطور كان حقا على الله
أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته

سورة والنجم مكية إحدى وستون وقيل اثنتان وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

النجم الثريا وهو اسم غالب لها قال إذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء
أو جنس النجوم قال فباتت تعد النجم في مستحيره يريد النجوم
إذا هوى إذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو النجم الذي يرجم به إذا
هوى إذا انقض أو النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما في عشرين سنة
إذا هوى إذا نزل أو النبات إذا هوى إذا سقط على الأرض وعن عروة
بن الزبير أن عتبة بن أبي لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلعم أراد الخروج
إلى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم
إذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله ورد عليه ابنته وطلقها
فقال رسول الله اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا
فوجم فقال ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة إلى
أبيه فأخبره ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من الدير
فقال لهم إن هذه الأرض مسبعة فقال أبو لهب لأصحابه أغيثونا يا معشر
قريش هذه الليلة فإني أخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم وأناخوها
حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة
فقتله وقال حسان من يرجع العام إلى أهله فما أكيل السبع بالراجع
ما ضل صاحبكم يعني محمدا والخطاب لقريش وهو جواب القسم والضلال
نقيض الهدى والغي نقيض الرشد أي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون
من نسبتكم إياه إلى الضلال والغي وما آتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر
عن هواه ورأيه إنما هو وحي من عند الله يوحى إليه واحتج بهذه الآية من لم
ير الاجتهاد للأنبياء ويجاب بأن الله تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد
وما يستند إليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى شديد القوى ملك شديد قواه

والإضافة غير حقيقية لأنها إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها وهو جبريل عليه
السلام فإن من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه
ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه
على الأنبياء وصعوده في أوحى من رجعة الطرف ورأى إبليس يكلم عيسى على بعض عقاب
الأرض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فألقاه في أقصى جبل بالهند ذو مرة
ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى فاستقام على صورته
الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة
دحية وذلك أن رسول الله أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الأفق
الأعلى وهو أفق الشمس فملأ الأفق وقيل ما رآه أحد من الأنبياء في صورته الحقيقية
غير محمد صلعم مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء ثم دنا من رسول الله فتدلى
فتعلق عليه في الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي
الثمر المعلق قال تدلى عليها بين سب وخيطة ويقال هو مثل القرلى
إن رأى خيرا تدلى وإن لم يره تولى فكان قاب قوسين مقدار قوسين
عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقرئ بين
على قاد وقرئ قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط
والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والإصبع ومنه الصلاة إلى
أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة
وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات
يسيرة وقال وقد جعلتني من حزيمة إصبعا فإن قلت كيف تقدير قوله
فكان قاب قوسين قلت تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين
فحذفت هذه المضافات كما قال أبو علي في قوله وقد جعلتني من حزيمة إصبعا
أي ذا مقدار مسافة إصبع أو أدنى على تقديركم لقوله أو يزيدون فأوحى إلى عبده
إلى عبد الله وإضماره ولم يجر لاسمه عز وجل ذكر لأنه لا يلبس لقوله على ظهرها ما أوحى
تفخيم للوحي الذي أوحي إليه قيل أوحي إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء
حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك ما كذب فؤاد محمد ما رآه ببصره

من صورة جبريل، أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك، ولو قال ذلك لكان كاذباً
لأنه عرفه، يعني أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في أن ما رآه حق
وقرئ ما كذّب أي صدّقه ولم يشك أنه جبريل بصورته أفتمارونه من المراء
وهو الملاحاة والمجادلة، واشتقاقه من مري الناقة، كأن كل واحد من المتجادلين
يمري ما عند صاحبه. وقرئ أفتمرونه أفتغلبونه في المراء، من ماريته
فمريته، ولما فيه من معنى الغلبة عُدّي بعلى كما تقول غلبته على كذا. وقيل
أفتمرونه أفتجحدونه، وأنشدوا: لئن هجوت أخا صدق ومكرمة
لقد مريت أخاً ما كان يمريكا. وقالوا يقال مريته حقه إذا جحدته
وتعديته بعلى لا تصح إلا على مذهب التضمين. نزلة أخرى مرة أخرى من
النزول، نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة، لأن الفعلة اسم للمرة
من الفعل فكانت في حكمها، أي نزل عليه جبريل نزلة أخرى في صورة نفسه فرآه عليها
وذلك ليلة المعراج. قيل في سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة
عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها
الأنهار التي ذكرها الله في كتابه، يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً
لا يقطعها. والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء، كأنها في منتهى الجنة
وآخرها. وقيل لم يجاوزها أحد، وإليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم
ولا يعلم أحد ما وراءها. وقيل تنتهي إليها أرواح الشهداء. جنة المأوى
الجنة التي يصير إليها المتقون، عن الحسن. وقيل تأوي إليها أرواح الشهداء
وقرأ علي وابن الزبير وجماعة جنّه المأوى، أي ستره بظلاله ودخل
فيه. وعن عائشة أنها أنكرته وقالت من قرأ به فأجنّه الله. إذ يغشى تعظيم
وتكثير لما يغشاها، فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة
على عظمة الله وجلاله أشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف
وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
رأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح الله. وعنه عليه السلام يغشاها
رفرف من طير خضر. وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب.

موكل ما يسقط من أعلى إلى الأسفل

ما زاغ بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طغى أي أثبته ما رآه إثباتاً مستيقناً صحيحاً من
غير أن يزيغ بصره عنه أو يتجاوزه، أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر
برؤيتها ومكّن منها وما طغى وما جاوز ما أمر برؤيته. لقد رأى والله لقد رأى
من آيات ربه الآيات التي هي كبراها وعظماها، يعني حين رقي به إلى السماء
فأري عجائب الملكوت. اللات والعزى ومناة أصنام كانت لهم وهي مؤنثات،
فاللات كانت لثقيف بالطائف، وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش، وهي فعلة من
لوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة، أو يلتوون عليها أي يطوفون.
وقرئ اللاتّ بالتشديد، وزعموا أنه سمي برجل كان يلتّ عنده السمن بالزيت ويطعمه
الحاج. وعن مجاهد كان رجل يلتّ السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه
وثناً. والعزى كانت لغطفان وهي سمرة، وأصلها تأنيث الأعز. وبعث
إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها
داعية ويلها واضعة يدها على رأسها، فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول:
يا عزّ كفرانك لا سبحانك … إني رأيت الله قد أهانك
ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: تلك العزى ولن تعبد أبداً. ومناة صخرة كانت لهذيل
وخزاعة. وعن ابن عباس لثقيف. وقرئ ومناءة، وكأنها سميت مناة لأن
دماء النسائك كانت تمنى عندها أي تراق. ومناءة مفعلة من النوء، كأنهم كانوا
يستمطرون عندها الأنواء تبركاً بها. والأخرى ذم، وهي المتأخرة الوضيعة
المقدار، كقوله وقالت أخراهم لأولاهم، أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم.
ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى. كانوا يقولون إن
الملائكة وهذه الأصنام بنات الله، وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم
شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات، فقيل ألكم الذكر وله الأنثى. ويجوز
أن يراد أن اللات والعزى ومناة إناث وقد جعلتموهن لله شركاء،
ومن شأنكم أن تحتقروا الإناث وتستنكفوا من أن يولدن لكم وينسبن
إليكم، فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أنداداً لله وتسمونهن آلهة. قسمة
ضيزى جائرة، من ضازه يضيزه إذا ضامه، والأصل ضوزى ففعل بها ما

ما نفعل ببيض الشلم اليابس. وقرئ ضئزى من ضأزه بالهمز، وضيزى بفتح الضاد
ضيزى. إن هي أي الأصنام أي ما هي إلا أسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات لأنكم تدعون
الإلهية لما هو أبعد شيء منها وأشده منافاة لها، ونحوه قوله ما تعبدون
من دونه إلا أسماء سميتموها. أو ضمير الأسماء وهي قولهم اللات والعزى ومناة
وهم يقصدون بها أسماء الآلهة يعني ما هذه الأسماء إلا أسماء سميتموها
بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به
ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد. إن يتبعون
وقرئ بالتاء إلا الظن إلا توهم أن ما هم عليه حق وأن آلهتهم شفعاء لهم
وما تهوى الأنفس وما تشتهيه أنفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على أن دينهم
باطل. أم للإنسان ما تمنى هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار
أي ليس للإنسان ما تمنى والمراد طمعهم في شفاعة الآلهة وهو تمنٍّ على الله
في غاية البعد. وقيل هو قولهم ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى
وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لأوتين مالا وولدا. وقيل هو
تمني بعضهم أن يكون هو النبي. فلله الآخرة والأولى أي هو مالكهما
فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لأحد أن يتحكم عليه في شيء منهما
يعني أن أمر الشفاعة ضيق وذلك لأن الملائكة مع قربتهم وزلفاهم
وكثرتهم واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تغن
شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع إلا إذا شفعوا من بعد أن يأذن الله
لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا أن يشفع له
فكيف تشفع الأصنام إليه لعبدتهم. ليسمون الملائكة أي كل واحد منهم
تسمية الأنثى لأنهم إذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد
منهم بنتا وهي تسمية الأنثى. وما لهم به من علم أي بذلك وبما يقولون وفي قراءة
أبي بها أي بالملائكة أو التسمية. لا يغني من الحق شيئا يعني إنما يدرك الحق
الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم. فأعرض
عن دعوة من رأيته معرضا عن ذكر الله وعن الآخرة ولم يرد إلا الدنيا ولا

تنفعك عن إسلامه. ثم قال إن ربك هو أعلم أي إنما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب
وأنت لا تعلم فخفّض على نفسك ولا تتعبها فإنك لا تهدي من أحببت وما عليك
إلا البلاغ وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض أو فأعرض عنه ولا تقابله. إن
ربك هو أعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء. وقرئ
ليجزي ونجزي بالياء والنون فيهما ومعناه أن الله إنما خلق العالم وسوّى
هذه الملكوت لهذا الغرض وهو أن يجازي المحسن من المكلفين والمسيء
منهم. ويجوز أن يتعلق بقوله وهو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى
لأن نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما. بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء
والحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة. أو بسبب ما عملوا من السوء وبسبب
الأعمال الحسنى. كبائر الإثم الكبائر من الإثم لأن الإثم جنس يشتمل على كبائر
وصغائر والكبائر الذنوب التي لا يسقط عقابها إلا بالتوبة. وقيل
التي يكبر عقابها بالإضافة إلى ثواب صاحبها. والفواحش ما فحش من الكبائر
كأنه قال والفواحش منها خاصة. وقرئ كبير الإثم أي النوع الكبير منه
وقيل هو الشرك بالله. واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون
واللوثة منه وألمّ بالمكان إذا قل فيه لبثه وألمّ بالطعام قل منه
أكله ومنه لقاء أخلاء الصفاء لمام. والمراد الصغائر من الذنوب ولا
يخلو قوله إلا اللمم من أن يكون استثناء منقطعا أو صفة كقوله لو كان
فيهما آلهة إلا الله كأنه قيل كبائر الإثم غير اللمم وآلهة غير الله
وعن أبي سعيد الخدري اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة. وعن
السدي الخطرة من الذنب. وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا
ولا عذابا. وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين. إن ربك واسع
المغفرة حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة
فلا تزكوا أنفسكم فلا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير
والطاعات. أو إلى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها
فقد علم الله الزكي منكم والتقي أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب آدم

وقيل لم تخرجوا من بطون امهاتكم ٥ وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتاييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر **اكدى** قطع عطيته وامسك واصله اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ونحوه اجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا افحم ٥ روي ان عثمان رض كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله ابن سعد بن ابي سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضا الله وارجو عفوه فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطاء فنزلت ٥ ومعنى تولى ترك المركز يوم احد فعاد عثمان الى احسن من ذلك واجمل **فهو يرى** فهو يعلم ان ما قال له اخوه من احتمال اوزاره حق **وفى** قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة في الوفاء او بمعنى وفر واتم كقوله فاتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله باعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمروذ وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم ٥ وعن الحسن ما امره الله بشيء الا وفى به ٥ وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وبين ابرهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بابيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامراته والعبد بسيده فاول من خالفهم ابرهيم ٥ وعن عطاء بن السائب عهد ان لا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل وميكائيل الك حاجة فقال اما اليكما فلا وعن النبي صلعم وفى عمله كل يوم باربع ركعات

في صدر النهار وهي صلاة الضحى ٥ وروي الا اخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ٥ وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلثون سهما عشرة في التوبة التائبون ٥ وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين قد افلح المؤمنون وقرئ في صحف بالتخفيف **ان لا تزر** ان مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان وما بعدها الجر بدلا من ما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كان قائلا قال وما في صحف موسى وابرهيم فقيل ان لا تزر **الا ما سعى** الا سعيه **فان قلت** اما صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الاضعاف **قلت** فيه جوابان احدهما ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو ان يكون مؤمنا صالحا فكذلك الاضعاف كان سعي غيره كانه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه ٥ والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه **ثم يجزيه** ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ٥ ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى او ابدله عنه كقوله واسروا النجوى الذين ظلموا ٥ **وان الى ربك المنتهى** قرئ بالفتح على معنى ان هذا كله في الصحف وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء اي ينتهي اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير **اضحك وابكى** خلق قوتي الضحك والبكاء **اذا تمنى** اذا تدفق في الرحم يقال منى وامنى ٥ وعن الاخفش تخلق من منى المانى اي قدر المقدر ٥ قرئ النشاة والنشاءة بالمد وقال **عليه** لانها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على الاحسان والاساءة **واقنى** واعطى القنية وهي المال الذي تاثلته وعزمت ان لا تخرجه من يدك ٥ **الشعرى** مرزم الجوزاء وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور واراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة تشبيها له به لمخالفته اياهم في دينهم يريد انه رب معبودهم هذا ٥ **عادا الاولى** قوم هود وعاد الاخرى ارم ٥ وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا

وجميعها في السماء الثامنة وسميت ثابتة لان اوضاع بعضها مع البعض لا تختلف والابعاد التي بينها لا تتفاوت الا ان فلكها الا حركتها واصحاب الارصاد رصدوا من جملة الكواكب الثابتة الفا واثنين وعشرين وبينوا مواضعها وصوروها في ثمانية واربعين صورة منها الاثنا عشر صورة على منطقة البروج ومنها احد وعشرون صورة في ناحية الشمال وخمسة عشر في ناحية الجنوب واعتمدوا هذه الصور ليسهل عليهم ضبطها ويعرفها عند الحاجة اذا عرفت ذلك فنقول من جملة الصور الجنوبية صورة الجبار ثمانية وثلثون كوكبا على صورة رجل بيده عصا وفي وسطه منطقة وسيف وتسمى هذه الصورة بالجوزاء ايضا وهي غير الجوزاء المعدودة في البروج فان تلك في منطقة البروج وهذه جنوبية ومن صور الجنوبية الكلب الاكبر ثمانية عشر كوكبا ومن كواكبها الشعرى اليماني وتسمى ايضا الشعرى العبور وهي كلب الجبار ومرزم الجوزاء اما تسميته بكلب الجبار فلانه يطلع خلفه كالكلب الذي يتبعه

بعد قوم نوح او المتقدمين من الذين بادوا انقرضوا ٥ وقرئ عاداً الولى ٥ وعاداً لولى
بادغام التنوين في اللام وطرح همزة اولى ونقل ضمتها الى لام التعريف وثموداً
وقرئ وثمود اظلم واطغى لانهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به
حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وما اثر فيهم
دعاؤه قريباً من الف سنة والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت
وهم قوم لوط يقال افكه فائتفك ٥ وقرئ والمؤتفكات اهوى رفعها الى السماء
على جناح جبريل ثم اهواها الى الارض اي اسقطها فغشاها ما غشى تهويل وتعظيم لما صب
عليها من العذاب وامطر عليها من الصخر المنضود فبأي آلاء ربك تتمارى
تتشكك والخطاب لرسول الله او للانسان على الاطلاق وقد عدد نعماً ونقماً
وسماها كلها آلاء من قبل ما في نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين هذا
نذير من النذر الاولى اي انذار من جنس الانذارات الاولى التي
انذر بها من قبلكم ٥ او هذا الرسول منذر من المنذرين الاولين ٥ وقال
الاولى على تأويل الجماعة ازفت الآزفة قربت الموصوفة بالقرب في قوله اقتربت
الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اي مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو
او ليس لها نفس كاشفة اي قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها
او ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير ٥ وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف
كالعافية ٥ وقرأ طلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهي على الظالمين
ساءت الغاشية افمن هذا الحديث وهو القرآن تعجبون انكاراً وتضحكون استهزاءً
ولا تبكون والبكاء والخشوع حق عليكم ٥ وعن رسول الله صلعم انه لم ير ضاحكاً
بعد نزولها ٥ وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو وانتم سامدون شامخون
مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال بعضهم لجاريته اسمدي لنا اي غني
لنا فاسجدوا لله واعبدوا ولا تعبدوا الآلهة عن رسول الله صلى الله عليه
من قرأ سورة والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

انشقاق القمر من آيات رسول الله ومعجزاته النيرة عن انس ان الكفار سألوا رسول الله
آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود قال ابن عباس انفلق
فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر
وعن بعض الناس ان معناه ينشق يوم القيامة ٥ وقوله وان يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر يرده وكفى به راداً ٥ وفي قراءة حذيفة وقد انشق
القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول
اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة انه خطب بالمدائن ثم قال
الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم مستمر دائم
مطرد وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر لما رأوا
تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر ٥ وقيل مستمر
قوي محكم من قولهم استمر مريره ٥ وقيل هو من استمر الشيء اذا اشتدت
مرارته اي مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر ان نسيغه كما لا يساغ المر
الممقر ٥ وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلاً ٥
وكذبوا النبي واتبعوا اهواءهم وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد
ظهوره وكل امر مستقر اي كل امر لا بد ان يصير الى غاية يستقر عليها وان امر محمد
سيصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته ٥ او وكل
امر من امرهم مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة في الدنيا
وشقاوة او سعادة في الآخرة ٥ وقرئ بفتح القاف يعني كل امر ذو مستقر
اي ذو استقرار او ذو موضع استقرار او زمان استقرار ٥ وعن ابي جعفر مستقر
بكسر القاف والجر عطفاً على الساعة اي اقتربت الساعة ٥ واقترب كل امر
مستقر يستقر ويتبين حاله من الانباء من القرآن المودع انباء القرون
الخالية ٥ او انباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار مزدجر ازدجار
او موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه موضع للازدجار ومظنة له كقوله
لكم في رسول الله اسوة حسنة اي هو اسوة ٥ وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال
زاياً وادغام الزاي فيها حكمة بالغة بدل من ما او على هو حكمة ٥ وقرئ بالنصب

حال الأمر عما قال بلت. وإن كانت ما موصولة ساغ لك أن تنصب حكمة حالا فكيف تعمل لم كانت
موصوفة وهو الظاهر قلت تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها فما تغني النذر
نفي أو إنكار وما منصوبة أي فأي غناء تغني النذر فتول عنهم لعلمك أن الإنذار
لا يغني فيهم نصب يوم يدع الداع بيخرجون أو بإضمار اذكر وقرئ بإسقاط الياء
اكتفاء بالكسرة عنها والداعي إسرافيل أو جبريل كقوله ينادي المناد إلى شيء نكر
منكر فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة وقرئ
نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر خاشعا أبصارهم حال من الخارجين فعل للأبصار
وذكر كما تقول يخشع أبصارهم وقرئ خاشعة على يخشع أبصارهم وخشعا على
يخشعن أبصارهم وهي لغة من يقول أكلوني البراغيث وهم طيء ويجوز أن يكون
في خشعا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء
والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله وجدته حاضراه الجود والكرم
وخشوع الأبصار كناية عن الذلة والانزعاج لأن ذلة الذليل وعزة
العزيز تظهران في عيونهما وقرئ يخرجون من الأجداث من القبور كأنهم
جراد منتشر الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير
المائج بعضه في بعض جاؤوا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان
لكثرته مهطعين إلى الداع مسرعين مادي أعناقهم إليه أو ناظرين
إليه لا يقلعون بأبصارهم قال تعبدني نمر بن سعد وقد أرى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع
قبلهم قبل أهل مكة فكذبوا عبدنا يعني نوحا فإن قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد
قوله كذبت قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا أي كذبوه تكذيبا على عقب
تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح
الرسل فكذبوا عبدنا أي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا
كذبوا نوحا لأنه من جملة الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر وانتهروه بالشتم
والضرب والوعيد بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين وقيل إنه من جملة
قيلهم أي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه
وطارت بقلبه وقرئ إني بمعنى فدعا بأني مغلوب وإني على إرادة القول

فدعا فقال إني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من إجابتهم فانتصر
فانتقم لي منهم بعذاب تبعثه عليهم وإنما دعا بذلك بعد ما طم عليه الأمر وبلغ السيل
الزبى فقد روي أن الواحد من أمته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه
فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وقرئ ففتحنا مخففا ومشددا
وكذلك وفجرنا منهمر منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما وفجرنا الأرض
عيونا وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من وفجرنا عيون الأرض
ونظيره في النظم واشتعل الرأس شيبا فالتقى الماء يعني مياه السماء والأرض
وقرئ الماءان أي النوعان من الماء السماوي والأرضي وكذلك قولك عندي تمران
تريد ضربين من التمر برني ومعقلي قال لنا إبلان فيما علمتم وقرئ
الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان على أمر قد قدر على حال قدرها الله
كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهي أن قدر ما أنزل من
السماء كقدر ما أخرج من الأرض سواء بسواء وقيل على أمر قد قدر في اللوح
أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان على ذات ألواح ودسر أراد السفينة
وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها
بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد أراد
ولكن قميصي درع وكذلك ولو في عيون النازيات بأكرع أراد ولو
في عيون الجراد ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة أو بين الدرع
والجراد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر
جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره إذا دفعه لأنه يدسر به منفذه
جزاء مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أي فعلنا ذلك جزاء لمن كان كفر
وهو نوح عليه وجعله مكفورا لأن النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين فكان نوح عليه نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى أن رجلا
قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام قال أنت نعمة حمدت الله عليها
ويجوز أن يكون على تقدير حذف الجار وإيصال الفعل وقرئ قتادة كفر أي جزاء
للكافرين وقرأ الحسن جزاء أي مجازاة الضمير في تركناها للسفينة أو الفعلة

أي جعلناها آية يعتبر بها. وعن قتادة: أبقاها الله بأرض الجزيرة. وقيل: على الجودي
دهرا طويلا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة. والمدّكر: المعتبر. وقرئ: مذتكر
على الأصل، ومذّكر بقلب التاء ذالا وإدغام الذال فيها. وهذا نحو مدّجر.
والنذر: جمع نذير وهو الإنذار. ولقد يسّرنا القرآن للذكر: سهّلناه للادّكار
والاتعاظ بأن شحنّاه بالمواعظ الشافية، وصرّفنا فيه من الوعد والوعيد، فهل
من متّعظ. وقيل: ولقد سهّلناه للحفظ وأعنّا عليه من أراد حفظه، فهل من طالب
لحفظه ليعان عليه. ويجوز أن يكون المعنى: ولقد هيّأناه للذكر، من يسّر
ناقته للسفر إذا رحلها، ويسّر فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه.
وقمت إليه باللجام ميسّرا ... هنالك يجزيني الذي كنت أصنع. ويروى أن كتب
أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل لا يتلوها أهلها إلا نظرا، ولا يحفظونها ظاهرا
كما القرآن. ونذر: وإنذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله. أو: وإنذاراتي في
تعذيبهم لمن بعدهم. في يوم نحس: في يوم شؤم. وقرئ: في يوم نحسٍ، كقوله: في
أيام نحسات. مستمر: قد استمر عليهم ودام حتى أهلكهم. أو استمر عليهم جميعا
على كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة. وكان في أربعاء في آخر الشهر
لا تدور. ويجوز أن يريد بالمستمر: الشديد المرارة والبشاعة. تنزع الناس:
تقلعهم عن أماكنهم، كانوا يصطفّون آخذين بعضهم بأيدي بعض، ويتدخّلون في الشعاب
ويحفرون الحفر فيندسّون فيها، فتنزعهم وتكبّهم وتدقّ رقابهم. كأنهم أعجاز
نخل منقعر يعني أنهم كانوا يتساقطون على الأرض أمواتا وهم جثث طوال عظام،
كأنهم أعجاز نخل، وهي أصولها بلا فروع. منقعر: منقلع عن مغارسه. وقيل:
شبّهوا بأعجاز النخل لأن الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادا بلا رؤوس.
وذكّر صفة نخل على اللفظ، ولو حملها على المعنى لأنّث كما قال: أعجاز نخل خاوية.
أبشرا منا واحدا: نصب بفعل يفسّره نتّبعه. وقرئ: أبشرٌ منّا واحدٌ على
الابتداء، ونتّبعه خبره. والأول أوجه للاستفهام. كان يقول: إن لم تتّبعوني
كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران، جمع سعير، فعكسوا عليه فقالوا: إن اتّبعناك
كنّا إذن كما تقول. وقيل: الضلال: الخطأ والبعد عن الصواب، والسعر: الجنون، يقال: ناقة
مسعورة.

قال: كأنّ بها سعرا إذا العيس هزّها ... ذميلٌ وإرخاءٌ من السير متعب. فإن قلت:
كيف أنكروا أن يتّبعوا بشرا منهم واحدا؟ قلت: قالوا: أبشرا؟ إنكارا لأن
يتّبعوا مثلهم في الجنسية، وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر، وهم
الملائكة. وقالوا: منّا، لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى. وقالوا: واحدا،
إنكارا لأن تتّبع الأمة رجلا واحدا، أو أرادوا واحدا من أفنائهم ليس بأشرفهم
وأفضلهم، ويدل عليه قولهم: أألقي الذكر عليه من بيننا أي أأنزل عليه الوحي
من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة. أشر: بطر متكبّر، حمله
بطره وشطارته وطلبه التعظّم علينا على ادّعاء ذلك. سيعلمون غدا
عند نزول العذاب بهم، أو يوم القيامة من الكذّاب الأشر أصالح أم من كذّبه.
وقرئ: ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم، أو هو كلام الله على
سبيل الالتفات. وقرئ: الأشُر بضم الشين، كقولهم: حذُر وحذِر وحدُث وحدِث
وأخوات لها. وقرئ: الأشرّ وهو الأبلغ في الشرارة، والأخير والأشرّ
أصل قولهم: هو خير منه وشر منه، وهو أصل مرفوض. وقد حكى ابن الأنباري:
تقول العرب: هو أخير وأشرّ، وما أخيره وما أشرّه. مرسلو الناقة: باعثوها
ومخرجوها من الهضبة كما سألوا. فتنة لهم: امتحانا لهم وابتلاء. فارتقبهم
فانتظرهم وتبصّر ما هم صانعون. واصطبر على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري.
قسمة بينهم: مقسوم بينهم، لها شرب يوم ولهم شرب يوم، وإنما قال بينهم
تغليبا للعقلاء. محتضر: محضور لهم أو للناقة. وقيل: يحضرون الماء في نوبتهم
واللبن في نوبتها. صاحبهم: قدار بن سالف أحيمر ثمود. فتعاطى: فاجترأ على
تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له، فأحدث العقر بالناقة. وقيل: فتعاطى الناقة
فعقرها. أو فتعاطى السيف. صيحة واحدة: صيحة جبريل. والهشيم:
الشجر اليابس المتهشّم المتكسّر. والمحتظر: الذي يعمل الحظيرة، وما
يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطّؤه البهائم فيتحطّم ويتهشّم.
وقرأ الحسن بفتح الظاء، وهو موضع الاحتظار، أي الحظيرة. حاصبا: ريحا تحصبهم
بالحجارة، أي ترميهم. بسحر: بقطع من الليل، وهو السدس الأخير منه. وقيل: هما سحران

فالسحر على قبل انصداع الفجر ولما جرت عنه انصداعه وانشد ه
مررت بأعلى السحر بن تدأب ه وصرف لانه نكرة ويقال لقيته بسحر
اذا لقيته في سحر يومه نعمة من عندنا انعاما مفعول له من شكر نعمة الله بايمانه وطاعته
ولقد انذرهم لوط عليه السلم بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين
فطمسنا اعينهم فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق ه روي انهم
لما عالجوا الباب ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك
لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون
الى الباب حتى اخرجهم لوط فذوقوا فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة بكرة
أول النهار وباكرهم كقوله مشرقين ومصبحين ه وقرأ زيد بن علي بكرة غير
منصرفة تقول أتيته بكرة بالتنوين اذا اردت التنكير وبكرة وغدوة
اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته عذاب مستقر ثابت قد استقر
عليهم الى ان يفضي بهم الى عذاب الآخرة فان قلت ما فائدة تكرير قوله فذوقوا
عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قلت فائدته
ان يجددوا عند استماع كل نبأ من انباء الاولين ادكارا واتعاظا وان
يستأنفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وان يقرع
لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي
عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير لقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة
عدها في سورة الرحمن ه وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية اوردها
في سورة والمرسلات ه وكذلك تكرير الانباء والقصص في انفسها لتكون تلك
العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية في كل أوان
ه النذر موسى وهرون وغيرهما من الانبياء لانهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون
أو جمع نذير وهو الانذار كذبوا بآياتنا كلها يعني الآيات التسع اخذ عزيز لا يغالب مقتدر
لا يعجزه شيء أكفاركم يا اهل مكة خير من اولئكم الكفار المعدودين قوم نوح
وهود وصالح ولوط وآل فرعون اي اهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا
او اقل كفرا وعنادا يعني ان كفاركم مثل اولئك بل شر منهم ه ام لكم

عليكم يا اهل مكة براءة في الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب
الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة نحن جميع جماعة امرنا
مجتمع منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام ه وعن ابي جهل انه ضرب فرسه يوم بدر
فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فنزلت سيهزم الجمع
عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر اي جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلعم يثب
في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تأويلها ويولون الدبر اي الادبار كما قال
كلوا في بعض بطنكم ه وقرئ الادبار ادهى اشد وافظع والداهية اي الامر المنكر
الذي لا يهتدى لدوائه وامر من الهزيمة والقتل والأسر ه وقرئ سيهزم الجمع
في ضلال وسعر في هلاك ونيران ه او في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة مس
سقر كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا اصابتهم بحرها
ولحقتهم بايلامها فكأنها تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي
ويؤلم وذوقوا على ارادة القول ه وسقر علم لجهنم من سقرته النار
وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها
وعدم صرفها للتعريف والتأنيث كل شيء منصوب بفعل يفسره الظاهر ه وقرئ
كل شيء بالرفع ه والقدر والقدر التقدير ه وقرئ بهما اي خلقنا كل شيء مقدرا
محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة ه او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل
كونه قد علمنا حاله وزمانه وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين
كلمح بالبصر اراد قوله كن يعني انه اذا اراد تكوين شيء لم يلبث كونه اشياعكم
اشباهكم في الكفر من الامم في الزبر في دواوين الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال
ومن كل ما هو كائن مستطر مسطور في اللوح ونهر وانهار اكتفي باسم الجنس
وقيل هو السعة والضياء من النهار ه وقرئ بسكون الهاء ه ونهر جمع نهر كأسد
وأسد في مقعد صدق في مكان مرضي ه وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر
مقربين عند مليك مبهم امره في الملك والاقتدار فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته
فأي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه
مثل القمر ليلة البدر ه

سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل فيها مكي ومدني وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عدد الله عز وعلا آلاءه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه وأصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لأنه أعظم وحي الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره ثم أتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من أجله وكأن الغرض في إنشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير ٥ والرحمن مبتدأ وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه بحسبان بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب والنجم النبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له وأنهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده ٥ فإن قلت كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن قلت استغني فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له فإن قلت كيف أخل بالعاطف في الجمل الأول ثم جيء به بعد قلت بكت بتلك الجمل الأول واردة على سنن التعديد الذين أنكروا الرحمن وآلاءه كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف فإن قلت أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف قلت إن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين

القبيلين تناسب من حيث التقابل وأن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين وأن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر ٥ وقيل علم القرآن جعله علامة وآية ٥ وعن ابن عباس الإنسان آدم وعنه محمد صلى الله عليهما ٥ وعن مجاهد النجم نجوم السماء ٥ والسماء رفعها خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومتنزل أوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه ووضع الميزان وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان وأراد به كل ما يوزن به الأشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أي خلقه موضوعا مخفوضا على الأرض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم ألا تطغوا لئلا تطغوا أو هي أن المفسرة ٥ وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير أن على إرادة القول وأقيموا الوزن بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة ٥ وعن الحسن أن الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه وقرئ والسماء بالرفع ٥ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وأما الفتح فعلى أن الأصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل وضعها خفضها مدحوة على الماء للأنام للخلق وهو كل ما على ظهر الأرض من دابة ٥ وعن الحسن الإنس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فاكهة ضروب مما يتفكه به ٥ والأكمام كل ما يكم أي يغطي من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقيل الأكمام أوعية التمر الواحد كم بكسر الكاف والعصف ورق الزرع وقيل التبن ٥ والريحان الرزق وهو اللب أراد فيهما ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب ٥ وقرئ والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الأنعام

والريحان الذي هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم وفي مصاحف اهل الشام
والحبَّ ذا العصف والريحانَ اي وخلق الحب والريحان او واخص الحب والريحان
ويجوز ان يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه والخطاب في ربكما
للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان الصلصال الطين
اليابس له صلصلة والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلف
التنزيل في هذا وذلك قوله من حمإ مسنون من طين لازب من تراب قلت هو متفق
في المعنى ومفيد انه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا والجان
ابو الجن وقيل هو ابليس والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد
النار من مرج الشيء اذا اضطرب واختلط فان قلت فما معنى قوله من نار قلت
هو بيان لمارج كانه قيل من صاف من نار او مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة
كقوله فانذرتكم نارا تلظى وقرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا
من ربكما واراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما مرج البحرين ارسل
البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مرأى العين
بينهما برزخ حاجز من قدرة الله لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي احدهما
على الآخر بالممازجة وقرئ يخرج ويخرج من اخرج وخرج ويخرج اي الله
عز وجل اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج بالنون واللؤلؤ الدر والمرجان
هذا الخرز الاحمر وهو البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره
فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشيء الواحد
جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن
من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة
من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب الجوار السفن وقرئ
الجوارِ بحذف الياء ورفع الراء ونحوه لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان
والمنشآت المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهي الرافعات الشرع او اللاتي
ينشئن الامواج بجريهن والاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل عليها على الارض

وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين مكة يقولون
اين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان وذو الجلال والاكرام صفة الوجه
وقرأ عبد الله ذي على صفة ربك ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه
وعن افعالهم او الذي يقال له ما اجلك واكرمك او من عنده الجلال والاكرام
للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله ولقد قال رسول الله صلعم الظوا
بياذا الجلال والاكرام وعنه عليه السلام انه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال
والاكرام فقال قد استجيب لك فان قلت ما النعمة في ذلك قلت اعظم
النعمة وهو مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك كل من اهل السماوات والارض مفتقرون
اليه فيسأله اهل السماوات ما يتعلق بدينهم واهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم
كل يوم هو في شأن اي كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا كما روي
عن رسول الله صلعم انه تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه ان يغفر ذنبا
ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله
يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهي والاماتة و
الاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب
وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا وسأل بعض
الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام
له اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال
انا افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شأن الله انه يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا
ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير
ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شأن الله وعن عبد الله
بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث آيات دعوتك
لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم
هو في شأن وقد صح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وان ليس للانسان
الا ما سعى

فما بال الأضعاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون للذم توبة في تلك الأمم ويكون توبة
في هذه الأمة لأن الله خص هذه الأمة بخصائص لم يشاركهم فيها الأمم وقيل إن
ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وأما قوله وأن ليس للإنسان
إلا ما سعى فمعناه ليس له إلا ما سعى عدلا ولي أن أجزيه بواحدة ألفا فضلا وأما
قوله كل يوم هو في شأن فإنها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله
وقبل رأسه وسوغ خراجه سنفرغ لكم مستعار من قول الرجل لمن يتهدده
سأفرغ لك يريد سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل
سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد ستنتهي
الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي أرادها بقوله كل يوم
هو في شأن فلا يبقى إلا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل
وقرئ سيفرغ لكم أي الله تعالى وسأفرغ لكم وسنفرغ بالنون مفتوحا ومكسورا
وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء وفي قراءة أبي
سنفرغ إليكم بمعنى سنقصد إليكم والثقلان الإنس والجن سميا بذلك لأنهما ثقلا
الأرض يا معشر الجن والإنس كالترجمة لقوله أيها الثقلان إن استطعتم أن تهربوا
من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وأرضي فافعلوا ثم قال لا تقدرون
على النفوذ إلا بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك ونحوه وما أنتم
بمعجزين في الأرض ولا في السماء وروي أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق
فإذا رآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجها إلا وجدوا الملائكة أحاطت
به شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص
والنحاس الدخان وأنشد تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا
وقيل الصفر المذاب يصب على رؤوسهم وعن ابن عباس إذا خرجوا
من قبورهم ساقهم شواظ إلى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على
شواظ ومجرورا عطفا على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان
نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس أي ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما
شواظا من نار ونحاسا فلا تنتصران فلا تمتنعان وردة حمراء كالدهان

كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن أو اسم ما يدهن
به كالحزام والإدام قال كأنهما مزادتا متعجل فريان لما تدهنا بدهان
وقيل الدهان الأديم الأحمر وقرأ عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى فحصلت
سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله فلئن بقيت لأرحلن بغزوة
إنس بعض من الإنس ولا جان أريد ولا جن أي ولا بعض من الجن فوضع الجان الذي هو
أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وإنما وحد ضمير الإنس في قوله
عن ذنبه لكونه في معنى البعض والمعنى لا يسألون لأنهم يعرفون بسيما المجرمين
وهي سواد الوجوه وزرقة العيون فإن قلت هذا خلاف قوله فوربك لنسألنهم
أجمعين وقوله وقفوهم إنهم مسؤولون قلت ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون
في موطن ولا يسألون في آخر قال قتادة قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه
القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسأل عن ذنبه ليعلم
من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولا جأن
فرارا عن التقاء الساكنين وإن كان على حده فيؤخذ بالنواصي والأقدام عن الضحاك
يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة
تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالأقدام حميم آن ماء حار قد انتهى حره ونضجه
أي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل إذا استغاثوا من النار
جعل غياثهم الحميم وقيل إن واديا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار
فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه
وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون
ويطافون وفي قراءة عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان
فيها ولا تحييان يطوفون بينها ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب نجاة الناجي
منه برحمته وفضله وما في الإنذار به من اللطف مقام ربه موقفه الذي
يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه
لمن خاف مقامي ويجوز أن يراد بمقام ربه أن الله قائم عليه أي حافظ مهيمن
من قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصية

وقيل هو مقحم كما تقول اخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وانشد
ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين يريد ونفيت عنه الذئب فان قلت
لم قال جنتان قلت الخطاب للثقلين فكانه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف
الانسي وجنة للخائف الجني ويجوز ان يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك
المعاصي لان التكليف دائر عليهما وان يقال جنة يثاب بها واخرى تضم اليها
على وجه التفضل لقوله وزيادة خص الافنان بالذكر وهي الغصنة التي
تتشعب من فرع الشجرة لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها
تجتنى الثمار وقيل الافنان الوان النعم ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
قال ومن كل افنان اللذاذة والصبا لهوت به والعيش اخضر ناضر
عينان تجريان حيث شاءوا في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك
وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل زوجان
صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب متكئين نصب على المدح للخائفين
او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع بطائنها من استبرق من ديباج ثخين
واذا كانت البطائن من الاستبرق فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها
من سندس وقيل من نور دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم وقرئ وجنى
بكسر الجيم فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة
والفرش والجنى او في الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور ومجالس قاصرات
الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمث الانسيات
منهن احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن وهذا دليل على ان الجن يطمثون
كما يطمث الانس وقرئ لم يطمثهن بضم الميم قيل هن في صفاء الياقوت وبياض
المرجان وصغار الدر انصع بياضا قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى
مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء هل جزاء الاحسان
في العمل الا الاحسان في الثواب وعن محمد بن الحنفية هي مسجلة للبر والفاجر اي
مرسلة يعني ان كل من احسن احسن اليه وكل من اساء اسيء اليه ومن دونهما
ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين

مدهامتان قد ادهامتا من شدة الخضرة نضاختان فوارتان بالماء والنضخ
اكثر من النضح لان النضح غير معجمة مثل الرش فان قلت لم عطف النخل والرمان
على الفاكهة وهما منها قلت اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كانهما لما لهما من المزية
جنسان آخران كقوله وجبريل وميكال او لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان
فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رحمه الله اذا حلف لا ياكل
فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه خيرات خيرات فخففت
كقوله عليه السلام هينون لينون واما خير الذي هو بمعنى اخير فلا يقال فيه خيرون ولا
خيرات وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق مقصورات
قصرن في خدورهن يقال امراة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة وقيل
ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة قبلهم قبل اصحاب الجنتين دل عليهم ذكر
الجنتين متكئين نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط وقيل البسط
وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط
وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه والعبقري منسوب الى
عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب وقرئ رفارف
خضر بضمتين وعباقري كمدائني نسبة الى عباقر في اسم البلد وروى ابو
حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته فان قلت كيف تقاصرت
صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما قلت مدهامتان
دون ذواتا افنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة
وكذلك صفة الحور والمتكأ وقرئ ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وهي سبع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

وقعت الواقعة كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت
بالوقوع لانها تقع لا محالة فكانه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر
نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله فان قلت بم انتصب اذا

قلت بليس لقولك يوم الجمعة ليس لي شغل ۝ أو بمحذوف يعني إذا وقعت كان كيت
وكيت ۝ أو بإضمار اذكر كاذبة نفس كاذبة أي لا تكون حين تقع نفس تكذب
على الله وتكذب في تكذيب الغيب لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة
وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله
وحده لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ولا يزال الذين كفروا في مرية
منه حتى تأتيهم الساعة واللام مثلها في قوله يا ليتني قدمت لحياتي ۝ أو ليس
لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن
لها لن تكوني ۝ أو هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم إذا
شجعته على مباشرته وقالت له إنك تطيقه وما فوقه فتعرض له
ولا تبال به على معنى أنها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وأن لا نفس حينئذ
تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الأمور وتزين لها احتمالها وإطاقتها
لأنهم يومئذ أضعف من ذلك وأذل ألا ترى إلى قوله كالفراش المبثوث والفراش
مثل في الضعف ۝ وقيل كاذبة مصدر كالعافية بمعنى التكذيب من قولك حمل
على قرنه فما كذب أي فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما
حدثته به من إطاقته له وإقدامه عليه قال زهير إذا ما الليث كذب عن أقرانه
أي إذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد خافضة رافعة على هي خافضة
رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين إما وصفا لها بالشدة لأن الواقعات العظام
كذلك يرتفع فيها ناس إلى مراتب ويتضع ناس ۝ وإما أن الأشقياء يحطون إلى
الدركات والسعداء يرفعون إلى الدرجات ۝ وإما أنها تزلزل الأشياء وتزيلها
عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب
وتنكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب ۝ وقرئ خافضة رافعة بالنصب
على الحال رجت حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء
وبست الجبال وفتت حتى تعود كالسويق ۝ أو سيقت من بس الغنم إذا
ساقها كقوله وسيرت الجبال منبثا متفرقا ۝ وقرئ بالتاء أي منقطعا
وقرئ رجت وبست أي ارتجت وذهبت وفي كلام بنت الخس

عينها هاج وصلاها راج وهي تمشي وتفاج ۝ فإن قلت بم انتصب إذا رجت
قلت هو بدل من إذا وقعت ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أي تخفض وترفع
وقت رج الأرض وبس الجبال لأنه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض
أزواجا أصنافا يقال للأصناف التي بعضها مع بعض أو يذكر بعضها مع بعض أزواج
فأصحاب الميمنة أي الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم وأصحاب المشأمة الذين
يؤتونها بشمائلهم ۝ أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان
مني باليمين وفلان مني بالشمال إذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم
بالميامن وتشؤمهم بالشمائل ولتفؤلهم بالسانح وتطيرهم من البارح ولذلك
اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى ۝ وقيل أصحاب الميمنة
وأصحاب المشأمة أصحاب اليمن والشؤم لأن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم
والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم ۝ وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل
النار ذات الشمال والسابقون المخلصون الذين سبقوا إلى ما دعاهم الله إليه
وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله ۝ وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير
في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب و
رجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين
ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا
صاحب الشمال ۝ ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة تعجيب من حال الفريقين
في السعادة والشقاء والمعنى أي شيء هم والسابقون السابقون يريد و
السابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله عبد الله وقول أبي النجم
وشعري شعري كأنه قال وشعري ما انتهى إليك وسمعت بفصاحته وبراعته
وقد جعل السابقون تأكيدا وأولئك المقربون خبرا وليس بذاك ۝ ووقف
بعضهم على والسابقون وابتدأ السابقون أولئك المقربون ۝ والصواب أن يوقف
على الثاني لأنه تمام الجملة وهو في مقابلة ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة
المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش وأعليت
مراتبهم ۝ وقرئ في جنة النعيم والثلة الأمة من الناس الكثيرة

قال وجاءت إليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد ○ وقوله
وقليل من الآخرين كفى به دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو الكسر
كما أن الأمة من الأم وهو الشج كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى
أن السابقين كثير من الأولين وهم الأمم من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليهما
وقليل من الآخرين وهم أمة محمد ○ وقيل من الأولين من متقدمي هذه الأمة
ومن الآخرين من متأخريها ○ وعن النبي صلعم الثلتان جميعا من أمتي فإن قلت كيف قال
وقليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين قلت هذا في السابقين وذاك في أصحاب
اليمين وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعا فإن قلت فقد روي أنه
لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله يراجع ربه حتى نزلت ثلة من
الأولين وثلة من الآخرين قلت هذا لا يصح لأمرين أحدهما أن هذه الآية
واردة في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في أصحاب اليمين ألا ترى
كيف عطف أصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم ○ والثاني أن النسخ
في الأخبار غير جائز ○ وعن الحسن سابقو الأمم أكثر من سابقي أمتنا وتابعوا
الأمم مثل تابعي هذه الأمة ○ وثلة خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلة موضونة
مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كما توضن
حلق الدرع قال الأعشى ○ ومن نسج داود موضونة ○ وقيل متواصلة
أدني بعضها من بعض متكئين حال من الضمير في على وهو العامل فيها أي استقروا
عليها متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة
وتهذيب الأخلاق والآداب مخلدون مبقون أبدا على شكل الولدان وحد
الوصافة لا يتحولون عنه ○ وقيل مقرطون والخلدة القرط ○ وقيل
هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها
روي عن علي رضه وعن الحسن وفي الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة ○ الأكواب
أوان بلا عرى وخراطيم ○ والأباريق ذوات الخراطيم لا يصدعون
عنها أي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها أو لا يفرقون عنها ○ وقرأ
مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون

وينزفون أي لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرق بينهم يتخيرون يأخذون خيره
وأفضله يشتهون يتمنون ○ وقرئ ولحوم طير ○ قرئ وحور عين بالرفع
على وفيها حور عين كبيت الكتاب إلا رواكد جمرهن هباء ○ ومشجج أو للعطف
على ولدان ○ وبالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم في جنات
وفاكهة ولحم وحور أو على أكواب لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب
ينعمون بأكواب وبالنصب على ويؤتون حورا جزاء مفعول له أي يفعل بهم ذلك
كله جزاء بأعمالهم سلاما سلاما إما بدل من قيلا بدليل قوله لا يسمعون فيها
لغوا إلا سلاما ○ وإما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاما
سلاما والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام ○ وقرئ
سلام سلام على الحكاية ○ السدر شجر النبق ○ والمخضود الذي لا شوك له كأنما خضد
شوكه ○ وعن مجاهد الموقر الذي تثنى أغصانه كثرة حمله من خضد الغصن
إذا ثناه وهو رطب والطلح شجر الموز ○ وقيل هو شجر أم غيلان وله نوار
كثير طيب الرائحة ○ وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر
أحلى من العسل ○ وعن علي رضه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله
لها طلع نضيد فقيل أو نحولها فقال آي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول
وعن ابن عباس نحوه ○ والمنضود الذي نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه فليست
له ساق بارزة وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع
الفجر وطلوع الشمس مسكوب يسكب لهم أين شاؤوا وكيف شاؤوا لا يتعنون
فيه ○ وقيل دائم الجري لا ينقطع وقيل مصبوب يجري على الأرض في غير
أخدود وهي دائمة لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة
لا تمنع عن متناولها بوجه لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا ○ وقرئ
وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله وحور عين ○ و
فرش جمع فراش ○ وقرئ وفرش بالتخفيف مرفوعة نضدت حتى ارتفعت
أو مرفوعة على الأسرة ○ وقيل هي النساء لأن المرأة يكنى عنها
بالفراش مرفوعة على الأرائك قال الله تعالى هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك

متكئون ويدل عليه قوله إنا أنشأناهن وعلى التفسير الأول أضمر لهن لأن ذكر الفرش
وهي المضاجع دل عليهن (إنا أنشأناهن إنشاء) ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير
ولادة فإما أن يراد اللاتي ابتدئ إنشاؤهن أو اللاتي أعيد إنشاؤهن وعن رسول الله
صلى الله عليه أن أم سلمة سألته عن قول الله إنا أنشأناهن فقال يا أم سلمة
هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر
أترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا
فلما سمعت رسول الله عائشة ذلك قالت وا وجعا فقال رسول الله ليس هناك
وجع وقالت عجوز لرسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال إن الجنة
لا يدخلها العجائز فولت وهي تبكي فقال عليه السلم أخبروها أنها ليست يومئذ
بعجوز وقرأ الآية (عربا) وقرئ عربا بالتخفيف جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها
الحسنة التبعل (أترابا) مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن أيضا
كذلك وعن رسول الله صلعم يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين
أبناء ثلث وثلثين ۞ واللام في (لأصحاب اليمين) من صلة أنشأنا وجعلنا (في سموم)
في حر نار ينفذ في المسام (وحميم) وماء حار متناه في الحرارة (وظل من يحموم)
من دخان أسود بهيم (لا بارد ولا كريم) نفي لصفتي الظل عنه يريد أنه ظل
ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوي إليه
من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه ۞ والمعنى
أنه ظل حار ضار إلا أن للنفي في نحو هذا شأنا ليس للإثبات وفيه تهكم بأصحاب
المشأمة وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة
وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع أي لا هو كذلك ۞ (الحنث) الذنب العظيم ومنه
قولهم بلغ الغلام الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم ۞ ومنه حنث
في يمينه خلاف بر فيها ويقال تحنث إذا تأثم وتحرج (أو آباؤنا) دخلت همزة
الاستفهام على حرف العطف فإن قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير
تأكيد بنحن قلت حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما أشركنا ولا آباؤنا
لفصل لا المؤكدة للنفي ۞ وقرئ أو آباؤنا ۞ وقرئ لمجموعون (إلى ميقات يوم معلوم)

أي ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات
ما وقت به الشيء أي حد ومنه مواقيت الإحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها
من يريد دخول مكة إلا محرما (أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون بالبعث)
وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم (من شجر من زقوم) من الأولى لابتداء الغاية والثانية
لبيان الشجر وتفسيره وأنث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في قوله
منها وعليه ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وإنما ذكر
الثاني على تأويل الزقوم لأنه تفسيرها وهي في معناه (شرب الهيم) قرئ بالحركات الثلث
فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق أيام أكل وشرب بفتح الشين
وأما المكسور فبمعنى المشروب أي ما يشربه الهيم وهي الإبل التي بها الهيام
وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة
فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل
الهيم الرمال ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك
جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط
عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فإذا ملؤوا منه
البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم
فيشربونه شرب الهيم فإن قلت كيف صح عطف الشاربين على الشاربين و
هما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه قلت
ليستا بمتفقتين من حيث إن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع
الأمعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا
صفتين مختلفتين ۞ (النزل) الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه
تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب أليم ۞ وكقول أبي الشعر الضبي
وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
وقرئ نزلهم بالتخفيف (فلولا تصدقون) تحضيض على التصديق إما بالخلق لأنهم
وإن كانوا مصدقين به إلا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم
مكذبون به وإما بالبعث لأن من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا (ما تمنون)

ما تمنونه أي تقذفونه في الأرحام من النطف. وقرأ أبو السمال بفتح التاء، يقال أمنى النطفة ومناها، قال الله تعالى من نطفة إذا تمنى. تخلقونه تقدرونه وتصورونه. قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا، فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط. وقرئ قدرنا بالتخفيف. سبقته على الشيء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه، معنى قوله وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم أنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه. وأمثالكم جمع مثل، أي على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق، وعلى أن ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها، يعني أنا نقدر على الأمرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم، فكيف نعجز عن إعادتكم. ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل، أي على أن نبدل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم، وننشئكم في صفات لا تعلمونها. وقرئ النشأة والنشاءة. وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى. أفرأيتم ما تحرثون ما تحرثونه من الطعام أم تبذرون حبه وتعملون في الأرض. أأنتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمي إلى أن يبلغ الغاية. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت. قال أبو هريرة أرأيتم إلى قوله أفرأيتم الآية. والحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ، وهو ما صار هشيما وتحطم. فظلتم وقرئ بالكسر، وفظللتم على الأصل. تفكهون تعجبون. وعن الحسن تندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه، أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها. وقرئ تفكنون، ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء، فبينا هم إذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون أي يتندمون. إنا لمغرمون لملزمون غرامة ما أنفقنا، أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك. بل نحن قوم محرومون محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت، لو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا. وقرئ أئنا. الماء الذي تشربون يريد الماء العذب الصالح للشرب. والمزن السحاب الواحدة مزنة، وقيل هو السحاب الأبيض خاصة، وهو أعذب ماء.

أجاجا ملحا زعاقا لا يقدر على شربه. فإن قلت لم أدخلت اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه ها هنا؟ قلت إن لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعليق الجزاء بالشرط، ولم تكن مخلصة للشرط كإن ولا عاملة مثلها، وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث إفادتها في مضموني جملتيها أن الثاني امتنع لامتناع الأول، افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علما على هذا التعلق، فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك، فإذا حذفت بعدما صارت علما مشهورا مكانه، فلأن الشيء إذا علم وشهر موقعه وصار مألوفا ومأنوسا به لم يبال بإسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع. ألا ترى إلى ما يحكى عن رؤبة أنه كان يقول خير لمن قال له كيف أصبحت، فحذف الجار لعلم كل أحد بمكانه وتساوي حالتي حذفه وإثباته لشهرة أمره. وناهيك بقول أوس: حتى إذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا. وحذفه لم أر. فإذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى، فاستوى الموضعان بلا فرق بينهما، على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه. ويجوز أن يقال إن هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب، وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب، من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للمطعوم، ألا ترى أنك إنما تسقي ضيفك بعد أن تطعمه، ولو عكست قعدت تحت قول أبي العلاء: إذا سقيت ضيوف الناس محضا ... سقوا أضيافهم شبما زلالا. وسقى بعض العرب فقال أنا لا أشرب إلا على ثميلة، ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب. تورون تقدحونها وتستخرجونها من الزناد، والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر، ويسمون الأعلى الزند والأسفل الزندة، شبهوهما بالفحل والطروقة. شجرتها التي منها الزناد. تذكرة تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون ما أوعدوا به، أو جعلناها تذكرة وأنموذجا من جهنم، لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم.

ومقامًا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القوآء وهي القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام يقال أقوى بيت فلان أيامًا أي لم يأكل شيئًا فسبح باسم ربك فأحدث التسبيح بذكر اسم ربك أو أراد بالاسم الذكر أي بذكر ربك والعظيم صفة للمضاف أو للمضاف إليه والمعنى أنه لما ذكر ما دل على قدرته وإنعامه على عباده قال فأحدث التسبيح وهو أن تقول سبحان الله إما تنزيهًا له عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته وإما تعجبًا من أمرهم في غمط آلائه وأياديه الظاهرة وإما شكرًا لله على النعم التي عدها ونبه عليها فلا أقسم معناه فأقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وقرأ الحسن فلأقسم ومعناه فلأنا أقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدإ وخبر وهي أنا أقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدأ ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لأمرين أحدهما أن حقها أن تقرن بها النون المؤكدة والإخلال بها ضعيف قبيح والثاني أن لأفعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب أن يكون للحال بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالًا مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة أو لأنه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم أو أراد بمواقعها منازلها ومساريها وله في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض لأنه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله إنه لقرآن كريم واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم أوقات وقوع نجوم القرآن أي أوقات نزولها كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب أو نفاع جم المنافع أو كريم على الله في كتاب مكنون مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الأدناس أدناس الذنوب وما سواها إن جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وإن جعلته

صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي أن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس يعني مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القرآءة أيضًا وعن ابن عمر أحب إلي أن لا يقرأ إلا وهو طاهر وعن ابن عباس في رواية أنه كان يبيح القرآءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أي لا ينبغي له أن يظلمه أو يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون بالإدغام والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والإلهام تنزيل صفة رابعة للقرآن أي منزل من رب العالمين أو وصف بالمصدر لأنه نزل نجومًا من بين سائر كتب الله فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل أو هو تنزيل على حذف المبتدأ وقرئ تنزيلًا على نزل تنزيلًا أفبهذا الحديث يعني القرآن أنتم مدهنون أي متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونًا به وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون على حذف المضاف يعني وتجعلون شكر رزقكم التكذيب أي وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرأ علي رضي الله عنه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون وقيل هي قرآءة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل نزلت في الأنواء ونسبتهم السقيا إليها والرزق المطر يعني وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى النجوم وقرئ تكذبون وهو قولهم في القرآن سحر وشعر وافترآء وفي المطر هو من الأنواء ولأن كل مكذب بالحق كاذب ترتيب الآية فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح وفي أقرب إليه للمحتضر غير مدينين غير مربوبين من دان السلطان الرعية إذا ساسهم نحن أقرب إليه منكم يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا أو بملائكة الموت والمعنى أنكم في جحودكم أفعال الله وآياته في كل شيء إن أنزل عليكم كتابًا معجزًا قلتم سحر وافترآء وإن أرسل إليكم رسولًا صادقًا قلتم ساحر كذاب وإن رزقكم مطرًا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب

يؤدي إلى الإهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم
إن لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ
المعيد ۝ فأما إن كان المتوفى من المقربين من السابقين من الأزواج الثلاثة
المذكورة في أول السورة فروح فله استراحة ۝ وروت عائشة عن رسول الله صلعم
فروح بالضم ۝ وقرأ به الحسن وقال الروح الرحمة لأنها كالحياة للمرحوم
وقيل البقاء أي فهذان له معا وهو الخلود مع الرزق والنعيم ۝ والريحان الرزق
فسلام لك من أصحاب اليمين أي فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب
اليمين أي يسلمون عليك كقوله إلا قيلا سلاما سلاما فنزل من حميم كقوله هذا نزلهم
يوم الدين ۝ وقرئ بالتخفيف وتصلية جحيم قرئت بالرفع والجر عطفا على
نزل وحميم إن هذا الذي أنزل في هذه السورة لهو حق اليقين أي الحق الثابت
من اليقين عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الواقعة أبدا لم تصبه فاقة

سورة الحديد مكية تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع وكل واحد
منهما معناه أن من شأن ما أسند إليه التسبيح أن يسبحه وذلك هجيراه وديدنه
وقد عدي هذا الفعل باللام تارة وبنفسه أخرى في قوله وتسبحوه وأصله التعدي
بنفسه لأن معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح إذا ذهب وبعد
فاللام لا تخلو إما أن تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له وإما أن يراد بسبح
لله أحدث التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصا ما في السموات والأرض ما يتأتى
منه التسبيح ويصح فإن قلت ما محل يحيي قلت يجوز أن لا يكون له محل ويكون جملة
برأسها كقوله له ملك السموات ۝ وأن يكون مرفوعا على هو يحيي ومنصوبا حالا من
المجرور في له والجار عاملا فيها ومعناه يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيامة
ويميت الأحياء هو الأول هو القديم الذي كان قبل كل شيء والآخر الذي يبقى بعد
هلاك كل شيء والظاهر بالأدلة الدالة عليه والباطن لكونه غير مدرك بالحواس
فإن قلت فما معنى الواو قلت الواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين

الأولية والآخرية والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى
فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الأخريين فهو المستمر الوجود
في جميع الأوقات الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالأدلة
والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من جوز إدراكه في الآخرة بالحاسة
وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه إذا علاه وغلبه والباطن
الذي بطن كل شيء أي علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم مستخلفين فيه
يعني أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها وإنما مولكم وخولكم
الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست بأموالكم في الحقيقة وما أنتم
فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب فأنفقوا منها في حقوق الله وليهن عليكم الإنفاق
منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه ۝ أو جعلكم مستخلفين ممن
كان قبلكم فيما في أيديكم بتوريثه إياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم
وسينتقل منكم إلى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالإنفاق منها أنفسكم لا تؤمنون
حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما أي وما لكم
كافرين بالله ۝ والواو في والرسول يدعوكم واو الحال فهما حالان متداخلتان ۝ وقرئ
وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى وأي عذر لكم في ترك
الإيمان والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين
والحجج ۝ وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان حيث ركب فيكم العقول ونصب
لكم الأدلة ومكنكم من النظر وأزاح عللكم فإذ لم تبق لكم علة بعد
أدلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون إن كنتم مؤمنين لموجب ما فإن
هذا الموجب لا مزيد عليه ۝ وقرئ أخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل
ليخرجكم الله بآياته من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ۝ أو ليخرجكم الرسول بدعوته
لرؤوف وقرئ لرؤف أن لا تنفقوا أي لأن لا تنفقوا ولله ميراث السموات والأرض
يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لأحد من مال وغيره يعني وأي غرض لكم في ترك
الإنفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من أبلغ
البعث على الإنفاق في سبيل الله ۝ ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا يستوي

منكم من أنفق من قبل الفتح قبل فتح مكة قبل عز الإسلام وقوة أهله ودخول الناس في
دين الله أفواجا وقلة الحاجة إلى القتال والنفقة فيه ومن أنفق من بعد الفتح
فحذف لوضوح الدلالة أولئك الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الأولون
من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا
ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أعظم درجة وقرئ قبل الفتح وكلا وكل واحد
من الفريقين وعد الله الحسنى أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات
وقرئ بالرفع على وكل وعده الله. وقيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لأنه أول من أسلم
وأول من أنفق في سبيل الله. القرض الحسن الإنفاق في سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل
المجاز لأنه إذا أعطى ماله لوجهه فكأنه أقرضه إياه فيضاعفه له أي يعطيه
أجره على إنفاقه مضاعفا أضعافا من فضله وله أجر كريم أي وذلك الأجر
المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه. وقرئ فيضعّفه. وقرئ بالنصب
على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض أو على فهو يضاعفه يوم ترى ظرف
لقوله وله أجر كريم أو منصوب بإضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وإنما قال بين
أيديهم وبأيمانهم لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء
يؤتون من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية
لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا فإذا ذهب بهم
إلى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعي بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم
ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشراكم
اليوم. وقرئ ذلك الفوز يوم يقول بدل من يوم ترى انظرونا انتظرونا
لأنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة
أو انظروا إلينا فإنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور
بين أيديهم فيستضيئون به. وقرئ أنظرونا من النظرة وهي الإمهال جعل
اتئادهم في المضي إلى أن يلحقوا بهم إنظارا لهم نقتبس من نوركم نصب
منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا
نورا طردا لهم وتهكما بهم أي ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أعطينا هذا النور
أعطينا

فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس. أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل
سببه وهو الإيمان أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل
لكم إلى هذا النور وقد علموا أن لا نور وراءهم وإنما هو تخييب وإقناط لهم
فضرب بينهم بسور بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة وشق
النار قيل هو الأعراف له لذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه باطنه
باطن السور أو الباب وهو الشق الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره ما ظهر لأهل النار
من قبله من عنده ومن جهته العذاب وهو الظلمة والنار. وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه
فضرب بينهم على البناء للفاعل ينادونهم ألم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر
قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم محنتموها بالنفاق وأهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر
وارتبتم وغرتكم الأماني طول الآمال والطمع في امتداد الأعمار حتى جاء أمر الله
وهو الموت وغركم بالله الغرور وغركم الشيطان بأن الله عفو كريم
لا يعذبكم. وقرئ الغرور بالضم فدية ما يفتدى به هي مولاكم قيل هي أولى بكم
وأنشد قول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها
وحقيقته مولاكم محراكم ومقمنكم أي مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم
كما قيل هو مئنة للكرم أي مكان لقول القائل إنه لكريم. ويجوز أن يراد هي ناصركم
أي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البتات ونحوه قولهم أصيب فلان
بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله يعاتبون أبناءهم كالمهل. وقيل تتولاكم
كما توليتم في الدنيا أعمال أهل النار ألم يأن من أنى الأمر يأني إذا جاء أناه أي وقته
وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى أنى يأني والمآيان. قيل كانوا مجدبين
بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت
وعن ابن مسعود ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين
وعن ابن عباس أن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة
من نزول القرآن. وعن الحسن أما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤون من القرآن
أقل مما تقرؤون فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق. وعن أبي بكر رضي الله عنه
أن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا

فنظر إليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب ○ وقرئ نزل ○ ونُزِّل ○ وأنزل ○ ولا يكونوا
عطف على تخشع ○ وقرئ بالتاء على الالتفات ○ ويجوز أن يكون نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب
في قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك أن بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم
وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان
غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره ○ فإن قلت
ما معنى لذكر الله وما نزل من الحق قلت يجوز أن يراد بالذكر وبما نزل من الحق القرآن
لأنه جامع للأمرين للذكر والموعظة وأنه حق نازل من السماء وأن يراد خشوعها
إذا ذكر الله وإذا تلي القرآن كقوله إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت
عليهم آياته زادتهم إيمانا ○ أراد بالأمد الأجل كقوله إذا انتهى أمده ○ وقرئ
الأمد أي الوقت الأطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما
في الكتابين اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قيل هذا تمثيل لأثر الذكر في
القلوب وأنه يحييها كما تحيي الأرض الغيث ○ المصدقين المتصدقين ○ وقرئ
على الأصل والمصدقين من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين ○ فإن قلت
علام عطف قوله وأقرضوا قلت على معنى الفعل في المصدقين لأن اللام بمعنى الذين واسم
الفاعل بمعنى اصدقوا كأنه قيل إن الذين اصدقوا وأقرضوا ○ والقرض الحسن
أن يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة ○ وقرئ
يضعف ويضاعف بكسر العين أي يضاعف الله ○ يريد أن المؤمنين بالله ورسله
هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا
في سبيل الله لهم أجرهم ونورهم أي مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم
فإن قلت كيف يسوي بينهم في الأجر ولا بد من التفاوت قلت المعنى أن الله يعطي
المؤمنين أجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي أجرهم مع أضعافه أجر أولئك
ويجوز أن يكون والشهداء مبتدأ ولهم أجرهم خبره ○ أراد أن الدنيا ليست إلا
محقرات من الأمور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر وأما
الآخرة فما هي إلا أمور عظام وهي العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله
وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث

فاستوى واكتهل وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث
والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم
كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين ○ وقيل الكفار الزراع ○ وقرئ مصفارا ○
سابقوا سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم في المضمار إلى جنة عرضها كعرض السماء
والأرض قال السدي كعرض سبع السماوات وسبع الأرضين وذكر العرض دون الطول
لأن كل ما له عرض وطول فإن عرضه أقل من طوله فإذا وصف عرضه بالبسطة عرف
أن طوله أبسط وأمد ○ ويجوز أن يراد بالعرض البسطة كقوله فذو دعاء عريض
لما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة بعث عباده على المسارعة
إلى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول
الجنة ذلك الموعود من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء وهم المؤمنون
المصيبة في الأرض نحو الجدب وآفات الزروع والثمار وفي الأنفس نحو الأدواء والموت
في كتاب في اللوح من قبل أن نبرأها يعني الأنفس أو المصائب إن ذلك إن تقديره ذلك
وإثباته في كتاب على الله يسير وإن كان عسيرا على العباد ○ ثم علل ذلك وبين
الحكمة فيه فقال لكيلا تأسوا ولا تفرحوا يعني أنكم إذا علمتم أن كل شيء مقدر
مكتوب عند الله قل أساكم على الفائت وفرحكم على الآتي لأن من علم أن ما عنده
مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لأنه وطن نفسه على ذلك وكذلك من
علم أن بعض الخير واصل إليه وأن وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله
والله لا يحب كل مختال فخور لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال
وافتخر به وتكبر على الناس قرئ بما آتاكم وأتاكم من الإتيان ○ وفي
قراءة ابن مسعود بما أوتيتم ○ فإن قلت فلا أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به
ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج إلى ما يذهل
صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي
عن الشكر فأما الحزن الذي لا يكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله
والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال فخور
كأنه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي إذا رزقوا مالا

وحظا من الدنيا فلحبه لهم له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه
عن حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل
ويرغبوهم في الامساك ويزينوه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم
عند اصابته ومن يتول عن اوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الاسى
على الفائت والفرح بالآتي فان الله غني عنه وقرئ بالبخل وقرئ فان
الله الغني وهو في مصاحف اهل المدينة والشام كذلك لقد ارسلنا رسلنا
يعني الملائكة الى الانبياء بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب
اي الوحي والميزان روي ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك
يزنوا به وانزلنا الحديد قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد
السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر
والمسحاة وعن النبي صلو ان الله تعالى انزل اربع بركات من السماء الى الارض
انزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله
وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه واحكامه
فيه بأس شديد وهو القتال به ومنافع للناس في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم
فما من صناعة الا والحديد آلة فيها او ما يعمل بالحديد وليعلم الله من ينصره ورسله
باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة اعداء الدين بالغيب
غائبا عنهم قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي عزيز غني بقدرته
وعزته عن اعانتهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا
باستعمال الامر الى الثواب والكتاب والوحي وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال
كتب كتابا وكتابة فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر
الارسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم اي فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة
للفساق وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل والسكينة
فيمن رواهما بفتح الفاء لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب
وقرئ رآفة على فعالة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة
اصحاب رسول الله رحماء بينهم والرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة

في الدين مخلصين انفسهم للعبادة وذلك ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت
عيسى فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتتنوا
في دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف
فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ ورهبانية بالضم كأنها نسبة الى
الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر
تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعني واحدثوها من عند انفسهم
ونذروها ما كتبناها عليهم لم نفرضها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع
اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر
رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه فآتينا الذين آمنوا يريد اهل
الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى وكثير منهم فاسقون الذين لم يحافظوا على نذرهم
ويجوز ان يكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها صفة لها في محل النصب
اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم يعني وفقناهم
للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا ليبتغوا
بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على انه كتبها عليهم والزمها اياهم ليتخلصوا
من الفتن ويبتغوا بذلك رضا الله وثوابه فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن
بعضهم فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية اجرهم وكثير منهم فاسقون
وهم الذين لم يرعوها يا ايها الذين آمنوا يجوز ان يكون خطابا للذين آمنوا من اهل
الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فان كان خطابا لمؤمني اهل الكتاب فالمعنى يا ايها الذين
آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد يؤتكم الله كفلين اي نصيبين من رحمته لايمانكم
بمحمد وايمانكم بمن قبله ويجعل لكم يوم القيامة نورا تمشون به وهو النور
المذكور في قوله يسعى نورهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي لئلا يعلم
ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيدة ان لا يقدرون وان مخففة
من الثقيلة اصله انه لا يقدرون يعني ان الشأن لا يقدرون على شيء من فضل الله
اي لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا
برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان كان خطابا

لحبيبهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن
من اهل الكتاب من الكفلين في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل
اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله ٥ روي ان رسول الله
بعث جعفرا رضي الله عنه في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه
فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ائذن
لنا في الوفادة على رسول الله فاذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة
احد فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة استأذنوا رسول الله في ان يرجعوا ويقدموا
باموال لهم فآسوا بها المسلمين فانزل الله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم
ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله يؤتون اجرهم مرتين فخروا
على المسلمين وقالوا اما من آمن منا بكتابكم وكتابنا فله اجره مرتين واما من لم
يؤمن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت ٥ وروي ان مؤمني اهل
الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل
عليهم فنزلت ٥ وقرئ لكي يعلم ٥ ولكي لا يعلم ٥ وليعلم ٥ ولان يعلم
بادغام النون ٥ وليعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون في الياء ٥ وعن
الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ٥ ورواه قطرب بكسر اللام
وقيل في وجهها حذفت همزة ان وادغمت نونها في لام لا فصار للا ثم ابدلت
من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى ان اصل
لام الجر الفتح كما انشد ارید لانسی ذکرها ٥ وقرئ ان لا يقدروا بيد الله
بملكه وتصرفه ٥ واليد مثل يؤتيه من يشاء ولا يشاء الا ايتاء من يستحقه
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وهي ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قالت عائشة الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة
رسول الله صلعم في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع لها ٥ وعن عمر انه
كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها ٥ وقرئ تحاورك اي تراجعك

الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة
اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل
الميم مزيدة قال اسد بن ناعصة ، واصطليت الحروب في كل يوم باسل الشر
ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة
في الوجوه وسرورا في القلوب وهذا يدل على ان اليوم موصوف بعبوس
اهله بما صبروا بصبرهم على الايثار ٥ وعن ابن عباس ان الحسن والحسين
مرضا فعادهما رسول الله في ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك
فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام
فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث اصوع
من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها
بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد
مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة
فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا
الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة
ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين واقبلوا الى
رسول الله فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد
ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق
ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها
يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة فان قلت ما معنى ذكر
الحرير مع الجنة قلت المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدي اليه
من الجوع والعري بستانا فيه مأكل هنيء وحريرا فيه ملبس بهي ٥ يعني
ان هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد تؤذي ٥ وفي الحديث
هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر ٥ وقيل الزمهرير القمر ٥ وعن ثعلب
انه في لغة طيء وانشد ، وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر
والمعنى ان الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها

علام عطف ودانية قلت على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها
عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد
تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت
الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم كانه قيل وجزاهم جنة جامعين
فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع
على ان ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى
لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم ويجوز ان تجعل
متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز ان يكون ودانية
معطوفة على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا
جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا
فان قلت فعلام عطف وذللت قطوفها قلت هي اذا رفعت ودانية جملة فعلية
معطوفة على جملة ابتدائية واذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية اي تدنو
ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها او معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها
ومذللة قطوفها واذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها الا ترى
انك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا وتذليل القطوف ان تجعل ذللا
لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا او تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة من
قولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا قواريرا قواريرا قرئا غير منونين وبتنوين
الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من الف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني
لاتباعه الاول ومعنى قوارير من فضة انها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة
وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها فان قلت ما معنى كانت قلت هو من يكون
في قوله كن فيكون اي تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة
العجيبة الشان الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله
كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير
قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في
انفسهم ان تكون على مقادير واشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا

وقيل الضمير للطائفين بها دل عليه قوله ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها
على قدر الري وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز
وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه ان يكون
من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان اذا جعلك
قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤوا واطلق لهم ان يقدروا على حسب
ما اشتهوا سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه
قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريا مشورا
وقال المسيب بن علس وكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر
وسلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني انها في طعم
الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل
وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية
ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية
السلاسة وقيل سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتانيث وقد عزوا
الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان معناه سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره الا ان
يراد ان جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط شرا وذرى
حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو
مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل علي رضي الله عنه ابدع وفي
شعر بعض المحدثين سل سبيلا فيها الى راحة النفس براح كانها سلسبيل
عينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله
طعمه فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا
كاس عين او منصوبة على الاختصاص شبهوا في حسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم
في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المامون انه ليلة زفت اليه بوران
بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار
الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر فقال لله
در ابي نواس كانه ابصر هذا حيث يقول كان صغرى وكبرى من فقاقعها
حصباء در على ارض من الذهب

وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لأنه أحسن وأكثر ماء. وإذا رأيت
ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كأنه قيل وإذا أوجدت الرؤية
ثم ومعناه أن بصر الرائي أينما وقع لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير وملك
كبير. وثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة. ومن قال معناه ما ثم فقد أخطأ
لأن ثم صلة لما ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة. كبيرا واسعا وهنيئا.
يروى أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه
كما يرى أدناه. وقيل لا زوال له. وقيل إذا أرادوا شيئا كان. وقيل يسلم
عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم. قرئ عاليهم بالسكون على أنه مبتدأ خبره
ثياب سندس أي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس. وعاليهم بالنصب على أنه حال
من الضمير في يطوف عليهم أو في حسبتهم أي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم
ثياب. أو حسبتهم لؤلؤا عاليا ثيابهم. ويجوز أن يراد رأيت أهل نعيم
وملك عاليهم ثياب. وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك. وعليهم. وخضر وإستبرق
بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس. وقرئ وإستبرق نصبا في موضع الجر
على منع الصرف لأنه أعجمي وهو غلط لأنه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الإستبرق
إلا أن يزعم ابن محيصن أنه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب. وقرئ
واستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح
أيضا لأنه معرب مشهور تعريبه وأن أصله استبره. وحلوا عطف على
ويطوف عليهم. أساور ذكر هاهنا أن أساورهم من فضة وفي موضع آخر أنها
من ذهب. ولئن هب أنه قيل وحلوا أساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح
لا إشكال فيه على أنهم يسورون بالجنسين إما على المعاقبة وإما على الجمع كما تزاوج
نساء الدنيا بين أنواع الحلي وتجمع بينها وما أحسن بالمعصم أن يكون
فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة. شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا
لأن كونها رجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف. أو لأنه
لم يعصر فتمسه الأيدي الوضرة وتدوسه الأقدام الدنسة ولم يجعل
في الدنان والأباريق التي لم يعن بتنظيفها. أو لأنه لا يؤول إلى النجاسة

لأنه يترشح عن أبدانهم عرق مثل ريح المسك. أو يقال لأهل الجنة إن هذا
وهذا إشارة إلى ما تقدم من عطاء الله لهم ما جوزيتم به على أعمالكم وشكر به
سعيكم والشكر مجاز. تكرير الضمير بعد إيقاعه اسما لإن تأكيد على تأكيد
لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله أنه إذا كان هو المنزل له
لم يكن تنزيله على أي وجه نزل إلا حكمة وصوابا كأنه قيل ما نزل عليك القرآن
تنزيلا مفرقا منجما إلا أنا لا غيري وقد عرفتني حكيما فاعلا لكل ما أفعله
بدواعي الحكمة ولقد دعتني حكمة بالغة إلى أن أنزل عليك الأمر بالمكافة
والمصابرة وسأنزل عليك الأمر بالقتال والانتقام بعد حين. فاصبر لحكم ربك
الصادر عن الحكمة وتعليقه الأمور بالمصالح وتأخيره نصرتك على أعدائك
من أهل مكة. ولا تطع منهم أحدا قلة صبر منك على أذاهم وضجرا من تأخر
الظفر وكانوا مع إفراطهم في العداوة والإيذاء له ولمن معه يدعونه إلى أن
يرجع عن أمره ويبذلون له أموالهم وتزويج أكرم بناتهم إن أجابهم. فإن قلت
كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله آثما أو كفورا. قلت معناه ولا تطع
منهم راكبا لما هو إثم داعيا لك إليه أو فاعلا لما هو كفر داعيا لك إليه
لأنهم إما أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل هو إثم أو كفر أو غير إثم ولا كفر
فنهي أن يساعدهم على الاثنين دون الثالث. وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد
لأن عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لأنواع الفسوق وكان الوليد غاليا
في الكفر شديد الشكيمة في العتو. فإن قلت معنى أو ولا تطع أحدهما فهلا جيء بالواو
ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا. قلت لو قيل ولا تطعهما جاز أن يطيع أحدهما وإذا
قيل لا تطع أحدهما علم أن الناهي عن طاعة أحدهما عن طاعتهما جميعا أنهى كما إذا نهي
أن يقول لأبويه أف علم أنه منهي عن ضربهما على طريق الأولى. واذكر اسم
ربك بكرة وأصيلا ودم على صلاة الفجر والعصر. ومن الليل فاسجد له وبعض الليل
فصل له أو يعني صلاة المغرب والعشاء وأدخل من على الظرف للتبعيض كما
دخل على المفعول في قوله يغفر لكم من ذنوبكم. وسبحه ليلا طويلا وتهجد له
هزيعا طويلا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه. إن هؤلاء يحبون العاجلة

يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحيوة الدنيا ووراءهم قدامهم أو خلف ظهورهم لا يعبأون به يوما ثقيلا استعير الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت في السموات والأرض الأسر الربط والتوثيق ومنه أسر الرجل إذا أوثق بالقد وفرس مأسور الخلق وترس مأسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق ومجدولته وإذا شئنا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في شدة الأسر يعني النشأة الأخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه أن يجيء بإن لا بإذا كقوله وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم إن يشأ يذهبكم هذه إشارة إلى السورة أو إلى الآيات القريبة فمن شاء فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخاذ السبيل إلى الله عبارة عن التقرب إليه والتوسل بالطاعة وما تشاؤون الطاعة إلا أن يشاء الله بقسرهم عليها إن الله كان عليما بأحوالهم وما يكون منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ يشاؤون بالياء فإن قلت ما محل أن يشاء الله قلت النصب على الظرف وأصله إلا وقت مشيئة الله وكذلك قراءة ابن مسعود إلا ما يشاء الله لأن ما مع الفعل كأن معه يدخل من يشاء هم المؤمنون ونصب الظالمين بفعل يفسره أعد لهم نحو أوعد وكافأ وما أشبه ذلك وقرأ ابن مسعود وللظالمين أعد للظالمين وقرأ ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة والمرسلات مكية وهي خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح تخففا في امتثال أمره وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع في الأرض أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا إلى الأنبياء

عذرا للمحقين أو نذرا للمبطلين أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا أو بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله وبين من يكفر كقوله لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فألقين ذكرا إما عذرا للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها وإما إنذارا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك إلى الأنواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت فإن قلت ما معنى عرفا قلت متتابعة كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع إذا تألبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر وانتصابه على أنه مفعول له أي أرسلن للإحسان والمعروف والأول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر في نكر فإن قلت قد فسر المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون إرسالهم معروفا قلت إن لم يكن معروفا للكفار فإنه معروف للأنبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم فإن قلت ما العذر والنذر وبم انتصبا قلت هما مصدران من عذر إذا محا الإساءة ومن أنذر إذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز أن يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الإنذار أو بمعنى العاذر والمنذر وأما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الأولين أو على المفعول له وأما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين أو منذرين وقرئا مخففين ومثقلين إن الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم أن المعنى ورب المرسلات طمست محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز أن يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور فرجت فتحت فكانت أبوابا وفرج الفارج حتى باب الأمير المبهم نسفت كالحب إذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل أخذت بسرعة من أماكنها من انتسفت الشيء إذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت

وتبدل همزة. وقرئ أقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والأصل
الواو. ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة
على أممهم. والتأجيل من الأجل كالتوقيت من الوقت. لأي يوم أجلت
تعظيم لليوم وتعجيب من هوله. ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل وهو اليوم
الذي يفصل فيه بين الخلائق. والوجه أن يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها
الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة. وأجلت أخرت. فإن قلت كيف وقع
النكرة مبتدأ في قوله ويل يومئذ للمكذبين؟ قلت هو في أصله مصدر
منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات
الهلاك ودوامه للمدعو عليه. ونحوه سلام عليكم. ويجوز ويلا بالنصب ولكن
لم يقرأ به. يقال ويلا له وويلا كيلا. وقرأ قتادة نهلك بفتح النون
من هلكه بمعنى أهلكه. قال العجاج: ومهمه هالك من تعرجا.
ثم نتبعهم بالرفع على الاستئناف وهو وعيد لأهل مكة يريد ثم نفعل
بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين ونسلك بهم سبيلهم لأنهم
كذبوا مثل تكذيبهم. ويقويها قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم. وقرئ
بالجزم للعطف على نهلك ومعناه أنه أهلك الأولين من قوم نوح وعاد
وثمود ثم أتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى. كذلك مثل
ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من أجرم إنذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء
أثره. إلى قدر معلوم إلى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو
تسعة الأشهر أو ما دونها أو ما فوقها. فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا
فنعم القادرون فنعم المقدرون له نحن. أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون
عليه نحن. والأول أولى لقراءة من قرأ فقدرنا بالتشديد ولقوله من نطفة
خلقه فقدره. الكفات من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه وهو اسم
ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع. يقال هذا الباب جماع الأبواب
وبه انتصب أحياء وأمواتا كأنه قيل كافتة أحياء وأمواتا. أو
بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت. والمعنى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا

في بطنها. وقد استدل بعض أصحاب الشافعي به على قطع النباش بأن الله تعالى جعل الأرض
كفاتا للأموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز. فإن قلت
لم قيل أحياء وأمواتا على التنكير وهي كفات الأحياء والأموات جميعا؟ قلت
هو من تنكير التفخيم كأنه قال تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون على أن
أحياء الإنس وأمواتهم ليسوا بجميع الأحياء والأموات. ويجوز أن يكون المعنى تكفتكم
أحياء وأمواتا فينتصبا على الحال من الضمير لأنه قد علم أنها كفات الإنس. فإن قلت
فالتنكير في رواسي شامخات وماء فراتا؟ قلت يحتمل إفادة التبعيض
لأن في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد. وفيها ماء فرات أيضا بل هي
معدنه ومصبه. وأن يكون للتفخيم. أي يقال لهم انطلقوا إلى ما كنتم
به من العذاب تكذبون. وانطلقوا الثاني تكرير. وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي
إخبارا بعد الأمر عن عملهم بموجبه لأنهم مضطرون إليه لا يستطيعون امتناعا منه.
إلى ظل يعني دخان جهنم كقوله وظل من يحموم. ذي ثلاث شعب يتشعب
لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب.
وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها
ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش.
لا ظليل تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين. ولا يغني في محل
الجر أي وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا. بشرر وقرئ بشرار. كالقصر
أي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها. وقيل هو الغليظ من الشجر
الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر. وقرئ كالقصر بفتحتين وهي أعناق
الإبل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر. وقرأ ابن مسعود كالقصر
بمعنى القصور كرهن ورهن. وقرأ سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة
كحاجة وحوج. جمالات جمع جمال أو جمالة جمع جمل. شبهت بالقصور
ثم بالجمال لبيان التشبيه ألا تراهم يشبهون الإبل بالأفدان والمجادل
وقرئ جمالات بالضم وهي قلوس الجسور. وقيل قلوس سفن البحر الواحدة
جمالة. وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال. وجمالة بالضم وهي القلس

وقيل صُفر: إرادة الجنس، وقيل صُفر: سود تضرب إلى الصفرة، وفي شعر عمران
بن حطان الخارجي: دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم ... بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى
وقال أبو العلاء: حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ... ترمي بكل شرارة كطراف
فشبهها بالطراف وهو بيت الأدم في العظم والحمرة، وكأنه قصد بخبثه
أن يزيد على تشبيه القرآن، ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء في
صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين
على مكانها، ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كأنه جمالات صفر فإنه
بمنزلة قوله كبيت أحمر، وعلى أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها
من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء، وفي التشبيه بالجمالات
وهي القلوص تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة
فأبعد الله إغرابه في طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه. وقرئ بنصب
اليوم، ونصبه الأعمش أي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ، ويوم
القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في
وقت، ولذلك ورد الأمران في القرآن، أو جعل نطقهم كلا نطق لأنه لا ينفع
ولا يسمع. فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط في سلك النفي، والمعنى ولا يكون
لهم إذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا عن الإذن
ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة. جمعناكم والأولين كلام موضح لقوله هذا يوم
الفصل لأنه إذا كان يوم الفصل بين السعداء والأشقياء وبين الأنبياء وأممهم
فلا بد من جمع الأولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم. فإن كان لكم كيد فكيدون
تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة. كلوا واشربوا
في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال، أي هم مستقرون في ظلال مقولا
لهم ذلك. كلوا وتمتعوا حال من المكذبين، أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال
لهم كلوا وتمتعوا. فإن قلت: كيف يصح أن يقال لهم ذلك في الآخرة؟ قلت: يقال لهم ذلك
في الآخرة إيذانا بأنهم كانوا في الدنيا أحقاء بأن يقال لهم وكانوا من أهله، تذكيرا
بحالهم السمجة وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد
وفي طريقته قوله

أخوي لا تبعدا أبدا ... وبلى والله قد بعدا. ويريد كنتم أحقاء
في حياتكم بأن يدعى لكم بذلك، وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم
ما له إلا الأكل والتمتع أياما قلائل ثم البقاء في الهلاك، ويجوز أن يكون كلوا
وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا للمكذبين في الدنيا. اركعوا: اخشعوا
لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار
والنخوة، لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم. وقيل
ما كان على العرب أشد من الركوع والسجود. وقيل نزلت في ثقيف حين
أمرهم رسول الله بالصلاة فقالوا لا نجبي فإنها مسبة علينا، فقال صلى الله عليه
لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود. بعده: بعد القرآن، يعني أن القرآن
من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة، فحين لم يؤمنوا به
فبأي كتاب بعده يؤمنون. وقرئ تؤمنون بالتاء. عن رسول الله صلى الله عليه
من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين.

سورة عم يتساءلون مكية وتسمى سورة النبأ وهي أربعون أو إحدى وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم. عم: أصله عما على أنه حرف جر
دخل على ما الاستفهامية، وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر، قال:
على ما قام يشتمني لئيم ... كخنزير تمرغ في رماد. والاستعمال
الكثير على الحذف، والأصل قليل. ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن، كأنه
قال: عن أي شيء يتساءلون. ونحوه ما في قولك: زيد ما زيد، جعلته لانقطاع
قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه
وتفحص عن جوهره، كما تقول: ما الغول وما العنقاء، تريد أي شيء هو من
الأشياء. هذا أصله، ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى
عليه خافية. يتساءلون: يسأل بعضهم بعضا، أو يتساءلون غيرهم من رسول الله
والمؤمنين، نحو يتداعونهم ويتراءونهم، والضمير لأهل مكة، كانوا
يتساءلون فيما بينهم عن البعث، ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء.
عن النبأ العظيم بيان للشأن المفخم. وعن ابن كثير أنه قرأ عمه.

بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف واما ان يقف ويبتدئ
يتساءلون عن النبإ العظيم على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشيء
مبهم ثم يفسره فان قلت قد زعمت ان الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع
بقوله هم فيه مختلفون قلت كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك
وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسألون عنه اما المسلم
فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد استهزاء ● وقيل المتساءل
عنه القرآن ● وقيل نبوة محمد صلعم وقرئ يساءلون بالادغام وستعلمون بالتاء كلا
ردع للمتسائلين هزؤا وسيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان
ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه ● وتكرير الردع
مع الوعيد تشديد في ذلك ● ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ
من الاول واشد فان قلت كيف اتصل به قوله الم نجعل الارض مهادا قلت
لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة
الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع
كهذه الاختراعات او قيل لهم الم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم
لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى انه عابث في
كل ما فعل مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبي وهو
ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير ● او وصفت
بالمصدر ● او بمعنى ذات مهد ● اي ارسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد
سباتا موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة
والنوم احدى التوفيتين وهو على بناء الادواء ● ولما جعل النوم موتا جعل
اليقظة معاشا اي حياة في قوله وجعلنا النهار معاشا اي وقت معاش
تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم ● وقيل السبات الراحة
لباسا يستركم عن العيون اذا اردتم هربا من عدو ● او بياتا له او اخفاء
ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور ● وكم لظلام الليل عندك من يد
تخبر ان المانوية تكذب سبعا سبع سموات شدادا جمع شديدة

يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان وهاجا متلالئا وقادا
يعني الشمس وتوهجت النار اذا تلمظت فتوهجت بضوئها وحرها ● المعصرات
السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز
الزرع اذا حان له ان يجز ● ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض ●
وقرأ عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان ان يراد الرياح التي حان لها ان تعصر
السحاب ● وان يراد السحائب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى
من يده وبها واعطى بيده ● وعن مجاهد المعصرات ● وعن الحسن وقتادة
هي السموات وتأويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكأن السموات
يعصرن اي يحملن على العصر ويمكن منه فان قلت فما وجه من قرأ من المعصرات
وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح قلت الرياح
هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فيصح ان تجعل مبدأ للانزال ● وقد جاء
ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك فالانزال
منها ظاهر فان قلت ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات
والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت وجهه ان يريد
اللاتي اعصرن اي حان لها ان تعصر اي تغيث ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه
وثج بنفسه ● وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية
وصب دماء الهدي ● وكان ابن عباس مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام
ثجا في خطبته وقرأ الاعرج ثجاجا ومثاجج الماء مصابه والماء
ينثجج في الوادي حبا ونباتا يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير
وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا انعامكم والحب
ذو العصف والريحان الفافا ملتفة ولا واحد له كالاوزاع والاخياف
وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد انشدني الحسن بن علي
الطوسي ● جنة لف وعيش مغدق ● وندامى كلهم بيض زهر
وزعم ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم الفاف وما اظنه واجدا له نظيرا
من نحو خضر واخضار وحمر واحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد

لكان قولا وجيها. إن يوم الفصل كان ميقاتا كان في تقدير الله وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده أو حدا للخلائق ينتهون إليه. يوم ينفخ في الصور بدل من يوم الفصل أو عطف بيان فتأتون أفواجا من القبور إلى الموقف أمما كل أمة مع إمامهم. وقيل جماعات مختلفة. وعن معاذ رضي الله عنه أنه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم. فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمي فالذين يجورون في الحكم وأما الصم والبكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله من أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء. وفتحت بالتشديد كوفي وغيره بالتخفيف والمعنى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة فكأنها ليست إلا أبوابا مفتحة كقوله وفجرنا الأرض عيونا كأن كلها عيون تتفجر. وقيل الأبواب الطرق والمسالك أي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء. فكانت سرابا كقوله فكانت هباء منبثا يعني أنها تصير شيئا كلا شيء لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها. المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد والمعنى أن جهنم هي حد الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم أو هي مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم

عندها لأن مجازهم عليها وهي مآب للطاغين. وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لأهل الجنة. وقرأ ابن يعمر أن جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بأن جهنم كانت مرصادا للطاغين كأنه قيل كان ذلك لإقامة الجزاء. قرئ لابثين ولبثين واللبث أقوى لأن اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث إلا لمن شأنه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه. أحقابا حقبا بعد حقب تبعه آخر إلى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك ألا ترى إلى حقيبة الراكب والحقب الذي وراء التصدير. وقيل الحقب ثمانون سنة. ويجوز أن يراد لابثين فيها أحقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الأحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب. وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حقب عامنا إذا قل مطره وخيره وحقب فلان إذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين جحدين. وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا. وقيل البرد النوم وأنشد فلو شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا. وعن بعض العرب منع البرد البرد. وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق أي يسيل من صديدهم. وفاقا وصف بالمصدر أي ذا وفاق. وقرأ أبو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا. كذابا تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله. وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله أنبتكم من الأرض نباتا يعني وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا أو تنصبه بكذبوا لأنه يتضمن معنى كذبوا لأن كل مكذب بالحق كاذب ولم جعلته

معنى المكاذبة بمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا
بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين
فبينهم مكاذبة او لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب
في امر فيبلغ فيه اقصى جهده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب اي كذبوا
بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب فيقال
رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا
كذابا مفرطا كذبه وقرأ ابو السمال وكل شيء احصيناه بالرفع على الابتداء
كتابا مصدر في موضع احصاء او احصينا في معنى كتبنا لالتقاء الاحصاء و
الكتبة في معنى الضبط والتحصيل او يكون حالا في معنى مكتوبا في اللوح وفي
صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم لقوله احصاه الله ونسوه وهو
اعتراض وقوله فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات
وهي آية في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على ان ترك الزيادة
كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا
على ان الغضب قد تبالغ وعن النبي صلعم هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل
النار مفازا فوزا او ظفرا بالبغية او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك
او موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده حدائق بساتين فيها انواع
الشجر المثمر واعنابا الكروم وكواعب اللاتي فلكت ثديهن
اترابا لدات وكأسا دهاقا مترعة وادهق الحوض
ملأه حتى قال قطني وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف اي لا يكذب
بعضهم بعضا ولا يكذبه او لا يكاذبه وعن عمر انه قرأ بالتخفيف لا اثنين
جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كأنه قال جازى
المتقين بمفاز عطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء
حسابا صفة بمعنى كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي
وقيل على حسب اعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على ان الحساب
بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك وقرئ رب السموات والرحمن بالرفع

على هو رب السموات الرحمن او رب السموات مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون
خبره او هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثاني على انه
مبتدأ خبره لا يملكون او هو الرحمن لا يملكون والضمير في لا يملكون لاهل السموات
والارض اي ليس في ايديهم مما يخاطب به الله ويأمر به في امر الثواب والعقاب خطاب
واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه او لا يملكون ان
يخاطبوه بشيء من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب لهم ذلك
ويأذن لهم فيه ويوم يقوم متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون والمعنى ان الذين
هم افضل الخلائق واشرفهم واكثرهم طاعة واقربهم منه وهم الروح
والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات والارض
والروح اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين
وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا اعظم منه وقيل البشر
بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبرئيل هما شرطان ان يكون المتكلم منهم
مأذونا له في الكلام وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله ولا يشفعون
الا لمن ارتضى المرء هو الكافر لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر
وضع موضع الضمير لزيادة الذم ويعمي ما قدمت يداه من الشر لقوله وذوقوا
عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وتخصيصه بيوم القيامة عذاب الحريق
ذلك بما قدمت يداك بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز ان تكون
استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه او موصولة
منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف
وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن يا ليتني
كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم
فلم ابعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء
ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده
وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته
من طين عن رسول الله صلعم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

سورة النازعات مكية وهي خمس او ست واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا اغراقا في النزع اي تنزع من اقاصي الاجساد من اناملها واظفارها او اقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في اقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة ويوم ترجف منصوب بهذا المضمر والراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز ان تكون الرادفة من قوله تعالى عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيامة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك وان قلت ما محل تتبعها قلت الحال اي ترجف تابعتها الرادفة فان قلت كيف جعلت

اسم موضوع للاغراق كالسلام بمعنى التسليم اي مواضع اظفارها

يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى قلت المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة ويجوز ان ينتصب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب واجفة شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف اخوان خاشعة ذليلة فان قلت كيف جاز الابتداء بالنكرة قلت قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت كيف صح اضافة الابصار الى القلوب قلت معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت فان قلت ما حقيقة هذه الكلمة قلت يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه حفرا اذا اثر الاكال في اسناخها والخط المحفور في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهارك صائم ثم قيل لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اي الى طريقته وحالته الاولى قال

احافرة على صلع وشيب ... معاذ الله من سفه وعار

يريد ارجوعا الى الحافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهي الصفقة وقرأ ابو حيوة في الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه القراءة دليل على ان الحافرة في اصل الكلمة بمعنى المحفورة نخرة يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير واذا منصوب بمحذوف تقديره اذا كنا عظاما نردّ ونبعث كرة خاسرة منسوبة الى الخسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذن خاسرون لتكذيبنا

بما في هذين الشيئين أي منهم. فإن قلت: بم تعلق قوله فإنما هي زجرة واحدة؟ قلت:
بمحذوف معناه لا تستصعبوها فإنما هي زجرة واحدة، يعني لا تحسبوا تلك
الكرة صعبة على الله فإنها سهلة هينة في قدرته، فما هي إلا صيحة واحدة
يريد النفخة الثانية. فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتا
في جوفها، من قولهم: زجر البعير إذا صاح عليه. والساهرة: الأرض البيضاء
المستوية، سميت بذلك لأن السراب يجري فيها، من قولهم: عين ساهرة
جارية الماء، وفي ضدها نائمة. قال الأشعث بن قيس:
وساهرة يضحي السراب مجللا لأقطارها قد جبتها متلثما
أو لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة. وعن قتادة: فإذا هم في جهنم. اذهب على
إرادة القول. وفي قراءة عبد الله: أن اذهب، لأن في النداء معنى القول.
هل لك في كذا، وهل لك إلى كذا، كما تقول: هل ترغب فيه وهل ترغب إليه.
إلى أن تزكى: إلى أن تتطهر من الشرك. وقرأ أهل المدينة: تزكى بالإدغام.
وأهديك إلى ربك: وأرشدك إلى معرفة الله وأنبهك عليه فتعرفه
فتخشى، لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة. قال الله تعالى: إنما يخشى الله من عباده
العلماء، أي العلماء به. وذكر الخشية لأنها ملاك الأمر، من خشي الله
أتى منه كل خير، ومن أمن اجترأ على كل شر. ومنه قوله: من خاف أدلج
ومن أدلج بلغ المنزل. بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض
كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا؟ وأردفه الكلام الرفيق
ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه، كما أمر
بذلك في قوله: فقولا له قولا لينا. الآية الكبرى: قلب العصا حية لأنها
كانت المقدمة والأصل، والأخرى كالتبع لها لأنه كان يتقيها بيده فقيل
له: أدخل يدك في جيبك. أو أرادهما جميعا إلا أنه جعلهما واحدة لأن
الثانية كأنها من جملة الأولى لكونها تابعة لها. فكذب بموسى وبالآية
الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا. وعصى الله تعالى بعد ما علم صحة الأمر
وأن الطاعة قد وجبت عليه. ثم أدبر يسعى: أي لما رأى الثعبان أدبر

٤٢٧

فإن قلت: هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل: لا يعزب عنه
مثقال ذرة وأصغر وأكبر، وزيادة لا لتأكيد النفي، وعطف المفتوح
على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف، كأنه قيل: لا يعزب عنه مثقال
ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر؟ قلت: يأبى ذلك حرف الاستثناء،
إلا إذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل أن تكتب
في اللوح، لأن إثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب، على معنى أنه لا ينفصل
عن الغيب شيء ولا يزل عنه إلا مسطورا في اللوح. وقرئ: معجزين. واليم:
بالرفع والجر. وعن قتادة: الرجز سوء العذاب. ويرى في موضع الرفع، أي: ويعلم
أولو العلم، يعني أصحاب رسول الله ومن يطأ أعقابهم من أمته، أو علماء
أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الأحبار وعبد الله بن سلام. الذي أنزل
إليك الحق: هما مفعولان ليرى وهو فصل. ومن قرأ الحق بالرفع جعله مبتدأ
والحق خبرا، والجملة في موضع المفعول الثاني. وقيل: يرى في موضع النصب معطوف
على ليجزي، أي: وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علما لا يزاد
عليه في الإيقان، ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا. ويجوز أن يريد وليعلم
من لم يؤمن من الأحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما. الذين كفروا
قريش، قال بعضهم لبعض: هل ندلكم على رجل يعنون محمدا. ينبئكم: يحدثكم
بأعجوبة من الأعاجيب: أنكم تبعثون وتنشؤون خلقا جديدا بعد أن تكونوا
رفاتا وترابا، ويمزق أجسادكم البلى كل ممزق، أي: يفرقكم ويبدد
أجزاءكم كل تبديد. أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك
أم به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه. ثم قال سبحانه: ليس محمد
من الافتراء والجنون في شيء، وهو مبرأ منهما، بل هؤلاء القائلون الكافرون
بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم إليه من الضلال عن الحق
وهم غافلون عن ذلك، وذلك أجن الجنون وأشده إطباقا على عقولهم.
جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال، كأنهما كائنان في وقت
واحد، لأن الضلال لما كان العقاب من لوازمه وموجباته جعلا كأنهما في الحقيقة
مقترنان.

في آيات الله على أن الله قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به
وقرئ يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله أفترى على الله كذبا وبالنون
لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونها وقرأ الكسائي نخسف بهم
بالإدغام وليست بقوية يا جبال إما أن يكون بدلا من فضلا وإما من آتينا بتقدير
قولنا يا جبال أو قلنا يا جبال وقرئ أوبي وأوبي من التأويب والإياب أي
رجعي معه التسبيح أو ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لأنه إذا رجعه فقد
رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال أن الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة
فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع
وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها
وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا أن
ينتصب مفعولا معه وأن يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير فإن قلت
أي فرق بين هذا النظم وبين أن يقال وآتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه
والطير قلت كم بينهما ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى ومن الدلالة
على عزة الربوبية وكبرياء الإلهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء
الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا إشعارا
بأنه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت إلا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع
على إرادته وألنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه
بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده
لما أوتي من شدة القوة وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية
وهو أول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف
فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك
بني إسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في
داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته
فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا أنه
يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغني به

المسعودة المجيبة للتسابيح

وقرأ زيد بن علي ينبئكم فإن قلت قد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب
ألم تعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا فهل يجوز أن يكون
مكانا قلت نعم ومعناه ما حصل من الأموات في بطون الطير والسباع وما مرت
به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح فإن قلت
ما العامل في إذا قلت ما دل عليه إنكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره فإن قلت
الجديد فعيل بمعنى فاعل أم مفعول قلت هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد
فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده إذا
قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا
قالوا ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله إن رحمة الله قريب ونحو ذلك فإن قلت
لم أسقطت الهمزة في قوله أفترى دون قوله السحر وكلتاهما همزة وصل
قلت القياس الطرح ولكن أمرا اضطرهم إلى ترك إسقاطها في نحو السحر
وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام
فإن قلت ما معنى وصف الضلال بالبعيد قلت هو من الإسناد المجازي لأن البعيد
صفة الضال إذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان أضل فإن قلت
كان رسول الله صلعم مشهورا علما في قريش وكان إنباؤه بالبعث شائعا
عندهم فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا
عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في أمر مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك
الطنز والسخرية فأخرجوه مخرج التحلي ببعض الأحاجي التي يتحاجى بها
للضحك والتلهي متجاهلين به وبأمره أعموا فلم ينظروا إلى السماء
والأرض وأنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان
بهم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله
ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات
وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة إن في ذلك
النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله لآية ودلالة
لكل عبد منيب وهو الراجع إلى ربه المطيع له لأن المنيب لا يخلو من النظر

عن بيت المال وقلمه صنعة الدروع وقدر لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق
ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع واعملوا الضمير لداود وأهله
وسخرنا لسليمان الريح فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن
قرأ الرياح بالرفع غدوها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي
كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح
فيكون رواحه بكابل ويحكى أن بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه
بعض أصحاب سليمان نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من
إصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام إن شاء الله القطر النحاس
المذاب من القطران فإن قلت ماذا أراد بعين القطر قلت أراد بها معدن النحاس
ولكنه أساله كما ألان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه
عين القطر باسم ما آل إليه كما قال إني أراني أعصر خمرا وقيل كان يسيل ثلاثة
أيام بإذن ربه بأمره ومن يزغ منهم ومن يعدل عن أمرنا الذي أمرناه به
من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاغه وعذاب السعير عذاب الآخرة
عن ابن عباس وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى
عليه ضربه من حيث لا يراه الجني المحاريب المساكن والمجالس الشريفة
المصونة عن الابتذال سميت محاريب لأنه يحامى عليها ويذب عنها وقيل
هي المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل
في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا
نحو عبادتهم فإن قلت كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير قلت هذا
مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع لأنه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب
وعن أبي العالية لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرما ويجوز أن تكون غير
صور الحيوان كصور الأشجار وغيرها لأن التمثال كل ما صور على مثل
صورة غيره من حيوان وغير حيوان أو بصور محذوفة الرؤوس وروي
أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد
بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما والجوابي

الحياض الكبار قال تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق
لأن الماء يجبى فيها أي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة
كالدابة وقيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء
بالكسرة كقوله يوم يدع الداع راسيات ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها
لعظمها اعملوا آل داود حكاية ما قيل لآل داود وانتصب شكرا على
أنه مفعول له أي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل
على أن العبادة يجب أن تؤدى على طريق الشكر أو على الحال أي شاكرين
أو على تقدير اشكروا شكرا لأن اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث أن
العمل للمنعم شكر له ويجوز أن ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه أنا سخرنا
لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا على طريق المشاكلة والشكور
المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه
وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا والكثر أوقاته وعن ابن عباس من
يشكر على أحواله وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود أنه جزأ
ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من
آل داود قائم يصلي وعن عمر أنه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل
فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل إني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور
فأنا أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس أعلم من عمر وقرئ
فلما قضي عليه الموت دابة الأرض الأرضة وهي الدويبة التي يقال لها السرفة
والأرض فعلها فأضيفت إليه يقال أرضت الخشبة أرضا إذا أكلتها الأرضة
وقرئ بفتح الراء من أرضت الخشبة أرضا وهو من باب فعلته ففعل
كقولك أكلت القوادح الأسنان أكلا فأكلت أكلا والمنسأة العصا
لأنه ينسأ بها أي يطرد ويؤخر وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا
وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن إخراج الهمزة بين بين هو التخفيف
القياسي ومنساءة على مفعالة كما يقال في الميضأة ميضاءة وعن
سأته أي من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم

فحة ونحة. وقرئ: أكلت منسأته. «تبيّنت الجنّ» من تبيّن الشيء إذا ظهر وتجلّى، وأن مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال، كقولك: تبيّن زيد جهله. والظهور له في المعنى، أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب. أو علم الجن كلهم علماً بيّناً بعد التباس الأمر على عامتهم وضعفتهم وتوهّمهم أن كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب. أو علم المدّعون علم الغيب منهم عجزهم وأنهم لا يعلمون الغيب وإن كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم، وإنما أريد التهكم به كما تتهكم بمدّعي الباطل إذا دحضت حجته وظهر إبطاله بقولك: هل تبيّنت أنك مبطل، وأنت تعلم أنه لم يزل لك متبيّناً. وقرئ: تُبُيِّنَت الجن، على البناء للمفعول، على أن المتبيَّن في المعنى هو أن مع ما في صلتها لأنه بدل. وفي قراءة أبيّ: تبيّنت الإنس. وعن الضحاك: تباينت الإنس، بمعنى تعارفت وتعالمت. والضمير في كانوا للجن في قوله: ومن الجن من يعمل بين يديه، أي علمت الإنس أن لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا. وفي قراءة ابن مسعود: تبيّنت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب. روي أنه كان من عادة سليمان أن يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال، فلما دنا أجله لم يصبح إلا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله، فيسألها: لأي شيء أنت؟ فتقول: لكذا، حتى أصبح ذات يوم فرأى الخرّوبة فسألها، فقالت: نبتُّ لخراب هذا المسجد. فقال: ما كان الله ليخربه وأنا حيّ، أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس، فنزعها وغرسها في حائط له، وقال: اللهم عمّ على الجن موتي حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب، لأنهم كانوا يسترقون السمع ويموّهون على الإنس أنهم يعلمون الغيب. وقال لملك الموت: إذا أُمرت بي فأعلمني. فقال: أُمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة. فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب، فقام يصلي متكئاً على عصاه، فقبض روحه وهو متكئ عليها، وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلّى، فلم يكن شيطان ينظر إليه في صلاته إلا احترق، فمرّ به شيطان فلم يسمع صوته، ثم رجع فلم يسمع، فنظر فإذا سليمان قد خرّ ميتاً، ففتحوا عنه فإذا العصا قد أكلتها الأرضة، فأرادوا أن يعرفوا وقت موته

فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقداراً، فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة، وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حياً، فأيقن الناس أنهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة. وروي أن داود أسّس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام، فمات قبل أن يتمّه، فوصّى به إلى سليمان، فأمر الشياطين بإتمامه، فلما بقي من عمره سنة سأل أن يعمّى عليهم موته حتى يفرغوا منه، ولتبطل دعواهم علم الغيب. وروي أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه، فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها، فلم يجسر أحد بعد أن يدنو منه. وكان عمر سليمان ثلاثاً وخمسين سنة، ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فبقي في ملكه أربعين سنة، وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه. قرئ: لسبأ، بالصرف ومنعه، وقلب الهمزة ألفاً. و«مسكنهم» بفتح الكاف وكسرها، وهو موضع سكناهم، وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها، أو مسكن كل واحد منهم. وقرئ: مساكنهم. «جنّتان» بدل من آية، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: الآية جنتان. وفي الرفع معنى المدح، تدل عليه قراءة من قرأ: جنتين، بالنصب على المدح. فإن قلت: ما معنى كونهما آية؟ قلت: لم يجعل الجنتين في أنفسهما آية، وإنما جعل قصتهما وأن أهلهما أعرضوا عن شكر الله عليهما فخرّبهما، وأبدلهم عنهما الخمط والأثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتّعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم. ويجوز أن تجعلهما آية، أي علامة دالة على الله، وعلى قدرته وإحسانه ووجوب شكره. فإن قلت: كيف عظّم الله جنتي أهل سبأ وجعلهما آية، ورُبّ قرية من قريات العراق يحتفّ بها من الجنان ما شئت؟ قلت: لم يرد بستانين اثنين فحسب، وإنما أراد جماعتين من البساتين: جماعة عن يمين بلدهم، وأخرى عن شمالها، وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامّها كأنها جنة واحدة، كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها. أو أراد بستانَي كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله، كما قال: جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب. «كلوا من رزق ربكم» إما حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون إليهم، أو لما قال لهم لسان الحال، أو هم أحقاء

بان يقال لهم ذلك ۝ ولما قال كلوا من رزق ربكم واشكروا له اتبعه قوله **بلدة طيبة**
ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي
رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت اخصب
البلاد واطيبها تخرج المرأة وعلى راسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين
تلك الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة
وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ۝ وقرئ بلدة
طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح ۝ وعن ثعلب معناه اسكنوا واعبدوا العرم
الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين
بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على مقدار
ما يحتاجون اليه في سقيهم فلما طغوا ۝ وقيل بعث الله اليهم ثلثة عشر نبيا
يدعونهم الى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف
لله نعمة سلط على سدهم الخلد فنقبه من اسفله فغرقهم ۝ وقيل العرم
جمع عرمة وهي الحجارة المركومة ۝ ويقال للكدس من الطعام عرمة
والمراد المسناة التي عقدوها سكرا ۝ وقيل العرم اسم الوادي
وقيل العرم المطر الشديد ۝ وقرئ العرم بسكون الراء ۝ وعن الضحاك
كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام ۝ وقرئ اكل بالضم والسكون
وبالتنوين والاضافة والاكل الثمر ۝ والخمط شجر الاراك ۝ وعن ابي
عبيدة كل شجر ذي شوك ۝ وقال الزجاج كل نبت قد اخذ طعما من
مرارة حتى لا يمكن اكله والاثل شجر يشبه الطرفاء اعظم منه
واجود عودا ۝ ووجه من نون ان اصله ذواتي اكل اكل خمط
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ۝ او وصف الاكل بالخمط كانه
قيل ذواتي اكل بشع ومن اضاف وهو ابو عمرو وحده فلان اكل
الخمط في معنى البرير كانه قيل ذواتي برير ۝ والاثل والسدر
معطوفان على اكل لا على خمط لان الاثل لا اكل له ۝ وقرئ واثلا
وشيئا بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة

وفيه ضرب من التهكم ۝ وعن الحسن رحمة الله عليه قلل السدر لانه اكرم
ما بدلوا ۝ وقرئ وهل يجازى ۝ وهل نجازي بالنون وهل يجازي والفاعل الله
وحده وهل يجزى والمعنى ان مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر وهو
العقاب العاجل ۝ وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله
فيجازى بجميع ما يفعله من السوء ۝ ووجه آخر وهو ان الجزاء عام لكل مكافاة
يستعمل تارة في معنى المعاقبة واخرى في معنى الاثابة فلما استعمل
في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا والمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل
وهل نجازي الا الكفور بمعنى وهل نعاقب وهو الوجه الصحيح وليس
لقائل ان يقول لم قيل وهل نجازي الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء
والجزاء عام للكافر والمؤمن لانه لم يرد الجزاء العام انما اراد
الخاص وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك
لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكافر والمؤمن لم يسد كلاما
فتبين ان ما يتخيل من السؤال مضمحل وان الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء
عليه كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه **القرى التي باركنا**
فيها هي قرى الشام **قرى ظاهرة** متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي
ظاهرة لاعين الناظرين ۝ او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد
عن مسالكهم حتى تخفى عليهم **وقدرنا فيها السير** قيل كان الغادي منهم يقيل
في قرية والرائح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا
ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء **سيروا فيها** وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم
ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه فكانهم امروا بذلك واذن
لهم فيه **فان قلت** ما معنى قوله **ليالي واياما قلت** معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل
وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات ۝ او سيروا فيها
آمنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت اياما وليالي ۝ او
سيروا فيها لياليكم وايامكم مدة اعماركم فانكم في كل حين وزمان لا تلقون
فيها الا الامن **ربنا باعد بين اسفارنا** وبعد ۝ ويا ربنا على الدعاء
بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب

كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا
أبعد كان أجدر أن نشتهيه وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز
ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد فعجل الله لهم الإجابة ٥ وقرئ
ربنا بعد بين أسفارنا ٥ وبعد بين أسفارنا على النداء وإسناد الفعل
إلى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان ٥ وبوعد بين أسفارنا ٥ وقرئ
ربنا باعد بين أسفارنا ٥ وبين سفرنا ٥ وبعد برفع ربنا على الابتداء
والمعنى خلاف الأول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط
تنعمهم وترفههم كأنهم يتشاجرون على ربهم ويتحازنون عليه
أحاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم وفرقناهم تفريقا
اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا أيدي سبا وتفرقوا أيادي سبا
قال كثير أيادي سبا يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل بالعينين بعدك منظر
لحق غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان صبار
عن المعاصي شكور للنعم ٥ وقرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع إبليس ونصب
الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا ٥ ومن خفف فعلى صدق
في ظنه أو صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك ٥ وبنصب إبليس ورفع الظن
فمن شدد فعلى وجده ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق
حين خيله إغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على
صدق عليهم ظن إبليس ٥ ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة
في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ٥ ومعناه أنه حين وجد آدم ضعيف
العزم قد أصغى إلى وسوسته قال إن ذريته أضعف عزما منه فظن
بهم اتباعه وقال لأضلنهم لأغوينهم ٥ وقيل ظن ذلك عند إخبار الله
الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير في عليهم واتبعوه إما لأهل
سبا أو لبني آدم ٥ وقلل المؤمنين بقوله إلا فريقا لأنهم قليل بالإضافة
إلى الكفار كما قال لأحتنكن ذريته إلا قليلا ولا تجد أكثرهم شاكرين
وما كان له عليهم من سلطان من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء إلا
لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها

وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم ٥ وقرئ ليعلم على البناء للمفعول
حفيظ محافظ عليه ٥ وفعيل ومفاعل متآخيان قل لمشركي قومك ادعوا
الذين عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون
الله والتجئوا إليهم فيما يعروكم كما تلتجئون إليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم
ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم ثم أجاب عنهم بقوله
لا يملكون مثقال ذرة من خير أو شر أو نفع أو ضر في السماوات ولا في الأرض
وما لهم في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله ما أشهدتهم
خلق السماوات والأرض وما له منهم من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد
أنهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال الربوبية فكيف يصح
أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى فإن قلت أين مفعولا زعم قلت أحدهما
الضمير المحذوف الراجع منه إلى الموصول ٥ وأما الثاني فلا يخلو إما أن يكون
من دون الله أو لا يملكون ٥ أو محذوفا فلا يصح الأول لأن قولك هم من دون الله
لا يلتئم كلاما ولا الثاني لأنهم ما كانوا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة
عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي أن يكون محذوفا تقديره
وزعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع إلى الموصول كما حذف في قوله أهذا
الذي بعث الله استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لأنه موصوف
صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان
مفهوما فإذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين ٥ تقول الشفاعة
لزيد على معنى أنه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى أنه المشفوع
له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له
أن يكون على أحد هذين الوجهين أي لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له
من الشافعين ومطلقة له ٥ أو لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له
أي لشفيعه ٥ أو هي اللام الثانية في قولك أذن لزيد لعمرو أي لأجله
فكأنه قيل إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله وهذا وجه لطيف وهو
الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فإن قلت بم اتصل

قوله حتى إذا فزع عن قلوبهم ولأي شيء وقعت حتى غاية قلت بما فهم من
هذا الكلام من أن ثمة انتظاراً للإذن وتوقفاً وتمهلاً وفزعاً من
الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن لهم وأنه لا يطلق
الإذن إلا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز وجل
رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً يوم يقوم
الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً كأنه قيل
يتربصون ويتوقفون ملياً فزعين وهلين حتى إذا فزع عن قلوبهم أي
كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة
في إطلاق الإذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضاً ماذا قال ربكم قالوا
قال الحق أي القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى. وعن ابن عباس
عن النبي صلعم فإذا أذن لمن أذن أن يشفع فزعته الشفاعة. وقرئ أذن
له أي أذن له الله وأذن له على البناء للمفعول. وقرأ الحسن فزع مخففاً
بمعنى فزع. وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ أي نفي
الوجل عنها وأفني من قولهم فرغ الزاد إذا لم يبق منه شيء ثم ترك
ذكر الوجل وأسند إلى الجار والمجرور كما تقول دفع إلى زيد إذا علم المدفوع
وقد تخفف وأصله فرغ الوجل عنها أي انتفى عنها وفني ثم حذف
الفاعل وأسند إلى الجار والمجرور. وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى
انكشف عنها. وعن أبي علقمة أنه هاج به المرار فالتف عليه الناس
فلما أفاق قال ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا
عني والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب
اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء. وقرئ الحق بالرفع أي مقوله
الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي أن يتكلم
ذلك اليوم إلا بإذنه وأن يشفع إلا لمن ارتضى. أمره بأن يقررهم بقوله
من يرزقكم ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله يرزقكم قل
الله وذلك للإشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا

بملابسة الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد ألجم أفواههم
عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن
يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق
ألا ترى إلى قوله قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع و
الأبصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق إلا الضلال فكأنهم كانوا
يقرون بألسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عناداً أو ضراراً وحذاراً
من إلزام الحجة ونحوه قوله قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم
من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً. وأمره أن يقول لهم بعد
الإلزام والإلجام الذي إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه
وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ومعناه وإن أحد الفريقين من الذين
يتوحدون الرازق من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون
به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال وهذا
من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به
قد أنصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ
دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين
ولكن التعريض والتورية أوصل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة
شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق
مني ومنك وإن أحدنا لكاذب ومنه بيت حسان
أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء. فإن قلت
كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال قلت لأن صاحب الحق
كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه منغمس
في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه. وفي قراءة أبي وإنا أو
إياكم إما على هدى أو في ضلال مبين. هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه
من الأول حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين والعمل إلى المخاطبين
وإن أراد بالإجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر

الواو إما للحال وإما للعطف على
محذوف وهو من الشرط التي
لا يذكر جوابها ويكون للمبالغة و
الأول هو الوجه

والمعاصي العظام. وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله انه يدخل هؤلاء الجنة واولئك النار. فان قلت ما معنى قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم
قلت اراد بذلك ان يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على احالة القياس اليه والاشراك به. وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعدما كسره بابطال المقايسة كما قال ابرهيم اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم كأنه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده او هو ضمير الشأن كما في قوله قل هو الله احد. الا كافة للناس الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم. وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة. ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطأ لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين. قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو هاهنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فابدل منه اليوم. فان قلت فما تأويل من اضافه الى يوم او نصب يوما قلت اما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية. واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد اعني يوما واريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم. فان قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم قلت ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له

الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه. الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله. يروى ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفة رسول الله في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا. وقيل الذي بين يديه يوم القيامة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله او ان يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة. ثم اخبر عن عاقبة امرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسوله عليه السلام او للمخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب. والمستضعفون هم الاتباع والمستكبرون الرؤوس والمقدمون. اولي الاسم اعني نحن حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا انحن اجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين بعد اذ جاءكم بعد ان صممتم على الدخول في الايمان وصحت نياتكم في اختياره. بل انتم منعتم انفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى واطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا. فان قلت اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا اليها قلت قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان كما اضيف الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك اوان الحجاج امير وحين خرج زيد. لما انكر المستكبرون بقولهم انحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كأنهم

كقوله ما سارق الليل أهل الدار

قالوا إنا ما كان الإجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائباً ليلاً ونهاراً وحملكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد. ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه. أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي. وقرئ بل مكرٌ الليلَ والنهارَ بالتنوين ونصب الظرفين. وبل مكرُّ الليل والنهار بالرفع والنصب أي تكرّون الإغواء مكراً دائباً لا تفترون عنه. فإن قلت ما وجه الرفع والنصب قلت هو مبتدأ أو خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم أو مكركم سبب ذلك. والنصب على بل تكرّون الإغواء مكرّ الليل والنهار. فإن قلت لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا قلت لأن الذين استضعفوا مرّ أولاً كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريق الاستئناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الأول. فإن قلت من صاحب الضمير في وأسروا قلت الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله إذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين. في أعناق الذين كفروا أي في أعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الأغلال. وعن قتادة أسروا الكلام بذلك بينهم. وقيل أسروا الندامة أظهروها وهو من الأضداد. هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد والمفاخرة بما لهم وزخارف الدنيا والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله أهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم على أمر الدنيا واعتقدوا أنهم

لو لم يكونوا أكرم على الله لما رزقهم ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظراً إلى أحوالهم في الدنيا. وقد أبطل الله حسبانهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسّع على العاصي وضيّق على المطيع وربما عكس وربما وسّع عليهما وضيّق عليهما فلا ينقاس عليهما أمر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق. وقدر الرزق تضييقه. قال تعالى ومن قدر عليه رزقه. وقرئ يقدّر بالتشديد والتخفيف. أراد وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي تقربكم وذلك أن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث. ويجوز أن تكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها أي ليست أموالكم بتلك الموضوعة للتقريب. وقرئ باللاتي تقربكم لأنها جماعات. وقرئ بالذي يقربكم أي بالشيء الذي يقربكم. والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب أي تقربكم قربة كقوله أنبتكم من الأرض نباتاً. إلا من آمن استثناء من كم في تقربكم والمعنى أن الأموال لا تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والأولاد لا تقرب أحداً إلا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة. جزاء الضعف من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاءٌ الضعفَ ثم جزاءُ الضعف. ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشراً. وقرئ جزاءً الضعفُ فأولئك لهم الضعف جزاءً وجزاءٌ الضعفُ على أن يجازوا الضعف وجزاءٌ الضعفُ مرفوعان الضعف بدل من جزاء. وقرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفي الغرفة. فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه إما عاجلاً بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد وإما آجلاً بالثواب الذي كل خلف دونه. وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فإن الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه

فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر وابتلاء ولكن ما انفقتم
من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه
خير الرازقين واعلاهم رب العزة لان كل ما رزق غيره من سلطان
يرزق جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله
اجراه على ايدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التي بها ينتفع المرزوق
بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من
مشته لا يجد وواجد لا يشتهي ٥ هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع
للكفار وارد على المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جاره ٥ ونحوه
قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم سبحانه
كون الملائكة وعيسى منزهين براء مما وجه عليهم من السؤال الوارد
على طريق التقرير والغرض ان يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون
تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم اعظم وهوانهم الزم ويكون
اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه ٥ والموالاة
خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة
من الولي وهو القرب كما ان المعاداة من العدواء وهو البعد والولي
يقع على الموالي والموالى جميعا ٥ والمعنى انت الذي نواليه من دونهم
اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة
الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لان من كان على هذه الصفة
كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن يريدون الشياطين
حيث اطاعوهم في عبادة غير الله ٥ وقيل صورت لهم الشياطين صورة
قوم من الجن وقالوا هذه صورة الملائكة فاعبدوها ٥ وقيل كانوا
يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها ٥ وقرئ
نحشرهم ونقول بالنون والياء ٥ الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك
فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب
والمعاقب هو الله وكانت حالها خلاف حال الدنيا هي دار تكليف والناس فيها

مخلى بينهم يتضادون ويتنافعون والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو
ثم ذكر معاقبته الظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا معطوف على لا يملك
الاشارة الاولى الى رسول الله ٥ والثانية الى القرآن ٥ والثالثة الى الحق ٥ والحق امر
النبوة كله ودين الاسلام كما هو وفي قوله وقال الذين كفروا وفي ان
لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه
وما في لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب
شديد وتعجيب من امرهم بليغ كانه قال وقال اولئك الكفرة المتمردون
بجرأتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه
ان هذا الا سحر مبين فبتوا القضاء على انه سحر ثم بتوه على انه بين ظاهر
كل عاقل تامله سماه سحرا ٥ وما آتيناهم من كتب يدرسونها برهان على
صحة الشرك ولا ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا
كما قال تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون او
وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال
كتاب ولا بعثة رسول كما قال ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون
فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب
وان كانوا مبطلين نحن اهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله
ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين تقدموهم من الامم والقرون
الخالية كما كذبوا ٥ وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا اولئك من طول الاعمار وقوة
الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير
والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء
وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس او من درس الكتاب
ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس ٥ والمعشار
كالمرباع وهما العشر والربع فان قلت ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى
عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم قلت لما كان معنى قوله وكذب الذين من
قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل

مسببا عنه ونظيره أن يقول القائل أقدم فلان على الكفر فتفكر في محمد صلعم
ويجوز أن يتعطف على قوله ما بلغوا العشر لكن ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فيفضل عليه
فكيف كان نكير للمكذبين الأولين فليحذروا من مثله بواحدة بخصلة واحدة
وقد فسرها بقوله أن تقوموا على أنه عطف بيان لها وأراد بقيامهم إما
القيام عن مجلس رسول الله وتفرقهم عن مجتمعهم عنده وإما القيام الذي
لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمة
والمعنى إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا
لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا في أمر
محمد وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول
فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما
اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح
والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل
ونصفة من غير أن يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه وما
استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري أحوالهم والذي أوجب تفرقهم
مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع
من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الإنصاف ويكثر الاعتساف
ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب وأراهم بقوله ما بصاحبكم
من جنة أن هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى
لادعاء مثله إلا رجلان إما مجنون لا يبالي افتضاحه إذا طولب بالبرهان
فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب وإما عاقل راجح
العقل مرشح للنبوة مختار من أهل الدنيا لا يدعيه إلا بعد صحته
عنده بحجته وبرهانه وإلا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة
له عليه وقد علمتم أن محمدا ما به من جنة بل علمتموه أرجح قريش عقلا
وأرزنهم حلما وأثقبهم ذهنا وآصلهم رأيا وأصدقهم قولا وأنزههم
نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لأن تظنوا

الكلام وتحاورك أي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت
أخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فأبت فغضب
وكان به خفة ولمم فظاهر منها فأتت رسول الله فقالت إن أوسا تزوجني
وأنا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني أي كثر ولدي جعلني
عليه كأمه وروي أنها قالت إن لي صبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا
وإن ضممتهم إلي جاعوا فقال ما عندي في أمرك شيء وروي أنه قال لها حرمت
عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وإنما هو أبو ولدي وأحب الناس إلي
فقال حرمت عليه فقالت أشكو إلى الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله
حرمت عليه هتفت وشكت إلى الله فنزلت في زوجها في شأنه ومعناه إن الله
سميع بصير يصح أن يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر فإن قلت ما معنى قد في
قوله قد سمع قلت معناه التوقع لأن رسول الله والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع
الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها الذين يظاهرون منكم
في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لأنه كان من أيمان أهل جاهليتهم
خاصة دون سائر الأمم ما هن أمهاتهم وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية
والتميمية وفي قراءة ابن مسعود بأمهاتهم وزيادة الباء في لغة من ينصب
والمعنى أن من يقول لامرأته أنت علي كظهر أمي ملحق في كلامه هذا للزوج
بالأم وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين إن أمهاتهم إلا
اللائي ولدنهم يريد أن الأمهات على الحقيقة إنما هن الوالدات وغيرهن
ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات أمهات لأنهن لما أرضعن دخلن
بالرضاع في حكم الأمهات وكذلك أزواج رسول الله أمهات المؤمنين لأن الله حرم
نكاحهن على الأمة فدخلن بذلك في حكم الأمهات وأما الزوجات فأبعد شيء
من الأمومة لأنهن لسن بأمهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الأمهات فكان
قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره الأحكام الشرعية
وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق وإن الله لعفو غفور لما سلف منه إذا
تيب عنه ولم يعد إليه ثم قال والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا

قوله والذين كانت عادتهم استفاد هذا المعنى من قوله يظاهرون وانه يدل على الاستمرار والتكرير

يعني والذين كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالإسلام
ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد أن يحرر رقبة ثم يماس المظاهر منها
لا تحل له مماستها إلا بعد تقديم الكفارة ووجه آخر ثم يعودون لما قالوا
ثم يتداركون ما قالوا لأن المتدارك للأمر عائد إليه ومنه المثل عاد
غيث على ما أفسد أي تداركه بالإصلاح والمعنى أن تدارك هذا القول
وتلافيه بأن يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث
وهو أن يراد بما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه
نحو ما ذكرنا في قوله ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس
والمماسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس لشهوة أو نظر إلى فرجها لشهوة ذلكم
الحكم توعظون به لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا
بهذا الحكم حتى لا تعودوا إلى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه فإن قلت هل يصح الظهار بغير
هذا اللفظ قلت نعم إذا وضع مكان أنت عضوا منها يعبر به عن الجملة كالرأس والوجه
والرقبة والفرج أو مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر إليه من الأم كالبطن والفخذ
أو مكان الأم ذات رحم محرم منه من نسب أو رضاع أو صهر أو جماع نحو أن يقول
أنت علي كظهر أختي من الرضاع أو عمتي من النسب أو امرأة ابني أو أبي أو أم
امرأتي أو ابنتها فهو مظاهر وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وعن الحسن والنخعي
والزهري والأوزاعي والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي لا يكون الظهار
إلا بالأم وحدها وهو قول قتادة والشعبي وعن الشعبي لم ينس الله أن يذكر
البنات والأخوات والعمات والخالات إذ أخبر أن الظهار إنما يكون بالأمهات
الوالدات دون المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا فإن قلت فإذا
امتنع المظاهر من الكفارة هل للمرأة أن ترافعه قلت لها ذلك وعلى القاضي
أن يجبره على أن يكفر وأن يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس إلا كفارة
الظهار وحدها لأنه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم
إيفاء حقها فإن قلت فإن مس قبل أن يكفر قلت عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر
لما روي أن سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله ظاهرت من امرأتي

ثم أبصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه السلام استغفر ربك ولا تعد حتى
تكفر فإن قلت أي رقبة تجزئ في كفارة الظهار قلت المسلمة والكافرة جميعا
لأنها في الآية مطلقة وعند الشافعي لا تجزئ إلا المؤمنة لقوله في كفارة
القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزئ أم الولد والمدبر والمكاتب الذي أدى
شيئا فإن لم يؤد جاز وعند الشافعي لا يجوز فإن قلت فإن أعتق بعض الرقبة أو صام
بعض الصيام ثم مس قلت عليه أن يستأنف نهارا مس أو ليلا ناسيا أو عامدا عند
أبي حنيفة وعند أبي يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزئه وإن كان المس
يفسد الصوم استقبل وإلا بنى فإن قلت كم يعطي المسكين في الإطعام قلت نصف صاع
من بر أو صاعا من غيره عند أبي حنيفة وعند الشافعي مدا من طعام بلده الذي يقتات
فيه فإن قلت ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالإطعام كما ذكر عند الكفارتين
قلت اختلف في ذلك فعند أبي حنيفة أنه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب
تقديمها على المساس وإنما ترك ذكره عند الإطعام دلالة على أنه إذا وجد في خلال الإطعام
لم يستأنف كما يستأنف الصوم إذا وقع في خلاله وعند غيره لم يذكر للدلالة على أن التكفير
قبله وبعده سواء فإن قلت الضمير في لم يتماسا إلام يرجع قلت إلى ما دل عليه الكلام
من المظاهر والمظاهر منها ذلك البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها لتصدقوا بالله
ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره وترفضوا ما كنتم عليه في
جاهليتكم وتلك حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها ولا يعملون
عليها عذاب أليم يحادون يعادون ويشاقون كبتوا أخزوا وأهلكوا كما كبت
من قبلهم من أعداء الرسل قيل أريد كبتهم يوم الخندق وقد أنزلنا آيات بينات
تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين بهذه الآيات عذاب مهين
يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم منصوب بلهم أو بمهين أو بإضمار اذكر
تعظيما لليوم جميعا كلهم لا يترك منهم أحد غير مبعوث أو مجتمعين في حال واحدة
كما تقول حي جميع فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون
عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الأشهاد أحصاه الله
أحاط به عددا لم يفته منه شيء ونسوه لأنهم تهاونوا به حين ارتكبوه

لضراوتهم بالمعاصي وإنما تحفظ معظمات الأمور «ما يكون» من كان التامة وقرئ
بالياء والتاء والياء على أن النجوى تأنيثها غير حقيقي ومن فاصلة أو على أن المعنى ما يكون
شيء من النجوى والنجوى التناجي فلا تخلو إما أن تكون مضافة إلى ثلاثة أي من نجوى ثلاثة
نفر أو موصوفة بها أي من أهل نجوى ثلاثة فحذف الأهل أو جعلوا نجوى في أنفسهم
مبالغة كقوله خلصوا نجيا وقرأ ابن أبي عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال بإضمار
يتناجون لأن نجوى تدل عليه أو على تأويل نجوى بمتناجين ونصبهما من المستكن فيه
«فإن قلت» ما الداعي إلى تخصيص الثلاثة والخمسة «قلت» فيه وجهان أحدهما أن قوما
من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة
فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك ولا أدنى من عدديهم
ولا أكثر إلا والله معهم يسمع ما يقولون فقد روي عن ابن عباس أنها نزلت في ربيعة
وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم أترى
أن الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث إن كان يعلم
بعضا فهو يعلمه كله وصدق لأن من علم بعض الأشياء بغير سبب فقد علمها كلها
لأن كونه عالما بغير سبب ثابت مع كل معلوم والثاني أنه قصد أن يذكر ما جرت
عليه العادة من أعداد أهل النجوى والمتخالين للشورى والمندوبين لذلك ليسوا
بكل أحد وإنما هم طائفة مجتباة من أولي النهى والأحلام ورهط من أهل الرأي
والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا إلى خمسة إلى ستة إلى ما اقتضته
الحال وحكم به الاستصواب ألا ترى إلى عمر بن الخطاب كيف ترك الأمر شورى
بين ستة ولم يتجاوز بها إلى سابع فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا أدنى
من ذلك فدل على الاثنين والأربعة وقال ولا أكثر فدل على ما يلي هذا العدد
ويقاربه وفي مصحف عبد الله إلا الله رابعهم ولا أربعة إلا الله خامسهم
ولا خمسة إلا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا الله معهم إذا انتجوا
وقرئ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر بالنصب على أن لا لنفي الجنس ويجوز أن يكون
ولا أكثر بالرفع معطوفا على محل لا مع أدنى كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله بفتح الحول ورفع
القوة ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله وأن يكون

ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كأنه قيل ما يكون أدنى ولا أكثر إلا هو معهم ويجوز
أن يكونا مجرورين عطفا على نجوى كأنه قيل ما يكون من أدنى ولا أكثر إلا هو معهم وقرئ
ولا أكبر بالباء ومعنى كونه معهم أنه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكأنه
مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة وقرئ ثم ينبئهم
على التخفيف كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم
إذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيظوهم فنهاهم رسول الله فعادوا لمثل فعلهم وكان
تناجيهم بما هو إثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته وقرئ
ينتجون بالإثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول حيوك بما لم يحيك به الله
يعني أنهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام
على عباده الذين اصطفى ويا أيها الرسول ويا أيها النبي لولا يعذبنا الله بما نقول
كانوا يقولون ما له إن كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله تعالى
حسبهم جهنم عذابا يا أيها الذين آمنوا خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم
ويجوز أن يكون للمؤمنين أي إذا تناجيتم فلا تتشبهوا بأولئك في تناجيهم بالشر وتناجوا
بالبر والتقوى وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإن ذلك
يحزنه وروي دون الثالث وقرئ فلا تناجوا وعن ابن مسعود إذا انتجيتم
فلا تنتجوا إنما النجوى اللام إشارة إلى النجوى بالإثم والعدوان بدليل قوله ليحزن
الذين آمنوا والمعنى أن الشيطان يزينها لهم فكأنها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم
وليس الشيطان أو الحزن بضارهم شيئا إلا بإذن الله فإن قلت كيف لا يضرهم الشيطان
أو الحزن إلا بإذن الله قلت كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم
غلبوا وأن أقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان أو الحزن بذلك الموهم
إلا بإذن الله أي بمشيئته وهو أن يقضي الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة
وقرئ ليحزن وليحزن تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض
من قولهم افسح عني أي تنح ولا تتضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله
وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس
من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال وقرئ في المجالس

قيل كان الرجل يأتي الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة ٥ وقرئ في المجالس
بفتح اللام وهو الجلوس اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضاموا فيه يفسح الله لكم مطلق في كل ما يبتغي
الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك انشزوا انهضوا للتوسعة
على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله اذا امرتم بالنهوض عنه ولا تملّوا رسول الله بالارتكاز
فيه ٥ او انهضوا الى الصلوة والجهاد واعمال الخير اذا استنهضتم ولا تتثبطوا والفرط ما
يرفع الله المؤمنين بامتثال اوامره واوامر رسوله والعالمين منهم خاصة درجات ٥ بما تعملون
قرئ بالتاء والياء ٥ وعن عبد الله بن مسعود رض انه كان اذا قرأها قال يا ايها الناس افهموا
هذه الآية ولترغبكم في العلم ٥ وعن النبي صلعم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين
حضر الجواد المضمر سبعين سنة ٥ وعنه عم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر
على سائر الكواكب ٥ وعنه عم يشفع يوم القيامة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء
فاعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله ٥ وعن ابن عباس
خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه ٥ وقال عم
اوحى الله الى ابرهيم يا ابرهيم اني عليم احب كل عليم ٥ وعن بعض الحكماء ليت شعري
اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم ٥ وعن الاحنف كاد
العلماء يكونون اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير ٥ وعن الزبيري
العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال بين يدي نجويكم استعارة ممن له يدان والمعنى
قبل نجويكم كقول عمر من افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته
فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته ذلكم التقديم خير لكم
في دينكم واطهر لان الصدقة طهرة ٥ روي ان الناس اكثروا مناجاة رسول الله
بما يريدون حتى املوه وابرموه فاريد ان يكفوا عن ذلك فامروا بان من اراد
ان يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة ٥ قال علي رض لما نزلت دعاني رسول الله عم فقال ما تقول
في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما
راوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا اما الفقير فلعسرته واما الغني فلشحه
وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ ٥ وقيل ما كان الا ساعة من نهار ٥ وعن علي رض ان
في كتاب الله لآية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فصرفته

فكنت اذا ناجيته

فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سألهن رسول الله
وعن ابن عمر كان لعلي ثلث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه
فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى ٥ قال ابن عباس هي منسوخة
بالآية التي بعدها ٥ وقيل هي منسوخة بالزكوة ءاشفقتم اخفتم تقديم الصدقات
لما فيه من الانفاق الذي تكرهونه وان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء
فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم وتاب الله عليكم وعذركم ورخص لكم
في ان لا تفعلوه فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وسائر الطاعات بما تعملون وقرئ
بالتاء والياء ٥ كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله
من لعنه الله وغضب عليه ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين ما هم منكم
يا مسلمون ولا منهم ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء
ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذي هو
ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب بحت فان قلت فما فائدة قوله
وهم يعلمون قلت الكذب ان يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر
او لم يعلم فالمعنى انهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم
عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس ٥ وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق
يجالس رسول الله صلعم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله في حجرة من حجره
اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن
نبتل وكان ازرق فقال له النبي صلعم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله
ما فعل فقال عليه فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت
اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون يعني انهم
كانوا في الزمان الماضي المتطاول على سوء العمل مصرين عليه ٥ او هي حكاية ما يقال
لهم في الآخرة ٥ وقرئ ايمانهم بالكسر اي اتخذوا ايمانهم التي حلفوا بها ٥ او ايمانهم
الذي اظهروه جنة اي سترة يستترون بها من المؤمنين ومن قتلهم فصدوا
الناس في خلال امنهم وسلامتهم عن سبيل الله وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول
في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم وانما وعدهم الله العذاب المهين

المخزي لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب «من الله» من عذاب الله «شيئا» قليلا من الإغناء. روي أن رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا «فيحلفون له» تعالى على أنهم مسلمون في الآخرة «كما يحلفون لكم» في الدنيا على ذلك «ويحسبون أنهم على شيء» من النفع يعني ليس العجب من حلفهم لكم فإنكم بشر تخفى عليكم السرائر وأن لهم نفعا في ذلك دفعا عن أرواحهم واستجرارا لفوائد دنيوية وأنهم يفعلون في دار لا يضطرون فيها إلى علم ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار إلى علم ما أنذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونهم عليه وأن ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما ترى في هذه الآية وفي قوله والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ونحو حسبانهم أنهم على شيء من النفع إذ حلفوا استنباطهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبانهم أن الإيمان الظاهر مما ينفعهم وقيل عند ذلك تختم على أفواههم «ألا إنهم هم الكاذبون» يعني أنهم الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والآخرة «استحوذ عليهم» استولى عليهم من حاذ الحمار العانة إذا جمعها وساقها غالبا لها ومنه كان أحوذيا نسيج وحده وهو أحد ما جاء على الأصل نحو استصوب واستنوق أي ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه «فأنساهم» أن يذكروا الله أصلا لا بقلوبهم ولا بألسنتهم. قال أبو عبيدة حزب الشيطان جنده «في الأذلين» في جملة من هو أذل خلق الله لا ترى أحدا أذل منهم «كتب الله» في اللوح «لأغلبن أنا ورسلي» بالحجة والسيف أو بأحدهما «لا تجد قوما» من باب التخييل خيل أن من الممتنع المحال أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به أنه لا ينبغي أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله

ولو كانوا آباءهم وبقوله أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله فلا تجد شيئا أدخل في الإخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه بل هو الإخلاص بعينه «كتب في قلوبهم الإيمان» أثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم «وأيدهم بروح منه» بلطف من عنده حييت به قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للإيمان أي بروح من الإيمان على أنه في نفسه روح لحياة القلوب به. وعن الثوري أنه قال كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان. وعن عبد العزيز بن أبي رواد أنه لقيه المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها. وعن النبي صلعم أنه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فإني وجدت فيما أوحيت لا تجد قوما. وروي أنها نزلت في أبي بكر وذلك أن أبا قحافة سب رسول الله فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله أوفعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته. وقيل في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد. وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز وقال لرسول الله دعني أكن في الرعلة الأولى قال متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري. وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد. وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر. وفي علي وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر. عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة.

سورة الحشر مدنية أربع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

صالح بنو النضير رسول الله صلعم على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبا إلى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة الأنصاري فقتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أحب إلينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل

استعملوا رسول الله عشرة ايام ليتجهز والخروج فدسّ عبد الله بن ابي المنافق
واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم
لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف
الله الرعب في قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء
على ان يحمل كل ثلثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات
الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة
بالحيرة ٥ اللام في لاول الحشر تتعلق باخرج وهي اللام في قوله يا ليتني قدمت لحياتي
وقولك جئته لوقت كذا والمعنى اخرج الذين كفروا عند اول الحشر ومعنى اول الحشر
ان هذا اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج
من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام ٥ او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء
عمر اياهم من خيبر الى الشام ٥ وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لان المحشر
يكون بالشام ٥ وعن عكرمة من شك ان المحشر ها هنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية
وقيل معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله
ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم
وظنوا ان حصونهم تمنعهم من باس الله فاتاهم امر الله من حيث لم يحتسبوا من حيث
لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد اخيه وذلك
مما اضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمانينة بما قذف فيها
من الرعب والهمهم ان يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوا على انفسهم
وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن في حسبانهم
ومنه اتاهم الهلاك فان قلت اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم
وبين النظم الذي جاء عليه قلت في تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها
ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في
انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم
وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم ٥ وقرئ فآتاهم الله اي فآتاهم الهلاك
والرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه وقذفه اثباته وركزه ومنه

قالوا في صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه ٥ وقرئ يخربون
ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد
كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما اراد الله من استئصال شافتهم وان
لا تبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب و
الحجارة ليسدوا بها افواه الازقة وان لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين
وان ينقلوا معهم ما كان في ابنيتهم من جيد الخشب والساج المليح واما المؤمنون فداعيهم
ازالة متحصنهم ومتمنعهم وان يتسع لهم مجال الحرب فان قلت ما معنى تخريبهم لها
بايدي المؤمنين قلت لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم
اياه فاعتبروا بما دبر الله ويسر من امر اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال
وقيل وعد رسول الله المسلمين ان يورثهم الله ارضهم واموالهم بغير قتال
٥ فكان كما قال تعين لرسول الله فعزم على تطهير ارض المدينة منهم واراحة المسلمين من
جوارهم وتوريثهم اموالهم ٥ فلولا انه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه
الى اختياره انه اشق عليهم من الموت لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل باخوانهم بني قريظة
ولهم سواء اجلوا او قتلوا عذاب النار يعني ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب
الآخرة من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه قيل اي شيء قطعتم
وانث الضمير الراجع الى ما في قوله او تركتموها لانه في معنى اللينة واللينة النخلة
من الالوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما اجود النخيل ٥ وياؤها
عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة ٥ وقيل اللينة النخلة الكريمة كانهم اشتقوها
من اللين وانشد ذو الرمة كان قتودي فوقها عش طائر على لينة سوقاء تهفو جنوبها
وجمعها ليان ٥ وقرئ قوما على اصلها ٥ وفيه وجهان انه جمع اصل كرهن
ورهن ٥ او اكتفى فيه بالضمة عن الواو ٥ وقرئ قائما على اصوله ذهابا الى لفظ ما
فباذن الله فقطعها باذن الله وامره وليخزي الفاسقين وليذل اليهود ويغيظهم
اذن في قطعها وذلك ان رسول الله صلعم حين امر ان تقطع نخلهم وتحرق قالوا يا محمد
قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان في انفس المؤمنين
من ذلك شيء فنزلت يعني ان الله اذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة

اليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل واربعة اخماسها للغانمين ويروى ابو بكر رضي الله عنه ان النبي عليه [illegible] الغنيمة لمن شهد الوقعة
والخمس مقسوم على خمسة اسهم سهم للنبي عليه السلام وسهم لذوي القربى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل واما [illegible] الفيء فكان للنبي عليه
السلام [illegible] ان اربعة اخماسه [illegible] وخمسه لاهل الخمس [illegible] فكان جميع مال الفيء مقسوما على خمسة
وعشرين سهما احد وعشرون منها للنبي عليه السلام واربعة اسهم لذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
لقوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الآية فاضاف الفيء الى رسوله كما اضاف الغنيمة الى الغانمين [illegible]
يجب ان تقسم الفيء على خمسة اسهم كما ذكر في الغنيمة [illegible] خمس الغنيمة الذي كان للنبي عليه السلام من الخمس [illegible] الى المصالح
[illegible] اربعة اخماسه [illegible]

اذا رأيتموهم يتحكمون في اموالكم كيف احبوا ويتصرفون فيها ما شاؤوا ○ والفوا العطا
ان حصون الكفرة وديارهم لا باس ان يهدم ويحرق ويغرق وترمى بالمجانيق وكذلك
اشجارهم لا باس بقلعها مثمرة كانت او غير مثمرة ○ وعن ابن مسعود قطعوا منها
ما كان موضعا للقتال فان قلت لم خصت اللينة بالقطع قلت ان كانت من الالوان فليستبقوا
لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود اشد ○
وروى ان رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله
فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا قطعتها غيظا للكفار ○ وقد استدل
به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به
من يقول كل مجتهد مصيب افاء الله على رسوله جعله فيئا له خاصة ○ والايجاف
من الوجيف وهو السير السريع ○ ومنه قوله عليه السلام في الافاضة من عرفات ليس البر
بايجاف الخيل ولا ايضاع الابل على هينتكم ومعنى فما اوجفتم عليه فما اوجفتم على
تحصيله وتغنيمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه على ارجلكم
والمعنى ان ما خول الله رسوله من اموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة
ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في ايديهم كما كان يسلط رسله على اعدائهم فالامر
فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء يعني انه لا يقسمه قسمة الغنائم التي قوتل عليها
واخذت عنوة وقهرا وذلك انهم طلبوا القسمة فنزلت ○ لم يدخل العاطف
على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير اجنبية عنها بين لرسول الله ما يصنع
بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام
الخمسة ○ والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما يدول للانسان
اي يدور من الجد يقال دالت له الدولة وأديل لفلان ومعنى قوله كيلا
يكون دولة بين الاغنياء منكم كيلا يكون الفيء الذي حقه ان يعطى الفقراء ليكون
لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به ○ او كيلا يكون دولة
جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية ان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون
بالغنيمة لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عز بز
والمعنى كيلا يكون اخذه غلبة واثرة جاهلية ○ ومنه قول الحسن اتخذوا

عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم اخذه واستأثر به ○ وقيل الدولة
ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف يعني كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء
بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء ○ والدولة بالفتح بمعنى التداول اي كيلا يكون
ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء ○ وقرئ
دولة بالرفع على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة يعني كيلا تقع دولة جاهلية
ولينقطع اثرها ○ او كيلا يكون تداول له بينهم او كيلا يكون شيء متداول بينهم غير
مخرج الى الفقراء وما آتاكم الرسول من قسمة غنيمة او فيء فخذوه وما نهاكم
عن اخذه منها فانتهوا عنه ولا تتبعه انفسكم واتقوا الله ان تخالفوه وتتهاونوا باوامره
ونواهيه ان الله شديد العقاب لمن خالف رسوله والاجود ان يكون عاما في كل
ما اتى رسول الله ونهى عنه وامر الفيء داخل في عمومه ○ وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه لقي رجلا
محرما وعليه ثيابه فقال له انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ علي في هذا آية من كتاب
الله قال نعم فقرأها عليه للفقراء بدل من قوله لذي القربى والمعطوف عليه والذي منع
الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله ان الله عز وجل
اخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية
بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وعلا اولئك هم الصادقون
في ايمانهم وجهادهم والذين تبوؤوا معطوف على المهاجرين وهم الانصار فان قلت
ما معنى عطف الايمان على الدار ولا يقال تبوؤوا الايمان قلت معناه تبوؤوا الدار
واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا ○ او وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا
لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك ○ او اراد دار الهجرة
ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار
الايمان ووضع المضاف اليه مقامه ○ او سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان
ظهور الايمان بالايمان من قبلهم من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة
والايمان ○ وقيل من قبل هجرتهم ولا يجدون ولا يعلمون في انفسهم حاجة مما اوتوا
اي طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى
حاجة يقال خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته يعني ان نفوسهم لم تتبع

ما أعطوا ولم تطمح إلى شيء منه تحتاج إليه ﴿ولو كان بهم خصاصة﴾ أي خلة، وأصلها
خصاص البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال أي مفروضة خصاصتهم. وكان
رسول الله صلعم قسم أموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلثة نفر
محتاجين أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة
وقال لهم إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه
الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت
الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت.
الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة
على المنع كما قال: يمارس نفسا بين جنبيه كزة ... إذا هم بالمعروف قالت له مهلا
وقد أضيف إلى النفس لأنه غريزة فيها، وأما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله
وأحضرت الأنفس الشح ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ ومن غلب ما أمرته به نفسه
وخالفها بمعونة الله وتوفيقه ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الظافرون بما أرادوا
﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ عطف على المهاجرين وهم الذين
هاجروا من بعد، وقيل التابعون بإحسان ﴿غلا﴾ وقرئ غمرا وهما الحقد
﴿لإخوانهم﴾ الذين بينهم وبينهم أخوة الكفر ولأنهم كانوا يوالونهم ويؤاخونهم
وكانوا معهم على المؤمنين في السر ﴿ولا نطيع فيكم﴾ في قتالكم ﴿أحدا﴾ من رسول الله والمسلمين
إن حملنا عليه ﴿أو في خذلانكم وإخلاف ما وعدناكم من النصرة ﴿لكاذبون﴾ أي في مواعيدهم
لليهود، وفيه دليل على صحة النبوة لأنه إخبار بالغيب. فإن قلت كيف قيل ﴿ولئن
نصروهم﴾ بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم؟ قلت معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير
كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك، وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان
كيف يكون. والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود ليهزمن المنافقون
ثم لا ينصرون بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم
أو لينهزمن اليهود ثم لا تنفعهم نصرة المنافقين ﴿رهبة﴾ مصدر رهب
المبني للمفعول كأنه قيل أشد مرهوبية وقوله ﴿في صدورهم﴾ دلالة على نفاقهم
يعني أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم من الله

فإن قلت كأنهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم أشد؟ قلت معناه
أن رهبتهم في السر منكم أشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم، وكانوا يظهرون
لهم رهبة شديدة من الله. ويجوز أن يريد أن اليهود يخافونكم في صدورهم أشد
من خوفهم من الله لأنهم كانوا قوما أولي بأس ونجدة فكانوا يتشجعون لهم مع إضمار
الخيفة في صدورهم ﴿لا يفقهون﴾ لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته
﴿لا يقاتلونكم﴾ لا يقدرون على قتالكم ﴿جميعا﴾ مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين
إلا كائنين ﴿في قرى محصنة﴾ بالخنادق والدروب ﴿أو من وراء جدر﴾ دون أن يصحروا
لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب في قلوبهم وأن تأييد الله ونصرته معكم. وقرئ
جدر بالتخفيف وجدار وجدر وجدر وهما الجدار ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ يعني
أن البأس الشديد الذي يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم
ذلك البأس والشدة لأن الشجاع يجبن والعز يذل عند محاربة الله ورسوله
﴿تحسبهم جميعا﴾ مجتمعين ذوي ألفة واتحاد ﴿وقلوبهم شتى﴾ متفرقة لا ألفة بينها
يعني أن بينهم إحنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس
واحدة، وهذا تخسيس للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم ﴿قوم لا يعقلون﴾ أن
تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم ﴿كمثل الذين من قبلهم﴾
أي مثلهم كمثل أهل بدر في زمان قريب. فإن قلت بم انتصب قريبا؟ قلت بمثل على
لوجود مثل أهل بدر قريبا ﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم
لرسول الله من قولهم كلأ وبيل وخيم سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل
في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار. ﴿مثل المنافقين﴾ في إغرائهم اليهود
على القتال ووعدهم إياهم النصر ثم متاركتهم لهم وإخلافهم ﴿كمثل الشيطان﴾
إذا استغوى الإنسان بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة والمراد استغواؤه
قريشا يوم بدر وقوله لهم ﴿لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم﴾ إلى قوله
﴿إني بريء منكم﴾ وقرأ ابن مسعود خالدان فيها على أنه خبر أن وفي النار لغو
وعلى القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال. وقرئ أنا بريء
وعاقبتهما بالرفع. كرر الأمر بالتقوى تأكيدا أو اتقوا الله في أداء الواجبات

لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه جار مجرى الوعيد والغد
يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل يقربه
حتى جعله كالغد ونحوه قوله كأن لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي
وقيل عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد فان قلت ما معنى
تنكير النفس والغد قلت اما تنكير النفس فاستقلال للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة
كأنه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام
امره كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب
الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا نسوا الله نسوا حقه
فجعلهم ناسين حق انفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده او فاراهم
يوم القيامة من الاهوال ما نسوا فيه انفسهم كقوله لا يرتد اليهم طرفهم هذا تنبيه
للناس وايذان بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم
على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة
والنار والبون العظيم بين اصحابهما وان الفوز مع اصحاب الجنة فمن حقهم
ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة
من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف
وقد استدل اصحاب الشافعي بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان
الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر هذا تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا
الامانة وقد دل عليه قوله وتلك الامثال نضربها للناس والغرض توبيخ الانسان
على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره
وقرئ مصدعا على الادغام وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل والى امثاله
في مواضع من التنزيل الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كأنه
يشاهده وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية
وقيل الدنيا والآخرة القدوس بالضم والفتح وقد قرئ بهما البليغ في النزاهة
عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة
والروح والسلام بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة

في وصف كونه سليما من النقائص او في اعطائه السلامة والمؤمن واهب الامن
وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول في قوم موسى من قوله واختار
موسى قومه المختارون بلفظ صفة السبعين والمهيمن الرقيب على كل شيء الحافظ له
مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء والجبار القاهر الذي جبر خلقه
على ما اراد اي اجبره والمتكبر البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن
ظلم عباده والخالق المقدر لما يوجده والبارئ المميز بعضه من بعض بالاشكال
المختلفة والمصور الممثل وعن حاطب بن ابي بلتعة انه قرأ البارئ
المصور بفتح الواو ونصب الراء اي الذي يبرأ المصور اي يميز ما يصوره بتفاوت
الهيئات وعن ابن مسعود وما في الارض عن ابي هريرة رضي سألت حبيبي صلى الله عليه
عن اسم الله الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فاكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد
علي فاعدت عليه فاعاد علي عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الحشر
غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة اتت رسول الله
صلى الله عليه بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت قالت لا قال افمهاجرة
جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت
الموالي تعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بني عبد
المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها
عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته
من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه يريدكم
فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله عليه
عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا
وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب
الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها

بحجت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله
وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب او تضعي رأسك فاخرجته من عقاص شعرها
وروي ان رسول الله آمن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم ۞ فاستحضر رسول
الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك
منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرا ملصقا في قريش ۞ وروي
عزيزا فيهم اي غريبا ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات
بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم
يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه
وقبل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال وما
يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت ۞ عدي
اتخذ الى مفعولين وهما عدوي واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من
عفا ولكنه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد فان قلت تلقون
بم يتعلق قلت يجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وباولياء صفة له
ويجوز ان يكون استينافا فان قلت اذا جعلته صفة لاولياء فقد جرى على غير من
هو له فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم انتم بالمودة قلت ذاك انما
اشترطوه في الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء ملقين اليهم بالمودة
على الوصف لما كان بد من الضمير البارز ۞ والالقاء عبارة عن ايصال المودة
والافضاء بها اليهم يقال القى اليه خراشي صدره وافضى اليه بشقوره
والباء في بالمودة اما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بايديكم
واما ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول
الله بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك قوله تسرون اليهم بالمودة
اي تفضون اليهم بمودتكم سرا او تسرون اليهم اسرار رسول الله بسبب
المودة فان قلت وقد كفروا حال مماذا قلت اما من لا تتخذوا واما
من تلقون اي لا تتولوهم او توادونهم وهذه حالهم ويخرجون استيناف

كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا وان تؤمنوا تعليل ليخرجون
اي يخرجونكم لايمانكم ان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي
وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه ۞ وتسرون استينافا
ومعناه اي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي لا تفاوت
بينهما وانا مطلع رسولي على ما تسرون ومن يفعله ومن يفعل هذا الاسرار فقد
اخطأ طريق الحق والصواب ۞ وقرأ الجحدري لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم
بمعنى ان ما كان يجب ان يكون سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم ان يثقفوكم ان يظفروا
بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء خالصي العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما
انتم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بالقتال والشتم وتمنوا
لو ترتدون عن دينكم فاذن موادة امثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم
ومغالطة لانفسكم ۞ ونحوه قوله تعالى لا يألونكم خبالا فان قلت كيف اورد جواب الشرط
مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان يجري في باب
الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شيء
كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين
جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا وردكم كفارا اسبق
المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون
لها دونه والعدو اهم شيء عنده ان يقصد اعز شيء عند صاحبه لن تنفعكم
ارحامكم اي قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون
اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم القيامة يفصل بينكم وبين اقاربكم واولادكم
يوم يفر المرء من اخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر
منكم غدا خطأ رأيهم في موالاة الكفار بما يرجع الى حال من والوه اولا ثم بما
يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا ليريهم ان ما اقدموا عليه من اي جهة
نظرت فيه وجدته باطلا ۞ قرئ يفصل ۞ ويفصل على البناء للمفعول ۞ ويفصل ويفصل
على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ۞ ونفصل ۞ ونفصل بالنون ۞ قرئ اسوة ۞ واسوة
وهو اسم المؤتسى به اي كان فيهم مذهب حسن مرضي بان تؤتسوا به وتتبعوا اثره

وصنعوا لهم لكفار قومهم ما فعلوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا
واظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم وبغضائهم ليس الا كفرهم
بالله وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتى ان ازالوه وآمنوا بالله
وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فافصحوا عن محض
الاخلاص ومعنى كفرنا بكم وبما تعبدون من دون الله انا لا نعتد بشانكم ولا بشان آلهتكم
وما انتم عندنا على شيء فان قلت مم استثنى قوله الا قول ابرهيم قلت من قوله اسوة
حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان يأتسوا به ويتخذوه
سنة يستنون بها فان قلت فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول الذي
هو اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء
الا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيئا قلت اراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد
الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال انا استغفر لك
وما في طاقتي الا الاستغفار فان قلت بم اتصل قوله ربنا عليك توكلنا
قلت بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون المعنى
قولوا ربنا امرا من الله للمؤمنين بان يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم
به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والائتساء بابرهيم وقومه في البراءة منهم
وتنبيها على الانابة الى الله والاستعاذة به من فتنة اهل الكفر والاستغفار
مما فرط منهم وقرئ برآء كشركاء وبراء كظراف وبراء على
ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر والبراء
والبراءة كالظماء والظماءة ثم كرر الحث على الائتساء بابرهيم وقومه
تقريرا وتأكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التأكيد
وابدل عن قوله لكم قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وعقبه بقوله
ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فلم يترك نوعا من التأكيد
الا جاء به ولما نزلت هذه الآيات تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم
وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين ومقاطعتهم فلما رأى الله منهم
الجد والصبر على الوجد الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة

والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة اظفرهم الله
بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم وقيل تزوج
رسول الله ام حبيبة فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان واسترخت شكيمته
في العداوة وكانت ام حبيبة قد اسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش
الى الحبشة فتنصر وارادها على النصرانية فابت وصبرت على دينها ومات
زوجها فبعث رسول الله الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها اربعمائة دينار
وبلغ ذلك اباها فقال ذاك الفحل لا يقدع انفه وعسى وعد من الله
على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى او لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج
في تمام ذلك او قصد به اطماع المؤمنين والله قدير على تقليب القلوب وتغيير
الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم لمن اسلم من المشركين
ان تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولوهم من الذين قاتلوكم
والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولي هؤلاء وهذا ايضا رحمة
لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث
رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم وقيل
اراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن
مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان
وقيل قدمت على اسماء بنت ابي بكر امها قتيلة بنت عبد العزى وهي
مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله
ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وعن قتادة نسختها آية
القتال وتقسطوا اليهم وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية
الله المؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة
عن حال مسلم يجترئ على ظلم اخيه المسلم اذا جاءكم المؤمنات سماهن مؤمنات
لتصديقهن بالسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك او لانهن
مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان فامتحنوهن فابتلوهن بالحلف والنظر
في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

قاعل يصدقن وان يكون عطفا من جهة المعنى اي لانهن صدقن ولم يظهر منهن

للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة
عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله
الله اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان
استحلفتموهن ورزتم احوالهن وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن
مؤمنات العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات
فلا ترجعوهن الى الكفار فلا تردوهن الى ازواجهن المشركين لانه لا حل بين
المؤمنة والمشرك وآتوهم ما انفقوا واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا
اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من اتاكم من اهل مكة
رد اليهم ومن اتى مكة منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه
فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلعم بالحديبية فاقبل
زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي
امرأتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب
لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما في الرجال دون النساء ◦ وعن الضحاك كان بين
رسول الله وبين المشركين عهد ان لا يأتيك منا امرأة ليست على دينك الا رددتها
الينا فان دخلت في دينك ولها زوج ان ترد على زوجها الذي انفق عليها وللنبي صلعم
من الشرط مثل ذلك ◦ وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فا
ستحلفها رسول الله فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر فان قلت
كيف سمى الظن علما في قوله فان علمتموهن قلت ايذانا بان الظن الغالب وما يفضي
اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وان صاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس
لك به علم فان قلت فما فائدة قوله الله اعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه قلت
فائدته بيان ان لا سبيل لكم الى ما تطمئن به النفس ويثلج به الصدر من الاحاطة
بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استأثر به علام الغيوب وان ما يؤدي اليه
الامتحان من العلم كاف في ذلك وان تكليفكم لا يعدوه ◦ ثم نفى عنهم الجناح
في تزوج هؤلاء المهاجرات اذا آتوهن اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر
البضع والتخلية اما لان ما كان يدفع اليهن ليدفعنه الى ازواجهن

فيشترط عليهن ان يتزوجن تقدم اداؤه ◦ واما لان يراد ان ذلك اذا دفع اليهن
على سبيل القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به باس ◦ واما لان يبين لهم ان ما اعطي
ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة على ان احد
الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الآخر حربيا وقعت الفرقة
ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا ولا تمسكوا بعصم
الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني اياكم واياهن ولا تكن بينكم
وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له امرأة كافرة
بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه ◦ وعن
النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر ◦ وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات
مع الكفار ومفارقتهن واسألوا ما انفقتم من مهور ازواجكم اللاحقات
بالكفار وليسألوا ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات ◦ وقرئ ولا تمسكوا
بالتخفيف ولا تمسكوا بالتثقيل ولا تمسكوا اي ولا تتمسكوا ذلكم حكم الله يعني
جميع ما ذكر في هذه الآية يحكم بينكم كلام مستأنف او حال من حكم الله على
حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة ◦ روي انه لما نزلت
الآية ادى المؤمنون ما امروا به من اداء مهور المهاجرات الى ازواجهن المسلمين
فنزل قوله وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد منهن الى الكفار
وهو في قراءة ابن مسعود احد فان قلت هل لايقاع شيء في هذا الموقع فائدة قلت
نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شيء من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض منه
تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه فعاقبتم من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم
به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور
نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه
فجاءت عقبتكم من اداء المهر فآتوا من فاتته امرأته الى الكفار مثل مهرها
من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر ◦ وهكذا عن الزهري يعطى من صداق
من لحق بهم ◦ وقرئ فاعقبتم فعقبتم بالتشديد ◦ فعقبتم بالتخفيف بفتح
القاف وكسرها فمعنى اعقبتم دخلتم في العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفاه ◦

لان كل واحد من المتعاقبين يعقب صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه
يعقبه وعقبتم بمعنى غنمتم وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بالعقوبة
حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القرآت
فكانت العقبى اي كانت الغلبة لكم حتى غنمتم وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء
المؤمنين المهاجرين راجعة عن الاسلام ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان كانت
تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية كانت تحت عمر بن الخطاب
وهي اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت
عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل كانت تحت
هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر واعطاهم رسول الله صلعم مهور
نسائهم من الغنيمة ولا يقتلن اولادهن يريد وأد البنات
ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المرأة تلتقط المولود
فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن
الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها
الذي تلده به بين الرجلين ولا يعصينك في معروف فيما تأمرهن به من المحسنات
وتنهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف فان قلت
لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم ان رسول الله لا يأمر الا بمعروف قلت
نبه بذلك على ان طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب
وروي ان رسول الله صلعم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء
وهو على الصفا وعمر بن الخطاب رض اسفل منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه
وهند بنت عتبة امرأة ابي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله
ان يعرفها فقال عليه السلام ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند رأسها
وقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا امرا ما رأيناك اخذته
على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت ان ابا
سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فما ادري أتحل لي أم لا فقال
ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله

وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله
عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزني الحرة وفي رواية ما زنت منهن امرأة
قط فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم
اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى
وتبسم رسول الله فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح
وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله
ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وقيل في كيفية المبايعة
دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن وقيل صافحهن وكان
على يده ثوب قطري وقيل كان عمر يصافحهن عنه روي ان بعض فقراء المسلمين
كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا قوما غضب الله عليهم
قد يئسوا من ان يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله وهم يعلمون
انه الرسول المنعوت في التوراة كما يئس الكفار من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا
احياء وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار اي كما يئس الكفار الذين قبروا
من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

سورة الصف مكية وهي اربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك
بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد
ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا
والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجرى
الوقف كما سمع ثلثة اربعه بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا
الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعد وروي ان المؤمنين قالوا قبل ان يؤمروا
بالقتال لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا
فدلهم الله على الجهاد في سبيله فولوا يوم احد فعيرهم وقيل لما اخبر الله

بثواب الله شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل قد آذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب اخبر النبي صلعم انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وعن الحسن نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم هذا من افصح كلام وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره واشكاله واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وابلغه ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على ان جعل البغض كبيرا حتى جعل اشده وافحشه وعند الله ابلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال تأمرونني ان اقول ما لا افعل فاستعجل مقت الله في قوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله عقيب ذكر مقت المخلف دليل على ان المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا وقرأ زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتلون صفا صافين انفسهم او مصفوفين كانهم في تراصهم من غير فرجة وخلل بنيان رص بعضه الى بعض ورصف وقيل يجوز ان يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله صفا كانهم بنيان حالان متداخلتان واذ منصوب باضمار اذكر او وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا تؤذونني كانوا يؤذونه بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه

فيما تعود اليهم منافعه وعنادهم الحق وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه وقد تعلمون في موضع الحال اي تؤذونني عالمين علما يقينا اني رسول الله وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا ان تؤذوني وتستهينوا بي لان من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بان تعظيمه في تعظيم رسوله ولان من آذاه كان وعيد الله لاحقا به فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم بان منع الطافه والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يلطف بهم لانهم ليسوا من اهل اللطف فان قلت ما معنى قد في قوله وقد تعلمون قلت معناه التوكيد كانه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه قال انما قال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى اني رسول الله اليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التوراة وفي حال تبشيري برسول يأتي من بعدي يعني ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدي بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل فان قلت بم انتصب مصدقا ومبشرا ابما في الرسول من معنى الارسال ام باليكم قلت بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز ان تعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن اين تعمل وقرئ هذا ساحر مبين واي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر لان السحر كذب وتمويه وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدعى بمعنى يدعي دعاه وادعاه نحو لمسه والتمسه وعنه يدعي بمعنى يدعو وهو الله أصله يريدون ان يطفئوا كما جاء في سورة براءة وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تأكيدا له لما فيها من معنى الارادة في قولك جئتك لاكرامك

كما ذهبت اللام في أبا لك تأكيداً لمعنى الإضافة في لا أباك ٭ وإطفاء نور الله بأفواههم تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن هذا سحر ٭ مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه ٭ والله متم نوره ٭ أي متم الحق ومبلغه غايته ٭ وقرئ بالإضافة ٭ ودين الحق الملة الحنيفية ليظهره ليعليه على الدين كله على جميع الأديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام ٭ وعن مجاهد إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض إلا دين الإسلام ٭ وقرئ أرسل نبيه ٭ تنجيكم قرئ مخففاً ومشدداً ٭ تؤمنون استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى الأمر ولهذا أجيب بقوله يغفر لكم ٭ وتدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا فإن قلت لم جيء به على لفظ الخبر قلت للإيذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين ٭ ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت فإن قلت هل لقول الفراء إنه جواب هل أدلكم وجه قلت وجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد فكأنه قيل هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم فإن قلت فما وجه قراءة زيد بن علي رضي الله عنه تؤمنوا وتجاهدوا قلت وجهها أن تكون على إضمار لام الأمر كقوله ٭ محمد تفد نفسك كل نفس ٭ إذا ما خفت من أمر تبالا ٭ وعن ابن عباس أنهم قالوا لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناها فنزلت هذه الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على أن تؤمنون كلام مستأنف وعلى أن الأمر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها إليه أوقع فيها وأقرب من قبولها له مما فوجئت به ذلكم يعني ما ذكر من الإيمان والجهاد خير لكم من أموالكم وأنفسكم فإن قلت ما معنى قوله إن كنتم تعلمون قلت معناه إن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيراً لكم حينئذ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون وأخرى تحبونها

ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم ٭ ثم فسرها بقوله نصر من الله وفتح قريب أي عاجل وهو فتح مكة ٭ وقال الحسن فتح فارس والروم ٭ وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل فإن قلت علام عطف قوله وبشر المؤمنين قلت على تؤمنون لأنه في معنى الأمر كأنه قال آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك فإن قلت لم نصب من قرأ نصراً من الله وفتحاً قريباً قلت يجوز أن ينصب على الاختصاص ٭ أو على تنصرون نصراً ويفتح لكم فتحاً أو على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم أخرى نصراً وفتحاً ٭ وقرئ كونوا أنصار الله وأنصاراً لله ٭ وقرأ ابن مسعود كونوا أنتم أنصار الله وفيه زيادة حث على النصرة عليهم فإن قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصاراً بقول عيسى صلوات الله عليه من أنصاري إلى الله قلت التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من أنصاري إلى الله فإن قلت ما معنى قوله من أنصاري إلى الله قلت يجب أن يكون معناه مطابقاً لجواب الحواريين نحن أنصار الله والذي يطابقه أن يكون المعنى من جندي متوجهاً إلى نصرة الله وإضافة أنصاري خلاف إضافة أنصار الله فإن معنى نحن أنصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصاري من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح أن يكون معناه من ينصرني مع الله لأنه لا يطابق الجواب ٭ والدليل عليه قراءة من قرأ من أنصار الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً ٭ وحواري الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص والحواري الدرمك ومنه قوله عليه السلام الزبير ابن عمتي وحواريي من أمتي وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيل فآمنت طائفة منهم بعيسى وكفرت به طائفة فأيدنا مؤمنيهم على كفارهم فأصبحوا ظاهرين فغلبوا عليهم ٭ وعن زيد بن علي كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصلياً عليه مستغفراً له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قرئت صفات الله عز وعلا بالرفع على المدح كأنه قيل هو الملك القدوس ولو
قرئت منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد لله اهل الحمد ○ الامي منسوب
الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن من بين الامم ○ وقيل بدأت الكتابة
بالطائف اخذوها من اهل الحيرة واهل الحيرة من اهل الانبار ○ ومعنى بعث في
الاميين رسولا منهم بعث رجلا اميا في قوم اميين ○ كما جاء في حديث شعيا
اني ابعث اعمى في عميان واميا في اميين ○ وقيل منهم كقوله من انفسكم
يعلمون نسبه واحواله وقرئ في الامين بحذف ياء النسب يتلو عليهم آياته
يقرؤها عليهم مع كونه اميا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم
وقراءة امي بغير تعلم آية بينة ويزكيهم ويطهرهم من الشرك
وخبائث الجاهلية ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان
وان كانوا هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها اي كانوا في ضلال
لا ترى ضلالا اعظم منه وآخرين مجرور عطف على الاميين يعني انه بعثه في الاميين
الذين على عهده وفي آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم
الذين بعد الصحابة رض ○ وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان
ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء ○ وقيل هم الذين يأتون
من بعدهم الى يوم القيامة ○ ويجوز ان ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم اي
ويعلمهم ويعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا
الى اوله فكانه هو الذي تولى كل ما وجد منه وهو العزيز الحكيم في تمكينه
رجلا اميا من ذلك الامر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر
ذلك الفضل الذي اعطاه محمدا وهو ان يكون نبي ابناء عصره ونبي ابناء
العصور الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء اعطاءه وتقتضيه حكمته
شبه اليهود في انهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم انهم
غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلعم والبشارة
به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل اسفارا اي كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي

بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم
ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله
وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلعم ومعنى
حملوا التوراة كلفوا علمها والعمل بها ○ ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها
فكأنهم لم يحملوها ○ وقرئ حملوا التوراة اي حملوها ثم لم يحملوها في الحقيقة
لفقد العمل ○ وقرئ يحمل الاسفار ○ يحمل ما محله قلت النصب على الحال
او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله ○ ولقد امر على اللئيم يسبني
هاد يهود اذا تهود ان زعمتم انكم اولياء لله كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه اي
ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا
الى دار كرامته التي اعدها لاوليائه ثم قال ولا يتمنونه ابدا بسبب ما قدموا
من الكفر وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه والذي نفسي بيده لا يقولها احد
منكم الا غص بريقه فلولا انهم كانوا موقنين بصدق رسول الله لتمنوا ولكنهم
علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك احد ان يتمنى
وهي احدى المعجزات وقرئ فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا
ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحدة منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تأكيدا
وتشديدا ليس في لا فأتي مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه
ولا يتمنونه ○ ثم قيل لهم ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون ان تتمنوه
خيفة ان تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة ثم تردون
الى الله فيجازيكم بما انتم اهله من العقاب ○ وقرأ زيد بن علي انه ملاقيكم
وفي قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهي ظاهرة ○ واما دخول الفاء
فلتضمن الذي معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذي تفرون منه كلاما برأسه
في قراءة زيد اي ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استؤنف انه ملاقيكم
يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ○ ويوم الجمعة
بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ويوم الجمعة تثقيل
الجمعة كما قيل عشرة في عشرة وقرئ بهن جميعا فاذا نودي من في قوله من يوم الجمعة

قلت هو بيان لإذا وتفسير له والنداء الأذان وقالوا المراد به الأذان عند قعود
الإمام على المنبر وقد كان لرسول الله مؤذن واحد فكان إذا جلس على المنبر
أذن على باب المسجد فإذا نزل أقام للصلاة ثم كان أبو بكر وعمر على ذلك حتى
إذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فأمر بالتأذين
الأول على داره التي تسمى زوراء فإذا جلس على المنبر أذن المؤذن الثاني فإذا
نزل أقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه ٥ وقيل أول من سماها جمعة كعب بن
لؤي وكان يقال لها العروبة وقيل إن الأنصار قالوا لليهود يوم يجتمعون
فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر
الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه
يوم العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم
فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهي أول جمعة كانت
في الإسلام ٥ وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء و
الأربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة
فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى
الجمعة ٥ وعن بعضهم قد أبطل الله قول اليهود في ثلاث افتخروا بأنهم أولياء
الله وأحباؤه فكذبهم في قوله فتمنوا الموت إن كنتم صادقين وبأنهم أهل
الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل أسفارا وبالسبت وأنه
ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة ٥ وعن النبي صلعم خير يوم طلعت فيه
الشمس يوم الجمعة ٥ فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة ٥ وفيه أهبط إلى الأرض
وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد ٥ وعنه عليه السلام أتاني جبريل وفي
كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون
لك عيدا ولأمتك من بعدك وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه إلى الآخرة
يوم المزيد ٥ وعنه إن لله في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار
وعن كعب إن الله فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام

الجمعة وقال عليه السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة
القبر ٥ وفي الحديث إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم
صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم وكانت الطرقات
في أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين إلى الجمعة يمشون بالسرج
وقيل أول بدعة أحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجمعة ٥ وعن ابن مسعود
أنه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم وأخذ يعاتب نفسه يقول أراك رابع
أربعة وما رابع أربعة ببعيد ٥ ولا تقام الجمعة عند أبي حنيفة رحمه الله
إلا في مصر جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى إلا في مصر جامع
والمصر الجامع ما أقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الأحكام ومن شروطها الإمام
أو من يقوم مقامه لقوله عليه السلام فمن تركها وله إمام عادل أو جائر الحديث
وقوله أربع إلى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات فإن أم رجل
بغير إذن الإمام أو من ولاه من قاض أو صاحب شرطة لم يجز فإن لم يمكن الاستئذان
فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلاثة سوى الإمام ٥ وعند الشافعي
بأربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الأعمى
عند أبي حنيفة ولا على الشيخ الذي لا يمشي إلا بقائد وقرأ عمر وابن عباس
وابن مسعود وغيرهم فامضوا ٥ وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ
فاسعوا فقال من أقرأك هذا قال أبي بن كعب فقال لا يزال يقرأ بالمنسوخ
لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي ٥ وقيل المراد بالسعي القصد
دون العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي وأن
ليس للإنسان إلا ما سعى ٥ وعن الحسن ليس السعي على الأقدام ولكنه على النيات
والقلوب ٥ وذكر محمد بن الحسن رحمه الله في موطئه أن عمر سمع الإقامة
وهو بالبقيع فأسرع المشي قال محمد وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه إلى ذكر الله
إلى الخطبة والصلاة ولتسمية الله الخطبة ذكر الله قال أبو حنيفة إن اقتصر الخطيب
على مقدار أن يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز ٥ وعن عثمان أنه
صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال إن أبا بكر وعمر كانا

بعد ان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال
وستاتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكره عليه احد وعند
صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة **فان قلت** كيف يفسر ذكر الله
بالخطبة وفيها ذكر غير الله **قلت** ما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه
وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم
ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم
وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل واذا قال
المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا افلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا
نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام ○ اراد الامر بترك ما يذهل
عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم
يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب
ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى
الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشرى
فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد
قيل لهم بادروا تجارة الاخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر
الله الذي لا شيء انفع منه واربح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه
مقارب **فان قلت** فاذا كان البيع في هذا الوقت مامورا بتركه محرما
فهل هو فاسد **قلت** عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا
لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة
في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب ○ وعن
بعض الناس انه فاسد ○ ثم اطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلاة من
الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وان لا يلهيهم
شيء من تجارة ولا غيرها عنه وان تكون هممهم في جميع احوالهم واوقاتهم
موكلة به لا ينفصلون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به ○ وعن ابن
عباس لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى

وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله ○ وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم
وقيل صلاة التطوع ○ وعن بعض السلف انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء
من امور الدنيا نظرا في هذه الاية ○ روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء
شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلعم يخطب يوم
الجمعة فقاموا اليه خشوا ان يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير ○ قيل ثمانية
واحد عشر واثنا عشر واربعون فقال عم والذي نفس محمد بيده لو خرجوا
جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل
والتصفيق فهو المراد باللهو ○ وعن قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم
عير **فان قلت** فان اتفق تفرق الناس عن الامام في صلوة الجمعة كيف يصنع **قلت**
ان بقي وحده او مع اقل من ثلثة فعند ابي حنيفة يستانف الظهر اذا نفروا
عنه قبل الركوع وعند صاحبيه اذا كبر وهم معه مضى فيها وعند زفر
اذا نفروا قبل التشهد بطلت **فان قلت** كيف قال اليها وقد ذكر شيئين **قلت**
تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما
لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرا انفضوا اليه وفي قراءة من قرا اللهوا
او تجارة انفضوا اليها وقرئ اليهما **عن رسول الله صلى الله عليه**
من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من لم ياتها

سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

ارادوا بقولهم **نشهد انك لرسول الله** شهادة واطأت فيها قلوبهم السنتهم
فقال الله تعالى قالوا ذلك **والله يعلم** ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله
والله يشهد انهم لكاذبون في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطاة ○ او
انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطاة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون
في تسميته شهادة او اراد والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا
يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال
المخبر عنه **فان قلت** اي فائدة في قوله والله يعلم انك لرسوله **قلت** لو قال

قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إنهم لكاذبون لكان يوهم أن قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم إنك لرسوله ليميط هذا الإيهام اتخذوا أيمانهم جنة يجوز أن يراد أن قولهم نشهد إنك لرسول الله يمين من أيمانهم الكاذبة لأن الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل أشهد وأشهد بالله وأعزم وأعزم بالله في موضع أقسم وأولي وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن أشهد يمين ويجوز أن يكون وصفا للمنافقين في استجنانهم بالأيمان وقرأ الحسن إيمانهم أي ما أظهروه من الإيمان بألسنتهم ويعضده قوله ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين ذلك إشارة إلى قوله ساء ما كانوا يعملون أي ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالا بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالأيمان أي ذلك كله بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فجسروا على كل عظيمة فإن قلت المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا قلت فيه ثلاثة أوجه أحدها آمنوا أي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم إن كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم أي وظهر كفرهم بعد أن أسلموا ونحوه لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم والثاني آمنوا أي نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام كقوله وإذا لقوا الذين آمنوا إلى قوله إنما نحن مستهزئون والثالث أن يراد أهل الردة منهم وقرئ فطبع على قلوبهم وقرأ زيد بن علي فطبع الله

كان عبد الله بن أبي رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن فكان النبي صلعم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم فإن قلت ما معنى قوله كأنهم خشب مسندة قلت شبهوا في استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب في ورأيتهم تعجبك لرسول الله أو لكل من يخاطب وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كأنهم خشب رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام مستأنف لا محل له وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة ومدر وهي في قراءة ابن عباس وعن اليزيدي أنه قال في خشب جمع خشباء والخشباء الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم عليهم ثاني مفعولي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب إذا نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه إيقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم ومنه أخذ الأخطل ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا ويوقف على عليهم ويبتدأ هم العدو أي هم الكاملون في العداوة لأن أعدى الأعداء العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم ولا تغترر بظاهرهم ويجوز أن يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير فإن قلت فحقه أن يقال هي العدو قلت منظور فيه إلى الخبر كما ذكر في هذا ربي وأن يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل أهل صيحة قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك أنى يؤفكون كيف يعدلون عن الحق تعجبا

من حلمهم وصلة أرحامهم لووا رءوسهم عطفوها وأمالوها إعراضاً عن ذلك و
استكباراً وقرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير. روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم
على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهني حليف
لعبد الله بن أبي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للأنصار
فأعان جهجاهاً جعال من فقراء المهاجرين ولطم سناناً فقال عبد الله لجعال
وأنت هناك وقال ما صحبنا محمداً إلا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال
سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز
منها الأذل عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ثم قال لقومه ماذا
فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم
عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا أن يتحولوا
عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم
وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز
من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فإنما كنت ألعب فأخبر
زيد رسول الله فقال عمر دعني أضرب عنق المنافق يا رسول الله فقال
إذن ترعد آنف كثيرة بيثرب قال فإن كرهت أن يقتله مهاجري
فأمر به أنصارياً فقال فكيف إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه
وقال عليه السلام لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي
أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك وإن زيداً لكاذب فهو قوله تعالى
اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق
عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم فروي أن رسول الله قال له لعلك غضبت
عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا
فلما نزلت لحق رسول الله زيداً من خلفه فعرك أذنه وقال وفت أذنك
يا غلام إن الله قد صدقك وكذب المنافقين. ولما أراد عبد الله
أن يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله

غير رسول الله اسمه وقال إن حباباً اسم شيطان وكان مخلصاً وقال وراءك
والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الأعز وأنا الأذل فلم يزل حبيساً في يده
حتى أمره رسول الله بتخليته. وروي أنه قال لئن لم تقر لله ورسوله بالعز
لأضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجد قال أشهد
أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله لابنه جزاك الله عن رسوله
وعن المؤمنين خيراً فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آي شداد
فاذهب إلى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني أن أومن فآمنت
وأمرتموني أن أزكي مالي فقد زكيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد فنزلت
وإذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات. سواء عليهم
الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لأن الله
لا يغفر لهم. وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لأن أم المعادلة تدل
عليه. وقرأ أبو جعفر آستغفرت إشباعاً لهمزة الاستفهام للإظهار والبيان
لا قلباً لهمزة الوصل ألفاً كما في آلسحر وآلله. ينفضوا يتفرقوا. وقرئ ينفضوا
من أنفض القوم إذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم.
ولله خزائن السماوات والأرض بيده الأرزاق والقسم فهو رازقهم
منها وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم. ولكن عبد الله وأضرابه
جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان. وقرئ ليخرجن
الأعز منها الأذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول. وقرأ الحسن
وابن أبي عبلة لنخرجن بالنون ونصب الأعز والأذل ومعناه خروج الأذل
أو إخراج الأذل أو مثل الأذل. ولله العزة الغلبة والقوة لمن أعزه الله
وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الأخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان
للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين. وعن بعض الصالحات وكانت
في هيئة رثة ألست على الإسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر
معه. وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلاً قال له إن الناس يزعمون
أن فيك تيهاً قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية. لا تلهكم

لا تشغلكم أموالكم والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها ولا أولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الأموال والأولاد وأنه أهون شيء وأدونه في جنب ما عند الله عن ذكر الله وإيثاره عليها ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فأولئك هم الخاسرون في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني . وقيل ذكر الله الصلوات الخمس . وعن الحسن جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله . وقيل القرآن . وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله . من في مما رزقناكم للتبعيض والمراد الإنفاق الواجب من قبل أن يأتي أحدكم الموت أن يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الإمهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الإنفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض أنامله على فقد ما كان متمكنا منه . وعن ابن عباس تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل . وعنه ما يمنع أحدكم إذا كان له مال أن يزكي وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها . وعنه أنها نزلت في مانعي الزكاة ووالله لو رأى خيرا لما سأل الرجعة فقيل له أما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة قال نعم أنا أقرأ عليكم به قرآنا يعني أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها . وكذا عن الحسن ما من أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج إلا سأل الرجعة . وعن عكرمة أنها نزلت في أهل القبلة لولا أخرتني وقرئ أخرتن يريد هلا أخرت موتي إلى أجل قريب إلى زمان قليل فأصدق وقرأ أبي فأتصدق على الأصل وأكن عطفا على محل فأصدق كأنه قيل إن أخرتني أصدق وأكن ومن قرأ وأكون على النصب فعلى اللفظ . وقرأ عبيد بن عمير وأكون على وأنا أكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي للحكمة والمعنى أنكم إذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه وأنه هاجم لا محالة وأن الله عليم

بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله . وقرئ يعملون بالتاء والياء . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وهي ثماني عشرة آية

الاختلاف في انها مكية او مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لأن الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن يعني فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالإيمان وفاعل له كقوله وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله والله بما تعملون بصير أي عالم بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم بأصل النعم الذي هو الخلق والإيجاد عن العدم فكان يجب أن تنظروا النظر الصحيح وتكونوا بأجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم . وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به فإن قلت نعم إن العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الحكيم أنه إذا خلقهم لم يفعلوا إلا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه إلى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح إلا واحد وهل مثله إلا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا أما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل بل إنحاؤهم باللوائم على الواهب أشد قلت قد علمنا أن الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا أن أفعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب أن يكون حسنا وأن يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح

في حسن أكثر مخلوق فإنه جعلنا بدائع الحكمة الى خلقها بالحق بالغرض الصحيح والحكمة
البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم وصوركم فاحسن صوركم
وقرئ صِوَركم بالكسر لتشكروا واليه المصير فيجزيكم على الشكر والكفر
فان قلت كيف احسن صورهم قلت جعلهم احسن الحيوان كله وابهاه بدليل ان الانسان
لا يتمنى ان تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته انه خلق
منتصبا غير منكب كما قال عز وعلا في احسن تقويم فان قلت فكم من دميم مشوه الصورة
سمج الخلقة تقتحمه العيون قلت لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني
على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا واضافتها
الى الموفي عليها لا تستملح والا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة عن حده
الا ترى انك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى املح
واعلى في مراتب الحسن فينبو عن الاولى طرفك وتستثقل النظر اليها بعد افتتانك
بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان نبه بعلمه
ما في السموات والارض ثم بعلمه ذوات الصدور ان شيئا من الكليات والجزئيات
غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء
مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد
قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى
الخالق ولا تشكر نعمته فما اجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته
والخلق اعظم نعمة من الله على عباده والكفر اعظم كفران من العباد
لربهم ألم يأتكم الخطاب لكفار مكة وذلك اشارة الى ما ذكر
من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما اعد لهم من العذاب في الآخرة بأنه
بان الشان والحديث كانت تأتيهم رسلهم أبشر يهدوننا انكروا ان
تكون الرسل بشرا ولم ينكروا ان يكون الله حجرا واستغنى الله اطلق
ليتناول كل شيء ومن جملته ايمانهم وطاعتهم فان قلت قوله وتولوا واستغنى
الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله لم يزل غنيا قلت معناه
وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته

على ذلك الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عم زعموا مطية الكذب وعن
شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى تعدي العلم قال
ولم ازعمك عن ذاك معزلا وان مع ما في حيزه قائم مقامهما والذين
كفروا اهل مكة بلى اثبات لما بعد لن وهو البعث وذلك على الله يسير
اي لا يصرفه عنه صارف وعنى برسوله والنور محمدا صلى الله عليه والقرآن
وقرئ نجمعكم ونكفر وندخله بالياء والنون فان قلت بم انتصب الظرف قلت
بقوله لتنبؤن او بخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله معاقبكم يوم
يجمعكم او باضمار اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون
التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول
السعداء منازل الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا اشقياء وفيه تهكم
بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلعم ما من عبد يدخل
الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل
النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة ومعنى ذلك يوم
التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وان تغابنه
هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا وان جلت وعظمت صالحا
صفة للمصدر اي عملا صالحا الا باذن الله الا بتقديره ومشيئته كانه
اذن للمصيبة ان تصيبه يهد قلبه يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة
والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم
ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد
ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر وقرئ يهد قلبه على
البناء للمفعول والقلب مرفوع او منصوب ووجه النصب ان يكون مثل
سفه نفسه اي يهد في قلبه ويجوز ان يكون المعنى ان الكافر ضال عن قلبه
بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد اليه كقوله لمن كان له قلب وقرئ نهد
قلبه بالنون ويهدأ قلبه يطمئن ويهد ويهدا
على التخفيف والله بكل شيء عليم يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه

فيمنعه وتمنعه فإن توليتم فلا عليه إذا توليتم لأنه لم يكتب عليه طاعتكم
إنما كتب عليه أن يبلغ ويبين فحسب وعلى الله فليتوكل المؤمنون بعث لرسول
الله على التوكل عليه والتقوى به في أمره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه
إن من الأزواج أزواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن
الأولاد أولادا يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والأذى فاحذروهم
الضمير للعدو أو للأزواج والأولاد جميعا أي لما علمتم أن هؤلاء لا يخلون من عدو
فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم وإن تعفوا عنهم إذا اطلعتم
منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها فإن الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم
وقيل إن ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم
وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك و
رأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم
وأولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا أين تذهبون وتدعون بلدكم
وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة
لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا أن يعفوا عنهم ويردوا
إليهم البر والصلة ۝ وقيل كان عوف بن مالك الأشجعي ذا أهل وولد
فإذا أراد أن يغزو تعلقوا به وبكوا إليه ورققوه فكأنه هم بأذاهم
فنزلت فتنة بلاء ومحنة لأنهم يوقعون في الإثم والعقوبة ولا بلاء أعظم
منهما ألا ترى إلى قوله والله عنده أجر عظيم وفي الحديث يؤتى برجل يوم
القيامة فيقال أكل عياله حسناته ۝ وعن بعض السلف العيال سوس
الطاعات ۝ وعن النبي صلعم أنه كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان
أحمران يعثران ويقومان فنزل إليهما فأخذهما ووضعهما في حجره على
المنبر فقال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة رأيت هذين الصبيين
فلم أصبر عنهما ثم أخذ في خطبته ۝ وقيل إذا أمكنكم الجهاد والهجرة فلا
يفتننكم الميل إلى الأموال والأولاد عنهما ما استطعتم جهدكم ووسعكم
أي ابذلوا فيها استطاعتكم واسمعوا ما توعظون به وأطيعوا فيما

توعظون به وتنهون عنه وأنفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها
خيرا لأنفسكم نصب بمحذوف تقديره ائتوا خيرا لأنفسكم وافعلوا ما هو
خير لها وأنفع وهذا تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر وبيان لأن
هذه الأمور خير لأنفسكم من الأموال والأولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب
الشهوات وزخارف الدنيا ۝ وذكر القرض تلطف في الاستدعاء يضاعفه
لكم يكتب لكم بالواحدة عشرا وسبعمائة إلى ما شاء من الزيادة ۝ وقرئ
يضعفه شكور مجاز أي يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم
الثواب وكذلك حليم يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم
بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة التغابن

سورة الطلاق إحدى عشرة آية أو اثنتا عشرة آية وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

خص النبي صلعم بالنداء وعم بالخطاب لأن النبي إمام أمته وقدوتهم
كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت إظهارا لتقدمه
واعتبارا لترؤسه وأنه مدرة قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رأيه
ولا يستبدون بأمر دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد
جميعهم ومعنى إذا طلقتم النساء إذا أردتم تطليقهن وهممتم به على
تنزيل المقبل على الأمر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل
قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي إلى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلي فطلقوهن
لعدتهن فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك أتيته لليلة خلت من المحرم
أي مستقبلا لها وفي قراءة رسول الله صلعم في قبل عدتهن وإذا طلقت المرأة
في الطهر المتقدم للقرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها
والمراد أن يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا
أحسن الطلاق وأدخله في السنة وأبعده من الندم ۝ ويدل عليه ما روي
عن إبراهيم النخعي أن أصحاب رسول الله كانوا يستحبون أن لا يطلقوا للسنة
إلا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان أحسن عندهم

من أن يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة أطهار. وقال مالك بن أنس لا أعرف طلاق
السنة إلا واحدة، وكان يكره الثلاث مجموعة كانت أو مفرقة. وأما أبو حنيفة
وأصحابه فإنما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد، فأما مفرقا في الأطهار فلا
لما روي عن النبي صلعم أنه قال لابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض ما هكذا أمرك
الله، إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة. وروي
أنه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها
إن شاء، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء. وعند الشافعي لا بأس
بإرسال الثلاث، وقال لا أعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة، وهو مباح.
فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت، وأبو حنيفة يراعي التفريق
والوقت، والشافعي يراعي الوقت وحده. فإن قلت هل يقع طلاق المخالف للسنة.
قلت نعم وهو آثم، لما روي عن النبي صلعم أن رجلا طلق امرأته ثلاثا بين يديه
فقال أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم. وفي حديث ابن عمر أنه قال يا رسول الله
أرأيت لو طلقتها ثلاثا فقال له إذن عصيت وبانت منك امرأتك. وعن عمر رضه
أنه كان لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا إلا أوجعه ضربا وأجاز ذلك عليه.
وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين أن من خالف السنة في الطلاق
فأوقعه في حيض أو ثلاث لم يقع، وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة
فخالف. فإن قلت كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر أو كبر أو حمل وغير
المدخول بها. قلت الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند أبي حنيفة وأبي يوسف
يفرق عليهن الثلاث في الأشهر، وخالفهما محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق للسنة
إلا واحدة، ولا يراعى الوقت. فإن قلت هل يكره أن تطلق المدخول بها واحدة
بائنة. قلت اختلفت الرواية فيه عن أصحابنا، والظاهر الكراهة. فإن قلت
قوله إذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن
من ذوات الأقراء والآيسات والصغائر والحوامل، فكيف صح تخصيصه بذوات
الأقراء المدخول بهن. قلت لا عموم ثم ولا خصوص، لكن النساء اسم جنس
للإناث من الإنس، وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن، فجاز أن

يراد بالنساء هذا وذاك، فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم أنه أطلق على بعضهن
وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض. وأحصوا العدة واضبطوها بالحفظ و
أكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن. ولا تخرجوهن حتى تنقضي
عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة، وهي بيوت الأزواج
وأضيفت إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى. فإن قلت ما معنى الجمع بين إخراجهم
وخروجهن. قلت معنى الإخراج أن لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة
لمساكنتهن أو لحاجة لهم إلى المساكن، وأن لا يأذنوا لهن في الخروج إذا طلبن ذلك
إيذانا بأن إذنهم لا أثر له في رفع الحظر. ولا يخرجن بأنفسهن إن أردن ذلك
إلا أن يأتين بفاحشة مبينة قرئ بفتح الياء وكسرها. قيل هي الزنى يعني إلا
أن يزنين فيخرجن لإقامة الحد عليهن. وقيل إلا أن يطلقن على النشوز والنشوز
يسقط حقهن في السكنى. وقيل إلا أن يبذون فيحل إخراجهن لبذائهن. وتؤكده
قراءة أبي إلا أن يفحشن عليكم. وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة
في نفسه. الأمر الذي يحدثه الله أن يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها ومن الرغبة
عنها إلى الرغبة فيها، ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه فيراجعها. والمعنى
فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون.
فإذا بلغن أجلهن وهو آخر العدة ومشارفته، فأنتم بالخيار إن شئتم
فالرجعة والإمساك بالمعروف والإحسان، وإن شئتم فترك الرجعة
والمفارقة واتقاء الضرار، وهو أن يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا
للعدة عليها وتعذيبا لها. وأشهدوا يعني عند الرجعة والفرقة جميعا،
وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة كقوله وأشهدوا إذا تبايعتم،
وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب إليه في الفرقة. وقيل فائدة
الإشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد، وأن لا يتهم في إمساكها، ولئلا يموت
أحدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث. منكم قال الحسن من المسلمين،
وعن قتادة من أحراركم. لله لوجهه خالصا، وذلك أن يقيموها لا للمشهود له
ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الظلم كقوله

كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم اى ذلكم الحث على اقامة
الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط يوعظ به ومن يتق الله يجوز ان تكون
جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة وطريقة
الاحسن والابعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم
يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل الله له
مخرجا مما في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه
وينفس ويعطه الخلاص ويرزقه من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ان اوفى
المهر وادى الحقوق والنفقات وقل ماله ۝ وعن النبي صلعم انه سئل عمن طلق
ثلثا او الفا هل له من مخرج فتلاها ۝ وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك فقال
لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلث والزيادة اثم في عنقك
ويجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به
يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة ۝
وعن النبي صلعم انه قراها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت
ومن شدائد يوم القيامة ۝ وقال عليه السلم اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها
لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها ۝ وروي ان عوف ابن
مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله
فقال اسر ابني وشكا اليه الفاقة فقال ما امسى عند آل محمد الا مد فاتق
واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته
اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها
فنزلت هذه الآية بالغ امره اى يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه
مطلوب ۝ وقرئ بالغ امره بالاضافة ۝ وبالغ امره بالرفع اى نافذ
امره ۝ وقرأ المفضل بالغا امره على ان قوله قد جعل الله خبر ان
وبالغا حال قدرا تقديرا او توقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله
وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا
بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل ۝ روي ان ناسا

قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت فمعنى ان ارتبتم
ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم في دم
البالغات مبلغ الياس ۝ وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين انه دم حيض
او استحاضة فعدتهن ثلثة اشهر واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب
بها اولى بذلك واللائي لم يحضن هن الصغائر والمعنى فعدتهن ثلثة اشهر فحذف
لدلالة المعنى عليه ۝ اللفظ مطلق في اولات الاحمال فاشتمل على المطلقات
والمتوفى عنهن ۝ وكان ابن مسعود وابي وابو هريرة وغيرهم لا يفرقون
وعن علي وابن عباس عدة الحامل المتوفى عنها ابعد الاجلين وعن عبد الله
من شاء لاعنته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة يعني ان
هذا اللفظ مطلق في الحوامل ۝ وروت ام سلمة ان سبيعة الاسلمية
ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلعم فقال لها قد
حللت فانكحي يجعل له من امره يسرا ييسر له من امره ويحلله من عقده
بسبب التقوى ذلك امر الله يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات والمعنى
ومن يتق الله في العمل بما انزل الله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق
الواجبة عليه مما ذكر من الاسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل
وايتاء اجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والاجر العظيم
اسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كانه
قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن من حيث
سكنتم من وجدكم من للتبعيض مبعضها محذوف معناه اسكنوهن
مكانا من حيث سكنتم اى بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم
اى من بعض ابصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد فاسكنها في بعض
جوانبه من وجدكم فقوله من وجدكم عطف بيان لقوله من حيث سكنتم
وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد
الوسع والطاقة ۝ وقرئ بالحركات الثلث والسكنى والنفقة واجبتان لكل
مطلقة وعند مالك والشافعي ليس للمبتوتة الا السكنى والنفقة لها

رجعية كانت او بائنة

اسكنوهن من حيث سكنتم وهذا مطلق
واما النفقة فبالحامل وعدمها لغيرها لمفهوم
وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن

وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها ابت
طلاقها فقال لها رسول الله لا سكنى لك ولا نفقة ٥ وعن عمر رض لا ندع كتاب
ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها نسيت او شبه لها سمعت النبي صلعم
يقول لها السكنى والنفقة ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا
عليهن في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن او يشغل مكانهن
او غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج ٥ وقيل هو ان يراجعها اذا بقي من عدتها
يومان ليضيق عليها امرها ٥ وقيل هو ان يلجئها الى ان تفتدي منه فان قلت
فاذا كانت كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله وان كن
اولات حمل فانفقوا عليهن قلت فائدته ان مدة الحمل ربما طالت فظن ظان
ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفي ذلك الوهم فان قلت فما تقول
في الحامل المتوفى عنها قلت مختلف فيها فاكثرهم على انه لا نفقة لها لوقوع
الاجماع على ان من اجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة او ولد صغير لا يجب
ان ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل ٥ وعن علي وعبد الله وجماعة
انهم اوجبوا نفقتها فان ارضعن لكم يعني هؤلاء المطلقات ان ارضعن
لكم ولدا من غيرهن او منهن او بعد انقطاع عصمة الزوجية فآتوهن
اجورهن فحكمهن في ذلك حكم الاظآر ٥ ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه
الاستيجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ٥ ويجوز عند الشافعي الائتمار بمعنى التآمر
كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا امر بعضهم بعضا
والمعنى ليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات بمعروف بجميل
وهو المسامحة وان لا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما معا
وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه وان تعاسرتم فسترضع له اخرى
فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاتبة الام
على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك
تريد لن تبقى غير مقضية وانت ملوم وقوله له اي للاب اي سيجد الاب
غير معاسرة ترضع له ولده وان عاسرته امه لينفق كل واحد من الموسرين

والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما امر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات
كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ٥ وقرئ لينفق بالنصب
اي شرعنا ذلك لينفق ٥ وقرأ ابن ابي عبلة قدر سيجعل الله
موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح ابواب الرزق عليهم ٥ او لفقراء الازواج
ان انفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا عتت عن امر ربها اعرضت عنه على
وجه العتو والعناد حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة عذابا نكرا
وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون
فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضي كقوله ونادى اصحاب الجنة
ونادى اصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة
وما هو كائن فكأن قد ٥ وقوله اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد
وبيان لكونه مترقبا كأنه قال اعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم
ذلك يا اولي الالباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز ان يراد
احصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا واثباتها في صحائف الحفظة
وما اصيبوا به من العذاب في العاجل وان يكون عتت وما عطف عليه صفة
للقرية واعد الله لهم جوابا لكأين رسولا هو جبريل صلوات الله
ابدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله في معنى انزال
الذكر فصح ابداله منه ٥ او اريد بالذكر الشرف من قوله وانه لذكر
لك ولقومك فابدل منه كأنه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل
عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله كقوله عند ذي العرش مكين مطاع
او جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كأنه ذكر ٥ او اريد ذا ذكر
اي ملكا مذكورا في السموات وفي الامم كلها ٥ او دل قوله انزل الله اليكم
ذكرا على ارسل فكأنه قيل ارسل رسولا ٥ او اعمل ذكرا في رسولا
اعمال المصدر في المفاعيل اي انزل الله ان ذكر رسولا ٥ او ذكره رسولا
وقرئ رسول على هو رسول انزله ليخرج الذين آمنوا بعد انزاله
ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله

عن مؤمنين وانما امتحن ابعد ايمان الرسول والتبليغ او لمخرج الذين عرف منهم انهم يؤمنون ٥ وقرئ ندخله بالياء والنون قد احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب الله الذي خلق مبتدأ وخبر ٥ وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الارض ٥ قيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه وقيل بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن ٥ وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه ٥ وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر ٥ وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن لتعلموا قرئ بالياء والتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله

سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية وتسمى سورة النبي

بسم الله الرحمن الرحيم

روي ان رسول الله خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروي ان عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة ٥ وروي انه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل تبتغي اما تفسير لتحرم او حال او استئناف

يقال حلل عينه تحليلا وتحلة اذا احلها بالاستثناء او الكفارة وتحلة اليمين والقسم مثل في القلة ومنها قوله عليه السلام الا تحلة القسم اي مدة يسيرة ثم اعلم ان تحقيق معنى الحديث موقوف على تقدمة وهي ان قولك ما تأتينا فتحدثنا يحتمل احد معنيين على قياس الخلاف وهو ان يكون الاول سببا للثاني واسم السبب نفي المسبب فكانه قيل لم يوجد الاتيان فكيف يوجد الحديث فلذلك قيل ما تأتينا فكيف تحدثنا والثاني ان الفعل الثاني لم يحصل عقيب الاول كما تقول ما جاء زيد وعمرو اي ما جاء الا منفردا والاجتماع مجوز ان يكون احدهما جاء فكذلك ههنا يجوز ان يكون الاتيان ووجود الحديث ادنى الا التعاقب الثاني للاول فكانه نفي الاول بعقد المعاقبة الثاني وقد شبهه هذا المسلم يتعذر الاتيان على سبيل الكثرة واستقرار الحديث المعنى كان مثل اتيان كثير ولم يكن حديث وانما ذلك لتوضيح ان النفي لم يرد على ما ذكر ولم يرد سيبويه ان مدلول الكلام ذلك في كل موضع وانما اورد لبعض صوره

٤٧٢

وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله لان الله انما احل ما احل لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور رحيم قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك به قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فيه معنيان احدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها ومنه حلا ابيت اللعن بمعنى استثن في يمينك اذا اطلقها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث ٥ والثاني قد شرع لكم تحليلها بالكفارة ومنها قوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم وقول ذي الرمة قليلا كتحليل الآلي فان قلت ما حكم تحريم الحلال قلت قد اختلف فيه فابو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى وطئها ٥ او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم تكن له نية ٥ وان نوى الظهار فظهار ٥ وان نوى الطلاق فطلاق بائن ٥ وكذلك ان نوى ثنتين وان نوى ثلاثا فكما نوى ولو قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله ولا يدين في القضاء بابطال الايلاء وان قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعي عنده ٥ وعن ابي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضي الله عنهم ان الحرام يمين ٥ وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعي ٥ وعن علي رضي الله عنه ثلث ٥ وعن زيد واحدة بائنة ٥ وعن عثمان ظهار ٥ وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول ما ابالي احرمتها ام قصعة من ثريد ٥ وكذلك عن الشعبي قال ليس بشيء محتجا بقوله ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وما لم يحرمه الله فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله انه قال لما احله الله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع اي منعناه منها وظاهر قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم

انه كانت منه يمين. فان قلت هل كفّر رسول الله صلعم لذلك. قلت عن الحسن انه لم يكفّر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل ان رسول الله اعتق رقبة في تحريم مارية. والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يامركم ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة. وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم. بعض ازواجه حفصة والحديث الذي اسر اليها حديث مارية وامامة الشيخين. نبات به افشته الى عايشة وقرئ انبات واظهره واطلع النبي عليه السلم على الحديث اي على افشائه على لسان جبريل وقيل اظهر الله الحديث على النبي من الظهور. عرف بعضه اعلم ببعض الحديث تكرما قال سفين ما زال التغافل من فعل الكرام. وقرئ عرف بعضه اي جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه تطليقه اياها. وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية. وروي انه قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها اباها. فان قلت هلا قيل فلما نبات به بعضهن وعرف بعضه. قلت ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرف وانما هو ذكر جناية حفصة في وجود الانباء به وافشائه من قبلها وان رسول الله صلعم بكرمه وحلمه لم يوجد منه الا الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة الا ترى انه لما كان المقصود [illegible] فلما نباها به قالت من انباك هذا ذكر المنبئ كيف اتى بضميره. ان تتوبا خطاب لحفصة وعايشة على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس لم ازل حريصا على ان اسال عمر عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يده فتوضا فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كانه كره ما سأله عنه ثم قال هما حفصة وعايشة. فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله من حب ما يحبه

وكراهة ما كرهه

وكراهة ما يكرهه. وقرا ابن مسعود فقد زاغت. وان تظاهرا عليه وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه اي وليه وناصره وزيادة هو ايذان بان نصرته عزيمة من عزائمه وانه يتولى ذلك بذاته وجبريل راس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من الملائكة تعظيما له واظهارا لمكانته عنده. وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين يعني كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم. فان قلت صالح المؤمنين واحد او جمع. قلت هو واحد اريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز ان يكون اصله صالحو المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت اشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط. والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين ظهير فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امراتين على من هؤلاء ظهراؤه. فان قلت قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله اعظم واعظم. قلت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكانه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه. وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا. قرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة. مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات سائحات صائمات. وقرئ سيحات وهي ابلغ. وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره. وقيل سائحات مهاجرات. وعن زيد بن اسلم لم تكن في هذه الامة سياحة الا الهجرة. فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين. قلت اذا طلقهن رسول الله لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن

يذكر الحاضر ويراد به القبيلة الكثيرة الذين يحضرون الماء

من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله والتوفر على هواه ورضاه
خير منكن وقد عرّض بذلك في قوله قانتات لان القنوت هو القيام بطاعة الله
وطاعة الله في طاعة رسوله **فان قلت** لم اخليت الصفات كلها عن العاطف ووسّط
بين الثيبات والابكار **قلت** لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر
الصفات فلم يكن بد من الواو **قوا انفسكم** بترك المعاصي وفعل الطاعات **واهليكم**
بان تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه
صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معه في الجنة
وقيل ان اشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل اهله وقرئ واهلوكم
عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل **فان قلت** أليس التقدير قوا انفسكم وليق
اهلوكم انفسهم **قلت** لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وانفسكم واقع بعده
فكأنه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلّبته عليه
فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب **نارا وقودها الناس والحجارة** نوعا من النار
لا تتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس
هي حجارة الكبريت وهي اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها وقرئ وقودها
بالضم اي ذو وقودها **عليها** يلي امرها وتعذيب اهلها **ملائكة** يعني الزبانية
التسعة عشر واعوانهم **غلاظ شداد** في اجرامهم غلظة وشدة اي
جفاء وقوة او في افعالهم جفاء وخشونة لا تأخذهم رأفة في تنفيذ
اوامر الله والغضب له والانتقام من اعدائه **ما امرهم** في محل النصب على البدل
اي لا يعصون ما امر الله اي امره كقوله تعالى افعصيت امري او لا يعصونه فيما امرهم
فان قلت أليست الجملتان في معنى واحد **قلت** لا فان معنى الاولى انهم
يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية انهم
يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه **فان قلت** قد خاطب
الله المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وقال اعدت للكافرين فجعلها
معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المؤمنين **قلت** الفساق وان كانت

دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل
للذين آمنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين اعدت لهم هذه النار
الموصوفة ويجوز ان يأمرهم بالتوقي من الارتداد والندم على الدخول في الاسلام
وان يكون خطابا للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله
على اثره يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي
يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم او لانه لا ينفعكم
الاعتذار **توبة نصوحا** وصفت التوبة بالنصح على الاسناد المجازي والنصح صفة
التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فيأتوا بها على طريقها متداركة
للفرطات ماحية للسيئات وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين
عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في قبيح
من القبائح الى ان يعود اللبن في الضرع موطنين انفسهم على ذلك وعن علي رضي الله عنه
انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا ان
سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها
ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم
واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله
كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي
وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن
شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وعن ابن السماك
ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه الحياء من الله امام عينيك وتستعد لمنتظرك
وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس
والمؤمنين لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقيل نصوحا
من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل
خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح
الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة
في العمل على مقتضياتها وقرأ زيد بن علي توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم

وهو مصدر نصح كالنصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور اي ذات نصوح
او تنصح نصوحا او توبوا لنصح انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم اطماع من الله
لعباده وفيه وجهان احدهما ان يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الاجابة
بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت والثاني ان يجيء به تعليما
للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذي يدل على المعنى الاول وانه في
معنى البت قراءة ابن ابي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى ان يكفر
كانه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم يوم لا يخزي نصب بيدخلكم
والخزي تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين
على انه عصمهم من مثل حالهم يسعى نورهم على الصراط اتمم لنا نورنا قال ابن عباس
يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن الله متممه
لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور
له وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون به مواطئ
اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون
الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا
فاولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا فان قلت كيف يشفقون والمؤمنون
آمنون ام يأتي آمنا يوم القيامة لا خوف عليهم ولا يحزنهم الفزع الاكبر
او كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب قلت اما الاشفاق فيجوز
ان يكون على عادة البشرية وان كانوا معتقدين للامن واما التقرب
فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة
سماه تقربا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج واستعمل
الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة
وعن قتادة مجاهدة المنافقين باقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد
وقيل بافشاء اسرارهم مثل الله عز وجل حال الكفار انهم يعاقبون على
كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير ابقاء ولا محاباة
ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب او وصلة

صهر لان عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم ابعد من
الاجانب وابعد وان كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا من انبياء الله بحال امرأة نوح
وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما
من وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة
ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء او مع داخليها
من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط ومثل حال المؤمنين في ان وصلة الكافرين
لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها
عند الله مع كونها زوجة اعدى اعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنت
عمران وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين
مع ان قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي المؤمنين المذكورتين
في اول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله بما كرهه وتحذير لهما
على اغلظ وجه واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله ومن
كفر فان الله غني عن العالمين واشارة الى ان من حقهما ان تكونا في الاخلاص
والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وان لا تتكلا على انهما زوجا رسول الله فان
ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح لان امرأة
لوط افشت عليه كما افشت حفصة على رسول الله واسرار التنزيل ورموزه
في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره
فان قلت ما فائدة قوله من عبادنا قلت لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح
في الانسان كائنا من كان وانه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله قال
عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين بانهما عبدان لم يكونا
الا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم الا بالصلاح وحده اظهارا وابانة
لان عبدا من العباد لا يرجح عنده الا بالصلاح لا غير وان ما سواه مما يرجح به
الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده فان قلت ما كانت خيانتهما قلت
نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامرأة نوح قالت لقومه
انه مجنون وامرأة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز ان يراد بالخيانة الفجور

لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه
بل يستحسنونه ويسمونه حقا ۞ وعن ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وامرأة
فرعون آسية بنت مزاحم ۞ وقيل هي عمة موسى آمنت حين سمعت بتلقف
عصا موسى الافك فعذبها فرعون عن ابي هريرة ان فرعون وتد امرأته باربعة
اوتاد واستقبل بها الشمس واضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها ۞ وقيل
امر بان تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقى بروحها فالقيت الصخرة
على جسد لا روح فيه ۞ وعن الحسن فنجاها الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تأكل
وتشرب وتنعم فيها ۞ وقيل لما قالت رب ابن لي اريت بيتها في الجنة يبنى
وقيل انه من درة ۞ وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملائكة فان قلت
ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة قلت طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب
اعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة ۞ او ارادت ارتفاع الدرجة في الجنة
وان تكون جنتها من الجنان التي هي اقرب الى العرش وهي جنات المأوى فعبرت
عن القرب الى العرش بقولها عندك من فرعون وعمله من عمل فرعون ۞ او من نفس
فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة
الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط
كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسألة الخلاص منه
عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء فافتح بيني وبينهم
فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فيه
في الفرج وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء والضمير للجملة
وقد مضى الكلام في هذا الطريق كلام ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع
ومعنى احصنته منعته جبريل وانه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي
لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن وصدقت قرئ بالتشديد
والتخفيف على انها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق
وهو معنى التصديق بعينه فان قلت فما كلمات الله وكتبه قلت يجوز ان يراد
بكلماته صحفه التي انزلت على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه

الكتب الاربعة وان يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه
في اللوح وغيره ۞ وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو
الانجيل فان قلت لم قيل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت صفة
تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون
لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخي موسى صلوات الله
وعن النبي صلعم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم
امرأة فرعون ومريم بنت عمران ۞ وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد
وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ۞ واما ما روي ان عائشة
سالت رسول الله كيف سمى الله المسلمة تعني مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا
لها قالت فما اسمها قال اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط واهلة
فحديث اثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله جماعة من الكفار باسمائهم
وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن
بينها وبين مريم في التمثيل للمؤمنين وابى الله الا ان يجعل للمصنوع امارة تنم
عليه وكلام رسول الله احكم واسلم من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة

سورة الملك مكية وهي ثلثون آية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر ه

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود وهو
على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة قدير وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك
والاستيلاء عليه ۞ والحياة ما يصح بوجوده الاحساس ۞ وقيل ما يوجب كون الشيء
حيا وهو الذي يصح منه ان يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت
والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون
ليبلوكم وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة
من فعل المختبر فان قلت من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوى قلت من حيث
انه تضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته ازيد
احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول

فإن قلت أتسمي هذا تعليقاً قلت لا إنما التعليق أن توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعاً كقولك علمت أيهما عمرو وعلمت أزيد منطلق ألا ترى أنه لا فصل بعد سبق أحد المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدراً بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقاً لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت أزيد منطلق وعلمت زيداً منطلقاً أحسن عملاً قيل أخلصه وأصوبه لأنه إذا كان خالصاً غير صواب لم يقبل وكذلك إذا كان صواباً غير خالص فالخالص أن يكون لوجه الله والصواب أن يكون على السنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلاها فلما بلغ قوله أيكم أحسن عملاً قال أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله يعني أيكم أتم عقلاً عن الله وفهماً لأغراضه والمراد أنه أعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح لأن وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحياة لأن أقوى الناس داعياً إلى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لأنه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له الآية أهم وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل الغفور لمن تاب من أهل الإساءة طباقاً مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل إذا خصفها طبقاً على طبق وهذا وصف بالمصدر أو على ذات طباق أو على طوبقت طباقاً من تفاوت وقرئ من تفوت ومعنى البناءين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته أي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض إنما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضاً ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه متناصف فإن قلت كيف موقع هذه الجملة مما قبلها قلت هي صفة مشايعة لقوله طباقاً وأصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله في خلق الرحمن تعظيماً لخلقهن وتنبيهاً على سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للرسول أو لكل مخاطب وقوله فارجع البصر متعلق به على معنى التسبيب أخبره بأنه لا تفاوت في خلقهن ثم قال فارجع

البصر حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع وأمره بتكرير البصر فيهن متصفحاً ومتتبعاً يلتمس عيباً وخللاً ينقلب إليك أي إن رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع إليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وإدراك العيب بل يرجع إليك بالخسوء والحسور أي بالبعد عن إصابة الملتمس كأنه يطرد عن ذلك طرداً بالصغار والقماءة وبالإعياء والكلال لطول الإجالة والترديد فإن قلت كيف ينقلب البصر خاسئاً حسيراً برجعه كرتين اثنتين قلت معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك تريد إجابات كثيرة بعضها في إثر بعض وقولهم في المثل دهدرين سعد القين من ذلك أي باطلاً بعد باطل فإن قلت فما معنى ثم ارجع قلت أمره برجع البصر ثم أمره بأن لا يقتنع بالرجعة الأولى وبالنظرة الحمقاء وأن يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاود ويعاود إلى أن يحسر بصره من طول المعاودة فإنه لا يعثر على شيء من فطور الدنيا القربى لأنها أقرب السموات إلى الناس ومعناها السماء الدنيا منكم والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بأثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح أي بأي مصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة وضممنا إلى ذلك منافع أخر أنا جعلناها رجوماً لأعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور إلى الظلمات وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء نجم ولكنهم يتخذون الكهانة سبيلاً ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين أن الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسها لأنها قارة في الفلك على حالها وما ذاك إلا كقبس يؤخذ من نار والنار

انقض الحائط اي سقط وانقض الطائر هوى في طيرانه ومنه انقضاض الكواكب

ثابتة كاملة لا تنقص ❊ وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله ❊ وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم اى ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير اذا القوا فيها اى طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله حصب جهنم سمعوا لها شهيقا اما لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها او من انفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق تفور تغلى بهم غليان المرجل بما فيه وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ❊ ويقولون فلان يتميز غيظا ❊ ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة في السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ❊ ويجوز ان يراد غيظ الزبانية الم يأتكم نذير توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله واقرار بان الله عز وعلا ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدرة كما تزعم المجبرة وانما اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله فامر به واوعد على ضده فان قلت ان انتم الا في ضلال كبير من المخاطبون به قلت هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على ان النذير بمعنى الانذار والمعنى الم يأتكم اهل نذير ❊ او وصف منذروهم لغلوهم في الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله انا رسول رب العالمين اى حاملا رسالته ❊ ويجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ارادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا ❊ او ارادوا بالضلال الهلاك او سموا عقاب الضلال باسمه او من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اى قالوا لنا هذا فلم نقبله لو كنا نسمع الانذار سماع طالبين للحق او نعقله عقل متأملين ❊ وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل

ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب اصحاب الرأى كان هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم وكان من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم اليهم حادى عشر وكان من يجوز على الصراط اكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا قرئ بالتخفيف والتثقيل اى فبعدا لهم ❊ اعترفوا او جحدوا فان ذلك لا ينفعهم ❊ ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم في علم الله بهما ثم علله بانه عليم بذات الصدور اى بضمائرها قبل ان تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به ❊ ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الاشياء وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ❊ ويجوز ان يكون من خلق منصوبا بمعنى الا يعلم مخلوقه وهذه حاله ❊ وروى ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله على جهلهم فان قلت قدرت في الا يعلم مفعولا على معنى الا يعلم ذلك المذكور مما اضمر في القلب واظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطى ويمنع وهلا كان المعنى الا يكون عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم قلت ابت ذلك الحال التى هي قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت الا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان الا يعلم معتمد على الحال والشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء ❊ المشى في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير وانباه عن ان يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشى في مناكبها لم يبق شيء لم يذلل ❊ وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فاذا امكنكم السلوك في جبالها فهو ابلغ التذليل ❊ وقيل جوانبها والمعنى واليه نشوركم فهو مسائلكم عن شكر ما انعم به عليكم

اثبت لها مناكب فهو استعارة تخييلية تابعة للاستعارة بالكناية كما تقول مخالب المنية نشبت بفلان ولو لم يكن قبلها تشبيه جبال الارض بالمناكب ثم ذكر المناكب واريد الجبال فهو استعارة مصرح بها حقيقة والضمير من قوله جوانبها يعود الى الجبال اى مناكبها جوانب

من في السماء فيه وجهان احدهما من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته وثم
عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه واوامره
ونواهيه والثاني انهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة
والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم
من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يعذبكم بخسف او بحاصب
كما تقول لبعض المشبهة اما تخاف من فوق العرش ان يعاقبك بما تفعل اذا
رأيته يركب بعض المعاصي فستعلمون قرئ بالتاء والياء كيف نذير
اي اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم صافات
باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا
ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن فان قلت لم قيل ويقبضن ولم يقل
وقابضات قلت لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء
كالسباحة في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض
فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل
بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة
كما يكون من السابح ما يمسكهن الا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من
القوادم والخوافي وبنى الاجسام على شكل وخصائص قد تأتى منه
الجري في الجو انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب
أمن يشار اليه من الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله
ان ارسل عليكم عذابه أمن يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم
ان امسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاوثان
لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم
فكأنه الجند الناصر والرازق ونحوه قوله ام لهم آلهة تمنعهم من
دوننا بل لجوا اي تمادوا في عناد وشراد عن الحق
لثقله عليهم فلم يتبعوه يجعل اكب مطاوع كبه ويقال كببته
فاكب من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب

فاقشع وما هو كذلك ولا شيء من بناء افعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب
سيبويه وانما اكب من باب انفض والأم ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك اقشع
السحاب دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع فان قلت ما معنى
يمشي مكبا على وجهه وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم قلت معناه يمشي معتسفا
في مكان متعاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على
وجهه منكبا فحاله نقيض حال من يمشي سويا اي قائما سالما من العثور والخرور
او مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا
على طريق مستو ويجوز ان يريد الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فيعتسف فلا يزال
ينكب على وجهه وانه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له
وهو مثل للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر اكب على معاصي الله فحشره الله
يوم القيامة على وجهه وعن الكلبي عنى به ابو جهل بن هشام وبالسوي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل حمزة بن عبد المطلب فلما رأوه الضمير للوعد والزلفة القرب
وانتصابها على الحال او الظرف اي رأوه ذا زلفة او مكانا ذا زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا اي ساءت رؤية الوعد وجوههم بان علتها الكآبة
وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد الى القتل او يعرض
على بعض العذاب وقيل القائلون الزبانية تدعون تفتعلون من الدعاء
اي تطلبون وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى اي كنتم بسببه تدعون انكم
لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد انه تلاها في اول الليل في صلاته
فبقي يكررها وهو يبكي الى ان نودي لصلاة الفجر ولعمري انها لوقادة
لمن تصور تلك الحالة وتأملها كان كفار مكة يدعون على رسول الله وعلى
المؤمنين بالهلاك فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين
اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصرة والادالة للاسلام
كما نرجو فانتم ما تصنعون من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم
منه يعني انكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة وانتم
في امر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه

أو إن أهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم من النار وإن رحمنا بالإمهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فإن المقتول على أيدينا هالك وإن أهلكنا الله في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم وإن رحمنا بالإيمان فمن يجير من لا إيمان له فإن قلت لم أخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا قلت لوقوع آمنا تعريضاً بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كأنه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصاً لم نتكل على ما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم غوراً غائراً ذاهباً في الأرض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضا وعن بعض الشطار أنها تليت عنده فقال تجيء به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما

سورة ن مكية وهي ثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قرئ ن والقلم بالبيان والإدغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في صاد والمراد هذا الحرف من حروف المعجم وأما قولهم هو الدواة فما أدري أهو وضع لغوي أم شرعي ولا يخلو إذا كان اسماً للدواة من أن يكون جنساً أو علماً فأين الإعراب والتنوين وإن كان علماً فأين الإعراب وأيهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام فإن قلت هو مقسم به وجب إن كان جنساً أن تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كأنه قيل ودواة والقلم وإن كان علماً أن تصرفه وتجره أو لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث وكذلك التفسير بالحوت إما أن يراد نون من النينان أو يجعل علماً للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور أو ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك أقسم بالقلم تعظيماً له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف وما يسطرون وما يكتب من كتب وقيل ما يسطره الحفظة وما موصولة أو مصدرية ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم أو وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر أو الحفظة فإن قلت بم

يتعلق الباء في بنعمة ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون منفياً كما يتعلق بعاقل مثبتاً في قولك أنت بنعمة الله عاقل مستوياً في ذلك الإثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمراً وما ضرب زيد عمراً تعمل الفعل مثبتاً ومنفياً إعمالاً واحداً ومحله النصب على الحال كأنه قال ما أنت بمجنون منعماً عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه إليه كفار مكة عداوة وحسداً وأنه من إنعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التأهيل للنبوة بمعزل وإن لك على احتمال ذلك وإساغة الغصة فيه والصبر عليه لأجراً لثواباً غير ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك لأنه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وإنما تمن الفواضل لا الأجور على الأعمال استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي أمره الله به في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن عائشة أن سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون المفتون المجنون لأنه فتن أي محن بالجنون أو لأن العرب يزعمون أنه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة أو المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أي بأيكم الجنون أو بأي الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما وهذا كقوله سيعلمون غداً من الكذاب الأشر إن ربك هو أعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون أو يكون وعيداً ووعداً وأنه أعلم بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد أرادوه على أن يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم لو تدهن لو تلين وتصانع فيدهنون فإن قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب بإضمار أن وهو جواب التمني قلت قد عدل به إلى طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ

او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم
هرون انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا **حلاف** كثير الحلف في الحق
والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم **مهين** من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الرأي والتمييز
او اراد الكذاب لانه حقير عند الناس **هماز** عياب طعان وعن الحسن يلوي
شدقيه في اقفية الناس **مشاء بنميم** مضرب نقال للحديث من قوم الى
قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وانشدني
بعض العرب تشببي تشبب النميمه تمشي بها زهرا الى تميمه
مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع
منه دون الممنوع كانه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي
كان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم ولُحمته من اسلم منكم
منعته رفدي عن ابن عباس وعنه ابو جهل وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث
وعن السدي الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ولذلك قيل
زنيم **معتد** مجاوز في الظلم حده **اثيم** كثير الاثام **عتل** غليظ جاف من عتله اذا قاده
بعنف وغلظة **بعد ذلك** بعدما عد له من المثالب والنقائص **زنيم** دعي قال حسان
وانت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد
وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده
وقيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية جعل جفاءه ودعوته
اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولان
الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله ثم كان من
الذين آمنوا وقرأ الحسن عتلّ رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل
عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعز تقطع فتخلى معلقة
في حلقها لانه زيادة معلقة بغير اهله **ان كان ذا مال** متعلق بقوله ولا تطع
يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال اي ليساره وحظه من الدنيا

ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب آياتنا ولا يعمل
فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة
من معنى التكذيب وقرئ أأن كان على الاستفهام على أ لأن كان ذا مال كذب
او أتطيعه لان كان ذا مال وروى الزبيري عن نافع ان كان بالكسر والشرط
للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه
اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله
لعله يتذكر الوجه اكرم موضع في الجسد والانف اكرم موضع من الوجه لتقدمه
له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في
الانف وحمي انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم
انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين
واذالة فكيف بها على اكرم موضع منه ولقد وسم العباس اباعره في وجوهها
فقال له رسول الله اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف
به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين بها
عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله عداوة بان بها عنهم وقيل خطم
يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة في
الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل
ان الخرطوم الخمر وان معناه سنحده على شربها وهو تعسف وقيل للخمر
الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب او لانها تطير في
الخياشيم انا بلوناهم اهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله عليهم
كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة
دون صنعاء بفرسخين فكان ياخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان يترك
للمساكين ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من
العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء
كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو
عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا

وهو من الظلمة المختلطة بالضياء

بينهم فأحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بني إسرائيل مصبحين داخلين في الصبح
مبكرين ولا يستثنون ولا يقولون إن شاء الله فإن قلت لم سمي استثناء وإنما
هو شرط قلت لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث أن معنى قولك لأخرجن إن
شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد فطاف عليها بلاء أو هلاك طائف كقوله
وأحيط بثمره وقرئ طيف فأصبحت كالصريم كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل
الصريم الليل أي احترقت فاسودت وقيل النهار أي يبست وذهبت خضرتها
أو لم يبق فيها شيء من قولهم بيض الإناء إذا فرغه وقيل الصريم الرمال صارمين
حاصدين فإن قلت هلا قيل اغدوا إلى حرثكم وما معنى على قلت لما كان الغدو
إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز أن يضمن
الغدو معنى الإقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح أي فأقبلوا على حرثكم
باكرين يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى
الكتم ومنه الخفدود للخفاش أن لا يدخلنها أن مفسرة وقرأ ابن مسعود
بطرحها بإضمار القول أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول للمسكين
نهي لهم عن تمكينه منه أي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا أرينك هاهنا
الحرد من حاردت السنة إذا منعت خيرها وحاردت الإبل إذا منعت درها
والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني أنهم عزموا
أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال
فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها إلا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا
حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو وغدوا على محاردة جنتهم
وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها أي
غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع أو لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت
نيتهم عاقبهم الله بأن حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وإنما
غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام للتهكم أي قادرين على ما عزموا عليه من
الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد
وقرئ على حرد أي لم يقدروا إلا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله يتلاومون

وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال
أقبل سيل جاء من أمر الله يحرد حرد الجنة المغلة
وقطا حراد سراع يعني وغدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند أنفسهم
يقولون نحن نقدر على صرامها وزي منفعتها عن المساكين وقيل حرد علم
للجنة أي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم أو مقدرين
أن يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان قالوا في بديهة وصولهم إنا لضالون
أي ضللنا جنتنا وما هي بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا
بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا أوسطهم أعدلهم وخيرهم من قولهم
هو من سطة قومه وأعطني من سطات مالك ومنه قوله تعالى أمة وسطا ألم أقل لكم لولا تسبحون
لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم كأن أوسطهم قال لهم حين عزموا
على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من
فوركم وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل
عليه قولهم سبحان ربنا إنا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم إلى التكلم به على
أثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء
لالتقائهما في معنى التعظيم لله لأن الاستثناء تفويض إليه والتسبيح تنزيه له وكل
واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلاة كأنهم كانوا يتوانون
في الصلاة وإلا لنهتهم عن الفحشاء ولكانت لهم لطفا في أن يستثنوا ولا يحرموا المساكين
سبحان ربنا سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم
في منع المعروف وترك الاستثناء يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لأن منهم من زين
ومنهم من قبل ومنهم من أمر بالكف وعذر ومنهم من عصى الأمر ومنهم من سكت
وهو راض أن يبدلنا وقرئ بالتخفيف والتشديد إنا إلى ربنا راغبون طالبون
منه الخير راجون لعفوه كذلك العذاب مثل ذلك العذاب الذي بلونا به
أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم منه
وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد
كلفتني تعبا وعن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه

بلغني أنهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان
فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا ٥ **عند ربهم** أي في الآخرة ٥ **جنات النعيم**
جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا
كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها
فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا إن صح أنا نبعث كما يزعم
محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا إلا مثل ما هي في الدنيا وإلا لم يزيدوا علينا
ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساوونا فقيل أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين
ثم قيل لهم على طريقة الالتفات **ما لكم كيف تحكمون** هذا الحكم الأعوج
كأن أمر الجزاء مفوض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم **أم لكم كتاب** من
السماء تدرسون في ذلك الكتاب أن ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله أم لكم
سلطان مبين فأتوا بكتابكم والأصل تدرسون أن لكم ما تتخيرون بفتح أن
لأنه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله
وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح ٥ وتخير الشيء واختاره أخذ خيره
ونحوه تنخله وانتخله إذا أخذ منخوله ٥ لفلان علي يمين بكذا إذا
ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعني أم ضمنا منكم وأقسمنا لكم بأيمان
مغلظة متناهية في التوكيد **فإن قلت** بم يتعلق إلى يوم القيامة **قلت**
بالمقدر في الظرف أي هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها
إلا يومئذ إذا حكمناكم وأعطيناكم ما تحكمون ٥ ويجوز أن يتعلق ببالغة
على أنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي إليه وافرة لم تبطل منها يمين إلى أن يحصل المقسم
عليه من التحكيم ٥ وقرأ الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير في الظرف **إن لكم لما تحكمون**
جواب القسم لأن معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم أيهم بذلك الحكم زعيم أي قائم
به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بأمورهم
أم لهم شركاء أي ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون
مذهبهم فيه **فليأتوا** بهم إن كانوا صادقين في دعواهم يعني أن أحدا لا يسلم لهم
هذا ولا يساعدهم عليه كما أنه لا كتاب لهم ينطقون به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم

يقوم به ٥ الكشف عن الساق والإبداء عن الخدام مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب
وأصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وإبداء خدامهن
عند ذلك قال حاتم ٥ أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا ٥
وقال ابن الرقيات ٥ تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء ٥
فمعنى **يوم يكشف عن ساق** في معنى يوم يشتد الأمر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق
كما تقول للأقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وإنما هو مثل في البخل وأما
من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود
يكشف الرحمن عن ساقه فأما المؤمنون فيخرون سجدا وأما المنافقون فتكون ظهورهم
طبقا طبقا كأن فيها السفافيد ومعناه يشتد أمر الرحمن ويتفاقم هوله وهو
الفزع الأكبر يوم القيامة ثم كان من حق الساق أن تعرف على ما ذهب إليه
المشبه لأنها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن **فإن قلت** فلم جاءت
منكرة في التمثيل **قلت** للدلالة على أنه أمر مبهم في الشدة منكر خارج
عن المألوف كقوله يوم يدع الداع إلى شيء نكر كأنه قيل يوم يقع أمر فظيع
هائل ٥ ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن أبي عبيدة خرج من خراسان رجلان
أحدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والآخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان
ومن أحس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه ٥ وقرئ يوم
نكشف بالنون وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة
أو للحال أي يوم تشتد الحال أو الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز
وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف إذا دخل في الكشف ومنه
أكشف الرجل فهو مكشف إذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا أو
إضمار اذكر أو يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وأن
ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه ٥ عن ابن مسعود تعقم أصلابهم أي ترد
عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض ٥ وفي الحديث وتبقى أصلابهم طبقا
واحدا أي فقارة واحدة **فإن قلت** لم يدعون إلى السجود ولا تكليف **قلت** لا يدعون
إليه تعبدا أو تكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا مع إعقام

ومقوله بعظم عقمت مفاصل يديه ورجليه إذا يبست ٥

اصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسير لهم وتنديم على ما فرطوا فيه حين
دعوا الى السجود وهم سالموا الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدوا
به ۝ يقال ذرني واياه يريدون كله الي فاني اكفيكه كانه يقول حسبك
ايقاعا به ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به مطيق
له والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقران فلا تشغل قلبك بشانه وتوكل
علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله وتهديدا للمكذبين ۝ استدرجه
الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله
العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا
الى ازدياد الكفر والمعاصي **من حيث لا يعلمون** اي من الجهة التي لا يشعرون
انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين
وهو سبب لهلاكهم **واملي لهم** وامهلهم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما
والصحة والرزق والمد في العمر احسان من الله وافضال يوجب عليهم الشكر
والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك
وصف المنعم بالاستدراج ۝ وقيل كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من
مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر ۝ وسمى احسانه وتمكينه كيدا
كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة
ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه في التسبب للهلاك المغرم الغرامة
اي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في
اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان **ام عندهم الغيب** اي اللوح **فهم يكتبون**
منه ما يحكمون به **لحكم ربك** وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم **ولا تكن**
كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام **اذ نادى** في بطن الحوت **وهو مكظوم** مملوء
غيظا من كظم السقاء اذا ملاه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر
والمغاضبة فتبتلى ببلائه ۝ حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه
وقرا ابن عباس وابن مسعود تداركته ۝ وقرا الحسن تداركه اي تتداركه
على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه كما يقال

كان زيد سيقوم فمنعه فلان اي كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه
القيام ونعمة ربه اي انعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب
لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم يعني ان حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء
ولولا توبته لكانت حاله على الذم ۝ روي انها نزلت باحد حين حل برسول الله ما حل به
فاراد ان يدعو على الذين انهزموا ۝ وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف ۝ وقرئ رحمة
من ربه **فاجتباه ربه** فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى **فجعله من الصالحين** اي من الانبياء ۝ وعن ابن عباس رد الله اليه الوحي
وشفعه في نفسه وقومه ۝ ان مخففة من الثقيلة واللام علمها ۝ وقرئ ليزلقونك
بضم الياء وفتحها وزلقه وازلقه بمعنى ويقال زلق الراس وازلقه حلقه ۝ وقرئ
ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها يعني انهم من شدة تحديقهم ونظرهم
اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك او يهلكونك
من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني ويكاد ياكلني اي لو امكنه بنظره
الصرع او الاكل لفعله قال يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزيل
وقيل كانت العين في بني اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلثة ايام فلا يمر به
شيء فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا عانه فاريد بعض العيانين على
ان يقول في رسول الله مثل ذلك فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه الله ۝ وعن
الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرا هذه الاية **لما سمعوا الذكر** اي
القران لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة **ويقولون انه**
لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه والا فقد علموا انه اعقلهم والمعنى
انهم جننوه لاجل القران **وما هو الا ذكر** وموعظة **للعالمين** فكيف
يجنن من جاء بمثله **عن رسول الله صلى الله عليه** من قرا سورة القلم
اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم ۝

سورة الحاقة احدى وخمسون اية وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **الحاقة** الساعة الو...
او التي فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب ۝ او التي تحق فيها

الامور اى تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اى لا اعرف حقيقته جعل الفعل
لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها ما الحاقة والاصل الحاقة ما هى
اى اى شىء هى تفخيما لشانها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها
وما ادريك واى شىء اعلمك ما الحاقة يعنى انك لا علم لك بكنهها ومدى
عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت
حالها فهى اعظم من ذلك ٥ وما فى موضع الرفع على الابتداء وادراك معلق عنه لتضمنه
معنى الاستفهام ٥ القارعة التى تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالا
نشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف ٥ والنجوم بالطمس والانكدار
ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع فى الحاقة زيادة فى وصف شدتها
ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب
تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم **بالطاغية** بالواقعة
المجاوزة للحد فى الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة ٥ وعن ابن عباس الصاعقة
وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فاهمدتهم ٥ وقيل الطاغية مصدر كالعافية
اى بطغيانهم وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله بريح صرصر ٥ والصرصر
الشديدة الصوت لها صرصرة ٥ وقيل الباردة من الصر كانها التى كرر
فيها البرد وكثر فهى تحرق بشدة بردها **عاتية** شديدة العصف والعتو
استعارة ٥ او عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ
بجبل او اختفاء فى حفرة فانها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم ٥ وقيل عتت
على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن ٥ وروى عن رسول الله صلعم ما ارسل الله سفية
من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء
يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما طغى الماء حملناكم فى
الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح
صرصر عاتية ٥ ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها ٥ الحسوم لا تخلو
من ان يكون جمع حاسم كشهود وقعود ٥ او مصدرا كالشكور والكفور ٥ فان كان
جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة ٥ او متتابعة

مبتدا خبره نحسات وانما نصبها على طريق الحكاية لانه تفسير حسوما ثم اشار
الى انه اذا كان جمعا يكون صفة سبع ليال وثمانية ايام ويكون اما من الحسم بمعنى
القطع ومعناه نحسات على الوجه الذى سبق مثل ولد تعالى ايام نحسات واما من
الحسم بمعنى الكى ويكون المعنى ان هبوب الرياح كان متتابعا فنقول هبوب
الرياح نصب على التمييز وان كان معرفة وقوله ما خفتت ساعة حال منه ٥

هبوب الرياح

هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى اتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم
فى اعادة الكى على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما ان
ينتصب بفعله مضمرا اى تحسم حسوما بمعنى تستاصل استيصالا ٥ او يكون صفة كقولك
ذات حسوم ٥ او يكون مفعولا له اى سخرها عليهم للاستيصال ٥ وقال عبد العزيز بن زرارة
الكلابى ففرق بين بينهم زمان تتابع فيه اعوام حسوم ٥ وقرا السدى
حسوما بالفتح حالا من الريح اى سخرها عليهم مستاصلة ٥ وقيل هى ايام العجوز
وذلك ان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فاهلكتها
وقيل ايام العجز وهى آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر
والمؤتمر والمعلل ومطفى الجمر وقيل مكفى الظعن ومعنى سخرها عليهم سلطها
عليهم كما شاء **فيها** فى مهابها او فى الليالى والايام ٥ وقرى اعجاز نخل **من باقية** من بقية
او من نفس باقية ٥ او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان **ومن قبله** يريد ومن عنده
من تباعه ٥ وقرى ومن قبله اى ومن تقدمه ٥ ويعضد الاولى قراءة عبد الله
وابى ومن معه وقراءة ابى موسى ومن تلقاءه **والمؤتفكات** قرى قوم لوط **بالخاطئة**
بالخطاء ٥ او بالفعلة ٥ او الافعال ذات الخطاء العظيم **رابية** شديدة زائدة فى الشدة
كما زادت قبائحهم فى القبح يقال ربا الشىء يربو اذا زاد ليربوا فى اموال الناس **حملناكم**
حملنا آباءكم **فى الجارية** فى سفينة نوح لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان
حمل آبائهم منة عليهم وكانهم هم المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم **لنجعلها**
الضمير للفعلة وهى نجاة المؤمنين واغراق الكفرة **تذكرة** عظة وعبرة
اذن واعية من شانها ان تعى وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل
وكل ما حفظته فى نفسك فقد وعيته وما حفظته من غير نفسك فقد اوعيته
لقولك اوعيت الشىء فى الظرف ٥ وعن النبى صلعم انه قال لعلى رضه عند نزول هذه
الآية سالت الله ان يجعلها اذنك يا على قال على فما نسيت شيئا بعد وما كان
لى ان انسى **فان قلت** لم قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير **قلت** للايذان
بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعى منهم وللدلالة على ان الاذن
الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهى السواد الاعظم عند الله وان ما سواها

لا يبالي بهم بالة وإن هلك وأما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف
شبه تعي بكبد أسند الفعل إلى المصدر وحسن تذكيره للفصل وقرأ أبو
السمال نفخة واحدة بالنصب مسنداً الفعل إلى الجار والمجرور فإن قلت هما نفختان
فلم قيل واحدة قلت معناه أنها لا تثنى في وقتها فإن قلت فأي النفختين هي قلت
الأولى لأن عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روي عنه أنها
الثانية فإن قلت أما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض إنما هو عند النفخة الثانية
قلت جعل اليوم اسماً للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور
والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا
وإنما كان مجيئك في وقت واحد من أوقاته وحملت ورفعت من جهاتها بريح
بلغت من قوة عصفها أنها تحمل الأرض والجبال أو بخلق من الملائكة أو
بقدرة الله من غير سبب وقرئ وحملت بتخفيف الحمل وهو أحد الثلاثة فدكتا
فدكت الجملتان جملة الأرضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق
وترجع كثيباً مهيلاً وهباء منبثاً والدك أبلغ من الدق وقيل فبسطتا
بسطة واحدة فصارتا أرضاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً من قولك اندك
السنام إذا انفرش وبعير أدك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ
وقعت الواقعة نزلت النازلة وهي القيامة واهية مسترخية
ساقطة القوة جداً بعد ما كانت محكمة مستمسكة يريد والخلق
الذي يقال له الملك ورد إليه الضمير مجموعاً على المعنى
فإن قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين أن يقال والملائكة قلت الملك
أعم من الملائكة ألا ترى أن قولك ما من ملك إلا وهو شاهد أعم من قولك
ما من ملائكة على أرجائها على جوانبها الواحد رجا مقصور يعني أنها
تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون إلى أطرافها وما حولها من حافاتها
ثمانية أي ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم أربعة فإذا كان يوم
القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية
أملاك أرجلهم في تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رءوسهم

على كواهلهم

وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الإنسان وبعضهم على صورة الأسد وبعضهم
على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية أملاك في خلق الأوعال ما بين أظلافها
إلى ركبها مسيرة سبعين عاماً وعن شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك
اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون سبحانك اللهم
وبحمدك لك الحمد على حلمك وعن الحسن الله أعلم كم هم أثمانية أم ثمانية آلاف
وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله ويجوز أن تكون الثمانية
من الروح أو من خلق آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذي خلق الأزواج كلها
مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون العرض عبارة عن المحاسبة
والمساءلة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله وروي أن في
يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ
وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك
كتابه بشماله خافية سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم
فأما تفصيل للعرض ها صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كأف وحس
وما أشبه ذلك وكتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين
باقرءوا لأنه أقرب العاملين وأصله هاؤم كتابي اقرءوا كتابيه فحذف
الأول لدلالة الثاني عليه قطراً قالوا ولو كان العامل الأول لقيل اقرءوه
وأفرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك حسابيه وماليه وسلطانيه
وحق هذه الهاءات أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب إيثار
الوقف إيثاراً لثباتها في المصحف وقيل لا بأس بالوصل والإسقاط
وقرأ ابن محيصن بإسكان الياء بغير هاء وقرأ جماعة بإثبات الهاء
في الوصل والوقف جميعاً لاتباع المصحف ظننت علمت وإنما أجري الظن مجرى
العلم لأن الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام ويقال أظن ظناً
كاليقين أن الأمر كيت وكيت راضية منسوبة إلى الرضا كالدارع والنابل
والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة أو جعل الفعل لها مجازاً
وهو لصاحبها عالية مرتفعة المكان في السماء أو رفيعة الدرجات أو رفيعة

والقصور والأشجار **دانية** ينالها القاعد والنائم. يقال لهم **كلوا واشربوا هنيئا** أكلا وشربا هنيئا أو هنيتم هنيئا على المصدر **بما أسلفتم** بما قدمتم من الأعمال الصالحة **في الأيام الخالية** الماضية من أيام الدنيا. وعن مجاهد أيام الصيام أي كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله. وروي يقول الله تعالى يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية. الضمير في **ليتها** للموتة يقول يا ليت الموتة التي متها **كانت القاضية** أي القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى. أو للحالة أي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لأنه رأى تلك الحالة أبشع وأمر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها **ما أغنى** نفي أو استفهام على وجه الإنكار أي أي شيء أغنى عني ما كان لي من اليسار **هلك عني سلطانيه** ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا. وعن ابن عباس أنها نزلت في الأسود بن عبد الأشد. وعن فناخسرة الملقب بالعضد أنه لما قال:

عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر

لم يفلح بعده وجن وكان لا ينطلق لسانه إلا بهذه الآية. وقال ابن عباس ضلت عني حجتي. ومعناه بطلت حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا **ثم الجحيم صلوه** ثم لا تصلوه إلا الجحيم وهي النار العظمى لأنه كان سلطانا يتعظم على الناس. يقال صلي النار وصلاه النار. سلكه في السلسلة أن تلوى على جسده حتى تلتف عليه أثناؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة. وجعلها سبعين ذراعا إرادة الوصف بالطول كما قال إن تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشد. والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة كأنها أفظع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم. ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة.

إنه تعليل على طريق الاستئناف وهو أبلغ كأنه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد فأجيب بذلك. وفي قوله **ولا يحض على طعام المسكين** دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له. والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما أحسن قول القائل:

إذا نزل الأضياف كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله

يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم. وعن أبي الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع نصفها. وقيل هو منع الكفار وقولهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه. والمعنى على بذل طعام المسكين **حميم** قريب يدفع عنه ويحزن عليه لأنهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسأل حميم حميما **والغسلين** غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل **الخاطئون** الآثمون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل إذا تعمد الذنب. وهم المشركون عن ابن عباس. وقرئ الخاطيون بإبدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها. وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو. وروى عنه أبو الأسود الدؤلي ما الخاطون إنما هو الخاطئون ما الصابون إنما هو الصابئون. ويجوز أن يراد الذين يتخطون الحق إلى الباطل ويتعدون حدود الله. هو إقسام بالأشياء كلها على الشمول والإحاطة لأنها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر. وقيل الدنيا والآخرة والأجسام والأرواح والإنس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة. إن هذا القرآن **لقول رسول كريم** أي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله. وما هو بقول شاعر ولا كاهن كما تدعون. والقلة في معنى العدم أي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة. والمعنى ما أكفركم وما أغفلكم **تنزيل** هو تنزيل بيانا لأنه قول رسول نزل عليه **من رب العالمين**. وقرأ أبو السمال تنزيلا أي نزل تنزيلا. وقيل الرسول الكريم جبريل. وقوله وما هو بقول شاعر دليل على أنه محمد صلى الله عليه وسلم لأن المعنى على إثبات أنه رسول لا شاعر ولا كاهن.

التقوّل افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمى الاقوال المتقوّلة اقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصوّر قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يوخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا بيّن والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقرئ ولو تقوّل على البناء للمفعول **حاجزين** وصف احد لانه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله لستن كاحد من النساء والضمير في عنه للقتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه او لرسول الله اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك في قوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين وهو ايعاد على التكذيب وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن وانه الضمير للقرآن **لحسرة على الكافرين** به المكذبين اذا راوا ثواب المصدقين به او للتكذيب وان القرآن لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين فسبح بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما اهلك له من ايحائه اليك **عن رسول الله صلى الله عليه** من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ضمن سال معنى دعا فعدي تعديته كانه قيل دعا داع **بعذاب واقع** من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم

وقيل هو رسول الله صلعم استعجل بعذاب للكافرين وقرئ سال سائل وهو على وجهين اما ان يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وان يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة سال سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم **فان قلت** بم يتصل قوله **للكافرين قلت** على القول الاول متصل بعذاب صفة له اي بعذاب واقع كائن للكافرين او بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب واقع او بواقع اي بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدا جواب للسائل اي هو للكافرين **فان قلت** فقوله **من الله** بم يتصل **قلت** يتصل بواقع اي واقع من عنده او بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته واوجبت الحكمة وقوعه **ذي المعارج** ذي المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال **تعرج الملائكة والروح اليه** الى عرشه وحيث تهبط منه اوامره **في يوم كان مقداره** كمقدار مدة **خمسين الف سنة** مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلام افرده لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس **فان قلت** بم تعلق قوله **فاصبر قلت** بسال سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله فامر بالصبر عليه وكذلك من سال عن العذاب لمن هو فانما سال على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرا سال سائل او سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد جعل في يوم من صلة واقع اي يقع في يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة اما ان يكون استطالة له لشدته على الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وما قدر ذلك على المومن الا كما بين الظهر والعصر الضمير في **يرونه** للعذاب الواقع او ليوم القيامة فيمن علق في يوم بواقع اي يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر

فالمن اذا البعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه ٥ نصب يوم تكون
بقريبا اى تمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم ٥ او باضمار يقع لدلالة واقع عليه ٥ او يوم
تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت ٥ او هو بدل عن فى يوم فيمن علقه بواقع كالمهل
كدردى الزيت ٥ وعن ابن مسعود كالفضة المذابة فى تلونها كالعهن كالصوف
المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود
فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسال
حميم حميما اى لا يساله بكيف حالك ولا يكلمه لان بكل احد ما يشغله عن المسالة
يبصرونهم اى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المسالة
ان بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل ٥ وقرئ يبصرونهم ٥ وقرئ ولا
يسال على البناء للمفعول اى لا يقال لحميم اين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم
فلا يحتاجون الى السؤال والطلب فان قلت ما موقع يبصرونهم قلت هو كلام
مستانف كانه لما قال ولا يسال حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم
ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم فان قلت لم جمع الضمير فى يبصرونهم
وهما للحميمين قلت المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ٥ ويجوز ان يكون
يبصرونهم صفة اى حميما مبصرين معرفين اياهم ٥ وقرئ يومئذ بالجر
والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب
ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه فى معنى تعذيب ٥ وفصيلته عشيرته
الادنون الذين فصل عنهم تؤويه تضمه انتماء اليها او لياذا بها فى النوائب
ينجيه عطف على يفتدى اى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء ٥ او من فى
الارض وثم لاستبعاد الانجاء يعنى يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم
فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه كلا ردع للمجرم عن الودادة
وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ٥ ثم قال انها والضمير للنار
ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها ٥ ويجوز ان يكون ضميرا مبهما ترجم
عنه الخبر او ضمير القصة ٥ ولظى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب
ويجوز ان يراد اللهب نزاعة خبر بعد خبر لان ٥ او خبر للظى ان كانت الهاء ضمير
القصة ٥ او صفة له ان اردت اللهب والتانيث لانه فى معنى النار ٥ او رفع على التهويل اى هى

نزاعة ٥ وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة ٥ او على انها متلظية نزاعة او
على الاختصاص للتهويل ٥ والشوى الاطراف او جمع شواة وهى جلدة الراس تنزعها نزعا
فتبتكها ثم تعاد تدعو مجاز عن احضارهم كانها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذى
الرمة تدعو انفه الريب ٥ وقوله ليالى اللهو يطبينى فاتبعه ٥ وقول ابى النجم
تقول للرائد اعشبت انزل ٥ وقيل تقول لهم الى الى يا كافر يا منافق
وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب
ويجوز ان يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه فى جلودهم وايديهم وارجلهم كما خلقه
فى الشجرة ٥ ويجوز ان يكون دعاء الزبانية ٥ وقيل تدعو تهلك من قول العرب
دعاك الله اى اهلكك قال ٥ دعاك الله من رجل بافعى من ادبر
عن الحق وتولى عنه وجمع المال فجعله فى وعاء وكنزه ٥ ولم يؤد الزكوة
والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه تكبرا ٥
اريد بالانسان الناس فلذلك استثنى منه الا المصلين ٥ والهلع سرعة الجزع
عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلوع
سريعة السير ٥ وعن احمد بن يحيى قال لى محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع
فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير ابين من تفسيره وهو الذى اذا ناله
شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس ٥ والخير
المال والغنى والشر الفقر ٥ او الصحة والمرض اذا صح الغنى منع المعروف
وشح بماله واذا مرض جزع واخذ يوصى ٥ والمعنى ان الانسان لايثاره
الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كانه مجبول عليهما مطبوع وكانه
امر خلقى وضرورى غير اختيارى كقوله خلق الانسان من عجل ٥ والدليل
عليه انه حين كان فى البطن والمهد لم يكن به هلع ولانه ذم والله لا يذم فعله
والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم وحملوها على المكاره
وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين ٥ وعن النبى صلعم شر ما
اعطى ابن آدم شح هالع وجبن خالع فان قلت كيف قال على صلاتهم دائمون
ثم على صلاتهم يحافظون قلت معنى دوامهم عليها ان يواظبوا على ادائها لا يخلون بها

لا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل العمل أدومه وإن قل وقول عائشة كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع إلى أنفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها حق معلوم هو الزكاة لأنها مقدرة معلومة ○ أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة ○ السائل الذي يسأل ○ والمحروم الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم يصدقون بيوم الدين تصديقا بأعمالهم واستعدادهم له ○ ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله إن عذاب ربهم غير مأمون أي لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الطاعة والاجتهاد أن يأمنه وينبغي أن يكون مترددا بين الخوف والرجاء ○ وقرئ بشهاداتهم وبشهاداتهم ○ والشهادة من جملة الأمانات وخصها من بينها إبانة لفضلها لأن في إقامتها إحياء الحقوق وتصحيحها وفي زيها تضييعها وإبطالها ○ كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت مهطعين مسرعين نحوك مادي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك عزين فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى فهم مفترقون قال الكميت ونحن وجندل باغ تركنا كتائب جندل وقيل كان المستهزئون خمسة أرهط كلا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله إنا خلقناهم مما يعلمون إلى آخر السورة وهو كلام دال على إنكارهم البعث فكأنه قال كلا إنهم منكرون للبعث والجزاء فمن أين يطمعون في دخول الجنة فإن قلت من أي وجه دل هذا الكلام على إنكار البعث قلت من حيث إنه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله خلقناهم مما يعلمون أي من النطف وبالقدرة على أن نهلكهم ونبدل ناسا خيرا منهم وأنه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض أن من قدر على ذلك لم يعجزه الإعادة ويجوز أن يراد

إنا خلقناهم مما يعلمون أي من النطفة المذرة وهي منصبهم الذي لا منصب أوضع منه ولذلك أبهم وأخفى إشعارا بأنه منصب يستحيى من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم ○ وقيل معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ومن حكمنا أن لا يدخل أحد منهم الجنة إلا بالإيمان والعمل الصالح فلم يطمع أن يدخلها من ليس له إيمان وعمل ○ وقرئ برب المشرق والمغرب ○ ويخرجون ○ ويخرجون ○ ومن الأجداث ... بالإظهار والإدغام ○ ونصب ونصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله يوفضون يسرعون إلى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصابهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية تسع أو ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم أن أنذر أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل ويدل أن الناصبة للفعل والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالأمر بالإنذار ويجوز أن تكون مفسرة لأن في الإرسال معنى القول ○ وقرأ ابن مسعود أنذر بغير أن على إرادة القول وأن اعبدوا نحو أنذر في الوجهين فإن قلت كيف قال ويؤخركم مع إخباره بامتناع تأخير الأجل وهل هذا إلا تناقض قلت قضى الله مثلا أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى أي إلى وقت سماه الله وضربه أمدا تنتهون إليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الأطول تمام الألف ○ ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير ليلا ونهارا دائما من غير فتور مستغرقا به الأوقات كلها فلم يزدهم دعائي جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على أنهم ازدادوا عنده فرارا لأنه سبب الزيادة ○ ونحوه فزادتهم رجسا إلى رجسهم فزادتهم إيمانا لتغفر لهم ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون أقبح لإعراضهم عنه ○ سدوا مسامعهم

عن استماع الدعوة **واستغشوا ثيابهم** وتغطوا بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم
أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم في دين الله وقيل لئلا
يعرفهم ويعضده قوله الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون
ثيابهم الاصرار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها يكدمها
ويطردها استعير للاقبال على المعاصي والاكباب عليها **واستكبروا** واخذتهم
العزة من اتباع نوح وطاعته وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط استكبارهم
وعتوهم **فان قلت** ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر
والعلن فيجب أن تكون ثلث دعوات مختلفات حتى يصح العطف **قلت** قد فعل عليه السلام
كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالاهون والترقي في الاشد
فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم
تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال
لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما
وجهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء احد نوعيه الجهار فنصب
به نصب القرفصاء بقعد لكونها احد انواع القعود او لانه اراد بدعوتهم
جاهرتهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به
او مصدرا في موضع الحال اي مجاهرا امرهم بالاستغفار الذي هو التوبة
عن الكفر والمعاصي وقدم اليهم الموعد بما هو اوقع في نفوسهم واحب
اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا في الايمان وبركاته والطاعة
ونتائجها من خير الدارين كما قال واخرى تحبونها نصر من الله ولو ان اهل
القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو انهم اقاموا التورية والانجيل
وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم وان لو استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم
القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وروي سبعين فوعدهم انهم
ان آمنوا رزقهم الله الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله عنه انه
خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال

لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر شبه الاستغفار بالانواء
الصادقة التي لا تخطئ وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله
وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار
فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا ويسألون انواعا فامرتهم
كلهم بالاستغفار فتلا له الآية والسماء المظلة لان المطر منها ينزل الى السحاب
ويجوز ان يراد السحاب او المطر من قوله اذا نزل السماء بارض قوم والمدرار
الكثير الدرور ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل او امرأة
معطار ومتفال جنات بساتين **لا ترجون لله وقارا** لا تأملون له توقيرا اي
تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب
ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار وقوله **وقد خلقكم اطوارا**
في موضع الحال كأنه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان
به لانه خلقكم اطوارا اي تارات خلقكم اولا ترابا ثم خلقكم نطفا
ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم انشأكم خلقا
آخر او لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا وقيل ما لكم
لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال
استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر
نبههم على النظر في انفسهم اولا لانها اقرب منظور فيه منهم ثم على النظر
في العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه
من السموات والارض والشمس والقمر **فيهن** في السموات وهو في السماء الدنيا
لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان
لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس
وابن عمر ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الارض
وجعل الشمس سراجا يبصر اهل الدنيا في ضوئها كما يبصر اهل البيت في ضوء
السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ
قوة ضياء الشمس ومثله قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا

والضياء اقوى من النور ۝ استعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير
وكانت هذه الاستعارة ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين
لا محالة حدوث النبات ۝ ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم
في الاسلام من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى
انبتكم فنبتم نباتا ۝ او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم **ثم يعيدكم فيها**
مقبورين **ثم يخرجكم** يوم القيامة واكده بالمصدر كانه قال يخرجكم حقا
ولا محالة ۝ جعلها بساطا مبسوطة يتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه
فجاجا واسعة منفجة **واتبعوا** رؤساءهم المقدمين اصحاب الاموال والاولاد
وائتموا بما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم واولادهم
التي لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة في الدنيا بان ابدئه خسارا في الآخرة واجرى
ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا وابطالا
لما سواه ۝ وقرئ وولده ۝ وولده بضم الواو وكسرها **ومكروا** معطوف على
لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء
ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على اذاه وصدهم
عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن آلهتكم الى عبادة رب
نوح **مكرا كبارا** قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار اكبر من الكبير والكبّار
اكبر من الكبار ونحوه طوال وطوّال **ولا تذرن ودا** كان هذه المسماة كانت
اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لا تذرن آلهتكم وقد
انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان
ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب
بعبد ود وعبد يغوث ۝ وقيل هي اسماء رجال صالحين ۝ وقيل من اولاد آدم
ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا
فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم ۝ وقيل كان
ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على
صورة فرس ونسر على صورة نسر ۝ وقرئ ودا بضم الواو ۝ وقرأ الاعمش ولا يغوثا
ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين ۝ او عجميين

ففيهما سببا منع الصرف اما التعريف ووزن الفعل واما التعريف والعجمة ولعله قصد
الازدواج فصرفهما لمصادفته اخويهما منصرفين ودا وسواعا ونسرا كما قرئ
وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج **وقد اضلوا** الضمير للرؤساء
ومعناه وقد اضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصين بان يتمسكوا بعبادة الاصنام ليسوا
باول من اضلوهم او وقد اضلوا باضلالهم كثيرا يعني ان هؤلاء المضلين فيهم كثرة
ويجوز ان يكون للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس **فان قلت** علام عطف
قوله ولا تزد الظالمين **قلت** على قوله رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام
بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال ولا تزد الظالمين
الا ضلالا اي قال هذين القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودي
للصلوة وصل في المسجد تحكي قوليه معطوفا احدهما على صاحبه **فان قلت** كيف جاز ان
يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته **قلت** المراد بالضلال الخذلان ومنع
الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من ايمانهم وذلك حسن جميل
يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ۝ ويجوز ان يريد بالضلال الضياع والهلاك
لقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا ۝ تقديم **مما خطيئاتهم** لبيان ان لم يكن اغراقهم
بالطوفان فادخالهم النار الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما
وفي قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما اغرقوا بتاخير الصلة وكفى بها مزجرة
لمن يرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن
وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن
في استيجاب العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطئ على اسلامه ويعلم ان معه
ما يستوجب به العذاب وان خلا من الخطيئة الكبرى ۝ وقرئ خطيئاتهم بالهمزة
وخطياتهم بقلبها ياء وادغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على
ارادة الجنس ۝ ويجوز ان يراد الكفر **فادخلوا نارا** جعل دخولهم النار في الآخرة
كانه متعقب لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن لا محالة فكانه قد كان ۝ او اريد
عذاب القبر ومن مات في ماء او في نار او اكلته السباع والطير اصابه ما يصيب
المقبور من العذاب ۝ وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب ۝ وتنكير النار
اما لتعظيمها او لان الله اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار **فلم يجدوا لهم من دون
الله انصارا**

تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم
كأنه قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله
كقوله أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا ◌ ديّار من الأسماء المستعملة في النفي
العام يقال ما بها ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور
أو من الدار أصله ديوار ففعل به ما فعل بأصل سيد وميت ولو كان فعالا
لكان دوارا فإن قلت بم علم أن أولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة
قلت لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فذاقهم وأكلهم وعرف طباعهم وأحوالهم
وكان الرجل منهم ينطلق بابنه إليه ويقول له احذر هذا فإنه كذاب وإن أبي
حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقد أخبره الله أنه لن
يؤمن من قومك إلا من قد آمن ومعنى لم يلدوا إلا فاجرا كفارا لم يلدوا
إلا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون إليه كقوله من قتل قتيلا فله
سلبه ولوالدي أبوه لمك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت أنوش كانا مؤمنين
وقيل هما آدم وحواء ◌ وقرأ الحسين بن علي لولدي يريد ساما وحاما
بيتي منزلي ◌ وقيل مسجدي ◌ وقيل سفينتي خص أولا من يتصل به لأنهم أولى
وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات تبارا هلاكا فإن قلت ما فعل صبيانهم
حين أغرقوا قلت غرقوا معهم لا على وجه العقاب لكن كما يموتون بأنواع من
أسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب
الآباء والأمهات إذا أبصروا أطفالهم يغرقون منه مولهًا عليهم يهلكون
مهلكا واحدا أو يصدرون مصادر شتى ◌ وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال
علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب ◌ وقيل أعقم الله أرحام نسائهم
وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم
صبي حين أغرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين
تدركهم دعوة نوح ◌

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قرئ أوحي وأصله وحي
يقال أوحى إليه ووحى إليه فقلبت الواو همزة كما يقال أعد وأزن وإذا الرسل
أقتت

وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد أطلقه المازني في المكسورة
أيضا كإشاح وإسادة وإعاء أخيه ◌ وقرأ ابن أبي عبلة وحي على الأصل
أنه استمع بالفتح لأنه فاعل أوحي وإنا سمعنا بالكسر لأنه مبتدأ محكي بعد القول
ثم تحمل عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن من
قولهم إلا الثنتين الأخريين وأن المساجد وأنه لما قام ومن فتح كلهن فعطفا
على محل الجار والمجرور في آمنا به كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد
ربنا وأنه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي نفر من الجن جماعة منهم ما بين
الثلاثة إلى العشرة ◌ وقيل كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وعامة
جنود إبليس منهم قالوا إنا سمعنا أي قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم كقوله فلما قضي
ولوا إلى قومهم منذرين قالوا إنا سمعنا كتابا عجبا بديعا مباينا لسائر
الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الإعجاز وعجب مصدر
يوضع موضع العجيب ◌ وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد أشكاله ونظائره ◌
يهدي إلى الرشد يدعو إلى الصواب وقيل إلى التوحيد والإيمان ◌ الضمير في به للقرآن
ولما كان الإيمان به إيمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك
بربنا أحدا أي ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك به في طاعة الشيطان ويجوز
أن يكون الضمير لله تعالى لأن قوله بربنا يفسره جد ربنا عظمته من قولك جد فلان
في عيني أي عظم وفي حديث عمر رض كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران
جد فينا ◌ وروي في أعيننا ◌ أو ملكه وسلطانه ◌ أو غناه استعارة من
الجد الذي هو الدولة والبخت لأن الملوك والأغنياء هم المجدودون والمعنى
وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته ◌ أو لسلطانه وملكوته أو لغناه
وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك ◌ وقرئ جدا ربنا على التمييز
وجد ربنا بالكسر أي صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة
والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والإيمان تنبهوا على
الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة
وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه ◌ سفيههم إبليس لعنه الله ◌ أو غيره

من مردة الجن ٭ والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ٭ ومنه اشط في السوم
اذا ابعد فيه اي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة
والولد الى الله ٭ وكان في ظننا ان احدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفتري
عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما اضافوا اليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن
كذبهم وافتراؤهم ٭ كذبا قولا كذبا اي مكذوبا فيه ٭ او نصب نصب المصدر
لان الكذب نوع من القول ٭ ومن قرأ ان لن تقول وضع كذبا موضع تقولا
ولم يجعله صفة لان التقول لا يكون الا كذبا ٭ الرهق غشيان المحارم والمعنى
ان الانس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا او كفرا ٭ وذلك ان الرجل من العرب
كان اذا امسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا
الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا
وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم ٭ او فزاد الجن الانس رهقا باغوائهم
واضلالهم لاستعاذتهم بهم ٭ وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم وهو من كلام الجن
يقوله بعضهم لبعض ٭ وقيل الآيتان من جملة الوحي والضمير في وانهم ظنوا
للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش ٭ اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس
طالب متعرف قال ٭ مسسنا من الآباء شيئا وكلنا الى نسب في قومه غير واضع
يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس
وقولهم جسوه باعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع
كلام اهلها والحرس اسم مفرد في معنى الحرس كالخدم في معنى الخدام ولذلك
وصف بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا ونحوه ٭ اخشى رجيلا
او ركيبا غاديا ٭ لان الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركاب
والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين
بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ٭ ويجوز
ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ٭ ومعى جياعا ٭ يعني يجد شهابا
راصدا له ولاجله ٭ فان قلت كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر

فائدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين ٭ قلت قال بعضهم حدث بعد مبعث
رسول الله صلعم وهو احدى آياته والصحيح انه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر
اهل الجاهلية قال بشر بن ابي خازم ٭ والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب ٭
وقال اوس بن حجر ٭ وانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا ٭
وقال عوف بن الخرع ٭ يرد علينا العير من دون الفه او الثور كالدري يتبعه الدم ٭
ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله كثر الرجم
وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا
وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارأيت
قوله وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلعم ٭ وروى
الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس بينا رسول الله صلعم جالس في نفر
من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية
فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم ٭ وفي قوله ملئت دليل على ان
الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها
بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وهذا
ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله واستمعوا قراءته
يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا
الا لامر اراده الله باهل الارض ولا يخلو من ان يكون شرا او رشدا اي خيرا
من عذاب او رحمة او من خذلان او توفيق ٭ منا الصالحون الابرار المتقون
ومنا دون ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له
مقام معلوم وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه او ارادوا غير الصالحين
كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب مفترقة
مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة او كنا في طرائق
مختلفة كقوله ٭ كما عسل الطريق الثعلب ٭ او كانت طرائقنا طرائق قددا
على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه ٭ والقدة
من قد كالقطعة من قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع

وَ النَّفس فِى الارض وهربا حالان اى لن نعجزه كائنين فى الارض اينما كنا
فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء ❁ وقيل لن نعجزه فى الارض ان اراد
بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا ❁ والظن بمعنى اليقين وهذه صفة احوال
الجن وما هم عليه من احوالهم وعقائدهم منهم اخيار واشرار ومقتصدون و
انهم يعتقدون ان الله عز وجل عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجى عنه مهرب
لما سمعنا الهدى هو سماعهم القرآن وايمانهم به فلا يخاف فهو لا يخاف اى
فهو غير خائف ولان الكلام فى تقدير مبتدأ وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك
لقيل لا يخف فان قلت اى فائدة فى رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع
خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف
قلت الفائدة فيه انه اذا فعل ذلك فكانه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على
تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره ❁ وقرأ
الاعمش فلا يخف على النهى بخسا ولا رهقا اى جزاء بخس ولا رهق لانه لم
يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من
حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم ❁ ومنه قوله عم المؤمن من امنه الناس
على انفسهم واموالهم ❁ ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى
ولا ان ترهقه ذلة من قوله ترهقهم ذلة ❁ القاسطون الكافرون
الجائرون عن طريق الحق ❁ وعن سعيد بن جبير ان الحجاج قال له حين اراد
قتله ما تقول فى قال قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا
انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سمانى ظالما مشركا
وتلا لهم قوله واما القاسطون وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا ان الله عز وعلا اوعد قاسطيهم وما وعد
مسلميهم وكفى به وعدا ان قال فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب
وموجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد وان
لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى واوحى
الى ان الشأن والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى اى لو ثبت

ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر
وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم ❁ وذكر الماء الغدق
وهو الكثير بفتح الدال وكسرها ❁ وقرئ بهما لانه اصل المعاش وسعة الرزق
لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه ويجوز ان يكون معناه وان لو استقام
الجن الذين استمعوا على طريقتهم التى كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى
الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببا
فى اتباعهم شهواتهم ووقوعهم فى الفتنة وازديادهم اثما ❁ او لنعذبهم فى كفران
النعمة عن ذكر ربه عن عبادته ❁ او عن موعظته ❁ او عن وحيه يسلكه
وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة اى ندخله عذابا والاصل نسلكه فى عذاب
كقوله ما سلككم فى سقر فعدى الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله
واختار موسى قومه واما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه واسلكه
قال ❁ حتى اذا اسلكوهم فى قتائدة ❁ والصعد مصدر صعد يقال صعد
صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اى يعلوه ويغلبه
فلا يطيقه ❁ ومنه قول عمر رضه ما تصعدنى شىء ما تصعدتنى خطبة
النكاح يريد ما شق على ولا غلبنى وان المساجد من جملة الموحى ❁ وقيل معناه
ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اى فلا تدعوا
مع الله احدا فى المساجد لانها لله خاصة ولعبادته ❁ وعن الحسن يعنى الارض
كلها لانها جعلت للنبى صلعم مسجدا ❁ وقيل المراد بها المسجد الحرام لانه
قبلة المساجد ❁ ومنه قوله ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر
فيها اسمه ❁ وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم
اشركوا بالله فامرنا ان نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد ❁ وقيل
المساجد اعضاء السجود السبعة قال رسول الله امرت ان اسجد على سبعة
آراب وهى الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان ❁ وقيل
هى جمع مسجد وهو السجود عبد الله النبى صلعم فان قلت هلا قيل رسول الله
او النبى قلت لان تقديره واوحى الى انه لما قام عبد الله فلما كان واقعا

في كلام رسول الله عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل ۞ أو لأن المعنى
أن عبادة عبد الله لله ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا
عليه لبدا ۞ ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين
أتاه الجن فاستمعوا لقراءته كادوا يكونون عليه لبدا أي يزدحمون عليه
متراكمين تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به قائما وراكعا وساجدا
وإعجابا بما تلا من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره
وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الآلهة
من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون
عليه متراكمين لبدا جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ۞ ومنها لبدة الأسد
وقرئ لبدا ۞ واللبدة في معنى اللبدة ۞ ولبدا جمع لابد كساجد وسجد
ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر ۞ وعن قتادة تلبدت الإنس
والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله إلا أن ينصره ويظهره على
من ناوأه ۞ ومن قرأ وإنه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين
رجعوا إليهم حاكين ما رأوا من صلاته وازدحام أصحابه عليه في ائتمامهم
به قال للمتظاهرين عليه إنما أدعو ربي يريد ما أتيتكم بأمر منكر إنما أعبد
ربي وحده ۞ ولا أشرك به أحدا وليس ذاك مما يوجب إطباقكم على مقتي
وعداوتي أو قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي
الله ورفضي الإشراك به بأمر يتعجب منه إنما يتعجب ممن يدعو غير الله
ويجعل له شريكا أو قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله ولا رشدا
ولا نفعا أو أراد بالضر الغي ويدل عليه قراءة أبي غيا ولا رشدا ۞ والمعنى
لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم إنما الضار والنافع الله ۞ أو لا أستطيع
أن أقسركم على الغي والرشد إنما القادر على ذلك الله عز وجل ۞ إلا
بلاغا استثناء منه أي لا أملك إلا بلاغا من الله ۞ وقل إني لن يجيرني جملة
معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه
على معنى أن الله إن أراد به سوءا من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره

منه أحد أو يجد من دونه ملاذا يأوي إليه ۞ والملتحد الملتجأ وأصله المدخل
من اللحد وقيل محيصا ومعدلا ۞ وقرئ قال لا أملك أي قال عبد الله للمشركين
أو للجن ۞ ويجوز أن يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا
أي لن أجد من دونه منجى إلا أن أبلغ عنه ما أرسلني به ۞ وقيل إلا هي إن لا
ومعناه إن لا أبلغ بلاغا كقولك إن لا قياما فقعودا ورسالاته عطف
على بلاغا كأنه قيل لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات والمعنى إلا أن أبلغ
عن الله فأقول قال الله كذا ناسبا لقوله إليه وأن أبلغ رسالاته التي
أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان فإن قلت ألا يقال بلغ عنه ومنه قوله عليه
السلام بلغوا عني بلغوا عني قلت من ليست بصلة للتبليغ إنما هو بمنزلة من في قوله
براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله ۞ وقرئ فأن له نار جهنم على فجزاؤه
أن له نار جهنم كقوله فأن لله خمسه أي فحكمه أن لله خمسه ۞ وقال خالدين
حملا على معنى الجمع في من فإن قلت بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له قلت
بقوله يكونون عليه لبدا على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره
ويستقلون عدده حتى إذا رأوا ما يوعدون من يوم بدر وإظهار الله
له عليهم ۞ أو من يوم القيامة فسيعلمون حينئذ أنهم أضعف ناصرا وأقل عددا
ويجوز أن يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم
لعدده كأنه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون ۞ قال المشركون
متى يكون هذا الموعود إنكارا له فقيل قل إنه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه
فإن الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد وأما وقته فما أدري متى يكون
لأن الله لم يبينه لما رأى في إخفاء وقته من المصلحة فإن قلت ما معنى قوله أم يجعل
له ربي أمدا والأمد يكون قريبا وبعيدا ألا ترى إلى قوله تود لو أن بينها وبينه
أمدا بعيدا قلت كان رسول الله صلعم يستقرب الموعد فكأنه قال ما أدري
أهو حال متوقع في كل ساعة أم مؤجل ضربت له غاية ۞ أي هو عالم الغيب
فلا يظهر فلا يطلع ومن رسول تبيين لمن ارتضى يعني أنه لا يطلع على الغيب
إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي هذا إبطال للكرامات

بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شيء من
الارتضاء وادخله في السخط فانه يسلك من بين يديه من ارتضى للرسالة ومن
خلفه رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه
ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما اوحي به اليه ٥ وعن الضحاك
ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة
الملك ليعلم الله ان قد ابلغوا رسالات ربهم يعني الانبياء وحد اولا
على اللفظ في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فان له نار
جهنم خالدين ٥ والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة
والنقصان وذكر العلم كذكره في قوله حتى نعلم المجاهدين ٥ وقرئ ليعلم
على البناء للمفعول واحاط بما لديهم عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته
منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها واحصى كل شيء
عددا من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما
عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال اي وضبط كل شيء معدودا
محصورا او مصدر في معنى احصاء ٥ عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ
سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وهي تسع عشرة او عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

المزمل مزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف بها بادغام التاء
في الزاي ٥ ونحوه المدثر في المتدثر ٥ وقرئ المتزمل على الاصل ٥ والمزمل
بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها على انه اسم فاعل او مفعول من زمله وهو
الذي زمله غيره ٥ او زمل نفسه وكان رسول الله صلعم نائما بالليل متزملا
في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن اليه الحالة التي كان عليها من التزمل في
قطيفة واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا
يعنيه شان الا ترى الى قول ذي الرمة وكائن تخطت ناقتي من مفازة
ومن نائم عن ليلها متزمل يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم

الامور وكفايات الخطوب

متقاعس عن الامر اذا تاخر ولم يتقدم

اذا ليس نفسه فاضافة الى ناقته

على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه
عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى
انكم لا تقدرون عليه والضمير في لن تحصوه لمصدر يقدر اي علم انه لا يصح منكم
ضبط الاوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية الا ان تاخذوا بالاوسع
للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم فتاب عليكم عبارة عن الترخيص في
ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن والمعنى
انه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب ٥ وعبر عن الصلوة
بالقراءة لانها بعض اركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد
فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة الليل ٥ وهذا ناسخ للاول ثم
نسخا جميعا بالصلوات الخمس ٥ وقيل هي قراءة القرآن بعينها ٥ قيل يقرأ مائة
آية ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن ٥ وقيل من قرأ مائة
آية كتب من القانتين ٥ وقيل خمسين آية وقد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر
القيام على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله
وقيل سوى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال ٥ وعن عبد الله بن
مسعود ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه
بسعر يومه كان عند الله من الشهداء ٥ وعن عبد الله بن عمر ما خلق الله
موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل
اضرب في الارض ابتغي من فضل الله وعلم استيناف على تقدير السؤال عن وجه
النسخ واقيموا الصلوة يعني المفروضة والزكوة الواجبة ٥ وقيل زكاة
الفطر لانه لم يكن بمكة زكاة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة
الواجبة جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا
يجوز ان يريد سائر الصدقات وان يريد اداء الزكوة على احسن وجه من اخراج
اطيب المال واعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله
والصرف الى المستحق وان يريد كل شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس
والمال خيرا ثاني مفعولي وجد وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين

ان افعل من اشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة وقرأ ابو السمال هو خير واعظم اجرا بالرفع على الابتداء والخبر عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة

سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه الانصار شعار والناس دثار وقيل هي اول سورة نزلت وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فرايت شيئا وفي رواية عايشة فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري اول ما نزل سورة اقرأ باسم ربك الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل فقال انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه وعن عكرمة انه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال في المزمل قم من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا والصحيح ان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر ويروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر امر بان تكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في الصلوة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلوة وقبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا

وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه الا ترى الى قولهم اعجبني زيد ثوبه كما يقولون اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته وابى الا اجتناب الخبث وايثار الطهر في كل شيء والرجز قرئ بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره لانه كان بريا منه قرأ الحسن ولا تمنن تستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال اي ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان احدهما ان يكون نهيا خاصا برسول الله صلى لان الله اختار له اشرف الآداب واحسن الاخلاق والثاني ان يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولامته وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلثة اوجه الابدال من تمنن كانه قيل ولا تمنن لا تستكثر على انه من المن في قوله عز وجل ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لان من شان المنان بما يعطي ان يستكثره اي يراه كثيرا ويعتد به وان يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا وان يعتبر حال الوقف وقرأ الاعمش بالنصب باضمار ان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن ان تستكثر ويجوز في الرفع ان تحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك فاصبر ولوجه الله فاستعمل الصبر وقيل على اذى المشركين وقيل على اداء الفرائض وعن النخعي على عطيتك كانه وصله بما قبله وجعله صبرا على العطاء من غير استكثار والوجه ان يكون امرا بنفس الفعل وان يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على اذى الكفار لانه احد ما يتناوله العام

والفاء في قوله فإذا نقر للتسبيب كأنه قال اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير
يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والفاء في فذلك للجزاء فإن قلت
بم انتصب إذا وكيف صح أن يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير قلت انتصب إذا بما
دل عليه الجزاء لأن المعنى فإذا نقر في الناقور عسر الأمر على الكافرين والذي أجاز
وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير أن المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير
لأن يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور واختلف في أنها النفخة الأولى
أم الثانية ويجوز أن يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر
كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير فإن قلت فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن
عنه قلت لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن لهم
بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين
وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز أن يراد أنه عسير
لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا وحيدا حال من الله
على معنيين أحدهما ذرني وحدي معه فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم
والثاني خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد أو حال من الخلق على
معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم أول مرة وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي
وكان يلقب في قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية فإن كان
ملقبا به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا
يؤمونه من مدحه والثناء عليه بأنه وحيد قومه لرياسته ويساره
وتقدمه في الدنيا إلى وجه الذم والعيب وهو أنه خلق وحيدا لا مال له
ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه
ممدودا مبسوطا كثيرا أو ممدودا بالنماء من مد النهر ومده نهر
آخر وقيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له
بين مكة والطائف من صنوف الأموال وقيل كان له بستان بالطائف
لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل كان له ألف مثقال وقيل أربعة آلاف

وقيل تسعة آلاف وقيل ألف ألف وعن ابن جريج غلة شهر بشهر وبنين
شهودا حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لأنهم مكفيون
لوفور نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم فهو مستأنس
بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق
إليهم ويجوز أن يكون معناه أنهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل أو تسمع
شهاداتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل
سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص
وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له
تمهيدا وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فأتممت عليه نعمتي الجاه
والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا ومنه قول الناس أدام الله تأييدك
وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش
وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش ثم يطمع أن أزيد استبعاد
واستنكار لطمعه وحرصه يعني أنه لا مزيد على ما أوتي سعة وكثرة
وقيل إنه كان يقول إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لي كلا ردع
له وقطع لرجائه وطمعه إنه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه الاستئناف
كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل إنه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر
لا يستحق المزيد ويروى أنه ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى
هلك سأرهقه صعودا سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى
من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلعم يكلف أن يصعد عقبة
في النار كلما وضع عليها يده ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله
ذابت فإذا رفعها عادت وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين
خريفا ثم يهوي فيه كذلك أبدا إنه فكر تعليل للوعيد كأن الله عاجله
بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا بعناده ويعاقبه في الآخرة بأشد
العذاب وأفظعه لبلوغه بالعناد غايته وأقصاه في تفكيره وتسميته
القرآن سحرا ويجوز أن تكون كلمة الردع متبوعة بقوله سأرهقه

صعوداً ردّاً لزعمه أن الجنة لم تخلق إلا له، وإخباراً بأنه من أشد أهل النار
عذاباً، ويعلّل ذلك بعناده، ويكون قوله إنه فكّر بدلاً من قوله إنه كان
لآياتنا عنيداً بياناً لكنه عناده، ومعناه: فكّر ماذا يقول في القرآن
وقدّر في نفسه ما يقوله وهيّأه فقتل كيف قدّر تعجيب من تقديره وإصابته
فيه المحزّ ورميه الغرض الذي كان ينتحيه قريش. أو ثناء عليه على طريقة
الاستهزاء به. أو هي حكاية لما كرّروه من قولهم قتل كيف قدّر تهكماً
بهم وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله. ومعنى قول القائل: قتله الله
ما أشجعه، وأخزاه الله ما أشعره: الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي
هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك. روي أن الوليد قال لبني
مخزوم: والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام
الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله
لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى. فقالت قريش: صبأ والله الوليد، والله
ليصبأن قريش كلهم. فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه. فقعد إليه حزيناً
وكلمه بما أحماه، فقام فأتاهم فقال: تزعمون أن محمداً مجنون، فهل رأيتموه
يخنق؟ وتقولون إنه كاهن، فهل رأيتموه قط يتكهن؟ وتزعمون أنه
شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط؟ وتزعمون أنه كذاب فهل
جربتم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك: اللهم لا. ثم قالوا
فما هو؟ ففكر فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله
وولده ومواليه، وما الذي يقوله إلا سحر يأثره عن مسيلمة وعن أهل
بابل، فارتج النادي فرحاً وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه. ثم نظر
في وجوه الناس. ثم قطب وجهه. ثم زحف مدبراً. وتشاوس مستكبراً
لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء، وهمّ بأن يرمي بها، وصف أشكاله
التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به. وقيل قدّر ما
يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول. وقيل
قطب في وجه رسول الله ثم أدبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال

وثمّ نظر عطف على فكّر وقدّر، والدعاء اعتراض بينهما. فإن قلت: ما معنى ثمّ
الداخلة في تكرير الدعاء؟ قلت: الدلالة على أن الكرّة الثانية أبلغ من
الأولى، ونحوه قوله: ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمّت اسلمي. فإن قلت: فما معنى المتوسطة
بين الأفعال التي بعدها؟ قلت: الدلالة على أنه قد تأنّى في التأمل وتمهّل، وكان
بين الأفعال المتناسقة تراخ وتباعد. فإن قلت: فلم قيل فقال إن هذا بالفاء
بعد عطف ما قبله بثمّ؟ قلت: لأن الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلّب لم يتمالك
أن نطق بها من غير تلبث. فإن قلت: فلم لم يوسّط حرف العطف بين الجملتين؟ قلت:
لأن الأخرى جرت من الأولى مجرى التوكيد من المؤكَّد. سأصليه سقر
بدل من سأرهقه صعوداً. لا تبقي شيئاً يلقى فيها إلا أهلكته، وإذا
هلك لم تذره هالكاً حتى يعاد، أو لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك
بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة. لوّاحة من لوح الهجير، قال:
تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر. وقيل تلفح الجلدة
لفحة فتدعه أشد سواداً من الليل. والبشر أعلى الجلود. وعن الحسن:
تلوح للناس كقوله: ثم لترونها عين اليقين. وقرئ لواحة
نصباً على الاختصاص للتهويل. عليها تسعة عشر أي يلي أمرها ويتسلط
على أهلها تسعة عشر ملكاً. وقيل صنفاً من الملائكة. وقيل صفاً
وقيل نقيباً. وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات فيما
هو في حكم اسم واحد. وقرئ تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن.
جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس فلا يأخذهم
ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة، ولا يستروحون إليهم، ولأنهم أقوم
خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم، ولأنهم أشد الخلق
بأساً وأقواهم بطشاً. عن عمرو بن دينار: واحد منهم يدفع بالدفعة
الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر. وعن النبي صلعم: كأن أعينهم
البرق، وكأن أفواههم الصياصي، يجرون أشعارهم، لأحدهم مثل
قوة الثقلين، يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل، فيرمي بهم

في النار ويعدي بالجبل عليهم ٥ وروي انها لما نزلت عليها تسعة عشر قال ابو جهل
لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر
وانتم الدهم الشجعان أيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن
اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني
انتم اثنين فانزل الله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي ما جعلناهم
رجالا من جنسكم يطاقون فان قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية
سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين
فما وجه صحة ذلك قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها
هي التي جعلت سببا وذلك ان المراد بقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا
وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر
لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن
بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفي عليه
وجه الحكمة كانه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شانها ان يفتتن بها لاجل
استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان اهل الكتاب لان عدتهم
تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القران ايقنوا انه منزل من الله وازدياد
المؤمنين ايمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما انزل ولما راوا من تسليم اهل
الكتاب وتصديقهم انه كذلك فان قلت لم قال ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب
والمؤمنون والاستيقان وازدياد الايمان دالا على انتفاء الارتياب قلت لانه
اذا جمع لهم اثبات اليقين ونفي الشك كان ابلغ واكد في وصفهم بسكون النفس وثلج
الصدر ولان فيه تعريضا بحال من عداهم كانه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين
المرتابين من اهل النفاق والكفر فان قلت كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم
المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة قلت
معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة
والكافرون بمكة ماذا اراد الله بهذا مثلا وليس في ذلك الا اخبار بما سيكون
كسائر الاخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ٥ ويجوز ان يراد

بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين
بالكذب فان قلت قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول
المنافقين والكافرين ما قالوا فهب ان الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح
ان يكونا غرضين فكيف صح ان يكون قول المنافقين والكافرين غرضا قلت افادت
اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة ان تكون غرضا الا ترى الى قولك خرجت
من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك مثلا
تمييز لهذا ٥ او حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم اية فان قلت لم سموه مثلا قلت
هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم
لهذا العدد واستبداعا له ٥ والمعنى اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب واي
غرض قصد في ان جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم انكاره
من اصله وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص
الكاف في كذلك نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اي مثل ذلك
المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين يعني يفعل فعلا حسنا
مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم ان
افعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه
فيزيدهم كفرا وضلالا وما يعلم جنود ربك وما عليه كل جند من العدد
الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند
بعدده من الحكمة الا هو ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في اعداد السموات
والارضين وايام السنة والشهور والبروج والكواكب واعداد النصب والحدود والكفارات
والصلوات في الشريعة او وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم
الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها ٥ وقيل
هو جواب لقول ابي جهل اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر ٥ وما جعلنا اصحاب
النار الى قوله الا هو اعتراض وقوله وما هي الا ذكرى متصل بوصف سقر وهي
ضميرها اي وما سقر وصفتها الا تذكرة للبشر ٥ او ضمير الايات التي ذكرت
فيها كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى لانهم لا يتذكرون ٥ او ردع لمن ينكر ان تكون

لإحدى الكبر نذيراً «ودبر» بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه صاروا كأمس
الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار إذا خلفه وقرئ إذا أدبر «إنها
لإحدى الكبر» جواب القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر
جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى
عليها ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كأنها
جمع فاعلة أي لإحدى البلايا أو الدواهي الكبر ومعنى كونها إحداهن أنها
من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو أحد الرجال وهي إحدى النساء
«نذيراً» تمييز من إحدى على معنى أنها لإحدى الدواهي إنذاراً كما تقول هي إحدى
النساء عفافاً وقيل هي حال وقيل هو متصل بأول السورة يعني قم نذيراً وهو
من بدع التفاسير وفي قراءة أبي نذير بالرفع خبر بعد خبر لإن أو بحذف
المبتدأ «أن يتقدم» في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك
لمن توضأ أن يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن يتقدم أو يتأخر
والمراد بالتقدم والتأخر السبق إلى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز أن يكون لمن شاء بدلاً من للبشر على أنها منذرة
للمكلفين الممكنين الذين إن شاؤوا تقدموا ففازوا وإن شاؤوا تأخروا فهلكوا
«رهينة» ليست بتأنيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس
لأنه لو قصدت الصفة لقيل رهين لأن فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث
وإنما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن
ومنه بيت الحماسة: أبعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل
كأنه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك «إلا أصحاب
اليمين» فإنهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه بأداء
الحق وعن علي رضي الله عنه أنه فسر أصحاب اليمين بالأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الملائكة «في جنات» أي هم في جنات لا يكتنه وصفها «يتساءلون
عن المجرمين» يسأل بعضهم بعضاً عنهم أو يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته
وتداعيناه فإن قلت كيف طابق قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون

عن المجرمين وهو سؤال عنهم وإنما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما
سلككم قلت ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وإنما هو حكاية قول المسؤولين
عنهم لأن المسؤولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم
ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين إلا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار
كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه «الخوض» الشروع في الباطل وما لا ينبغي فإن قلت
لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخاً وتحسيراً وليكون حكاية الله ذلك
في كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالأطفال
أنهم إنما سألوهم لأنهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار فإن قلت أيريدون
أن كل واحد منهم بمجموع هذه الأربع دخل النار أم دخلها بعضهم بهذه وبعضهم
بهذه قلت يحتمل الأمرين جميعاً فإن قلت لم أخر التكذيب وهو أعظمها قلت أرادوا
أنهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيماً للتكذيب كقوله ثم كان
من الذين آمنوا «واليقين» الموت ومقدماته أي لو شفع لهم الشافعون جميعاً من الملائكة
والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لأن الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط
عليهم وفيه دليل على أن الشفاعة تنفع يومئذ لأنها تزيد في درجات المرتضين
«عن التذكرة» عن التذكير وهو العظة يريد القرآن أو غيره من المواعظ
و«معرضين» نصب على الحال كقولك ما لك قائماً «مستنفرة» شديدة النفار كأنها
تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة
المحمول لها على النفار «والقسورة» جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الأسد
يقال ليوث قساور وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة
من أسماء الأسد وعن ابن عباس ركز الناس وأصواتهم وعن عكرمة ظلمة
الليل شبههم في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم
عنه بحمر جدت في نفارها مما أفزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة
وتهجين لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل أسفاراً وشهادة عليهم بالبله وقلة
العقل ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو إذا رابها رائب ولذلك
كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الإبل وشدة سيرها بالحمر وعدوها

إذا أوردت ما أحسبت عليه بقائهم {صحفا منشرة} قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب
التي يتكاتب بها أو كتبا كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة
على أيديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا لرسول الله لن نتبعك حتى
تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر
فيها باتباعك ونحوه قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم الآية وقيل قالوا إن كان محمد
صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار وقيل
كانوا يقولون بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه
وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل إلا أن يراد بالصحف
المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير صحفا منشرة
بتخفيفهما على أن أنشر الصحف ونشرها واحد كأنزله ونزله ردعهم
بقوله {كلا} عن تلك الإرادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال {بل لا يخافون
الآخرة} فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف ثم ردعهم
عن إعراضهم عن التذكرة وقال {إنه تذكرة} يعني تذكرة بليغة كافية مبهم
أمرها في الكفاية {فمن شاء} أن يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل فإن
نفع ذلك راجع إليه والضمير في {إنه} و{ذكره} للتذكرة في قوله فما لهم عن التذكرة
معرضين وإنما ذكر لأنها في معنى الذكر أو القرآن {وما يذكرون إلا أن
يشاء الله} يعني إلا أن يقسرهم على الذكر ويلجئهم إليه لأنهم مطبوع على قلوبهم
معلوم أنهم لا يؤمنون اختيارا {هو أهل التقوى وأهل المغفرة} هو حقيق
بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بأن يغفر لهم
إذا آمنوا وأطاعوا وروى أنس عن رسول الله صلعم هو أهل أن يتقى وأهل أن
يغفر لمن اتقاه وقرئ يذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد
من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيامة مكية وهي تسع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض

يرون ربهم كما كانوا الخاشعون والراجون أن لا إيابه والباسرة الشديدة العبوس
والباسل أشد منه ولكنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحه {تظن} تتوقع
{أن يفعل بها} فعل هو في شدته وفظاعته {فاقرة} داهية تقصم فقار الظهر
كما توقعت الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير {كلا} ردع عن إيثار الدنيا
على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت
الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون إلى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين
والضمير في {بلغت} للنفس وإن لم يجر لها ذكر لأن الكلام الذي وقعت فيه
يدل عليها كما قال حاتم أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما
وتقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء
{التراقي} العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة
الموت الذي هو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها
وقال حاضرو صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض {من راق} أيكم يرقيه
مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة
الرحمة أم ملائكة العذاب {وظن} المحتضر {أنه الفراق} أن هذا الذي نزل به
هو فراق الدنيا المحبوبة {والتفت} ساقه بساقه والتوت عليها عند علز
الموت وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا
وقيل شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة على أن الساق مثل في الشدة
وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في أكفانه {المساق} أي
يساق إلى الله وإلى حكمه {فلا صدق ولا صلى} يعني الإنسان في قوله أيحسب الإنسان
أن لن نجمع عظامه ألا ترى إلى قوله أيحسب الإنسان أن يترك سدى وهو
معطوف على قوله يسأل أيان يوم القيامة أي لا يؤمن بالبعث فلا صدق
بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز أن يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه وقيل
نزلت في أبي جهل {يتمطى} يتبختر وأصله يتمطط أي يتمدد لأن المتبختر
يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر لأنه يلويه وفي الحديث إذا
مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم

اى المتبختر

يعني كذب رسول الله وتولى عنه واعرض ثم ذهب الى قومه يتبختر
افتخارا بذلك اولى لك بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكرهه
فخلق فسوى فعدله منه من الانسان الزوجين الصنفين الذكر والانثى أليس
ذلك هذا الانشاء بقادر على الاعادة وروي ان رسول الله صلعم كان اذا
قرأها قال سبحانك بلى عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة القيامة
شهدت له انا وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا بيوم القيامة

سورة الانسان مكية وهي احدى وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل بمعنى
قد في الاستفهام خاصة والاصل اهل بدليل قوله اهل رأونا بسفح القاع
ذي الاكم فالمعنى اقد اتى على التقرير والتقريب جميعا اي اتى على الانسان
قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا اي كان شيئا
منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني آدم
بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة حين من الدهر طائفة من الزمن
الطويل الممتد فان قلت ما محل لم يكن شيئا مذكورا قلت محله النصب على الحال
من الانسان كأنه قيل هل اتى عليه حين من الدهر غير مذكور او الرفع
على الوصف لحين كقوله يوما لا تجزي والد عن ولده وعن بعضهم انها تليت
عنده فقال ليتها تمت اراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئا غير
مذكور ولم يخلق ولم يكلف نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرد
اكياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد
ويقال ايضا نطفة مشيج قال الشماخ طوت احشاء مرتجة لوقت
على مشج سلالته مهين ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما
مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من
نطفة قد امتزج فيها الماءان وعن ابن مسعود هي عروق النطفة وعن
قتادة امشاج الوان واطوار يريد انها تكون نطفة ثم علقة
ثم مضغة نبتليه في موضع الحال اي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين

ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا
ويجوز ان يراد ناقلين له من حال الى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن
ابن عباس نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير التأخير يعني
فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف شاكرا وكفورا حالان من الهاء
في هديناه اي مكناه واقدرناه في حالتيه جميعا او دعوناه الى الاسلام بادلة
العقل والسمع كان معلوما منه انه يؤمن او يكفر لالزام الحجة ويجوز ان يكونا
حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله
وهديناه النجدين ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرأ ابو السمال
بفتح الهمزة في اما وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا
واما كفورا فبسوء اختياره ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد والوعد
وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان احدهما ان تكون هذه
النون بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون
صاحب القراءة ممن ضري برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير
المنصرف الابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وعن
الحسن هم الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون الشر والكأس الزجاجة اذا كانت فيها خمر و
تسمى الخمر نفسها كأسا مزاجها ما تمزج به كافورا ماء كافور وهو
اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده عينا
بدل منه وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل
تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور و
عينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير حذف مضاف كأنه
قيل يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص فان قلت لم وصل
فعل الشرب بحرف الابتداء اولا وبحرف الالصاق آخرا قلت لان الكأس
مبتدأ شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكأنه
قيل يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل يفجرونها
تفجيرا ... شاؤوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم يوفون

جواب من عسى يقول ما لهم يمدحون بذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر
على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله
عليه اوفى مستطيرا فاشيا منتشرا بالغا اقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار
الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر على حبه الضمير للطعام اى مع اشتهائه
والحاجة اليه ونحوه وآتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
وعن الفضيل بن عياض على حب الله واسيرا عن الحسن كان رسول الله صلعم يؤتى
بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه فيكون عنده اليومين
والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان الى الكفار
في دار الاسلام ولا تصرف اليهم الواجبات وعن قتادة كان اسيرهم يومئذ
المشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء هو
الاسير من اهل القبلة وعن ابي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وسمى
رسول الله الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما
نطعمكم على ارادة القول ويجوز ان يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله
او بالشكر لان احسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافأة الخلق وان يكون
قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغي ان يكون عليه من اخلص لله وعن
عائشة رض انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا
فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله
ويجوز ان يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيئا
وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فاثنى عليهم والشكور
والكفور مصدران كالشكر والكفر انا نخاف يحتمل ان احساننا اليكم للخوف
من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافأتكم وانا لا نريد منكم المكافأة لخوف
عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة ووصف اليوم بالعبوس مجاز
على طريقين ان يوصف بصفة اهله من الاشقياء كقولهم نهارك صائم روى
ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وان
يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل والقمطرير
قال

مرعوبا يسعى يسرع في مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا
او تولى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته او اراد ثم اقبل يسعى كما
تقول اقبل فلان يفعل كذا بمعنى انشا يفعل فوضع اقبل موضع يفعل ليوصف
بالاقبال فحشر فجمع السحرة كقوله فارسل فرعون في المدائن حاشرين
فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه او امر مناديا فنادى في الناس
بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة وعن ابن عباس
كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري والآخرة انا ربكم الاعلى نكال مصدر
مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الآخرة
والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني الاغراق في الدنيا والاحراق
في الآخرة وعن ابن عباس نكال كلمتيه الآخرة وهي قوله انا ربكم الاعلى والاولى
وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري وقيل كان بين الكلمتين اربعون سنة وقيل
عشرون الخطاب لمنكري البعث يعني اانتم اصعب خلقا وانشاء ام السماء
ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اى جعل مقدار
ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها
مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به
واصلحها من قولك سوى فلان امر فلان غطش الليل واغطشه الله كقولك
ظلم واظلمه ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحاها وابرز
ضوء شمسها يدل عليه قوله تع والشمس وضحاها يريد وضوءها وقولهم وقت الضحى
للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها واضيف الليل والشمس الى السماء
لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها ماءها عيونها المتفجرة
بالماء ومرعاها ورعيها وهو في الاصل موضع الرعي ونصب الارض والجبال باضمار
دحى وارسى وهو الاضمار على شريطة التفسير وقرأهما الحسن مرفوعين على
الابتداء فان قلت هلا ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما ان يكون
معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تاتي
سكناها من تسوية امر المآكل والمشرب وامكان القرار عليها والسكون

يعني عاقبة عقوبة الكلمة الاولى والآخرة

... ليلها ... مثلا ... ضوء شمسها

الرعي بالكسر الكلأ وبالفتح المصدر

بان اجرى الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها اوتادا الماحي تستقر و
يستقر عليها والثاني لا يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله او جاؤكم حصرت
صدورهم واراد بمرعاها ما ياكل الناس والانعام واستعير الرعي للانسان
كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعي ولهذا قيل
دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما
يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء متاعا لكم فعل ذلك تمتيعا لكم
ولانعامكم لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى انعامهم فاذا جاءت الطامة
الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب وفي امثالهم جرى الوادي
فطم على القري وهي القيامة لطمومها على كل هائلة وقيل هي النفخة الثانية
وقيل الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار
يوم يتذكر الانسان ما سعى بدل من اذا جاءت يعني اذا راى اعماله مدونة في كتابه
تذكرها وكان قد نسيها كقوله احصاه الله ونسوه وما في ما سعى موصولة
او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت وقرئ وبرزت لمن يرى
للرائين جميعا اي لكل احد يعني انها تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها اهل
الساهرة كلهم كقولهم قد بين الصبح لذي عينين يريدون لكل من له بصر
وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد وقرا ابن مسعود لمن راى
وقرا عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله اذا راتهم من مكان بعيد
وقيل لمن ترى يا محمد فاما من طغى جواب فاذا اي فاذا جاءت الطامة فان الامر
كذلك والمعنى فان الجحيم ماواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك
وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب الماوى
وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف في الماوى
والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي فصل او مبتدا ونهى النفس الامارة
بالسوء عن الهوى المردي وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها
بالصبر والتوطين على ايثار الخير وقيل الآيتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير
ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى

لامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه ينشد
اذا اما نام ليل الهوجل وفي امثالهم اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا
فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار على
الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله
لا جرم ان رسول الله قد تشمر لذلك مع اصحابه حق التشمر واقبلوا على احياء
لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت
الوانهم وظهرت السيمياء في وجوههم وترامى امرهم الى حيث رحمهم له ربهم
فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعائشة يصلي فهو على هذا ليس بتهجين
بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وامر بان يدوم على ذلك ويواظب
عليه وعن عائشة انها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله اربع عشرة
ذراعا نصفه علي وانا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي فسئلت ما كان قالت والله
ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا
ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل
وبوادره ترعد فقال زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ
ناداه جبريل فقال يا ايها المزمل وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذي
زمل امرا عظيما اي حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله وقرئ قم
الليل بضم الميم وفتحها قال عثمن ابن جني الغرض بهذه الحركة التبلغ
بها هربا من التقاء الساكنين فباي الحركات تحرك فقد وقع الغرض نصفه
بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف كانه قال قم اقل من نصف الليل
والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل
من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف
والزيادة عليه وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث
بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه
وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل وان شئت قلت لما كان معنى
قم الليل الا قليلا نصفه اذا ابدلت النصف من الليل قم اقل من نصف الليل

وجع الضميرين في منه وعليه الى الاقل من النصف فكأنه قيل قم اقل من نصف الليل
او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه
وبين الثلث ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل قليلا الثاني بمعنى
نصف النصف وهو الربع كأنه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا
القليل اعني الربع نصف الربع كأنه قيل او زد عليه قليلا نصفه ويجوز ان تجعل الزيادة
لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع فان قلت
أكان القيام فرضا ام نفلا قلت عن عائشة رضي الله عنها ان الله جعله تطوعا بعد ان
كان فريضة ○ وقيل كان فرضا قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما
تطوعوا به ○ وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة ○ وقيل
كان واجبا وانما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين ○ وعن الكلبي
كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين
ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار ولقوله تعالى فتهجد به نافلة لك
ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات
حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور
الاقحوان وان لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضي الله عنه شر السير
الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر
الالص ○ وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله فقالت لا كسردكم
هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها ○ وترتيلا تأكيد في ايجاب الامر به
وانه ما لا بد منه للقارئ ○ هذه الآية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القرآن
وما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة
على رسول الله لانه متحملها بنفسه ومحملها امته فهي اثقل عليه وابهظ
له واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف
الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة
والهدوء فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه ○ وعن ابن عباس
كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده ○ وعن عائشة رضي الله عنها رأيته ينزل عليه الوحي

في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا ○ وعن الحسن
ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافقين ○ وقيل كلام له وزن ورجحان
ليس بالسفساف ○ ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها
الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت ○ ونشأ من مكانه
ونشز اذا نهض قال نشأنا الى خوص برى نيها السرى ○ والصق منها مشرفات
او قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة
كالعافية ○ ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رجل قام من
اول الليل اتقولين له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم
ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع ○ او العبادة التي تنشأ بالليل اي
تحدث وترتفع ○ وقيل هي ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد اخرى
وقيل الساعات الاول منه ○ وعن علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشاء
ويقول اما سمعتم قول الله تعالى ان ناشئة الليل هذه ناشئة الليل هي اشد وطأ
خاصة دون ناشئة النهار اشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان اردت
النفس ○ او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اردت القيام او العبادة ○
او الساعات ○ او اشد موافقة لما يراد من السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق
وقرئ اشد وطأ بالفتح والكسر والمعنى اشد ثبات قدم وابعد من
الزلل ○ او اثقل واغلظ على المصلي من صلاة النهار من قوله عليه السلام اللهم اشدد
وطأتك على مضر ○ واقوم قيلا واشد مقالا واثبت قراءة لهدو
الاصوات ○ وعن انس رضي الله عنه انه قرأ واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هي
واقوم فقال ان اقوم واصوب واهيأ واحد ○ وروى ابو زيد الانصاري
عن ابي سرار الغنوي انه كان يقرأ فحاسوا بالحاء غير معجمة فقيل له انما
هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد سبحا تصرفا وتقلبا في مهماتك
وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال
وانتفاء الشواغل ○ واما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف
وهو نفشه ونشر اجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه

قيام الليل ، ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو أن الليل أعون على المواطأة وأشد للقراءة لهدوء الرجل وخفوت الصوت وأنه أجمع للقلب وأضم لنشر الهم من النهار لأنه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك ، وقيل إن فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه واذكر اسم ربك ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلعم يستغرق به ساعات ليله ونهاره وتبتل إليه وانقطع إليه فإن قلت كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا قلت لأن معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل رب المشرق والمغرب رفع على المدح وجر على البدل من ربك ، وعن ابن عباس على القسم بإضمار حرف القسم كقولك الله لأفعلن وجوابه لا إله إلا هو كما تقول والله لا أحد في الدار إلا زيد ، وقرأ ابن عباس رب المشارق والمغارب فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليل لأنه هو وحده هو الذي يجب لتوحده بالربوبية أن توكل إليه الأمور ، وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والإظهار ، الهجر الجميل أن يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والإغضاء وترك المكافأة ، وعن أبي الدرداء إنا لنكشر في وجوه قوم ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتقليهم ، وقيل هو منسوخ بآية السيف ، إذا عرف الرجل من صاحبه أنه مستهم بخطب يريد أن يكفاه أو بعدو يشتهي أن ينتقم منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني وإياه أي لا تحتاج إلى الظفر بمرادك ومشتهاك إلا أن تخلي بيني وبينه بأن تكل أمره إلي وتستكفينيه فإن في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم منع حتى يطلب إليه أن يذره وإياه إلا ترك الاستكفاء والتفويض كأنه إذا لم يكل إليه أمره فكأنه منعه منه فإذا وكله إليه فقد أزال المنع وترك وإياه ، وفيه دليل على

على الوثوق بأنه يتمكن من الوفاء بأقصى ما تدعو إليه أمنية المخاطب وبما يزيد عليه النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الإنعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا أهل تنعم وترفه إن لدينا ما يضاد تنعمهم من أنكالا وهي القيود الثقال ، عن الشعبي إذا ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل ونكل وجحيما وهي النار الشديدة الحر والإيقاد وطعاما ذا غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشوك الزقوم وعذابا أليما من سائر العذاب فلا ترى موكولا إليه أمرهم موذونا بينه وبينهم ينتقم منهم مثل ذلك الانتقام ، وروي أن النبي صلعم قرأ هذه الآية فصعق ، وعن الحسن أنه أمسى صائما فأتي بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤوا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق يوم ترجف منصوب بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول في أصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة أجز جفالا وأحلب كثبا عجالا أي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا أي نثر وأسيل ، الخطاب لأهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم فإن قلت لم نكر الرسول ثم عرف قلت لأنه أراد أرسلنا إلى فرعون بعض الرسل فلما أعاده وهو معهود بالذكر أدخل لام التعريف إشارة إلى المذكور بعينه وبيلا ثقيلا غليظا من قولهم كلأ وبيل وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة ، ومنه الوابل للمطر العظيم يوما مفعول به أي فكيف تقون أنفسكم يوم القيامة وهوله إن بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا ، ويجوز أن يكون ظرفا أي فكيف لكم بالتقوى يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا ، ويجوز أن ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم أي فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء لأن تقوى الله خوف عقابه يجعل الولدان شيبا مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الأطفال والأصل فيه أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشيب

الصنديد الشجاع وعث وصنديد عظيم القطر

قال أبو الطيب: والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم
وقد مر بي في بعض الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب وأصبح وهو
أبيض الرأس واللحية كالثغامة فقال أريت القيامة والجنة والنار في
المنام ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار فمن هول ذلك أصبحت كما
ترون. ويجوز أن يوصف اليوم بالطول وأن الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة
والشيب. السماء منفطر به وصف لليوم بالشدة أيضا وأن السماء على عظمها
وإحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق. وقرئ منفطر ومتفطر
والمعنى ذات انفطار. أو على تأويل السماء بالسقف. أو السماء شيء منفطر
والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني أنها تنفطر
بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به. ويجوز أن يراد السماء
مثقلة به إثقالا يؤدي إلى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه
كقوله ثقلت في السموات والأرض. وعده من إضافة المصدر إلى المفعول والضمير
لليوم. ويجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل وهو الله عز وجل ولم يجر له ذكر لكونه
معلوما. إن هذه الآيات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة موعظة فمن شاء
اتعظ بها واتخذ سبيلا إلى الله بالتقوى والخشية. ومعنى اتخاذ السبيل إليه
التقرب والتوسل بالطاعة. أدنى من ثلثي الليل أقل منهما وإنما استعير
الأدنى وهو الأقرب للأقل لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما
بينهما من الأحياز وإذا بعدت كثر ذلك. وقرئ نصفه وثلثه بالنصب
على أنك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما
مر في أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص
منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الأدنى من الثلثين. وقرئ
ونصفه وثلثه بالجر أي تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف والثلث وهو
مطابق للتخيير بين النصف وهو أدنى من الثلثين والثلث وهو أدنى من النصف
والربع وهو أدنى من الثلث وهو الوجه الأخير. وطائفة من الذين معك
ويقوم ذلك جماعة من أصحابك. والله يقدر الليل والنهار ولا يقدر

في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس: لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر
وقال غوية بن سلمى: ألا نادت أمامة باحتمالي ليحزنني فلا بك ما أبالي
وفائدتها توكيد القسم وقالوا إنها صلة مثلها في لئلا يعلم أهل الكتاب وقوله
في بئر لا حور سرى وما شعر. واعترضوا عليه بأنها تزاد في وسط الكلام
لا في أوله وأجابوا بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض
صحيح لأنها لم تقع مزيدة إلا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد ألا ترى
إلى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته. والوجه أن يقال هي للنفي والمعنى
في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم
وإنه لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه بإدخال حرف النفي يقول إن إعظامي له بإقسامي
به كلا إعظام يعني أنه يستأهل فوق ذلك. وقيل إن لا نفي لكلام ورد له
قبل القسم كأنهم أنكروا البعث فقيل لا أي ليس الأمر على ما ذكرتم ثم قيل أقسم
بيوم القيامة. فإن قلت قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والأبيات التي أنشدتها
المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت أن لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي
بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف هاهنا منفيا كقولك
لا أقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى. قلت لو قصروا الأمر على النفي دون
الإثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر ألا ترى كيف لقي لا أقسم بهذا
البلد بقوله لقد خلقنا الإنسان في كبد. وكذلك فلا أقسم بمواقع النجوم بقوله إنه
لقرآن كريم. وقرئ لأقسم على أن اللام للابتداء وأقسم خبر مبتدأ محذوف
معناه لأنا أقسم. ويعضده أنه في الإمام بغير ألف. النفس اللوامة بالنفس
المتقية التي تلوم النفوس يعني أي في يوم القيامة على تقصيرهن في التقوى أو بالتي
لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان. وعن الحسن إن المؤمن لا تراه
إلا لائما نفسه وإن الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه. وقيل هي التي تتلوم
يومئذ على ترك الازدياد إن كانت محسنة وعلى التفريط إن كانت مسيئة.
وقيل هي نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة.
وجواب القسم ما دل عليه قوله أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه وهو لتبعثن

وعن ... قتادة ان لن نجمع عظامه على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اقطار الارض ❁ وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلعم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اؤمن بك ❁ او يجمع الله العظام فنزلت بلى اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكانه قيل بلى نجمعها قادرين حال من الضمير في نجمع اي نجمع العظام قادرين على تأليف جمعها واعادتها الى التركيب الاول على ان نسوي بنانه اي اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه او على ان نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام ❁ وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على ان نسوي اصابع يديه ورجليه اي نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينها فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا مما يعمل بالاصابع المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض والتأتي لما يريد من الحوائج ❁ وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى آخر ❁ او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب الانسان ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه ❁ وعن سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت على شر احواله واسوء اعماله يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله ايان يوم القيامة ونحوه ويقولون متى هذا الوعد فاذا برق البصر تحير فزعا واصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره ❁ وقرئ برق من البريق اي لمع من شدة شخوصه ❁ وقرأ ابو السمال بلق اذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وابلقته وبلقته فتحته وخسف القمر وذهب ضوءه او ذهب بنفسه

اى المراد ذهاب ضوءه او ذهب به بانعدامه

وقرئ وخسف على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر حيث يطلعهما الله من المغرب ❁ وقيل وجمعا في ذهاب الضوء ❁ وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار ❁ وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى المفر بالفتح المصدر وبالكسر المكان ❁ ويجوز ان يكون مصدرا كالمرجع ❁ وقرئ بهما كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ وكل ما التجأت اليه من جبل او غيره وتخلصت به فهو وزرك الى ربك خاصة يومئذ مستقر العباد اي استقرارهم يعني انهم لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا اليه ❁ او الى حكمه ترجع امور العباد لا تحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم او الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار او مفوض ذلك الى مشيئته من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار بما قدم من عمل عمله ❁ وبما اخر منه لم يعمله ❁ او بما قدم من ماله فتصدق به وبما اخره فخلفه ❁ او بما قدم من عمل الخير والشر وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده ❁ وعن مجاهد باول عمله وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالابصار في قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة والمعنى انه ينبأ باعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزي عن الانباء لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولو القى معاذيره ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها ❁ وعن الضحاك ولو ارخى ستوره والمعاذير الستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب وهو ليس بجمع معذرة والا لقيل معاذر المعاذير بل هي اسم جمع لها ونحوها المناكير في المنكر لا تحرك به لسانك الضمير للقرآن وكان رسول الله اذا لقنه جبريل القرآن نازعه جبريل القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان ينفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي

ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ «لتعجل به» لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك
ثم علل النهي عن العجلة بقوله «إن علينا جمعه» في صدرك وإثبات قراءته في لسانك
«فإذا قرأناه» جعل قراءة جبريل قراءته والقرآن القراءة «فاتبع قرآنه»
فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ فنحن
في ضمان تحفيظه «ثم إن علينا بيانه» إذا أشكل عليك شيء من معانيه كأنه
كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه
«ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه» «كلا» ردع لرسول الله عن عادة العجلة
وإنكار لها عليه وحث على الأناة والتؤدة وقد بالغ في ذلك بإتباعه
قوله «بل تحبون العاجلة» كأنه قال بل أنتم يا بني آدم لأنكم خلقتم من عجل وطبعتم
عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقرئ بالياء
وهو أبلغ. فإن قلت كيف اتصل قوله «لا تحرك به لسانك» إلى آخره بذكر القيامة
قلت اتصاله به من جهة هذا التخلص منه إلى التوبيخ بحب العاجلة وترك
الاهتمام بالآخرة. الوجه عبارة عن الجملة والناضرة من نضرة النعيم «إلى ربها
ناظرة» تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره وهذا معنى تقديم المفعول
ألا ترى إلى قوله «إلى ربك يومئذ المستقر» «إلى ربك يومئذ المساق»
«إلى الله تصير الأمور» «وإليه ترجعون» «وإلى الله المصير» «عليه توكلت وإليه أنيب»
كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا
يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فإن المؤمنين
نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه
الاختصاص والذي يصح معه أن يكون من قول الناس أنا إلى فلان ناظر ما
يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل: وإذا نظرت إليك
من ملك والبحر دونك زدتني نعما. وسمعت سروية مستجدية
بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون إلى مقائلهم تقول
عيينتي نويظرة إلى الله وإليكم. والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة

رسول الله بنفسه حتى تفتر المشافهة في جوفه «أيان مرساها» متى إرساؤها
أي إقامتها أرادوا متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها. وقيل أيان منتهاها
ومستقرها كما أن مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي إليه «فيم أنت» في أي
شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها
في شيء. وعن عائشة لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت
فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كأنه قيل في أي شغل واهتمام أنت من ذكرها
والسؤال عنها. والمعنى أنهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها
وتسأل عنها. ثم قال «إلى ربك منتهاها» أي منتهى علمها لم يؤت علمها أحدا
من خلقه. وقيل «فيم» إنكار لسؤالهم أي فيم هذا السؤال ثم قيل «أنت من
ذكراها» أي إرسالك وأنت خاتم الأنبياء وآخر الرسل المبعوث في نسيم الساعة
ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها
ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها «إنما أنت منذر من يخشاها»
أي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه وإنما بعثت لتنذر
من أهوالها من يكون من إنذارك لطفا له في الخشية منها. وقرئ منذر بالتنوين
وهو الأصل والإضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فإذا أريد الماضي
فليس إلا الإضافة كقولك هو منذر زيد أمس. أي كأنهم لم يلبثوا في الدنيا وقيل
في القبور «إلا عشية أو ضحاها» فإن قلت كيف صحت إضافة الضحى إلى العشية
قلت لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد. فإن قلت فهلا قيل إلا عشية
أو ضحى وما فائدة الإضافة قلت الدلالة على أن مدة لبثهم كأنها لم تبلغ يوما
كاملا ولكن ساعة منه عشيته أو ضحاه فلما ترك اليوم أضافه إلى عشيته
فهو كقوله «لم يلبثوا إلا ساعة من نهار». عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
النازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة

سورة عبس اثنتان وأربعون آية وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم. أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك

بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وعنده صناديد قريش عتبة و
شيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية
بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم
غيرهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو
لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه
فنزلت فكان رسول الله صلعم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه
ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال انس
رايته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبس بالتشديد
للمبالغة ونحوه كلح في كلح **أن جاءه** منصوب بتولى او بعبس على اختلاف
المذهبين ومعناه عبس لأن جاءه الاعمى واعرض لذلك وقرئ آأن جاءه
بهمزتين وبألف بينهما ووقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى الان جاءه
الاعمى فعل ذلك انكارا عليه وروي انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا
تصدى لغني وفي الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على
زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في
الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك
كانه يقول قد استحق عنده العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده
لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس بادب الله
في هذا ادبا حسنا فقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله ان الفقراء
كانوا في مجلسه امراء **وما يدريك** واي شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى
لعله يزكى اي يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض اوضار الاثم **او يذكر**
او يتعظ **فتنفعه** ذكراك اي موعظتك وتكون له لطفا في بعض الطاعات والمعنى
انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك او تذكر ولو دريت لما فرط
ذلك منك وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك طمعت في ان يتزكى
بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما
طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل

كقوله

كقوله فاطلع الى اله موسى **تصدى** تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة
وقرئ تصدى بالتشديد بادغام التاء في الصاد وقرأ ابو جعفر تصدى
بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدي له من الحرص والتهالك
على اسلامه وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ **يسعى**
يسرع في طلب الخير **وهو يخشى** الله او يخشى الكفار واذاهم في اتيانك وقيل جاء
وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة **تلهى** تتشاغل من لهي عنه والتهى وتلهى
وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ ابو جعفر تلهى اي يلهيك شأن الصناديد
فان قلت قوله فانت له تصدى فانت عنه تلهى كان فيه اختصاصا **قلت** نعم ومعناه
انكار التصدي والتلهي عليه اي مثلك خصوصا لا ينبغي له ان يتصدى للغني ويتلهى
عن الفقير **كلا** ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله **انها تذكرة** اي موعظة
يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها **فمن شاء ذكره** اي كان حافظا له غير ناس
وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ **في صحف** صفة لتذكرة
يعني انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح **مكرمة** عند الله **مرفوعة** في السماء
او مرفوعة المقدار **مطهرة** منزهة عن ايدي الشياطين لا يمسها الا ايدي ملائكة
مطهرين **سفرة** كتبة ينتسخون الكتب من اللوح **بررة** اتقياء وقيل هي
صحف الانبياء كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى وقيل السفرة القراء وقيل
اصحاب رسول الله **قتل الانسان** دعاء عليه وهي من اشنع دعواتهم لان القتل قصارى
شدائد الدنيا وفظائعها **ما اكفره** تعجب من افراطه في كفران نعمة الله
ولا ترى اسلوبا اغلظ منه ولا اخشن مسا ولا ادل على سخط ولا ابعد شوطا في المذمة
مع تقارب طرفيه ولا اجمع للائمة على قصر متنه ثم اخذ في وصف حاله من ابتداء
حدوثه الى ان انتهى وما هو مغمور فيه من اصول النعم وفروعها وما هو غارز
فيه رأسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب
عليه من القيام بالشكر **من اي شيء خلقه** من اي شيء حقير مهين خلقه ثم بين
ذلك الشيء بقوله **من نطفة خلقه فقدره** فهيأه لما يصلح له ويختص به
ونحوه وخلق كل شيء فقدره تقديرا **ثم السبيل** نصب السبيل باضمار يسره وفسره

يبسّره والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن امه او السبيل الذي يختار
سلوكه من طريقي الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل
وعن ابن عباس بين له سبيل الخير والشر فأقبره جعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة
له ولم يجعله مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال
قبر الميت اذا دفنه واقبره الميت اذا امره ان يقبره ومكنه منه ومنه
قول من قال للحجاج اقبرنا صالحا انشره انشأه النشأة الاخرى وقرئ
نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض لم يقض بعد مع تطاول الزمان
وامتداده من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله حتى يخرج عن جميع اوامره
يعني ان انسانا لم يخل من تقصير قط ولما عدد النعم في نفسه اتبعه ذكر
النعم فيما يحتاج اليه فقال فلينظر الانسان الى طعامه الذي يعيش به كيف دبرنا امره
انا صببنا الماء يعني الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على البدل من
الطعام وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما انى صببنا بالامالة على معنى فلينظر
الانسان كيف صببنا الماء شققنا من شق الارض بالنبات ويجوز ان يكون من
شقها بالكراب على البقر واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب والحب
كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والقضب الرطبة والمقاضب
ارضه سمي بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة وحدائق
غلبا يحتمل ان يجعل كل حديقة غلباء فيريد تكاثفها وكثرة اشجارها
وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وان يجعل شجرها غلبا اي عظاما غلاظا والاصل
في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدي كرب
يمشي بها غلب الرقاب كأنهم بزل كسين من الكحيل جلالا وابّا ومرعى
لانه يؤب اي يؤم وينتجع والاب والام اخوان قال
جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الاب به والمكرع وعن ابي بكر رضي الله عنه
انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله
ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب
ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر

لعمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه فان قلت
فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته قلت لم يذهب الى ذلك
ولكن القوم كانت اكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم
لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان الآية مسوقة في الامتنان على الانسان بمطعمه
واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية ان الاب بعض ما انبته الله للانسان
متاعا له او لانعامه فعليك بما هو اهم من النهوض بالشكر على ما تبين لك ولم
يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات
الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية الى ان يتبين لك في غير هذا الوقت
ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما اشبه ذلك من مشكلات القرآن
يقال صخ لحديثه مثل اصاخ فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس
يصخون لها يفر منهم لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه انهم لا يغنون عنه
شيئا وبدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم
اقرب واحب كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه
وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان
قصرت في برنا والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم
تعلمنا ولم ترشدنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابرهيم
ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح يغنيه يكفيه في الاهتمام به
وقرئ يعنيه اي يهمه مسفرة مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء
وعن ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه
بالنهار وعن ابن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله
غبرة غبار يعلوها قترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة
والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت وكان الله تعالى يجمع الى سواد
وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم في التكوير وجهان
أن يكون من كورت العمامة إذا لففتها أي يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه
وانتشاره في الآفاق وهي عبارة عن إزالتها والذهاب بها لأنها ما دامت
باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها
لأن الثوب إذا أريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله يوم نطوي السماء والثاني أن يكون
من طعنه فجوره وكوره إذا ألقاه أي تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت
النجوم بالانكدار فإن قلت ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية قلت
بل على الفاعلية رافعها مضمر يفسره كورت لأن إذا يطلب الفعل لما فيه
من معنى الشرط انكدرت انقضت قال أبصر خربان فضاء فانكدر
ويروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال إنكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم سيرت أي عن وجه الأرض وأبعدت أو سيرت
في الجو تسيير السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب والعشار جمع عشراء
كالنفاس جمع نفساء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى أن تضع
إلى تمام السنة وهي أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم عطلت تركت
مسيبة مهملة وقيل عطلها أهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بأنفسهم
وقرئ عطلت بالتخفيف حشرت جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر
كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل إذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى
منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس
حشرها موتها يقال إذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة
وقرئ حشرت بالتشديد سجرت قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور
إذا ملأه بالحطب أي ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا
وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب
ماؤها فلا يبقى فيها قطرة زوجت قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت
الأرواح بالأجساد وقيل بكتبها وأعمالها وعن الحسن هو كقوله وكنتم أزواجا
ثلثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين وأد يئد مقلوب

وأد من أود كعقل من عقل

من آد يؤود إذا أثقل قال الله تعالى ولا يؤوده حفظهما لأنه إثقال بالتراب كان
الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر
ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية
فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئرا في
الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها
التراب حتى تستوي البئر بالأرض وقيل كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة
فتمخضت على رأس الحفيرة فإذا ولدت بنتا رمت بها في الحفيرة وإن ولدت ابنا
حبسته فإن قلت ما حملهم على وأد البنات قلت الخوف من لحوق العار بهم من
أجلهن أو الخوف من الإملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق وكانوا
يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن وصعصعة بن
ناجية ممن منع الوأد فيه افتخر الفرزدق في قوله ومنا الذي منع الوائدات
فإن قلت فما معنى سؤال الموءودة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد
عن موجب قتله لها قلت سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في
قوله لعيسى أأنت قلت للناس إلى قوله سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق
وقرئ سألت أي خاصمت عن نفسها وسألت الله أو قاتلها وإنما قيل قتلت
بناء على أن الكلام إخبار عنها ولو حكي ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت
أو كلامها حين سئلت لقيل قتلت وقرأ ابن عباس قتلت على الحكاية وقرئ
قتلت بالتشديد وفيه دليل على أن أطفال المشركين لا يعذبون وعلى
أن التعذيب لا يستحق إلا بالذنب وإذا بكت الله الكافر ببراءة الموءودة
من الذنب فما أقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة أن يكر عليها بعد هذا
التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب السرمد وعن ابن
عباس أنه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية نشرت قرئ بالتخفيف والتشديد
يريد صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر إذا حوسب
عن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة
فلينظر رجل ما يملي في صحيفته وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا قرأها قال إليك
يساق الأمر يا ابن آدم

وعن النبي صلعم أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة كيف بالنساء فقال
شغل الناس يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر
ومثاقيل الخردل ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أي فرقت بينهم وعن مرثد بن
وداعة إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة
المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم أي مكتوب
فيها ذلك وهي صحف غير صحف الأعمال كشطت كشفت وأزيلت كما يكشط الإهاب
عن الذبيحة والغطاء عن الشيء وقرأ ابن مسعود قشطت واعتقاب
الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور
سعرت أوقدت إيقادا شديدا وقرئ سعّرت بالتشديد للمبالغة
قيل سعرها غضب الله وخطايا بني آدم أزلفت أدنيت من المتقين كقوله
وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست
منها في الدنيا وست في الآخرة وعلمت هو عامل النصب في إذا الشمس كورت
وفيما عطف عليه فإن قلت كل نفس تعلم ما أحضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت نفس قلت هو من عكس كلامهم
الذي يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه ومنه قوله ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين ومعناه كم وأبلغ منه وقول القائل قد أترك القرن مصفرا أنامله
وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي
أو لا تعدم عندي فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي في تكثير
فرسانه ولكنه أراد إظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده
فضلا أن يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين
وعن ابن مسعود أن قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال
وانقطاع ظهرياه الخنس الرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج إذ كر
راجعا إلى أوله والجوار السيارة والكنس الغيب من كنس الوحشي إذا
دخل كناسه قيل الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري
تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها

وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار
فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها عسعس
الليل وسعسع إذا أدبر قال العجاج حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا
وقيل عسعس إذا أقبل ظلامه فإن قلت ما معنى تنفس الصبح قلت إذا أقبل الصبح
أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح إنه الضمير
للقرآن لقول رسول كريم هو جبريل صلوات الله عليه ذي قوة كقوله شديد القوى ذو مرة لما كانت
حال المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته
ثم إشارة إلى الظرف المذكور أعني عند ذي العرش على أنه عند الله مطاع في ملائكته
المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه وقرئ ثمّ تعظيما للأمانة
وبيانا لأنها أفضل صفاته المعدودة وما صاحبكم يعني محمدا صلعم بمجنون كما تبهته الكفرة
وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل وفضله على الملائكة ومباينة منزلته
لمنزلة أفضل الإنس محمد عليه السلام إذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست
بين قوله إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين
وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه ولقد رأى رسول الله جبريل بالأفق
المبين بمطلع الشمس الأعلى وما هو وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل
والوحي إليه وغير ذلك بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرئ بضنين
من الضن وهو البخل أي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه أو يسأل
تعليمه فلا يعلمه وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف أبي بالضاد وكان
رسول الله صلعم يقرأ بهما وإتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما
مما لا بد منه للقارئ فإن أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وإن فرقوا ففرقا
غير صواب وبينهما بون بعيد فإن مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها
من الأضراس من يمين اللسان أو يساره وكان عمر بن الخطاب أضبط يعمل
بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي أحد الأحرف الشجرية
أخت الجيم والشين وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا
العليا وهي إحدى الأحرف الذولقية أخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان

لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلف فيهما جبلان من جبال العلم و
القراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب فإن قلت فإن وضع المصلي
أحد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين
لأن التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتهما وما هو وما القرآن
بقول شيطان رجيم أي بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم إلى أوليائهم من الكهنة
فأين تذهبون استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا
في بنيات الطريق أين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم
عنه إلى الباطل لمن شاء منكم بدل من للعالمين وإنما أبدلوا منهم لأن الذين
شاؤوا الاستقامة بالدخول في الإسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ
به غيرهم وإن كانوا موعوظين جميعا وما تشاؤون الاستقامة يا من يشاؤها
إلا بتوفيق الله ولطفه أو وما تشاؤونها أنتم يا من لا يشاؤها إلا بقسر الله وإلجائه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إذا الشمس كورت أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر
صحيفته

سورة انفطرت مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

انفطرت انشقت فجرت فتح بعضها إلى بعض فاختلط العذب بالمالح
وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروي أن الأرض
تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير
عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل
والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا إلى قوله لا يبغيان لأن البغي والفجور
أخوان بعثرت وبحثرت بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء
مضمومة إليهما والمعنى بحثت وأخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة
لأنها بعثرت أسرار المنافقين فإن قلت ما معنى قوله ما غرك بربك الكريم
وكيف طابق الوصف بالكرم إنكار الاغترار به وإنما يغتر بالكريم
كما يروى عن علي أنه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فإذا هو بالباب
فقال له ما لك لم تجبني قال لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك فاستحسن

جوابه وأعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء أدب غلمانه قلت معناه
أن حق الإنسان أن لا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه و
بتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة
المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الأول
فإنه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلعم لما تلاها غره
جهله وقال عمر رضه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه
الخبيث أي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل
عليك بما تفضل به أولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل
بن عياض إن أقامك الله يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم
ماذا تقول قال أقول غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف
بالخطأ في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص
الحشوية ويروون عن أئمتهم إنما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده
الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرأ سعيد بن جبير ما أغرك
إما على التعجب وإما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار إذا غفل
من قولك بيتهم العدو وهم غارون وأغره غيره جعله غارا
فسواك فجعلك سويا سالم الأعضاء فعدلك فصيرك معتدلا متناسب
الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل إحدى اليدين أطول ولا إحدى العينين
أوسع ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه
أشقر أو جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك
بالتخفيف وفيه وجهان أحدهما أن يكون بمعنى المشدد أي عدل بعض أعضائك
ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق
يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر
الخلق أو فعدلك إلى بعض الأشكال والهيئات ما في ما شاء مزيدة أي ركبك
في أي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح
والطول والقصر والذكورة والأنوثة والشبه ببعض الأقارب وخلاف الشبه

فان قلت هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها قلت لانها بيان لعدلك فان قلت بم يتعلق الجار قلت يجوز ان يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف اى ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون في اى معنى التعجب اى فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك اى ركبك ما شاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذى هو الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون بالدين اصلا وهو الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر وان عليكم لحافظين تحقيق لما تكذبون به من الجزاء يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما اشدها من آية على الغافلين وما هم عنها بغائبين كقوله وما هم بخارجين منها ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم وقيل اخبر الله في هذه السورة ان لابن آدم ثلث حالات حال الحياة التي يحفظ فيها عمله وحال الآخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغائبين يعني ان امر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل القول في وصفه فقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اى لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا امر الا لله وحده من رفع فعلى البدل من يوم الدين او على هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر ويجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع عن رسول الله صلعم من قرأ اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مختلف فيها وهى ست وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شىء طفيف حقير وروى ان رسول الله صلى الله عليه قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلعم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وعن على رضه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر انه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله واوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار وعن ابى رضه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل والسن الموازين لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اى يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه

قال أخذت ما عليك وإذا قال اكتلت منك فمعناه استوفيت منك والضمير
في كالوهم أو وزنوهم ضمير منصوب راجع إلى الناس وفيه وجهان أن يراد كالوا لهم أو
وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا
ولقد نهيتك عن بنات الأوبر والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى
جنيت لك ويصيد لك وأن يكون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه
والمضاف هو المكيل أو الموزون ولا يصح أن يكون ضميرا مرفوعا للمطففين
لأن الكلام يخرج به إلى نظم فاسد وذلك أن المعنى إذا أخذوا من الناس استوفوا
وإذا أعطوهم أخسروا وإن جعلت الضمير للمطففين انقلب إلى قولك إذا
أخذوا من الناس استوفوا وإذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص
أخسروا وهو كلام متنافر لأن الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق
في إبطاله بخط المصحف وأن الألف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه
ركيك لأن خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط
على أني رأيت في الكتب المخطوطة بأيدي الأئمة المتقنين هذه الألف
مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لأن الواو وحدها
معطية معنى الجمع وإنما كتبت هذه الألف تفرقة بين واو الجمع وغيرها
في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة
بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة أنهما كانا يرتكبان ذلك أي يجعلان
الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما أرادا
فإن قلت هلا قيل أو اتزنوا كما قيل أو وزنوهم قلت كأن المطففين كانوا
لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال
من الاستيفاء والسرقة لأنهم يدعدعون ويحتالون في الملء وإذا
أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا يخسرون
ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره ألا يظن إنكار وتعجيب عظيم من
حالهم في الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا
أنهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن قتادة

أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما تحب أن يعدل لك وعن
الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة وعن عبد الملك بن مروان أن
أعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين أراد بذلك أن المطفف
قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ
أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الإنكار والتعجيب وكلمة الظن
ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه ذاته برب
العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف وفيما كان في مثل
حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل أخذ
وإعطاء بل في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر
ونصب يوم يقوم بمبعوثون وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر رضي
الله عنه أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين
بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده كلا ردع لهم عما كانوا عليه من
التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب ونبههم على أنه مما يجب
أن يتاب عنه ويندم عليه ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم وكتاب
الفجار ما يكتب من أعمالهم فإن قلت قد أخبر الله عن كتاب الفجار بأنه
في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكأنه قيل إن كتابهم في كتاب
مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون
الله فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والإنس
وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه
أنه لا خير فيه فالمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان
وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لأنه سبب الحبس
والتضييق في جهنم أو لأنه مطروح كما روي تحت الأرض السابعة
في مكان وحش مظلم وهو مسكن إبليس وذريته استهانة به
وإذالة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة
المقربون فإن قلت فما سجين أصفة هو أم اسم قلت بل هو اسم علم

منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف الذين
يكذبون مما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث
كلا ردع للمعتدي الاثيم عن قوله ران على قلوبهم ركبها كما يركب الصدأ
وغلب عليها وهو ان يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا
يقبل الخير ولا يميل اليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب
يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران
فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به وقرئ بادغام اللام في الراء
وبالاظهار والادغام اجود واميلت الالف وفخمت كلا ردع عن الكسب
الراين على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم
لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا
الادنياء المهانون عندهم قال اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا
والناس من بين مرجوب ومحجوب وعن ابن عباس وقتادة
وابن ابي مليكة محجوبين عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته
كلا ردع عن التكذيب وكتاب الابرار ما كتب من اعمالهم وعليون
علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين
منقول من جمع علي فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما
لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع
في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروي
ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما
شاء الله من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب
على ما في قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له
وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى
اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله
فاجعلوه في سجين على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما شاؤوا
مد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما اولاهم الله من النعمة والكرامة

سول شاوا ه

والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك نضرة النعيم
بهجة التنعم وماءه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء واهل الترفه وقرئ
تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع الرحيق الشراب الخالص الذي
لا غش فيه مختوم تختم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة
وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة مسك اذا شرب وقيل يمزج بالكافور ويختم
مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع فليتنافس
المتنافسون فليرتغب المرتغبون تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم
الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها
تاتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم عينا نصب
على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقيل هي للمقربين يشربونها
صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة هم مشركو مكة ابو جهل والوليد بن
المغيرة والعاص بن وائل واشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب
وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزئون بهم وقيل
جاء علي بن ابي طالب في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا
ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا راينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل
ان يصل علي الى رسول الله يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون
باعينهم فكهين ملتذين بذكرهم والسخرية منهم اي ينسبون المسلمين
الى الضلال وما ارسلوا على المسلمين حافظين موكلين بهم يحفظون عليهم
احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم
بهم او هو من جملة قول الكفار وانهم اذا راوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون
وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم
الى الاسلام وجدهم في ذلك على الارائك ينظرون حال من يضحكون اي يضحكون
منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن
الوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك امنون وقيل
يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها

أعلق ذمهم بفعل ذلك بهم من أن يضحك المؤمنون منهم ۝ ثوب وأثاب بمعنى
إذا جازاه قال أوس سأجزيك أو يجزيك عني مثوب وحسبك أن يثنى عليك وتحمدي
وقرئ بإدغام اللام في الثاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين
سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة ۝ سورة الانشقاق مكية وهي خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حذف جواب إذا ليذهب المقدر
كل مذهب ۝ أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار ۝ وقيل جوابها
ما دل عليه فملاقيه أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه ۝ ومعناه إذا
انشقت بالغمام كقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ۝ وعن علي رضي الله عنه تنشق من
المجرة ۝ أذنت له استمعت له ومنه قوله عليه السلام ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى
بالقرآن ۝ وقول جحاف بن حكيم ۝ أذنت لكم لما سمعت هريركم ۝ والمعنى أنها فعلت
في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه الأمر
من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله أتينا طائعين وحقت
من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع
ومعناه الإيذان بأن القادر الذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك
مدت من مد الشيء فامتد وهو أن تزال جبالها وآكامها وكل أمت
فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوي ظهرها كما قال قاعا صفصفا لا ترى فيها
عوجا ولا أمتا ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنهما مدت مد الأديم العكاظي لأن الأديم إذا
مد زال كل انثناء فيه وأمت واستوى ۝ أو من مده بمعنى أمده أي زيدت
سعة وبسطة وألقت ما فيها ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى و
الكنوز وتخلت وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى
جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم إذا بلغا جهدهما في
الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما وأذنت لربها في إلقاء ما في
بطنها وتخليها ۝ الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح
جلده إذا خدشه ومعنى كادح إلى ربك جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت
وما بعده من الحال الممثلة باللقاء فملاقيه فملاق له لا محالة لا مفر لك منه

وقيل الضمير في ملاقيه للكدح يسيرا سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض
بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش أصحاب الشمال ۝ وعن عائشة رضي الله عنها هو أن يعرف
ذنوبه ثم يتجاوز عنه ۝ وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله
فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش الحساب عذب
إلى أهله إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين ۝ أو إلى فريق المؤمنين ۝ أو إلى أهله في الجنة
من الحور العين وراء ظهره قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره
فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره ۝ وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره
يدعوا ثبورا يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك ۝ وقرئ ويصلى سعيرا كقوله
وتصلية جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله ونصله جهنم في أهله
فيما بين ظهرانيهم ۝ أو معهم على أنهم كانوا جميعا مسرورين يعني أنه كان في الدنيا
مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة
ولا يفكرون في العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء و
المتقين وحكاية الله عنهم إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ظن أن لن يحور
لن يرجع إلى الله تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول أي لا يرجع ولا يتغير
قال لبيد يحور رمادا بعد إذ هو ساطع ۝ وعن ابن عباس ما كنت
أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها حوري أي ارجعي
بلى إيجاب لما بعد النفي في لن يحور أي بلى ليحورن إن ربه كان به بصيرا
وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها ۝ وقيل
نزلت الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأسد وأخيه الأسود بن عبد الأسد
الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج
وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء إلا ما يروى عن أبي حنيفة
في إحدى الروايتين أنه البياض ۝ وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه سمي لرقته
ومنه الشفقة على الإنسان رقة القلب عليه وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه
فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيره
في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه

وستره وأوى الليل من الدواب وغيرها إذا اتسق إذا اجتمع واستوى ليلة
أربع عشرة ❁ وقرئ لتركبن على خطاب الإنسان في يا أيها الإنسان ولتركبن
بالضم على خطاب الجنس لأن النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس
وليركبن بالياء على ليركبن الإنسان ❁ والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا
بطبق لذا أي لا يطابقه ❁ ومنه قيل للغطاء الطبق وأطباق الثرى ما تطابق
منه ❁ ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وجل طبقا عن طبق أي حالا
بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها في الشدة والهول ❁ ويجوز أن يكون جمع طبقة
وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ❁ ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة
طبقة على معنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع
من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها فإن قلت ما محل عن
طبق قلت النصب على أنه صفة لطبقا أي طبقا مجاوزا لطبق أو حال من الضمير
في لتركبن أي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق أو مجاوزا أو مجاوزة على حسب
القراءة ❁ وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه لا يسجدون
لا يستكينون ولا يخضعون ❁ وقيل قرأ رسول الله صلعم ذات يوم واسجد
واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم
وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة على وجوب السجدة ❁ وعن ابن عباس
ليس في المفصل سجدة ❁ وعن أبي هريرة أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت
فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله يسجد فيها ❁ وعن أنس صليت خلف أبي بكر وعمر
وعثمن فسجدوا ❁ وعن الحسن هي غير واجبة الذين كفروا إشارة إلى
المذكورين بما يوعون بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي
والبغضاء ❁ أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع
العذاب إلا الذين آمنوا استثناء منقطع عن رسول الله صلى الله عليه
من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره ❁

سورة البروج مكية وهي ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هي البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء
على التشبيه ❁ وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر ❁ وقيل عظام الكواكب
سميت بروجا لظهورها ❁ وقيل أبواب السماء واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد
ومشهود يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه
من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما إما ما
ذكرته في قوله علمت نفس ما أحضرت كأنه قيل وما أفرطت كثرته من شاهد
ومشهود وإما الإبهام في الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما
وقد اضطربت أقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد ويوم القيامة
وقيل عيسى وأمته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ❁ وقيل أمة محمد
وسائر الأمم ❁ وقيل يوم التروية ويوم عرفة ❁ وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة
وقيل الحجر الأسود والحجيج ❁ وقيل الأيام والليالي وبنو آدم ❁ وعن الحسن
ما من يوم إلا وينادي إني يوم جديد وإني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت
شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة ❁ وقيل الحفظة وبنو آدم ❁ وقيل الأنبياء
ومحمد فإن قلت أين جواب القسم قلت محذوف يدل عليه قوله قتل أصحاب الأخدود
كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء إنهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن أصحاب الأخدود
وذلك أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة
وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وإلحاق أنواع
الأذى وصبرهم وثباتهم حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم
ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرقين بالنار ملعونون
أحقاء بأن يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل أصحاب الأخدود ❁ وقيل دعاء
عليهم كقوله قتل الإنسان ما أكفره ❁ وقرئ قتل بالتشديد ❁ والأخدود
الخد في الأرض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والأخقوق ومنه
فساخت قوائمه في أخاقيق جرذان ❁ روي عن النبي صلعم كان لبعض الملوك
ساحر فلما كبر ضم إليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب
فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فأخذ حجرا
فقال اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام

من الفار والجمع الجرذان وأرض جرذة أي ذات جرذان

بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء وعمي جليس للملك
فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه
فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقُدّ
بالمنشار وأبى الغلام فذهب به إلى الجبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم
فطاحوا ونجا فذهب به إلى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت
بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد
وتصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني
به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام
فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فأمر بأخاديد في أفواه السكك وأوقدت
فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست
أن تقع فيها فقال الصبي يا أماه اصبري فإنك على الحق فاقتحمت وقيل
قال لها قعي ولا تنافقي وقيل ما هي إلا غميضة فصبرت وعن علي رضي الله عنه أنهم
حين اختلفوا في أحكام المجوس قال هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم
وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته
فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب الناس فتقول
يا أيها الناس إن الله أحل نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك إن الله
حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت
ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فأمرته بالأخاديد وإيقاد النيران
وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله بقوله قتل أصحاب الأخدود
وقيل وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم فأجابوه فسار
إليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية
فأبوا فأحرق منهم اثني عشر ألفاً في الأخاديد وقيل سبعين ألفاً وذكر
أن طول الأخدود أربعون ذراعاً وعرضه اثنا عشر ذراعاً وعن النبي عليه السلام
أنه كان إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ من جهد البلاء النار بدل اشتمال
من الأخدود ذات الوقود وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به

لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس وقرئ الوقود بالضم إذ ظرف لقتل
أي لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات
الأخدود كقوله: وبات على النار الندى والمحلق، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود
ثم مستعليا لمكان يدنو منه ومعنى شهادتهم على إحراق المؤمنين أنهم وكلوا
بذلك وجعلوا شهوداً يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحداً منهم لم يفرط
فيما أمر به وفوض إليه من التعذيب أو يكون المراد أنهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين
يؤدون شهادتهم يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم
بما كانوا يعملون وما نقموا منهم وما عابوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان لقوله
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم، وقال ابن الرقيات: ما نقموا من بني أمية إلا أنهم
وقرأ أبو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر الأوصاف التي يستحق
بها أن يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزاً غالباً قادراً يخشى عقابه حميداً منعماً
يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه الذي له ملك السموات والأرض فكل من فيهما
يحق له عبادته والخشوع له تقريراً لأن ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه
إلا مبطل منهمك في الغي وأن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب
لا يعدله عذاب والله على كل شيء شهيد وعيد لهم يعني أن الله علم ما فعلوا
وهو مجازيهم عليه ويجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصة وبالذين
آمنوا المطروحين في الأخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم
فلهم في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار أخرى عظيمة
تتسع كما يتسع الحريق بإحراقهم المؤمنين أو لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم
عذاب الحريق في الدنيا لما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ويجوز أن
يريد الذين فتنوا المؤمنين أي بلوهم بالأذى على العموم والمؤمنين المفتونين وأن
الفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم البطش الأخذ بالعنف فإذا
وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة
وأخذهم بالعذاب والانتقام إنه هو يبدئ ويعيد أي يبدئ البطش
ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة أو دل باقتداره على الإبداء
على الخلق

وللإعادة على شدة بطشه ○ او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما ابدأهم ليبطش
بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة ○ وقرئ يبدأ الودود
الفاعل باهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا ○ وقرئ ذي العرش
صفة لربك ○ وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش
علوه وعظمته فعال خبر مبتدأ محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل
في غاية الكثرة فرعون وثمود بدل من الجنود واراد بفرعون اياه وآله
كما في قوله من فرعون وملائهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل
بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا من قومك في تكذيب اي تكذيب واستيجاب
للعذاب ○ والله عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من
ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به ومعنى الاضراب
ان امرهم اعجب من امر اولئك لانهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم وراوا آثار هلاكهم
ولم يعتبروا وكذبوا اشد من تكذيبهم بل هو اي بل هذا الذي كذبوا به قرآن مجيد
شريف عالي الطبقة في الكتب في نظمه واعجازه ○ وقرئ قرآن مجيد بالاضافة
اي قرآن رب مجيد ○ وعن الخليل بن عمرو في لوح واللوح الهواء يعني اللوح
فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين اليه ○ وقرئ محفوظ
بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد
كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام
بضوئه فينفذ فيه كما قيل دري لانه يدرؤه اي يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال
للآتي ليلا طارق ○ لانه يطرق الجني اي يصكه والمراد جنس النجوم ○ او جنس الشهب التي
يرجم بها فان قلت ما يشبه قوله وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب الا ترجمة كلمة
باخرى فبين لي اي فائدة تحته قلت اراد الله عز من قائل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما

فبين لك بان قلت ما جواب القسم قلت ان كل نفس لما عليها حافظ لان ان لا تخلو فيمن قرأ
لما مشددة بمعنى الا ان تكون نافية وفيمن قراها مخففة على ان ما صلة ان تكون
مخففة من الثقيلة وايتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب
وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا ○ وكان الله على كل شيء مقيتا ○ وقيل
ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر ○ وروي عن النبي صلعم وكل
بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب
ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين فلينظر ما وجه اتصال
قوله فلينظر بما قبله قلت وجه اتصاله به انه لما ذكر ان على كل نفس حافظا اتبعه
توصية الانسان بالنظر في اول امره ونشاته الاولى حتى يعلم ان من انشاه قادر
على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره
في عاقبته مم خلق استفهام جوابه خلق من ماء دافق والدفق صب فيه دفع
ومعنى دافق النسبة الى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر او الاسناد
المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم
واتحادهما حين ابتدئ في خلقه من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل
وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة ○ وقرئ الصلب بفتحتين
والصلب بضمتين وفيه اربع لغات صلب وصلب وصلب وصالب قال العجاج
في صلب مثل العنان المؤدم ○ وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم
والدم من المرأة انه الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان ذلك الذي
خلق الانسان ابتداء من نطفة على رجعه على اعادته خصوصا لقادر لبين القدرة
لا يلتاث عليه والعجز عنه كقوله انني لفقير يوم تبلى منصوب برجعه
ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب
او الاحليل او الى الحالة الاولى نصب الظرف بمضمر ○ السرائر ما اسر في القلوب
من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال وبلاؤها تعرفها
وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث ○ وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد
سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر

فقال ما اغفله عما في السماء والطارق فما له فما للانسان من قوة من منعة
في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ولا مانع يمنعه سمي المطر رجعا كما سمي اوبا قال
ربّاء شمّاء لا يأوي لقلتها الا السحاب والا الاوب والسبل
تسمية بمصدر رجع وآب وذلك ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل
الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا التفاؤل فسموه رجعا واوبا
ليرجع ويؤوب وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء
كالرجع في المدجنة السارية والصدع ما يتصدع عنه الارض
من النبات انه الضمير للقرآن فصل فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان
وما هو بالهزل يعني انه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله
بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه
ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح وان يلقي ذهنه الى ان جبار السماوات
يخاطبه فيامره وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف
ولم تتبالغ فيه الخشية فادنى امره ان يكون جادا غير هازل فقد نعى الله
على المشركين ذلك في قوله وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون والغواية
انهم يعني اهل مكة يعملون المكايد في ابطال امر الله واطفاء نور الحق
وانا اقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته
للانتصار منهم فمهل الكافرين يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به امهلهم رويدا
اي امهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء
عشر حسنات

سورة سبح مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم تسبيح اسمه عز وعلا
تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي الحاد في اسمائه كالجبر والتشبيه
ونحو ذلك مثل ان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا
بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وان يصان عن الابتذال
والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ويجوز ان يكون الاعلى صفة للرب والاسم

المدجنة السحابة المظلمة

وقرأ علي رضي الله عنه سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم
قال رسول الله اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها
في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت
خلق فسوى اي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يات به متفاوتا غير
ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم وانه صنعة حكيم
قدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به
يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله ان مسح العين
بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين
الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في
بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة
باذن الله وهدايات الله للانسان الى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من
حوائجه في اغذيته وادويته وفي ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم
والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان
ربي الاعلى وقرئ قدر بالتخفيف احوى صفة لغثاء اي اخرج المرعى انبته
فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء احوى دريناً اسود ويجوز ان يكون احوى
حالا من المرعى اي اخرجه احوى اسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد
حوته بشره الله باعطاء آية بينة وهي ان يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي
وهو امي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه الا ما شاء الله فذهب به عن حفظه برفع
حكمه وتلاوته لقوله او ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة اذا لقنه جبريل فقيل لا تعجل
فان جبريل مأمور بان يقرأه عليك قراءة مكررة الى ان تحفظه ثم لا تنساه الا ما شاء الله
ثم تذكره بعد النسيان او قال الا ما شاء الله يعني القلة والندرة كما روي
انه اسقط آية في قراءته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فساله فقال نسيتها
او قال الا ما شاء الله والغرض نفي النسيان راسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي
فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي
وقيل قوله فلا تنسى على النهي والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعني فلا تغفل عن
قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة

الدرين المرعى الذي اسود من القدم

إنه يعلم الجهر يعني أنك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة التفلت
والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك إلى الجهر فلا تفعل فأنا أكفيك
ما تخافه أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وبطن
من أحوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه فينسي من الوحي ما يشاء و
يترك محفوظا ما يشاء ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك وقوله
إنه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي أيسر
وأسهل يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي أيسر الشرائع
وأسهلها مأخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة فإن قلت كان الرسول صلى الله عليه
مأمورا بالذكرى نفعت أو لم تنفع فما معنى اشتراط النفع قلت هو على
وجهين أحدهما أن رسول الله قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون
على زيادة الذكرى إلا عتوا وطغيانا وكان النبي صلى الله عليه يتلظى حسرة
وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما أنت عليهم بجبار
فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وأعرض عنهم وقل سلام فذكر إن نفعت
الذكرى وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير والثاني أن يكون ظاهره
شرطا ومعناه ذما للمذكرين وإخبارا عن حالهم واستبعادا لتأثير الذكرى
فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين إن سمعوا منك
قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وأنه لن يكون سيذكر سيقبل التذكرة
وينتفع بها من يخشى الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر
إلى اتباع الحق فأما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تأمل أن يقبلوا منك
ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتحاماها الأشقى الكافر لأنه أشقى من الفاسق
أو الذي هو أشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله وقيل نزلت في الوليد بن
المغيرة وعتبة بن ربيعة النار الكبرى السفلى من أطباق النار وقيل
الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا وقيل ثم لأن الترجح بين الحياة والموت
أفظع من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى
حياة تنفعه تزكى تطهر من الشرك والمعاصي أو تطهر للصلاة أو تكثر

من التقوى من الزكاء وهو النماء أو تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة
فصلى فصلى الصلوات الخمس نحو قوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وعن ابن مسعود
رحمه الله أمرأ تصدق وصلى وعن علي رض أنه التصدق بصدقة الفطر وقال لا أبالي
أن لا أجد في كتابي غيرها لقوله قد أفلح من تزكى أي أعطى زكاة الفطر فتوجه إلى
المصلى فصلى صلاة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج
على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لأن الصلاة معطوفة عليها
وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل وعن ابن عباس ذكر معاده
وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى
فصلى صلاة العيد بل تؤثرون الحياة الدنيا فلا تفعلون ما تفلحون به وقرئ
يؤثرون على الغيبة وتعضد الأولى قراءة ابن مسعود بل أنتم تؤثرون خير
وأبقى أفضل في نفسها وأنعم وأدوم وعن عمر رض ما الدنيا في الآخرة
إلا كنفجة أرنب هذا إشارة إلى قوله قد أفلح إلى أبقى يعني أن معنى هذا
الكلام وارد في تلك الصحف وقيل إلى ما في السورة كلها وروي عن أبي ذر رض أنه
سأل رسول الله صلعم كم أنزل الله من كتاب فقال مائة وأربعة كتب منها على
آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى أخنوخ وهو إدريس ثلاثون
صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان
وقيل إن في صحف إبراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه
مقبلا على شأنه عن النبي صلى الله عليه من قرأ سورة الأعلى أعطاه
الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزل الله على إبراهيم وموسى ومحمد وكان
إذا قرأها قال سبحان ربي الأعلى وكان علي وابن عباس يقولان ذلك وكان
يحبها وقال أول من قال سبحان ربي الأعلى ميكائيل

سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم مكية وهي ست وعشرون آية
الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعني القيامة
من قوله يوم يغشاهم العذاب وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن
فوقهم غواش يومئذ يوم إذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة ناصبة

تعمل في النار عملاً تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض
الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل
عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة وقيل
عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الآخرة من قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين حبطت اعمالهم وقيل هم اصحاب الصوامع
ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب
وقرئ عاملةً ناصبةً على الشتم وقرئ تصلى بفتح التاء وتُصلى بضمها وتُصلّى بالتشديد
وقيل المصلي عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا
الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر او على المقلى او في التنور
فلا يسمى مصليا آنية متناهية في الحر كقوله وبين حميم آن الضريع يبيس الشبرق
وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل
قال ابو ذؤيب رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى وعاد ضريعا بان عنه النحائص
وقال وحبسن في هزم الضريع فكلها حدباء دامية اليدين حرود
فان قلت كيف قيل ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين قلت
العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين
ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن مرفوع المحل او مجروره
على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس وانما هو
شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه
ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة
القوة والسمن في البدن او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم
فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان
ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش ان الضريع
لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلو اما ان يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو
الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون المعنى
ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع

ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها
راضية رضيت بعملها لما رأت ما اداهم اليه من الكرامة والثواب عالية من علو
المكان او المقدار لا تسمع يا مخاطب او الوجوه لاغية اي لغوا او كلمة ذات لغو
او نفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم
وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء فيها عين جارية يريد عيونا في غاية الكثرة
كقوله علمت نفس مرفوعة من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه
جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء اذا خبأه
موضوعة كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون
الى ان يدعوا بها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز ان يراد
موضوعة عن حد الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا مصفوفة
بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند
الى اخرى وزرابي وبسط عراض فاخرة وقيل هي الطنافس التي لها خمل
رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة او مفرقة في المجالس افلا ينظرون
الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا
بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها
تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من
اقتادها بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الاعناق
لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ
في بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق وحين اراد بها
ان تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظماءها لترتفع الى العشر
فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم
وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد فقال اريد الكناسة
قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء
والجبال والارض ولا مناسبة قلت قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم
وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم ان الابل

السحاب الى قولهم لانه طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام
والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما راى السحاب مشبها بالابل
كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز كيف رفعت
رفعا بعيد المدى بلا امساك وبغير عمد وكيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة
لا تميل ولا تزول وكيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطية فهي مهاد للمتقلب عليها
وقرا علي رضي الله عنه خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البنا للفاعل وتاء الضمير
والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن هرون الرشيد انه قرا سطّحت بالتشديد
والمعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا
اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه
اي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا
يتفكرون انما انت مذكر كقوله ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر
بمتسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطاء على
ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه الا من تولى استثنا منقطع
اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه
العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثنا من قوله فذكر
اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر
وما بينهما اعتراض وقرئ الا من تولى على التنبيه وفي قراة ابن مسعود
فانه يعذبه وقرا ابو جعفر المدني ايّابهم بالتشديد ووجهه ان يكون
فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوابا فعالا من
اوب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد فان قلت
ما معنى تقديم الظرف قلت معناه التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا
الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي
يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بالفجر كما اقسم
بالصبح في قوله والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلوة الفجر واراد
بالليالي العشر عشر ذي الحجة فان قلت فما بالها منكرة من بين ما اقسم به قلت
لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست
لغيرها فان قلت فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة قلت لو فعل
ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة
ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية وبالشفع والوتر اما الاشيا كلها
شفعها ووترها واما شفع هذه الليالي ووترها ويجوز ان يكون شفعها
يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع ايامها وذاك عاشرها وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسرهما بذلك وقد اكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا
يستوعبون اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه وبعد
ما اقسم بالليالي المخصوصة اقسم بالليل على العموم اذا يسر اذا يمضي كقوله
والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر
والحبر في العدد وفي الترة الكسر وحده وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء
رواها يونس عن ابي عمرو وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين
الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام
عشر وياء يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف
فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسري يسرى فيه هل في ذلك اي فيما اقسمت
به من هذه الاشيا قسم اي مقسم به لذي حجر يريد هل يحق عنده ان تعظم بالاقسام
بها او هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر اي هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم
عليه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه
يعقل وينهى وحصاة من الاحصا وهو الضبط وقال الفرا يقال انه لذو حجر
اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل
عليه قوله الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب قيل لعقب عاد بن عوص بن
ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى

وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات
مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبلها ارما فارم في قوله تعالى بعاد
ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم
وارضهم التى كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره
بعاد اهل ارم كقوله واسئل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث
وقرأ الحسن بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف
كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد
والارم العلم يعنى بعاد اهل اعلام ذات العماد وذات العماد اسم المدينة وقرئ
بعاد ارم ذات العماد اى جعل الله ذات العماد رمما بدلا من فعل ربك وذات
العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد او طوال
الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان
طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين
وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد
وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى
مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة
وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت
وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته
فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله
بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معوية
فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها
رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال
يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل لم يخلق
مثلها مثل عاد فى البلاد عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم اربعمائة
ذراع وكان يأتى الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحى فيهلكهم
او لم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا وقرأ ابن الزبير لم يخلق

مثلها اى لم يخلق الله مثلها جابوا الصخر قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها
بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور
والرخام ثمود وبنوا الفا وسبع مائة مدينة كلها من الحجارة ذى
الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا او
لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة بنته وبآسية الذين طغوا احسن الوجوه
فيه ان يكون فى محل النصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا
على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه
وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم فى الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى
ما اعد لهم فى الاخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وعن عمرو بن عبيد
كان الحسن اذا اتى على هذه الاية قال ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط
منها المرصاد المكان الذى يترتب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من
وقته وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض العرب
انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد رحمه الله انه قرأ هذه السورة
عند المنصور حتى بلغ هذه الاية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر عرض له
فى هذا النداء بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره اى اسد فراس
كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقصع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه
فان قلت بم اتصل قوله فاما الانسان قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل
ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعى للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة
للعاصى فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه
فيها فان قلت فكيف توازن قوله فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه وقوله واما
اذا ما ابتليه وحق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما تقول اما
الانسان فكفور واما الملك فشكور اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن
اليك واما اذا اسات اليه فهو مسئ اليك قلت هما متوازنان من حيث
ان التقدير واما هو اذا ما ابتليه ربه وذلك ان قوله فيقول ربى اكرمن
خبر المبتدأ الذى هو الانسان ودخول الفاء لما فى اما من معنى الشرط والظرف

كنية المنصور

هذا النداء مع من المصنف لعمرو بن عبيد

المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فقائل ربي
أكرمني وقت الابتلاء فوجب أن يكون فيقول الثاني خبر المبتدأ واجب تقديره
فإن قلت كيف سمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء قلت لأن كل واحد
منهما اختبار للعبد فإذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر وإذا قدر
عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله ونبلوكم
بالشر والخير فتنة فإن قلت هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه
ونعمه قلت لأن البسط إكرام من الله لعبده بإنعامه عليه متفضلاً من غير
سابقة وأما التقدير فليس بإهانة له لأن الإخلال بالتفضل لا يكون إهانة ولكن
تركاً للكرامة وقد يكون المولى مكرماً لعبده ومهيناً وغير مكرم ولا مهين
وإذا أهدى لك زيد هدية قلت أكرمني بالهدية ولا تقول أهانني ولا أكرمني
إذا لم يهد لك فإن قلت فقد قال فأكرمه فصحح إكرامه وأثبته ثم أنكر
قوله ربي أكرمن وذمه عليه كما أنكر قوله أهانن وذمه عليه قلت فيه جوابان
أحدهما أنه إنما أنكر قوله ربي أكرمن وذمه عليه لأنه قاله على قصد خلاف ما صححه
الله عليه وأثبته وهو قصده إلى أن الله أعطاه ما أعطاه إكراماً له مستحقاً
مستوجباً على عادة افتخارهم وجلالة أقدارهم عندهم كقوله إنما أوتيته
على علم عندي وإنما أعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا
سابقة مما لا يعتد الله إلا به وهو التقوى دون الأنساب والأحساب التي
كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من أجلها والثاني أن
ينساق الإنكار والذم إلى قوله ربي أهانن يعني أنه إذا تفضل عليه بالخير
وأكرم به اعترف بتفضل الله وإكرامه وإذا لم يتفضل عليه سمى
ترك التفضل هواناً وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الإكرام في قوله
فأكرمه وقرئ فقدر بالتخفيف والتشديد وأكرمن وأهانن
بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء في الدرج مكتفياً منها بالكسرة
كلا ردع للإنسان عن قوله ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو أن الله
يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالتفقد

والمبرة وحض أهله على طعام المسكين ويأكلونه أكل الأنعام ويحبونه فيشحون به
وقرئ يكرمون وما بعده بالياء والتاء وقرئ تحاضون أي يحض بعضكم
بعضاً وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة أكلاً لمّا وهو الجمع
من الحلال والحرام قال الحطيئة إذا كان لما يتبع الذم ربه فلا قدس الرحمن
يعني أنهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا
يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم وقيل يأكلون ما جمعه
الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في الأكل بين حلاله وحرامه ويجوز أن يذم
الوارث الذي ظفر بالمال سهلاً مهلاً من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف في
إنفاقه ويأكله أكلاً واسعاً جامعاً بين ألوان المشتهيات من الأطعمة والأشربة
والفواكه كما يفعل الوراث البطالون حباً جماً كثيراً شديداً مع الحرص والشره
ومنع الحقوق كلا ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم ثم أتى بالوعيد
وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة ويومئذ بدل من إذا
دكت الأرض والعامل النصب فيهما يتذكر دكاً دكاً دكاً بعد دك
كقولك حسبته باباً باباً أي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثاً
فإن قلت ما معنى إسناد المجيء إلى الله والحركة والانتقال إنما يجوزان
على من كان في جهة قلت هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره
وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره
من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه
وخواصه عن بكرة أبيهم صفاً صفاً ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفاً
بعد صف محدقين بالجن والإنس وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم
وروي أنها لما نزلت تغير وجه رسول الله وعرف في وجهه حتى اشتد على أصحابه
فأخبروا علياً فجاء فاحتضنه من خلفه وقبل بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله
بأبي وأمي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك فتلا عليه الآية فقال
له علي كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين
ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع أي يتذكر

ما فرط فيه او يتعظ وانى له الذكرى ومن اين له منفعة الذكرى لابد
من تقدير حذف المضاف والا فبين يومئذ يتذكر وبين انى له الذكرى تناف
وتناقض قدمت لحياتي هذه وهي حياة الآخرة او وقت حياتي في الدنيا
كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا ابين دليل على ان الاختيار كان
في ايديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات
مجبرين على المعاصي كمذهب اهل الاهواء والبدع والا فما معنى التحسر وقرئ
بالفتح يعذب ويوثق وهي قراءة رسول الله وعن ابي عمرو انه رجع اليها
في آخر عمره والضمير للانسان الموصوف وقيل هو ابي بن خلف اي لا يعذب
احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده
او لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وقرئ
بالكسر والضمير لله اي لا يتولى عذاب الله احد لان الامر لله وحده في ذلك اليوم
او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه يا ايتها النفس
على ارادة القول اي يقول الله للمؤمن يا ايتها النفس اما ان يكلمه اكراما له
كما كلم موسى صلوات الله عليه او على لسان ملك والمطمئنة الآمنة التي لا يستفزها خوف
ولا حزن وهي النفس المؤمنة او المطمئنة الى الحق التي سكنها ثلج اليقين
فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة ابي بن كعب يا ايتها النفس
الآمنة المطمئنة ارجعي فان قلت متى يقال لها ذلك قلت اما عند الموت واما
عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى ارجعي الى موعد ربك راضية
بما اوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وانتظمي
في سلكهم وادخلي جنتي معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في
اجساد عبادي وقرأ ابن عباس فادخلي في عبدي وقرأ ابن مسعود في جسد
عبدي وقرأ ابي ائتي ربك راضية مرضية ادخلي في عبدي وقيل
نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة
وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول
الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحوله والظاهر العموم

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر
له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد مكية وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم سبحانه بالبلد الحرام
وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد
واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل بهذا البلد يعني ومن
المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل
الصيد في غير الحرم عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا
بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله
وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته
او سلى رسول الله بالقسم ببلده على ان الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد
واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال
وانت حل بهذا البلد يعني وانت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل
والاسر وذلك ان الله فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت
له فاحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة
ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة
يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي
ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى
خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله
الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فان قلت
اين نظير قوله وانت حل في معنى الاستقبال قلت قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون
ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم
محبو وهو في كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة
وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة
بالاتفاق مكية واين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح فان قلت ما المراد بوالد
وما ولد قلت

رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه ابرهيم
ومنشا ابيه اسمعيل عليه السلام وبمن ولده وبه. فان قلت لم نكر. قلت للابهام المستقل بالمدح
والتعجب. فان قلت هلا قيل ومن ولد. قلت فيه ما في قوله والله اعلم بما وضعت اي باي شيء
وضعت يعني موضوعا عجيب الشان. وقيل هما آدم وولده. وقيل كل والد
وولده. والكبد اصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت
فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة. ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته
بمعنى اهلكه واصله كبده اذا اصاب كبده. قال لبيد
يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد. اي في شدة الامر
وصعوبة الخطب. والضمير في ايحسب لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله
يكابد منهم ما يكابد. والمعنى ايظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين
ان لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافاته بما هو عليه. ثم ذكر
ما يقوله في ذلك اليوم وانه يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان
اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر. ايحسب ان لم يره احد
حين كان ينفق ما ينفق رياء الناس وافتخارا بينهم يعني ان الله كان يراه وكان
عليه رقيبا. ويجوز ان يكون الضمير للانسان على ان يكون المعنى اقسم بهذا البلد
الشريف ومن شرف به فانك حل بهما يقترف فيه اهله من المآثم متحرج بري
فهو حقيق بان اعظمه بقسمي به. لقد خلقنا الانسان في كبد اي في مرض
وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم انهم لا
يؤمنون ولا يعملون الصالحات. وقيل الذي يحسب ان لن يقدر عليه احد هو ابو
الاشد وكان قويا يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه
فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع قدميه. وقيل الوليد بن المغيرة.
لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة. وقرئ
لبدا بضمتين جمع لبود. ولبدا بالتشديد جمع لابد. الم نجعل له عينين يبصر بهما
المرئيات ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين
بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك. وهديناه النجدين اي

اي طريقي الخير والشر. وقيل الثديين. فلا اقتحم العقبة يعني فلم يشكر تلك
الايادي والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين
ثم بالايمان الذي هو اصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم
والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضي النافع عند الله لا ان
تهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثلك كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم
الاية. فان قلت قلما تقع لا الداخلة على الماضي الا مكررة ونحو قوله فاي امر
لا يكاد يقع فما لها لم تكرر في الكلام الافصح. قلت هي متكررة في المعنى لان
معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام
العقبة بذلك. وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم
العقبة ولا آمن. والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة. والقحمة الشدة
وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة
النفس. وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه
الشيطان. وفك الرقبة تخليصها من رق او غيره. وفي الحديث ان رجلا قال يا رسول الله
دلني على عمل يدخلني الجنة قال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال او ليستا سواء
قال لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين في تخليصها من قود او غرم
والعتق والصدقة من افاضل الاعمال. وعن ابي حنيفة ان العتق افضل من الصدقة
وعند صاحبيه الصدقة افضل والآية ادل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على
الصدقة. وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في ذي قرابة او يعتق
رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل
عضو منها عضوا منه من النار. وقرئ فك رقبة او اطعام على هي فك رقبة
او اطعام. وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة.
وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض. ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها
على النفس وكنه ثوابها عند الله. والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات
من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي. وترب
اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب. واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب

في المتربة كما قيل التَّرِب وعن النبي صلعم في قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل ووصف
اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم همٌّ ناصب ذو نصب ○ وقرأ الحسن
ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة ثم كان
من الذين آمنوا جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة
لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به
والمرحمة الرحمة اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه او بالصبر
عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن وبان يكونوا متراحمين
متعاطفين او بما يؤدي الى رحمة الله ○ الميمنة والمشأمة اليمين والشمال
او اليمن والشؤم اي الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن ○ مؤصدة
بالواو والهمز من اوصدت الباب وآصدته اذا اطبقته واغلقته ○ وعن
ابي بكر بن عياش لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة ○

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم ضحاها ضوءها اذا اشرقت
وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكأن وجهه شمس الضحى ○ وقيل الضحوة
ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب
ان ينتصف اذا تلاها طالعا عند غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الاول
من الشهر ○ وقيل اذا استدار فتلاها في الضياء والنور اذا جلاها عند انتفاخ
النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء ○ وقيل الضمير
للظلمة ○ او للدنيا ○ او للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون
الباردة وارسلت يريدون السماء اذا يغشاها فتغيب وتظلم الآفاق فان قلت
الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها
وتجر فتقع في العطف على عاملين ○ وفي نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو
واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه
قلت الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شأن
خلاف شأن الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء
سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحققن ان يكن عوامل
عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب
لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما ○ جعلت ما مصدرية في قوله وما بناها وما طحاها
وما سواها وليس بالوجه لقوله فالهمها وما يؤدي اليه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة
وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذي
بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا فان قلت
لم نكرت النفس قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي
نفس آدم كانه قال وواحدة من النفوس ○ والثاني ان يريد كل نفس وينكر للتكثير
على الطريقة المذكورة في قوله علمت نفس ○ ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما
واعقالهما وان احدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما
بدليل قوله قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فجعله فاعل التزكية
والتدسية ومتوليهما والتزكية الانماء والاعلاء بالتقوى والتدسية النقص
والاخفاء بالفجور ○ واصل دسى دسس كما قيل تقضى ○ وسئل ابن عباس
عنه فقال اتقرأ قد افلح من زكى وقد خاب من حمل طلما واما قول من زعم ان
الضمير في زكى ودسى لله وان تأنيث الراجع الى من لانه في معنى النفس فمن تعكيس
القدرية الذين يوركون على الله قدرا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون
لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها اليه فان قلت فاين جواب القسم قلت هو محذوف
تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله كما دمدم
على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح من زكيها فكلام تابع لقوله فالهمها
فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء ○ الباء
في بطغويها مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة
في فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة
فقالوا امرأة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني
بجرأته على الله ○ وقيل كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى لقوله فاهلكوا
بالطاغية

وقرأ الحسن بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر إذ انبعث
منصوب بكذبت او بالطغوى واشقاها قدار بن سالف ويجوز ان يكون جماعة
والتوحيد لتسويتك في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث وكان يجوز ان يقال اشقوها كما تقول افاضلهم والضمير في لهم
يجوز ان يكون للاشقين والتفضيل في الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت
شقاوته اظهر وابلغ ناقة الله نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي
الصبي باضمار ذروا او احذروا عقرها وسقياها فلا تزووها عنها ولا تستأثروا
بها عليها فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا فدمدم عليهم
فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم
بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب ان يعتبر
ويحذر فسواها الضمير للدمدمة اى فسواها بينهم لم يفلت منها صغيرهم
ولا كبيرهم ولا يخاف عقباها اى عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك
فيبقي بعض الابقاء ويجوز ان يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالارض
او في الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفي مصاحف اهل المدينة والشام فلا يخاف
وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل مكية وهي احدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم المغشي اما الشمس من قوله
والليل اذا يغشاها واما النهار من قوله يغشي الليل النهار واما كل شيء يواريه
بظلامه من قوله اذا وقب تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف
بطلوع الشمس وما خلق والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر
والانثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم والذكر والانثى
وقرأ ابن مسعود والذي خلق الذكر والانثى وعن الكسائي وما خلق الذكر
والانثى بالجر على انه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله اى ومخلوق الله
الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله لانه معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه

وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوي الارواح ليس بذكر ولا انثى والخنثى وان اشكل
امره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق
انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى وقد لقي خنثى مشكلا كان حانثا لانه في الحقيقة اما
ذكر او انثى وان كان مشكلا عندنا شتى جمع شتيت اى ان مساعيكم اشتات
مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على اثره اعطى يعني حقوق ماله واتقى الله فلم
يعصه وصدق بالحسنى بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام
او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه لها من يسر
الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها ومنه قوله عليه السلام كل ميسر لما خلق له والمعنى
فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة ايسر الامور عليه واهونها من قوله
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام واستغنى وزهد فيما عند الله
كأنه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه
في مقابلة اتقى فسنيسره للعسرى فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة
اعسر شيء عليه واشده من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء
او سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر العسرى لان عاقبتها
العسر او اراد بهما طريقي الجنة والنار اى فسنهديهما في الآخرة للطريقين وقيل
نزلتا في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابي سفيان بن حرب وما يغني عنه استفهام في معنى الانكار
او نفي تردى تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت او تردى في الحفرة
اذا قبر او تردى في قعر جهنم ان علينا للهدى ان الارشاد الى الحق واجب
علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع وان لنا للآخرة والاولى اى ثواب الدارين
للمهتدي كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين وقرأ
ابو الزبير تتلظى فان قلت كيف قال لا يصلاها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم
ان كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي اشقى الاشقياء ولا بالنجاة
اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى
فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب تلك النار
المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة قلت الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم

من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل
الأشقى وجعل مختصاً بالصلي كأن النار لم تخلق إلا له وقيل الأتقى وجعل مختصاً
بالنجاة كأن الجنة لم تخلق إلا له وقيل هما أبو جهل أو أمية بن خلف وأبو بكر رضي الله عنه
يتزكى من الزكاء أي يطلب أن يكون عند الله زاكياً لا يريد به رياء ولا سمعة
أو يتفعل من الزكاة فإن قلت ما محل يتزكى قلت هو على وجهين إن جعلته بدلاً من يؤتي
فلا محل له لأنه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وإن جعلته حالاً من الضمير في
يؤتي فمحله النصب ابتغاء وجه ربه مستثنى من غير جنسه وهو النعمة أي ما
لأحد عنده نعمة إلا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار أحد إلا حماراً وقرأ
يحيى بن وثاب إلا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار أحد إلا حمار
وأنشد في اللغتين قول بشر بن أبي خازم أضحت خلاء قفاراً لا أنيس بها
إلا الجآذر والظلمان تختلف وقول القائل وبلدة ليس بها أنيس
إلا اليعافير وإلا العيس ويجوز أن يكون ابتغاء وجه ربه مفعولاً له على المعنى
لأن معنى الكلام لا يؤتي ماله إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة ولسوف
يرضى موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والليل أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم المراد بالضحى وقت الضحى وهو
صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها وقيل إنما خص وقت الضحى
بالقسم لأنها الساعة التي كلم فيها موسى وألقي فيها السحرة سجداً لقوله وأن
يحشر الناس ضحى وقيل أريد بالضحى النهار بيانه قوله أن يأتيهم بأسنا
ضحى في مقابلة بياتاً سجى سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة
الريح وقيل معناه سكون الناس والأصوات فيه وسجا البحر سكنت أمواجه
وطرف ساج ساكن فاتر ما ودعك جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع
وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك قال وثم ودعنا آل عمرو وعامر
فرائس أطراف المثقفة السمر والتوديع مبالغة في الودع لأن من ودعك

الفرائس جمع الفريسة وهي صيد الأسد والمثقفة الرماح المقومة والسمر جمع أسمر وهو لون بين البياض والأدمة
يعني في ذلك المقام تركنا آل [illegible] فرائس الرماح أي مجروحين مغلوبين

مفارقاً فقد بالغ في تركك روي أن الوحي قد تأخر عن رسول الله أياماً فقال المشركون
إن محمداً ودعه ربه وقلاه وقيل إن أم جميل امرأة أبي لهب قالت يا محمد
ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات
في قوله والذاكرين الله كثيراً والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى
فهدى فأغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف فإن قلت كيف اتصل قوله وللآخرة
خير لك من الأولى بما قبله قلت لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى أن الله مواصلك
بالوحي إليك وأنك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه
أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل وهو السبق والتقدم على جميع
أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين
وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية ولسوف يعطيك
ربك فترضى موعد شامل لما أعطاه في الدنيا من الفلج والظفر بأعدائه
يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجاً والغلبة على قريظة
والنضير وإجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه
الراشدين في أقطار الأرض من المدائن وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة
وأنهبهم من كنوز الأكاسرة وما قذف في قلوب أهل الشرق والغرب من
الرعب وتهييب الإسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما ادخر له
من الثواب الذي لا يعلم كنهه إلا الله قال ابن عباس له في الجنة ألف قصر
من لؤلؤ أبيض ترابه المسك فإن قلت ما هذه اللام الداخلة على سوف قلت
هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف
يعطيك كما ذكرنا في لا أقسم أن المعنى لأنا أقسم وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم
أو ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التأكيد فبقي أن تكون لام
ابتداء ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ
وخبر وأن يكون أصله ولأنت سوف يعطيك فإن قلت ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد
والتأخير قلت معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة
[illegible] تعديد عليه نعمه وأياديه وأنه لم يخله منها من أول تربيته وابتداء

إلى الفاعل من قولهم هيبني الشيء أي خوفني أن خلك لا يكون سعد وقعا في قلوبهم إذ ليس قلبا بهم

نشئه ترشيحاً لما اراد به ليقتبس المؤمن من فضل الله عليه ما سلف منه ليلا يتوقع
الا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره ألم يجدك
من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى ألم تكن يتيماً وذلك
ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني
سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه فاحسن تربيته ومن بدع
التفاسير انه من قولهم درة يتيمة وان المعنى ألم يجدك واحداً في قريش
عديم النظير فآواك وقرئ فأوى وهو على معنيين إما من أواه بمعنى آواه سمع
بعض الرعاة يقول اين آوي هذه الموقسة وإما من أوى له اذا رحمه ضالا
معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري ما الكتاب
وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل
اضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب
وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب فهدى فعرفك القرآن
والشرائع او فازال ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على امر قومه اربعين
سنة فان اراد انه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان
على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة
وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان
لنا ان نشرك بالله من شيء وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار ان يسبق له كفر
عائلا فقيراً وقرئ عيلا كما قرئ سيحات وعديما فاغنى فاغناك
بمال خديجة او بما افاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي
وقيل قنعك واغنى قلبك فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه
وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو ان يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة
عابس الوجه ومنه الحديث فبابي وامي هو ما كهرني فلا تنهر والنهر والنهم الزجر
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رد السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره وقيل
اما انه ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره التحديث
بنعمة الله شكرها واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايواء والهداية

والاغناء وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقرآن فحدث اقرأه وبلغ ما ارسلت به وعن
عبد الله بن غالب انه كان اذا اصبح يقول رزقني الله البارحة خيراً قرأت كذا
وصليت كذا فاذا قيل له يا ابا فراس أمثلك يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى
واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وانما يجوز مثل هذا
اذا قصد به اللطف وان يقتدي به غيره وامن على نفسه الفتنة والستر افضل
ولو لم يكن فيه الا التشبه باهل الرياء والسمعة لكفى به وفي قراءة علي فخبر والمعنى
انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك واغناك فمهما يكن من
شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف
على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله بك وترحم على
السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد
الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع
والقرآن مقتديا بالله في ان هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها
الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الم نشرح مكية وهي ثماني آيات

بسم الله الرحمن الرحيم استفهم عن انتفاء الشرح
على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح وايجابه فكانه قيل شرحنا لك صدرك
ولذلك عطف عليه ووضعنا اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه
حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا او حتى احتمل المكاره
التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم او فسحناه بما اودعناه من العلوم
والحكم وازلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن
ملئ حكمة وعلما وعن ابي جعفر المنصور انه قرأ الم نشرح بفتح الحاء وقالوا
لعله بين الحاء واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها والوزر الذي انقض
ظهره اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما
كان يثقل على رسول الله ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من جهله بالاحكام
والشرائع او من تهالكه على اسلام اولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه
بنوع جملة فان كان الصوت لما كان للثقل فات حد الثقل على الصوت

عنه أن يخفى له، أو علم الشرائع، أو مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ. وعن
أنس: وحللنا وحططنا. وقرأ ابن مسعود: وحللنا عنك وقرك. ورفع
ذكره أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب
وفي غير موضع من القرآن: والله ورسوله أحق أن يرضوه، ومن يطع الله ورسوله
وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول، وفي تسميته رسول الله ونبي الله، ومنه ذكره
في كتب الأولين والأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به. فإن قلت: أي فائدة
في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه؟ قلت: في زيادة لك ما في طريقة الإبهام
والإيضاح، كأنه قيل: ألم نشرح لك، ففهم أن ثم مشروحا، ثم قيل: صدرك،
فأوضح ما علم مبهما، وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك. فإن قلت: كيف تعلق
قوله: فإن مع العسر يسرا بما قبله؟ قلت: كان المشركون يعيرون رسول الله
والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار
أهله واحتقارهم، فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم، ثم قال: فإن مع
العسر يسرا، كأنه قال: خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله، فإن مع
العسر الذي أنتم فيه يسرا. فإن قلت: إن مع للصحبة، فما معنى اصطحاب اليسر والعسر؟
قلت: أراد أن الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب، فقرب
اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر، زيادة في التسلية وتقوية القلوب.
فإن قلت: ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضه: لن يغلب عسر يسرين، وقد روي
مرفوعا أنه خرج صلى الله عليه ذات يوم وهو يضحك ويقول: لن يغلب عسر
يسرين؟ قلت: هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء، وأن موعد الله
لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه. والقول فيه أنه يحتمل أن تكون
الجملة الثانية تكريرا للأولى كما كرر قوله: ويل يومئذ للمكذبين، لتقرير
معناها في النفوس وتمكينها في القلوب، وكما يكرر المفرد في قولك: جاءني
زيد زيد. وأن تكون الأولى عدة بأن العسر مردوف بيسر لا محالة،
والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر، فهما يسران على تقدير
الاستئناف، وإنما كان العسر واحدا لأنه لا يخلو إما أن يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي

كما تقول أخرج الشاة وأخرج اثنين

كانوا فيه، فهو هو، لأن حكمه حكم زيد في قولك: إن مع زيد مالا، إن مع زيد مالا.
وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد فهو هو أيضا. وأما اليسر فمنكر متناول
لبعض الجنس، فإذا كان الكلام الثاني مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض
الأول بغير إشكال. فإن قلت: فما المراد باليسرين؟ قلت: يجوز أن يراد بهما ما تيسر
لهم من الفتوح في أيام رسول الله، وما تيسر لهم في أيام الخلفاء، وأن يراد يسر الدنيا
ويسر الآخرة، كقوله تعالى: قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين، وهما حسنى الظفر
وحسنى الثواب. فإن قلت: فما معنى هذا التنكير؟ قلت: التفخيم، كأنه قيل: إن مع العسر
يسرا عظيما وأي يسر. وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة. فإن قلت: فإذا ثبت
في قراءته غير مكرر فلم قال: والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر
حتى يدخل عليه، إنه لن يغلب عسر يسرين؟ قلت: كأنه قصد باليسرين ما في
قوله يسرا من معنى التفخيم، فتأوله بيسر الدارين، وذلك يسران في الحقيقة.
فإن قلت: فكيف تعلق قوله: فإذا فرغت فانصب بما قبله؟ قلت: لما عدد عليه نعمه
السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب
فيها، وأن يواصل بين بعضها وبعض، ويتابع ويحرص على أن لا يخلي وقتا من أوقاته
منها، فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى. وعن ابن عباس: فإذا فرغت من
صلاتك فاجتهد في الدعاء. وعن الحسن: فإذا فرغت من الغزو فاجتهد في
العبادة. وعن مجاهد: فإذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك. وعن الشعبي
أنه رأى رجلا يشيل حجرا فقال: ليس بهذا أمر الفارغ. وقعود الرجل فارغا
من غير شغل، أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه، من سفه الرأي
وسخافة العقل واستيلاء الغفلة. ولقد قال عمر رضه: إني لأكره أن أرى
أحدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة. وقرأ أبو السمال
فرغت بكسر الراء، وليست بفصيحة. ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة
أنه قرأ: فانصب بكسر الصاد، أي فانصب عليا للإمامة، ولو صح هذا للرافضي
لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته.
وإلى ربك فارغب واجعل رغبتك إليه خصوصا، ولا تسأل إلا فضله متوكلا عليه.

يقال نصبت فلانا نصبا أي عاديته

وترى رغبت اى رغبت الناس الى طلب ما عنده. عن النبي صلى الله عليه من قرأ الم
نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتمّ ففرّج عني. سورة والتين مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

اقسم بهما لانهما عجيبان من بين اصناف الاشجار المثمرة. وروى انه اهدى لرسول الله صلى الله عليه
طبق من تين فأكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة
لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من
النقرس. ومرّ معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به
وقال سمعت رسول الله صلعم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة
يطيب الفم ويذهب بالحفر وسمعته يقول هي سواكي وسواك الانبياء قبلي
وعن ابن عباس هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الارض المقدسة يقال
لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون
وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لانها منابتهما
كانه قيل ومنابت التين والزيتون. واضيف الطور وهو الجبل الى سينين
وهي البقعة. ونحو سينون يبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار
على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب. والبلد مكة حماها الله والامين
من امن الرجل امانة فهو امين. وقيل امان كما قيل كرام في كريم و
امانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه. ويجوز ان يكون
فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله
حرما آمنا بمعنى ذي امن. ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف
البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين
فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشاه. والطور
المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين
ومولد رسول الله ومبعثه. في احسن تقويم في احسن تعديل لشكله وصورته
وتسوية لاعضائه. ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة
الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا

يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار. او اسفل من سفل
من اهل الدركات. او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل
في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض
شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين
وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته
خرف. وقرأ عبد الله اسفل السافلين. فان قلت فكيف الاستثناء على المذهبين
قلت هو على الاول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين
من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة
والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم. فان قلت
فما يكذبك من المخاطب به قلت هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات
اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعني انك تكذب
اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فأي شيء يضطرك
الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله الذين يتولونه
والذين هم به مشركون والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا
سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى ان
يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر
من الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك ايها الانسان
بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله. اليس الله باحكم
الحاكمين وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهله وعن النبي صلعم انه كان اذا قرأها
قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين. عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة
والتين اعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا
مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة.

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عن ابن عباس ومجاهد هي اول سورة نزلت واكثر المفسرين على ان الفاتحة

وجه المناسبة بين قوله خلق الانسان من علق وبين قوله وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم انه تعالى ذكر اول حال الانسان وهو كونه علقة مع انها اخس الاشياء وآخر حاله وهو صيرورته عالما وهو اجل المراتب يعني كان ذليلا مهينا فاعززته بالعلم وهذا يدل على ان العلم اشرف الاشياء اذ لو كان غيره اشرف لكان ذلك الشيء بالذكر اولى ه

محل باسم ربك النصب على الحال اى اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ
فان قلت كيف قال خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الانسان قلت هو على وجهين
اما ان لا يقدر له مفعول وان يراد انه الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق
سواه ه واما ان يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس
بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر
من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض ه ويجوز ان يراد الذي
خلق الانسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما
ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته
فان قلت لم قال من علق على الجمع وانما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من
علقة قلت لان الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان لفي خسر ه الاكرم
الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم
التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه
وركوبهم المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز
عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا امد وكأنه ليس
وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم
الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه
علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه
على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو
وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين
ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت
امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره
دليل الا امر القلم والخط لكفى به ه ولبعضهم في صفة القلم
ورواقم رقش كمثل اراقم قطف الخطى نيالة اقصى المدى ه
سود القوائم ما يجد مسيرها الا اذا لعبت بها بيض المدى ه
وقرئ الذي علم الخط بالقلم كلا ردع لمن كفر بنعمة الله

عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان رآه ان رأى نفسه يقال في افعال
القلوب رأيتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت
بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين استغنى هو المفعول الثاني ان
الى ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا
من عاقبة الطغيان ه والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع ه وقيل نزلت
في ابي جهل وكذلك ارايت الذي ينهى ه وروي انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم
ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا ناخذ منها
فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال ان شئت فعلنا ذلك
ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله
عن الدعاء ابقاء عليهم وروي عن ابي جهل لعنه الله انه قال هل يعفر محمد وجهه
بين اظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رأيته توطأت عنقه
فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه
لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ارايت الذي ينهى ومعناه اخبرني
عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة
فيما ينهى عنه من عبادة الله او كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به
من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي
عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله
من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد فان قلت ما متعلق
ارايت قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين فان قلت
فاين جواب الشرط قلت هو محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى
الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني فان قلت
فكيف صح ان يكون الم يعلم جوابا للشرط قلت كما صح في قولك ان اكرمتك
اتكرمني وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه فان قلت فما ارايت الثانية
وتوسطها بين مفعولي ارايت قلت هي زائدة مكررة للتوكيد
وعن الحسن انه امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة كلا ردع

لأبي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة اللات ثم قال لئن لم
ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار
والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو بن معدي كرب
قوم إذا يقع الصريخ رأيتهم من بين ملجم مهره أو سافع وقرئ
لنسفعن بالنون المشددة وقرأ ابن مسعود لأسفعن وكتبتها
في المصحف بالألف على حكم الوقف ولما علم أنها ناصية المذكور اكتفى
بلام العهد عن الإضافة ناصية بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة
وهي نكرة لأنها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هي
ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم ووصفها بالكذب والخطأ على
الإسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس
في قولك ناصية كاذب خاطئ والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم
أي يجتمعون والمراد أهل النادي كما قال جرير لهم مجلس صهب السبال أذلة
وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم والمقامة المجلس
روي أن أبا جهل مر برسول الله وهو يصلي فقال ألم أنهك فأغلظ له
رسول الله فقال أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فنزلت
وقرأ ابن أبي عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية
في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو
الدفع وقيل زبني وكأنه نسب إلى الزبن ثم غير للنسب كقولهم
أمسي وأصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة
العذاب وعن النبي صلعم لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا كلا
ردع لأبي جهل لا تطعه أي اثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله
فلا تطع المكذبين واسجد ودم على سجودك يريد الصلاة واقترب
وتقرب إلى ربك وفي الحديث أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد
عن النبي صلعم من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم عظم القرآن من ثلثة
أوجه أحدها أن أسند إنزاله إليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني
أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء
عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه
روي أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا
وأملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله نجوما في ثلث وعشرين
سنة وعن الشعبي المعنى إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر واختلفوا
في وقتها فأكثرهم على أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها
وأكثر القول أنها السابعة منها ولعل الداعي إلى إخفائها أن يحيي من
يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف
ثوابه وأن لا يتكل الناس عند إظهارها على إصابة الفضل فيها فيفرطوا
في غيرها ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها من قوله
فيها يفرق كل أمر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر
الليالي وما أدراك ما ليلة القدر يعني ولم تبلغ درايتك غاية
فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين ذلك بأنها خير من ألف شهر وسبب ارتقاء فضلها
إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل الملائكة والروح
وفصل كل أمر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة أن رسول الله صلعم ذكر رجلا من بني إسرائيل
لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم
فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له
عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا
عابدين من أولئك العباد تنزل إلى السماء الدنيا وقيل إلى الأرض والروح جبريل
وقيل خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة من كل أمر تتنزل
من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل وقرئ من كل امرئ أي من
أجل كل إنسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه في تلك الليلة
سلام هي ما هي إلا سلامة أي لا يقدر الله فيها إلا السلامة والخير ويقضي

في غيرها الآية وسلامة أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين وقرئ مطلع بكسر اللام
وفتحها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا
ليلة القدر

سورة القيمة مكية وقيل مدنية وهي ثماني آيات

بسم الله الرحمن الرحيم كان الكفار من الفريقين
أهل الكتاب وعبدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبي صلعم لا ننفك مما نحن عليه
من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة
والإنجيل وهو محمد صلعم فحكى الله تع ما يقولونه ثم قال وما تفرق الذين أوتوا
الكتاب يعني أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم
الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر إلا مجيء الرسول ونظيره في
الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما أنا فيه حتى يرزقني الله
الغنى فيرزقه الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق
حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق إلا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله
توبيخا وإلزاما وانفكاك الشيء من الشيء أن يزايله بعد التحامه به كالعظم
إذا انفك من مفصله والمعنى أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه إلا عند
مجيء البينة والبينة الحجة الواضحة ورسول بدل من البينة وفي قراءة
عبد الله رسولا حالا من البينة صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب
مكتوبات والبينة القرآن أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ورسول من الله
جبريل صلعم وهو التالي للصحف المطهرة المنتسخة من اللوح التي ذكرت
في سورة عبس ولا بد من مضاف محذوف وهو الوحي وكونه بمراد النبي عم
فإن قلت كيف نسبة تلاوة الصحف المطهرة إليه وهو أمي قلت إذا تلا مثل
المسطور فيها كان تاليا لها قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم
تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه أو تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من
أنكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند فإن قلت لم جمع بين أهل الكتاب والمشركين
أولا ثم أفرد أهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب قلت لأنهم كانوا
على علم به لوجوده في كتبهم فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل
في هذا الوصف وما أمروا يعني في التوراة والإنجيل إلا بالدين الحنيفي ولكنهم
حرفوا وبدلوا وذلك دين القيمة أي دين الملة القيمة وقرئ وذلك
الدين القيمة على تأويل الدين بالملة فإن قلت ما وجه قوله وما أمروا إلا ليعبدوا
الله قلت معناه وما أمروا بما في الكتابين إلا لأجل أن يعبدوا الله على هذه الصفة
وقرأ ابن مسعود إلا أن يعبدوا بمعنى بأن يعبدوا وقرأ نافع البريئة بالهمز
والقراء على التخفيف والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل
وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب في جمع جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه
من قرأ لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم زلزالها قرئ بكسر الزاي
وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس في الأبنية فعلال بالفتح إلا في المضاعف
فإن قلت ما معنى زلزالها بالإضافة قلت معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة
ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك أكرم التقي إكرامه
وأهن الفاسق إهانته تريد ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة أو زلزالها
كله وجميع ما هو ممكن منه الأثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل أثقالكم
جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالا لها وقال الإنسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة
الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ
أمواتها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع كما يقولون من بعثنا
من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فإن قلت ما معنى تحديث الأرض والإيحاء
لها قلت هو مجاز عن إحداث الله فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان
حتى ينظر من يقول ما لها إلى تلك الأحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الأموات وأن
هذا ما كانت الأنبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة
وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن رسول الله صلعم تشهد على كل أحد بما عمل على
ظهرها فإن قلت إذا ويومئذ ما ناصبهما قلت يومئذ بدل من إذا وناصبهما

تحدث ۝ ويجوز أن ينتصب إذا المضمر ويومئذ بتحدث فإن قلت أين مفعولا تحدث قلت
قد حذف أولهما والثاني أخبارها وأصله تحدث الخلق أخبارها إلا أن المقصود
ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم فإن قلت بم تعلقت الباء في
قوله بأن ربك قلت بتحدث ومعناه تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك
وأمره إياها بالتحديث ويجوز أن يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث أن ربك
أوحى لها أخبارها على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحديث بأخبارها كما تقول
نصحتني كل نصيحة بأن نصحتني في الدين ويجوز أن يكون بأن ربك بدلا من أخبارها
كأنه قيل يومئذ تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها لأنك تقول حدثته كذا
وحدثته بكذا وأوحى لها بمعنى أوحى إليها وهو مجاز كقوله أن نقول له كن وقال
أوحى لها القرار فاستقرت ۝ وقرأ ابن مسعود تنبئ أخبارها وسعيد
بن جبير تنبي بالتخفيف ۝ يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف **أشتاتا** بيض الوجوه
آمنين وسود الوجوه فزعين ۝ أو يصدرون عن الموقف أشتاتا يتفرق بهم
طريقا الجنة والنار **ليروا** جزاء أعمالهم ۝ وفي قراءة النبي صلعم ليروا بالفتح ۝ وقرأ
ابن عباس وزيد بن علي يره بالضم ۝ ويحكى أن أعرابيا أخر خيرا يره فقيل
له قدمت وأخرت فقال خذا بطن هرشى أو قفاها فإنه كلا جانبي هرشى لهن طريق
والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء
فإن قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن معفوة باجتناب
الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر **قلت** المعنى فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الأشقياء
لأنه جاء بعد قوله يصدر الناس أشتاتا ۝ **عن رسول الله صلى الله عليه**
من قرأها أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة العاديات مختلف فيها وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم أقسم بخيل الغزاة
تعدو فتضبح والضبح صوت أنفاسها إذا عدون وعن ابن عباس أنه حكاه
فقال أح أح قال عنترة والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا

وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا أو بالعاديات كأنه قيل والضابحات لأن الضبح
يكون مع العدو أو على الحال أي ضابحات **فالموريات** تورى نار الحباحب وهي
ما ينقدح من حوافرها **قدحا** قادحات صاكات بحوافرها الحجارة ۝ والقدح
الصك ۝ والإيراء إخراج النار تقول قدح فأورى وقدح فأصلد ۝ وانتصب
قدحا بما انتصب به ضبحا **فالمغيرات** تغير على العدو **صبحا** في وقت الصبح **فأثرن
به نقعا** فهيجن بذلك الوقت غبارا **فوسطن به** بذلك الوقت ۝ أو بالنقع ۝
أي وسطن النقع الجمع ۝ أو فوسطن ملتبسات به **جمعا** من جموع الأعداء ووسطه
بمعنى توسطه ۝ وقيل الضمير لمكان الغارة ۝ وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات
ويجوز أن يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد
فمتى ينقع صراخ صادق ۝ أي فهيجن في المغار عليهم صياحة وجلبة ۝
وقرأ أبو حيوة فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لأن التأثير فيه معنى
الإظهار ۝ أو قلب ثورن إلى وثرن وقلب الواو همزة ۝ وقرئ فوسطن
بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله وأتوا به وهي مبالغة
في وسطن ۝ وعن ابن عباس كنت جالسا في الحجر فجاء رجل فسألني عن العاديات
ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب إلى علي وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له
ما قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به
والله إن كانت لأول غزوة في الإسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس
للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الإبل من عرفة إلى المزدلفة ومن
المزدلفة إلى منى ۝ فإن صحت الرواية فقد استعير الضبح للإبل كما استعير
المشافر والحافر للإنسان والشفتان للمهر والثفر للثور وما أشبه
ذلك ۝ وقيل الضبح لا يكون إلا للفرس والكلب والثعلب ۝ وقيل الضبح بمعنى الضبع
يقال ضبحت الإبل وضبعت إذا مدت أضباعها في السير وليس بثبت ۝ وجمع
هو المزدلفة **فإن قلت** علام عطف فأثرن **قلت** على الفعل الذي وضع اسم
الفاعل موضعه لأن المعنى واللاتي عدون فأغرن فأثرن ۝
الكنود الكفور وكند النعمة كنودا ۝ ومنه سمي كندة لأنه كند أباه ۝

من الناقة وربما استعير لغيرها قال الأخطل جزى الله عنا الأعور بن ملامة وفروة ثفر الثورة المتضاجم
[illegible] وثفر الثور [illegible] المضاجع [illegible] الثفر

بقادر فيه ٥ وعن الكلبي الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان
مضر وربيعة الكفور يعني انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لان
تفريطه في شكر نعمة غير الله تفريط وقريب لمقاربة النعمة لان اجل ما انعم
به على الانسان من مثله نعمة ابويه ثم ان اعظمها في جنب ادنى نعمة الله
قليلة ضئيلة «وانه» وان الانسان «على ذلك» على كنوده «لشهيد» يشهد على
نفسه ولا يقدر ان يجحده لظهور امره ٥ وقيل وان الله على كنوده لشاهد
على سبيل الوعيد ٥ الخير المال من قوله ان ترك خيرا ٥ والشديد البخيل الممسك
يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة ٭ ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي
عقيلة مال الفاحش المتشدد ٭ يعني وانه لاجل حب المال وان انفاقه
يثقل عليه لبخيل ممسك ٥ او اراد بالشديد القوي وانه لحب المال وايثار
الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف
متقاعس ٥ تقول هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا
او اراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض ٥ بعثر
بعث ٥ وقرئ بحث وبحثر ٥ وحصل على بنائهما للفاعل ٥ وحصل بالتخفيف
ومعنى حصل جمع في الصحف اي اظهر محصلا مجموعا ٥ وقيل ميز بين خيره
وشره ومنه قيل للمنخل المحصل ٥ ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته
لهم على مقادير اعمالهم لان ذلك اثر خبره بهم ٥ وقرأ ابو السمال ان ربهم
بهم يومئذ خبير ٭ عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة والعاديات
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا ٥

سورة القارعة مكية وهي عشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ٭ الظرف نصب بمضمر
دلت عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم
بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعي
من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار قال جرير
ان الفرزدق ما علمت وقومه ٭ مثل الفراش غشين نار المصطلي

وفي امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره
وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ الوانا لانها الوان وبالمنفوش منه
لتفرق اجزائها ٥ وقرأ ابن مسعود كالصوف ٥ الموازين جمع موزون وهو
العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه حديث
ابي بكر لعمر في وصيته له وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة
باتباعهم الحق وثقله عليهم في الدنيا وحق لميزان يوضع فيه الحسنات ان يثقل
وانما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل وخفته عليهم في الدنيا
وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيئات ان يخف «فامه هاوية» من قولهم اذا دعوا
على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت
امه ثكلا وحزنا قال ٭ هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يرد الليل
وكانه قيل واما من خفت موازينه فقد هلك ٥ وقيل هاوية من اسماء النار
وكانها النار العميقة لهوي اهل النار فيها مهوى بعيدا كما روي يهوي فيها
سبعين خريفا اي فماواه النار ٥ وقيل للماوى ام على التشبيه لان الام
ماوى الولد ومفزعه ٥ وعن قتادة فامه هاوية فام راسه هاوية
في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا «هيه» ضمير الداهية التي دل عليها
قوله فامه هاوية في التفسير الاول او ضمير هاوية والهاء للسكت واذا
وصل القارئ حذفها ٥ وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها
ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل ٭ عن رسول الله صلى الله عليه
من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة ٥

سورة التكاثر مكية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ٭ الهاه عن كذا واقهاه
اذا شغله ٥ والتكاثر التباري في الكثرة والتباهي بها وان يقول هؤلاء
نحن اكثر وهؤلاء نحن اكثر ٥ روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا ايهم
اكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية
فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم ٥ والمعنى انكم تكاثرتم

بالأحياء حتى استوعبتم عددهم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات عبّر عن
بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكماً بهم وقيل كانوا يزورون المقابر
فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى ألهاكم ذلك وهو مما
لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من أمر الدين الذي هو أهم
وأعنى من كل مهم أو أراد ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم
منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق إليها والتهالك عليها إلى أن أتاكم الموت
لا همّ لكم غيرها عما هو أولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبور
عبارة عن الموت قال لن يخلص العام خليل عشرا ذاق الضماد أو يزور القبرا
وعن ابن عباس ألهاكم على الاستفهام الذي معناه التقرير كلا ردع وتنبيه
على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه سوف تعلمون
إنذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للردع والإنذار عليهم وثم
دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد كما تقول للمنصوح أقول لك
ثم أقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما
قدامكم من هول لقاء الله وأن هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم ثم كرر
التنبيه أيضا وقال كلا لو تعلمون وجواب لو محذوف يعني لو تعلمون ما بين أيديكم علم
الأمر اليقين أي كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور التي وكلتم بعلمها هممكم
لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قال لترون الجحيم
فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به وقد مضى ما في إيضاح الشيء بعد إبهامه
من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وأن ما أوعدوا
به ما لا مدخل فيه للريب وكرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة
في التهويل وقرئ لترؤن بالهمز وهي مستكرهة فإن قلت لم استكرهت
والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد قلت ذاك في الواو التي ضمتها لازمة
وهذه عارضة لالتقاء الساكنين وقرئ لترون ولترونها على البناء للمفعول
عين اليقين أي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز أن يراد بالرؤية العلم و
الإبصار عن النعيم عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه

فإن قلت ما النعيم الذي يسأل عنه الإنسان ويعاتب عليه فما من أحد إلا وله نعيم
قلت هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش إلا ليأكل الطيب
ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه
مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله وأرزاقه التي لم يخلقها إلا لعباده وتقوى
بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك
بمعزل وإليه أشار رسول الله صلعم فيما يروى أنه أكل هو وأصحابه تمرا وشربوا
عليه ماء فقال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين عن النبي صلى الله عليه
من قرأ ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطي
من الأجر كأنما قرأ ألف آية

سورة والعصر مكية وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله
والصلاة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة وقوله عليه السلام من فاتته
صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله ولأن التكليف في أدائها أشق لتهافت
الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم أو أقسم
بالعشي كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة أو أقسم بالزمان
لما في مروره من أصناف العجائب والإنسان لفي خسر والخسر الخسران كما قيل
الكفر في الكفران والمعنى أن الناس في خسران من تجارتهم إلا الصالحين وحدهم
لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف
تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة وتواصوا بالحق بالأمر الثابت
الذي لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع
كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وتواصوا بالصبر
عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده عن رسول الله صلى الله عليه
من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن
يقال لمزه ولهزه طعنه والمراد الكسر من أعراض الناس والغض منهم واغتيابهم

والطعن فيهم وبناء فُعَلة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوهما اللعنة و
الضحكة قال وإن أغيب فأنت الهامز اللمزه وقرئ ويلٌ للهُمَزة
اللُمَزة وقرئ ويل لكل هُمْزة لُمْزة بسكون الميم وهو المسخرة التي يأتي
بالأوابد والأضاحيك فيضحك منه ويشتم. وقيل نزلت في الأخنس بن شريق
وكانت عادته الغيبة والوقيعة. وقيل في أمية بن خلف. وقيل في الوليد بن
المغيرة واغتيابه لرسول الله وغضه منه. ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد
عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه
فإن ذلك أزجر له وأنكى فيه. الذي بدل من كل أو نصب على الذم. وقرئ جمّع
بالتشديد وهو مطابق لعدده. وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر
وقرئ وعدده أي جمع المال وضبط عدده وأحصاه. أو جمع ماله وقومه
الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد إذا كان له عدد وافر من الأنصار
وما يصلحهم. وقيل وعدده معناه وعدده على فك الإدغام نحو ضننوا
أخلده وخلّده بمعنى أي طوّل المال أمله ومنّاه الأماني البعيدة حتى أصبح
لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت. أو يعمل
من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الأشجار وعمارة الأرض
عمل من يظن أن ماله أبقاه حيا. أو هو تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذي
أخلد صاحبه في النعيم فأما المال فما أخلد أحدا فيه. وروي أنه كان للأخنس
أربعة آلاف دينار. وقيل عشرة آلاف. وعن الحسن أنه عاد موسرا فقال
ما تقول في ألوف لم أفتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال
لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال إذن
تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك. كلا ردع له عن حسبانه. وقرئ
لَيُنبذانّ أي هو وماله. ولَيُنبذُنّ بضم الذال أي هو وأنصاره. ولينبذنّه
في الحطمة في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها ويقال للرجل الأكول
إنه لحطمة. وقرئ الحاطمة يعني أنها تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم
وتطّلع على أفئدتهم وهي أوساط القلوب ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من

الفؤاد ولا أشد تألما منه بأدنى أذى يمسّه فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم
واستولت عليه. ويجوز أن يخص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة
والنيات الخبيثة. ومعنى اطلاع النار عليها أنها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها
أو تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها. مؤصدة مطبقة. قال:
تحن إلى أجبال مكة ناقتي ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدة
وقرئ في عُمُد بضمتين وعُمْد بسكون الميم وعَمَد بفتحتين والمعنى أنه
يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الأبد فتؤصد عليهم الأبواب وتمدد
على الأبواب العمد استيثاقا في استيثاق. ويجوز أن يكون المعنى أنها عليهم
مؤصدة موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص
اللهم أجرنا من النار يا خير مستجار. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه.

سورة الفيل مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم روي أن أبرهة بن
الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء
وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد
فيها ليلا فأغضبه ذلك. وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها
الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه
محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره. وقيل ثمانية. وقيل
كان معه ألف فيل. وقيل كان وحده. فلما بلغ المغمّس خرج إليه عبد المطلب
وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبّأ جيشه وقدّم الفيل وكانوا
كلما وجّهوه إلى الحرم برك ولم يبرح. وإذا وجّهوه إلى اليمن أو إلى غيره
من الجهات هرول. فأرسل الله طيرا سودا. وقيل خضرا. وقيل بيضا
مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر
من الحمصة. وعن ابن عباس أنه رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز مخططة
بحمرة كالجزع الظفاري. وكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره

الظفاري

و على كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق و منهل و دوي ابرهة
فتساقطت انامله و آرابه و ما مات حتى انصدع صدره عن قلبه و انفلت وزيره
ابو يكسوم و طائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما
اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه و قيل كان ابرهة جد النجاشي
الذي كان في زمن رسول الله باربعين سنة و قيل بثلث و عشرين سنة و عن
عايشة رايت قائد الفيل و سائسه اعميين مقعدين يستطعمان و فيه ان
ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها فعظم في عينه و كان رجلا
جسيما وسيما و قيل هذا سيد قريش و صاحب عير مكة الذي يطعم الناس
في السهل و الوحوش في رؤوس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني
جئت لاهدم البيت الذي هو دينك و دين آبائك و عصمتكم و شرفكم
فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب الابل و للبيت رب
سيمنعه ثم رجع و اتى باب البيت فاخذ بحلقته و هو يقول

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم و محالهم عدوا محالك
ان كنت تاركهم و كعبتنا فامر ما بدا لك
يا رب لا ارجو لهم سواكا
يا رب فامنع منهم حماكا

فالتفت و هو يدعو فاذا هو بطير من
نحو اليمن فقال و الله انها لطير غريبة ما هي بنجدية و لا تهامية و فيه ان
اهل مكة قد احتووا على اموالهم و جمع عبد المطلب من جواهرهم و ذهبهم
الجور و كان سبب يساره و عن ابي سعيد الخدري انه سئل عن الطير
فقال حمام مكة منها و قيل جاءت عشية ثم صبحتهم و عن عكرمة
من اصابته جدرته و هو اول جدري ظهر و معنى الم تر بسلوك الراي
للجدري في اظهار ... و المعنى انك رايت آثار فعل الله بالحبشة و سمعت
الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة و كيف في موضع نصب بفعل
ربك لا بالم تر لما فيه من معنى الاستفهام في تضليل في تضييع و ابطال يقال
ضلل كيده اذا جعله ضائعا و منه قوله تعالى و ما كيد الكافرين الا في
ضلال و قيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه

يعني انهم كادوا البيت اولا ببناء القليس و ارادوا ان ينسخوا امره بصرف
وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه و كادوه ثانيا بارادة
هدمه فضلل بارسال الطير عليهم ابابيل جماعات جمع ابالة و في
امثالهم ضغث على ابالة و هي الحزمة الكبيرة شبهت الجماعة من الطير
في تضامها بالابالة و قيل ابابيل مثل عباديد و شماطيط لا واحد لها
و قرا ابو حنيفة يرميهم اي الله تعالى او الطير لانه اسم جمع مذكر و انما
يؤنث على المعنى سجيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار
كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون
و اشتقاقه من الاسجال و هو الارسال لان العذاب موصوف بذلك و ارسل عليهم
طيرا و ارسلنا عليهم الطوفان و عن ابن عباس من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر
و قيل هو معرب من سنك كل و قيل من شديد عذابه و رده ابيات ابن مقبل
ضربا تواصت به الابطال سجيلا و انما هو سجينا و القصيدة نونية
مشهورة في ديوانه و شبهوا بورق الزرع اذا اكل اي وقع فيه الاكال
و هو ان ياكله الدود او بتبن اكلته الدواب و راثته و لكنه جاء
على ما عليه آداب القرآن كقوله كانا ياكلان الطعام او اريد اكل حبه فبقي
صفرا منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف
و المسخ

سورة قريش مكية اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش متعلق بقوله
فليعبدوا و المعنى ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين فان قلت فلم دخلت الفاء
قلت لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على
معنى ان نعم الله عليه لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة
التي هي نعمة ظاهرة و قيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش و قيل
هو متعلق بما قبله اي فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش و هذا بمنزلة التضمين
في الشعر و هو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به و هما في مصحف
ابي سورة واحدة بلا فصل و عن عمر انه قراهما في الثانية من صلاة المغرب

[illegible] والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع
الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم
لهم الأمن في رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم ○ وكانت لقريش رحلتان يرحلون
في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا
في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس
غيرهم يتخطفون ويغار عليهم ○ والإيلاف من قولك آلفت المكان
أولفه إيلافا إذا ألفته فأنا مؤلف قال ○ من المؤلفات الرمل أدماء حرة
وقرئ لئلاف قريش أي لمؤالفة قريش ○ وقيل يقال ألفته إلفا وإلافا
وقرأ أبو جعفر لإلف قريش وقد جمعهما من قال
زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف وقرأ
عكرمة ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد
النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن
ولا تطاق إلا بالنار ○ وعن معاوية أنه سأل ابن عباس بم سميت قريش قال
بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وأنشد
وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا ○ والتصغير
للتعظيم ○ وقيل من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم
وضربهم في البلاد أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما
لأمر الإيلاف وتذكيرا بعظيم النعمة فيه ○ ونصب الرحلة بإيلافهم مفعولا
به كما نصب يتيما بإطعام وأراد رحلتي الشتاء والصيف فأفرد لأمن الإلباس
كقوله كلوا في بعض بطنكم ○ وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل إليها
والتنكير في خوف وجوع لشدتهما يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع
شديد كانوا فيه قبلهما ○ وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف
التخطف في بلدهم ومسايرهم ○ وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا
الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم
وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم عليه ○ ومن بدع التفاسير آمنهم من خوف أن

تكون الخلافة في غيرهم وقرئ من خوف بإخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه
من قرأ سورة لإيلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة أرأيت مكية وقيل مدنية وهي سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قرئ أريت بحذف الهمزة
وليس بالاختيار لأن حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي
سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام في أول الكلام ونحوه صاح هل ريت أو سمعت براع
رد في الضرع ما قرى في العلاب ○ وقرأ ابن مسعود أرأيتك بزيادة
حرف الخطاب كقوله أرأيتك هذا الذي كرمت علي والمعنى هل عرفت الذي يكذب
بالجزاء من هو إن لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو الذي يدع اليتيم
أي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة
وقرئ يدع أي يترك ويجفو ولا يحض ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين
جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف يعني
أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك
فحين أقدم عليه علم أنه مكذب فما أشده من كلام وما أخوفه من مقام
وما أبلغه في التحذير من المعصية وأنها جديرة بأن يستدل بها على ضعف
الإيمان ورخاوة عقد اليقين ○ ثم وصل به قوله فويل للمصلين كأنه قال
فإذا كان الأمر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها
حتى تفوتهم ○ أو يخرج وقتها ○ أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلعم والسلف
ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع وإخبات واجتناب لما يكره فيها
من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد
منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور وكما ترى صلاة أكثر من ترى الذين
عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم ○ والمعنى أن هؤلاء أحق بأن يكون
سهوهم عن الصلاة التي هي عماد الدين والفارق بين الإيمان والكفر والرياء
الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة
الإسلام علما على أنهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالإسلام بل من العلماء

ومنهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة اخرى ان يكون فذلك عطفا
على الذى يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت محذوفا
لدلالة ما بعده عليه كانه قيل اخبرنى وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذى
اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين اى اذا علم انه مسئ
فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا
مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين على الصلوة مرائين غير مزكين اموالهم
فان قلت كيف جعلت المصلين قائما مقام الضمير الذى للذى يكذب وهو واحد قلت
معناه الجمع لان المراد به الجنس فان قلت اى فرق بين قوله عن صلوتهم وبين قولك
فى صلوتهم قلت معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات
اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى فى ان السهو
يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه
مسلم وكان رسول الله صلعم يقع له السهو فى صلوته فضلا عن غيره ومن
ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو فى كتبهم وعن انس الحمد لله على ان لم
يقل فى صلوتهم وقرا ابن مسعود لاهون فان قلت ما معنى المراءاة قلت
هى مفاعلة من الاراءة لان المرائى يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء
عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة
فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله عم ولا غمة فى فرائض الله
لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت
فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه
مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا
وانما الرياء ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فيثنى عليه بالصلاح
وعن بعضهم انه راى رجلا فى المسجد قد سجد سجدة الشكر واطالها
فقال ما احسن هذا لو كان فى بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه
الرياء والسمعة على ان اجتناب الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص
ومن ثم قال رسول الله صلعم الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة

المظلمة على المسح الاسود

الموصوف المحذوف اى شيئا محتاجا اليه

لان كل موجود محدث وجسم وهو فى الاول موجود وليس بجسم ولم يكافئه
احد اى لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة فى النكاح نفيا للصاحبة
سالوه ان يصفه لهم فاوحى اليه ما احتوى على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم
الى من هو خالق الاشياء وفاطرها وفى طى ذلك وصفه بانه قادر عالم لان
الخلق يستدعى القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق
وانتظام وفى ذلك وصفه بانه حى سميع بصير وقوله احد وصف بالوحدانية
ونفى الشركاء وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن
الا محتاجا اليه فهو غنى وفى كونه غنيا مع كونه عالما انه عدل غير فاعل للقبائح
لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه وقوله لم يلد وصف بالقدم والاولية
وقوله لم يولد نفى للشبه والمجانسة وقوله لم يكن له كفوا احد تقرير
لذلك وبت للحكم به فان قلت الكلام العربى الفصيح ان يؤخر الظرف الذى هو
لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك فى كتابه فما باله مقدما
فى افصح كلام واعربه قلت هذا الكلام انما سيق لنفى المكافاة عن ذات
البارى سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك
اهم شئ واعناه واحقه بالتقديم واحراه وقرئ كفوا بضم الكاف
والفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء فان قلت لم كانت هذه السورة
عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها قلت لامر ما يسود
من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله وعدله وتوحيده وكفى
دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلعم فيها ان علم التوحيد
من الله بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه
ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا
يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وانافته على كل علم واستيلائه
على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه
له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا فى
زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك

المظلمة على المسيح لا سواد ٭ الماعون الزكوة قال الراعي قوم على الاسلام لما يمنعوا ماعونهم
وعن ابن مسعود ما يتعاور في العادة من الفاس والقدر والدلو والمقدحة
ونحوها ٭ وعن عائشة الماء والنار والملح وقد يكون منع هذه الاشيا محظورا
في الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا في المروة في غير حال الضرورة
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة ارايت غفر الله له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم في قراءة النبي صلعم
انا انطيناك بالنون ٭ وفي حديثه صلعم وانطوا الثبجة ٭ والكوثر فوعل من
الكثرة وهو المفرط الكثرة ٭ وقيل لاعرابية رجع ابنها من السفر
بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال واشتكيت يا ابن مروان طيب
وكان ابوك ابن العقائل كوثرا ٭ وقيل الكوثر نهر في الجنة ٭ وعن النبي صلعم
انه قرأها حين انزلت عليه فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة
وعدنيه ربي فيه خير كثير ٭ وروي في صفته احلى من العسل واشد بياضا
من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من
فضة عدد نجوم السماء ٭ وروي لا يظما من شرب منه ابدا اول وارديه
فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤوس الذين لا يزوجون
المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج
في صدره لو اقسم على الله لابره ٭ وعن ابن عباس انه فسر الكوثر
بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة
فقال هو من الخير الكثير ٭ والنحر نحر البدن ٭ وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع
والنحر بمنى ٭ وقيل صلوة العيد والتضحية ٭ وقيل هي جنس الصلوة ٭ والنحر
وضع اليمين على الشمال والمعنى اعطيتك ما لا غاية لكثرته من خير الدارين
الذي لم يعطه احد غيرك ومعطي ذلك كله انا اله العالمين فاجتمعت
لك الغبطتان السنيتان اصابة اشرف عطاء واوفره من اكرم معط
واعظم منعم فاعبد ربك الذي اعزك باعطائه وشرفك وصانك

وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على اصول الدين ٭ وروى ابي وانس عن النبي صلعم
اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد يعني ما خلقت الا لتكون
دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة ٭ عن رسول الله
صلى الله عليه انه سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت قيل يا رسول الله وما
وجبت قال وجبت له الجنة ٭ سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الفلق والفرق الصبح
لان الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو ابين من فلق الصبح
ومن فرق الصبح ٭ ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر ٭ وقيل هو كل
ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر
والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك ٭ وقيل هو واد في جهنم
او جب فيها من قولهم لما اطمان من الارض الفلق والجمع فلقان ٭ وعن بعض الصحابة
انه قدم الشام فرأى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم
من دنياهم فقال لا ابالي اليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في
جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره ٭ من شر ما خلق من شر
خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي والمآثم ومضارة
بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير
المكلفين منه من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات
وما وضعه الله في الموات من انواع الضرر كالاحراق في النار والقتل في السم
والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله الى غسق الليل ومنه غسقت
العين امتلات دمعا وغسقت الجراحة امتلات دما ووقوبه دخول
ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس اذا غابت وفي الحديث لما رأى الشمس
قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلوة المغرب ٭ وقيل هو القمر اذا امتلا
وعن عائشة اخذ رسول الله بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله
من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده
ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب

من بين الخلق من اغتما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجهه وباسمه
اذا نحرت مخالفا لهم في النحر للاوثان ان شانئك ان من ابغضك من قومك لمخالفتك لهم
هو الابتر لا انت لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم اولادك
واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر
الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل
تحت الوصف فمثلك لا يقال له ابتر انما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا
والآخرة وان ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون ان محمدا صنبور
اذا مات مات ذكره وقيل نزلت في العاص بن وائل وقد سماه الابتر و
الابتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له ○ ع
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر
في الجنة وتكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر او يقربونه

سورة الكافرين مكية وهي ست آيات وتقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان اي المبرئتان من النفاق

بسم الله الرحمن الرحيم المخاطبون كفرة
مخصوصون قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون ○ روي ان رهطا من قريش قالوا
يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا ونعبد الهك سنة
فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك
ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم
فقرأها عليهم فأيسوا لا اعبد اريد به العبادة فيما يستقبل لان لا
لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى
الحال الا ترى ان لن تأكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل في لن ان اصله لا ان
والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم فاعلون
فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا
فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف
ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت
ما انا على عبادته فان قلت فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم قلت
لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في
ذلك الوقت فان قلت فلم جاء على ما دون من قلت لان المراد الصفة
كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية
اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي لكم دينكم ولي دين لكم
شرككم ولي توحيدي والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق
والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني
الى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الكافرين
فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ
من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر ه

سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا منصوب بسبح
وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة ○ وروي
انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فان قلت ما الفرق بين
النصر والفتح حتى عطف عليه قلت النصر الاغاثة والاظهار على العدو
ومنه نصر الله الارض اغاثها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله
على العرب ○ او على قريش وفتح مكة ○ وقيل جنس نصر الله
للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم ○ وكان فتح مكة لعشر مضين
من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله عشرة آلاف من المهاجرين
والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج
الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده
لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال
يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن
اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله وقد كان
الله امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمي اهل مكة

الطلقاء ثم يأبوه على الإسلام. في دين الله: في ملة الإسلام التي لا دين له يضاف إليه غيرها، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه. أفواجا: جماعة كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين. وعن جابر بن عبد الله رضه أنه بكى ذات يوم فقيل له فقال: سمعت رسول الله صلعم يقول: دخل الناس في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا. وقيل: أراد بالناس أهل اليمن، قال أبو هريرة: لما نزلت قال رسول الله: الله أكبر، جاء نصر الله والفتح، وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية. وقال: أجد نفس ربكم من قبل اليمن. وعن الحسن: لما فتح رسول الله مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا: أما إذ ظفر بأهل الحرم فليس به يدان، وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل وعن كل من أرادهم، فكانوا يدخلون في الإسلام أفواجا من غير قتال. وقرأ ابن عباس: فتح الله والنصر. وقرئ: يدخلون على البناء للمفعول. فإن قلت: ما محل يدخلون؟ قلت: النصب، إما على الحال على أن رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت، أو هو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت. فسبح بحمد ربك: فقل سبحان الله حامدا له، أي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال أحد من أن يغلب أحد على أهل الحرم، واحمده على صنعه، أو فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة إنعامه، أو فصل له. روت أم هانئ أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات. وعن عائشة: كان يكثر قبل موته أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك. والأمر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للأمر بما هو قوام أمر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية، وليكون أمره بذلك مع عصمته لطفا لأمته، ولأن الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه. وعن النبي صلعم: إني لأستغفر في اليوم والليلة مائة مرة. وروي أنه لما قرأها رسول الله على أصحابه استبشروا، وبكى العباس فقال صلعم: ما يبكيك يا عم؟ قال: نعيت إليك نفسك.

قال: إنها لكما تقول. فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا. وقيل: إن ابن عباس هو الذي قال ذلك، فقال رسول الله: لقد أوتي هذا الغلام علما كثيرا. وروي أنها لما نزلت خطب رسول الله فقال: إن عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله، فعلم أبو بكر فقال: فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا. وعن ابن عباس أن عمر رضي الله عنهما كان يدنيه ويأذن له مع أهل بدر، فقال عبد الرحمن: أتأذن لهذا الفتى معنا وفي أبنائنا من هو مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم. قال ابن عباس: فأذن لهم ذات يوم وأذن لي معهم، فسألهم عن قول الله تعالى: إذا جاء نصر الله، ولا أراه سألهم إلا من أجلي، فقال بعضهم: أمر الله نبيه إذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب إليه، فقلت: ليس كذلك، ولكن نعيت إليه نفسه، فقال عمر: ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم، ثم قال: كيف تلومونني عليه بعد ما ترون. وعن النبي صلعم أنه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال: يا بنتاه، إنه نعيت إلي نفسي، فبكت، فقال: لا تبكي فإنك أول أهلي لحوقا بي. وعن ابن مسعود أن هذه السورة تسمى سورة التوديع. كان توابا: أي كان في الأزمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم إذا استغفروا، فعلى كل مستغفر أن يتوقع مثل ذلك. عن رسول الله صلى الله عليه: من قرأ سورة إذا جاء نصر الله أعطي من الأجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة.

سورة تبت خمس آيات وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم. التباب: الهلاك، ومنه قولهم: أشابة أم تابة، أي هالكة من الهرم والتعجيز. والمعنى: هلكت يداه؛ لأنه فيما يروى أخذ حجرا ليرمي به رسول الله. وتب: وهلك كله. أو جعلت يداه هالكتين، والمراد هلاك جملته، كقوله تعالى: بما قدمت يداك. ومعنى وتب: وكان ذلك وحصل، كقوله:

جزاني جزاه الله شر جزائه ... جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه قراءة ابن مسعود: وقد تب. وروي أنه لما نزل: وأنذر عشيرتك الأقربين

في الصفا وقال يا صباحاه فاجتمع اليه الناس من كل اوب فقال يا بني عبد
المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلاً اكنتم مصدقي
قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب تباً لك الهذا
دعوتنا فنزلت فان قلت لم كناه والتكنية تكرمة قلت فيه ثلاثة
اوجه احدها ان يكون مشتهراً بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفاً
باحدهما ولذلك تجري الكنية على الاسم او الاسم على الكنية عطف بيان
فلما اريد تشهيره بدعوة السوء وان تبقى سمة له ذكر الاشهر
من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا ابو لهب كما قيل علي بن
ابو طالب ومعاوية بن ابو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع
ولفليتة بن قاسم امير مكة ابنان احدهما عبد الله بالجر والاخر
عبد الله بالنصب والثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه
الى كنيته والثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب
وافقت حاله كنيته فكان جديراً بان يذكر بها ويقال ابو الشر
للشرير وابو الخير للخير وكما كنى رسول الله ابا المهلب
ابا صفرة بصفرة في وجهه وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه
واشراقهما فيجوز ان يذكر بذلك تهكماً به وبافتخاره بذلك وقرئ
ابي لهب بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقوله شمس بن مالك بالضم
ما اغنى استفهام في معنى الانكار ومحله النصب او نفي وما كسب
مرفوع وما موصولة او مصدرية بمعنى ومكسوبه او وكسبه والمعنى
لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني رأس المال والارباح او ماشيته
وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء او ماله الذي ورثه
من ابيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف وعن ابن
عباس ما كسب ولده وحكي ان بني ابي لهب احتكموا اليه فاقتتلوا
فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا عني
الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه

وان ولده من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني
كيده في عداوة رسول الله وعن قتادة عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله
وقدمنا الى ما عملوا وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقاً
فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي سيصلى قرئ بفتح الياء وضمها مخففاً و
مشدداً والسين للوعيد اي هو كائن لا محالة وان تراخى وقته وامرأته
هي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك
والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله وقيل كانت تمشي بالنميمة
ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم
النائرة ويورث الشر قال من البيض لم تصطد على ظهر لامة
ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب جعله رطباً ليدل على التدخين الذي
هو زيادة في الشر ورفعت عطفاً على الضمير في سيصلى اي سيصلى هو
وامرأته وفي جيدها في موضع الحال او على الابتداء وفي جيدها الخبر
وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وانا استحب هذه القراءة وقد
توسل الى رسول الله بجميل من احب شتم ام جميل وقرئ حمالة للحطب
وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريئته بالتصغير
المسد الذي فتل من الحبال فتلاً شديداً من ليف كان او جلد او غيرهما
قال ومسد امر من ايانق ورجل ممسود الخلق مجدوله و
المعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من
الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيساً لحالها وتحقيراً
لها وتصويراً لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك
ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة
ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب بحمالة الحطب
فقال ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي ام ما تعير من حمالة الحطب
غراء شادخة في المجد غرتها كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب
ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها

حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار
من شجرة الزقوم او من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار
كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه عن رسول الله صلى الله عليه
من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم هو ضمير الشان
والله احد هو الشان كقولك هو زيد منطلق كانه قيل الشان هذا
وهو ان الله واحد لا ثاني له فان قلت ما محل هو قلت الرفع على الابتداء والخبر
الجملة فان قلت فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدا فاين الراجع
قلت حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدا في
المعنى وذلك ان قوله الله احد هو الشان الذي هو عبارة عنه وليس كذلك
زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما
يصل بينهما وعن ابن عباس ان قريشا قالت يا محمد صف لنا ربك الذي
تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سالتموني وصفه هو الله واحد بدل
من قوله الله او على هو احد وهو بمعنى واحد واصله وحد وقرا
عبد الله وابي هو الله احد بغير قل وفي قراءة النبي احد بغير
قل هو وقال من قرا الله احد كان بعدل القران وقرا الاعمش
قل هو الله الواحد وقرئ احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاته لام التعريف
ونحوه ولا ذاكر الله الا قليلا والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين
والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود
اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات
والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو
الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم لم يلد
لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على
هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولم يولد

النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاث الشر فيه
اكثر والتحرز منه اصعب ومنه قولهم الليل اخفى للويل وقولهم اغدر الليل
لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر واسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه
النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا
في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تاثير لذلك اللهم الا
اذا كان ثم اطعام شيء ضار او سقيه او اشمامه او مباشرة المسحور به
على بعض الوجوه ولكن الله قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي
يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشوية و
الرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك
ولا يعبأون به فان قلت فما معنى الاستعاذة من شرهن قلت فيها ثلاثة اوجه
احدها ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك والثاني
ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث
ان يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز ان يراد بهن النساء
الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث
في العقد او اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كانهن
يسحرنهم بذلك اذا حسد اي اذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي
الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمره فلا ضرر يعود منه
على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد
العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز ان يراد بشر الحاسد
اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهاره اثره فان قلت قوله من شر
ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات
والحاسد قلت قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء امره وانه يلحق الانسان
من حيث لا يعلم كانما يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيدك من
حيث لا تشعر فان قلت فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت عرفت النفاثات
لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر

إنما يلوح بعضهم في بعض وكذلك كل حاسد لا يضر، ورب حسد محمود وهو الحسد في
الخيرات ومنه قوله عليه السلام لا حسد إلا في اثنتين وقال أبو تمام وما حاسد في المكرمات بحاسد
وقال: إن العلى حسن في مثلها الحسد. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها.

سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم. قرئ قل أعوذ بحذف
الهمزة ونقل حركتها إلى اللام ونحوه فخذ أربعة. فإن قلت لم قيل برب الناس
مضافا إليهم خاصة؟ قلت لأن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في
صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك
عليهم أمورهم وهو إلههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي إذا اعتراهم
خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي أمرهم. فإن قلت ملك الناس إله الناس ما هما
من رب الناس؟ قلت هما عطف بيان كقولك سيرة أبي حفص عمر الفاروق
بين بملك الناس ثم زيد بيانا بإله الناس لأنه قد يقال لغيره رب الناس
كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وقد يقال ملك
الناس، وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان. فإن قلت
فهلا اكتفي بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرة واحدة؟ قلت لأن
عطف البيان وكان مظنة للإظهار دون الإضمار. الوسواس اسم بمعنى
الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة، وأما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال
والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لأنها صنعته
وشغله الذي هو عاكف عليه، أو أريد ذو الوسواس، والوسوسة الصوت
الخفي، ومنه وسواس الحلي. والخناس الذي عادته أن يخنس منسوب
إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات، لما روي عن سعيد بن جبير
إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى، وإذا غفل وسوس إليه.
الذي يوسوس يجوز في محله الحركات الثلاث، فالجر على الصفة، والرفع والنصب
على الشتم، ويحسن أن يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس

على أحد هذين الوجهين. من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على أن
الشيطان ضربان جني وإنسي كما قال شياطين الإنس والجن. وعن أبي ذر رضي الله عنه
أنه قال لرجل: تعوذت بالله من شيطان الإنس؟ ويجوز أن يكون من متعلقا بيوسوس
ومعناه ابتداء الغاية، أي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس. وقيل
من الجنة والناس بيان للناس وأن اسم الناس ينطلق على الجنة، واستدلوا
بنفر ورجال في سورة الجن. وما أحقه لأن الجن سموا جنا لاجتنانهم، والناس
ناسا لظهورهم من الإيناس وهو الإبصار كما سموا بشرا، ولو كان يقع الناس على
القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع،
وأجود منه أن يراد بالناس الناسي كقوله يوم يدع الداع، وكما قرئ من حيث
أفاض الناس، ثم يبين بالجنة والناس لأن الثقلين هما النوعان الموصوفان
بنسيان حق الله عز وجل. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أنزلت علي سورتان
ما أنزل مثلهما، وإنك لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما.

قال الشيخ الإمام رضي الله عنه

وأنا أعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة، وألوذ بكنف رحمته
الشاملة العامة، من كل ما يكلم الدين، ويثلم اليقين، أو يعود في العاقبة
بالندم، أو يقدح في الإيمان المسوط باللحم والدم، وأمتّ له بخضوع
العنق وخشوع البصر، ووضع الخد لجلاله الأعظم الأكبر، مستشفعا
إليه بنوره الذي هو الشيبة في الإسلام، متوسلا بالتوبة الممحصة للآثام،
وبما عنيت به من مهاجرتي إلى الله ومجاورتي ومن أبطح مكة، ومصابرتي
على تواكل من القوى وتخاذل من الخطى، ثم أسأله بحق صراطه المستقيم،
وقرآنه المجيد الكريم، وبما لقيت من كدح اليمين، وعرق الجبين،
في عمل الكشاف عن حقائقه، المخلص عن مضايقه، المطلع على غوامضه،
المثبت في مداحضه، الملخص لنكته ولطائف نظمه، المنهب عن فقره و
جواهر علمه، المكتنز بالفوائد المفتنة التي لا توجد إلا فيه، المحيط

بما لا يكتنه من بدع ألفاظه ومعانيه، مع الإيجاز الحاذف للفضول، وتجنب المستكره المملول، ولو لم يكن في مضمونه إلا إيراد كل شيء على قانونه لكفى به ضالة ينشدها محققة الأجناس، وجوهرة يتمنى العثور عليها غاصة البحار، وبما شرفني به ومجّدني وأحظاني بكرامته وتوّجني من بلوغ غايته، وتبرئة الباقية من سوره من البلد الأمين بين ظهراني الحرم، وبين يدي البيت المحرم، حق وقع التأويل حيث وقع التنزيل، أن يعقب لي خاتمة الخير، ويقيني مصارع السوء، ويتجاوز عن فرطاتي يوم التناد، ولا يفضحني بها على رؤوس الأشهاد، ويحلني دار المقامة من فضله، بواسع طوله وسابغ نواله، إنه هو الجواد الكريم، الرؤوف الرحيم.

وعورضت هذه النسخة بنسخة الأصل الأولى التي نقلت من السواد وهي أم الكشاف الحرمية المباركة المتمسح بها المحفوفة بأن تستنزل بها بركات السماء، ويستمطر بها غيث السحاب الشهباء. فرغ منها يد المصنف تجاه الكعبة في جناح دار السليمانية التي على باب أجياد الموسومة بمدرسة العلامة ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر في عام ثمان وعشرين وخمسمائة، وهو حامد لله على باهر كرمه، ومصل على محمد عبده ورسوله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تم الكتاب بعون الله وحسن تأييده على يد العبد
الضعيف المذنب الخاطي الراجي إلى غفران ربه العلي
وشفاعة نبيه المكي المدني محمود بن علي بن يوسف الطرازي
ليلة الجمعة الثامن من شعبان سنه ٦٧٩ حامدا لله تعالى
ومصليا على نبيه اللهم متع به وجمع لمثاله محرره وذويه

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı: Fatih
Yeni kayıt
Eski kayıt: 339